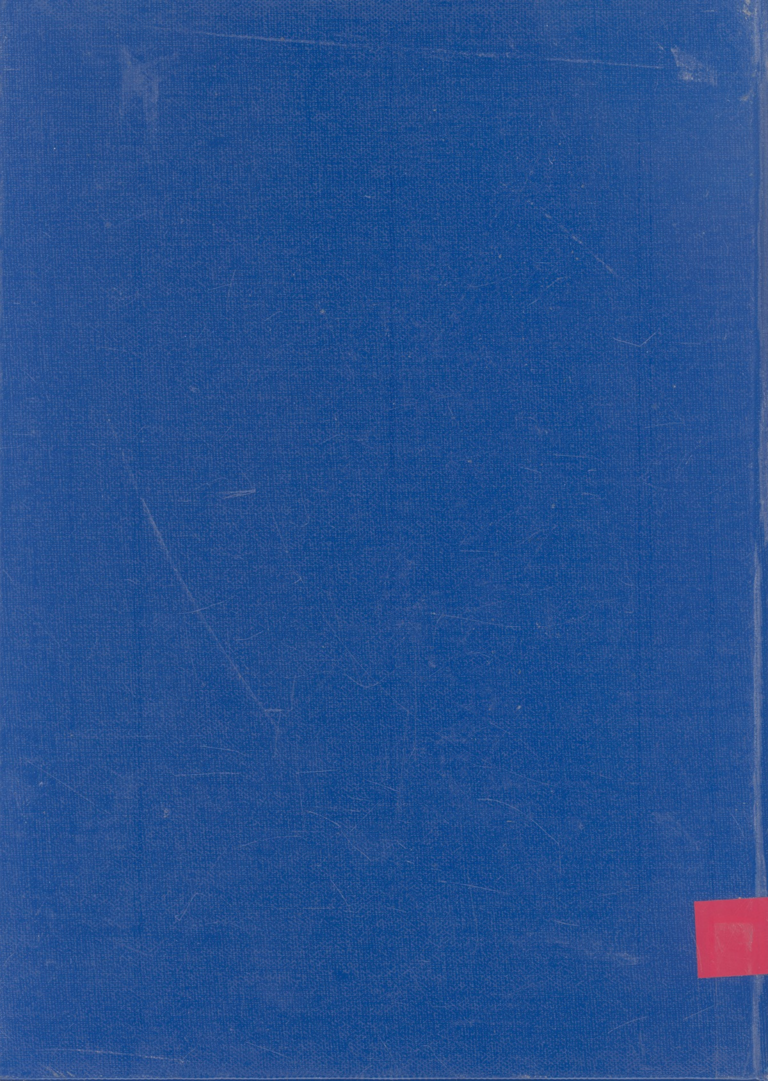


(الجزء السادس)

من شرح الامام العلامة محمد بن عبد الباقى الزرقانى المالكى على المواهب اللدنية للعلامة القسطلانى نفع الله المسلمين بعلومهما آمين

(وبهامشه)

كتاب زاد المعاد فى هدى خير العباد للامام شمس الدين بن عبد الله الدمشقى الحنبلى المعروف بابن القيم

(طبع)

(على ذمة أكبر العائلة المهدية)

(وشركاه)

(الطبعة الاولى)

(بالمطبعة الازهرية المصرية)

(سنة ١٣٢٧ هجرية)





(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المقصد الخامس فى) بيان (تخصيصه عليه الصلاة والسلام بخصائص المعراج والاسراء أى جعلها مخصوصة به لا تتجاوزه الى غيره والمراد بها الامور الخارقة التى اختص بها ليلته كرؤيته الله والجنة وقطعه فى زمن قليل واتساع الزمن حتى صلى بالانبياء الى غير ذلك فلما كانت تلك الامور كلها لم تتعده الى غيره جعل المصنف همته فى الترجمة بيانها لانه صار بها مقدما على من عداه ومقربا فى حضرة التقديس عن كل ماسواه وقدم المعراج فى الذكر لتعلقه بالحضرة الالهية وأخره فى الترتيب مطابقة للواقع (وتعميمه) أى تغطيته وستره (بعموم) أى كثرة (لطائف التكريم) أى النعم التى أكرمه الله بها التى لا تحصى بجعلها شاملة له كالملاءة التى تشتمل على جميع جسد من جعلت عليه (فى حضرة التقريب) أى المكان الذى خاطبه فيه (بالمكالمة والمشاهدة) له سبحانه وتعالى (والآيات الكبرى) العظمى (اعلم منحنى) اعطانى (الله واياك الترقى فى معارج السعادات) أى المراتب المحصلة لها لمن أراد الله به الخير والمعراج عند أهل الطريق منتهى سير المقربين الذى هو عروجهم أى سلوكهم لان كل سالك الى طريق كان غايته الحق بشرط فوزه منه بسعادة مافذلك السالك صاحب معراج وسلوكه عروج (وأوصلنا) الله (به) أى النبى صلى الله عليه وسلم (اليه) أى الى قرب المكانة الى الله (فى حظائر الكرامات) أى المحلات التى تنزل بها الكرامات وتليق بها أو المراد بها الجنة وأصل الحظيرة مايعمل للابل من الشجر ليقيها البرد ونحوه (أن قصة الاسراء والمعراج) بزنة مفتاح السلم وجمعه معارج ومعاريج ويقال معرج للواحد بكسر الميم وفتحها (من أشهر المعجزات وأظهر البراهين البينات الواضحات (وأقوى الحجج) بالضم جمع حجة (المحكمات وأصدق الانباء) جمع نبا بالهمز وهو الخبر (وأعظم الآيات وأتم الدلالات الدالة على تخصيصه عليه الصلاة والسلام بعموم الكرامات) لما اشتملت عليه من الامور الخارقة للعادة التى تقصر العقول عن ادراك مثلها (وقد اختلف العلماء)

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم) فى المنع من التداوى بالمحرمات روى أبو داود فى سننه من حديث أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بالمحرم وذكر البخارى فى صحيحه عن ابن مسعود ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم وفى السنن عن أبى هريرة قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء الخبيث وفى صحيح مسلم عن طارق بن سويد الجعفى أنه سال النبى صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه أو كره أن يصنعها فقال انما أصنعها للدواء فقال انه ليس بدواء ولكنه داء وفى السنن أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن الخمر يجعل فى الدواء فقال انها داء وليست بالدواء رواه أبو داود والترمذى وفى صحيح مسلم عن طارق ابن سويد الحضرمى قال قلت يارسول الله ان بارضنا أعنابا نعتصرها فنشرب منها قال لا فراجعته قلت انا نستشفى

بحسب

بحسب اختلاف الاخبار (في الاسراء) أي في جواب قول السائل (هل هو اسراء واحد في ليلة واحدة)
فقيل كان كذلك ثم اختلف بناء على ذا القول هل كان (يقظة أو مناما) وعلى انه يقظة هل الى المسجد
الاقصى فقط أو الى العرش مناما (أو) هما (اسراآن) واحد يقظة وآخر مناما (كل واحد منهما في ليلة مرة
بروحه وبدنه يقظة ومرة مناما) وليلة اليقظة غير ليلة المنام وبهذا فارق القول الذي قبله (أو يقظة بروحه
وجسده من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم مناما من المسجد الاقصى الى العرش) فالاسراء
كان يقظة والمعراج مناما عند هذا القائل وقد علم تفريع هذا القول على اتحاد الليلة فيهما (أو هي
أربع اسراآت) يقظة كلها كما يأتي (احتج القائلون انه رؤيا منام مع اتفاقهم على ان رؤيا الانبياء وحي
بقوله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك) ليلة الاسراء (الا فتنة للناس) أهل مكة اذ كذبوا بها وارتد بعضهم لما
أخبرهم (لان الرؤيا) بالالف (مصدر الحلمية) وهي المنامية منسوبة الى الحلم بضمتين وقد تسكن اللام
تخفيفا (وأما البصرية فالرؤية بالتاء) بالالف (وقد أنكر ابن مالك والحريري وغيرهما كما أفاده الشيخ
بدر الدين الزركشي ورود الرؤيا) بالالف (للبصرية ولحنوا) أبا الطيب أحمد بن الحسين (المتنبي) الشاعر
المشهور (في قوله ورؤياك أحلى في العيون من الغمض) لانه استعمل الرؤيا بالالف في البصرية التي
بالتاء (وأجيب بانه) لا حجة في الآية على انه منام لانه (انما قال الرؤيا لوقوع ذلك المرئي في الليل وسرعة
تقضيه) حتى (كأنه منام) فهو مجاز علاقته المشابهة (وبان الرؤيا) بالالف (والرؤية) بالتاء (واحدة)
يعني ان كلا منهما يستعمل موضع الآخر (كقربى وقربة) وهذا نقله ابن دحية ولفظه قال أهل اللغة
رأيت رؤية ورؤيا مثل قربة وقربى (ويشهد له قول ابن عباس) وهو من أئمة اللسان (في) تفسير
(الآية كما عند البخاري هي رؤية عين أريها صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به) فاستعمل ابن عباس
الرؤيا بالالف في البصرية (وزاد سعيد بن منصور عن سفيان) بن عيينة راويه عن عمرو بن دينار
عن عكرمة عن ابن عباس (في آخر الحديث وليس رؤيا منام) فهو دليل قوي على استعمال كل منهما
موضع الآخر قال الحافظ وقد تمسك بكلام ابن عباس هذا من قال الاسراء منام ومن قال يقظة فالاول
أخذه من لفظ الرؤيا لاختصاصها برؤيا المنام والثاني من قوله أريها ليلة الاسراء اذ لو كان مناما ما كذبه
الكفار ولا فيما هو أبعد منه واذا كان يقظة والمعراج تلك الليلة تعين كونه يقظة أيضا اذ لم ينقل انه نام
لما وصل بيت المقدس ثم عرج به وهو نائم (ولم يصرح في رواية البخاري بالمرئي) بل لفظه ما قدمه
المصنف قال الحافظ عقب ما نقلته عنه واذا كان يقظة فاضافة الرؤيا الى العين للاحتراز عن رؤيا القلب
وقد أثبت الله في القرآن رؤيا القلب فقال ما كذب الفؤاد ما رأى ورؤيا العين فقال ما زاغ البصر وما
طغى لقد رأى وروى الطبراني في الاوسط باسناد قوي عن ابن عباس قال رأى محمد ربه مرتين ومن وجه
آخر قال نظر محمد الى ربه جعل الكلام لموسى والخلة لابراهيم والنظر لمحمد فاذا تقرر ذلك ظهر أن مراد
ابن عباس هنا برؤيا العين جميع ما ذكره صلى الله عليه وسلم من الاشياء في تلك الليلة (وعند سعيد بن
منصور من طريق أبي مالك هو ما أرى في طريقه الى بيت المقدس) مما يأتي بعضه (وهذا مما يستدل
به على اطلاق لفظ الرؤيا على ما يرى بالعين في اليقظة) كما تطلق على رؤيا المنام (وهو يرد على من خطأ
المتنبي) ولا عبرة بانكار ذلك اذ من حفظ حجة خصوصا وابن عباس من فصحاء بني هاشم وأئمة اللسان
وفي كلام الاشموني افادة أن مصدر رأى حلمية أو بصرية أو علمية بالدليل أو السمع يجيء بالالف في
لغة وأن المشهور كونها مصدر الحلمية (على انه اختلف المفسرون في هذه الآية) على هذه الاستدراك
وقيل تتعلق بما قبلها من الكلام وقيل لا تتعلق بشيء (فقيل ان الرؤيا التي أريناك ليلة المعراج) كما مر
عن ابن عباس (قال البيضاوي) وتعلق به من قال كان في المنام ومن قال كان في اليقظة (فسر الرؤيا)

للمريض قال ان ذلك ليس بشفاء ولكنه دواء وفي سنن النسائي أن طبيبا ذكر ضفدعا في دواء عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنهاه عن
قتلها ويذكر عنه صلى
الله عليه وسلم أنه قال من
تداوى بالخمر فلا شفاه
الله * المعالجة بالمحرمات
قبيحة عقلا وشرعا أما
الشرع فما ذكرنا من
هذه الاحاديث وغيرها
وأما العقل فهو ان الله
سبحانه انما حرمه لخبثه
فانه لم يحرم على هذه
الامة طيبا عقوبة لها
كما حرمه على بني اسرائيل
بقوله فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم
طيبات أحلت لهم وانما
حرم على هذه الامة ما حرم
لخبثه وتحريمه له حمية
لهم وصيانة عن تناوله
فلا يناسب أن يطلب به
الشفاء من الاسقام
والعلل فانه وان أثر في
ازالتها لكنه يعقب سقما
أعظم منه في القلب بقوة
الخبث الذي فيه فيكون
المداوى به قد سعى في
ازالة سقم البدن بسقم
القلب وأيضا فان تحريمه
يقتضي تجنبه والبعد
عنه بكل طريق وفي
اتخاذه دواء حض على
الترغيب فيه وملابسته
وهذا ضد مقصود
الشارع وأيضا فانه داء
كما نص عليه صاحب
الشريعة فلا يجوز أن
يتخذ دواء وأيضا فانه يكسب الطبيعة والروح صفة الخبث لان الطبيعة تنفعل عن كيفية الدواء انفعالا بينا فاذا كانت كيفيته

بالالف (بالرؤية) بالتاء (وقيل رؤيا عام الحديبية حين رأى انه دخل) المسجد الحرام فسافر قاصدا (مكة فصده المشركون وافتتن بذلك ناس) أى تحيروا من ذلك لان رؤيا الانبياء وحى حتى قال صلى الله عليه وسلم أقلت لكم فى هذا العام وفى الفتح قال هذا القائل والمراد بقوله فتنة للناس ما وقع من صد المشركين له فى الحديبية عن دخول المسجد الحرام وهذا وان أمكن انه مراد الآية لكن الاعتماد فى تفسيرها على ترجمان القرآن أولى (وقيل رؤياه وقعة بدر وسال ابن النقيب) الامام المفسر العلامة المفتى جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن حسن البلخى ثم المقدسى الحنفى مدرس العاشورية بالقاهرة ولد سنة احدى عشرة وستمائة قدم مصر فسمع بها من يوسف المخلى وأقام مدة بالجامع الازهر وصنف بها تفسيرا كبيرا الى الغاية وكان اماما عابدا زاهدا أمارا بالمعروف كبير القدر يتبرك بدعائه وزيارته مات بالقدس فى المحرم سنة ثمان وتسعين وستمائة ذكره الذهبى فى العبر (شيخه أبا العباس) أحمد بن عمر بن ابراهيم (القرطبى) الانصارى المالكى الفقيه المحدث نزيل الاسكندرية ولد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وسمع الكثير وقدم الاسكندرية فأقام بها يدرس وصنف المفهم فى شرح صحيح مسلم واختصر الصحيحين مات فى ذى القعدة سنة ست وخمسين وستمائة وليس المراد بابن النقيب هنا شهاب الدين بن النقيب أحمد أبو العباس أحد علماء الشافعية لانه ولد بالقاهرة سنة اثنين وسبعمائة ومات بها فى رمضان سنة تسع وستين كما ذكر السيوطى فلم يدرك القرطبى (فقال الصحيح انها رؤية عين أراه جبريل مصارع القوم ببدر فأرى النبى صلى الله عليه وسلم الناس) أصحابه الحاضرين (مصارعهم) أى القوم الهالكين ببدر من المشركين (التى أراه جبريل) فصار يقول قبل الوقعة واضعا يده على الارض هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان (فتسامعت به قريش فاستخروا) مثل سخروا أى هزؤا (منه) فلما التقى الجمعان كان كما قال (انتهى) لكن ما صححه خلاف ما صححه الشامى انها رؤيا عين ليلة الاسراء ونحوه للحافظ فى الفتح قائلا وما روى ابن مردويه عن ابن عباس ان المراد رؤيا الحديبية وعن الحسن بن على مرفوعا انى أريت كأن بنى أمية يتعاورون منبرى هذا فقيل دنيا تنالهم ونزلت الآية فكلاهما اسناده ضعيف (واستدل القائلون بانها رؤيا منام أيضا بقول عائشة) المروى عند ابن اسحق حدثنى بعض آل أبى بكر أن عائشة كانت تقول (ما فقد جسده الشريف) ولكن أسرى بروحه قال الشامى كذا فيما وقفت عليه من نسخ السير فقد بالبناء للمفعول والذى وقفت عليه من نسخ الشفاء ما فقدت بالبناء للفاعل واسناد الفعل لتاء المتكلم كذا قال وقد حكاهما فى الشفاء وابتين فقال أولا وأما قول عائشة ما فقد جسده فهى لم تحدث به عن مشاهدة الخ ثم قال بعد أسطر وأيضا قد روى حديث عائشة ما فقدت يعنى بالبناء للفاعل قال ولم يدخل بها النبى صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذى يدل عليه صحيح قولها انه بجسده الشريف لانكارها رؤيته لربه رؤية عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره وحديثها هذا ليس بالثابت عنها انتهى يعنى لما فى متنه من العلة القادحة وفى سنده من انقطاع وراو مجهول وقال ابن دحية فى التنوير انه حديث موضوع عليها وقال فى معراجه الصغير قال امام الشافعية أبو العباس بن سريج هذا حديث لا يصح وانما وضع ردا للحديث الصحيح (وأجيب) على تقدير صحته (بان عائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن اذ ذاك زوجا ولا فى سن من يضبط) لانها سنة الهجرة كانت بنت ثمان سنين (أو لم تكن ولدت بعد) بالبناء على الضم أى بعد هذه القصة وهى ضد قبل ويستعملان فى التقدم والتأخر المتصل والمنفصل والمراد هنا الاول أو المراد زمن وقوعه للمجاورة والتضاد وهو استعمال شائع (على الخلاف فى الاسراء متى كان) فعلى انه كان بعد المبعث بعام لم تكن ولدت وعلى انه قبل الهجرة بعام تكون ابنة سبع وعلى انه قبلها

خبيثة أكسبت الطبيعة منه خبثا فكيف اذا كان خبيثا فى ذاته ولهذا حرم الله سبحانه على عباده الاغذية والاشربة والملابس الخبيثة لما تكتسب النفس من هيأة الخبث وصفته وأيضا فان فى اباحة التداوى به ولاسيما اذا كانت النفوس تميل اليه ذريعة الى تناوله للشهوة واللذة لاسيما اذا عرفت النفوس انه نافع لها مزيل لاسقامها جالب لشفائها فهذا أحب شئ اليها والشارع سد الذريعة الى تناوله بكل ممكن ولا ريب ان بين سد الذريعة الى تناوله وفتح الذريعة الى تناوله تناقضا وتعارضا وأيضا فان هذا الدواء المحرم من الادواء ما يزيد على ما يظن فيه من الشفاء وليفرض الكلام فى أم الخبائث التى ما جعل الله لنا فيها شفاء قط فانها شديدة المضرة بالدماغ الذى هو مركز العقل عند الاطباء وكثير من الفقهاء والمتكلمين قال أبقراط فى أثناء كلامه فى الامراض الحادة ضرر الخمرة بالرأس شديد لانه يسرع الارتفاع اليه ويرتفع بارتفاعه الاخلاط التى تعلو فى البدن وهو كذلك يضر بالذهن وقال صاحب الكامل ان خاصية الشراب الاضرار بالدماغ والعصب وأما غيره من الادوية المحرمة فنوعان أحدهما تعافه النفس ولا تنبعث لمساعدته الطبيعة على دفع المرض به كالسموم ولحوم الافاعى وغيرها

بأكثر

با كثر تكون أصغر من سبع قال عياض واذا لم تشاهد ذلك عائشة دل على انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وكان الظاهر أن يقول فرجح خبر غيرها على خبرها أى لعدم ثبوته عنها كما أفصح به بعد وقد قدمت كلامه لا لروايتها عن مجهول اذ لو ثبت لكان مرسل صحابى وهو حجة (وقال التفتازانى) فى الجواب على تقدير الصحة (أى ما فقد جسده عن الروح بل كان مع روحه وكان المعراج للجسد والروح جميعا انتهى) وهو جواب حسن على ما فيه من كونه خلاف المتبادر من اللفظ (واحتج القائلون بانه بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح) فالاسراء يقظة والمعراج منام (بقوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل المسجد الاقصى غاية الاسراء الذى وقع التعجب به) من الكفار تعجب استحالة ومن المؤمنين تعجب تعظيم (بعظيم القدرة) بالباء الجارة وفى نسخة بالفوقية منصوب على انه مفعول له أى لتعظيم قدرة الله الباهرة (والتمدح بتشريف النبى صلى الله عليه وسلم واظهار الكرامة له بالاسراء ولو كان الاسراء بجسده الى) مكان (زائد عن المسجد الاقصى لذكره فيكون أبلغ فى المدح) فلما لم يقع ذكر المعراج فى هذا الموضع مع كون شانه أعجب وأمره أغرب بكثير من الاسراء دل على انه كان مناما وأما الاسراء فلو كان مناما لما كذبوه ولا استنكروه لجواز وقوع مثل ذلك وأبعد منه لآحاد الناس (وأجيب) كما ذكر ابن المنير (بان حكمة التخصيص بالمسجد الاقصى سؤال قريش له على سبيل الامتحان على ما شاهدوه وعرفوه من صفة بيت المقدس وقد علموا انه لم يسافر اليه فيجيبهم معاينة) كما يأتى بيانه (ويوافق ما يعلمونه فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع ولهذا لم يسالوه عما رأى فى السماء ولا عهد لهم بذلك) عطف علة على معلول أى لانه لا عهد أى لا علم لهم به وفى الشامى وأجاب الائمة عن ذلك بانه استدرجهم الى الايمان بذكر الاسراء فلما ظهرت امارات صدقه ووضحت له براهين رسالته واستانسوا بتلك الآية أخبرهم بما هو أعظم منها وهو المعراج فحدثهم به وأنزله الله فى سورة النجم قال الحافظ ويؤيد وقوع الاسراء عقب المعراج فى ليلة واحدة رواية ثابت عن أنس عند مسلم أتيت بالبراق فركبت حتى أتيت بيت المقدس فذكر القصة الى أن قال ثم عرج بنا الى السماء الدنيا وحديث أبى سعيد عند ابن اسحق فلما فرغ مما كان فى بيت المقدس أتى بالمعراج (وقال النووى فى فتاويه وكان الاسراء به عليه الصلاة والسلام مرتين مرة فى المنام ومرة فى اليقظة) والى هذا ذهب المهلب شارح البخارى وحكاه عن طائفة وأبو نصر بن القشيرى ومن قبلهم أبو سعد فى شرف المصطفى قال كان للنبى صلى الله عليه وسلم معاريج منها ما كان فى اليقظة ومنها ما كان فى المنام (وذكر السهيلى تصحيح هذا المذهب عن شيخه القاضى أبى بكر بن العربى) واختاره و(ان مرة النوم توطئة له) وتمهيد (وتيسير عليه كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة) كما قالت عائشة أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة وفى رواية الصالحة فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح (ليسهل عليه) بالرؤيا (أمر النبوة فانه أمر عظيم تضعف عنه القوى البشرية) فقد ذكر أبو ميسرة التابعى الكبير وغيره ان ذلك وقع فى المنام وجمعوا بينه وبين حديث عائشة بان ذلك وقع مرتين كما فى الفتح (وكذلك الاسراء سهلت) قصته (عليه بالرؤيا فى النوم قبل اليقظة) (لان هوله عظيم فجاءت اليقظة على توطئة وتقدمة رفقا من الله بعبده وتسهيلا عليه وقد جوز بعض قائلى ذلك أن تكون قصة المنام قبل المبعث لاجل قول شريك) بن أبى نمر (فى روايته) عن أنس (وذلك قبل أن يوحى اليه وسيأتى البحث فى ذلك ان شاء الله تعالى) قريبا مع الجواب عن اشكاله بالاجماع على ان فرض الصلاة كان ليلة الاسراء فكيف يكون قبل الوحى (واحتج القائلون بانه أربع اسراآت يقظة) كما ذهب اليه جماعة (بتعدد الروايات فى الاسراء

من المستقذرات فيبقى كلا على الطبيعة مثقلا لها فيصير حينئذ داء لا دواء ● والثانى ما لا تعافه النفس كالشراب التى تستعمله الحوامل مثلا فهذا ضرره أكثر من نفعه والعقل يقضى بتحريم ذلك فالعقل والفطرة مطابق للشرع فى ذلك وههنا سر لطيف فى كون المحرمات لا يستشفى بها فان شرط الشفاء بالدواء تلقيه بالقبول واعتقاد منفعته وما جعل الله فيه من بركة الشفاء فان النافع هو المبارك وأنفع الاشياء أبركها والمبارك من الناس أينما كان هو الذى ينتفع به من حيث حل ومعلوم أن اعتقاد المسلم تحريم هذه العين مما يحول بينه وبين اعتقاد بركتها ومنفعتها وبين حسن ظنه بها وتلقى طبعه لها بالقبول بل كلما كان العبد أعظم ايمانا كان أكره لها واسوأ اعتقادا فيها وطبعه أكره شئ لها فاذا تناولها فى هذه الحال كانت داء له لا دواء الا أن يزول اعتقاد الخبث فيها وسوء الظن والكراهة لها بالمحبة وهذا ينافى الايمان فلا يتناولها المؤمن قط الا على وجه داء والله أعلم

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم) فى علاج القمل الذى فى الرأس وازالته فى الصحيحين عن كعب بن عجرة قال كان بى أذى من رأسى فحملت الى

واختلاف ما يذكر فيها فبعضهم يذكر شيئا لم يذكره الآخر وبعضهم يسقط شيئا ذكره الآخر وأجيب بأنه لا يدل على التعدد لان بعض الرواة قد يحذف بعض الخبر للعلم به أو ينساه) أو ما يذكر هو الاهم عنده أو ينشط تارة فيسوقه كله وتارة يحدث المخاطب بما هو أنفع له (وقال الحافظ ابن كثير من جعل كل رواية خالفت الاخرى مرة على حدة فاثبت اسراآت متعددة فقد أبعد وأغرب) جاء بشئ غريب لا يعرف (وهرب الى غير مهرب) يعني ان ذلك لا يجديه نفعا في دفع التعارض (ولم يحصل على مطلب) حذف من كلام ابن كثير في تاريخه تعليله بقوله لان كل السياقات فيها تعريفه بالانبياء وفي كلها تفرض عليه الصلاة فكيف يدعى تعدد ذلك هذا في غاية البعد ووصله بقوله (ولم ينقل ذلك عن أحد من السلف ولو تعدد هذا التعدد لاخبر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بذلك ولنقله الناس على التعدد والتكرار) ولم يقع ذلك (انتهى) ونحوه في الفتح وزاد ويلزم أيضا وقوع التعدد في سؤاله صلى الله عليه وسلم عن كل نبي وسؤال أهل كل باب هل بعث اليه وفرض الصلوات الخمس وغير ذلك فان تعدد مثل ذلك في القصة لا يتجه فتعين رد بعض الروايات المختلفة الى بعض أو الترجيح وقال ابن القيم هذه طريقة ضعفاء الظاهرية الذين اذا رأوا في القصة لفظة تخالف سياق بعض الرواة جعلوه مرة أخرى فكلما اختلفت عليهم الرواة عددوا لهم الوقائع والصواب الذي عليه أئمة النقل ان الاسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة ويا عجبا لهؤلاء الذين زعموا أنه وقع مرارا كيف ساغ لهم ان يظنوا انه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين ثم يتردد بين ربه تعالى وبين موسى حتى تصير خمسا فيقول أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ثم يعيدها في المرة الثانية خمسين ثم يحطها عشرا عشرا (وقد وقع في رواية عبثر بن القاسم الزبيدي) بضم الزاي أبو زبيد كذلك الكوفي الثقة من رجال الجميع مات سنة تسع وسبعين ومائة وعبثر بفتح العين المهملة و(بموحدة) ساكنة (ثم مثلثة) مفتوحة ونسخة فمثناة تحريف فالذي في التقريب وفتح المثلثة (بوزن جعفر في روايته عن حصين بن عبد الرحمن) السلمي الكوفي ثقة روى له الجماعة وتغير حفظه في الآخر مات سنة ست وثلاثين ومائة وله ثلاث وتسعون سنة (عند الترمذي والنسائي لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمر بالنبي ومعه الواحد الحديث فان كان ذلك محفوظا كان فيه قوة لمن ذهب الى تعدد الاسراء وأنه وقع بالمدينة أيضا) اسراء (غير الذي وقع بمكة) فغير صفة محذوف (قال في فتح الباري والذي يتحرر من هذه المسئلة ان الاسراء الذي وقع بالمدينة ليس فيه ما وقع بمكة من استفتاح أبواب السماء بابا بابا) بالتكرير (ولا من التقاء الانبياء كل واحد في سماء ولا المراجعة مع موسى فيما يتعلق بفرض الصلوات ولا طلب تخفيفها وسائر ما يتعلق بذلك وانما تكررت قضايا كثيرة سوى ذلك رآها النبي صلى الله عليه وسلم فنها بمكة البعض ومنها بالمدينة بعد الهجرة البعض ومعظمها في المنام) ضد اليقظة (والله أعلم انتهى) وفي فتح الباري أيضا وجنح الامام أبو شامة الى وقوع المعراج مرارا واستند الى ما أخرجه البزار وسعيد بن منصور عن أنس رفعه بينا أنا جالس اذ جاء جبريل فوكز بين كتفي فقمنا الى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعدت في أحدهما وقعد جبريل في الآخر فارتفعت حتى سدت الخافقين الحديث وفيه ففتح لي باب من السماء فرأيت النور الاعظم واذا دونه حجاب رفرف الدر والياقوت ورجاله لا بأس بهم الا ان الدارقطني ذكر له علة تقتضي ارساله وعلى كل حال فهي قصة أخرى الظاهر انها وقعت بالمدينة ولا بعد في وقوع أمثالها وانما المستبعد وقوع التعدد في قصة المعراج الذي وقع سؤاله عن كل نبي وسؤال أهل كل باب هل بعث اليه وفرض الصلوات الخمس وغير ذلك فان تعدد ذلك في اليقظة لا يتجه فتعين رد بعض الروايات المختلفة الى بعض أو الترجيح الا انه لا بعد في وقوع جميع ذلك في المنام توطئة ثم وقوعه في اليقظة على وفقه كما قدمته ومن المستغرب قول

رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي فقال ما كنت أرى الجهد قد بلغ بك ما أرى وفي رواية

فامره أن يحلق رأسه وأن يطعم فرقا بين ستة أو يهدي شاة أو يصوم ثلاثة أيام * القمل يتولد في الرأس والبدن من شيئين خارج عن البدن وداخل فيه فالخارج الوسخ والدنس المركب في سطح الجسد والثاني من خلط رديء عفن تدفعه الطبيعة بين الجلد واللحم فيتعفن بالرطوبة الدموية في البشرة بعد خروجها من المسام فيكون منه القمل وأكثر ما يكون ذلك بعد العلل والاسقام وبسبب الاوساخ وانما كان في رؤس الصبيان أكثر لكثرة رطوباتها وتعاطيهم الاسباب التي تولد القمل ولذلك حلق النبي صلى الله عليه وسلم رؤس بني جعفر ومن أكبر علاجه حلق الرأس لينفتح مسام الابخرة فتتصاعد الابخرة الرديئة فتضعف مادة الخلط وينبغي أن يطلى الرأس بعد ذلك بالادوية التي تقتل القمل وتمنع تولده وحلق الرأس ثلاثة أنواع * أحدها نسك وقربة * والثاني بدعة وشرك * والثالث بحاجة ودواء فالاول الحلق في أحد النسكين الحج أو العمرة والثاني حلق الرأس لغير الله سبحانه

ابن عبد السلام فى تفسيره وكان الاسراء فى النوم واليقظة ووقع بمكة والمدينة فان أراد تخصيص المدينة بالنوم ويكون كلامه على طريق اللف والنشر غير المرتب فيحتمل ويكون الاسراء الذى اتصل به المعراج وفرضت فيه الصلاة بمكة والآخر فى المنام بالمدينة وينبغى ان يزاد فيه ان الاسراء بالمنام تكرر بالمدينة النبوية (وقال بعض العارفين ان له صلى الله عليه وسلم أربعة وثلاثين مرة) من الاسراآت (الذى أسرى به منها واحد بجسمه والباقى بروحه) دون جسده (رؤيا رآها انتهى فالحق) وهو الصحيح (انه اسراء واحد بروحه وجسده يقظة فى القصة كلها والى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة ولا ينبغى العدول) الرجوع والميل (عن ذلك) الظاهر (اذ ليس فى العقل ما يحيله) حتى يعدل عنه وانما عده محالا اصدر من كفار قريش وبعض ضعفاء المسلمين لتوهمهم ان قطع مثل هذه المسافة ذهابا وايابا فى بعض ليلة محال لبعدها فتقطع فى أيام كثيرة ومن بعض أرباب علم الهيئة الزاعمين ان الافلاك لا فرجة فيها ولا تقبل الخرق والالتئام وكلاهما خطاء عقلا ونقلا الا ترى نقل عرش بلقيس فى طرفة عين مع بعد مسافته وقد نطقت النصوص بان للسماء أبوابا تفتح وتغلق فلا عبرة باوهام الفلاسفة قال التفتازانى ادعاء استحالة المعراج باطل لانه انما ينبنى على أصول الفلاسفة من امتناع الخرق والالتئام على السموات والا فالخرق والالتئام على السموات واقع عند أهل الحق والاجسام العلوية والسفلية متماثلة مركبة من الجواهر الفردة المتماثلة يصح على كل من الاجسام ما يصح على الآخر ضرورة التماثل المذكور فان أمكن خرق الاجسام السفلية أمكن خرق الاجسام العلوية والله قادر على الممكنات كلها فهو قادر على خرق السموات وقد ورد به السمع فيجب تصديقه وقال البيضاوى تبعا للرازى الاستحالة مدفوعة بما ثبت فى الهندسة ان ما بين طرفى قرص الشمس ضعف ما بين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل لموضع طرفها الاعلى فى أقل من درجة والاجسام كلها متساوية فى قبول الاعراض والله قادر على كل الممكنات فيقدر أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى صلى الله عليه وسلم أو فيما حمله والتعجب من لوازم المعجزات (قال الرازى) الامام فخر الدين (قال أهل التحقيق الذى يدل على انه تعالى أسرى بروح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجسده) معا يقظة (من مكة الى المسجد الاقصى القرآن والخبر) أى الحديث (اما القرآن فهو قوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى) الابعد (وتقرير الدليل ان العبد اسم للجسد والروح فواجب ان يكون الاسراء حاصلا بجميع الجسد والروح) اذ لو كان مناما لقال بروح عبده (ويدل عليه قوله أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى ولا شك ان المراد هنا مجموع الجسد والروح) لان العبد هنا محمد صلى الله عليه وسلم والناهى له عن الصلاة أبو جهل وهو لا ينهاه عن الصلاة بروحه (وأيضا قال سبحانه وتعالى فى سورة الجن وانه) بالفتح عطفا وبالكسر استئنافا والضمير للشان (لما قام عبد الله) محمد صلى الله عليه وسلم (يدعوه) يعبده ببطن نخلة (والمراد) فى تينك الآيتين (جميع الروح والجسد وكذلك ههنا) فى قوله أسرى بعبده ليلا اذ الآيات تحمل على نظيرها انتهى وأما الخبر فاشار اليه بقوله (واحتجوا أيضا بظاهر قوله عليه الصلاة والسلام أسرى بى لان الاصل فى الافعال ان تحمل على اليقظة حتى يدل دليل على خلافه) عقلى أو شرعى قال عياض وتبعه غيره الحق والصحيح انه أسراء بالجسد والروح فى القصة كلها وتدل عليه الآية نصا وصحيح الاخبار الى السموات استفاضة ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة وليس فى الاسراء بجسده حال يقظته استحالة تؤذن بتاويل اذ لو كان مناما

كما يحلقها المريدون لشيوخهم فيقول أحدهم أنا حلقت رأسى لفلان وأنت حلقته لفلان وهذا بمنزلة أن يقول سجدت لفلان فان حلق الرأس خضوع وعبودية وذل ولهذا كان من تمام الحج حتى انه عند الشافعى رحمه الله ركن من أركانه لا يتم الا به فانه وضع النواصى بين يدى ربها خضوعا لعظمته وتذللا لعزته وهو من أبلغ أنواع العبودية ولهذا كانت العرب اذا أرادت اذلال الاسير منهم وعتقه حلقوا رأسه وأطلقوه فجاء شيوخ الضلال والمزاحمون للربوبية الذين أساس مشيختهم على الشرك والبدعة فارادوا من مريديهم أن يتعبدوا لهم فزينوا لهم حلق رؤسهم لهم كما زينوا لهم السجود لهم وسموه بغير اسمه وقالوا هو وضع الرأس بين يدى الشيخ ولعمر الله ان السجود لله هو وضع الرأس بين يديه سبحانه وزينوا لهم أن ينذروا لهم ويتوبوا لهم ويحلفوا باسمائهم وهذا هو اتخاذهم أربابا وآلهة من دون الله قال تعالى ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يامركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيامركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون وأشرف العبودية عبودية

لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى أي ما عدل عن رؤيته ما أمر به من عجائب الملكوت وما جاوزها الصراحة ظاهره في انه بجسده يقظة لانه أضاف الامر الى البصر وهو لا يكون الا يقظة بجسده بشهادة لقد رأى من آيات ربه الكبرى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة خارقة للعادة دالة على صدقه وان كانت رؤيا الانبياء وحيا اذ ليس فيها من الابلغية وخرق العادة ما فيه يقظة على ان ذلك انما يعرفه من صدقه وصدق خبره (وان ذلك لو كان مناما لما كان فيه فتنة للضعفاء) الذين كانوا أسلموا فارتدوا فوقعوا في فتنة أي بلية عظيمة توقعهم في العذاب لردتهم وتكذيبهم وانكارهم لخبر الصادق بما هو خارق للعادة ولا استبعده الاغبياء) جمع غبي بمعجمة أي الكفار ولا كذبوه فيه لان مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن منهم ذلك الا وقد علموا ان خبره انما كان عن اسرائه بجسده وحال يقظته ولان الدواب لا تحمل الارواح وانما تحمل الاجسام وقد تواترت الاخبار بانه أسرى به على البراق وهو دابة توجب كونه بالجسد والروح معا (فان قلت ما الحكمة في كونه تعالى جعل الاسراء ليلا) مع ان غالب الفرائض كالصوم والجهاد والصبح والظهر والعصر والابتغاء من فضل الله انما هو بالنهار وان وقع جهاد ليلا فنادر لنحو غارة وفيه الصلاة الوسطى والصوم الذي قال الله فيه كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وانا اجزي به ومن ثم صحح الشرف المناوي انه أفضل من الليل وصحح غيره تفضيل الليل (أجيب بانه انما جعل ليلا تمكينا للتخصيص بمقام المحبة لانه تعالى اتخذه عليه السلام حبيبا وخليلا) فجمع له بين المقامين وهذا دليل لما أفهمه قوله بمقام المحبة (والليل أخص زمان للمحبين) بفتح الباء المشددة تثنية محب أي أولى زمان يخلو فيه المحب بحبيبه (لجمعهما فيه) فليس المراد باخص هنا مقابل الاعم ثم المحب لغة من وقعت منه المحبة والحبيب والمحبوب من وقعت عليه فغلب المحب على المحبوب فقال المحبين أو اشارة الى أن المتحابين اذا صدقت محبة كل منهما لصاحبه كان محبا ومحبوبا باعتبارين (والخلوة بالحبيب متحققة) بضم الميم وكسر القاف المشددة أي ثابتة (بالليل) من تحقق الامر اذا ثبت ويجوز فتح القاف اسم مفعول أي مثبته والاول أولى (وقال ابن المنير ولعل تخصيص الاسراء بالليل ليزداد الذين آمنوا ايمانا بالغيب وليفتتن الذين كفروا زيادة على فتنتهم اذ الليل أخفى حالا من النهار) فما وقع فيه لا يطلع عليه غالبا فيكان من الغيب وما وقع نهارا يطلع عليه غالبا لمشاهدته فاذا أخبر صلى الله عليه وسلم عما وقع له ليلا صدقه المؤمنون فزادوا به ايمانا وكذبه الكافرون فزادت فتنتهم (قال) ابن المنير (ولعله لو عرج به نهارا لفات المؤمن فضيلة الايمان بالغيب) وقد أثنى الله على الذين يؤمنون بالغيب ففيه فضل عظيم (ولم يحصل ما وقع من الفتنة على من شقي وجحد) عطف علة على معلول أي شقي بجحوده (انتهى وفي ذلك حكمة أخرى) ثالثة (على طريق أهل الاشارات) وهم المحققون من الصوفية والاشارات الحقائق التي يأخذونها من نص القرآن وغيره ولا يقصدون ان ما أخذوه تفسير صريح النص كما قاله العز بن عبد السلام وغيره (ذكرها العلامة) محمد (ابن مرزوق وهي انه قيل لان الله تعالى لما محا آية الليل) طمس نورها بالظلام لتسكن فيه والاضافة للبيان (وجعل آية النهار مبصرة) أي مبصرا فيها بالضوء وفائدة اضافة البيان تحقيق مضمون الجملة السابقة (انكسر الليل فجبر بان أسرى فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم) وذلك أعظم الجبر (وقيل افتخر النهار على الليل بالشمس فقيل له لا تفتخر فان كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج شمس الوجود في الليل الى السماء) وهذا أيضا من كلام أهل الاشارات (وقيل لانه صلى الله عليه وسلم سراج) كما قال تعالى وسراجا منيرا (والسراج انما يوقد بالليل) أي انما يحصل الانتفاع بايقاده ليلا ويذم بايقاده نهارا قال الفرزدق

الصلاة وقد تقاسمها الشيوخ والمتشبهون بالعلماء والجبابرة فاخذ الشيوخ منها أشرف ما فيها وهو السجود وأخذ المتشبهون بالعلماء منها الركوع فاذا لقي بعضهم بعضا ركع له كما يركع المصلي لربه سواء وأخذ الجبابرة منهم القيام فيقوم الاحرار والعبيد على رؤسهم عبودية لهم وهم جلوس وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الامور الثلاثة على التفصيل فتعاطيها مخالفة صريحة له فنهى عن السجود لغير الله وقال لا ينبغي لاحد أن يسجد لاحد وأنكر على معاذ لما سجد له وقال مه وتحريم هذا معلوم عن دينه بالضرورة وتجويز من جوزه لغير الله مراغمة لله ورسوله وهو من أبلغ أنواع العبودية فاذا جوز هذا المشرك هذا النوع للبشر فقد جوز عبودية غير الله وقد صح أنه قيل له الرجل يلقى أخاه أينحني له قال لا قيل أيلتزمه ويقبله قال لا قيل أيصافحه قال نعم وأيضا فالانحناء عند التحية سجود ومنه قوله تعالى وادخلوا الباب سجدا أي منحنين والا فلا يمكن الدخول على الجباه وصح عنه النهي عن القيام وهو جالس كما تعظم الاعاجم بعضها بعضا حتى منع من ذلك في الصلاة وأمرهم اذا صلى جالسا أن يصلوا جلوسا وهم أصحاء لا عذر لهم

كم والدلك باجريركأنه * قمر المجرة أو سراج نهار

(وأنشد) في ذلك المعنى يقول

(قلت ياسيدي فلم تؤثر الليـ * ـل على بهجة النهار المنير

قال لا أستطيع تغيير رسمي * هكذا الرسم في طلوع البدور

انما زرت في الظلام لكيما * يشرق الليل من أشعة نوري)

وحاصل معنى الابيات انه سال محبوبه عن حكمة زيارته ليلا دون النهار فقال أنا بدر وهو انما يظهر أثره ليلا ولا يستطيع تغيير ذلك الاثر وان في زيارته ليلا فائدة لا تظهر لو زاره نهارا وهي اشراق الليل بنوره فصار الليل في حقه كالنهار في الاضاءة والاشراق (فان قلت أيما أفضل ليلة الاسراء أم ليلة القدر) التي هي خير من ألف شهر (فالجواب كما قاله الشيخ أبو أمامة بن النقاش أن ليلة الاسراء أفضل في حق النبي صلى الله عليه وسلم من ليلة القدر) لما أكرم به فيها من خوارق العادات التي أجلها رؤيته الله تعالى على الصحيح (وليلة القدر أفضل في حق الامة لانها) أي العمل فيها (خير لهم من عمل في ثمانين سنة لمن قبلهم) بالغاء الكسر وهو ثلاث سنين وثلث سنة بناء على ان المراد حقيقة العدد وهو ألف شهر وصدر البيضاوي بان المراد التكثير (وأما ليلة الاسراء فلم يأت في أرجحية العمل فيها حديث صحيح) أراد به ما يشمل الحسن بدليل قوله (ولا ضعيف ولذلك لم يعينها النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ولا عينها أحد من الصحابة باسناد صحيح ولا صح الى الآن ولا يصح (الى أن تقوم الساعة فيها شئ) لانه اذا لم يصح من أول الزمان لزم أن لا يصح في بقيته لعدم امكان تجدد واحد عادة يطلع على ذلك بعد الزمن الطويل وهذا لا يشكل عليه ما قيل انه كان ليلة سبع عشرة أو سبع وعشرين خلت من شهر ربيع الاول أو سبع وعشرين من رمضان أو من ربيع الآخر أو من رجب واختير وعليه العمل لان ابن النقاش لم ينف الخلاف فيها من أصله وانما نفى تعيين ليلة بخصوصها للاسراء وأنها أصح (ومن قال فيها شيأ فانما قال من كيسه) أي من عند نفسه دون استناد لنص يعتمد عليه (لمرجح ظهر له استانس به) لما جزم به (ولهذا) أي عدم اتيان شئ فيها (تصادمت الاقوال فيها وتباينت ولم يثبت الامر فيها على شئ ولو تعلق بها نفع للامة ولو ذرة) أي شيأ قليلا جدا (لبينه لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم) لانه حريص على نفعهم (انتهى) كلام أبي امامة زاد الشامي عقبه ويؤخذ من قول الامام البلقيني في قصيدته التي مدح فيها المصطفى

أولاك رؤيته في ليلة فضلت * ليالي القدر فيها الرب رضاكا

ان ليلة الاسراء أفضل من ليلة القدر قال في الاصطفاء ولعل الحكمة في ذلك اشتمالها على رؤيته تعالى التي هي أفضل كل شئ ولهذا لم يجعلها ثوابا عن عمل من الاعمال مطلقا بل من بها على عباده يوم القيامة تفضلا منه تعالى انتهى لكن هذا لا يصادم كلام ابن النقاش اذ ليس في النظم انها أفضل في حق الامة وان كان فضل الزمان والمكان لا يختص بالعمل فيهما على ما رجحه الشهاب القرافي وغيره فهو خاص بتلك الليلة لا يتعداها لمماثلها كل سنة لعدم ورود شئ فيه وفي الهدى لابن القيم ان ابن تيمية سئل هل ليلة الاسراء أفضل أم ليلة القدر فاجاب بان القائل ليلة الاسراء أفضل ان أراد أنها ونظائرها كل عام أفضل فهذا باطل لم يقله أحد من المسلمين وهو معلوم الفساد بالاضطرار وان أراد أنها بخصوصها أفضل لانه حصل له صلى الله عليه وسلم فيها ما لم يحصل له في غيرها وما لم يحصل لغيره فهو صحيح ان سلم ان انعام الله على نبيه ليلة الاسراء أعظم من انعامه عليه بانزال القرآن ليلة القدر وهذا لا يعلم الا بوحي ولا يجوز التكلم فيه بلا علم ولا يعرف عن أحد من الصحابة انه خص ليلة الاسراء بامر من الامور (فان قلت هل وقع

لئلا يقوموا على رأسه وهو جالس مع أن قيامهم لله فكيف اذا كان القيام تعظيما وعبودية لغيره سبحانه والمقصود ان النفوس الجاهلة الضالة أسقطت عبودية الله سبحانه وأشركت فيها من يعظمه من الخلق فسجدت لغير الله وركعت له وقامت بين يديه قيام الصلاة وحلفت بغيره ونذرت لغيره وحلقت لغيره وذبحت لغيره وطافت لغير بيته وعظمته بالحب والخوف والرجاء والطاعة كما يعظم الخالق بل أشد وسوت من تعبده من المخلوقين برب العالمين وهؤلاء هم المضادون لدعوة الرسل وهم الذين بربهم يعدلون وهم الذين يقولون وهم في النار مع آلهتهم يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وهم الذين قال فيهم ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله وهذا كله من الشرك والله لا يغفر أن يشرك به فهذا فصل معترض في هديه في حلق الرأس ولعله أهم مما قصد الكلام فيه والله أعلم

(فصول في هديه صلى الله عليه وسلم) في العلاج بالادوية الروحانية الالهية المفرده والمركبة منها ومن الادوية الطبيعية *(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم)*

الاسراء لغيره صلى الله عليه وسلم من الانبياء) أم هو من خصائصه عليهم (أجاب العارف عبد العزيز المهدوي بان مرتبة الاسراء بالجسم الى تلك الحضرات) بفتح الضاد جمع حضرة أي المراتب (العلية لم تكن لاحد من الانبياء الا لنبينا صلى الله عليه وسلم انتهى) وعبارة الانموذج في الخصائص التي اختص بها على الانبياء ولم يؤتها نبي قبله لفظها وبالاسراء وما تضمنه من اختراق السموات السبع والعلو الى قاب قوسين ووطئه مكانا ما وطئه نبي مرسل ولا ملك مقرب واحياء الانبياء له وصلاته اماما بهم وبالملائكة واطلاعه على الجنة والنار عد هذه البيهقي ورؤيته آيات ربه الكبرى وحفظه حتى ما زاغ البصر وما طغى ورؤيته للباري تعالى مرتين وركوب البراق في أحد القولين (وانما قال تعالى أسرى) ماخوذ من السرى وهو سير الليل تقول أسرى وسرى اذا سار ليلا هذا قول الاكثر وقال الحوفي أسرى سار ليلا وسرى سار نهارا وقيل أسرى سار من أول الليل وسرى سار من آخره وهذا أقرب (بعبده) محمد صلى الله عليه وسلم اتفاقا والضمير لله تعالى والاضافة للتشريف والمراد جعل البراق يسرى به كما يقال أمضيت كذا أي جعلته يمضي وحذف المفعول لدلالة السياق عليه ولان المراد ذكر المسرى به لا ذكر الدابة قاله في الفتح (اشارة الى انه تعالى هو المسافر به ليعلم أن الاسراء من عبده هبة المية وعناية ربانية سبقت له عليه السلام مما لم يخطر بسره ولا اختلج في ضميره) ولعل وجه الاعلام بذلك انه اذا كان تعالى هو المسافر به أفاد أنه لم يكن منه فعل في الاسراء بل هو من ونعمة منه عليه (وأدخل باء المصاحبة) على قول المبرد والسهيلي لان الفعل اللازم اذا تعدى بالباء غيرت الباء معناه بخلاف بقية الحروف اذا تعدى بها الفعل فلا يغير شئ منها معناه فلذا جعلت للصاحبة (في قوله بعبده ليفيد أنه تعالى صحبه في مسراه بالالطاف والعناية والاسعاف والرعاية) بيان لمعنى صحبة الله لعبده لاستحالة المصاحبة الحقيقية عليه هكذا جزم المبرد والسهيلي ان الباء تقتضي مصاحبة الفاعل للمفعول في الفعل بخلاف الهمزة حتى قال السهيلي اذا قلت قعدت به فلا بد من مشاركة ولو باليد وبه جزم ابن دحية وابن المنير زاد ابن دحية (ويشهد له) أي لوصفه تعالى بالصحبة (قوله عليه الصلاة والسلام اللهم أنت الصاحب في السفر) والجمهور ان الباء للتعدية وترادف الهمزة ولا تقتضي المصاحبة ورد على المبرد واتباعه بقوله تعالى ذهب الله بنورهم لان الله تعالى لا يوصف بالذهاب مع النور وبقول الشاعر

دار التي كانت ونحن على منى * تحل بنا لولا نجاء الركائب

أي تحلنا فالباء هنا للتعدية ولم تقتض المشاركة لان الدار لم تكن حراما فتصير حلالا ولكون الباء بمعنى الهمزة لا يجمع بينهما فلا يقال أذهبت بزيد (وتامل قوله تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر وقوله أسرى بعبده تلمح تلك خصوصية مصاحبة الرسول عليه الصلاة والسلام الحق سبحانه وتعالى دون عموم الخلق) لانه أتى بباء المصاحبة في بعبده وأتى بفي في العموم اشارة الى الفرق بين لطفه بعبده وبين غيره من الخلق (وقرن سبحانه وتعالى التسبيح بهذا الاسراء) فقال سبحان الذي أسرى وأصلها التنزيه وتطلق في موضع التعجب فعلى الاول المعنى تنزه الله عن أن يكون رسوله كذابا وعلى الثاني عجب الله عباده بما أنعم به على رسوله ويحتمل انه بمعنى الامر أي سبحوا الذي أسرى قاله في الفتح (لينفي عن قلب صاحب الوهم ومن يحكم عليه خياله من أهل التشبيه والتجسيم ما يتخيله في حق الحق سبحانه من الجهة والحد والمكان) حملا لقوله أسرى بعبده من المسجد على ظاهره فيكون معناه صاحبه في سيره من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وذلك محال في حقه وفي البيضاوي تصديره بالتسبيح للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد (ولهذا قال لنريه من آياتنا يعني ما رأى في تلك الليلة من عجائب الآيات كأنه

كان شئ سابق القدر لسبقته العين وفي صحيحه أيضا عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص في الرقية من الحمة والعين والنملة وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق وفي سنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين وفي الصحيحين من عائشة قالت أمرني النبي صلى الله عليه وسلم أو أمر أن نسترقي من العين وذكر الترمذي من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الزرقي أن أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ان بني جعفر تصيبهم العين أفاسترقي لهم فقال نعم فلو كان شئ يسبق القضاء لسبقته العين قال الترمذي حديث حسن صحيح وروى مالك رحمه الله عن ابن شهاب عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال رأى عامر بن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل فقال والله ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة قال فلبط سهل فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عامر فتغيظ عليه

سبحانه وتعالى يقول ما أسرى به الا ليريه الآيات لا الى مكان فاني لا يحدني مكان) لانه الخالق له وموجده فكيف يحده (ونسبة الامكنة الى نسبة واحدة فكيف أسرى به) بضم الهمزة مضارع من أسرى أى كيف أنقله من المكان الذي هو به لاحضره الى (وأنا عنده وأنا معه أينما كان) أى فى أى مكان حل به (ولله در القائل لا محا معنى ما ذكر) (سبحان من أسرى اليه بعبده * ليرى الذى أخفاه من آياته) أى ستره عن عامة خلقه ويرى مبنى للفاعل بفتح أوله أو بضمه وحذف المفعول أى ليريه ومثل لذلك على طريق أهل الاشارات بقوله (كحضوره فى غيبة) يعنون بها غيبة القلب عن علم ما يجرى من أحكام الخلق لشغل الحس بما ورد عليه من الحق حتى انه قد يغيب عن احساسه بنفسه فضلا عن غيره والغيبة بازاء الحضور والغيب بازاء الشهادة فيقال الغيب عن عالم الشهادة حضور فى عالم الغيب والحضور فى عالم القدس غيبة عن عالم الحس (وكسكره) وهو غيبة بوارد قوى (فى صحوه) وهو الرجوع الى الاحساس بعد الغيبة بوارد قوى وذلك ان العبد اذا كوشف بنعت الجمال سكر وطرب وهام قلبه فاذا عاد من سكره سمى صاحيا (والمحو) رفع أوصاف العادة (فى اثباته) وهو اقامة أحكام العادة مقابل للمحو (ويرى الذى عنه تكون سره) السر يعنى به عن حصة كل موجود من الحق بالتوجه الايجادى المنبه عليه بقوله تعالى انما أمرنا الشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون (فى منعه ان شاءه) أى المنع (وهباته) جمع هبة ذكره كله فى لطائف الاعلام (ويريه) من الاراءة (ما أبدى) أظهر (له من جوده) تعالى عليه صلى الله عليه وسلم (بوجوده والفقد من هيآته * سبحانه من سيد) من أسمائه تعالى كما فى حديث (ومهيمن) كما فى التنزيل المهيمن أى الشاهد الحافظ أو المؤمن أو الامين أو الرقيب أو القائم على خلقه (فى ذاته وسماته) بتثليث السين لغة فى الاسماء وهو ما دل على الذات باعتبار صفة (وصفاته) جمع صفة وهى المعنى القائم بالذات (وأكد الله تعالى بقوله ليلا مع ان الاسراء لا يكون فى اللسان العربى الا ليلا لا نهارا) وكذا سرى عند الاكثر كما قال الحافظ ولم تختلف القراء فى أسرى بخلاف قوله تعالى فى قصة لوط فاسر فقرئت بالوصل والقطع ففيه تعقب على من قال سرى وأسرى بمعنى واحد قال السهيلى السرى من سريت اذا سرت ليلا يعنى فهو لازم والاسراء يتعدى فى المعنى لكن حذف مفعوله حتى ظن من ظن انهما بمعنى واحد وانما معنى أسرى بعبده جعل البراق يسرى به كما تقول أمضيت كذا أى جعلته يمضى لكن حذف المفعول لقوة الدلالة عليه والاستغناء عن ذكره اذ المقصود بالذكر المصطفى لا الدابة التى سارت به وأما قصة لوط فالمعنى سربهم على ما يتحملون عليه من دابة ونحوها هذا معنى قراءة القطع ومعنى الوصل سربهم ليلا ولم يأت مثل ذلك فى الاسراء لانه لا يجوز أن يقال سرى بعبده بوجه من الوجوه قال الحافظ والنفى الذى جزم به انما هو من هذه الحيثية التى قصد فيها الاشارة الى انه سار ليلا على البراق والا فلو قال قائل سرت بزيد بمعنى صاحبته لكان المعنى صحيحا (ليدفع الاشكال) حتى لا يتخيل أنه أسرى بروحه فقط دون جسده (ويزيل من خاطر من يعتقد من الناس ان الاسراء ربما يكون نهارا فان القرآن وان كان نزوله بلغة العرب فانه خاطب به الناس أجمعين أصحاب اللسان العربى وغيرهم) وهذا على قول الاكثر من اختصاصه بالليل والا فى الفتح ليلا ظرف للاسراء للتأكيد وفائدته دفع توهم المجاز لانه قد يطلق على سير النهار أيضا (وقال البيضاوى تبعا لصاحب الكشاف) الزمخشرى (وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء) أى انه وقع فى بعض الليل لا فى جميعه والعرب تقول سرى فلان ليلا اذا سار بعضه وسرى ليلة اذا سار جميعها كما فى الفتح (ولذلك قرئ) فى الشواذ (من الليل أى بعضه كقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك) وقيل يقال أسرى ليلا اذا سار أثناء الليل واذا سار فى أوله يقال أدلج ومنه قوله تعالى فى قصة موسى فاسر بعبادى ليلا أى من

وقال علام يقتل أحدكم أخاه ألا بركت اغتسل له فغسل له عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة ازاره فى قدح ثم صب عليه فراح مع الناس وروى مالك رحمه الله أيضا عن محمد ابن أبى أمامة بن سهل عن أبيه هذا الحديث وقال فيه ان العين حق توضأ له فتوضأ له وذكر عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه مرفوعا العين حق ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين واذا استغسل أحدكم فليغتسل ووصله صحيح قال الترمذى يؤمر الرجل العائن بقدح فيدخل كفه فيه فيتمضمض ثم يمجه فى القدح ويغسل وجهه فى القدح ثم يدخل يده اليسرى فيصب على ركبته اليمنى فى القدح ثم يدخل يده اليمنى فيصب على ركبته اليسرى ثم يغسل داخلة ازاره ولا يوضع القدح فى الارض ثم يصب على رأس الرجل الذى يصيبه العين من خلفه صبة واحدة * والعين عينان عين انسية وعين جنية فقد صح عن أم سلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى بيتها جارية فى وجهها سعفة فقال استرقوا لها فان بها النظرة قال الحسين بن مسعود الفراء وقوله سعفة أى نظرة يعنى من الجن يقول بها عين أصابتها من نظر الجن أنفذ

جابر يرفعه ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وعن أبي سعيد أن

وسط الليل (وتعقبه القطب في حاشيته على الكشاف كما نبهت عليه في حاشية الشفا) أي نقل القطب التعقب عن غيره وأقره فلذا نسبه اليه وعبارته قال بعضهم وفيه نظر لان التنكير للتقليل لا يكون الا فيما يقبل القلة والكثرة والليل لا يقبلهما ولا يسلم له أيضا على تقدير انه بالاعتبار لان هذا المعنى وهو البعض حاصل ولو لم ينكر فان قولك دخل زيد البلد الليل أو ليلا يفيد هذا المعنى اذ ليس الدخول في كل الليل انتهى قال النعماني وفيه نظر اذ لا نسلم ان هذا وزانه وانما وزانه طاف الامير البلد ليلا فان طوافه قد يكون مستغرقا لكل الليلة ولما استشعر صاحب الكشاف هذا استشهد بقراءة عبد الله وحذيفة من الليل ولا يسلم له أيضا كونها تبعيضية بل يجوز أنها ابتدائية فالسؤال باق انتهى (والمعاريج ليلة الاسراء عشرة سبع الى السموات) السبع (والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام) تصويتها (في تصاريف الاقدار والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية) لله عز وجل (وسماع الخطاب) منه (بالمكافحة) المخاطبة (والكشف الحقيقي وقد وقع له عليه الصلاة والسلام في سني الهجرة) بكسر السين جمع سلامة لسنة وبسكون الياء فحذفت النون للاضافة فالتقى ساكنان الياء واللام فحذفت الياء لفظا لالتقاء الساكنين فبقي هكذا سني خطا فتكتب الياء ولا تقرأ (العشرة ما كان فيه مناسبات لطيفة بهذه المعاريج العشرة) ويأتي ذكرها للمصنف (ولهذا اختتمت سني الهجرة) كذا في جميع النسخ بالياء والصواب سنو بالواو لانه جمع مذكر سالم نائب فاعل ختمت (بالوفاة وهي لقاء الحق جل جلاله والانتقال من دار الفناء الى دار البقاء والعروج بالروح الكريمة الى المقعد الصدق) مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وأريد به الجنس وقرئ مقاعد صدق والمعنى ان مجالس الجنات سالمة من اللغو والتأثيم بخلاف مجالس الدنيا فقل أن تسلم من ذلك (والى الموعد الحق والى الوسيلة وهي المنزلة الرفيعة كما ختمت معاريج الاسراء باللقاء والحضور بحظيرة القدس وقد أفاد الامام الذهبي) محمد الحافظ العلم الشهير نسبة الى الذهب (ان الحافظ عبد الغني) المقدسي (جمع أحاديث الاسراء في جزأين ولم يتيسر لي الوقوف عليهما بعد الفحص) الطلب (الشديد وقد صنف الشيخ أبو اسحاق) ابراهيم (النعماني) تلميذ الحافظ ابن حجر رحمه الله (في الاسراء والمعراج كتابا جامعا للاطناب بزيادة الرقائق والاشجان بفواضل الحقائق) أي بزيادة بيانها (ولم أقف عليه حال كتابتي هذا المقصد الشريف) وقد وقفت عليه (والله تعالى يرحم شيخ الاسلام والحافظ الشهاب ابن حجر العسقلاني فانه جمع في كتابه الفتح كثيرا مما تشتت من طرق حديث الاسراء وغيره من الاحاديث مع تدقيق مباحث فقهية والكشف عن أسرار معاني كلمه وبدائع ألفاظه وحكمه) وأكثر ما ذكره المصنف هنا منه (وكل من صنف في شئ من المنح) العطايا (النبوية والمناقب المحمدية لا يستغني عن استجناء معارف اللطائف من رياض عياض) أي فوائده المذكورة في الشفا سماها رياضا لكثرة نفعها كنفع الاشجار المثمرة للعامة (والاستشفاء من أدواء المشكلة بدواء شفائه المبرئ لمعضل) بكسر الضاد أي شديد (الامراض والله تعالى يفيض عليه وعلى سائر علماء الامة سجال رحمته ورضوانه ويسكننا معهم في بحبوحة) بضم الباءين (جنانه) أي وسطها (وقد وردت أحاديث الاسراء من حديث أنس) بن مالك في روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة رواه أحمد ومسلم عن ثابت والشيخان عن شريك وابن مردويه عن كثير بن خنيس والنسائي وابن مردويه عن يزيد ابن أبي مالك وابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه والبيهقي عن عبد الرحمن بن هاشم وعبد العزيز بن صهيب والطبراني عن ميمون بن سيار وابن جرير عن كثير بن سليم وابن مردويه عن أبي هاشم وعلي بن زيد وثمامة وابن سعد وسعيد بن منصور والبزار عن أبي عمران الجوني الاحد عشر عن أنس عن المصطفى بلا واسطة (وأبي بن كعب) رواه عنه ابن مردويه عن طريق عبيد بن عمير ومن طريق مجاهد عن ابن

من أسنة الرماح ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الجان ومن عين الانسان فابطلت طائفة ممن قل نصيبهم من السمع والعقل أمر العين وقالوا انما ذلك أوهام لا حقيقة لها وهؤلاء من أجهل الناس بالسمع والعقل ومن أغلظهم حجابا وأكثفهم طباعا وأبعدهم معرفة عن الارواح والنفوس وصفاتها وأفعالها وتأثيراتها وعقلاء الامم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين ولا تنكره وان اختلفوا في سببه وجهة تأثير العين فقالت طائفة ان العائن اذا تكيفت نفسه بالكيفية الرديئة انبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيتضرر قالوا ولا يستنكر هذا كما لا يستنكر انبعاث قوة سمية من الافعى تتصل بالانسان فيهلك وهذا أمر قد اشتهر عن نوع من الافاعي أنها اذا وقع بصرها على الانسان هلك فكذلك العائن وقالت فرقة أخرى لا يستبعد أن ينبعث من عين بعض الناس جواهر لطيفة غير مرئية فتتصل بالمعين وتتخلل مسام جسمه فيحصل له الضرر وقالت فرقة أخرى قد أجرى الله العادة بخلق ما يشاء من الضرر عند مقابلة عين العائن لمن يعينه من غير أن يكون منه قوة ولا

عباس

عباس وعبدالله بن أحمد في زوائد المسند بلفظ حديث أنس عن أبي ذر مرفوعا قال الحافظ في أطراف المسند انه وقع فيه تحريف وكان في الاصل عن أبي ذر فسقط من النسخة لفظة ذر فظن انه ابن كعب فادرج في مسند أبي بن كعب غلطا قال الشامي نبه الدارقطني في العلل على ان الوهم فيه من أبي حمزة أنس بن عياض (وجابر بن عبدالله) عند الشيخين ورواه الطبراني وابن مردويه بلفظ آخر بسند صحيح (وبريدة) بضم الموحدة وفتح الراء وسكون التحتية ابن الحصيب بمهملتين مصغر رواه الترمذي والحاكم وصححه (وسمرة بن جندب) عند ابن مردويه (وابن عباس) عبدالله رواه أحمد والشيخان وأبو يعلى وأبو نعيم وابن مردويه والنسائي والبزار بطرق كلها مختصرة (وابن عمر) رواه أبو داود والبيهقي (وابن مسعود) رواه مسلم وابن عرفة وأحمد وابن ماجه والبزار وأبو يعلى والطبراني والبيهقي بطرق عندهم عنه (وابن عمرو) بفتح العين ابن العاص عند ابن سعد وابن عساكر (وحذيفة ابن اليمان) عند ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وصححه (وشداد بن أوس) عند البزار والطبراني والبيهقي وصححه (وصهيب) بن سنان عند الطبراني وابن مردويه (وعلي ابن أبي طالب) عند أحمد وابن مردويه (وعمر بن الخطاب) رواه أحمد وابن مردويه (ومالك بن صعصعة) رواه أحمد والشيخان وابن جرير والبيهقي وغيرهم (وأبي امامة) عند ابن مردويه في تفسيره (وأبي أيوب) الانصاري رواه الشيخان في أثناء حديث أبي ذر (وأبي حبة) بموحدة على الصحيح الانصاري الاوسي البدري رواه ابن مردويه قال في الاصابة وقع ذكره في الصحيح من رواية الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبي حبة البدري عقب حديث الزهري عن أنس عن أبي ذر في الاسراء وروى عنه أيضا عمار بن عمار وحديثه عنه في مسند ابن أبي شيبة وأحمد وصححه الحاكم وصرح بسماعه منه وعلى هذا فهو غير الذي ذكر ابن اسحق انه استشهد بأحد قال أبو حاتم اسمه عامر بن عبد عمرو بن عمير بن ثابت وقال أبو عمر يقال بالموحدة وبالنون وبالياء والصواب بالموحدة وقيل اسمه عامر وقيل مالك وبالنون ذكره ابن عقبة وابن أبي خيثمة وأنكر الواقدي أن يكون في البدريين من يكنى أبا حبة بالموحدة وقد خلطه غير واحد بابي حبة بن غزية بن عمرو الخزرجي النجاري وفرق بينهما غير واحد وصوبه ابن عبد البر فقال هذا خزرجي وذاك أوسي وهذا لم يشهد بدرا وذاك شهدها (وأبي ذر) رواه الشيخان (وأبي سعيد الخدري) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي من طريق هرون العبدي وهو متكلم فيه وقد روى البيهقي عن أبي الازهر قال حدثنا زيد ابن أبي حكيم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله رجل من أمتك يقال له سفيان لا باس به فقال صلى الله عليه وسلم لا باس به حدثنا عن أبي هرون عن أبي سعيد عنك انك ليلة أسري بك قلت رأيت في السماء فحدثته بالحديث فقال نعم فقلت ان اناسا من أمتك يحدثون عنك في الاسراء بعجائب فقال ذاك حديث القصاص (وأبي سفيان بن حرب) عند أبي نعيم في الدلائل (وأبي هريرة) رواه مطولا ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي والحاكم وصححه ومختصرا الشيخان وأحمد وابن ماجه وابن مردويه وابن سعد والطبراني وسعيد بن منصور بطرق عنه (وعائشة) عند الحاكم وصححه والبيهقي وابن مردويه (وأسماء بنت أبي بكر) رواه ابن مردويه (وأم هانئ) عند الطبراني (وأم سلمة) عند الطبراني وأبي يعلى وابن عساكر وابن اسحق (وغيرهم) فاخرجه ابن عساكر عن سهل بن سعد والبزار والبغوي وابن قانع عن عبدالله بن اسعد بن زرارة والطبراني عن أبي الحمراء وابن مردويه والطبراني عن أبي ليلى الانصاري وسعيد بن منصور عن عبد الرحمن بن قرط وذكره ابن دحية عن أبي بكر الصديق وعبد الرحمن بن عابس وأبي سلمة وعياض وذكره أبو حفص النسفي عن العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وأبي الدرداء وابي سلمى راعي النبي صلى الله عليه وسلم وأم

سبب ولا تأثير أصلا وهذا مذهب منكري الاسباب والقوى والتأثيرات في العالم وهؤلاء قد سدوا على أنفسهم باب العلل والتأثيرات والاسباب وخالفوا العقلاء أجمعين ولا ريب ان الله سبحانه خلق في الاجسام والارواح قوى وطبائع مختلفة وجعل في كثير منها خواص وكيفيات مؤثرة ولا يمكن العاقل انكار تأثير الارواح في الاجسام فانه أمر مشاهد محسوس وأنت ترى الوجه كيف يحمر حمرة شديدة اذا نظر اليه من يحتشمه ويستحي منه ويصفر صفرة شديدة عند نظر من يخافه اليه وقد شاهد الناس من يسقم من النظر وتضعف قواه وهذا كله بواسطة تأثير الارواح ولشدة ارتباطها بالعين ينسب الفعل اليها وليست هي الفاعلة وانما التأثير للروح والارواح مختلفة في طبائعها وقواها وكيفياتها وخواصها فروح الحاسد مؤذية للمحسود أذى بينا ولهذا أمر الله سبحانه رسوله ان يستعيذ به من شره وتأثير الحاسد في أذى المحسود أمر لا ينكره الا من هو خارج عن حقيقة الانسانية وهو أصل الاصلية بالعين فان النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية خبيثة وتقابل المحسود فتؤثر فيه بتلك الخاصية وأشبه الاشياء بهذا

بياض بالاصل

كلثوم بنت المصطفى وبلال بن حمامة وبلال بن سعد وابن الزبير وابن أبي أوفى واسامة بن زيد قال الشامي ولم أقف على حديثه فهؤلاء خمسة واربعون صحابة رووا القصة (رضي الله تعالى عنهم اجمعين وفي تفسير الحافظ ابن كثير من ذلك ما يكفي ويشفي وبالجملة حديث الاسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة الملحدون) لاستحالته في زعمهم الكاذب (يريدون ليطفئوا) منصوب بان مقدرة واللام مزيدة (نورا) شرعه وبراهينه (بأفواههم) باقوالهم فيه (والله متم) مظهر (نوره ولو كره الكافرون) ذلك وقد ساق البرهان النعماني غالب ألفاظ الصحابة الذين رووا القصة والمصنف اقتصر على حديث البخاري في باب المعراج وتكلم بعده بما غالبه من فتح الباري فقال (وقد روى البخاري) بسنده وهو حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام (عن قتادة) بن دعامة وليس هذا من التعليق في شئ (عن أنس بن مالك) وكذا رواه مسلم والنسائي وأخرجه البخاري في بدء الخلق من وجه آخر عن قتادة حدثنا أنس فزال ما يخشى من تدليس قتادة لتصريحه بالتحديث (عن مالك بن صعصعة) بن وهب بن عدي ابن مالك الانصاري من بني النجار ماله في البخاري ولا في غيره سوى هذا الحديث ولا يعرف من روى عنه الا أنس بن مالك قاله في الفتح وذكر في الاصابة الخلاف في انه من بني عدي بن النجار وبه جزم ابن سعد أو من بني مازن بن النجار وبه جزم البغوي وقال سكن المدينة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثين وذكر الخطيب في المبهمات انه الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم أكل تمر خيبر هكذا (ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثه عن ليلة أسرى به) فيها صفة الليلة هكذا رواه الكشميهني والنسفي ورواه الاكثر عن ليلة الاسراء وبين ما حدثه به بقوله (بينما) أي فقال المصطفى بينما وثبت في بعض نسخ البخاري قال بينما بالميم (أنا نائم في الحطيم وربما قال في الحجر) بكسر فسكون والشك من قتادة كما يأتي والمراد بالحطيم الحجر (مضطجعا) نصب على الحال (اذ آتاني آت) هو جبريل (فقد) بالقاف والدال الثقيلة (قال) قتادة (سمعته) أي أنسا يقول فالقائل قتادة والمقول عنه أنس ولاحمد قال قتادة وربما سمعت انسا يقول قاله الحافظ فلم يصب من قال الظاهر أن ضمير قال لمالك بن صعصعة (فشق ما بين هذه الى هذه قال) قتادة (فقلت للجارود) بفتح الجيم فالف فراء مضمومة فواو فدال مهملة قال الحافظ لم أر من نسبه من الرواة ولعله ابن أبي سبرة البصري صاحب أنس فقد أخرج له أبو داود من روايته عن أنس حديثا غير هذا انتهى وجزم المصنف بما ترجاه (وهو الى جنبي ما يعني) أنس (به) أي بقوله فشق ما بين هذه الى هذه (قال) يعني (من ثغرة نحره) بضم المثلثة وسكون المعجمة الموضع المنخفض بين الترقوتين (الى شعرته) بكسر المعجمة أي شعر العانة ووقع السؤال هل كان شق صدره الشريف بآلة أم لا ولم يجب عنه أحد ولم أر من تعرض له بعد التتبع وظاهر قوله فشق انه كان بآلة ويدل له قول الملك في حديث أبي ذر خط بطنه فخاطه وفي لفظ عتبة بن عبد حصه فحاصه وفي حديث أنس كانوا نرون أثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم ذكره الشامي وزعم بعض ان الشق في المرات كلها لم يكن بآلة ولم يسل منه دم ولم يجد لذلك ألما كما صرح في بعض الروايات لانه من خرق العادات وظهور المعجزات (فاستخرج قلبي ثم أتيت) بضم الهمزة (بطست) بفتح الطاء وبكسرها وسكون السين المهملة وبمثناة وقد تحذف وهو الاكثر واثباتها لغة طيئ وأخطأ من أنكرها قاله الحافظ (من ذهب) قبل تحريم استعماله (مملوءة) بالجر على الصفة والتانيث على لفظ الطست لانها مؤنثة (ايمانا) نصب على التمييز ملئها حقيقة وتجسد المعاني جائز كتمثيل الموت كبشا ووزن الاعمال وغير ذلك من أحوال الغيب أو مجازا من باب التمثيل اذ تمثيل المعاني قد وقع كثيرا كما مثلت له الجنة والنار في عرض الحائط وفائدته كشف المعنوي بالحسي ثم هذا لفظ البخاري في المعراج وله في بدء الخلق بطست ملئ حكمة وايمانا بالتذكير باعتبار الاناء وللمستملي

والحوزي

الافعى فان السم كامن فيها بالقوة فاذا قابلت عدوه انبعث منها قوة غضبية وتكيفت نفسها بكيفية خبيثة مؤذية فمنها ما تشتد كيفيتها وتقوى حتى تؤثر في اسقاط الجنين ومنها ما يؤثر في طمس البصر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الابتر وذي الطفيتين من الحيات انهما يلتمسان البصر ويسقطان الحبل ومنها ما تؤثر في الانسان كيفيتها بمجرد الرؤية من غير اتصال به لشدة خبث تلك النفس وكيفيتها الخبيثة المؤثرة والتاثير غير موقوف على الاتصالات الجسمية كما يظنه من قل علمه ومعرفته بالطبيعة والشريعة بل التاثير يكون تارة بالاتصال وتارة بالمقابلة وتارة بالرؤية وتارة بتوجه الروح نحو من يؤثر فيه وتارة بالادعية والرقى والتعوذات وتارة بالوهم والتخيل ونفس العائن لا يتوقف تاثيرها على الرؤية بل قد يكون أعمى فيوصف له الشئ فتؤثر نفسه فيه وان لم يره وكثير من العائنين يؤثر في المعين بالوصف من غير رؤية وقد قال تعالى لنبيه وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر وقال قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد

والحموى ملآن بفتح الميم وسكون اللام وهمزة ونون وللكشميهنى ملأى بفتح الميم وسكون اللام وفتح الهمزة مؤنث على لفظ الطست فزاد فى هذه الرواية حكمة قال ابن أبى جمرة فيه ان الحكمة ليس بعد الايمان أجل منها ولذا قرنت معه ويؤيده قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وأوضح ما قيل فيها انها وضع الشئ فى محله أو الفهم فى كتاب الله وعلى الثانى قد توجد الحكمة دون الايمان وقد لا توجد وعلى الاول قد يتلازمان لان الايمان يدل على الحكمة (فغسل) بضم الغين أى غسل جبريل قلبى وفى مسلم والبخارى فى الصلاة بماء زمزم لانه أفضل المياه ويقوى القلب (ثم حشى) بضم المهملة وكسر المعجمة ايمانا وحكمة (ثم أعيد) موضعه من الصدر المقدس وللبخارى فى الصلاة ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغه فى صدرى ثم أطبقه (ثم أتيت) بضم الهمزة (بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض) ذكر باعتبار كونه مركوبا أو نظرا للفظ البراق وحكمة كونه بهذه الصفة الاشارة الى ان الركوب كان فى سلم وأمن لا فى حرب وخوف أو لاظهار المعجزة بوقوع الاسراع الشديد بدابة لا توصف بذلك عادة (فقال له الجارود هو البراق) استفهام حذفت أداته (يا أبا حمزة) بمهملة وزاى كنية أنس (قال) أنس (نعم) هو البراق بضم الموحدة وتخفيف الراء ضبطه الحافظ وغيره وكثيرا ما يخطئ المتشدقون فيقرؤنه بكسر الباء (يضع خطوه) بفتح المعجمة المرة الواحدة وبضمها الفعلة (عند أقصى طرفه) بسكون الراء وبالفاء أى نظره أى يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره قال الحافظ والتعبير بالخطو مجاز لانه مصدر وهو لا يتصف بالوضع (فحملت عليه) بضم الحاء مبنيا للمفعول (فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا) ظاهره انه استمر على البراق حتى عرج الى السماء وليس بمراد بل هذا اختصار من الراوى ويأتى بسطه للمصنف وقال النعمانى ما المانع من انه صلى الله عليه وسلم رقى المعراج فوق ظهر البراق وظاهر هذا الحديث انتهى والمانع من ذلك ربطه ببيت المقدس كما يأتى بيانه (فاستفتح) أى طلب فتح باب السماء بقرع أو صوت والاشبه الاول لان صوته معروف قاله الحافظ وصرح به فى رواية مسلم عن ثابت عن أنس بلفظ فقرع الباب وفى حديث أبى ذر قال جبريل لخازن السماء افتح فيجمع بينهما بانه فعل القرع والصوت معا والتعليل بمعرفة صوته لا ينهض مع كون السماء شفافة وفى حديث أبى سعيد عند البيهقى فى ذكر الانبياء الى باب من أبواب السماء الدنيا يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له اسمعيل تحت يده اثنا عشر ألف ملك وفى حديث جعفر بن محمد عند البيهقى أيضا يسكن الهواء لم يصعد الى السماء قط ولم يهبط الى الارض قط الا يوم مات النبى صلى الله عليه وسلم وفى حديث أبى سعيد عند البيهقى فى الدلائل وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنده مائة ألف (قيل من هذا) الذى يقرع الباب (قال جبريل قال ومن معك قال محمد) وهذا يشعر بانهم أحسوا معه برفيق اما بمشاهدة لان السماء شفافة واما بامر معنوى كزيادة أنوار ونحوها تشعر بتجدد أمر يحسن معه السؤال بهذه الصيغة والا كان السؤال بلفظ أمعك أحد (قيل وقد أرسل اليه) للعروج الى السماء على الاظهر لقوله اليه لان أصل بعثه قد اشتهر فى الملكوت الاعلى كما يأتى فى المتن (قال نعم قيل مرحبا به) أى أتى رحبا بضم الراء وفتحها وسكون الحاء وبفتحها وسعة وكنى بذلك عن الانشراح (فنعم) لفظ البخارى فى المعراج وله فى بدء الخلق ولنعم (المجئ جاء) قال ابن مالك فيه شاهد على الاستغناء بالصلة عن الموصول أو الصفة عن الموصوف فى باب نعم لانها تحتاج الى فاعل هو المجئ والى مخصوص بمعناها وهو مبتدأ مخبر عنه بنعم وفاعلها فهو فى هذا وشبهه موصول أو موصوف بجاء والتقدير نعم المجئ الذى جاء أو نعم المجئ مجئ جاء وكونه موصولا أجود لانه مخبر عنه والمخبر عنه اذا كان معرفة أولى من كونه نكرة انتهى فلا حذف فيه ولا تقديم خلافا لقول المظهرى المخصوص بالمدح محذوف وفيه تقديم وتأخير

ومن شر حاسد اذا حسد فكل عائن حاسد وليس كل حاسد عائنا فلما كان الحاسد أعم من العائن كانت الاستعاذة منه استعاذة من العائن وهى سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود والمعين تصيبه تارة فان صادفته مكشوفا لا وقاية عليه أثرت فيه ولا بد وان صادفته حذرا شاكى السلاح لا منفذ فيه للسهام لم تؤثر فيه وربما ردت السهام على صاحبها وهذا بمثابة الرمى الحسى سواء فهذا من النفوس والارواح وذاك من الاجسام والاشباح وأصله من اعجاب العائن بالشئ ثم تتبعه كيفية نفسه الخبيثة ثم تستعين على تنفيذ سمها بنظرة الى المعين وقد يعين الرجل نفسه وقد يعين بغير ارادته بل بطبعه وهذا أردأ ما يكون من النوع الانسانى وقد قال أصحابنا وغيرهم من الفقهاء ان من عرف بذلك حبسه الامام وأجرى له ما ينفق عليه الى الموت وهذا هو الصواب قطعا

(فصل) والمقصود العلاج النبوى لهذه العلة وهو أنواع وقد روى أبو داود فى سننه عن سهل ابن حنيف قال مررنا بسيل فدخلت فاغتسلت فيه فخرجت محموما فنمى ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مروا أبا ثابت يتعوذ فقال فقلت يا سيدى والرقى صالحة فقال

تقدير جاء فنعم المجيء مجيئه (ففتح) الباب (فلما خلصت) بفتح اللام أي وصلت (فاذا فيها آدم) وفي حديث أنس عن أبي ذر عند البخاري في الصلاة فاذا رجل قاعد عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقلت لجبريل من هذا (قال هذا أبوك) ووقع ذكر النسم هنا في بعض النسخ والصواب اسقاطه اذ ليس في حديث أنس عن مالك بن صعصعة الذي هو في سياق لفظه وانما هو في حديث أنس عن أبي ذر كما في البخاري (فسلم عليه) لان المار يسلم على القاعد وان كان المار أفضل (فسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح) فيه اشارة الى افتخاره بابوة النبي صلى الله عليه وسلم والصالح القائم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق العباد فلذا كانت كلمة جامعة لمعاني الخير وتوارد الانبياء على وصفه بها وكررها كل منهم عند كل صفة (ثم صعد بي الى السماء الثانية فاستفتح) جبريل بابها (قيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء) مجيء جاء أو الذي (جاء ففتح) الخازن الباب (فلما خلصت اذا يحيي) بن زكريا (وعيسى) ابن مريم زاد في حديث أبي سعيد عند ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي شبيه أحدهما بصاحبه ثيابهما وشعرهما ومعهما نفر من قومهما واذا عيسى جعد مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الرأس كأنما خرج من ديماس أي حمام شبيه بعروة بن مسعود الثقفي (وهما ابنا الخالة) لان أم يحيي ايشاع بنت فاقود اخت حنة بمهملة ونون شديدة بنت فاقود أم مريم وذلك ان عمران بن ماثان تزوج حنة وتزوج زكريا ايشاع فولدت ايشاع يحيي وولدت حنة مريم فتكون ايشاع خالة مريم وحنة خالة يحيي فهما ابنا خالة بهذا الاعتبار وليس عمران هذا أبا موسى اذ بينهما فيما قيل الف وثمانمائة سنة قال ابن السكيت يقال ابنا خالة ولا يقال ابنا عمة ويقال ابنا عم ولا يقال ابنا خال قال الحافظ والسبب فيه ان ابني الخالة أم كل منهما خالة الآخر لزوما بخلاف ابني العمة (قال هذا يحيي وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما فردا) على السلام (ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح) جبريل الباب (قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال) لي جبريل (هذا يوسف فسلم عليه) ولعل حكمة أمره بالسلام على كل من ورد عليه ولم يكتف بالامر الاول مع حصول العلم بطلب السلام على كل من مر عليه منهم الاشارة الى استحقاق كل منهم للتعظيم وان من مر على جماعة مترتبين يطلب منه السلام على كل منهم بخصوصه (فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح) زاد في مسلم في رواية ثابت عن أنس فاذا هو قد أعطى شطر الحسن أي الذي أوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم كما قال ابن المنير أو المراد غير المصطفى بالمرة ويأتي بسطه للمصنف (ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء) الذي (جاء فلما خلصت فاذا ادريس) زاد في حديث أبي سعيد عند ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي قد رفعه الله مكانا عليا واستشكل بانه رأى هرون وموسى وابراهيم في مكان أرفع منه وأجيب بان وجهه ما ذكر كعب الاحبار أن ادريس خص من بين جميع الانبياء برفعه حيا رفعه الملك الموكل بالشمس وكان صديقا له وكان ادريس يساله أن يريه الجنة فاذن له الله في ذلك فلما كان في السماء الرابعة رآه ملك الموت فعجب وقال أمرت أن أقبض روح ادريس في السماء الرابعة فقبضه هناك فرفعه حيا الى ذلك المقام خاص به دون الانبياء قاله السهيلي وتعقبه الحافظ في كتاب الانبياء فقال فيه نظر لان عيسى أيضا رفع وهو حي على الصحيح وكون ادريس رفع وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية وروى الطبري ان كعبا قال لابن عباس ان ادريس سال صديقا له من الملائكة فحمله بين جناحيه

لارقية الا في نفس أو حمة أو لدغة والنفس العين يقال أصابت فلانا نفس أي عين والنافس العائن واللدغة بدال مهملة وغين معجمة وهي ضربة العقرب ونحوها فمن التعوذات والرقى الاكثار من قراءة المعوذتين وفاتحة الكتاب وآية الكرسي ومنها التعوذات النبوية نحو أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ونحو أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ونحو أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الارض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمان ومنها أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون ومنها اللهم اني أعوذ بوجهك الكريم وكلماتك التامات من شر ما أنت آخذ بناصيته اللهم أنت تكشف المأثم والمغرم اللهم انه لا يهزم جندك ولا يخلف وعدك سبحانك وبحمدك ومنها أعوذ بوجه الله العظيم الذي لا شيء أعظم منه وبكلماته التامات التي

جناحيه ثم صعد به فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت فقال له أريد أن تعلمني كم بقي من أجل ادريس قال وأين ادريس قال هو معي قال ان هذا الشيء عجيب أمرت أن أقبض روحه في السماء الرابعة فقلت كيف ذلك وهو في الارض فقبض روحه فذلك قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وهذا من الاسرائيليات والله أعلم بصحته انتهى والجواب عن السهيلي انه قيد خصوصية ادريس برفعه حيا الى السماء الرابعة فلا يرد عيسى لانه رفع حيا الى السماء الثانية وذكر بن قتيبة ان ادريس رفع وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة (قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح) قيل فيه رد على النسابة في قولهم ادريس جد نوح والا لقال والابن الصالح كما قال آدم ولا رد فيه لانه خاطبه بالاخوة تأدبا وتلطفا وان كان أبا والمؤمنون اخوة وكان وجه الخطاب بذلك لرفعه مكانا عليا (ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هرون) زاد في حديث أبي سعيد عند ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي ونصف لحيته بيضاء ونصف لحيته سوداء تكاد تضرب الى سرته من طولها وفي حديث أبي هريرة عند ابن جرير والبيهقي وغيرهما وحوله قوم من بني اسرائيل وهو يقص عليهم (قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم) هكذا ثبت في البخاري في باب المعراج هنا وفي السابعة قال نعم أيضا وسقط في الموضعين في بدء الخلق وهو الذي وقف عليه الشارح فتجرأ وقال لم يذكر البخاري قال نعم لا في السادسة ولا في السابعة (قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا موسى) بن عمران رجل آدم طوال كأنه من رجال شنوأة كما في البخاري عن أبي هريرة ومسلم عن ابن عباس وفي حديث أبي سعيد كثير الشعر لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دونهما (قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت) بجيم وزاي وحذف الضمير المنصوب (بكى) موسى (فقيل له ما يبكيك قال أبكي لان غلاما) صغير السن بالنسبة اليه وقد أنعم الله عليه بما لم ينعم به عليه مع طول عمره (بعث من بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي) وليس بكاؤه حسدا معاذ الله فانه منزوع عن آحاد المؤمنين في ذلك العالم فكيف بمن اصطفاه الله بل لا وجه تأتي في المتن (ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال) جبريل (هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام فقال) بالفاء وحذفها روايتان في البخاري (مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح) زاد في حديث أبي أيوب عند ابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه وأحمد وقال مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة فان تربتها طيبة وأرضها واسعة فقال له وما غراس الجنة قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وأخرج الترمذي وقال حسن والطبراني عن ابن مسعود رفعه ان ابراهيم قال أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر قال النووي وقد من الله الكريم فجعل لنا سندا متصلا بخليله ابراهيم وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة وهو أي المصطفى أشبه ولد ابراهيم به ويأتي في المتن توجيه رؤيته لهؤلاء الانبياء في السموات ولهم ولغيرهم في بيت المقدس مع ان أجسادهم في قبورهم (ثم رفعت) كذا للاكثر بضم الراء وسكون العين وضم التاء من رفعت بضمير المتكلم وبعده حرف الجر وهو (الى سدرة المنتهى) وللكشميهني رفعت بفتح العين وسكون التاء أي

لايجاوزهن بر ولا فاجر وأسماء الله الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم من شر ماخلق وذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر لا أطيق شره ومن شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته ان ربي على صراط مستقيم ومنها اللهم أنت ربي لا اله الا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة الا بالله أعلم ان الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا اللهم اني أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم وان شاء قال تحصنت بالله الذي لا اله الا هو الهي واله كل شيء واعتصمت بربي ورب كل شيء وتوكلت على الحي الذي لا يموت واستدفعت الشر بلا حول ولا قوة الا بالله حسبي الله ونعم الوكيل حسبي الرب من العباد حسبي الخالق من المخلوق حسبي الرزاق من المرزوق حسبي الذي هو حسبي حسبي الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله مرمى حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ومن جرب هذه الدعوات والعرف عرف مقدار منفعتها وشدة الحاجة اليها وهي تمنع وصول أثر العائن

من أجلي وسدرة المنتهى بالرفع نائب فاعل رفعت وكذا في بدء الخلق ويجمع بين الروايتين بان المراد انه رفع اليها أي ارتقى به وظهرت له والرفع الى الشئ يطلق على التقريب منه وقد قيل في قوله وفرش مرفوعة أي تقرب لهم (فاذا نبقها) بفتح النون وكسر الموحدة وبسكونها أيضا قال ابن دحية والاول هو الذي ثبت في الرواية أي التحريك المعروف وهو ثمر السدر (مثل قلال) قال الخطابي بالكسر جمع قلة بالضم هي الجرار يريد ان ثمرها في الكبر مثل القلال وكانت معروفة عند المخاطبين فلذا وقع التمثيل بها قال وهي التي وقع تحديد الماء الكثير بها في قوله اذا بلغ الماء قلتين (هجر) بفتح الهاء والجيم بلدة لا تنصرف للتأنيث والعلمية ويجوز الصرف (واذا ورقها مثل آذان الفيلة) بكسر الفاء وفتح التحتية بعدها لام جمع فيل وفي بدء الخلق مثل آذان الفيول وهو جمع فيل أيضا قاله كله في فتح الباري وقول الزركشي الفيلة بفتح الفاء والياء سهو قاله في المصابيح (قال) جبريل (هذه سدرة المنتهى) ووجه تسميتها بذلك بينه صلى الله عليه وسلم بقوله واليها انتهى ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يبسط من فوقها فيقبض منها رواه مسلم من حديث ابن مسعود قال الحافظ وأورده النووي بصيغة التمريض فقال وحكي عن ابن مسعود انها سميت بذلك الخ فاشعر بضعفه عنده ولا سيما ولم يصرح برفعه وهو صحيح مرفوع انتهى ويأتي بعض هذا في المتن (واذا أربعة أنهار تخرج من أصلها) (نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة) ويجريان في أصل سدرة المنتهى ثم يسيران حيث شاء الله ثم ينزلان الى الارض ثم يسيران فيها وقال مقاتل الباطنان السلسبيل والكوثر كذا في شرح المصنف ويأتي في المتن أبسط منه (وأما الظاهران فالنيل) نهر مصر (والفرات) بالفوقية خطا ووصلا ووقفا لا بالهاء نهر بغداد قال الحافظ هذا في القرا آت المشهورة وجاء في قراءة شاذة انها هاء تأنيث وشبهها أبو المظفر بن الليث بالتابوت والتابوه (ثم رفع الى البيت المعمور) زاد الكشميهني (يدخله كل يوم سبعون ألف ملك) وتقدمت هذه الزيادة في بدء الخلق بزيادة اذا خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم كذا وقع مضموما الى رواية قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة وهو مدرج من رواية قتادة عن الحسن عن أبي هريرة لان البخاري عقب الحديث في بدء الخلق بقوله وقال همام عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في البيت المعمور قال الحافظ ثمة يريد ان هماما فصل في سياقه قصة البيت المعمور من قصة الاسراء فروى أصل الحديث عن قتادة عن أنس وقصة البيت عن الحسن البصري وأما سعيد وهو ابن أبي عروبة وهشام وهو الدستوائي فادرجا قصة البيت المعمور في حديث أنس والصواب رواية همام وهي موصولة هنا عن هدبة عنه ووهم من زعم أنها معلقة فقد روى الحسن بن سفيان الحديث بطوله عن هدبة الى قوله فرفع لي البيت المعمور فقال قال قتادة فحدثنا الحسن عن أبي هريرة انه صلى الله عليه وسلم رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ولا يعودون فيه وعرف بذلك مراد البخاري بقوله في البيت المعمور وأخرج الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البيت المعمور مسجد في السماء بحذاء الكعبة لو خر لخر عليها يدخله كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا وهذا وما قبله يشعر بان قتادة كان يدرج قصة البيت المعمور في حديث أنس وتارة يفصلها وحين يفصلها تارة يذكر سندها وتارة يبهمه انتهى (ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن) فشربت منه (فقال جبريل هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك) وفي حديث أبي هريرة عند البخاري في الاشربة ولو أخذت الخمر غوت أمتك وفي حديث أنس عند البيهقي ولو شربت الماء غرقت وغرقت أمتك وفي مسلم من حديث ثابت عن

وتدفعه بعد وصوله بحسب قوة ايمان قائلها وقوة نفسه واستعداده وقوة توكله وثبات قلبه فانها سلاح والسلاح بضاربه

(فصل) واذا كان العائن يخشى ضرر عينه واصابتها للعين فليدفع شرها بقوله اللهم بارك عليه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعامر ابن ربيعة لما عان سهل ابن حنيف ألا بركت أي قلت اللهم بارك عليه ومما يدفع به اصابة العين قول ما شاء الله لا قوة الا بالله روى هشام ابن عروة عن أبيه انه كان اذا رأى شيأ يعجبه أو دخل حائطا من حيطانه قال ما شاء الله لا قوة الا بالله ومنها رقية جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم التي رواها مسلم في صحيحه باسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك باسم الله أرقيك ورأى جماعة من السلف أن يكتب له الآيات من القرآن ثم يشربها قال مجاهد لا بأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض ومثله عن أبي قلابة ويذكر عن ابن عباس انه أمر أن يكتب لامرأة تعسر عليها ولادها أثر من القرآن ثم يغسل ويسقى وقال أيوب رأيت أبا قلابة كتب كتابا من القرآن ثم غسله بماء وسقاه رجلا كان به وجع (فصل) ومنها أن يؤمر العائن بغسل مغابنه وأطرافه وداخلة ازاره وفيه قولان أحدهما

أنس ان اتيانه بالآنية كان ببيت المقدس قبل المعراج ولفظه ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخذت اللبن فقال جبريل أخذت الفطرة ثم عرج بي الى السماء وجمع الحافظ بحمل ثم على غير بابها من الترتيب وانما هي بمعنى الواو هنا أو بوقوع عرض الآنية مرتين مرة عند فراغه من الصلاة ببيت المقدس وسببه ما وقع له من العطش ففي حديث شداد فصليت من المسجد حيث شاء الله وأخذني من العطش أشد ما أخذني فأتيت باناءين أحدهما لبن والآخر عسل فعدلت بينهما ثم هداني الله فاخذت اللبن فقال شيخ بين يدي يعني لجبريل أخذ صاحبك الفطرة ومرة عند وصوله الى سدرة المنتهى ورؤية الانهار الاربعة وأما الاختلاف في عدد الآنية وما فيها فيحمل على ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكر الآخر ومجموعها أربعة أشياء من الانهار الاربعة التي رآها تخرج من أصل سدرة المنتهى وهي الماء واللبن والعسل والخمر كما في حديث أبي هريرة عند الطبري فلعله عرض عليه من كل نهر اناء وجاء عن كعب ان نهر العسل نهر النيل ونهر اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الماء نهر سيحان وفي حديث أبي هريرة عند ابن عائذ بعد ذكر ابراهيم ثم انطلقنا فاذا نحن بثلاثة آنية مغطاة فقال لي جبريل يا محمد ألا تشرب مما سقاك ربك فتناولت أحدها فاذا هو عسل فشربت منه قليلا ثم تناولت الآخر فاذا هو لبن فشربت منه حتى رويت فقال ألا تشرب من الثالث قلت قد رويت قال وفقك الله وفي رواية البزار ان الثالث كان خمرا لكن وقع عنده ان ذلك كان ببيت المقدس وان الاول كان ماء ولم يذكر العسل وياتي مزيد لذلك في كلام المصنف (ثم فرضت) بالبناء للمفعول (على الصلاة) بالافراد وفي رواية الصلوات بالجمع (خمسين صلاة كل يوم) أي وليلة وللنسائي عن أنس وأتيت سدرة المنتهى فغشيتني ضبابة فخررت ساجدا فقيل لي اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك قال صلى الله عليه وسلم (فرجعت) وفي حديث أنس عند ابن أبي حاتم فمر على ابراهيم فلم يقل شيا (فمررت على موسى) زاد في حديث أبي سعيد ونعم الصاحب كان لكم (فقال بما) ولابي ذر بم (أمرت) بضم الهمزة مبني للمفعول وفي حديث أنس عند النسائي وغيره ما فرض ربك عليك وعلى أمتك (قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم) ولمسلم عن ثابت عن أنس قال فرض علي وعلى أمتي خمسين صلاة كل يوم وليلة (قال) موسى (ان أمتك لا تستطيع) أن تصلي (خمسين صلاة كل يوم) وليلة (واني والله قد جربت) وفي رواية خبرت (الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة) مثل المزاولة يعني مارستهم ولقيت الشدة فيما أردت منهم وفي رواية النسائي فانه فرض على بني اسرائيل صلاتان فما قاموا بهما وفي الصحيحين من رواية شريك عن أنس وبلوت بني اسرائيل وعالجتهم أشد المعالجة على أدنى من هذا فضعفوا وتركوه وأمتك أضعف أجسادا وأبدانا وأبصارا وأسماعا فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل يستشيره فاشار اليه جبريل أن نعم ان شئت (فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله) ان أمتك لا تستطيع الى آخره (فرجعت فوضع عني عشرا) من الاربعين (فرجعت الى موسى) فاخبرته (فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا) من الثلاثين (فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات) بالاضافة وفي رواية بتنوين عشر (كل يوم) وليلة (فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بخمس صلوات) كل يوم كما في لفظ الحديث أي وليلة (فرجعت الى موسى فقال بم) بلا ألف رواية أبي ذر ولغيره بما بالالف بعد الميم (أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف

انه فرجه والثاني انه طرف ازاره الداخل الذي يلي جسده من الجانب الايمن ثم يصب على رأس المعين من خلفه بغتة وهذا مما لا يناله علاج الاطباء ولا ينتفع به من أنكره أو سخر منه أو شك فيه أو فعله مجربا لا يعتقد ان ذلك ينفعه واذا كان في الطبيعة خواص لا تعرف الاطباء عللها البتة بل هي عندهم خارجة عن قياس الطبيعة يفعل بالخاصة فما الذي ينكره زنادقتهم وجهلتهم من الخواص الشرعية هذا مع ان المعالجة بهذا الاستغسال ما تشهد له العقول الصحيحة وتقر لمناسبته فاعلم ان ترياق سم الحية في لحمها وان علاج تأثير النفس الغضبية في تسكين غضبها واطفاء ناره بوضع يدك عليه والمسح عليه وتسكين غضبه وذلك بمنزلة رجل معه شعلة من نار وقد أراد أن يقذفك بها فصببت عليها الماء وهي في يده حتى طفئت ولذلك أمر العائن أن يقول اللهم بارك عليه ليدفع تلك الكيفية الخبيثة بالدعاء الذي هو احسان الى المعين فان دواء الشيء بضده ولما كانت هذه الكيفية الخبيثة تظهر في المواضع الرقيقة من الجسد لانها تطلب النفوذ فلا تجد أرق من المغابن وداخلة الازار ولا سيما ان كان كناية عن الفرج فاذا غسلت بالماء بطل تاثيرها وعملها وأيضا

لامتك) وفي رواية فسله والاصل فاساله لانه أمر من السؤال فنقلت حركة الهمزة الى السين فحذفت تخفيفا واستغنى عن همزة الوصل فحذفت (قال) صلى الله عليه وسلم لموسى (سالت ربي حتى استحييت ولكني) رواية أبي ذر عن الكشميهني وغيره ولكن (ارضى وأسلم) قال الحافظ فيه حذف وتقدير الكلام سالت ربي حتى استحييت فلا ارجع فاني ان رجعت صرت غير راض ولا مسلم ولكني أرضى وأسلم (فلما جاوزت ناداني مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي) قال الحافظ هذا من أقوى ما استدل به على أنه تعالى كلم نبيه محمد ليلة الاسراء بلا واسطة وفي رواية النسائي عن أنس فخمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك فعرفت انها عزمة من الله فرجعت الى موسى فقال ارجع فلم ارجع وفي الصحيح من طريق شريك عن أنس فقال أهبط باسم الله قال المصنف أي قال جبريل لا موسى وان كان ظاهر السياق (وفي رواية له) أي للبخاري وكذا مسلم كلاهما من حديث أنس عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل (ففرج) بفتحات أي شق (صدري) وفي رواية عن صدري بزيادة عن لمجرد التاكيد او فرج مضمن معنى كشف والمراد بالصدر القلب أي كشف عن قلبي ما منع الوصول اليه وذلك بشق الصدر (ثم غسله بماء زمزم) قال ابن أبي جمرة انما لم يغسل بماء الجنة لما اجتمع في زمزم من كون أصل مائها من الجنة ثم استقر في الارض فاريد بذلك بقاء بركة النبي صلى الله عليه وسلم في الارض وقال السهيلي لما كانت زمزم حفرة جبريل روح القدس لام اسمعيل جده ناسب أن يغسل بها عند دخوله حضرة القدس لمناجاته (ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغه في صدري ثم اطبقه) أي الصدر الشريف وفي رواية مسلم فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم ثم أعيده كانه ثم حشي ايمانا وحكمة (وفي رواية شريك) بن أبي نمر عن أنس عند الشيخين (فحشي به صدره ولغاديده وهي) أي هذه اللفظة (بلام مفتوحة وغين معجمة أي عروق حلقه وفي النهاية) لابن الاثير (جمع لغدودة وهي لحمة مشرفة عند اللهاة والشك في قوله وربما قال في الحجر) كائن (من قتادة كما بينه) الامام (أحمد) في روايته هذا الحديث (عن عفان) بتشديد الفاء ابن مسلم بن عبد الله الباهلي البصري ثقة ثبت روى له الجميع مات في سنة تسع عشرة ومائتين (ولفظه بينما أنا نائم في الحطيم وربما قال قتادة في الحجر) أي انه كان يحدث به تارة فيقول في الحطيم وتارة يقول في الحجر لشكه في خصوص اللفظ الذي سمعه من أنس وان كان المعنى واحدا كما قال (والمراد بالحطيم هنا الحجر) زاد الحافظ وأبعد من قال المراد به ما بين الركن والمقام أو بين زمزم والحجر وهو وان كان مختلفا في الحطيم هل هو الحجر أم لا لكن المراد هنا البقعة التي وقع ذلك فيها ومعلوم انها لم تتعدد لان القصة متحدة لاتحاد مخرجها (ووقع عند البخاري في أول بدء الخلق) أولية نسبية اذ هو في باب ذكر الملائكة بعد خمسة أبواب من كتاب بدء الخلق من طريق قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة أيضا (بلفظ بينا) باسقاط ما المذكورة في باب المعراج (أنا عند البيت وهو أعم) من قوله في الحطيم وربما قال في الحجر أي انه محتمل لهما ولمحل آخر من المسجد بقرب البيت (وفي رواية الزهري عن أنس عن أبي ذر) عند البخاري ومسلم (فرج) بضم الفاء وكسر الراء أي فتح (سقف بيتي وانا بمكة) جملة حالية اسمية (وفي رواية الواقدي باسانيده انه أسرى به من شعب أبي طالب) بكسر الشين المعجمة (وفي حديث أم هانئ) فاختة أو هند او عاتكة شقيقة علي لها احاديث في الكتب الستة وغيرها (عند الطبراني انه بات في بيتها قالت ففقدته من الليل) فسالته لما رجع ذهب الى أي محل في الوقت الذي فقدته فيه (فقال ان جبريل أتاني) فذكر الحديث (والجمع بين هذه الاقوال) أي الروايات (كما في فتح الباري انه بات في بيت أم هانئ وبيتها عند شعب أبي طالب) أيها (ففرج سقف بيته وأضاف البيت اليه) في رواية أبي ذر

فهذه المواضع للارواح الشيطانية بها اختصاص والمقصود ان غسلها بالماء يطفئ تلك النارية ويذهب بتلك السمية وفيه أمر آخر وهو وصول أثر الغسل الى القلب من أرق المواضع وأسرعها تنفيذا فيطفئ تلك النارية والسمية بالماء فيشفى المعين وهذا كما ان ذوات السموم اذا قتلت بعد لسعها خف أثر اللسعة عن الملسوع ووجد راحة فان أنفسها تمد أذاها بعد لسعها وتوصله الى الملسوع فاذا قتلت خف الالم وهذا مشاهد وان كان من أسبابه فرح الملسوع واشتفاء نفسه بقتل عدوه فتقوى الطبيعة على الالم فتدفعه وبالجملة فغسل العائن يذهب تلك الكيفية التي ظهرت منه وانما ينفع غسله عند تكيف نفسه بتلك الكيفية فان قيل فقد ظهرت مناسبة الغسل فما مناسبة صب ذلك الماء على المعين قيل هو في غاية المناسبة فان ذلك الماء ماء طفئ به تلك النارية وأبطل تلك الكيفية الرديئة من الفاعل فكما طفئت به النارية القائمة بالفاعل طفئت به وأبطلت عن المحل المتأثر بعد ملابسته للمؤثر العائن والماء الذي يطفأ به الحديد يدخل في أدوية عدة طبيعية ذكرها الاطباء فهذا الذي طفئ به نارية العائن

(لانه كان يسكنه فنزل منزلة الملك) والاضافة تكون بادنى ملابسة ولان البيت ينسب لساكنه (فنزل منه الملك) جبريل (فاخرجه من البيت الى المسجد) الحرام (فكان به مضطجعا وبه أثر النعاس) فلذا قال بينما أنا نائم فى الحطيم مضطجعا (ثم أخرجه الملك) فاخرجه من المسجد (الى باب المسجد فاركبه البراق قال) فى الفتح (وقد وقع فى مرسل الحسن) البصرى (عند ابن اسحق ان جبريل أتاه فاخرجه الى المسجد فاركبه البراق وهو يؤيد هذا الجمع) تأييدا قويا (فان قيل لم فرج سقف بيته عليه الصلاة والسلام ونزل منه الملك ولم يدخل من الباب مع قوله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها أجيب) كما قال ابن دحية (بان الحكمة فى ذلك ان الملك انصب) أى نزل من السماء (انصبابة واحدة على جهة الاستقامة ولم يعرج على شئ سواه) أى من غير تعريج عن الجهة التى نزل منها الى غيرها (فكان نزوله على السقف مبالغة فى المفاجاة وتنبيها على أن الطلب وقع على غير ميعاد كرامة له عليه الصلاة والسلام) كما أفهمه قوله بينما أنا نائم اذ مجيئه له فجاءة يشعر بانه لاموعد بينهما وكذا قوله فرج سقف بيتى اذ لو كان بينهما موعد لانتظر مجيئه فيه ولاتاه من الباب على عادة الجائى لمن ينتظره وفيه اشارة الى طلب الاستقامة فى الامور والى المبادرة اليها وأخذها من أقرب الطرق (وهذا بخلاف موسى عليه الصلاة والسلام فكانت كرامته بالمناجاة) لله سبحانه وتعالى (عن ميعاد واستعداد) بالصوم قال تعالى ووعدنا موسى ثلاثين ليلة قال الجلال أى نكلمه عند انتهائها بان يصومها وهى ذو القعدة فلما تمت أنكر خلوف فمه فاستاك فامره الله تعالى بعشرة أخرى ليكلمه بخلوف فمه كما قال تعالى وأتممناها بعشر أى من ذى الحجة (بخلاف نبينا عليه الصلاة والسلام فانه حمل عنه ألم الانتظار) الواقع لموسى مدة الصوم حتى كلمه ربه (كما حمل عنه ألم الاعتذار) الذى اعتذر به موسى انه انما استاك لانكار رائحة فمه (ويؤخذ من هذا ان مقام نبينا صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى مقام موسى عليه الصلاة والسلام مقام المراد) حيث طلب للمناجاة بلا سؤال (بالنسبة الى مقام المريد) بقوله رب أرنى أنظر اليك (ويحتمل أن يكون توطئة وتمهيدا لكونه فرج عن صدره فاراه الملك بافراجه عن السقف ثم التئام السقف على الفور كيفية) أى صفة (ما يصنع به وقرب له الامر فى نفسه بالمثال المشاهد فى بيته لطفا فى حقه عليه السلام وتثبيتا لبصره) وفى الفتح قيل الحكمة فى نزوله عليه من السقف الاشارة الى المبالغة فى مفاجاته بذلك والتنبيه على أن المراد منه أن يعرج به الى جهة العلو (والله أعلم بحقيقة السر) فى ذلك (وقوله مضطجعا زاد) البخارى (فى بدء الخلق بين النائم واليقظان) أى ان نومه قريب من اليقظة (وهو محمول على ابتداء الحال ثم لما خرج به الى باب المسجد فاركبه البراق استمر فى يقظته) التى لا يخالطها نوم وفى نسخة لما أخرج به بزيادة الباء فى المفعول والاصل أخرجه فهو مبنى للفاعل (واما ما وقع فى رواية شريك عنده) أى البخارى (أيضا) فى كتاب التوحيد فى آخر الحديث (فلما استيقظت) لفظ الحديث فى الصحيح واستيقظ وهو بالمسجد الحرام (فان قلنا بالتعديد للمعاريج (فلا اشكال) لانه معراج آخر فى النوم (والا حمل على ان المراد استيقظت أفقت يعنى انه أفاق مما كان فيه من شغل البال بمشاهدة الملكوت) باطن الملك (ورجع الى العالم الدنيوى) فالمراد الافاقة البشرية التى يكون البشر عليها عادة من الغمرة الملكية التى كان عليها وقال ابن أبى جمرة لو قال صلى الله عليه وسلم انه كان يقظانا لاخبر بالحق لان نومه ويقظته سواء وعينه أيضا لم يكن النوم تمكن منها لكن تحرى الصدق فى الاخبار بالواقع فيؤخذ منه انه لا يعدل عن حقيقة اللفظ الا لضرورة (وقوله اذ أتانى آت هو جبريل عليه السلام) ووقع فى بدء الخلق

لايستنكر ان يدخل فى دواء يناسب هذا الداء وبالجملة فطب الطبائعية وعلاجهم بالنسبة الى العلاج النبوى كطب الطرقية بالنسبة الى طبهم بل أقل فان التفاوت الذى بينهم وبين الانبياء أعظم وأعظم من التفاوت الذى بينهم وبين الطرقية بما لا يدرك الانسان مقداره فقد ظهر لك عقد الاخاء الذى بين الحكمة والشرع وعدم مناقضة أحدهما للآخر والله يهدى من يشاء الى الصواب ويفتح لمن أدام قرع باب التوفيق منه كل باب وله النعمة السابغة والحجة البالغة

(فصل) ومن علاج ذلك أيضا الاحتراز منه بستر محاسن من يخاف عليه العين بما يردها عنه كما ذكر البغوى فى كتاب شرح السنة أن عثمان رضى الله عنه رأى صبيا مليحا فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين ثم قال فى تفسيره ومعنى دسموا نونته أى سودوا نونته والنونة النقرة التى تكون فى ذقن الصبى الصغير وقال الخطابى فى غريب الحديث له عن عثمان انه رأى صبيا تأخذه العين فقال دسموا نونته فقال أبو عمر وسالت أحمد بن يحيى عنه فقال أراد بالنونة النقرة التى فى ذقنه والتدسيم التسويد أراد سوّدوا ذلك الموضع من ذقنه ليرد العين قال ومن هذا حديث عائشة أن رسول الله

وذكر بين الرجلين وهو مختصر أوضحته رواية مسلم بلفظ اذ سمعت قائلا يقول أحد الثلاثة بين الرجلين فاتيت فانطلق بي والمراد بالرجلين حمزة وجعفر كان صلى الله عليه وسلم نائما بينهما قال ابن أبي جمرة وفيه تواضعه وحسن خلقه اذ أنه في الفضل حيث هو ومع ذلك كان يضطجع مع الناس ويقعد معهم ولم يجعل لنفسه مزية عليهم وفيه جواز نوم جماعة في موضع واحد لكن بشرط أن يكون الكل واحد منهم ما يستر به جسده (وفي رواية شريك) عن أنس في الصحيحين (انه جاءه) بكسرة الهمزة وللكشميهني اذ بدل انه والاول أولى وللحموي والمستملي انه بفتح الهمزة وجاء بلا ضمير (ثلاثة نفر) قال الحافظ لم أقف على أسمائهم صريحا لكن في رواية الطبري فأتاه جبريل وميكائيل انتهى وكذا رواه ابن جرير وأبو يعلى ويقال ان الثالث اسرافيل (قبل أن يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم) جبريل (أيهم هو) لانه كان نائما بين حمزة وجعفر كما علم (قال أوسطهم) أي الثلاثة الذين جاؤه وهو ميكائيل (هو خيرهم فقال آخرهم) الثالث ولابي ذر عن الكشميهني أحدهم بالدال أي أحد الثلاثة (خذوا خيرهم وكانت تلك الليلة أي كانت تلك القصة الواقعة تلك الليلة ما ذكرنا) بالضمير المستتر في كانت المحذوف وكذا خبر كان وهذا شرح من المصنف لقوله وكانت تلك الليلة (فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى) هي ثالثة على ما يفيده رواية ابن مردويه عن أنس بلفظ حتى أتوه ليلة أخرى فقال الاول هو هو فقال الاوسط نعم وقال الآخر خذوا سيد القوم فرجعوا عنه حتى اذا كانت الليلة الثالثة رآهم فقال الاول هو فقال الاوسط نعم وقال الآخر خذوا سيد القوم الاوسط بين الرجلين فاحتملوه حتى جاؤا به زمزم فاستلقوه على ظهره وكان مجيء الملائكة له (فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم) الثابت في الروايات انه كان يقظة فان قلنا بالتعدد فلا اشكال والاجمل على انه كان في طرفي القصة نائما وليس في ذلك ما يدل على كونه نائما في كلها (فلم يكلموه) صلى الله عليه وسلم (حتى احتملوه) فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل كما في نفس حديث شريك (وقد أنكر الخطابي قوله قبل أن يوحى اليه ولذلك قال القاضي عياض والنووي) وابن حزم وعبد الحق (وعبارة النووي وقع في رواية شريك يعني هذه أوهام) أزيد من عشرة فصلها الحافظ وأجاب عن بعضها (أنكرها العلماء أحدها) مبتدأ خبره (قوله قبل أن يوحى اليه وهو غلط) من شريك (لم يوافق عليه وأجمع العلماء على ان فرض الصلاة كان ليلة الاسراء) فكيف يكون الاسراء (قبل الوحي انتهى) كلام النووي (فقد صرح هؤلاء) الخطابي ومن بعده (بان شريكا تفرد بذلك) لكن قال الحافظ ابن حجر في دعوى التفرد نظر فقد وافقه كثير بن خنيس بالمعجمة ونون مصغرا عن أنس كما أخرجه سعيد بن يحيى بن سعيد) بن أبان بن سعيد بن العاصي (الاموي) أبو عثمان البغدادي ثقة روى له الشيخان وغيرهما ورمما أخطأ مات سنة تسع وأربعين ومائتين (في كتاب المغازي له من طريقه قال) الحافظ مجيبا عن اشكال قوله قبل أن يوحى اليه (ولم يقع التعيين بين المجيئين) أي زمن (فيحمل على أن المجيء الثاني كان بعد الوحي وحينئذ وقع الاسراء والمعراج) فقوله قبل أن يوحى اليه ظرف للمجيء الاول لا لهما الذي هو منشأ التغليط (واذا كان بين المجيئين مدة فلا فرق بين أن تكون تلك المدة ليلة واحدة أو ليالي) كثيرة (أو عدد سنين وبهذا) التقرير (يرتفع الاشكال عن رواية شريك ويحصل به الوفاق) على (ان الاسراء كان في اليقظة بعد البعثة وقبل الهجرة) وفي ليلته فرضت الصلاة (وسقط تشنيع الخطابي وغيره بان شريكا خالف الاجماع في دعواه ان المعراج كان قبل البعثة) وقال الحافظ أبو الفضل بن طاهر تعليل الحديث بتفرد شريك ودعوى ابن حزم ان الآفة منه شئ لم يسبق اليه فان شريكا قبله أئمة الجرح والتعديل ووثقوه

صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم وعلى رأسه عمامة دسماء أي سوداء أراد الاستشهاد على اللفظة ومن هذا أخذ الشاعر قوله

ما كان أحوج ذا الكمال الى
عيب يوقيه من العين

(فصل) ومن الرقى التي ترد العين ما ذكر عن أبي عبد الله التياحي انه كان في بعض أسفاره للحج أو الغزو على ناقة فارهة وكان في الرفقة رجل عائن قلما نظر الى شئ الا أتلفه فقيل لابي عبد الله احفظ ناقتك من العائن فقال ليس له الى ناقتي سبيل فاخبر العائن بقوله فتحين غيبة أبي عبد الله فجاء الى رحله فنظر الى الناقة فاضطربت وسقطت فجاء أبو عبد الله فاخبر ان العائن قد عانها وهي كما ترى فقال دلوني عليه فدل فوقف عليه وقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العائن عليه وعلى أحب الناس اليه فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير فخرجت حدقتا العائن وقامت الناقة لا باس بها

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في العلاج العام لكل شكوى بالرقية الالهية روى أبو داود في سننه من حديث

ورووا

ور و واعنه وأدخلوا حديثه في تصانيفهم واحتجوا به قال وحديثه هذا رواه عنه سليمان بن بلال وهو ثقة وعلى تقدير تفرد بقوله قبل أن يوحى اليه فلا يقتضي طرح حديثه فوهم الثقة في موضع من الحديث لا يسقط جميع الحديث ولا سيما اذا كان الوهم لا يستلزم ارتكاب محذور ولو ترك حديث من وهم في تاريخ لترك حديث جماعة من أئمة المسلمين انتهى (وأقوى ما يستدل به على ان المعراج كان بعد البعثة قوله في هذا الحديث نفسه ان جبريل قال لبواب السماء اذ قال أبعث) اليه لم يقع في لفظ الحديث اليه لكن حملها على المصنف كغيره فقال اليه للاستواء وصعود السموات وليس الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة لانه لا يخفى عليه الى هذه المدة ولاشتهار أمر النبوة في الملكوت الاعلى (قال نعم فانه ظاهر في أن المعراج كان بعد البعثة) ولفظه ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا فقال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قال وقد بعث قال نعم (ووقع في رواية ميمون بن سياه) بكسر السين المهملة وخفة التحتية البصري أبي بحر التابعي صدوق عابد يخطئ روى له البخاري والنسائي (عند الطبراني فاتاه جبريل وميكائيل فقالا) المطلوب (أيهم) أي الثلاثة حمزة وجعفر والمصطفى (وكانت قريش تنام حول الكعبة فقال) الملك الآخر الذي لم يسم (أمرنا بسيدهم ثم ذهبا ثم جاؤه وهم ثلاثة نفر) كما جاؤه أولا وكون هذا يقتضي ان الجائين جاؤه أولا اثنان فقط ليس بمراد لان الثالث لم يسم كما مر (وفي رواية مسلم) من طريق سعيد عن قتادة عن أنس (سمعت قائلا يقول أحد الثلاثة بين الرجلين فاتيت فانطلق بي والمراد بالرجلين حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وكان النبي صلى الله عليه وسلم نائما بينهما) من مزيد تواضعه وأجيب أيضا بان المراد قبل أن يوحى اليه في شان الصلاة ومنهم من أجراه على ظاهره ملتزما ان الاسراء كان مرتين قبل النبوة وبعدها حكاه في المصابيح (وقوله فقد بالقاف والدال الثقيلة وفي رواية فشق) وأخرى فرج والمعنى واحد (من ثغرة) نحره (بضم المثلثة وسكون الغين المعجمة بعدها راء الموضع المنخفض الذي بين الترقوتين) تثنية ترقوة بزنة فعلوة بفتح القاف وضم اللام وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين والجمع التراقي قال بعضهم ولا تكون الترقوة لشيء من الحيوان الا للانسان خاصة (الى شعرته بكسر الشين المعجمة أي شعر العانة الشريفة) أي الشعر النابت عليهما من اضافة اسم الحال للمحل قال الازهري وجماعة العانة منبت الشعر فوق قبل المرأة وذكر الرجل والشعر النابت عليهما يقال له الاسب بكسر الهمزة وسكون المهملة وموحدة وقال الجوهري هي شعر الركب بالتحريك أي فتح الراء والكاف منبت العانة للمرأة خاصة عند الخليل وللرجل أيضا عند الفراء وقال ابن السكيت وابن الاعرابي استعان واستحد حلق عانته وعلى هذا فالعانة الشعر النابت وذكر الكرماني انه وقع في رواية الى ثنته بضم المثلثة وتشديد النون أي ما بين السرة والعانة (وفي رواية مسلم الى أسفل البطن وفي رواية البخاري) في بدء الخلق (الى مراق) بفتح الميم وخفة الراء فالف فقاف ثقيلة وأصله مراقق بقافين فادغمت الاولى في الثانية أي ما سفل من بطنه ورق من جلده (وفي رواية شريك عن أنس (فشق جبريل ما بين نحره الى لبته) حتى فرغ من صدره وجوفه (بفتح اللام وتشديد الموحدة وهو موضع القلادة من الصدر) وفيه تنحر الابل (وقد أنكر القاضي عياض في الشفاء) وسبقه الى الانكار ابن حزم (وقوع شق صدره الشريف ليلة الاسراء وقال انما كان وهو صبي وقبل الوحي) يعني في بني سعد بن بكر وهو عند مرضعته حليمة وادعى ابن حزم وعياض ان ذلك من تخليط شريك قال الحافظ العراقي وليس كذلك فقد ثبت في الصحيحين من غير طريق شريك وقال في المفهم لا يلتفت لانكاره لان رواته ثقات مشاهير (ولا انكار في ذلك كما قاله الحافظ أبو الفضل) أحمد بن حجر (العسقلاني رحمه الله)

أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اشتكى منكم شيئا أو اشتكاه أخ له فليقل ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الارض واغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من عندك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ باذن الله وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري ان جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال نعم فقال جبريل عليه السلام باسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك باسم الله أرقيك فان قيل فما تقولون في الحديث الذي رواه أبو داود لا رقية الا من عين أو حمة والحمة ذوات السموم كلها فالجواب انه صلى الله عليه وسلم لم يرد به نفي جواز الرقية في غيرها بل المراد به لا رقية أولى وأنفع منها في العين والحمة ويدل عليه سياق الحديث فان سهل بن حنيف قال له لما أصابته العين أوفي الرقى خير فقال لا رقية الا في نفس أو حمة ويدل عليه سائر أحاديث الرقى العامة والخاصة وقد روى أبو داود من حديث أنس قال قال رسول الله

في الفتح (فقد تواترت الروايات به) فقد ثبت في الصحيحين من حديث مالك بن صعصعة وفي مسلم وغيره عن أنس في روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة وفي الصحيحين من روايه أنس عن أبي ذر وله طرق أخرى (وثبت شق الصدر أيضا عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في الدلائل) والطيالسي والحرث ابن أبي اسامة والبيهقي في الدلائل من حديث عائشة وقدمته في المقصد الاول في المبعث النبوي (ولكل منها) أي المرات الثلاث المذكورة في بني سعد ثم عند المبعث ثم ليلة الاسراء (حكمة فالاول) الذي وقع وهو عند حليمة (وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه وصرعه فشق عن قلبه واستخرج القلب ثم شقه (فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان) أي الموضع الذي يتوصل منه الى وسوسة الناس ولا ينافيه قوله منك لجواز تقدير مضاف أي من مثلك من بني آدم وبقية خبر مسلم ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه فأعاده مكانه وجعل الغلمان يسعون الى أمه يعني ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فجاؤا وهو منتقع اللون قال أنس فلقد كنت أرى أثر المخيط في صدره (وكان هذا في زمن الطفولية فنشأ على أكمل الاحوال من العصمة من الشيطان) وغيره وخلقت هذه العلقة لانها من جملة الاجزاء الانسانية فخلقت تكملة للخلق الانساني ونزعها كرامة ربانية أبلغ من خلقه بدونها قاله التقي السبكي وقال غيره لو خلق سليما منها لم يطلع الآدميون على حقيقته فاظهره الله على يد جبريل ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مكمل الظاهر (ولعل هذا الشق كان سببا في اسلام قرينه) أي صاحبه الموكل به من الجن (المروي عند البزار من حديث ابن عباس) رفعه فضلت على الانبياء بخصلتين كان شيطاني كافرا فاعانني الله عليه فاسلم قال ونسيت الاخرى (ويحتمل أن يكون) قوله هذا حظ الشيطان منك (الاشارة الى حظ الشيطان المباين) أي خلاف القرين (كالعفريت الذي أراد أن يقطع عليه صلاته وأمكنه الله منه) وقدمت لفظ الحديث قريبا في الخصائص وان لفظ عفريت ظاهر في ان المراد غير ابليس كما قال الحافظ (وأما شق الصدر عند البعث فلزيادة الكرامة وليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوي على أكمل الاحوال من التطهير) وكذلك كان (وأما شقه عند ارادة العروج الى السماء فللتهيؤ للترقي الى الملأ الاعلى والثبوت في المقام الاسنى والتقوي لاستجلاء) بالجيم (الاسماء الحسنى) يعني رؤية الله سبحانه بدليل قوله (ولهذا لما لم يتفق لموسى عليه السلام مثل هذا التهيؤ لم تتفق له الرؤية) مع كونه سالها (وكيف يثبت الرجل لما لا يثبت له الجبل) المذكور في قوله لن تراني ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا والحافظ قال حكمة ذلك ليتأهب للمناجاة (ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه عليه السلام) كذا أبدى هذا الاحتمال تبعا للحافظ مع انه قال في المقصد الاول روى أبو نعيم الشق أيضا وهو ابن عشر قال وروى خامسة ولا تثبت وحكمته ان العشر قريب من سن التكليف فشق قلبه وقدس حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب على الرجال الا أن يكون جعل مرتي الصبا بمنزلة المرة الواحدة قال النعماني وقدس لداخل الحرم الغسل فما ظنك بداخل الحضرة المقدسة فلما كان الحرم من عالم الملك وهو ظاهر الكائنات نيط الغسل له بظاهر البدن في عالم المعاملات ولما كانت الحضرة الشريفة من عالم الملكوت وهو باطن الكائنات نيط لها الغسل بباطن البدن في التحقيقات وقد عرج به لتفرض عليه الصلوات وليصلي بملائكة السموات ومن شان الصلاة الطهور فقدس ظاهرا وباطنا قال وقد رأيت في بعض المعاريج ان جبريل وضأه بعد غسل قلبه قلت ليصير مطهرا متطهرا انتهى (ثم ان جميع ما ورد) وبينه بقوله (من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من

صلى الله عليه وسلم لا رقية الا من عين أو حمة أو دم يرقأ وفي صحيح مسلم عنه أيضا رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقية من العين والحمة والنملة

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في رقية اللديغ بالفاتحة أخرجا في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال انطلق نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء فقال بعضهم لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعلهم أن يكون عند بعضهم شيء فأتوهم فقال يا أيها الرهط ان سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه فهل عند أحد منكم من شيء فقال بعضهم نعم والله اني لارقي ولكن استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق يتفل عليه ويقرأ الحمد لله رب العالمين فكأنما نشط من عقال فانطلق يمشي وما به قلبة قال فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقال بعضهم اقتسموا فقال الذي رقى لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا

الامور الخارقة للعادة) كاختراق السموات (مما يجب التسليم له) أى تسليمه فاللام زائدة للتقوية (دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شئ من ذلك) لان القدرة انما تتعلق بالممكن دون المستحيل هكذا قاله القرطبي فى المفهم والطيبي والتوربشتى والحافظ فى الفتح والسيوطى وغيرهم ويؤيده الحديث الصحيح انهم كانوا يرون أثر المخيط فى صدره قال السيوطى وما وقع من بعض جهلة العصر من انكار ذلك وحمله على الامر المعنوى والزام قائله القول بقلب الحقائق فهو جهل صراح وخطأ قبيح نشأ من خذلان الله تعالى لهم وعكوفهم على العلوم الفلسفية وبعدهم عن دقائق السنة عافانا الله من ذلك انتهى (قال العارف ابن أبى جمرة) بجيم وراء (فيه دليل على أن قدرة الله تعالى لا يعجزها ممكن) أى لا يمنعها من التعلق به بل يجوز تعلقها بسائر الممكنات لا بالمستحيلات فلا تتعلق بها أصلا ولذا قيد بممكن فلا يفهم منه انها تعجز عن التعلق بالمستحيل لانها لا تتعلق به أصلا فلا يلتفت الى مثل هذا الايهام (ولا تتوقف) أى لا تتخلف عن ايجادها ارادة (لعدم) وجود (شئ) يؤثر فيما تعلقت به (ولا لوجوده) أى شئ يمنع تأثيرها فيما تعلقت به (وليست مربوطة بالعادة) أى ليس تأثيرها قاصرا على ما جرت به العادة بل عام فى جميع الممكنات (الا حيث شاءته) أى ربط التأثير بالعادة (القدرة) ونسبة المشيئة الى القدرة تسمح اذ المشيئة انما تنسب للقادر لا لشئ من صفاته فهو اما على حذف مضاف أى ذو القدرة أو مصدر بمعنى القادر (لانه على ما يعهد و يعرف ان البشر) بفتحتين ذكرا أو أنثى واحدا أو جمعا وقد يثنى ويجمع ابشارا كما فى القاموس وفى المصباح ان العرب ثنوه ولم يجمعوه من التثنية أثومن لبشرين (مهما شق بطنه كله وانجرح القلب مات ولم يعش) وكذا سائر الحيوان واقتصر على البشر لكون المصطفى منهم لا لاخراج غيره (وهذا النبى صلى الله عليه وسلم قد شق بطنه المكرمة) أنثه باعتبار الجارحة والا فالبطن خلاف الظهر مذكر (حتى أخرج القلب وغسل وهو حى (وقد شق بطنه كذلك) كهذا الشق الواقع فى المعراج (أيضا وهو صغير وشق قلبه وأخرج منه نزغة الشيطان) أى محل نزغته أى وسوسته الحاملة على خلاف ما أمر به كاعتراء غضب وفكر (ومعلوم ان القلب مهما وصل له الجرح مات صاحبه وهذا النبى صلى الله عليه وسلم شق بطنه فى هاتين المرتين) وأخرج قلبه وشق (ولم يتألم بذلك ولم يمت لما أراد الله تعالى أن لا يؤثر ما) أى شيأ أو الذى (أجرى به العادة أن يؤثر بها موت صاحبها فابطل تلك العادة) جواب لما ودخول الفاء فيه قليل قاله شيخنا والاظهر ان اللام فى لما تعليلية لعدم موته فالفاء للتفريع على التعليل (وقد رمى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى النار فلم تحرقه وكانت عليه بردا وسلاما) أى ان شق الصدر الشريف وان كان خارقا للعادة لا بعد فيه لانه ممكن وقد وقع مثله للخليل حيث فعل به ما هو مهلك عادة ولم يؤثر فيه شئ فذكره للتقريب انتهى كلام ابن أبى جمرة (وقد حصل من شق صدره الكريم اكرامه عليه السلام بتحقيق ما أوتى من الصبر) بجعله صفة قائمة به وكان ذلك تحقيقا له لبروزه الى الوجود الخارجى (فهو من جنس ما أكرم به اسمعيل الذبيح) على أحد القولين الشهيرين والثانى اسحق وليت شعرى أى اقتضاء فيمن حكى هذين القولين فى الذبيح ان ابراهيم ليس له غيرهما من الاولاد مع ان أولاده ثلاثة عشر كلهم ذكور كما فى تاريخ ابن كثير أو خمس منهم أناث على ما فى الروض (بتحقيق صبره على مقدمات الذبح شدا وكتفا وتلا) القاء (للجبين واهواء بالمدية) السكين (الى المنحر) يعنى انه لما تله للجبين بان ألقاه على جنبه انقلب على جبهته أو انه فعل ذلك باشارته لئلا يرى فيه تغيرا فيرق له فلا يذبحه (فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) على الذبح أو على قضاء الله وترتيب ما ذكر على ما قبله يقتضى ان قوله ذلك بعده وسوق الآية صريح انه قال ذلك جوابا لقول أبيه يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى الآن

فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ذلك فقال وما يدريك انها رقية ثم قال قد أصبتم اقتسموا واضربوا لى معكم سهما وقد روى ابن ماجه فى سننه من حديث على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الدواء القرآن ومن المعلوم ان بعض الكلام له خواص ومنافع مجربة فما الظن بكلام رب العالمين الذى فضله على كل كلام كفضل الله على خلقه الذى هو الشفاء التام والعصمة النافعة والنور الهادى والرحمة العامة الذى لو أنزل على جبل لتصدع من عظمته وجلالته قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومن ههنا لبيان الجنس لا للتبعيض هذا أصح القولين كقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما وكلهم من الذين آمنوا وعملوا الصالحات فما الظن بفاتحة الكتاب التى لم ينزل فى القرآن ولا فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور مثلها المتضمنة لجميع معانى كتب الله المشتملة على ذكر أصول أسماء الرب ومجامعها وهى الله والرب والرحمن واثبات المعاد وذكر التوحيدين توحيد الربوبية وتوحيد الالهية وذكر الافتقار الى الرب سبحانه فى طلب الاعانة وطلب الهداية

تجعل الفاء فى المصنف بمعنى الواو ولفظ ابن المنير متبوع المؤلف وقد قال سستجدنى بالواو (ووفى بما وعد الله تعالى) بقوله ستجدنى فى الآية (فأكرمه الله بالثناء على صبره الى الابد ولامرية) بكسر الميم أى لاشك (أن الذى حصل من صبر نبينا صلى الله عليه وسلم أشد وأجل لان تلك) الاحوال الواقعة لاسمعيل من الشد والكتف والتل (مقدمات) للذبح (وهذه) الواقعة للمصطفى (نتيجة) ما يفعل بمن أريد ذبحه أونحوه من الاثر الذى قصد ترتبه على الفعل (وتلك معاريض) أى مقدمات لاحقائق وتسميتها معاريض تجوز اذهى لغة التورية فشبه المقدمات بالمعاريض واستعار له اسمه لما سبق فى علم الله ان حقيقة ما أمر به أبوه من الذبح لا يقع (وهذه حقيقة والمنحر مقتل) أى يصدق عليه وليس مفهومهما واحدا اذ المنحر موضع النحر من الحلق ويكون مصدرا أيضا (وما أصابه) أى المنحر (من اسمعيل) ظاهره انه أمر السكين على منحره مع أن الفداء وقع قبل مرور السكين اليه فقوله (الاصورة القتل لافعله) أى الصورة التى تحصل عند ارادة القتل (وشق صدر نبينا صلى الله عليه وسلم واستخراج قلبه ثم شقه ثم كذا) أى نزع العلقة منه وغسله ونحو ذلك (مقاتل عديدة) جمع مقتل (وقعت كلها ولكن انخرقت العادة ببقاء الحياة فهذا الابتلاء أعظم من ابتلاء الذبيح بما ذكر) وفى المصباح المقتل الموضع الذى اذا أصيب لا يكاد صاحبه يسلم والواقع للمصطفى أسباب تفضى الى القتل فلعل المقاتل فى المصنف جمع مقتل بمعنى القتل وأطلقه على سببه مجازا (فان قلت انما يتحقق الصبر أن لو كانت هنالك مشقة فلعل العادة لما انخرقت فى ابقاء الحياة) أى لم تؤثر ازالتها بل استمرت بعدما وجب ازالتها عادة وفى نسخ فى بقاء وهى أظهر لان البقاء استمرار الحياة وهو أثر الابقاء (انخرقت) أيضا (فى دفع المشاق وحمل الآلام) فلا تتم المفاضلة المذكورة بينه وبين الذبيح (أجيب) أى أجاب ابن المنير (بانه ورد فى حديث شق صدره) فى بنى سعد وهو صغير (فاقبل وهو منتقع اللون) بنون ففوقية فقاف مفتوحة أى متغير (أوممتقع) بالميم بدل النون روايتان قاله ابن المنير قال الكسائى انتقع مبنيا اذا تغير من حزن أو فزع قال وكذا ابتقع بالموحدة وامتقع بالميم أجود قاله الجوهرى أى مبنيا للمفعول صرح به المجد وغيره وفى المصباح ما يفيد بناءه للفاعل (وهو يدل على ان الصبر على مشقة المعالجة المذكورة محقق) فتتم المفاضلة (انتهى) ما أجيب به (قال القاضى عياض وأصل انتقع صار كلون النقع والنقع الغبار وهو شبيه بلون الاموات وهذا يدل على غاية المشقة) اذ لا يصير كلون الاموات الا بعد مشقة شديدة (وأما قول ابن الجوزى فشقه وماشق عليه) أى ما آلمه ذلك الشق (فيحمل على أنه صبر صبر من لم يشق عليه) ويحمل أيضا على أنه ماشق عليه المشقة التى تحصل مثلها عادة من ذلك الفعل فلا ينافى حصول مشقة دون المعتاد فنزلها منزلة العدم (انتهى) كلام ابن المنير وفى الشامى اختلف هل وقع له مع ذلك مشقة أم لا فقال الحافظ من غير مشقة وبه جزم ابن الجوزى فقال فشقه وماشق عليه وقال ابن دحية بمشقة عظيمة ولهذا انتقع لونه أى صار كلون النقع قلت رواية انتقع لونه حكاية لما وقع فى المرة الاولى وهو صغير فى بنى سعد وأما ما وقع بعدها فلم ينقل أنه تأثر لذلك انتهى (وكذلك الابتلاء أيضا من حيث الشق فان ذلك وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم بعيد) بلفظ التصغير (مافطم) بشهرين أو ثلاثة وكان فطامه بعد عامين (وأيضا كان منفردا عن أمه) فى بنى سعد وأمه بمكة (ويتيما من أبيه) لموته وهو حمل على الصحيح (واختطف من بين الاطفال) الذين كان معهم فى البرية (وفعل به ما فعل من الاهوال تسهيلا لما يلقاه فى المآل وتعظيما لما يناله على الصبر من الثواب والثناء) من الكبير المتعال (ولهذا المشج وجهه الشريف) فى أحد (وجرح وكسرت رباعيته) بفتح الراء الموحدة وخفة التحتية

وتخصيصه سبحانه بذلك وذكر أفضل الدعاء على الاطلاق وأنفعه وأفرضه وما العباد أحوج شئ اليه وهو الهداية الى صراطه المستقيم المتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمر به واجتناب مانهى عنه والاستقامة عليه الى الممات ويتضمن ذكر أصناف الخلائق وانقسامهم الى منعم عليه بمعرفة الحق والعمل به ومحبته وايثاره ومغضوب عليه بعدوله عن الحق بعد معرفته له وضال بعدم معرفته له وهؤلاء أقسام الخليقة مع تضمنها لاثبات القدر والشرع والاسماء والصفات والمعاد والنبوات وتزكية النفوس واصلاح القلوب وذكر عدل الله واحسانه والرد على جميع أهل البدع والباطل كما ذكرنا ذلك فى كتابنا الكبير فى شرحها وحقيق بسورة هذا بعض شانها ان يستشفى بها من الادواء ويرقى بها اللديغ وبالجملة فما تضمنته الفاتحة من اخلاص العبودية والثناء على الله وتفويض الامر كله اليه والاستعانة به والتوكل عليه وسؤاله مجامع النعم كلها وهى الهداية التى تجلب النعم وتدفع النقم من أعظم الادوية الشافية الكافية وقد قيل ان موضع الرقية منها اياك نعبد واياك نستعين ولا ريب أن هاتين الكلمتين من أقوى أجزاء

(قال

(قال اللهم اغفر لقومي) مغفرة تصرف عنهم عذاب الاستئصال (فانهم لا يعلمون) رفيع قدري عندك فاعتذر عنهم بالجهل الحكمي وان كان بعد الآيات البينات ليس بعذر ولم يقل يجهلون تحسينا للعبارة ليجذبهم بزمام لطفه الى الايمان ويدخلهم بعظيم عفوه حرم الامان (زاده الله شرفا وفضلا) صلى الله عليه وسلم (وقوله ثم أتيت بطست من ذهب انما أتى بالطست لانه أشهر) أي أظهر (آلات الغسل عرفا) من حيث ان استعماله للغسل أكثر من استعمال غيره (فان قلت ان استعمال الذهب حرام في شرعه عليه السلام) بنصه على حرمته (فكيف استعمل الطست الذهب هنا) قلت (أجاب العارف ابن أبي جمرة بان تحريم الذهب) أي علته (انما هو لاجل الاستمتاع به في هذه الدار) الدنيا (وأما الآخرة فهو للمؤمنين خالصا لقوله عليه السلام هو لهم في الدنيا) الفانية (وهو لنا في الآخرة) الباقية وما هنا كان الغالب أنه من أحوال الآخرة (قال) ابن أبي جمرة (ثم ان الاستمتاع بهذه الطست لم يحصل منه عليه الصلاة والسلام) حتى يجيء السؤال (وانما كان غيره في السائق) أي الحامل (له) حتى أحضره له يقال ساق الصداق الى امرأته حمله اليها (والمتناول لما كان فيه حتى وضعه في القلب المبارك فسوقان) مصدر على فعلان هذا ظاهره ولم يذكره الجوهري ولا المجد ولا غيرهما وانما قالوا في مصدر ساق سوقا وسياقة ومساقا فينظر سند المصنف (الطست من هناك وكونه كان من ذهب دال على ترفيع المقام) أي اعلائه (فانتفى التعارض بدليل ما قررنا انتهى) جواب ابن أبي جمرة وهو مشتمل على جوابين أحدهما مسلم وهو الاول (و) الثاني (تعقبه الحافظ ابن حجر بانه لا يكفي أن يقال ان المستعمل له ممن لم يحرم عليه ذلك من الملائكة لانه اذا كان قد حرم عليه استعماله لتنزه أن يستعمله غيره في أمر يتعلق ببدنه المكرم) لانه صين عما يخالف شرعه حتى قبل النبوة (ويمكن أن يقال) في الجواب (ان تحريم استعماله مخصوص باحوال الدنيا وما وقع تلك الليلة كان الغالب أنه من أحوال الغيب) ما غاب عن مشاهدة الناس (فيلحق باحوال الآخرة) وهذا مستفاد من الجواب الاول لابن أبي جمرة فاشار الى توافقهما عليه والحافظ لم ينقل كلامه انما قال (ولعل ذلك كان قبل أن يحرم الذهب في هذه الشريعة) ولا يكفي أن يقال الى آخر ما ذكر المصنف فقوله ولعل جواب مستقل فهي ثلاثة وقال أعني الحافظ في أول كلامه خص الذهب لكونه أعلى الاواني الحسنة وأصفاها ولان فيه خواص ليست لغيره ووصل هذا بقوله (ويظهر) لها (ههنا مناسبات) للناظر في المقام لا من خصوص ما قدمه (منها انه من أواني الجنة) كما قال تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب (ومنها أنه لا تأكله النار) وكذلك القرآن لا تأكله النار ولا قلبا وعاه ولا بدنا عمل به يوم القيامة ففيه مناسبة له (ولا التراب) لا يأكله ولا يغيره وكذلك القرآن لا يستطاع تغييره كذا في الروض (ومنها أنه لا يلحقه الصدأ) بفتح المهملتين مهموز (ومنها انه أثقل الجواهر فناسب قلبه عليه الصلاة والسلام لانه من أواني أحوال الجنة) أي من الاواني التي تستعمل في الاحوال التي تقع في الجنة وتحتاج الى اناء وعبارة الحافظ ومنها انه أثقل الجواهر فناسب ثقل الوحي ولا تأكله النار ولا التراب كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء ولا يلحقه الصدأ بخلاف غيره كما قال ان القلوب لتصدأ (وانه أثقل من كل قلب عدل به وفيه مناسبة أخرى وهو ثقل الوحي فيه انتهى) كلام الحافظ (قلت قوله ولعل ذلك قبل أن يحرم استعمال الذهب في هذه الشريعة) يشعر انه لم يطلع فيه على شيء وانما ترجاه من نفسه وينافيه انه (قد جزم هو في أول الصلاة من كتابه فتح الباري بانه تحريم الذهب انما وقع بالمدينة) حيث قال أبعد من استدل به أي حديث المعراج على جواز تحلية المصحف وغيره بالذهب لان المستعمل له الملك فيحتاج الى ثبوت كونهم مكلفين بما كلفنا به ووراء ذلك ان ذلك كان على أصل الاباحة لان تحريم الذهب انما وقع بالمدينة كما سيأتي واضحا في اللباس انتهى

هذا الدواء فان فيهما من عموم التفويض والتوكل والالتجاء والاستعانة والافتقار والطلب والجمع بين اعلاء الغايات وهي عبادة الرب وحده وأشرف الوسائل وهي الاستعانة به على عبادته ما ليس في غيرها ولقد مر بي وقت بمكة سقمت فيه وفقدت الطبيب والدواء فكنت أتعالج بها آخذ شربة من ماء زمزم وأقرؤها عليها مرارا ثم أشربه فوجدت بذلك البرء التام ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الاوجاع فانتفع بها غاية الانتفاع

(فصل) وفي تأثير الرقى بالفاتحة وغيرها في علاج ذوات السموم سر بديع فان ذوات السموم أثرت بكيفيات نفوسها الخبيثة كما تقدم وسلاحها حماتها التي تلدغ بها وهي لا تلدغ حتى تغضب فاذا غضبت ثار فيها السم فتقذفه بآلتها وقد جعل سبحانه لكل داء دواء ولكل شيء ضدا ونفس الراقي تفعل في نفس المرقي فيقع بين نفسهما فعل وانفعال كما يقع بين الداء والدواء فتقوى نفس الرقي وقوته بالرقية على ذلك الداء فيدفعه باذن الله ومدار تأثير الادوية والادواء على الفعل والانفعال وهو كما يقع بين الداء والدواء الطبيعيين يقع بين الداء والدواء الروحانيين والروحاني والطبيعي وفي النفث والتفل استعانة بتلك الرطوبة والهواء والنفس المباشر للرقية

(قال السهيلي و) تلميذه (ابن دحية ان نظر الى لفظ الذهب ناسب من جهة اذهابه الرجس) الاثم والسوء عنه (ولكونه وقع عند الذهاب الى ربه وان نظر الى معناه فلوضاءته ونقائه وصفائه) ولثقله ورثوبته والوحي ثقيل قال الله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ومن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ولانه أعز الاشياء في الدنيا والقرآن هو الكتاب العزيز انتهى كلام السهيلي بهذا الذي زدته زاد ابن دحية ولانه رأس الايمان وقيمة المتلفات فهو اذاً أصل الدنيا والايمان أصل الدين فوقع التنبيه على أن أصل الدنيا آلة لاصل الدين وخادم له ووسيلة اليه وانه اذا قضيت الحاجة منه عدل عنه قال بعض ومن المناسبات خلق سرور القلب عند رؤيته كما قال تعالى في البقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ويكون جعل الذهب آنية الايمان من جنس قوله الدنيا مطية الآخرة (والمراد بقوله ملئ حكمة وايمانا ان الطست جعل فيها شئ يحصل به كمال الايمان والحكمة فسمى حكمة وايمانا مجازا) وأورد السهيلي كيف يكون الايمان والحكمة في طست من ذهب والايمان عرض من الاعراض لا يوصف بها الا محلها الذي تقوم به ولا يجوز فيها الانتقال لانه صفة الاجسام لا الاعراض وأجاب بانه انما عبر عما في الطست بهما كما عبر عن اللبن الذي شربه وأعطى فضله عمر بالعلم فكان تأويل ما أفرغ في قلبه ايمانا وحكمة ولعل الذي كان في الطست ثلجا وبردا كما في الحديث الاول فعبر في المرة الثانية بما يؤول اليه وعبر عنه في الاولى بصورته التي رآها لانه كان طفلا فلما رأى الثلج في طست الذهب اعتقده ثلجا حتى عرف تأويله بعد وفي المرة الاخرى كان نبيا فلما رأى طست الذهب مملوأة ثلجا علم التأويل لحينه أي لوقته واعتقده في ذلك المقام حكمة وايمانا فكان لفظه في الحديثين على حسب اعتقاده في المقامين انتهى (و) هذا (الملء يحتمل أن يكون حقيقة و) تجسد المعاني جائز كما جاء أن سورة البقرة تجيء يوم القيامة كأنها ظلة) كما قال صلى الله عليه وسلم اقرؤا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف الحديث رواه مسلم وأو للتنويع وتقسيم القارئين فالاول لمن قرأهما بلا فهم معناهما والثاني لمن قرأهما مع فهمه والثالث لمن ضم اليهما تعليم المستفيد وارشاد الطالب وبيان حقائقهما وكشف ما فيهما فالاول عام في كل أحد والثاني يختص بمثل الملوك والثالث أرفع كما كان لسليمان وغمامتان بالميم وغيايتان بتحتية كل شئ أظل الانسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها كما في النهاية قال البيضاوي ولعله أراد ما يكون له صفاء وضوء اذ الغياية ضوء شعاع الشمس (والموت) وهو عرض يمثل (في صورة كبش) كما قال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت كأنه كبش أملح حتى يوقف على السور بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة ويا أهل النار هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيضجع ويذبح فلولا ان الله قضى لاهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحا ولولا أن الله قضى لاهل النار الحياة فيها لماتوا ترحا وفي رواية فيذبح وهم ينظرون فلو أن أحدا مات فرحا لمات أهل الجنة ولو أن أحدا مات حزنا لمات أهل النار رواهما الترمذي عن أبي سعيد والقول ان الموت جسم لا يصح قال الحافظ من الاخبار الواهية في صفة البراق ما ذكره الماوردي عن مقاتل وأورده القرطبي في التذكرة ومن قبله الثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال الموت والحياة جسمان فالموت ليس يجد ريحه شئ الا مات والحياة فرس بلقاء أنثى وهي التي كان جبريل والانبياء يركبونها لا تمر بشئ ولا يجد ريحها شئ الا حيي (وكذلك وزن الاعمال وغير ذلك) من أحوال الغيب (وقال البيضاوي) في شرح المصابيح (لعل ذلك من باب التمثيل اذ تمثيل المعاني قد وقع كثيرا كما مثلت له الجنة والنار في عرض الحائط) بضم العين أي جانبه وهذا تنظير لان الجنة والنار ليستا من المعاني التي تنتقل في الذهن ولا صور لهما

والذكر والدعاء فان الرقية تخرج من قلب الراقي وفمه فاذا صاحبها شئ من أجزاء باطنه من الريق والهواء والنفس كانت أتم تأثيرا وأقوى فعلا ونفوذا ويحصل بالازدواج بينهما كيفية مؤثرة شبيهة بالكيفية الحادثة عند تركيب الادوية وبالجملة فنفس الراقي تقابل تلك النفوس الخبيثة وتزيد بكيفية نفسه وتستعين بالرقية وبالنفث على ازالة ذلك الاثر وكلما كانت كيفية نفس الراقي أقوى كانت الرقية أتم واستعانته بنفثه كاستعانة تلك النفوس الرديئة بلسعها وفي النفث سر آخر فانه مما تستعين به الارواح الطيبة والخبيثة ولهذا تفعله السحرة كما يفعله أهل الايمان قال تعالى ومن شر النفاثات في العقد وذلك لان النفس تتكيف بكيفية الغضب والمحاربة وترسل أنفاسها سهاما لها وتمدها بالنفث والتفل الذي معه شئ من الريق مصاحب لكيفية مؤثرة والسواحر تستعين بالنفث استعانة بينة وان لم تتصل بجسم المسحور بل تنفث على العقدة وتعقدها وتتكلم بالسحر فيعمل ذلك في المسحور بتوسط الارواح السفلية الخبيثة فتقابلها الروح الزكية الطيبة بكيفية الدفع والتكلم بالرقية وتستعين

خارجية فلا يصح جعلهما مثالين للمعانى لكنه قصد تقريب تعقل تصوّر المعانى بتصوير الجنة والنار فانهما مع عظمهما صورالة فى عرض الحائط فكما وقع خرق العادة بذلك كذلك لا بعد فى تصوير المعانى بصور محسوسة خرقا للعادة (وفائدته كشف المعنوى) اظهاره وتصويره (بالمحسوس) أى تصويره بصورته للتقريب (وقال العارف ابن أبى جمرة فيه دليل على ان الايمان والحكمة جواهر محسوسات لامعانى لانه عليه السلام قال عن الطست انه أتى به مملوأ حكمة وايمانا ولا يقع الخطاب الاعلى ما يفهم ويعرف) للمخاطبين فالمتبادر منه انها جواهر (والمعانى ليس لها أجسام حتى تملأ) الطست (وانما يملأ الاناء بالاجسام والجواهر) لا بالاعراض (وهذا نص من الشارع عليه الصلاة والسلام بضد ما ذهب اليه المتكلمون فى قولهم ان الايمان والحكمة اعراض والجمع بين الحديث) المذكور الدال على انها جواهر قائمة بأنفسها (وما ذهبوا اليه) من أنها اعراض تقوم بغيرها لا بانفسها (هو أن حقيقة أعيان المخلوقات التى ليس للحواس فيها ادراك ولا) ثبت (من) جهة (النبوة أخبار عن حقيقتها) فلم يخبر بها أحد من الانبياء (غير محققة وانما هو غلبة ظن لان للعقل بالاجماع من أهل العقل المؤيدين بالتوفيق حدا يقف عنده ولا يتسلط فيما عدا ذلك ولا يقدر أن يصل اليه فهذا وما أشبهه منه الانهم تكلموا على ما ظهر لهم من الاعراض الصادرة عن هذه الجواهر التى ذكرها الشارع عليه السلام فى الحديث ولم يكن للعقل قدرة ان يصل الى هذه الحقيقة التى أخبر بها عليه السلام فيكون الجمع بينهما ان يقال ما قاله المتكلمون حق لانه الصادر عن الجواهر وهو الذى يدرك بالعقل والحقيقة ما ذكره عليه الصلاة والسلام فى الحديث) المفيد أنها جواهر محسوسات لانه شاهدها والمتكلمون لم يشاهدوها فوقفوا على ما أدركته عقولهم (ولهذا نظائر كثيرة) واقعة (بين المتكلمين و) ناشئة عن (آثار النبوة) بأن تكلم بها الانبياء أو أخذت مما جاء عنهم (ويقع الجمع بينهما على الاسلوب الذى قررناه وما أشبهه) فيحمل كل من الكلامين المتخالفين على وجه لا يخرج عن قواعد الشرع (ثم مثل) ابن أبى جمرة للنظائر (بمجىء الموت فى هيئة) أى صورة (كبش أملح ثم) مثل (بالاذكار والتلاوة ثم قال لان ما ظهر منها هنا) فى دار الدنيا (معان وتوجد يوم القيامة جواهر محسوسات لانها توزن ولا يوزن فى الميزان الا الجواهر) لاستحالة وزن المعانى (قال وفى ذلك دليل لاهل الصوفة) واحدة الصوف أى القطعة منه وهم السادة الصوفية سموا بذلك للبسهم الصوف أو لصفاء قلوبهم أو لغير ذلك مما هو معلوم (وأصحاب المعاملات) وهى عند الطائفة توجه النفس الانسانى الى باطنها الذى هو الروح الروحانى والسر الربانى واستمدادها منهما ما يزيل به الحجب عنها فيحصل لها قبول المراد فى ازالة كل حجاب ومنازل هذه المعاملات عشر الرعاية والمراقبة والحرمة والاخلاص والتهذيب والاستقامة والتوكل والتفويض والثقة والتسليم سميت هذه المنازل بالمعاملات لان العبد لا تصلح له المعاملة للحق حتى يتحقق بهذه المقامات كما فى اللطائف وقول شيخنا هم الذين يعاملون الله تعالى بالتمادى فى الطاعات واجتناب المنهيات سمى ذلك معاملة أخذا من قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قال البيضاوى اقراضه مثل لتقديم العمل الذى يطلب ثوابه أى اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس أو مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق فى سبيل الله صحيح فى نفسه لكنه غير ما يعنيه الصوفية وان رجع الى بعض ما قالوا (والتحقيق القائلين بانهم يرون قلوبهم وقلوب اخوانهم وايمانهم وايمان اخوانهم باعين بصائرهم) جمع بصيرة وهى قوة للقلب المنور بنور القدس يرى بها حقائق الاشياء وبواطنها بمثابة البصر للعين يرى به صور الاشياء وظاهرها قاله ابن الكمال (جواهر محسوسات فمنهم من يعاين ايمانه مثل المصباح) أى السراج أى الفتيلة الموقودة

بالنفث فايهما قوى كان الحكم له ومقابلة الارواح بعضها البعض ومحاربتها وآلتها من جنس مقابلة الاجسام ومحاربتها وآلتها سواء بل الاصل فى المحاربة والتقابل للارواح والاجسام آلتها وجندها ولكن من غلب عليه الحس لا يشعر بتأثيرات الارواح وأفعالها وانفعالاتها لاستيلاء سلطان الحس عليه وبعده من عالم الارواح وأحكامها وأفعالها والمقصود ان الروح اذا كانت قوية وتكيفت بمعانى الفاتحة واستعانت بالنفث والتفل قابلت ذلك الاثر الذى حصل من النفوس الخبيثة فازالته والله أعلم

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم) فى علاج لدغة العقرب بالرقية روى ابن أبى شيبة فى مسنده من حديث عبد الله بن مسعود قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى اذ سجد فلدغته عقرب فى أصبعه فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعن الله العقرب ما تدع نبيا ولا غيره قال ثم دعا باناء فيه ماء وملح فجعل يضع موضع اللدغة فى الماء والملح ويقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين حتى سكنت ففى هذا الحديث العلاج بالدواء المركب من الامرين الطبيعى والالهى فان فى سورة الاخلاص من كمال التوحيد العلمى الاعتقادى واثبات

(ومنهم من يعاينه مثل الشمعة) واحدة الشمع بفتح الميم وتسكن تخفيفا وقيل الفتح لغة العرب والسكون لغة المولدين (ومنهم من يعاينه مثل المشعل) كمقعد القنديل كما في القاموس والمراد هنا معناه العرفي وهو الشعلة العظيمة والاساوى المصباح ونافى قوله (وهو أقواها) أي أكثر من ضوء المصباح والشمعة (و يقولون بانه لا يكون المحقق محققا حتى يعاين قلبه بعين بصيرته) قلبه فله عين كما أن للجسد عينا (كما يعاين كفه بعين بصره فيعرف الزيادة من النقصان) وحينئذ يكون محققا (فان قلت ما الحكمة في شق صدره الشريف ثم ملئه) بكسر الميم وسكون اللام من عطف الاسم على الاسم هكذا في نسخة صحيحة وهي ظاهرة وفي نسخة ثم ملئ وينبغي تاويله بالمصدر ليحصل التناسب بين المتعاطفين (ايمانا وحكمة ولم يوجد الله تعالى ذلك) المذكور من الايمان والحكمة (فيه) أي القلب (من غير أن يفعل به ما فعل) من الشق قلت (أجاب العارف ابن أبي جمرة بانه عليه السلام لما أعطى كثرة الايمان) أي خصاله وشعبه أو الاسباب المحصلة لكماله فلا يرد أن الايمان هو التصديق وهو شئ واحد لا تعدد فيه ولا تكثر وانما التكثر في متعلقاته من صلاة وصوم ونحوهما (وقوى) بضم القاف أولى من فتحها لاحتياجه لتقدير قوى (التصديق) منه بذلك لكل ما ورد عليه من قبل الله (اذ ذاك) ليس هذا من الاضافة الى المفرد بل الى الجملة الاسمية أو الفعلية والتقدير اذ ذاك كذلك أو اذ كان ذاك كذلك (أعطى برؤيته شق البطن والقلب عدم الخوف في جميع العادات الجارية بالهلاك فحصلت له عليه السلام قوة الايمان من ثلاثة أوجه بقوة التصديق) أي الحاصلة بزيادة الايمان والحكمة (وبالمشاهدة) لشق الصدر وغسل القلب (وعدم الخوف) المترتب على عدم حصول أذى له بعد فعل ما يهلك به عادة (من العادات) أي مما تجري به العادات (المهلكات) جمع عادة وتجمع أيضا على عادة وعوائد وجعل المشاهدة وعدم الخوف من قوة الايمان بناء على انه يزيد وينقص فلا يرد أنهما خارجان عن التصديق الذي هو مسمى الايمان (فكمل له عليه الصلاة والسلام بذلك ما أريد منه من قوة الايمان بالله عز وجل وعدم الخوف مما سواه ولاجل ما أعطيه مما أشرنا اليه كان عليه السلام في العالمين أشجعهم وأثبتهم وأعلاهم حالا ومقالا) أي قولا مصدر قال كقولا ومقالة (ففي) أي فرفعة حاله وشأنه في العالم (العلوي) بضم العين وكسرها مع سكون اللام المكان المرتفع من نسبة الكلي وهو المكان العالي من حيث هو الى جزئيه وهو ما وصل اليه تلك الليلة فانه جزئي من جزئيات مطلق المكان (كان كما أخبر عليه السلام ان جبريل لما وصل الى مقامه) أي جبريل المشار اليه بقوله وما منا الا له مقام معلوم وهو سدرة المنتهى التي لم يتجاوزها أحد الا نبينا صلى الله عليه وسلم قاله النووي (قال ها أنت وربك هذا مقامي) بفتح الميم أي موضعي (لا أتعداه فزج به في النور زجة ولم يتوان ولم يلتفت) أي ألقى نفسه بلا توقف لما عنده من الثبات وقوة القلب (فكان هناك في الحضرة كما أخبر عنه ربه عز وجل بقوله ما زاغ البصر) ما مال بصره صلى الله عليه وسلم عما رآه (وما طغى) ما تجاوزه بل أثبته اثباتا صحيحا متيقنا أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها وما أحسن اختصار الحافظ لهذا كله بقوله في الفتح قال ابن أبي جمرة الحكمة في شق بطنه مع القدرة على ان يمتلئ قلبه ايمانا وحكمة بغير شق الزيادة في قوة اليقين لانه أعطى بشق بطنه وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية فلذا كان أشجع الناس وأعلاهم حالا ومقالا ولذلك وصف بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى (واما حاله عليه السلام في هذا العالم فكان اذا حمي الوطيس) التنور أي اشتد الحرب كما فسر به حديث الآن حمي الوطيس فالاولى اسقاط قوله (في الحرب) اللهم الا ان يجرد عن معناه بان يقال المعنى اذا اشتد

الاحدية لله المستلزمة نفي كل شركة عنه واثبات الصمدية المستلزمة لاثبات كل كمال له مع كون الخلائق تصمد اليه في حوائجها أي تقصده الخليقة وتتوجه اليه علويها وسفليها ونفي الوالد والولد والكفو عنه المتضمن لنفي الاصل والفرع والنظير والمماثل مما اختصت به وصارت تعدل ثلث القرآن ففي اسمه الصمد اثبات كل الكمال وفي نفي الكفو والتنزيه عن الشبيه والمثال وفي الاحد نفي كل شريك لذي الجلال وهذه الاصول الثلاثة هي مجامع التوحيد وفي المعوذتين الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا فان الاستعاذة من شر ما خلق تعم كل شر يستعاذ منه سواء كان في الاجسام أو الارواح والاستعاذة من شر الغاسق وهو الليل وآيته وهو القمر اذا غاب تتضمن الاستعاذة من شر ما ينتشر فيه من الارواح الخبيثة التي كان نور النهار يحول بينها وبين الانتشار فلما أظلم الليل عليها وغاب القمر انتشرت وعاثت والاستعاذة من شر النفاثات في العقد تتضمن الاستعاذة من شر السواحر وسحرهن والاستعاذة من شر الحاسد تتضمن الاستعاذة من النفوس الخبيثة المؤذية بحسدها ونظرها والسورة الثانية

الامر (ركض بغلته) أى ضربها لتعدو (فى نحر العدو) أى صدورهم فلا يهاب أحدا منهم ولا يمنعه من ذلك كثرتهم ولا شدتهم فى الحرب (وهم شاكون) أى داخلون (فى سلاحهم) دروعا وغيرها فهى محيطة بكل بدنهم وفيه مسامحة اذ لا يتأتى أن تكون الاسلحة لهم غير الدروع ظروفا فالظرفية اعتبارية فيه كما فى جذوع النخل بالغ فى جعل السلاح ظرفا لهم كأنهم لشدة تمكنهم منها واستيلائهم عليها مظروفون فيها (ويقول أنا النبى لا كذب) لان صفة النبوة يستحيل معها الكذب فكأنه قال أنا النبى والنبى لا يكذب فلست بكاذب (أنا ابن عبد المطلب) فركوبه البغلة مزيد ثبات لانها ليست من مراكب الحروب بل الامن فالحرب عنده كالسلم وكذا اشهار نفسه مبالغة فى الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو ومر بسط هذا فى حنين (ثم ان فى العناية) أى الاهتمام (بتطهير قلبه المقدس وافراغ الايمان والحكمة فيه اشارة الى مذهب أهل السنة فى ان محل العقل ونحوه من أسباب الادراكات كالنظر او الفكر انما هو القلب لا الدماغ خلافا للمعتزلة والفلاسفة) وبعض أهل السنة كالحنفية وعبد الملك ابن الماجشون من المالكية لكن مذهب الاكثرين ظاهر على اثبات القوى الباطنية ولم يقولوا بها فوصفها بان لها محلا تسمح والمراد أنه جعل للقلب حالة يدرك بها الامور المعقولة وفى قوله من أسباب الادراك اشعار بان المدرك هو العقل وما عداه طريق لادراكه وفى العقل تعاريف نقل المجد منها جملة وقد نقل كلامه المصنف فى الفصل الثانى من المقصد الثالث (وأما الحكمة فى غسل قلبه المقدس عليه الصلاة والسلام) كما مر فى رواية البخارى ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم (فقيل لان ماء زمزم يقوى القلب ويسكن الروع) بالفتح الفزع (قال الحافظ الزين العراقى ولذلك غسل قلبه عليه الصلاة والسلام ليلة الاسراء ليقوى على رؤية الملكوت) باطن الملك وقال ابن أبى جمرة انما لم يغسل بماء الجنة لما اجتمع فى زمزم من كون أصل مائها من الجنة ثم استقر فى الارض فاريد بذلك بقاء بركة النبى صلى الله عليه وسلم فى الارض وقال السهيلى لما كانت زمزم حفرة جبريل روح القدس لام اسمعيل جد النبى صلى الله عليه وسلم ناسب ان يغسل عند دخوله حضرة القدس لمناجاته وقال غيره لما كان ماء زمزم أصل حياة أبيه اسمعيل وقد ربى عليها وعاقلبه عليه وجنده وصار هو صاحبه وصاحب البلدة المباركة ناسب أن يكون ولده الصادق المصدوق كذلك ولما فيه من الاشارة الى اختصاصه بذلك بعد وفاته فانه قد صارت الولاية اليه فى الفتح فجعل السقاية للعباس وولده وحجابة البيت لعثمان بن شيبة وعقبه الى يوم القيامة (واستدل شيخ الاسلام السراج البلقينى بغسل قلبه الشريف به) بماء زمزم (على انه أفضل من ماء الكوثر قال لانه لم يغسل قلبه المكرم الا بافضل المياه) وتوقف السيوطى فيه بان كونه لا يغسل الا بافضل المياه مسلم ولكن بافضل مياه الدنيا اذ الكوثر من متعلقات دار البقاء فلا يستعمل فى دار الفناء ولا يشكل بكون الطست الذى غسل منه صدره صلى الله عليه وسلم من الجنة لان استعمال هذا ليس فيه ذهاب عين بخلاف ذاك وأجاب فى الايعاب بانه اذا سلم انه لا يغسل الا بافضل المياه لزمه تسليم قول البلقينى وتخصيصه بافضل مياه الدنيا لما ذكره لا دليل عليه وكون ماء الكوثر من الجنة لا يقضى عدم الغسل به لان المناسب لحاله صلى الله عليه وسلم ان يستعمل له الافضل مطلقا لا بالنسبة لدار الدنيا اذ الاصل فى الافضل على الاطلاق ان لا يستعمل له الا الافضل كذلك والفرق بينه وبين الطست بما ذكره لا تأثير له لان ذلك الوقت وقت اظهار كرامته وخرق العادة له والاكثر استعمال الذهب فلما جاز علمنا ان القصد به خرق العادة لمزيد اظهار الكرامة وهذا مقتض لاستعمال ماء الكوثر لو كان أفضل فلما نزل الى ماء زمزم اقتضى ذلك بقرينة المقام انه أفضل منه قال وبهذا يرد على من نازع البلقينى أيضا يعنى السيوطى بخبر لقاب قوس أحدكم فى

تتضمن الاستعاذة من شر شياطين الانس والجن فقد جمعت السورتان الاستعاذة من كل شر ولهما شان عظيم فى الاحتراس والتحصن من الشرور وقبل وقوعها ولهذا أوصى النبى صلى الله عليه وسلم عقبة ابن عامر بقراءتهما عقب كل صلاة ذكره الترمذى فى جامعه وفى هذا سر عظيم فى استدفاع الشرور من الصلاة الى الصلاة وقال ما تعوذ المتعوذون بمثلهما وقد ذكر انه صلى الله عليه وسلم سحر فى احدى عشرة عقدة وان جبريل نزل عليه بهما فجعل كلما يقرأ آية منهما انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها وكأنما نشط من عقال وأما العلاج الطبيعى فيه فان فى الملح نفعا لكثير من السموم ولا سيما لدغة العقرب قال صاحب القانون يضمد به مع بذر الكتان للسع العقرب وذكره غيره أيضا وفى الملح من القوة الجاذبة المحللة ما يجذب السموم ويحللها ولما كان فى لسعها قوة نارية تحتاج الى تبريد وجذب واخراج جمع بين الماء المبرد لنار اللسعة والملح الذى فيه جذب واخراج وهذا أتم ما يكون من العلاج وأيسره وأسهله وفيه تنبيه على ان علاج هذا الداء بالتبريد والجذب والاخراج والله أعلم وقد روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتنى البارحة فقال

الجنة خير من الدنيا وما فيها او أجاب عن الغسل به دون ماتها بانه قد ألفه ونشا عليه كجده اسمعيل اذهو أول ماء نبع بمكة لاجله ووجه رده ان الخبر مخصوص والالفة لا تقتضى ماذكر سيما فى مقام اظها رشرفه ونازعه أيضا بان حكمة الغسل به قول الزين العراقى انه يقوى به على رؤية الملكوت لان من خواصه انه يقوى القلب ويسكن الروع فاذا ثبت هذا لم يكن فى الغسل به دلالة على أفضليته لان سلب هذا المعنى عن ماء الكوثر لا يقتضى ان ماء زمزم أفضل منه لان سبب انتفائه عنه انه من مياه الجنة وهى لاروع فيها حتى يحتاج اسلبه فسلبه عنه لعدم المحل القابل لا العجز الفاعل وبان الكوثر مما من الله به على نبيه وأنزل فيه القرآن وزمزم من عطاء اسمعيل ولم ينزل فيها ما نزل من القرآن فيه ومن خصوصياته ان من شرب منه شربة لا يظما بعدها أبدا وغير ذلك انتهى ووجه رده ان ماذكر من الحكمة لم يثبت على انه يكفى فى تقويه قلبه وتسكين روعه ما وقع له من تكرر شق الصدر المنبئ عن بلوغه فى قوة القلب وسكون الروع الى الغاية القصوى فلا يحتاج لشئ آخر وعلى التنزل فكونه غسل به لاجل ذلك لا يقتضى انه غسل به لذلك بل يحتمل انه لذلك ولاظها رشرفه فالامران يحتمل انهما مقصودان فما الدليل على قصره على أحدهما وكون الكوثر مما من الله به على نبينا بخلاف زمزم لا يكون صريحا فى الافضلية وماذكر فيه من الخصوصية ورد فى زمزم أعظم منه وهو أن من شرب منها للامن من العطش يوم القيامة أعطيه كما يصرح به الحديث الصحيح خلافا لمن نازع فيه ماء زمزم لما شرب له وقول ابن الرفعة والماء النابع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم أشرف المياه لا يرد على البلقينى لان قوله الا بافضل المياه أى الموجودة اذ ذاك والنابع لم يكن موجودا اذ ذاك ولا يرد على ابن الرفعة الحديث الصحيح خير ماء على وجه الارض ماء زمزم لان ما نبع من أصابعه لم يكن موجودا عند قوله ذلك انتهى (واليه يومئ قول العارف ابن أبي جمرة فى كتابه بهجة النفوس) اسم شرحه على الاحاديث التى انتخبها من البخارى (وأما قوله عليه الصلاة والسلام فغسل صدرى فالظاهر أن المراد به القلب كما فى الرواية الاخرى) فى البخارى عن مالك بن صعصعة فغسل قلبى وفى رواية مسلم فاستخرج قلبى فغسل بماء زمزم (وقد يحتمل ان تحمل كل رواية على ظاهرها ويقع) أى يحصل (الجمع) بينهما (بان يقال أخبر عليه الصلاة والسلام مرة بغسل صدره الشريف ولم يتعرض لذكر قلبه وأخبر مرة أخرى بغسل قلبه ولم يتعرض لذكر صدره فيكون الغسل قد حصل فيهما) مرة لقلبه بعد اخراجه ومرة لصدره بعد شقه (معا مبالغة فى تنظيف المحل المقدس ولا شك ان المحل الشريف كان طاهرا مطهرا وقابلا لجميع ما يلقى اليه من الخير) ومنه الايمان والحكمة (وقد غسل أولا وهو عليه السلام طفل وأخرج من قلبه نزغة الشيطان وانما كان ذلك اعظاما وتاهبا لما يلقى هناك) لا لازالة أمر مستقذر فيه لكمال خلقه والعلقة التى أخرجت منه لم يكن للشيطان عليها ولم تخرج سبيل وانما قصد باخراجها المبالغة فى اظهار تعظيمه وتكميله من بين أفراد أنواعه (وقد جرت الحكمة بذلك فى غير موضع) وفى نسخة بزيادة ما للتاكيد (مثل الوضوء للصلاة لمن كان متنظفا) ولو نظافة حسية بان غسل بدنه وبالغ فى تنظيفه ولم يات بافعال الوضوء على الوجه المعتبر فيه شرعا (لان الوضوء) الشرعى (فى حقه انما هو اعظام وتاهب للوقوف بين يدى الله تعالى ومناجاته) لان المصلى يناجى ربه والقصد بالوضوء اعظامه اذ ليس ثم دنس محسوس يزيله الوضوء ولا ينافى هذا قول الفقهاء ان الحدث أمر اعتبارى يقوم بالاعضاء يمنع صحة الصلاة حيث لا مرخص لجواز أنهم أرادوا بالاعتبارى معنى أراده الشارع منافيا لكمال التعظيم مع خلو الاعضاء من الدنس الحسى (فكذلك غسل جوفه الشريف هنا) ليس لعدم القابل بل للاعظام

أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرك واعلم ان الادوية الالهية تنفع من الداء بعد حصوله وتمنع من وقوعه وان وقع لم يقع وقوعا مضرا وان كان مؤذيا والادوية الطبيعية انما تنفع بعد حصول الداء فالتعوذات والاذكار اما أن تمنع وقوع هذه الاسباب واما أن تحول بينها وبين كمال تاثيرها بحسب كمال التعوذ وقوته وضعفه فالرقى والعوذ تستعمل لحفظ الصحة ولازالة المرض أما الاول فكما فى الصحيحين من حديث عائشة كان صلى الله عليه وسلم اذا أوى الى فراشه نفث فى كفيه بقل هو الله أحد والمعوذتين ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يده من جسده وكما فى حديث عوذة أبى الدرداء المرفوع اللهم أنت ربى لا اله الا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم وقد تقدم وفيه من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسى ومن قالها آخر نهاره لم تصبه مصيبة حتى يصبح وكما فى الصحيحين من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وكما فى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شئ حتى يرتحل من منزله ذلك وكما فى سنن

والتأهب للمناجاة (وقد قال الله تعالى ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) أى فإن تعظيمها منه من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما قاله البيضاوى (فكان الغسل له عليه السلام من تعظيم شعائر الله واشارة لامته بالفعل) من الملك معه بتعظيم شعائر الله (كما نص عليه بالقول) فى الآية المذكورة (واما قوله ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض) ذكر باعتبار أنه مركوب أو نظر اللفظ البراق (يضع خطوه عند أقصى طرفه) براء ساكنة وفاء أى نظره (فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا وفى روايته عنده) أى البخارى فى الصلاة (ثم أخذ بيدى فعرج بى السماء فظاهره انه استمر على البراق حتى عرج الى السماء) وهذا الظاهر ليس بمراد لما ثبت انه ربط البراق ببيت المقدس ورقى السماء على المعراج كما يأتى بيانه ومشى على ظاهره ابن أبى جمرة فى قوله والقدرة كانت صالحة لان يصعد بنفسه من غير براق لكن ركوب البراق كان زيادة فى تشريفه لانه لو صعد بنفسه كان فى صورة ماش والراكب أعز من الماشى (قال العارف ابن أبى جمرة) عقب هذا (أفاد ذلك انهم كانوا يمشون فى الهواء وقد جرت العادة بان البشر لا يمشى فى الهواء سيما وكان راكبا على دابة من ذوات الاربع) يعنى البراق (لكن لما ان شاءت القدرة ذلك كان) أى شاء ذو القدرة ففيه مضاف أو مصدر بمعنى اسم الفاعل أى القادر وأنث الفعل نظر اللفظ فلا يرد أن القدرة صفة لا تنسب لها المشيئة وانما تنسب لله تعالى (فكما بسط تعالى لهم الارض يمشون عليها كذلك يمشيهم فى الهواء كل ذلك بيد قدرته لا ترتبط قدرته تعالى بعادة جارية) أى لا يتوقف تأثيرها على موافقة عادة بل تؤثر فى كل ممكن أراد تأثيرها فيه وان خالف العادة (وقد مثل عليه السلام حين أخبر عن الاشقياء) الكفار (الذين يمشون على وجوههم يوم القيامة كيف يمشون فقال عليه السلام) ان (الذى أمشاهم فى الدنيا على أقدامهم) فى رواية على أرجلهم (قادر على ان يمشيهم يوم القيامة على وجوههم) والحديث فى الصحيحين عن أنس (انتهى) كلام ابن أبى جمرة (وقد استدل بعضهم بهذا الحديث على ان المعراج كان فى ليلة غير ليلة الاسراء الى بيت المقدس لكون الاسراء اليه لم يذكر هنا) اذ ظاهر قوله فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا انه استمر سائرا به اليها ثم الى حيث شاء الله ولم ينزل بيت المقدس (فاما المعراج ففى غير هذه الرواية من الاخبار) ما يدل على (انه لم يكن على البراق بل رقى فى المعراج وهو السلم كما وقع التصريح به فى حديث عند ابن اسحق والبيهقى فى الدلائل) النبوية من حديث أبى سعيد (كما سيأتى ان شاء الله تعالى) قريبا (ويمكن ان يقال) فى الجمع (ما) الذى (وقع هنا اختصار من الراوى) فيرد ما هنا الى تلك الرواية كان يقال قوله حتى أتى السماء الدنيا ذكر غاية ما وصل به جبريل ولم ينظر لتفاصيل ما دون ذلك (والاتيان بثم المقتضية للتراخى لا ينافى وقوع الاسراء بين الامرين المذكورين وهما الانطلاق) المذكور فى قوله فانطلق بى جبريل (والعروج) المذكور بقوله حتى أتى السماء وفى نسخة الاطباق بكسر الهمزة فطاء ساكنة فموحدة ثم قاف أى اطباق صدره كما كان وفيه تعسف (وحاصله) أى هذا الجمع (ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر) وقال النعمانى ما المانع من انه صلى الله عليه وسلم رقى المعراج فوق ظهر البراق لظاهر الحديث انتهى والمانع موجود وهو أحاديث ربطه البراق بالحلقة كما يأتى (وثابت البنانى) بضم الموحدة وبالنون (قد حفظ الحديث فى روايته عند مسلم) عن أنس (انه أتى الى بيت المقدس فصلى به ثم عرج الى السماء كما سيأتى ان شاء الله تعالى) ومن قواعد المحدثين تقديم رواية من حفظ القصة وفصلها فيرد اليه رواية من أجمل أو نقص فيها (وقد قيل الحكمة

أبى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى السفر يقول بالليل يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما يدب عليك أعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن ساكن البلد ومن والد وما ولد

(فصل) وأما الثانى فكما تقدم من الرقية بالفاتحة والرقية للعقرب وغيرها عما يأتى

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم) فى رقية النملة قد تقدم من حديث أنس الذى فى صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم رخص فى الرقية من الحمة والعين والنملة وفى سنن أبى داود عن الشفاء بنت عبد الله قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة فقال ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة * النملة قروح تخرج فى الجنبين وهو داء معروف وسمى نملة لان صاحبه يحس فى مكانه كأن نملة تدب عليه وتعضه وأصنافها ثلاثة قال ابن قتيبة وغيره كان المجوس يزعمون ان ولد الرجل من أخته اذا خط على النملة شفى صاحبها ومنه قول الشاعر

ولا عيب فينا غير عرق لمعشر * كرام وانا لا نخط على النمل

في الاسراء به راكبا مع القدرة على طى الارض له اشارة الى ان ذلك وقع تانيسا له بالعادة) حيث أسرى به راكبا مع امكان ايصاله بلا ركوب بل لو أراد حضوره بغير شئ كان (في مقام خرق العادة) حيث قطع تلك المسافات الكثيرة ذهابا وايابا في أقل زمن (لان العادة جرت ان الملك اذا استدعى) أى طلب (من يختص به بعث اليه بمركوب سنى) أى شريف (يحمله عليه في وفادته اليه) فعامله بذلك تانيسا وتعظيما (وفي كلام بعض أهل الاشارات) أى محقق الصوفية (لما كان صلى الله عليه وسلم ثمرة شجرة الكون) يعنون بالشجرة في اصطلاحهم الانسان الكامل المشار اليه في آية النور وهو الشجرة المباركة الزيتونة التى لا شرقية ولا غربية لاعتدالها بين طرفى الافراط والتفريط في الاقوال والاحوال (ودرة صدفة الوجود وسر معنى كلمة كن) السر يعنى به حصة كل موجود من الحق بالتوجه الايجادى المنبه عليه بقوله تعالى انما أمرنا الشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فقولهم لا يحب الحق الا الحق ولا يطلب الحق الا الحق ولا يعلم الحق الا الحق انما أشاروا بذلك الى السر المصاحب من الحق للخلق على الوجه الذى عرفت فانه هو الطالب للحق والمحب له والعالم به كذا في الاعلام باشارات أهل الالهام (ولم يكن بد) فراق ومحالة (من عرض هذه الثمرة بين يدى مثمرها رفعها الى حضرة قدسه والطواف) الدوران (بها على ندمان حضرته أرسل اليه) جبريل (أعز خدام الملك) بكسر اللام سبحانه (عليه فلما ورد عليه قادما وافاه على فراشه نائما فقال) بلسان الحال (قم يا نائم فقد هيئت لك الغنائم) جمع غنيمة (فقال) بلسان حاله (يا جبريل الى أين فقال يا محمد ارفع الاين من البين انما أنا رسول القدم) أى لذى القدم وهو الحق تعالى (أرسلت اليك لاكون من جملة الخدم يا محمد أنت مراد الارادة) المراد عبارة عن المجذوب عن ارادته مع تهيؤ الامور له فجاوز الرسوم كلها والمقامات من غير مكابدة وهزاهز وهذا مراد شيخ الاسلام أبى اسمعيل الانصارى بقوله المراد هو المختطف من وادى التفرق الى ربوة الجمع وهذا هو الانسان الذى اجتباه الحق واستخلصه (الكل) أى كل المخلوقات (مراد لاجلك) كما قال تعالى لآدم لولا محمد ما خلقتك رواه الحاكم مرفوعا وروى أبو الشيخ والحاكم وصححه عن ابن عباس أوحى الله الى عيسى آمن بمحمد ومر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار وذكر ابن سبع وغيره عن على ان الله قال لنبيه من أجلك اسطح البطحاء وأموج الموج وارفع السماء وأجعل الثواب والعقاب (وأنت مراد لاجله أنت صفوة كأس المحبة أنت درة هذه الصدفة أنت شمس المعارف) هى في اصطلاح القوم عبارة عن احاطة العبد بعينه وادراك ماله وعليه كما قال الامام الجنيد ان تعرف مالك وماله (أنت بدر اللطائف) جمع لطيفة وهى كل اشارة دقيقة المعنى تلوح في الفهم لا تسعها العبارة (ما مهدت الدار الا لاجلك ما جلى ذلك الحمى الا وصلك ما روق كأس المحبة الا شربك) فسر شيخ الاسلام الهروى في منازل السائرين المحبة بأنها تعلق القلب بين الهمة والانس في البذل والمنع أى بذل النفس للمحبوب ومنع القلب من التعرض الى ما سواه وانما يكون ذلك باقرار المحب لمحبوبه بالتوجه اليه والاعراض عما عداه وذلك عندما ينسى أوصاف نفسه في ذكر محاسن حبه فتذهب ملاحظته الثنوية والى هذا المعنى أشار القائل بقوله

شاهدته وذهلت عنى غيرة * منى عليه فذا المثنى مفرد

وانما كانت المحبة حالة بين الهمة والانس كما أشار اليه الشيخ لان المحب لما كان أشد الراغبين طلبا صارت الهمة من جملة أوصافه اذ المراد بالهمة شدة طلب القلب للحق طلبا خالصا عن رغبة في ثواب أو رهبة من عقاب ولما كان الطلب بالهمة قد يعرى عن الانس ومن شرط المحب كونه مستأنسا بمحاسن

محبوبه

وسلم وكانت قد بايعته بمكة قالت يا رسول الله انى كنت أرقى في الجاهلية من النملة وانى أريد أن أعرضها عليك فعرضتها فقالت بسم الله صلت حتى تعود من أفواهها ولا تضر أحدا اللهم اكشف البأس رب الناس قال ترقى بها على عود سبع مرات وتقصد مكانا نظيفا وتدلكه على حجر بخل خمر حاذق وتطليه على النملة وفي الحديث دليل على جواز تعليم النساء الكتابة

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في رقية الحية قد تقدم قوله لا رقية الا في عين أو حمة الحمة بضم الحاء وفتح الميم وتخفيفها وفي سنن ابن ماجه من حديث عائشة رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقية من الحية والعقرب ويذكر عن ابن شهاب الزهرى قال لدغ بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حية فقال النبى صلى الله عليه وسلم هل من راق فقالوا يا رسول الله ان آل حزم كانوا يرقون رقية الحية فلما نهيت عن الرقى تركوها فقال ادعوا عمارة بن حزم فدعوه فعرض عليه رقاه فقال لا بأس بها فاذن له فيها فرقاه

محبوبه مستغرقا وجب أن يكون المحب موصوفا بالانس فلذا اكتفت المحبة بالهمة الانس (فقال عليه السلام) بلسان الحال (يا جبريل فالكريم يدعوني اليه فما الذي يفعل قال ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أي يستر الذنب عنك فلا تلابسه (قال يا جبريل هذا لي فما للعيالي) أمتي (واطفالي) أصحابه وآلي (قال ولسوف يعطيك ربك فترضى) فقال صلى الله عليه وسلم اذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار روى البيهقي عن ابن عباس في هذه الآية قال رضاه أن يدخل أمته كلهم الجنة وفي مسلم عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عن ابراهيم فمن تبعني فانه مني وعن عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك ثم رفع يديه فقال اللهم أمتي وبكى فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك (قال الآن طاب قلبي) لذوز كا (ها أنا ذاهب الى ربي ثم قال جبريل يا محمد انما جئت اليك الليلة لأكون خادم دولتك وحاجب حاشيتك) جانبك قال المصباح حاشية الثوب جانبه والجمع الحواشي وحاشية النسب كأنه ماخوذ منه وهو الذي يكون على جانبه كالعم وابنه (وحامل غاشيتك) بغين وشين معجمتين اسم لشيء نفيس يحمل امام الاكابر ويمشي به بين يديهم عرفا والغشاء في الاصل الغطاء وزنا ومعنى (وجيء بالمركوب اليك لاظهار كرامتك لان من عادة الملوك اذا استزاروا حبيبا) طلبوا زيارته (أو استدعوا قريبا وأرادوا اظهور كرامته واحترامه أرسلوا أخص خدامهم وأعزة وامهم لنقل أقدامهم) أي الذين أرسل اليهم وجمعه حملا على ان المراد بالحبيب الجنس الصادق بالواحد والمتعدد (فجئناك على رسم عادة الملوك) تأنيسا بالعادة (وآداب السلوك) وهو في اصطلاح الطائفة عبارة عن الترقي في مقامات القرب الى حضرات الرب فعلا وحالا وذلك بان يتحد باطن الانسان وظاهره فيما هو بصدده مما يتكلفه من فنون المجاهدات وما يقاسيه من مشاق المكابدات بحيث لا يجد في نفسه حرجا من ذلك (ومن اعتقد انه يصل اليه بالخطا) بالضم جمع خطوة ما بين القدمين (فقد وقع في الخطا) بالفتح خلاف الصواب (ومن ظن انه محجوب بالغطاء) بغين معجمة (فقد حرم العطاء انتهى والحكمة في كون البراق) الذي أعد له وتعلق علمه تعالى بانه سيسرى به عليه (دابة دون البغل وفوق الحمار أبيض) أو فيه حذف أي الحكمة في المجيء له بالبراق الموصوف بما ذكر فلا يرد أنه ليس المراد بيان حكمة خلق البراق على هذه الصورة فحق العبارة الحكمة في المجيء له بالبراق دون فرس مثلا (ولم يكن على شكل الفرس) التي هي أشرف الدواب المركوبة (اشارة) خبر الحكمة (الى أن الركوب كان في سلم وأمن لا في حرب وخوف) فان الحرب هي التي يعتد لها بنحو الفرس وصورة البراق لم يعهد عليه قتال البتة (أو لاظهار المعجزة) أي المبالغة في اظهارها (بوقوع الاسراء الشديد بدابة لا توصف بذلك في العادة) لكن البياض لا دخل له في الحكمتين فلعل ذكره لبيان الواقع أو لاظهار السر ورلان البياض يختار عادة لاظهاره (وذكره بقوله أبيض باعتبار كونه مركوبا أو عطفا) لغويا أي ميلا يقال عطفت على كذا ملت له (على لفظ البراق) وعلى بمعنى الى ولفظ الفتح أو بالنظر للفظ البراق (واختلف في) اشتقاق (تسميته بذلك) لقوله الآتي ويحتمل أن لا يكون مشتقا (فقيل) مشتق (من البريق) اللمعان أي سمي بذلك لمعان بدنه لصفاء بياضه (وقال القاضي عياض لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء اذا كان في خلال صوفها الابيض طاقات سود) قال الحافظ ولا ينافيه وصفه في الحديث بانه أبيض لان البرقاء من الغنم معدودة في البيض انتهى ولكن اعترض بان هذا الوصف لم يثبت للبراق وما يأتي ان صدره ياقوتة حمراء ضعيف (وقيل) مشتق (من البرق) ما يلمع من السحاب (لانه وصف بسرعة السير) فاشبه البرق في سيره (ويحتمل أن لا يكون مشتقا) فلا يلاحظ في تسميته أخذه من مادة أصلا وانما هو اسم له (ووصفه بانه يضع خطوه عند أقصى طرفه) بسكون

أخرجا في الصحيحين عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى الانسان أو كانت به قرحة أو جرح قال باصبعه هكذا ووضع سفيان سبابته بالارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا ليشفى سقيمنا باذن ربنا هذا من العلاج السهل الميسر النافع المركب وهي معالجة لطيفة يعالج بها القروح والجراحات الطرية لاسيما عند عدم غيرها من الادوية اذ كانت موجودة بكل أرض وقد علم ان طبيعة التراب الخالص باردة يابسة مجففة لرطوبات القروح والجراحات التي تمنع الطبيعة من جودة فعلها وسرعة اندمالها لاسيما في البلاد الحارة وأصحاب الامزجة الحارة فان القروح والجراحات يتبعها في أكثر الامر سوء مزاج حار فيجتمع حرارة البلد والمزاج والجراح وطبيعة التراب الخالص باردة يابسة أشد من برودة جميع الادوية المفردة الباردة فتقابل برودة التراب حرارة المرض لاسيما ان كان التراب قد غسل وجفف ويتبعها أيضا كثرة الرطوبات الرديئة والسيلان والتراب مجفف لها مزيل لشدة يبسه وتجفيفه الرطوبة الرديئة المانعة من برءها

الراء و بالفاء أى نظره (أى يضع رجله) بيان للمراد بخطوه فليس المراد نفس المصدر (عند منتهى ما يرى بصره) فالطرف بمعنى البصر فقوله عند أقصى طرفه أى فى المكان الذى هو غاية منتهى ما يصل اليه بصره (وقال ابن المنير يقطع ما انتهى اليه بصره فى خطوة واحدة قال فعلى هذا يكون قطع من الارض الى السماء فى خطوة واحدة لان بصر الذى فى الارض يقع على السماء فبلغ أعلى السموات فى سبع خطوات) اخبار عما وصف به فى حالة عروجه لانه يرى كل سماء وهو فيما دونها انتهى كلام ابن المنير وهو مبنى على انه عرج به على البراق أخذا بظاهر الحديث والصحيح خلافه (وفى حديث ابن مسعود عند أبى يعلى والبزار كما أفاده فى الفتح ما لفظه اذا أتى) بمعنى أقبل (على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه) فلا مشقة على راكبه فى صعود ولا هبوط (وفى رواية لابن سعد) محمد (عن الواقدى) محمد بن عمر بن واقد (باسانيده له جناحان قال الحافظ ابن حجر ولم أرها لغيره) وهو عجب مع قول الشامى قوله له جناحان فى فخذيه يحفز بهما رواه ابن اسحق وابن جرير وابن المنذر عن الحسن البصرى مرسلا ورواه ابن سعد من طريق الواقدى وابن عساكر من حديث جماعة من الصحابة ويحفز بفتح التحتية وسكون المهملة وكسر الفاء فزاى يحث بهما رجليه على سرعة السير قال ابن الاثير الحفز الحث والاعجال ولعل سر كونهما فى فخذيه لثقل مؤخر الدابة أولان ذلك جار على هذا الامر فى خرق العادة أولانهما لو كانا فى جنبيه على العادة لكانا تحت فخذى الراكب أو فوقهما ويحصل له مشقة بضمهما ونشرهما اخصه وصا مع السرعة العظيمة انتهى (وعند الثعلبى بسند ضعيف عن ابن عباس فى صفة البراق لها خد كخد انسان وعرف) بضم المهملة واسكان الراء وقد تضم وبالفاء (كعرف الفرس) وهو شعره النابت فى محدب رقبته (وقوائم كالابل) أى كقوائمها (واظلاف) بمعجمة جمع ظلف بالكسر للبقرة والشاة بمنزلة القدم لنا (وذنب كالبقر) عائد لهما أى لها أظلاف كالبقر وذنب كالبقر (وكان صدره ياقوتة حمراء) تشبيه بليغ أى كياقوتة لان ذاته ياقوتة بالفعل هذا ان قرئ كان بالفعل فان قرئ بالتشديد والهمز فهو تشبيه حقيقى لكن ظاهر السياق الاول (وفى رواية أبى سعد) هكذا فى نسخة صحيحة باداة الكنية واسكان العين واسمه عبد الرحمن بن الحسن الاصفهانى النيسابورى الحافظ المشهور الثقة المتوفى سنة سبع وثلثمائة وقد وصفه الذهبى فى تاريخه بالحافظ وأغفله من طبقات الحفاظ والسهيلى يكنيه أبا سعيد بالياء ورده مغلطاى بانه انما هو سعد بسكون العين ويقع فى نسخ ابن سعد وهى خطأ لقوله (فى شرف المصطفى) اذ هذا الكتاب انما هو لابى سعد عبد الرحمن لا لابن سعد محمد والذى فى الفتح وغيره أبى سعد (فكان الذى أمسك بركابه جبريل و بزمام) بكسر الزاى مقود (البراق ميكائيل) ولا ينافى ذلك ان جبريل كان راكبا معه كما يأتى لانه أمسك ركابه حتى ركب فركب امامه نعم يعارضه رواية وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره رواه سعيد بن منصور والطبرانى وابن مردويه فانه ظاهر فى عدم الركوب الا أن يكون ذلك اخبارا عن مبدأ سيره ثم ركب جبريل قدامه رفقا به والعلم لله (وفى رواية معمر عن قتادة عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسرى به مسرجا ملجما) حالان من البراق (فاستصعب عليه) أى عسر وامتنع (فقال له جبريل ما حملك على هذا) يعنى أى شئ أغراك بهذا أى ما منعك من الانقياد له مع انه أعظم من يستحق غاية التعظيم لانه (ما ركبك خلق) أى مخلوق (أكرم على الله منه) بل هو أكرم من ركبك على مفاد النفى عرفا وان صدق لغة بالمساواة (قال فارفض) سال وجرى (عرقا) منصوب على التمييز من الفاعل ولهذا ورد مخففا والمعنى خجل من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب قاله فى الآيات الباهرة (أخرجه الترمذى وقال حسن غريب

ويحصل به مع ذلك تعديل مزاج العضو العليل ومتى اعتدل مزاج العضو قويت قواه المدبرة ودفعت عنه الالم باذن الله ومعنى الحديث انه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شئ فيمسح به على الجرح ويقول هذا الكلام لما فيه من بركة اسم الله وتفويض الامر اليه والتوكل عليه فينضم أحد العلاجين الى الآخر فيقوى التأثير وهل المراد بقوله تربة أرضنا جميع الارض أو أرض المدينة خاصة فيه قولان ولا ريب ان من التربة ما تكون فيه خاصية ينفع بخاصيته من أدواء كثيرة ويشفى بها أسقاما رديئة قال جالينوس رأيت بالاسكندرية مطحولين ومستسقين كثيرا يستعملون طين مصر ويطلون به على سوقهم وأفخاذهم وسواعدهم وظهورهم وأضلاعهم فينتفعون بمنفعة بينة قال وعلى هذا النحو قد يقع هذا الطلاء للاورام العفنة والمترهلة الرخوة قال وانى لاعرف قوما ترهلت أبدانهم كلها من كثرة استفراغ الدم من أسفل انتفعوا بهذا الطين نفعا بينا وقوما آخرين شفوا به أوجاعا منه كانت متمكنة فى بعض الاعضاء تمكنا شديدا فبرأت وذهبت أصلا

وصححه ابن حبان) من حديث أنس وأخرجه أبو داود والطبراني والبيهقي وصححه من حديث شداد بن أوس (وذكر ابن اسحق) حيث قال حدثت (عن قتادة انه لما شمس) بفتح المعجمة والميم فسين مهملة أي منع ظهره من ركوبه بامتناعه (وضع جبريل عليه السلام يده على معرفته) بفتح فسكون ففتح موضع نبات العرف أي الشعر النابت على عنقه (وقال أما تستحي وذكر نحوه) فقال اما تستحي يا براق مما تصنع فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم عليه منه فاستحيا حتى ارفض عرقا ثم قر حتى ركبته (لكنه مرسل لانه لم يذكر أنسا) انما قال قتادة حدثت عن رسول الله قال لما دنوت منه لاركبه شمس فذكره (وفي رواية وثيمة) بمثلثة وتحتية وميم (عند ابن اسحق نعست) الدابة كذا في النسخ وهو تصحيف فالذي في الفتح وغيره فارتعشت (حتى لصقت بالارض فاستويت عليها وفي رواية النسائي وابن مردويه) بفتح الميم ويكسر كما مر (من طريق يزيد) بتحتية فزاي (ابن أبي مالك) عبد الرحمن الهمداني بالسكون الدمشقي القاضي صدوق ربما وهم مات سنة ثلاثين ومائة أو بعدها روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه (عن أنس نحوه موصولا وزاد وكانت تسخر للانبياء قبله ونحوه في حديث أبي سعيد الخدري عند ابن اسحق) محمد صاحب السيرة (وفيه دلالة على ان البراق كان معدا لركوب الانبياء خلافا لمن نفى ذلك كابن دحية وأول قول جبريل فما ركبك أكرم على الله منه أي ما ركبك أحد قط فكيف يركبك أكرم منه) فيكون من نفي الموصوف فينتفي ذلك الوصف بانتفائه وهي طريقة معلومة خرجوا عليها قوله تعالى لا يسألون الناس الحافا أي لا سؤال فلا الحاف ولم يرد اثبات السؤال ونفي الالحاف بدليل يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف اذ التعفف لا يجامع المسئلة وقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين أي لا شافع فلا شفاعة بغير عمد ترونها أي لا عمد فلا رؤية (فيكون مثل قول امرئ القيس على لاحب) بمهملة وموحدة طريق واضح (لا يهتدى لمناره) أي علمه (فيفهم ان له منارا لا يهتدى له وليس المراد الا انه لا منار له البتة) فالمراد نفي المنار من أصله لا اثبات منار انتفى عنه الاهتداء (فتأمله) لان شرط التخريج على هذا اذا وجد ما يدل عليه وليس كذلك هنا كيف (وقد جزم السهيلي بان البراق انما استصعب عليه لبعد ركوب الانبياء قبله) فصرح بانه ليس خاصا به وهو من الحفاظ الكبار وهو مثبت فيقدم على نفي تلميذه ابن دحية وان وافقهما (قال النووي قال صاحب مختصر العين) الزبيدي (وتبعه صاحب التحرير كان الانبياء يركبون البراق قال) النووي متعقبا لهما وهذا يحتاج الى نقل صحيح انتهى وتقدم النقل بذلك) قريبا (قال في الفتح ويؤيده ظاهر قوله فربطته) أي شددته (بالحلقة التي تربط) بكسر الباء وضمها لغة (بها الانبياء انتهى فليتأمل فانه ليس فيه فربطته بالحلقة التي تربطه بها الانبياء) بالضمير (وانما قال تربط بها الانبياء وسكت عن ذكر المربوط ماهو فيحتمل كما قال ابن المنير أن يكون غير البراق) ويصير تقديره تربط بها الانبياء دوابهم وذلك لا يستلزم كون البراق مركوبا لهم وهذا لا يرد على الحافظ لانه لم يقل يؤيده قوله انما قال ظاهر قوله ولا شك ان ظاهره ربط البراق لانه المحدث عنه وأما هذا الاحتمال فبعيد وأبعد منه قوله (ويحتمل ان يريد ارتباط الانبياء أنفسهم بتلك الحلقة أي تمسكهم بها ويكون من جنس العروة الوثقى) وهو متمسك المحق من من النظر الصحيح والرأي القويم كما في البيضاوي انتهى كلام ابن المنير ثم استدرك المصنف تعقبه على الحافظ بان الروايات يفسر بعضها بعضا فتعين ان المراد تربط به البراق لا الدواب ولا أنفسهم فقال (لكن وقع التصريح بذلك في حديث أبي سعيد عند البيهقي ولفظه فاوثقت) أي ربطت (دابتي بالحلقة التي كانت الانبياء تربطها فيه وقد وقع عند ابن اسحق) في المبتدا (من رواية وثيمة في ذكر الاسراء أيضا فاستصعب البراق وكانت الانبياء تركبها قبلي وكانت بعيدة العهد بركوبهم لم تكن ركبت في

وقال صاحب الكتاب المسيحي قوة الطين المجلوب من كنوس وهي جزيرة المصطكي قوة تجلو وتغسل وتنبت اللحم في القروح وتختم القروح انتهى اذا كان هذا في هذه التربات فما الظن باطيب تربة على وجه الارض وأبركها وقد خالطت ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقارنت رقيته باسم ربه وتفويض الامر اليه وقد تقدم ان قوى الرقية وتاثيرها بحسب الراقي وانفعال المرقى عن رقيته وهذا أمر لا ينكره طبيب فاضل عاقل مسلم فان انتفى أحد الاوصاف فليقل ما شاء

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في علاج الوجع بالرقية

روى مسلم في صحيحه عن عثمان بن أبي العاص انه شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في جسده منذ أسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر ففي هذا العلاج من ذكر اسم الله والتفويض اليه والاستعاذة بعزته وقدرته من شر الالم ما يذهب به وتكراره ليكون أنجع وأبلغ كتكرار الدواء لاخراج المادة وفي السبع خاصية لا توجد في غيرها وفي الصحيحين أنه

القترة) التى بينه وبين عيسى وهى ستمائة على الصحيح (وفى مغازى ابن عائذ من طريق الزهرى عن سعيد بن المسيب قال البراق هى الدابة التى كان يزور ابراهيم عليها اسمعيل) وفى أوائل الروض للسهيلى ان ابراهيم حمل هاجر على البراق لما سار الى مكة بها وبولدها وفى كتاب مكة للفاكهى والازرقى أن ابراهيم كان يحج على البراق فهذه آثار يشد بعضها بعضا وجاءت آثار أخرى تشهد لذلك لم أر الاطالة بايرادها قاله الحافظ (وعلى ذلك) كله (فلا يكون ركوب البراق من خصائصه صلى الله عليه وسلم) قال النعمانى ولعل النافى ركوب غيره لم يستحضر هذه الاحاديث والآثار لانه اقتصر على الحديثين ولم أر نصا ينفى ركوب غيره من الانبياء عليه ومعارضة النص بتاويل قول جبريل فيه نظر بل وردما يدل على ان غير الانبياء ركبه ففى أوائل روض السهيلى ان ابراهيم حمل هاجر على البراق لما سار الى مكة بها وبولدها وفيه أيضا عن الطبرى أوحى الله الى أرمياء أن اذهب الى بختنصر فاعلمه أنى قد سلطته على العرب فاحمل معدا على البراق كى لا تصيبه النقمة فانى مستخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل فحمله معه على البراق الى أرض الشام انتهى (نعم قيل ركوبه مسرجا ملجما لم يرو لغيره من الانبياء عليهم السلام) فيحمل القول بان ركوبه من خصائصه على ركوبه مسرجا ملجما لا مطلقا فلا ينافى ان غيره ركبه لا بهذه الصفة (فان قلت ما وجه استصعاب البراق عليه أجيب) أى أجاب ابن المنير (بانه) أى وجهه (تنبيه) اعلام (أنه لم يذل قبل ذلك ان قلنا ان لم يركبه أحد قبله أو لبعد العهد به ان قلنا انه ركب قبله) وهما قولان أرجحهما الثانى كما علم (ويحتمل أن يكون استصعابه تيها) بكسر الفوقية وسكون التحتية تكبرا (وزهوا) عطف تفسير ففى القاموس الزهو التيه والفخر (بركوبه صلى الله عليه وسلم وأراد جبريل) بقوله (أبمحمد تستصعب استنطاقه بلسان الحال انه لم يقصد الصعوبة وانما تاه زهوا لمكان الرسول عليه السلام منه) أى لوجوده عنده وارادته ركوبه (ولهذا قال فارفض عرقا فكأنه أجاب بلسان الحال متبريا من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب) أى عتاب جبريل له (ومثل هذا رجفة الجبل) تحركه (به حتى قال) كما فى الصحيح عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال (أثبت أحد فانما عليك نبى وصديق) أبو بكر (وشهيدان) عمر وعثمان (فانها هزة الطرب) الفرح (لا هزة الغضب) فلذا قر الجبل وسكن (وكذا البراق لما قال له جبريل أسكن فما ركبك أحد أكرم على الله منه أقر فاستقر) سكن (وخجل من ظاهر الاستصعاب وتوجه الخطاب) اليه بالعتاب (فعرق حتى غرق) أى عمه العرق فشبه عمومه له بالغرق فى الماء (ووقع فى حديث حذيفة) بن اليمان (عند الامام أحمد قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فلم يزل على ظهره هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت المقدس وهذا لم يسنده حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه قاله عن اجتهاد) ولم تبلغه الاحاديث التى فيها نزوله فى أماكن قبل بيت المقدس (ويحتمل ان يكون قوله هو وجبريل متعلقا بمرافقته فى السير لا فى الركوب) الى بيت المقدس دون نزوله قبله فلا يخالفه أحاديث نزوله قبله فى أماكن (وقال ابن دحية معناه وجبريل قائد أو سائق أو دليل قال وانما جزمنا بذلك لان قصة المعراج كانت كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم فلا مدخل لغيره فيها) وتبعه ابن المنير وغيره والتعليل لا ينهض فان من جملة كرامتها كرام صاحبه (وقد تعقب الحافظ ابن حجر) فقال يرد (التاويل المذكور بان فى صحيح ابن حبان من حديث ابن مسعود ان جبريل حمله على البراق رديفا له) أى جاعلا له خلفه (وفى رواية الحرث) بن أبى أسامة (فى مسنده) عن ابن مسعود (أتى بالبراق فركبه خلف جبريل) وكأنه لسرعة السير وكونه ليلا وكونها دابة غير مالوفة فخفف عليه لئلا ينزعج فلم يجعله أمامه

النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بعض أهله يمسح عليه بيده اليمنى ويقول اللهم رب الناس اذهب الباس واشف أنت الشافى لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما ففى هذه الرقية توسل الى الله بكمال ربوبيته وكمال رحمته بالشفاء وانه وحده الشافى وانه لا شفاء الا شفاؤه فتضمنت التوسل اليه بتوحيده واحسانه وربوبيته

* (فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم) * فى علاج حر المصيبة وحزنها قال تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون وفى المسند عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلف لى خيرا منها الا أجره الله فى مصيبته واخلف له خيرا منها وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب وأنفعه له فى عاجلته وآجلته فانها تتضمن أصلين عظيمين اذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته * أحدهما ان العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة وقد جعله عند العبد عارية فاذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير وأيضا فانه محفوف

أمامه (فسار بهما فهذا اصريح في ركوبه معه والله أعلم انتهى) ومعلوم تقديم صريح المنقول على مقتضى العقول (وقد وقع في غير هذه الرواية بيان ما رآه ليلة الاسراء) قبل اتيانه بيت المقدس فلا يحسن ابقاء قول حذيفة استمرا على ظهر البراق حتى انتهيا الى بيت المقدس على ظاهره وكذا قوله في حديث مالك ابن صعصعة ثم أتيت بدابة فحملت عليها فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا لا يليق بقاؤه على ظاهره لانه مجمل فيقضى عليه المفصل من الاحاديث المذكور فيها ما رآه في ذهابه وايابه وفي السموات ولما كانت ما صيغة عموم تفيد استيعاب جميع ما رآه أتى بقوله (فمن ذلك) لافادة أنه لم يستوعب ذلك (ما وقع في حديث شداد بن أوس عند البزار والطبراني وصححه البيهقي في الدلائل انه أول ما) أي شئ رآه ليلة (أسري به مر بأرض ذات نخل) فهو أول المرئيات أو سماه أول باعتبار قطع المسافة سريعا فلا يقال بين مكة و يثرب مسافة طويلة فلا يصدق الخبر على المبتدا وهو أول فعلى هذا فالخبر جملة قوله مر الخ بتقدير انه واسمها ضمير الشان أو يجوز نصب أول على انه ظرف متعلق بمر فما مصدرية واسم ان ضمير للنبي صلى الله عليه وسلم أي انه مر أول اسرائه بارض والاولية نسبية أي انه عند المرور أول اسرائه مع تأخره لقصر سيره فيه وقرر شيخنا ان هذا أحسن (فقال له جبريل أنزل فصل) فنزل (فصلى) ثم ركب (فقال له أتدري أين صليت) فقلت الله أعلم هكذا في حديث شداد نفسه قبل قوله (صليت بيثرب) صليت بطيبة هكذا جمع بينهما في حديث شداد فيثرب لانها انما كانت مشهورة بهذا الاسم فقصد اخباره بالمحل وطيبة للاشارة الى انها تسمى به بعد حلوله فيها وفي حديث أنس عند النسائي أتدري أين صليت صليت بطيبة واليها المهاجر بفتح الجيم فجبريل تبرع باخباره بذلك بعد سؤاله هل يدري المحل الذي صلى فيه أولا قاصدا ادخال السرور عليه ولم يساله النبي صلى الله عليه وسلم عنه على الظاهر المتبادر (ثم مر بارض بيضاء فقال انزل فصل فصلى) ثم ركب (فقال له جبريل) أتدري أين صليت قال لا قال (صليت بمدين) عند شجرة موسى كما في خبر شداد ومدين بفتح الميم والتحتية واسكان المهملة بينهما بلد بالشام تلقاء غزة سميت باسم بانيها مدين بن ابراهيم ويحتمل أن المراد بشجرة موسى الشجرة التي كلمه الله عندها المار ج من عند شعيب بعد انقضاء الاجل قاصدا مصر فنودي منها أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين أو المراد الشجرة التي أوى بعد سقي الغنم للمرأتين المذكورة في قوله فسقى لهما ثم تولى الى الظل فانه كان ظل سمرة قاله ابن عطية عن ابن عباس وعلى هذا ففي اطلاق مدين على بقعتها تجوز لانها بالطور وليس هو مدين لكنه لقربه منه سماه بذلك وفي حديث شداد تلو قوله عند شجرة موسى ثم ركب فانطلق البراق يهوي به ثم قال له انزل فصل ففعل ثم ركب فقال أتدري أين صليت قال لا قال صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى فصرح بانه صلى في الموضعين عند الشجرة وعند الجبل وكلمه الله عندهما معا لكن بين التكليمين لموسى مدة طويلة فالتكليم الاول الذي نبئ فيه كان عمره أربعين سنة كما في ابن عطية والثاني كان بعد غرق فرعون واستقرار الامر لموسى وبعد الامر بالصوم وانقضاء مدة الوعد المذكورة في قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر (ثم مر ببيت لحم) بلام مفتوحة فمهملة ساكنة قرية من الشام تلقاء بيت المقدس والمصنف اختصر الحديث والافلفظ حديث شداد عند من عزاه لهم عقب قوله حيث كلم الله موسى ثم بلغ أرضا بدت له قصور (فقال له جبريل انزل فصل فصلى) ثم ركب وانطلق البراق يهوي به (فقال) له جبريل أتدري أين صليت قال لا قال (صليت ببيت لحم (حيث ولد عيسى) بن مريم وفي حديث أنس عند البيهقي في الدلائل (لما جاء جبريل بالبراق اليه صلى الله عليه وسلم) استصعب عليه (فكأنها) بسبب ذلك (أصرت أذنيها) أي جمعت بينهما فهو مفرع على محذوف وأصل الصر الجمع والشد كما في النهاية (فقال لها جبريل مه) أي انكفي عن هذا

بعد من عدم قبله وعدم بعده وملك العبد له منعه معاره في زمن يسير وأيضا فانه ليس الذي أوجده عن عدمه حتى يكون ملكه حقيقة ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده ولا يبقي عليه وجوده فليس له فيه تأثير ولا ملك حقيقي وأيضا فانه متصرف فيه بالامر تصرف العبد المأمور المنهي لا تصرف الملاك ولهذا لا يباح له من التصرفات فيه الا ما وافق أمر مالكه الحقيقي *والثاني أن مصير العبد ومرجعه الى الله مولاه الحق ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره ويجيء ربه فردا كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات والسيئات فاذا كانت هذه بداية العبد وما خوله ونهايته فكيف يفرح بموجود أو يأسى على مفقود ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء ومن علاجه أن يعلم علم اليقين ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه قال تعالى ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ومن علاجه أن ينظر الى ما أصيب به فيجد ربه قد أبقى عليه مثله أو أفضل منه وادخر له ان صبر و رضي ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة باضعاف مضاعفة

واتركيه وانقادي له (يا براق فوالله ما ركبك مثله) بكسر الكاف ليناسب أصرت وان جاز فتحها (فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو بعجوز على جنب الطريق) ناحيتها اسقط من البيهقي عن أنس فقالت يا محمد انظرني أسالك فلم يلتفت اليها (فقال ماهذه يا جبريل قال سر يا محمد) أمره بالسير خشية أن يسمع سؤالها رقة عليها لسنها لما جعل الله في قلبه من الرأفة والرحمة (فسار ماشاء الله أن يسير فاذا هو بشيخ يدعوه منحنيا) من شدة الكبر (متنحيا) مصروفا مباعدا (عن الطريق يقول هلم يا محمد فقال له جبريل سر) يا محمد لئلا يرق له لسنه فيقبل عليه (و) في حديث أنس المذكور (انه مر بجماعة) في مسيره ذلك ولفظه وبينما هو يسير اذ لقيه خلق من خلق الله تعالى (فسلموا عليه فقالوا السلام عليك يا أول) من أسمائه صلى الله عليه وسلم لانه أول الانبياء خلقا وأول من قال بلى يوم ألست بربكم والاول عودا فهو أول من تنشق عنه الارض وأول من يدخل الجنة وأول شافع وأول مشفع (السلام عليك يا آخر) لانه آخر الانبياء بعثا (السلام عليك يا حاشر) لانه يحشر الناس على قدميه أي يقدمهم وهم خلفه أو يسبقهم فيحشر قبلهم والثلاثة من أسمائه كما في مقصدها (فقال) له (جبريل أردد عليهم السلام فرد الحديث) أسقط منه ثم لقيه الثانية فقال له مثل ذلك ولقيه الثالثة فقال له مثل ذلك (وفي آخره فقال له جبريل أما العجوز التي رأيت جانب الطريق فلم يبق من الدنيا الا ما بقي من عمر تلك العجوز والذي دعاك ابليس) أراد أن تميل اليه كما في نفس الحديث (والعجوز الدنيا) أي انها صورت له بصورة عجوز اشارة الى قرب انقضائها والا فهي نقيض الآخرة لاصورة لها يرى فيها (اما) بالتخفيف (لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة) تجعلها نصب أعينهم وعبادتها دون الله فلا يرد أن كثيرا من أمته بل أكثرهم يبتغون الدنيا ويتهالكون عليها لانهم وان فعلوا ذلك لكن لاغراض قامت عندهم مع اعتقاد كمال قدرة الله ووحدانيته فلا يصدق عليهم اتباعهم للدنيا (وأما الذين سلموا عليك فابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام) سلموا عليه ثلاثا زيادة في المحبة (قال الحافظ عماد الدين بن كثير في ألفاظه) أي هذا الحديث (نكارة وغرابة) لمخالفته لما في حديث أبي سعيد ان جبريل أجابه بقوله لو أجبتها الخ لما تمثلت بامرأة حاسرة عن ذراعيها عليها من كل زينة خلقها الله واما حين تمثلها بعجوز فأجابه بانه لم يبق من الدنيا الخ ومن جهة تفرده بذكر لقائه لهؤلاء الثلاثة في ذهابه الى بيت المقدس قبل دخوله (وفي رواية) عند أبي يعلى الموصلي عن أنس بلفظ (انه صلى الله عليه وسلم مر بموسى عليه السلام وهو يصلي في قبره قال أنس) راويه (ذكر كلمة فقال أشهد أنك رسول الله) بيان لكلمة ويحتمل أن الكلمة غيرها وقوله أشهد الخ ناشئ عنها والحديث في مسلم والنسائي وغيرهما عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلي في قبره وفي حديث ابن مسعود عند الحسن بن عرفة والطبراني وأبي نعيم وغيرهم رجل طوال سبط آدم كأنه من رجال شنوأة وهو يقول برفع صوته أكرمته وفضلته فدفعنا اليه فسلمنا عليه فرد السلام وقال من هذا معك يا جبريل قال هذا أحمد قال مرحبا بالنبي الامي العربي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لامته ودعا له بالبركة وقال سل لامتك اليسر ثم اندفعنا فقلت من هذا يا جبريل قال هذا موسى ابن عمران قلت ومن يعاتب قال يعاتب ربه قلت أيرفع صوته على ربه قال ان الله قد عرف له حدته فذكر الحديث وفيه انه لقي ابراهيم في طريقه ثم دخل الاقصى وصلى بالانبياء قال النعماني وفيه غرابة (ولا مانع ان الانبياء عليهم السلام يصلون في قبورهم) الصلاة الشرعية التي كانوا يصلونها في الحياة الدنيا لانهم الى الآن في الدنيا وهي دار تعبد وقيل المراد الصلاة اللغوية أي يدعون الله ويذكرونه ويثنون عليه وجزم القرطبي بالاول لانه ظاهر الحديث (ولانهم أحياء عند ربهم يرزقون) حياة

حقيقية

وانه لوشاء لجعلها أعظم مما هي ومن علاجه أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب وليعلم انه في كل وادبنو سعد ولينظر يمنة فهل يرى الا محنة ثم ليعطف يسرة فهل يرى الا حسرة وانه لو فتش العالم لم ير فيهم الا مبتلى اما بفوات محبوب أو حصول مكروه وان سرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل ان أضحكت قليلا أبكت كثيرا وان سرت يوما ساءت دهرا وان متعت قليلا منعت طويلا وما ملأت دارا حبرة الا ملأتها عبرة ولا سرته بيوم سرور الا خبأت له يوم شرور قال ابن مسعود رضي الله عنه لكل فرحة ترحة وما ملئ بيت فرحا الا ملئ ترحا وقال ابن سيرين ما كان ضحك قط الا كان من بعده بكاء وقالت هند بنت النعمان لقد رأيتنا ونحن من أعز الناس وأشدهم ملكا ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن أقل الناس وانه حق على الله أن لا يملأ دارا خيرة الا ملأها عبرة وسألها رجل أن تحدثه عن أمرها فقالت أصبحنا ذات صباح وما في العرب أحد الا يرجونا ثم أمسينا وما في العرب أحد الا يرحمنا وبكت أختها حرقة بنت النعمان يوما وهي في عزها فقيل لها ما يبكيك لعل أحدا آذاك قالت لا ولكن رأيت غضارة في أهلي وقلما امتلأت دار سرورا الا امتلأت حزنا قال اسحق بن طلحة

حقيقية والصلاة تستدعي جسداً حياً سواء قلنا انها الشرعية أو اللغوية ولا يلزم من كونها حقيقية أن تكون الابدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب ونحوهما من صفات الاجسام التي نشاهدها الان ذلك عادي لا عقلي وهذه الملائكة أحياء ولا يحتاجون الى ذلك (فهم يتعبدون بما يجدون من دواعي أنفسهم) فتعبدهم بذلك لذة أي لذة (لا بما) أي شيء (يلزمون به) لانه لا تكليف بعد الموت (كما يلهم أهل الجنة الذكر) ويجدون اللذة القوية ولا تكليف في الجنة (وسيأتي الاشارة) القليلة (الى ذلك في حجة الوداع ان شاء الله تعالى) وسبق في الخصائص باسط مما في الموضعين (وفي حديث أبي هريرة عند الطبراني والبزار) والبيهقي وابن جرير وأبي يعلى (أنه عليه الصلاة والسلام مر على قوم يزرعون ويحصدون) بكسر الصاد وضمها (في يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال لجبريل ماهذا قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة الى سبعمائة ضعف وما أنفقوا من شئ فهو يخلفه) اخبار عن حالهم ولم يقصد القرآن فلا يرد أن التلاوة وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه (وهو خير الرازقين) والمراد ان ما ينعمون به من فواكه وغيرها اذا نفد في ذلك الوقت جيء لهم بغيره على التوالي وبذلك يتميزون عن غيرهم من أهل الجنة أو انه اخبار بان ما أنفقه المجاهدون يعوضون به في الدنيا سريعا ولا يؤخر ثوابهم للآخرة (ثم أتى على قوم ترضخ) أي تشدخ كما في التقريب وفي المصباح تكسر (رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم) بضم أوله وفتح الفاء وشد الفوقية أي لا يخفف عنهم (من ذلك) الرضخ (شئ) أو هو بفتح الياء وضم الفوقية مخففا أي لا يرتفع عنهم ذلك ولا يسهل (فقال ماهذا يا جبريل قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلاة المكتوبة) بالتساهل فيها اما بتركها أصلا أو باخراجها عن وقتها كلا أو بعضا (ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع) جمع قبل كاعناق وعنق وهو من كل شئ خلاف دبره قيل سمي قبلا لان صاحبه يقابل به غيره (وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام) الذي في رواية البزار والبيهقي وغيرهما كما تسرح الابل والغنم (يأكلون الضريع) الشوك اليابس أو نبات أحمر منتن الريح يرمي به البحر (والزقوم) ثمر شجر كريه الطعم قيل لا يعرف في شجر الدنيا وانما هي في النار يكره أهل النار على أكلها كما قال تعالى انها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين وفي القاموس الزقوم كتنور الزبد بالتمر وشجرة بجهنم ونبات بالبادية له زهر ياسميني الشكل وطعام أهل النار وأخرج ابن جرير عن قتادة قال قال أبو جهل زعم صاحبكم هذا ان في النار شجرة والنار تأكل الشجر وانا والله ما نعلم الزقوم الا التمر والزبد فانزل الله حين عجبوا أن يكون في النار شجرة انها شجرة تخرج في أصل الجحيم الآية (ورضف جهنم) بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة بعدها فاء الحجارة المحماة واحدها رضفة بسكون الضاد وتفتح (قال ماهؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم وما ظلمهم الله شيأ (وما الله بظلام) أي بذي ظلم (للعبيد) فيعذبهم بلا ذنب (ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج) مستو (في قدر ولحم نيء) بالهمز وزان حمل كل شئ شأنه أن يعالج بطبخ أو شئ لم يطبخ فيقال لحم نيء والابدال والادغام عامي (في قدر خبيث) بالرفع نعت لحم (فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث ويدعون النضيج فقال ماهؤلاء يا جبريل قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح) ولعله قيد بامته لان لغيرهم عذابا أعظم من هذا أو لان الغرض اعلامه بما أعد لمرتكبي ذلك لينكفوا عنه (والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتي رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح) ولعل التقييد بذلك لانه الاغلب والمراد الزنا وان لم يكن بيات حتى الصباح ويؤيده ان الحافظ اختصر الحديث بقوله قال هؤلاء الزناة (ثم أتى على رجل قد جمع

دخلت عليهما يوما فقلت لهما كيف رأيت عبرات الملوك فقالت ما نحن فيه اليوم خير مما كنا فيه الامس انا نجد في الكتب انه ليس من أهل بيت يعيشون في خيرة الا سيعقبون بعدها عبرة وان الدهر لم يظهر لقوم بيوم يحبونه الا بطن لهم بيوم يكرهونه ثم قالت

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا ... اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها ... تقلب تارات بنا وتصرف

ومن علاجها أن يعلم أن الجزع لا يردها بل يضاعفها وهو في الحقيقة من تزايد المرض ومن علاجها أن يعلم أن فوت ثواب الصبر والتسليم وهو الصلاة والرحمة والهداية التي ضمنها الله على الصبر والاسترجاع أعظم من المصيبة في الحقيقة ومن علاجها أن يعلم أن الجزع يشمت عدوه ويسوء صديقه ويغضب ربه ويسر شيطانه ويحبط أجره ويضعف نفسه واذا صبر واحتسب أقصى شيطانه ورده خاسئا وأرضى ربه وسر صديقه وساء عدوه وحمل عن اخوانه وعزاهم هو قبل أن يعزوه فهذا هو الثبات والكمال الاعظم لا لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بالويل والثبور والسخط على المقدور ومن علاجها أن يعلم ان ما يعقبه الصبر

خزمة) بضم فسكون ماخزم من أي شئ وفي فتح الباري خزمة حطب (عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها) أي يضم اليها غيرها (قال ماهذا يا جبريل قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده) أي في جهته (أمانات الناس لا يقدر على أدائها) أي الخروج من عهدتها فدخل فيه ماتحت يده كوديعة وماوكل على بيعه وماتحت يده من مال يتيم ونحوه ومافوض اليه كامامة وخطابة وغيرهما من المناصب الشرعية مما لا يوصف بكونه تحت يده حسا (وهو يريد أن يحمل) أي يزيد (عليها) ما يحتاج الى حمله معها مع عدم قدرته على حمل الاولى (ثم أتى على قوم تقرض) تقطع (ألسنتهم وشفاههم) جمع شفة مخففة (بمقاريض) جمع مقراض بكسر الميم (من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شئ قال ماهذا يا جبريل قال هؤلاء خطباء الفتنة) أي الذين يقولون مالا يفعلون فيفتنون الناس بذلك لعدم مطابقة قولهم لفعلهم وأسقط من الرواية خطباء أمتك يقولون مالا يفعلون والمراد بالخطباء كل من تصدى لتعليم العامة ما طلب منهم ونهيهم عما نهوا فدخل العالم والواعظ وغيرهما (قال ثم أتى على جحر) بضم الجيم وسكون المهملة ثقب مستدير (صغير يخرج منه ثور عظيم) بمثلثة ذكر البقر (فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال ماهذا يا جبريل قال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة) من سخط الله (ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها) لعدم امكانه (ثم أتى على واد فوجد فيه ريحا طيبة باردة كريح المسك وسمع صوتا فقال ماهذا يا جبريل قال هذا صوت الجنة تقول) بلسان القال على الظاهر المتبادر فلا مانع من أن يخلق لها ادراك ونطق (رب آتني) بالمد (بما وعدتني) بزيادة الباء في المفعول كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم لان آتى يتعدى بنفسه كقوله وآتاه الله الملك (فقد كثرت غرفي) بالضم جمع غرفة وهي العلية (واستبرقي) ثخين الديباج وفي البيضاوي ثخين الحرير (وحريري) عطف عام على خاص (وسندسي) رقيق الديباج (وعبقري) قيل هو الديباج أو البسط الموشية أو الطنافس الثخان وأصله فيما قيل ان عبقر قرية يسكنها الجن فيما يزعمون فكلما رأوا شيأ فائقا غريبا مما يصعب عمله ويدق أو شيأ عظيما في نفسه نسبوه اليها فقالوا عبقري وفي القاموس العبقري الكامل في كل شئ والسيد الذي ليس فوقه شئ وعليه فالمراد هنا وكثرت نفائسي الكاملة من ثياب وغيرها ويكون من ذكر العام بعد الخاص (ولؤلؤي) بهمزتين وبحذفهما وباثبات الاولى دون الثانية (ومرجاني) قال الازهري وغيره هو صغار اللؤلؤ وقال الطرسوسي هو عروق حمر تطلع من البحر كاصابع الكف قال وهكذا شاهدناه بمغارب الارض (وفضتي وذهبي وأكوابي) جمع كوب اناء لا عروة له ولا خرطوم (وصحافي) جمع صحفة اناء كالقصعة (وأباريقي) جمع ابريق اناء له عروة وخرطوم (ومراكبي) ما يركب (وعسلي ومائي ولبني وخمري) بالانهار الاربعة (فائتني بما وعدتني قال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحا) الطاعات (ولم يشرك بي شيأ) بان لا يرائي أحدا بعبادته لي وحملناه على هذا ليغاير قوله (ولم يتخذ من دوني أندادا) شركاء يخصهم بالعبادة (ومن خشيني) خافني مع الاجلال (فهو آمن ومن سألني أعطيته ومن أقرضني) بانفاقه في سبيلي لاجلي (جازيته) جزاء مضاعفا كما قال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم (ومن توكل على كفيته اني أنا الله لا اله الا أنا لا أخلف الميعاد) الوعد بالبعث والجزاء (وقد) للتحقيق (أفلح) فاز (المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين) أي المقدرين بزنة اسم الفاعل ومميز أحسن محذوف للعلم به أي خلقا (قالت) الجنة (قد رضيت ثم أتى على واد فسمع صوتا منكرا) ينكره سامعه لعدم سماع نظيره في الاصوات المعتادة لشناعته وقبحه (ووجد ريحا منتنة) بضم الميم وكسر التاء اسم فاعل من أنتن كذا ويجوز كسر الميم للاتباع وضم التاء اتباعا للميم قليل كما في المصباح (فقال ماهذا

والاحتساب من اللذة والمسرة أضعاف ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه ويكفيه من ذلك بيت الحمد الذي بني له في الجنة على حمده لربه واسترجاعه فلينظر أي المصيبتين أعظم مصيبة العاجلة أو مصيبة فوات بيت الحمد في جنة الخلد وفي الترمذي مرفوعا يود ناس يوم القيامة ان جلودهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا لما يرون من ثواب أهل البلاء وقال بعض السلف لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس ومن علاجها أن يروح قلبه بروح رجاء الخلف من الله فانه من كل شئ عوض الا الله فما منه عوض كما قيل

من كل شئ اذا ضيعته عوض
وما من الله ان ضيعته عوض

ومن علاجها أن يعلم أن حظه من المصيبة ما تحدثه له فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط فحظك منها ما أحدثته لك فاختر خير الحظوظ أو شرها فان أحدثت له سخطا وكفرا كتب في ديوان الهالكين وان أحدثت له جزعا وتفريطا في ترك واجب أو فعل محرم كتب في ديوان المفرطين وان أحدثت له شكاية وعدم صبر كتب في ديوان المغبونين وان أحدثت له اعتراضا على الله وقدحا في حكمته فقد

يا

قرع باب الزندقة أو وجهه وان أحدثت له صبرا وثباتا الله كتب في ديوان الصابرين وان أحدثت له الرضا عن الله كتب في ديوان الراضين وان أحدثت له الحمد والشكر كتب في ديوان الشاكرين وكان تحت لواء الحمد مع الحمادين وان أحدثت له محبة واشتياقا الى لقاء ربه كتب في ديوان المحبين المخلصين وفي مسند الامام أحمد والترمذي من حديث محمود بن لبيد رفعه ان الله اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط زاد أحمد ومن جزع فله الجزع من علاجها أن يعلم انه وان بلغ في الجزع غايته فآخر أمره الى صبر الاضطرار وهو غير محمود ولا مثاب قال بعض الحكماء العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام ومن لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم وفي الصحيح مرفوعا الصبر عند الصدمة الاولى وقال الأشعث بن قيس انك ان صبرت ايمانا واحتسابا والا سلوت سلو البهائم ومن علاجها أن يعلم ان أنفع الادوية له موافقة ربه والهه فيما أحبه ورضيه له وان خاصية المحبة وسرها موافقة المحبوب فمن ادعى محبة محبوب ثم سخط ما يحبه وأحب ما يسخطه فقد شهد على نفسه بكذبه وتمقت الى

يا جبريل قال هذا صوت جهنم تقول) بلسان القال (رب آتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي) جمع سلسلة (وأغلالي) قيودي (وسعيري) ناري وسعرتها وأسعرتها أوقدتها (وحميمي) مائي الحار غاية الحرارة (وغساقي) بخفة السين وتثقيلها أي ما يسيل ويخرج مني لشدة حرارتي وفي البيضاوي وغيره الغساق ما يغسق أي يسيل من صديد أهل النار فانهم يذوقونه (وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فآتني بما وعدتني قال لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة) عطف عام على خاص لان المشرك اذا جمع مع الكافر اراد به من جعل لله شريكا كعباد الاوثان والكافر يشمل ذلك وغيره (وكل جبار كافر) (لا يؤمن بيوم الحساب) يوم القيامة (قالت قد رضيت قال فسار حتى أتى بيت المقدس) وفي نسخة حتى اتيت أي فسار بي حتى أتيت (وفي رواية أبي سعيد) الخدري سعد بن مالك بن سنان (عند البيهقي) وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه (دعاني داع عن يميني) يا محمد (انظرني) نظر اقبال علي وتوجه الي (أسألك فلم أجبه ثم دعاني آخر عن يساري) يا محمد انظر لي أسألك كما في الرواية واختصرها بقوله (كذلك فلم أجبه وفيه) أي حديث أبي سعيد المذكور وبينما هو يسير (اذا امرأة حاسرة) كاشفة (عن ذراعيها) اسم فاعل من حسر اذا كشف (وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى فقالت يا محمد انظرني أسألك فلم ألتفت اليها وفيه) أي الحديث المذكور (ان جبريل قال له أما الداعي الاول) الذي عن يمينه (فهو داعي اليهود ولو أجبته لتهودت أمتك) لعل حكمة ذلك لو وقع أن الله جعل اجابته سببا لذلك في سابق علمه وكذا يقال في قوله (وأما الثاني فداعي النصارى ولو أجبته لتنصرت أمتك وأما المرأة فالدنيا) أما انك لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة هكذا في حديث أبي سعيد المذكور وتصورت له أيضا بصورة عجوز اشارة الى قلة ما بقي منها كما مر (وفيه) أي الحديث المذكور (انه صعد الى السماء الدنيا ورأى فيها آدم) وأنه بعد اجتماعه بآدم مضى هنيهة و (رأى اخونة) جمع خوان بكسر المعجمة وضمها الذي يؤكل عليه وقال الخليل هو المائدة (عليها لحم طيب ليس عليها أحد) يأكل منها (وأخرى عليها لحم نتن عليها ناس يأكلون) منها (قال يا جبريل ما هذا قال جبريل هؤلاء الذين يتركون الحلال ويأكلون الحرام) وفي لفظ عند البيهقي أيضا وغيره فاذا هو بأقوام على مائدة لحم عليها شوي كأحسن ما رؤي من اللحم واذا حوله جيف فجعلوا يقبلون على الجيف يأكلون منها ويدعون اللحم فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الزناة يحلون ما حرم الله عليهم وتركوا ما أحل الله لهم (وفيه) اي حديث ابي سعيد المذكور (أنه مر بقوم بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر) سقط من قيام (وان جبريل قال له) جوابا لقوله يا جبريل من هؤلاء قال (هم أكلة الربا) أي الذين يتناولون من الاموال ما أخذوه على وجه الربا وهو خاص بالمطعومات والنقود اذا أخذت بالعقد المسمى بعقد الربا بان اشتمل أحد العوضين فيه على زيادة أو تأخير في البدلين أو أحدهما وخرج بذلك المأخوذ بعقود فاسدة كعقد ربوية أو شرط فاسد مع انتفاء الربا عنها فلا يكون لفاعلها ذلك الوصف وان أثم ولم يملك ما أخذه وقد أفاد المصنف أنه اختصر الحديث وهو كذلك ولفظه في هذه الجملة ثم مضى هنيهة فاذا هو بقوم بطونهم أمثال البيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم كلما نهض أحدهم خر يقول اللهم لا تقم الساعة وهم على سابلة آل فرعون فتجيء السابلة فتطؤهم فسمعهم يضجون الى الله تعالى فقال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس والسابلة أبناء السبيل المختلفة وجعلوا بطريق آل فرعون يمرون عليهم غدوا وعشيا لان آل فرعون هم أشد الناس عذابا بطونهم فضلا عن غيرهم من الكفار وهم لا يستطيعون القيام ومعنى ذلك ان الله وقف أمرهم بين أن ينتهوا فيكون جزاؤهم وبين أن يعودوا ويصروا فيدخلهم النار واستشكل بان هذه الحالة ان كانت عبارة عن

حالهم في الآخرة فآل فرعون قد دخلوا أشد العذاب وانما يعرضون على النار غدوا وعشيا في البرزخ وان كانت هذه الحال التي رآهم عليها فاي بطون لهم وقد صاروا اعظاما ورفاتا ومزقوا كل ممزق وأجيب بانه انما رآهم في البرزخ لانه حدث عما رأى وهذه الحال هي حال أرواحهم بعد الموت وفيه تصحيح لمن قال الارواح أجساد الطيفة قابلة للنعيم والعذاب فخلق الله تعالى في تلك الارواح من الالم ما يجده من انتفخ بطنه حتى وطئ بالاقدام ولا يستطيع معه قياما ولا دليل فيه على انهم أشد عذابا من آل فرعون بل فيه دليل على أن آل فرعون وغيرهم من الكفار الذين لا يأكلون الربا يطؤنهم ما داموا في البرزخ الى أن يقوموا يوم القيامة كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ثم ينادي منادي الله ادخلوا آل فرعون أشد العذاب ذكره السهيلي (وأنه مر بقوم مشافرهم) بفتح الميم وخفة المعجمة فالف ففاء مكسورة فراء أي شفاههم (كالابل) لفظ الرواية كمشافر الابل وعبر عن شفاههم بذلك مجازا اذ يقال شفة الانسان ومشفر البعير وجحفل الفرس (يلتقمون جمرا فيخرج من أسافلهم) وفي رواية يجعل في أفواههم صخر من جهنم ثم يخرج من أسافلهم فسمعهم يضجون الى الله تعالى (وان جبريل قال له) جوابا لقوله يا جبريل من هؤلاء قال (هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا كما في بقية جواب جبريل (وانه مر بنساء يعلقن بثديهن) بضم المثلثة ويقال بكسرها وكسر المهملة جمع ثدي يذكر ويؤنث فيقال هو الثدي وهي الثدي وهو معروف (وانهن الزواني) يحوز انه رأى أرواحهن وقد خلق فيها من الآلام ما يجده من هذه حاله وأن يكون مثالا لحالهن في الآخرة قاله السهيلي ولفظ الحديث ثم مضى هنيهة فاذا هو بنساء معلقات بثديهن ونساء منكسات بأرجلهن فسمعهن يضججن الى الله فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء اللاتي يزنين ويقتلن أولادهن (وأنه مر بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيطعمون وانهم الغمازون) كذا في نسخ بغين معجمة أي المشيرون باعينهم أو حواجبهم لمعايب الناس ولما فيه ضررهم لكن لفظ الرواية الهمازون بالهاء بدل الغين وهم الذين يغتابون الناس بلا مواجهة (اللمازون) العيابون كما في الشامي أي الذين يكسرون من أعراض الناس قال البيضاوي اللمز الكسر كالهمز شاعا في كسر أعراض الناس والطعن فيهم ولفظ الحديث ثم مضى هنيهة فاذا هو باقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون فيقال له كل كما كنت تأكل لحم أخيك فقال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون (وفي حديث أبي هريرة عند البزار والحاكم) والبيهقي (انه صلى الله عليه وسلم صلى ببيت المقدس) قبل صعوده كما هو سياق الحديث عند الثلاثة ولفظه ثم سار الى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة بيت المقدس ثم دخل فصلى مع الملائكة ويأتي انه صلى بالانبياء أيضا (وأنه أتى هنالك بارواح الانبياء فاثنوا على الله وفيه) أي الحديث (قول ابراهيم) لما أثنى نبينا على ربه بعد ثناء الانبياء (لقد فضلكم محمد) أي زاد عليكم وتميز بما أثنى به على ربه قال ذلك ابراهيم اظهارا لشرف المصطفى وفضله وليس ضميرا فيه عائدا لما أثنوا به كما توهم لان ثناءهم انما كان على الله والمصنف اختصر الحديث هنا وسنذكره تاما عن قريب (وفي رواية عبد الرحمن بن هاشم عن أنس) عند الطبراني والبيهقي (ثم بعث له آدم) أي أمر بالمجيء اليه (فمن دونه) من الانبياء كما في نفس حديث أنس (فامهم تلك الليلة) أي صلى بهم اماما (وفي حديث أم هانئ عند أبي يعلى ونشر) أي سيق (لي رهط من) جملة (الانبياء) وجمعوا حولي عبر عن ذلك بالنشر اشارة الى كثرتهم وتفرقهم (منهم ابراهيم وموسى وعيسى) أو المعنى أخرجوا من قبورهم عبر عنه بالنشر تشبيها له ببعثهم من قبورهم وسعيهم الى المحشر وحضورهم فيه ويحتمل أن المراد جميع الانبياء مأخوذ من نشر الراعي غنمه نشرا من باب قتل اذا بثها ولا ينافيه لفظ رهط من الانبياء لجواز أن من للبيان وسماهم

تحبوبه وقال أبو الدرداء ان الله اذا قضى قضاء أحب أن يرضى به وكان عمران بن حصين يقول في علته أحبه الى أحبه اليه وكذلك قال أبو العالية وهذا دواء وعلاج لا يعمل الا مع المحبين ولا يمكن كل أحد أن يتعالج به ومن علاجها أن يوازن بين أعظم اللذتين والتمتعين وأدومهما لذة تمتعه بما أصيب به ولذة تمتعه بثواب الله له فان ظهر له الرجحان فآثر الراجح فليحمد الله على توفيقه وان آثر المرجوح من كل وجه فليعلم أن مصيبته في عقله وقلبه ودينه أعظم من مصيبته التي أصيبت بها في دنياه ومن علاجها أن يعلم ان الذي ابتلاه بها أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وانه سبحانه لم يرسل اليه البلاء ليهلكه به ولا ليعذبه به ولا ليجتاحه وانما افتقده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وايمانه وليسمع تضرعه وابتهاله وليراه طريحا ببابه لائذا بجنابه مكسور القلب بين يديه رافعا قصص الشكوى اليه قال الشيخ عبد القادر يا بني ان المصيبة ما جاءت لتهلكك وانما جاءت لتمتحن صبرك وايمانك يا بني القدر سبع والسبع لا يأكل الميتة والمقصود أن المصيبة كير العبد الذي يسبك به حاصله فاما أن يخرج ذهبا أحمر واما أن يخرج خبثا كله كما قيل

رهطا انظر القلتهم بالنسبة لغيرهم من الناس هذا وان كان بعيدا الكن الحامل عليه الجمع بينه وبين قوله في الحديث قبله آدم فمن دونه من الانبياء (وفي رواية أبي سلمة) بن عبد الرحمن بن عوف اسمه عبد الله وقيل اسمعيل عن أبي هريرة رفعه (ثم حانت الصلاة) أي دخل وقتها ويأتي للمصنف الخلاف في أنها الصبح أو العشاء ويأتي تضعيفهما وأن الاظهر انها من النفل المطلق أو من الفرض الذي كان قبل الخمس فالمراد بحانت الصلاة دخل الوقت المامور بالصلاة فيه (فاممتهم) صليت بهم اماما (أخرجه مسلم وفي حديث أبي امامة عند الطبراني في الاوسط ثم أقيمت الصلاة) أي تهيؤا وقاموا لها لا الاقامة المشروعة الآن لانها انما شرعت بالمدينة (فتدافعوا) أي منع كل نفسه الامامة بعد أن طلب منه أن يكون اماما وطلب من غيره التقدم عليه (حتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم) لا ينافيه حديث ابن مسعود الآتي فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فاخذ جبريل بيدي فقدمني فصليت بهم المفيد ظاهره أنهم لم يتدافعوا ولم يقدموه لان انتظار من يؤم لا ينافي تدافعهم أي قول بعضهم لبعض تقدم أنت مثلا ولما قدمه جبريل رضوا به فنسب هنا تقديمه اليهم لرضاهم به وسرورهم (وفي رواية ثابت البناني عن أنس) رفعه (عند مسلم) قال أتيت بالبراق فوصفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس (فربطته يعني البراق) تفسير من المصنف لاسقاطه أول الحديث كما ترى (بالحلقة وهي باسكان اللام على الاشهر) وقد تفتح لامها وتكسر أو ليس في الكلام حلقة بفتح اللام الاجمع حالق أو لغة ضعيفة حكاه القاموس (التي تربط به الانبياء) البراق كما رواه البيهقي لا دوابهم كما توهمه بعض وقد تقدم قال النووي قوله به كذا في الاصول (بتذكير الضمير اعادة) أي ارجاعا للضمير مذكرا حملا (على معنى الحلقة وهو) أي المعنى (الشئ) والا فكان الظاهر أن يقول بها لان الحلقة مؤنثة تانيثا لفظيا وقال غيره روي بالتانيث والتذكير في مسلم والشفاء (والمراد حلقة باب مسجد بيت المقدس قاله صاحب التحرير) أي بابه المعهود المعروف وان كان للمسجد أبواب متعددة وعند البيهقي والطبراني والبزار من حديث شداد ودخل المدينة من بابها اليماني ودخل المسجد من باب يميل فيه الشمس والقمر وروى الواسطي في فضائل بيت المقدس عن الوليد بن مسلم قال حدثني بعض أشياخنا أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى عن يمين المسجد وعن يساره نورين ساطعين فقال يا جبريل ما هذان النوران قال أما الذي عن يمينك فانه محراب أخيك داود وأما الذي عن يسارك فعلى قبر أختك مريم (قال عليه السلام) في رواية مسلم عن ثابت عن أنس (ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين) غير الصلاة التي صلاها بالانبياء كما صرح به في حديث ابن مسعود الآتي ومن ثم قيل يحتمل انها تحية المسجد وأنها غيرها (ثم خرجت) بعد صلاته بالانبياء الواقعة بعد ٢ هذين الركعتين كما صرح به حديث أبي هريرة ثم حانت الصلاة فاممتهم رواه مسلم وعند ابن اسحق عن أبي سعيد فصلى بهم أي الانبياء ثم أتي باناء فيه لبن الخ فعرض الاواني انما كان بعد صلاته بالانبياء ففي هذا السياق اختصار فليس المراد أنه خرج من المسجد بعد صلاة الركعتين بل بعد صلاته بالانبياء (فجاءني جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن) فلم يقع في رواية مسلم هذه واناء من عسل خلاف ما يوجد في نسخ سقيمة من المصنف واناء من عسل بعد قوله من خمر نعم هو ثابت في غير ما رواية فليس النزاع في أنه أتي باناء فيه عسل انما هو في العز ولمسلم ما ليس فيه في روايته من طريق ثابت عن أنس مرفوعا بلا واسطة (فاخترت) وفي رواية فاخذت (اللبن فقال جبريل اخترت) وفي رواية أخذت (الفطرة) بكسر الفاء قال ابن دحية تطلق الفطرة على الاسلام كخبر كل مولود يولد على الفطرة وتطلق على أصل الخلقة كقوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وفاطر السموات

---

٢ قوله هذين الركعتين هكذا في الاصول ولعله هاتين كما لا يخفى اه مصححه

سبكناه وخلصه محينا * فابدى الكير عن خبث الحديد فان لم ينفعه هذا الكير في الدنيا فبين يديه الكير الاعظم فاذا علم العبد أن ادخاله كير الدنيا ومسبكها خير له من ذلك الكير والمسبك وانه لا بد من أحد الكيرين فليعلم قدر نعمة الله عليه في الكير العاجل ومن علاجها أن يعلم انه لولا محن الدنيا ومصائبها لاصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلا وآجلا فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده في الاحيان بانواع من أدوية المصائب تكون حمية له من هذه الادواء وحفظا لصحة عبوديته واستفراغا للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلي بنعمائه كما قيل

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت
ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

فلولا انه سبحانه يداوي عباده بادوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا وعتوا والله سبحانه اذا أراد بعبده خيرا سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله يستفرغ به من الادواء المهلكة حتى اذا هذبه ونقاه وصفاه أهله لاشرف مراتب الدنيا وهي عبوديته وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه ومن علاجها أن يعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها

الارض أي مبدئ خلقهما وقول جبريل اخترت الفترة (أي اخترت الذي عليه) أي بسببه (بنيت الخلقة) وبين بناءها عليه بقوله (وبه نبت اللحم ونشز) بزاي منقوطة أي ارتفع (العظم) وغلظ (واخترته لانه الحلال الدائم) هو (في دين الاسلام) فاستتر الضمير الفاعل وحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه أي الدائم حله كعيشة راضية (بخلاف الخمر فحرام فيما يستقر عليه الامر) وقد روى أبو يعلى والبزار من حديث أبي هريرة أتي بآنية ثلاثة مغطاة أفواهها فأتي باناء منها فيه ماء فشرب منه قليلا وفي لفظ فلم يشرب منه شيأ ثم دفع اليه اناء آخر فيه لبن فشرب منه حتى روي منه ثم دفع اليه اناء آخر فيه خمر فقيل له اشرب قال لا أريده قد رويت فقال جبريل أما انها ستحرم على أمتك قال ابن دحية أيضا وقد تكون الاشارة بتقديم اللبن الى انه شعار العلم في التعبير كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال رأيت كأني أتيت بقدح من لبن فشربت حتى أرى الري يخرج من أظفاري ثم ناولت فضلي عمر بن الخطاب قالوا يا رسول الله ما أولته قال العلم والاسراء وان كان يقظة الا انه بما وقعت في اليقظة اشارة الى حكم الفأل فيعبر كما يعبر في المنام ولذا كان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن فكأنه لما ملئ قلبه ايمانا وحكمة أردف ذلك بالعلم مطلقا ويجعل الله تعالى شرب ذلك اللبن سببا في ترادف العلوم واشحان القلب النبوي بانوارها (وقال النووي المراد بالفطرة هنا في قول جبريل أخذت الفطرة الاسلام والاستقامة) وبه فسرت الآية أي علامة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه لادى بهم اليها وفسرت أيضا بخلقته التي خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه وبالعهد المأخوذ من آدم وذريته (قال ومعناه والله أعلم اخترت علامة الاسلام و) علامة (الاستقامة) بالجر ففيه حذف مضاف اذ شرب اللبن ليس هو هما (قال وجعل اللبن علامة لكونه سهلا طيبا) لذيذا (طاهرا) لا يشوبه شئ من الفرث والدم من لون أو طعم أو ريح وهو بينهما (سائغا للشاربين) سهل المرور في حلقهم لا يغص به (سليم العاقبة) في الحال والمآل وهذا كله تعليل لجعله علامة الاسلام والاستقامة (وأما الخمر فانها أم الخبائث) كما ورد مرفوعا عند القضاعي بلفظ الخمر أم الخبائث أي أصلها الذي تنشأ عنه لحملها الشارب على مجاوزة الحدود (وجالبة لانواع الشر في الحال والمآل انتهى) وقد قال صلى الله عليه وسلم الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر من شربها ترك الصلاة ووقع على أمه وخالته وعمته رواه الطبراني (وقال القرطبي) شارح مسلم في المفهم (يحتمل أن يكون سبب تسمية اللبن فطرة لكونه أول شئ يدخل جوف المولود ويشق أمعاءه والسر) أي السبب (في ميل النبي صلى الله عليه وسلم اليه دون غيره لكونه مألوفا له أولا) ولكونه لا ينشأ عن جنسه مفسدة انتهى كلام القرطبي بمازدته وحقيقة السر ما يكتم وهو خلاف الاعلان فاطلاقه على السبب مجاز مرسل من تسمية الجزئي باسم الكلي (واذا كانت الخمر مباحة) لانها انما حرمت بالمدينة والاسراء كان بمكة) وجواب اذا الشرطية قوله (فما وجه تعيينه عليه السلام لاحد المباحين) باختياره الشرب منه (وما وجه عد ذلك صوابا وعد الآخر خطأ وهما سواء في الاباحة) وفرع على ذلك بجواب شرط هو واذا أردت بيان الوجه (فيحتمل أن يكون توقاها تورعا) لما في تناوله من الغائلة المتوقعة وان كان مباحا ولا خلاف أن مثل هذا الورع يثاب عليه قاله ابن المنير (وتعريضا بانها ستحرم) ولعل سبب التعريض انه أوحى اليه بذلك ولو بالالهام فتركها تنبيها على أن حلها لا يستمر (وأنه لما وافق الصواب في علم الله تعالى قال له جبريل أصبت الفطرة أو أصبت أصاب الله بك كما رويا) الاول في الصحيح والثاني في غيره قال ابن المنير فدل قول جبريل ذلك على أن اختيار الخمر خطأ عصم منه صلى الله عليه وسلم وأن المسئلة اجتهادية لان الخمر لم تكن حرمت قال وفيه دليل على المذهب المشهور لمالك والشافعي وغيرهما ان

حلاوة دائمة خير له من عكس ذلك فان خفي عليك هذا فانظر الى قول الصادق المصدوق حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وفي هذا المقام تفاوتت عقول الخلائق وظهرت حقائق الرجال فاكثرهم آثر الحلاوة المنقطعة على الحلاوة الدائمة التي لا تزول ولم يحتمل مرارة ساعة لحلاوة الابد ولا ذل ساعة لعز الابد ولا محنة ساعة لعافية الابد فان الحاضر عنده شهادة والمنتظر غيب والايمان ضعيف وسلطان الشهوة حاكم فتولد من ذلك ايثار العاجلة ورفض الآخرة وهذا حال النظر الواقع على ظواهر الامور وأوائلها ومباديها وأما النظر الثاقب الذي يخرق حجب العاجلة ويجاوزه الى العواقب والغايات فله شأن آخر فادع نفسك الى ما أعد الله لاوليائه وأهل طاعته من النعيم المقيم والسعادة الابدية والفوز الاكبر وما أعد لاهل البطالة والاضاعة من الخزي والعقاب والحسرات الدائمة ثم اختر أي القسمين أليق بك وكل يعمل على شاكلته وكل أحد يصبو الى ما يناسبه وما هو الاولى به ولا تستطل هذا العلاج

المسائل الاجتهادية لله فيها حكم معين من أصابه فقد أصاب الحق ومن أخطاه فقد أخطا الحق خلافا للقول بان حكم الله على كل مجتهد ما غلب على ظنه انتهى وفيه افادة وجه كون اختيار الخمر خطا وهو أن حكم الله فيها تحريمها بعد أبدا وان كانت مباحة حينئذ لامور خفيت علينا * ثم الخمر المحضرة يحتمل أنها من خمر الدنيا وأنها من خمر الجنة التي لا يصدعون عنها ولا ينزفون فاذا قلنا من خمر الدنيا فوجه تجنبها ما تقدم (وان قلنا انها) أي الخمر المحضرة له كانت (من خمر الجنة فيكون سبب تجنبها صورتها ومضاهاتها) مشابهتها (الخمر المحرمة أي في علم الله تعالى وذلك أبلغ في الورع) فان قلت فيلزم اجتنابها في الجنة تورعا من صورتها قلت لا يلزم لان الجنة ليست دار تكليف قاله ابن المنير (ويستفاد منه ان من اتخذ من ماء الرمان أو غيره) شيأ يستعمله على الصفة المعتادة بين شربة الخمر (ولو ماء قراحا) صرفا (وضاهى به الخمر في الصورة وهيأه في الهيآت التي يتعاطاها أهل السماعات) لفظ ابن المنير أهل الشهوات (من الاجتماعات فقد أتى منكرا وان كان لا يحد عليه) قال أعني ابن المنير وقد نص العلماء على هذا فينبغي أن يؤخذ من حديث الاسراء كما بيناه (قاله ابن المنير) في المقتفى فيما لخصه المصنف منه فاحسن والا فهو قد أتى بعبارة طويلة استطرد فيها فوائد نفيسة على عادته وأورد قبل ذلك احضار الخمر واللبن هل أريد اباحتهما معا أو أحدهما لا بعينه وعلى كل فمشكل لانه ان كان المراد اباحتهما معا كما لو أحضرت طعامين لضيف وأبحتهما له فما معنى اختياره لاحدهما وتصويب جبريل له وان كان في أحدهما لا بعينه بحيث يكون الآخر ممنوعا لزم التخيير بين ممنوع ومباح وذلك لا يتصور قال والذي يرفع الاشكال أن المراد تفويض الامر في تحريم ما يحرم وتحليل ما يحل الى اجتهاده صلى الله عليه وسلم وسداد نظره المعصوم فلما نظر فيهما أداه اجتهاده الى تحريم الخمر وتحليل اللبن فوافق الصواب في حكم الله تعالى فقال له جبريل أصبت وفيه اجتهاده فيما لم يوح اليه فيه وهي مسئلة خلاف وهذا الحديث يحقق الجواز مع اتفاق المسلمين على أن اجتهاده معصوم من الخطا بخلاف غيره من العلماء (وينظر فيما يعمله كثير من فقراء اليمن بمكة المشرفة وجدة) بضم الجيم ساحل البحر بمكة (وغيرهما من ماء قشر البن) ثم صاروا بعد ذلك يعملونه من البن أيضا (ويسمونه بالقهوة وهو اسم من) أشهر (أسماء الخمر) هل يحرم تناوله لتسميتهم بالخمر فكأنهم شبهوه بها وجوابه لا حرمة لانه لا يشرب على الهيئة التي يشرب عليها الخمر ومجرد تسميته قهوة لا يقتضي أن يعطى حكمها (وفي حديث ابن عباس عند أحمد فلما أتى المسجد الاقصى قام يصلي فلما انصرف) من صلاته بالانبياء (جيء بقدحين في أحدهما لبن وفي الآخر عسل فاخذ اللبن) وهذا موافق لرواية مسلم أن اتيانه بالآنية كان ببيت المقدس قبل المعراج ومر لفظه قريبا (وفي رواية البزار) من حديث أبي هريرة انه جيء له (بثلاث أوان وأن الثالث كان خمرا وأن ذلك وقع ببيت المقدس وأن الاول كان ماء ولم يذكر العسل) وأخرجه ابن عائذ من هذا الوجه في حديث المعراج بعد ذكر ابراهيم قال ثم انطلقنا فاذا نحن بثلاثة آنية مغطاة فقال لي جبريل يا محمد ألا تشرب مما سقاك ربك فتناولت احداها فاذا هو عسل فشربت منه قليلا ثم تناولت الآخر فاذا هو لبن فشربت منه حتى رويت فقال ألا تشرب من الثالث قلت قد رويت قال وفقك الله (وفي حديث شداد بن أوس) عند البزار والطبراني والبيهقي (فصليت) في جانب (من المسجد حيث شاء الله وأخذني من العطش أشد ما أخذني فأتيت باناءين أحدهما لبن والآخر عسل) فعدلت بينهما هكذا في الحديث قبل قوله (ثم هداني الله فاخذت اللبن فقال شيخ بين يدي) اسقط من الرواية متكئ على منبر له (يعني لجبريل أخذ صاحبك الفطرة) وانه لمهدي كما في بقية حديث شداد وفي حديث أبي هريرة عند الشيخين أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به بايلياء باناء فيه

شدة الحاجة اليه من الطبيب والعليل دعت الى بسطه وبالله التوفيق *(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم)* في علاج الكرب والهم والغم والحزن أخرجا في الصحيحين من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات السبع ورب الارض ورب العرش الكريم وفي جامع الترمذي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر قال يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث وفيه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أهمه الامر رفع طرفه الى السماء فقال سبحان الله العظيم واذا اجتهد في الدعاء قال يا حي يا قيوم وفي سنن أبي داود عن أبي بكر الصديق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوات المكروب اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا اله الا أنت وفيها أيضا عن أسماء بنت عميس قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمك كلمات تقوليهن عند الكرب أو في الكرب الله ربي لا أشرك به شيا وفي رواية أنها تقال سبع مرات وفي مسند الامام أحمد عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أصاب عبدا هم ولا حزن فقال

خمر واناء فيه لبن فنظر اليهما فاخذ اللبن فقال له جبريل الحمد لله الذى هداك للفطرة لو أخذت الخمر غوت أمتك وفى حديث أنس عند البيهقى فعرض عليه الماء والخمر واللبن فاخذ اللبن فقال له جبريل أصبت الفطرة لو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك ولو شربت الخمر لغويت وغويت أمتك قال الحافظ ويجمع بين هذا الاختلاف فى عدد الآنية وما فيها بحمله على أن بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر ومجموعها أربعة آنية فيها أربعة أشياء من الانهار الاربعة التى رآها تخرج من أصل سدرة المنتهى فلعله عرض عليه من كل نهر اناء انتهى وسياتى هذا فى كلام المصنف وأما الاختلاف أن عرض الاوانى فى بيت المقدس أو بعد سدرة المنتهى والبيت المعمور فالجمع بينهما ما ذكره بقوله (وقد كان اتيانه بالاوانى مرتين مرة عند فراغه من الصلاة) ببيت المقدس وسببه ما وقع له من العطش قاله الحافظ (ومرة عند وصوله الى سدرة المنتهى ورؤية الانهار الاربعة) التى رآها تخرج من أصل سدرة المنتهى وفى هذا اعمال لجميع الروايات لصحتها كلها وهو أولى من جمع الحافظ أيضا بحمل ثم فى رواية مالك بن صعصعة انه أتى بالاوانى بعد سدرة المنتهى ورفع البيت المعمور له على غير بابها من الترتيب وانما هى بمعنى الواو وهنا (وممن صرح) على طريق الترجى (بانه كان مرتين الحافظ عماد الدين بن كثير) لا الجزم كما يوهمه المصنف فعبارة الشامى قال السهيلى وابن دحية وابن المنير وابن كثير والحافظ لعله قدم مرتين أى جمعا بين الروايات (وعلى هذا فيكون تكرار جبريل) عليه السلام (للتصويب حيث اختار اللبن تاكيدا للتحذير عما سواه) أى اللبن وذلك السوى هو الخمر خاصة (وقد انكر حذيفة) بن اليمان رضى الله عنهما (ربط البراق بالحلقة فروى أحمد والترمذى من حديث حذيفة قال يحدثون انه ربطه) أى البراق (أخاف أن يفر منه) كذا فى النسخ الصحيحة بهمزة الانكار ومثلها فى الفتح والنعمانى والشامى والغيطى فما فى نسخ خاف بحذفها سهو من قلم المصنف أو نساخه (و) الحال انه (قد سخره له عالم الغيب والشهادة) فكيف يخاف أن يفر منه ويجوز أن خاف بلا همزة حكاية عن كلام المحدثين وأنه رد عليهم بقوله وقد ممنوع اذ جميع الذين حدثوا بانه ربطه لم يقل احد منهم انه خاف أن يفر منه والجواب عما وجه به انكار ربطه أنه لم يفعل ذلك خوفا قال النووى فى ربط البراق الاخذ بالاحتياط فى الامور وتعاطى الأسباب وان ذلك لا يقدح فى التوكل اذا كان الاعتماد على الله وقال السهيلى فيه من الفقه التنبيه على الاخذ بالحزم مع صحة التوكل وان الايمان بالقدر لا يمنع الحزم من توقى المهالك كما روى عن وهب بن منبه (وكذا انكر حذيفة أيضا) فى هذا الحديث (صلاته عليه السلام ببيت المقدس) واحتج بانه لو صلى فيه لكتب عليكم الصلاة فيه كما كتبت عليكم الصلاة فى البيت العتيق (وتعقبه البيهقى وابن كثير بان المثبت مقدم على النافى يعنى من أثبت ربط البراق والصلاة فى بيت المقدس) وهم جمهور الصحابة (معه زيادة علم على من نفى ذلك فهو أولى بالقبول) من النافى لانه لم يصحبه دليل نفيه قال الحافظ والجواب عنه منع التلازم فى الصلاة ان كان أراد بقوله كتب عليكم الفرض وان أراد التشريع فنلتزمه وقد شرع النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة فيه فقرنه بالمسجد الحرام ومسجده فى شد الرحل وذكر فضيلة الصلاة فيه فى غير ما حديث (ووقع فى رواية بريدة عند البزار لما كان ليلة أسرى بى فاتى جبريل الصخرة) بالفاء فى جواب لما وهو قليل اجازه ابن مالك ورده ابن هشام (التى ببيت المقدس) التى كانت قبلة قال البرقى فى غريب الموطا هى من غرائب الدنيا فان جميع المياه تخرج من تحتها وهى صخرة صماء فى وسط المسجد الاقصى كجبل بين السماء والارض معلقة لا يمسكها الا الله وفى أعلاها موضع قدم النبى صلى الله عليه وسلم حين ركب البراق ليلة الاسراء فمالت من تلك الجهة من هيبته وفى الجهة الاخرى أثر أصابع الملائكة التى امسكتها اذ مالت وكان بعضها أبعد من الارض من

اللهم انى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى الا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحا وفى الترمذى عن سعد بن أبى وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة ذى النون اذ دعا ربه وهو فى بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم فى شئ قط الا استجيب له وفى رواية انى لاعلم كلمة لا يقولها مكروب الا فرج الله عنه كلمة أخى يونس وفى سنن أبى داود عن أبى سعيد الخدرى قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فاذا هو برجل من الانصار يقال له أبو أمامة فقال يا أبا أمامة مالى أراك فى المسجد فى غير وقت الصلاة فقال هموم لزمتنى وديون يا رسول الله فقال ألا أعلمك كلاما اذا أنت قلته أذهب الله عز وجل همك وقضى دينك قال قلت بلى يا رسول الله قال قل اذا أصبحت واذا أمسيت اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن

بعض ونحته اغار عليه باب يفتح لمن يدخله للصلاة والدعاء (فوضع أصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق ونحوه للترمذي) وابن حبان والحاكم وصححه عن بريدة قال قال صلى الله عليه وسلم لما انتهينا الى بيت المقدس ليلة أسري بي قال جبريل باصبعه فخرق بها الحجر وشد به البراق والمراد بالحجر صخرة بيت المقدس كما في رواية البزار فلذا اختار سياقه لصراحته والجمع بين هذا وبين قوله في حديث أنس عند مسلم فربطته بالحلقة التي كانت تربط بها الانبياء ما قاله بعضهم انه صلى الله عليه وسلم ربطه أولا بالحلقة تأدبا واتباعا للانبياء فاخذه جبريل وحله من الحلقة وخرق الصخرة وشده بها كأنه يقول أنت لست ممن يكون مركوبه بالباب بل أنت أعلى وأغلى فلا يكون مركوبك الا في داخل المحل وهذا أمر مشاهد في العادة بين الكبراء وأما جواب الطيبي بان المراد بالحلقة الموضع الذي كان فيه الحلقة وقد اشتد فخرقه جبريل فرده النجم بان الحلقة وموضعها بالباب والذي خرقه جبريل باصبعه انما هو الصخرة وهي داخل المسجد بعيدة عن الباب انتهى (وفي حديث أبي سعيد عند البيهقي حتى أتيت بيت المقدس فاوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الانبياء تربطها فيه فدخلت أنا وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين) غير الصلاة التي صلاها بالانبياء كما هو صريحه قال بعضهم يحتمل انهما تحية المسجد ويحتمل غير ذلك أي ككونهما من صلاة الليل أو القصد بهما شغل البقعة قال ابن دحية وفيه دليل على أن الصلاة لم تزل معهودة قبل أن تفرض ومعهودة مثنى مثنى قال النعماني وقد فرضت الصلاة قبل الهجرة ركعتين (وفي رواية ابن مسعود) عند الحسن بن عرفة وأبي نعيم (نحوه وزاد) ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم (ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع) أي خاشع كخشوع الراكع فلا يرد أن الركوع من خصائص الامة وما صلاة المصطفى قبل الاسراء لا ركوع فيه وكذا ظهر عقب الاسراء وأول صلاة بركوع العصر بعدها (وساجد ثم أذن) كذا في النسخ وفيها اسقط فليس هذا من رواية ابن مسعود انما هو عن أنس ففي فتح الباري بعد قوله وساجد ثم أقيمت الصلاة فامتهم وفي رواية يزيد بن أبي مالك عن أنس عند ابن أبي حاتم فلم ألبث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير ثم أذن (مؤذن) أي أعلم بطلب الصلاة (فاقيمت الصلاة) أي تهيؤا لها وشرعوا فيها فلا يرد أن الاذان والاقامة انما شرعا بالمدينة والاسراء كان بمكة (فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا) وفي نسخة ننتظر وهي بمعنى ننتظر كقوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة أي ما ينتظرون (فاخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم) اماما (وفي حديث ابن مسعود أيضا عند مسلم وحانت الصلاة) دخل وقت طلبهم بها (فامتهم) صليت بهم اماما (وفي حديث ابن عباس عند أحمد فلما أتى صلى الله عليه وسلم) المسجد (الاقصى قام يصلي) بعد انتظارهم من يؤمهم وتقديم جبريل للمصطفى (فاذا النبيون أجمعون يصلون معه) كما في الحديث قبله فليس المراد ظاهره انه قام يصلي وحده فاقتدوا به لان الاحاديث يفسر بعضها بعضا فان قيل كيف يصلي الانبياء وهم أموات في الدار الآخرة وليست دار عمل أجاب عياض وتبعه السبكي بانهم كالشهداء بل أفضل والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يستبعد أن يحجوا ويصلوا وأن يتقربوا الى الله بما استطاعوا لانهم وان ماتوا فهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل حتى اذا فنيت مدتها وتعقبها الآخرة التي هي دار الجزاء انقطع العمل وحاصله أن البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا في استكثارهم من الاعمال وزيادة الاجور وبان المنقطع في الآخرة انما هو التكليف وقد تحصل الاعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ بها والخضوع لله ولذا صح عن أهل الجنة انهم يسبحون ويدعون ويقرؤن القرآن كما في الحديث انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وهو معنى قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم وانظر الى سجوده صلى الله عليه وسلم وقت الشفاعة أليس ذلك

وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال ففعلت ذلك فاذهب الله عز وجل همي وقضى عني ديني وفي سنن أبي داود عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وفي المسند ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وقد قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وفي السنن عليكم بالجهاد فانه باب من أبواب الجنة يدفع الله به عن النفوس الهم والغم ويذكر عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من كثرت همومه وغمومه فليكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله وثبت في الصحيحين انها كنز من كنوز الجنة وفي الترمذي انها باب من أبواب الجنة هذه الادوية تتضمن خمسة عشر نوعا من الدواء فان لم تقو على اذهاب داء الهم والغم والحزن فهو داء قد استحكم وتمكنت أسبابه ويحتاج الى استفراغ كلي الاول توحيد الربوبية الثاني توحيد الالهية الثالث التوحيد العلمي الاعتقادي الرابع تنزيه الرب تعالى

عبادة وعملا وعلى كلا الجوابين لا يمتنع حصول هذه الاعمال فى مدة البرزخ وقد صح عن ثابت البنانى التابعى انه قال اللهم ان كنت أعطيت أحدا ان يصلى فى قبره فاعطنى ذلك فرىء بعد موته يصلى فى قبره وتكفى رؤيته صلى الله عليه وسلم لموسى قائما يصلى فى قبره ولان جميع الانبياء لم يقبضوا حتى خيروا فى البقاء فى الدنيا وبين الآخرة ولا شك أنهم لو بقوا فى الدنيا لازدادوا من الاعمال الصالحة ثم انتقلوا الى الجنة فلو لم يعلموا أن انتقالهم الى الله أكمل لما اختاروه ولو كان انتقالهم من هذه الدار يفوت عليهم زيادة فيما يقرب الى الله لما اختاروه انتهى (وعن أبى سعيد) الخدرى (ثم سار حتى أتى بيت المقدس فربط فرسه) أى البراق سماه فرسا تجوزا القرب صورته منها الا ان الفارس يطلق على مقابل الماشى سواء ركب فرسا أو بغلا أو حمارا وتجويز أن جبريل ركب معه فرسا لا يصح لحديث أنه ركب معه على البراق وقد جاء تسمية البراق فرسا فى رواية أخرى انه أتى بفرس فحمل عليه وضمن ربط معنى ضم فعداه بالى فى قوله (الى صخرة) أو الى بمعنى الباء أو عند كقوله * أشهى الى من الرحيق السلسل * والمراد بالصخرة هنا الحلقة التى بالباب لا التى بداخل المسجد بدليل قوله (ثم دخل فصلى مع الملائكة) اما ما بهم على المتبادر فضمير صلى للنبى صلى الله عليه وسلم بعد صلاته ركعتين هو وجبريل كما مر قريبا وترجيع ضمير صلى لجبريل وان المعنى صلى مع الملائكة لما وجدهم يصلون بعيد جدا بل يمنعه ما رواه الواسطى عن كعب فاذن جبريل ونزلت الملائكة من السماء وحشر الله له المرسلين فصلى النبى صلى الله عليه وسلم بالملائكة والمرسلين (فلما قضيت الصلاة) بالبناء للمفعول أى تمت وفرغوا منها (قالوا يا جبريل من هذا معك) خبر بعد خبر أو حال (قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين) والرسل (قالوا وقد أرسل اليه) أى طلب للحضور ولا أرسل اليه بالوحى أم لا لقوله لهم رسول الله (قال نعم قالوا حياه الله) أى أبقاه وسلمه وملكه مما أعظمه وأكرمه (من أخ) فمن متعلق بمحذوف أو مبينة للضمير أو زائدة وجعلوه أخا لهم لان المراد اخوة الايمان (ومن خليفة) لله تعالى لعمارة الارض وسياستها وتكميل النفوس البشرية وتنفيذ الاوامر الالهية لا لاحتياجه تعالى بل لقصور الخلق عن التلقى بلا واسطة (فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا) أى المصطفى والملائكة ببيت المقدس بعد انقضاء الصلاة (أرواح الانبياء) متشكلة بصور أجسادهم (فأثنوا) أى الانبياء (على ربهم) ويجوز أن المثنى الملائكة لملاقاتهم الانبياء كما يقول من رأى صالحا الحمد لله الذى من على بلقائك يمنعه قوله (فقال ابراهيم عليه السلام الحمد لله الذى اتخذنى خليلا) صفيا خالص المحبة له (وأعطانى ملكا عظيما) قال ابن دحية لا يعهد لابراهيم ملك عرفى فاما ان يراد بالملك الاضافة اليه نفسه لقهره عظماء الملوك وناهيك بنمروذ وقد قهره الله لخليله وعجزه عنه وغاية الملك العظيم قهر الملك العظيم فالقاهر أعظم من المقهور قطعا أو يراد الاضافة الى بنيه وذريته نحو ملك يوسف وهلم جرا كملك داود وسليمان والكل من ولد ابراهيم وفى التنزيل وآتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما والاشارة هنا الى ذريته وأما ان يراد ملك النفس فى مظنة الاضطرار مثل ملكه لنفسه وقد ساله جبريل ألك حاجة قال أما اليك فلا (وجعلنى أمة) اماما جامعا لخصال الخير وفضائل لا تكاد توجد الا مفرقة فى أشخاص كثيرة والجامع لذلك أمة لقيامه مقام الجماعة كأنه اجتمع فيه ما تفرق فى غيره كقوله

وليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

(قانتا) مطيعا (يؤتم) يقتدى (بى وأنقذنى من النار وجعلها على بردا) ذهبت حرارتها فلم تحرق غير وثاقه وبقيت اضاءتها (وسلاما) سلم من الموت ببردها (ثم ان موسى عليه السلام أثنى على ربه فقال الحمد لله الذى كلمنى تكليما) بلا واسطة (واصطفانى) اختارنى على أهل زمانى قال تعالى يا موسى انى

اصطفيتك

فمن أن يظلم عبده أو يأخذه بلا سبب من العبد يوجب ذلك الخامس اعتراف العبد بأنه هو الظالم السادس التوسل الى الرب تعالى بأحب الاشياء اليه وهو أسماؤه وصفاته ومن أجمعها لمعانى الاسماء والصفات الحى القيوم السابع الاستعانة به وحده الثامن اقرار العبد له بالرجاء التاسع تحقيق التوكل عليه والتفويض اليه والاعتراف له بان ناصيته فى يده يصرفه كيف يشاء وانه ماض فيه حكمه عدل فيه قضاؤه العاشر أن يرتع قلبه فى رياض القرآن ويجعله لقلبه كالربيع للحيوان وان يستضىء به فى ظلمات الشبهات والشهوات وان يتسلى به عن كل فائت ويتعزى به عن كل مصيبة ويستشفى به من أدواء صدره فيكون جلاء حزنه وشفاء همه وغمه الحادى عشر الاستغفار الثانى عشر التوبة الثالث عشر الجهاد الرابع عشر الصلاة الخامس عشر البراءة من الحول والقوة وتفويضهما الى من هما بيده

(فصل) فى بيان جهة تأثير هذه الادوية فى هذه الامراض خلق الله سبحانه ابن آدم وأعضاءه وجعل لكل عضو منها كمالا اذا فقده أحس بالالم وجعل

اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي (وأنزل على التوراة) فيها هدى ونور وسماها الله تعالى الفرقان لفرقها بين الحق والباطل والحلال والحرام وبصائر للناس وهدى ورحمة (وجعل هلاك فرعون) على يدي (ونجاة بني اسرائيل على يدي) يتنازعه هلاك ونجاة (وجعل من أمتي قوما يهدون) الناس (بالحق وبه يعدلون) ويحكمون (ثم ان داود أثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما) في بني اسرائيل ولم يجتمعوا على ٢ نبي قبله (وعلمني الزبور) كتاب الله المنزل عليه (وألان لي الحديد) فكان في يدي كالعجين (وسخر لي الجبال يسبحن معي) بالعشي وقت صلاة العشاء والاشراق وقت صلاة الضحى وهو ان تشرق الشمس ويتناهى ضوءها وفي التنزيل ياجبال أوبي معه أي سبحي معه قاله مجاهد رواه الفريابي وعن الضحاك هو التسبيح بلغة الحبشة قال ابن كثير وفيه نظر فالتاويب لغة الترجيع وقال وهب نوحي معه وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها أو بحملها اياه على التسبيح اذا تامل فيها وقيل سيري معه حيث سار والتضعيف للتكثير (والطير) قال تعالى وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير سخر التسبيح معه لامره به اذا وجد فترة لينشط للتسبيح (وآتاني الحكمة) النبوة والاصابة في الامور (وفصل الخطاب) البيان الشافي في كل قصد وفي البيضاوي وفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل أو الكلام الملخص الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها (ثم ان سليمان عليه السلام أثنى على ربه فقال الحمد لله الذي سخر لي الرياح) ذللها الطاعتي اجابة لدعوتي تجري بامره رخاء لينة من الرخاوة لا تزعزع أو لا تخالف ارادته كالمامور المنقاد حيث أصاب أي أراد (وسخر لي الشياطين يعملون) لي (ماشئت من محاريب) ابنية مرتفعة يصعد اليها بدرج كالقصور وسميت بها لانها يذب عنها ويحارب عليها (وتماثيل) جمع تمثال وهو كل شئ مثلته بشئ أي صورا من نحاس وزجاج ورخام ولم يكن اتخاذ الصور حراما في شريعته وأسقط المصنف من حديث أبي سعيد وجفان كالجوابي وقدور راسيات وكذا هو ثابت في حديث أبي هريرة عند البيهقي وغيره وهو موافق للقرآن فكأنه سقط من قلم المصنف سهوا والجوابي جمع جابية وهي حوض كبير يجتمع على الجفنة ألف رجل ياكلون منها وقدور راسيات ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها تتخذ من الجبال باليمن يصعد اليها بالسلاليم (وعلمني منطق الطير) أي فهم أصواته (وآتاني من كل شئ) يؤتاه الانبياء والملوك فضلا مبينا ظاهرا (وسخر لي جنود الشياطين) أي اعوانا هم الشياطين فهو من اضافة الاعم الى الاخص أو اضافة بيانية (والانس والجن) ظاهره انهم غير الشياطين وهو كذلك باعتبار الايمان فمن كفر من الجن يقال له شيطان كما في حياة الحيوان وغيرها (والطير) أسقط من الحديث وفضلني على كثير من عباده المؤمنين قبل قوله (وآتاني ملكا لا ينبغي) لا يكون (لاحد من بعدي) أي سواء ولو في حياتي كقوله تعالى فمن يهديه من بعد الله أي سواه (وجعل لي ملكا طيبا ليس على فيه حساب) ولا عقاب كما في الرواية أي لعصمته من الظلم المؤدي الى ذلك فهو وان اتسع ملكه بحيث تجري العادة في مثله بترتب الحساب والعقاب لم يحصل فيه شئ يقتضيهما للملوك لاسيما الجبابرة (ثم ان عيسى عليه السلام أثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعلني كلمته) أي مكونا بها وهي قوله تعالى كن من غير واسطة أب ولا نطفة (وجعلني مثل آدم) كشانه في خلقه من غير أب وهو من تشبيه الغريب بالاغرب ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس (خلقه) أي آدم أي قالبه (من تراب ثم قال له كن) بشرا (فيكون) أي فكان وكذلك عيسى قال له كن من غير أب فكان والجملة مفسرة للتمثيل مبينة

٢ قوله على نبي قبله الاولى على ملك قبله اهـ من هامش

لملكها وهو القلب كالا اذا فقده حضرته أسقامه وآلامه من الهموم والغموم والاحزان فاذا فقدت العين ماخلقت له من قوة الابصار وفقدت الاذن ماخلقت له من قوة السمع واللسان ماخلق له من قوة الكلام فقدت كمالها والقلب خلق لمعرفة فاطره ومحبته وتوحيده والسرور به والابتهاج بحبه والرضا عنه والتوكل عليه والحب فيه والبغض فيه والموالاة فيه والمعاداة فيه ودوام ذكره وان يكون أحب اليه من كل ماسواه وأرجى عنده من كل ماسواه وأجل في قلبه من كل ماسواه ولا نعيم له ولا سرور ولا لذة بل ولا حياة الا بذلك وهذا له بمنزلة الغذاء والصحة والحياة فاذا فقد غذاءه وصحته وحياته فالهموم والغموم والاحزان مسارعة من كل صوب اليه ورهن مقيم عليه ومن أعظم أدوائه الشرك والذنوب والغفلة والاستهانة بمحابه ومراضيه وترك التفويض اليه وقلة الاعتماد عليه والركون الى ماسواه والسخط بقدوره والشك في وعده ووعيده واذا تاملت أمراض القلب وجدت هذه الامور وأمثالها هي أسبابها لا سبب لها سواها فدواؤه الذي لا دواء له سواه ما تضمنته هذه العلاجات النبوية من الامور المضادة لهذه الادواء فان المرض يزال

لما به الشبه (وعلمني الكتاب) الخط أو جنس الكتب الالهية (والحكمة) أي العلوم وتهذيب الاخلاق (والتوراة) النازلة قبله على موسى (والانجيل) المنزل على عيسى (وجعلني أخلق) أصور (من الطين كهيئة الطير) مثل صورته والكاف اسم مفعول (فانفخ فيه) الضمير للكاف أو للطين أو للطير وهكذا بالتذكير في آل عمران وبالتانيث في المائدة عائد الى الهيئة وهو تفنن على عادة العرب في التفنن في الكلام (فيكون طيرا باذن الله) أي بارادته (وجعلني أبرئ) أشفي (الاكمه) الذى ولد أعمى (والابرص) وخصا لانهما داءا اعيا وكان بعثه في زمن الطب فابرأ في يوم خمسين ألفا بالدعاء بشرط الايمان (وأحيي الموتى باذن الله) بارادته فاحيا عاذر صديقا له وابن العجوز وابنة العاشر فعاشوا وولد لهم وسام بن نوح ومات في الحال (ورفعني) اليه من الدنيا بلا موت (وطهرني) بعدني من الذين كفروا (وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم) المطرود (فلم يكن للشيطان علينا سبيل) قال صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا الا مريم وابنها رواه الشيخان (قال وان محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه فقال كلكم) يا هؤلاء الذين أثنوا (أثنى على ربه وأنا أثني على ربي فاقول الحمد لله الذى أرسلني رحمة للعالمين) المسلمين لسعادتهم في الدارين في معاشهم ومعادهم والكافرين بامنهم من الخسف والمسخ والاستئصال (وكافة للناس) بيان لعموم رسالته فهو اما صفة مصدر أي ارسالة كافة أي عامة كفتهم عن الخروج منها فهو مفعول مطلق لارسلني أو اسم فاعل حال من الياء أي حال كوني كافا للناس فالتاء للمبالغة وكونه حالا من الناس مقدما على صاحبها المجرور قول ضعيف (بشيرا) أي مبشرا بالخير لمن آمن واتقى (ونذيرا) منذرا محذرا من كفر وعصى وهو حال مترادفة أو متداخلة جدا ولا على ما أنعم به عليه ثم ثنى بما له من المنافع والفوائد وبعبارة كافة أي جامعا في الانذار والابلاغ من الكف بمعنى الجمع ومنه كف الثواب وهو جمعه بالخياطة والهاء للمبالغة كعلامة ونحوها وقيل معناه مانعا ورادعا عن الكفر وسائر المعاصي من الكف بمعنى المنع والهاء للمبالغة أيضا ونصب كافة على الوجهين حال من المفعول في أرسلني (وأنزل على الفرقان) من أسماء القرآن لانه فرق بين الحق والباطل وهذا عام لغة وعليه ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان ثم خص عرفا بالقرآن فصار علما له بالغلبة وأصله تبارك الذى نزل الفرقان على عبده وهو مصدر بمعنى الفارق أو المفرق آياته أو انزاله (فيه تبيان كل شئ) بكسر التاء البيان الشافي كما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شئ أي يحتاج اليه من الامور المهمة الشرعية تفصيلا في بعض واجمالا في بعض وأحاله على الرسول عليه السلام في أمره باتباعه بقوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وعلى الاجماع بقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو شامل للقياس والاجتهاد كما في الكشاف وغيره (وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس) كما قال في الكتاب العزيز كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون الآية (وجعل أمتي أمة وسطا) أي خيارا عدولا جامعين بين العمل والعلم وسائر الصفات التي بين التفريط والافراط (وجعل أمتي هم الاولون) في دخول الجنة (والآخرون) في الوجود وهم ضمير مبتدأ مفيد للحصر لا ضمير فصل لانه لو كان كذلك لقيل الاولين (وشرح لي صدري) وسعه بالعلم والايمان والحكمة واليقين بحيث لا أحزن على أمر من أمور الدنيا أو شقه وملأه بالانوار كما مر (ووضع عني وزري) طهر قلبي من حظ الشيطان وعصمني فلا أرتكب ذنبا ولذا قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فسوى بينهما العدم وقوعهما أو خفف أعباء النبوة والتبليغ بافاضة منته علي والجملتان في غاية التناسب (ورفع لي ذكري) جعلني مذكورا في الملأ الاعلى وجعل اسمي طراز الجنان ومقرونا باسمه تعالى على كل لسان وعلى المنابر في كل اقامة وأذان قال حسان

بالضد والصحة تحفظ بالمثل فصحته تحفظ بهذه الامور النبوية وأمراضه باضدادها فالتوحيد يفتح للعبد باب الخير والسرور واللذة والفرح والابتهاج والتوبة استفراغ للاخلاط والمواد الفاسدة التي هي سبب اسقامه وحمية له من التخليط فهي تغلق عنه باب الشرور فيفتح له باب السعادة والخير بالتوحيد ويغلق باب الشرور بالتوبة والاستغفار قال بعض المتقدمين من أئمة الطب من أراد عافية الجسم فليقلل من الطعام والشراب ومن أراد عافية القلب فليترك الآثام وقال ثابت بن قرة راحة الجسم في قلة الطعام وراحة الروح في قلة الآثام وراحة اللسان في قلة الكلام والذنوب للقلب بمنزلة السموم ان لم تهلكه أضعفته ولابد واذا ضعفت قوته لم يقدر على مقاومة الامراض قال طبيب القلوب عبد الله ابن المبارك

رأيت الذنوب تميت القلوب
وقد يورث الذل ادمانها
وترك الذنوب حياة القلب
وخير لنفسك عصيانها

فالهوى أكبر أدوائها ومخالفته أعظم أدويتها والنفس في الاصل خلقت جاهلة ظالمة فهي لجهلها تظن شفاءها في اتباع هواها وانما فيه

وضم

وضم الاله اسم النبي الى اسمه * اذا قال في الخمس المؤذن أشهد

(وجعلني فاتحا) لابواب الايمان والهداية الى الصراط المستقيم ولبيان أسباب التوفيق وما استغلق من العلم أو هو من الفتح بمعنى الحكم فجعله حاكما في خلقه ففتح ما انغلق بين الخصمين باحيائه الحق وايضاحه واماتته الباطل وادحاضه أو فاتحا بالشفاعة يوم القيامة (وخاتما) للنبيين أي آخرهم بعثا (فقال ابراهيم بهذا) أي بمجموع ما ذكر وبكل واحدة منها لا بالاولى فقط كما زعم (فضلكم محمد) أي زاد فضله عليكم وقدم المعمول للحصر وقال هذا ابراهيم خطابا للانبياء اذاعة لفضله لما سمع ثناءه (ثم ذكر) في هذا الحديث (انه عرج به الى السماء الدنيا) القريبة الينا من بين السبع سموات (ومن سماء الى سماء ذكره القاضي عياض في الشفاء مختصرا) يعني انه لم يذكر ثناء الانبياء بل قال فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال كالكم فذكره بلفظ المصنف هنا (من حديث أبي هريرة من غير عزو) لمخرج وقد أخرجه أبو يعلى والبزار وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي كلهم من حديث أبي هريرة فما أوهمه قول المصنف (ورواه) أي الحديث الذي ذكره أولا بقوله وعن أبي سعيد ثم سار حتى أتى بيت المقدس الى هنا لا قوله ثم عرج به الى السماء كما زعمه من لم يقف على شئ (البيهقي من حديث أبي سعيد) الخدري (وهذا لفظه) من أن البيهقي لم يروه عن أبي هريرة وأن عياضا وهم في نسبته له ليس بمراد وروى أحمد وابن ماجه وصححه الحاكم عن ابن مسعود مرفوعا لقيت ليلة أسري بي ابراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم الى ابراهيم فقال لا علم لي بها فردوا الامر الى موسى فقال لا علم لي بها فردوا الامر الى عيسى فقال أما وجبتها فلا يعلمها أحد الا الله وفيما عهد الى ربي ان الدجال خارج ومعي قضيبان فاذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص فيهلكه الله اذا رآني حتى ان الحجر والشجر ليقول يا مسلم ان تحتي كافرا فتعال فاقتله فيهلكهم الله ثم ترجع الناس الى بلادهم وأوطانهم فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطؤن بلادهم لا يطؤن على شئ الا أهلكوه ولا يمرون على ماء الا شربوه ثم ترجع الناس الي فيشكونهم فادعو الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الارض من نتن ريحهم فينزل الله المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر ثم تنسف الجبال وتمد الارض مد الاديم ففيما عهد الى ربي ان ذلك اذا كان كذلك فان الساعة كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلا أو نهارا وتجوى بالجيم أي تنتن وقوله فيهلكه الله اذا رآني أي على يدي بقتلي له بعد هروبه لا بمجرد رؤيته وقوله حتى ان الشجر غاية لمقدر في حديث أبي امامة عند ابن ماجه وصححه ابن خزيمة والحاكم مرفوعا فاذا انصرف أي من الصلاة خلف المهدي قال عيسى افتحوا الباب فيفتحون ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج فاذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هاربا ويقول عيسى ان لي فيك ضربة لن تسبقني فيدركه عند باب لد الشرقي فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شئ مما خلق الله عز وجل تتواقى به دابة الا الغرقدة فانها من شجرهم لا تنطق الا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله (وفي رواية ابن أبي حاتم في تفسيره عن أنس لما بلغ بيت المقدس فبلغ) أي فسار حتى بلغ (المكان الذي يقال له باب محمد) الآن بعد دخوله صلى الله عليه وسلم منه ويحتمل انه كان معروفا عندهم قبل المعراج وبهذا الاسم من الانبياء والكتب القديمة (أتى الى الحجر) جواب لما (الذي به) وهو الصخرة المعروفة (فغمز جبريل باصبعه فثقبه ثم ربطها) أي الدابة وهو البراق وفي نسخة ثم صعدا أي مرا بعد ربط البراق والا فلا معنى للصعود هنا وأكثر النسخ باسقاطها وهي ظاهرة (فلما استويا في سرحة) بسين مهملة وراء وحاء أي فناء (المسجد) أي ساحته التي في وسطه وفي نسخة

تلفها وعظمها ولظلمها الا تقبل من الطبيب الناصح بل يضع الداء موضع الدواء فيه تعديه ويضع الدواء موضع الداء فتجتنبه فيتولد من بين ايثارها الداء واجتنابها الدواء أنواع من الاسقام والعلل التي تعيي الاطباء ويتعذر معها الشفاء والمصيبة العظمى انها تركب ذلك على القدر فتبرئ نفسها وتلوم ربها بلسان الحال دائما ويقوى اللوم حتى يصرح به اللسان واذا وصل العليل الى هذه الحال فلا يطمع في برئه الا ان تتداركه رحمة من ربه فيحييه حياة جديدة ويرزقه طريقة جيدة فلهذا كان حديث ابن عباس في دعاء الكرب مشتملا على توحيد الالهية والربوبية ووصف الرب سبحانه بالعظمة والحلم وهاتان الصفتان مستلزمتان لكمال القدرة والرحمة والاحسان والتجاوز ووصفه بكمال ربوبيته للعالم العلوي والسفلي والعرش الذي هو سقف المخلوقات وأعظمها والربوبية التامة تستلزم توحيده وانه الذي لا تنبغي العبادة والحب والخوف والرجاء والاجلال والطاعة الا له وعظمته المطلقة تستلزم اثبات كل كمال له وسلب كل نقص وتمثيل عنه وحلمه يستلزم كمال رحمته واحسانه الى خلقه فعلم القلب ومعرفته بذلك توجب محبته واجلاله

صرحة المسجد بصاد مهملة وهي ظاهرة أي ساحته وفي نسخة عرصة المسجد أي ساحته التي لا بناء فيها
ونقل الشامي هذا الحديث بعينه بلفظ في صخرة المسجد أي عندها (قال جبريل يا محمد هل سألت
ربك أن يريك الحور العين) بكسر العين جمع عيناء حسنة العينين وأسعتهما والحور النساء البيض
اللواتي بأعينهن حور وهو شدة بياض بياضها وسواد سوادها وقيل الحور اسوداد المقلة كلها كعيون
الظباء قالوا ولا حور في الانسان وانما قيل ذلك في النساء على التشبيه (قال نعم قال فانطلق الى أولئك
النسوة) فانهن من الحور العين (فسلم عليهن قال) صلى الله عليه وسلم فانطلقت (فسلمت عليهن
فرددن على السلام فقلت لمن أنتن فقلن خيرات) أخلاقا (حسان) وجوها جمع حسناء وقيل خيرات
جمع خيرة بفتح فسكون وهي الحوراء (نساء قوم أبرار نقوا فلم يدرنوا) بفتح الياء والراء أو بضم الياء
وكسر الراء أي لم يصبهم درن وهو الوسخ (وأقاموا فلم يظعنوا) يرتحلوا من محل لآخر فتصيبهم مشقة
الظعن (وخلدوا فلم يموتوا قال ثم انصرفت) من عند الحور (فلم ألبث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير ثم
أذن مؤذن وأقيمت الصلاة) تقدم المراد بهما (قال فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فأخذ جبريل عليه
السلام بيدي فقدمني فصليت بهم فلما انصرفت) من الصلاة (قال لي جبريل أتدري من صلى خلفك
قلت لا قال صلى خلفك كل نبي بعثه الله) تعالى أي أوحى اليه بشرع فشمل الانبياء والمرسلين لقوله في
الحديث السابق فاذا النبيون أجمعون يصلون معه ثم ظاهر سياق هذا الحديث يخالف قوله في الرواية
السابقة ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد ثم أقيمت الصلاة فأممتهم (قال
القاضي عياض يحتمل ان يكون صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء جميعا في بيت المقدس) قبل العروج
قال الشامي وهو الذي تظاهرت به الروايات واستظهره الحافظ (ثم صعد منهم الى السماء من ذكر أنه
عليه السلام رآه في السموات) آدم فيحيى وعيسى فيوسف فادريس فهرون فموسى فابراهيم (ويحتمل
أن يكون صلى بهم بعد ان هبط من السماء فهبطوا أيضا) للصلاة معه قال الشامي وصححه ابن كثير
وقوله (والاظهر أن صلاته بهم ببيت المقدس قبل العروج انتهى) ظاهره أنه من كلام عياض وليس
كذلك انما هو للحافظ ذكره في فتح البارى بعد كلام عياض وكذا عزاه له تلميذه النعماني ثم الشامي
ثم الغيطي (وقال ابن كثير صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده فان في الحديث ما يدل على ذلك
ولا مانع منه انتهى) وهذا انما نقله عن ابن كثير نفسه من قوله الظاهر أنه بعد رجوعه الى آخر ما يأتي
بعد أسطر وقد نسب النعماني ما هنا لنفسه وتبعه الشامي فعزاه له (وقد اختلف في هذه الصلاة) هل هي
الشرعية المعروفة أو اللغوية وصوب الاول لان النص يحمل على حقيقته الشرعية قبل اللغوية ما لم
يتعذر حمله على الشرعية ولم يتعذر هنا فوجب حمله على الشرعية وعلى هذا اختلف (هل هي فرض)
ويدل عليه كما قال النعماني حديث أنس عند ابن أبي حاتم المتقدم قريبا للمصنف (أو نفل واذا قلنا انها
فرض فأي صلاة هي قال بعضهم الاقرب انها الصبح ويحتمل أن تكون العشاء وانما يتأتى على قول
من قال انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم قبل عروجه الى السماء) وفي النعماني انما يتأتى على ان الاسراء
من أول الليل لكن قال بعض رواة حديث الاسراء انه بعد صلاة العشاء وأما على قول من قال صلى بهم
بعد العروج فتكون الصبح والاحتمالان كما قال الشامي ليسا بشئ سواء قلنا صلى بهم قبل العروج
أو بعده لان الاول صلاة صلاها النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس مطلقا الظهر بمكة باتفاق ومن حمل
الاولية على مكة فعليه الدليل قال والذي يظهر أنها كانت من النفل المطلق أو كانت من الصلاة
المفروضة عليه قبل ليلة الاسراء وفي فتاوى النووي ما يؤيد الثاني (قال ابن كثير ومن الناس من
يزعم أنه أمهم في السماء والذي تظاهرت به الروايات انه ببيت المقدس) فهو الواجب القبول (والظاهر

ورد عليه ما يسره ويفرحه ويقوى نفسه كيف تقوى الطبيعة على دفع المرض الحسي فحصول هذا الشفاء للقلب أولى وأحرى ثم اذا قابلت بين ضيق الكرب وسعة هذه الاوصاف التي تضمنها دعاء الكرب وجدته في غاية المناسبة لتفريج هذا الضيق وخروج القلب منه الى سعة البهجة والسرور وهذه الامور انما يصدق بها من أشرقت فيه أنوارها وباشر قلبه حقائقها وفي تأثير قوله يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث في دفع هذا الداء مناسبة بديعة فان صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الافعال ولهذا كان اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى هو اسم الحي القيوم والحياة التامة تضاد جميع الاسقام والآلام ولهذا لما كملت حياة أهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم ولا حزن ولا شئ من الآفات ونقصان الحياة يضر بالافعال
وينافي القيومية فكمال القيومية لكمال الحياة فالحي المطلق التام لا يفوته صفة الكمال ألبتة والقيوم

أنه بعد رجوعه اليهم لانه لما مر بهم في منازلهم) من السموات (جعل يسال جبريل عنهم واحدا بعد
واحد وهو يخبره بهم) فلو رآهم قبل العروج ما حسن السؤال ولا الجواب ولكن هذا عقلي يدفعه قوله
ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد والسؤال عنهم بعد ذلك في السموات
لا يستلزم انه لم يرهم قبل لجواز اختلاف الصفة وقد نقل الحافظ أن رؤيته الذين صلوا بيت المقدس
تحتمل الارواح خاصة والارواح باجسادها وأما في السماء فحمولة على الارواح الا عيسى لما ثبت انه
رفع بجسده وقد قيل في ادريس أيضا ذلك ويأتي ذلك للمصنف (ثم قال) ابن كثير (وهذا هو اللائق
لانه أولا كان مطلوبا الى الجناب العلوي ليفرض الله عليه وعلى أمته ما يشاء ثم لما فرغ مما أريد به
اجتمع هو واخوانه من النبيين) وهذا أيضا عقلي لا ينهض حجة في المدعى لانه قدم على هذا الامر العظيم
الذي ليس في طوق بشر اما يناسبه الانتقال من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وما رآه في سيره من
الآيات ثم دخوله الاقصى وصلاته ركعتين فناسب أن يجتمع باخوانه ليزيد ايناسه بالاجتماع بجنسه
(ثم أظهر شرفه عليهم بتقديمه في الامامة) ثم ثناء من أتى منهم على ربه وزيادة ثنائه عليهم وقول ابراهيم
بهذا فضلكم محمد فيتلقى المعراج بقلب قوي فلا يكون عنده وحشة في العالم العلوي (وفي رواية ابن
اسحق) عن أبي سعيد (انه عليه السلام قال لما فرغت مما كان في بيت المقدس) من صلاته الركعتين
وصلاته بالانبياء وثنائهم على الله (أتي بالمعراج) الذي تعرج عليه أرواح بني آدم كما في الرواية الآتية
(ولم أر قط شيأ أحسن منه وهو الذي يمد اليه الميت عينيه اذا احتضر) ولو كان الميت أعمى كما في شرح
الصدور فالميت يكشف له اذا احتضر عن المعراج فيراه فيمد عينيه اليه فاذا قبضت روحه صعدت فيه
الى حيث شاء الله (فاصعدني صاحبي جبريل فيه حتى انتهى الى باب من أبواب السماء) أي الدنيا كما مر
في الحديث (وفي رواية كعب) عند الواسطي في فضائل بيت المقدس (فوضعت له مرقاة من فضة
ومرقاة من ذهب) وهو المعراج (حتى عرج هو وجبريل) عليها والمرقاة موضع الرقي ويجوز فتح الميم
على انه موضع الارتقاء وكسرها تشبيها باسم الآلة كالمطهرة وأنكره أبو عبيد وقال لم تقله العرب
(وفي) رواية لابن سعد في كتاب (شرف المصطفى انه أتى بالمعراج من جنة الفردوس) قال صلى الله
عليه وسلم والفردوس أعلى الجنة ووسطها وفوقه عرش الرحمن ومنها تفجر أنهار الجنة فاذا سالتم
الله فاسالوه الفردوس رواه ابن ماجه وصححه الحاكم (وانه منضد باللؤلؤ) أي جمع عليه
بحيث جعل بعضه فوق بعض (وعن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة وفي رواية أبي سعيد
عند البيهقي ثم أتيت بالمعراج الذي تعرج عليه أرواح بني آدم فلم تر الخلائق أحسن من المعراج
أما رأيت الميت) استفهام قصد به تقرير المبالغة في حسنه (حين يشق بصره) أي تنفتح
عيناه عند الاحتضار انفتاحا لا يرتد عما رآه قال المجد شق بصر الميت نظر الى شئ لا يرتد اليه
طرفه ولا تقل شق الميت بصره فافاد أنه لازم وفسره الفقهاء بيشخص بصره ولعله اشارة الى
انه صار كالشاخص الذي لا يتحرك من شدة نظره للمعراج الذي تعرج روحه عليه وترى
بصريته حال كونه (طامحا) أي رافعا بصره الى السماء (فان ذلك) أي سببه (عجبه
بالمعراج وقد تقدم في حديث البخاري السابق) عن مالك بن صعصعة (فانطلق بي جبريل) حتى
أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل
اليه قال نعم ولم يقل جبريل عليه السلام أنا حيث قال له من هذا انما سمى نفسه فقال جبريل
واقتصر عليه لانه ليس في الملائكة من تسمى بهذا الاسم غيره (لان لفظ أنا فيه اشعار بالعظمة)
التي لا تخلو عن نوع تكبر كأنه يقول أنا لا أحتاج الى ذكر اسمي لسمو مقامي قاله ابن الجوزي

لا يتعذر عليه فعل ممكن البتة فالتوسل بصفة الحياة والقيومية له تأثير في ازالة ما يضاد الحياة ويضر بالافعال
ونظير هذا التوسل الذي
صلى الله عليه وسلم الى
ربه بربوبيته لجبريل
وميكائيل واسرافيل
ان يهديه لما اختلف
فيه من الحق باذنه فان
حياة القلب بالهداية
وقد وكل الله سبحانه
هؤلاء الاملاك الثلاثة
بالحياة فجبريل موكل
بالوحي الذي هو حياة
القلوب وميكائيل بالقطر
الذي هو حياة الابدان
والحيوان واسرافيل
بالنفخ في الصور الذي
هو سبب حياة العالم
وعود الارواح الى
أجسادها فالتوسل اليه
سبحانه بربوبية هذه
الارواح العظيمة الموكلة
بالحياة له تأثير في حصول
المطلوب والمقصود ان
لاسم الحي القيوم تأثيرا
خاصا في اجابة الدعوات
وكشف الكربات وفي
السنن وصحيح أبي حاتم
مرفوعا اسم الله الاعظم
في هاتين الآيتين والهكم
اله واحد لا اله الا هو
الرحمن الرحيم وفاتحة
آل عمران الم الله لا اله
الا هو الحي القيوم قال
الترمذي حديث صحيح
وفي السنن وصحيح ابن
حبان أيضا من حديث
أنس ان رجلا دعا فقال
اللهم اني أسالك بان لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ياحي ياقيوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم

لقد دعا الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد في الدعاء قال يا حي يا قيوم وفي قوله اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شأني كله لا اله الا أنت من تحقيق الرجاء لمن الخير كله بيديه والاعتماد عليه وحده وتفويض الامر اليه والتضرع اليه ان يتولى اصلاح شأنه ولا يكله الى نفسه والتوسل اليه بتوحيده مما له تأثير قوي في دفع هذا الداء وكذلك قوله الله ربي لا أشرك به شيأ وأما حديث ابن مسعود اللهم اني عبدك وابن عبدك ففيه من المعارف الالهية وأسرار العبودية ما لا يتسع له كتاب فانه يتضمن الاعتراف بعبوديته وعبودية آبائه وأمهاته وأن ناصيته بيده يصرفها كيف يشاء فلا يملك العبد دونه لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا لان من ناصيته بيد غيره فليس اليه شئ من أمره بل هو عان في قبضته ذليل تحت سلطان قهره وقوله ماض في حكمك عدل في قضاؤك متضمن لاصلين عظيمين عليهما مدار التوحيد * أحدهما اثبات القدر وان أحكام الرب تعالى نافذة في عبده ماضية فيه لا انفكاك له عنها ولا حيلة له في دفعها

قال بعضهم وعادة العارفين المتقنين أن يذكر أحدهم اسمه بدل قوله أنا الا في نحو اقرار بحق فالضمير أولى (وفي الكلام السائر) الجاري بين الناس (أول من قال انا ابليس فشقي) وقال فرعون انا ربكم الاعلى فتعس (وأيضا فقوله انا مبهمة لافتقار الضمير الى العود فهي غير كافية في البيان) والضمير اذا عاد وتعين مضمره كان أعرف المعارف والمستاذن محجوب عن المستاذن عليه غير متعين عنده فكأنه احاله على جهالة كما في ابن المنير وغيره (وعلى هذا فينبغي للمستاذن اذا قيل له من أنت أن لا يقول أنا بل يقول فلان) ويصف نفسه بما يميزه عن غيره فلا يكفي أن يقول محمد مثلا الا اذا كان معروفا للمخاطب بذلك الاسم وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على الذي استاذن عليه فقال من هذا فقال أنا فقال صلى الله عليه وسلم أنا أنا انكارا عليه قاله ابن المنير وغيره وقال بعض المحققين ذهبت طائفة من العلماء وفرقة من الصوفية الى كراهة اخبار الرجل عن نفسه بانا تمسكا بظاهر الحديث حتى قالوا كلمة أنا لم تزل مشؤمة على أصحابها وزادوا ان ابليس انما لعن بقولها وليس كما قالوا بل النهي عنه لما صحبه من النظر الى نفسه بالخيرية ولا تنكر اصابة الصوفية في دقائق علومهم واشاراتهم في التبري من الدعاوى الوجودية لكن الذي أشاروا اليه بهذا راجع الى معان تتعلق باحوالهم دون ما فيه من التعلق بالقول كيف وقد ناقض أقوالهم نصوص كثيرة وهم أشد الناس فرارا من مخالفتها كقوله تعالى انما أنا بشر مثلكم انا أول المسلمين وما أنا من المتكلفين وقوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم والحاصل كما قال بعض الافاضل ان ذلك يتفاوت بتفاوت الاحوال والمقامات فالمتردد في الاحوال المتحول في الفناء والتلوين ينافي حاله أن يقول أنا ومن رقي الى مقام البقاء بالله وتصاعد الى درجات التمكين فلا يضره (وفي رواية البخاري) في الصلاة وغيرها (ومسلم) في الايمان من حديث أنس عن أبي ذر (فعرج) بي جبريل الى السماء الدنيا بدل قوله في رواية ابن صعصعة فانطلق وهو (بفتح العين) والفاء والراء بمعنى صعد (وفي حديث أبي سعيد عند البيهقي) وابن اسحق (حتى انتهى الى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له اسمعيل) وهو صاحب سماء الدنيا كما في رواية البيهقي عن أبي سعيد وفي حديث جعفر بن محمد عند البيهقي معضلا أيضا يسكن الهواء لم يصعد الى السماء قط ولم يهبط الى الارض قط الا يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم أن علم ذلك باخباره عليه السلام به قبل موته لان هذا لا مدخل فيه للرأي (تحت يده اثنا عشر ألف ملك) ينقادون لامره ونهيه كالجند زاد في رواية ابن اسحق مع كل ملك اثنا عشر ألف ملك وروى ابن جرير والبيهقي في الدلائل من حديث أبي سعيد وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنده مائة ألف وفي رواية للبزار تحت يده سبعون ألف ملك تحت يد كل ملك سبعون ألف ملك ولعل المراد التكثير فلا يخالف مائة ألف ولعل الاثني عشر ألفا رؤساء السبعين ألفا وكذا الاثنا عشر ألفا الذين مع كل ملك رؤساء على باقي المائة ألف فلا خلف والله أعلم (وفي رواية شريك) بن عبد الله المدني عن أنس (عند البخاري أيضا ثم عرج) جبريل (به) بالنبي صلى الله عليه وسلم (الى سماء الدنيا فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل سماء الدنيا) أي جنسهم الصادق بالحفظة للباب (من هذا) الذي يدق الباب وفي حديث أبي ذر فلما جئت الى السماء قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا (قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا وأهلا فيستبشر به أهل السماء) سقطت الفاء من رواية الاصيلي وزاد الدنيا (لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم أي على لسان من شاء كجبريل) عليه السلام (ووقع في هذه الرواية) أي رواية شريك عن أنس (أيضا انه رأى في سماء الدنيا النيل والفرات عنصرهما) بضم المهملتين بينهما نون ساكنة أصلهما الذي تميزا به عن نهري الجنة فينزلان الى سماء الدنيا ثم ينزلان

الى الارض بدل مما قبله ولفظ رواية شريك فاذا هو فى السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذا النيل والفرات عنصرهما (وظاهرها) أى هذه الرواية (يخالف حديث مالك بن صعصعة فان فيه بعد ذكر سدرة المنتهى واذا فى أصلها أربعة انهار) نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل قال أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات (ويجمع) بينهما (بان أصل نبعهما من تحت سدرة المنتهى ومقرهما فى السماء الدنيا ومنها ينزلان الى الارض) وجمع ابن دحية بانه رأى هذين عند سدرة المنتهى مع نهرى الجنة ورآهما فى السماء الدنيا دون نهرى الجنة واراد بالعنصر عنصر انتشارهما بالسماء الدنيا وكان الحافظ لم يرتضه لقوله كذا قال ابن دحية انتهى وتبعه المصنف فيما يأتى وجمع غيره بان منبعهما من السدرة واذا نزلا الى الارض يسلكان أولا على الجنة فيدخلانها ثم ينزلان الى الارض بعد ذلك ويأتى مزيد لذلك ان شاء الله قريبا (ووقع فى هذه الرواية أيضا ثم مضى به فى السماء الدنيا فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد وأنه) فسره جبريل بقوله هذا (الكوثر) ولفظه عقب زبرجد فضرب يده فاذا هو مسك قال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك (وهو مما استشكل من رواية شريك فان الكوثر فى الجنة والجنة فوق السماء السابعة ويحتمل) الجمع برد رواية شريك الى هذا وهو (أن يكون) هناك حذف (تقديره ثم مضى فى سماء الدنيا الى السابعة فاذا هو بنهر) كذا ذكره الحافظ واستبعده تلميذه القطب ٢ الخيضرى فى الخصائص بان بين الاولى والسابعة خمس سموات كل منها له صفة غير صفة الاخرى ولها أبواب وخدام غير الاخرى فاطلاق المسير اليها بعيد وذكرها بعد السادسة مما يبعده أيضا لكن قد يقال من غير استبعاد ان أصل الكوثر فى الجنة وجعل الله تعالى منه فرعا فى السماء الدنيا عجل لنبيه رؤيته استبشارا لانها أول المراتب العلوية بعد السفلية ويؤيده هذا قول جبريل خبأ لك ربك انتهى (ثم ان قوله فى الحديث استفتح دلالة) صريحة (على أنه صادف أبواب السماء مغلقة) وأصرح منه قوله فى حديث أبى ذر قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح وكذا ضربه الباب (والحكمة) كما قال ابن المنير (فى ذلك والله أعلم التنويه بقدره) أى اظهاره ورفعه (عليه السلام وتحقيق ان السموات لم تفتح أبوابها الا من أجله) ولو وجدها مفتحة لم يتحرر (أى لم يعلم) (أنها فتحت لاجله) ولا بد بل كان يحتمل أنها مفتوحة دائما وانها فتحت لغيره فصادف مجيئه بعده (فلما فتحت له تحقق عليه السلام أن المحل مصون وأن فتحه له كرامة وتبجيل) تعظيم وقال ابن دحية وانما لم تهيأ له بالفتح قبل مجيئه وان كان أبلغ فى الاكرام لانه لو رآها مفتحة لظن أنها لا تزال كذلك ففعل ذلك ليعلم أن ذلك فعل من أجله ولان الله تعالى أراد أن يطلعه على كونه معروفا عند أهل السموات (واما قوله فى الحديث أرسل اليه) بهمزة واحدة ولابى ذر أأرسل بهمزتين الاولى للاستفهام والثانية للتعدية وهى مضمومة وللكشميهنى أوأرسل بواو مفتوحة بين الهمزتين (وفى رواية) لشريك عن أنس (وقد بعث اليه فيحتمل أن يكون استفهم عن الارسال اليه للعروج الى السماء) والاسراء (وهو الاظهر لقوله اليه) اذ لو كان المراد أصل البعثة لم يحتج لقوله اليه (لان أصل بعثه قد اشتهر فى الملكوت الاعلى) فلا يخفى عليهم الى هذه المدة قال الحافظ بعد ما استظهر هذا تبعا لابن المنير وغيره ويحتمل ان يكون خفى عليه أصل ارساله لاشتغاله بعبادته قال ويؤيده رواية شريك وقد بعث اليه انتهى وقد يقال لا تأييد فيه لان المراد البعث الخاص للاسراء وصعود السموات ٣ لا عن أصل البعثة (وقيل سألوا تعجبا من نعمة الله تعالى

---

٢ قوله الخيضرى فى بعض النسخ الخفصرى وليحرر اه ٣ قوله لا عن أصل الخ هكذا فى النسخ ولعل الاولى اسقاط عن من المعطوف وذكرها فى المعطوف عليه تامل اه مصححه

والثانى انه سبحانه عدل فى هذه الاحكام غير ظالم لعبده بل لا يخرج فيها عن موجب العدل والاحسان فان الظلم سببه حاجة الظالم أو جهله أو سفهه فيستحيل صدوره ممن هو بكل شئ عليم ومن هو غنى عن كل شئ وكل شئ فقير اليه ومن هو أحكم الحاكمين فلا تخرج ذرة من مقدوراته عن حكمته وحمده كما لم يخرج عن قدرته ومشيئته فحكمته نافذة حيث نفذت مشيئته وقدرته فلهذا قال نبى الله هود صلى الله على نبينا وعليه وسلم وقد خوفه قومه بآلهتهم انى أشهد الله واشهدوا انى برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم أى مع كونه سبحانه آخذا بنواصى خلقه وتصريفهم كما يشاء فهو على صراط مستقيم لا يتصرف فيهم الا بالعدل والحكمة والاحسان والرحمة فقوله ماض فى حكمك مطابق لقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها وقوله عدل فى قضاؤك مطابق لقوله ان ربى على صراط مستقيم ثم توسل الى ربه بأسمائه التى سمى بها نفسه ما علم العباد منها وما لم يعلموا ومنها ما استأثره فى علم

عليه بذلك أو استبشارا به وقد علموا أن بشرا لا يترقى هذا الترقي الا باذن من الله تعالى) اذلا قدرة له على ذلك حتى باذن (وان جبريل لا يصعد بمن لم يرسل اليه) فليس سؤالا حقيقيا (وقيل ان الله تعالى أراد اطلاع نبيه على أنه معروف عند الملأ الاعلى لانهم قالوا وقد بعث اليه) بحذف همزة الاستفهام للعلم بها (أو ارسل اليه) بحذفها واثباتها روايتان كما علم (فدل على انهم كانوا يعرفون ان ذلك سيقع له) صلى الله عليه وسلم (والا لكانوا يقولون ومن محمد مثلا ولذلك أجابوا بقولهم مرحبا به ولنعم المجيء جاء وكلامهم بهذه الصيغة أدل دليل على ما ذكرناه من معرفتهم بجلالته وتحقيق رسالته ولان هذا أحسن ما يكون من حسن الخطاب والترفيع) المبالغة في اظهار قدره وشرفه بين الملائكة بناء (على المعروف من عادة العرب) فيمن خاطبوه بذلك وهذا ذكره ابن أبي جمرة وذكر ابن المنير أن موقع قول الخازن وقد بعث اليه استنطاق جبريل بالسبب الموجب للاذن والفتح لان مجرد قوله معي محمد لا يوجب الاذن الا بواسطة البعث من الله تعالى ويلزم منه الاذن في ازالة الموانع وفتح أبواب السماء فلم يتوقف الخازن على أن يوحي اليه بالفتح لانه لزم عنده من البعث الاذن (وأما قوله من معك فيشعر بانهم أحسوا به عليه الصلاة والسلام) لفظ الحافظ بانهم أحسوا معه برفيق (والا لكان السؤال بلفظ أمعك أحد وهذا الاحساس اما بمشاهدة لكون السماء شفافة) لا تحجب ما وراءها (واما لامر معنوي كزيادة انوار ونحوها قاله الحافظ ابن حجر) في فتح الباري (ولعله أخذه من كلام العارف ابن أبي جمرة حيث قال في بهجته) أي كتابه بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وعليها وهو اسم شرحه على الاحاديث التي انتخبها من البخاري (الثاني أن يكون سؤالهم له) لجبريل (لما رأوا حين اقبالهم عليه) على جبريل (من زيادة الانوار وغيرها) بيان لما رأوا (من المآثر الحسان زيادة على ما يعهدونه منه قال وهذا هو الاظهر) من احتمال أن ذلك لان السماء شفافة (كأنهم قالوا من الشخص الذي من أجله هذه الزيادة التي معك فاخبرهم بما أرادوا وهو تعيين الشخص باسمه حتى عرفوه انتهى و) يؤيده أنه (قد قال بعض العلماء في قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى انه صلى الله عليه وسلم رأى صورة ذاته المباركة في الملكوت فاذا هو عروس المملكة) لشدة أنواره (وأما قولهم له مرحبا به) أي أصاب رحبا وسعة كنى بذلك عن الانشراح وأخذ منه ابن المنير جواز رد السلام بغير لفظه وتعقب بان مرحبا به ليس ردا لانه كان قبل فتح الباب والسياق يرشد اليه وقد نبه على ذلك ابن أبي جمرة (ولنعم المجيء جاء فيحتمل أن يكونوا قالوه لما عاينوه من بركاته عليه السلام التي سبقته للسماء مبشرة بقدومه) وفيه دلالة على ان للحاشية اذا هم وامن سيدهم عزما اكرام وافد أن يبشروه بذلك وان لم يأذن لهم فيه ولا يكون افشاء سر لان الخازن أعلم النبي صلى الله عليه وسلم حال استدعائه أنه استدعاء اكرام واعظام فعجل بالبشرى والفراسة الصادقة عند أهلها وفي محلها تحصل العلم كما يحصل بالوحي قاله ابن المنير (وفيه تقديم وتأخير والتقدير جاء فنعم المجيء مجيئه) كذا قاله بعض الشراح وخرجه ابن مالك في التوضيح على وجه لا تقديم فيه ولا تأخير فقال في هذا الكلام شاهد على الاستغناء بالصلة عن الموصول أو الصفة عن الموصوف في باب نعم لانها تحتاج الى فاعل هو المجيء والى مخصوص بمعناها وهو مبتدأ مخبر عنه بنعم وفاعلها فهو في هذا الكلام وشبهه موصول أو موصوف بجاء والتقدير نعم المجيء الذي جاء أو نعم المجيء مجيء جاء وكونه موصولا أجود لانه مخبر عنه والمخبر عنه اذا كان معرفة أولى من كونه نكرة نقله في الفتح وقدمته في شرح الحديث (وانما لم يقل الخازن مرحبا بك بصيغة الخطاب بل قال به بصيغة الغيبة لانه حياه قبل أن

الغيب عنده فلم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وهذه الوسيلة أعظم الوسائل وأحبها الى الله وأقربها تحصيلا للمطلوب ثم سأله ان يجعل القرآن لقلبه كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان وكذلك القرآن ربيع القلوب وان يجعله شفاء همه وغمه فيكون له بمنزلة الدواء الذي يستأصل الداء ويعيد البدن الى صحته واعتداله وان يجعله لحزنه كالجلاء الذي يجلو الطبوع والاصدية وغيرها فاحرى بهذا العلاج اذا صدق العليل في استعماله ان يزيل عنه داءه ويعقبه شفاء تاما وصحة وعافية والله الموفق وأما دعوة ذي النون فان فيها من كمال التوحيد والتنزيه للرب تعالى واعتراف العبد بظلمه وذنبه ما هو من أبلغ أدوية الكرب والهم والغم وأبلغ الوسائل الى الله سبحانه في قضاء الحوائج فان التوحيد والتنزيه يتضمنان اثبات كل كمال لله وسلب كل نقص وعيب وتمثيل عنه والاعتراف بالظلم يتضمن ايمان العبد بالشرع والثواب والعقاب ويوجب انكساره ورجوعه الى الله واستقالته عثرته والاعتراف بعبوديته وافتقاره الى ربه فههنا أربعة أمور قد وقع التوسل بها التوحيد والتنزيه والعبودية والاعتراف وأما

يفتح

يفتح الباب وقبل أن يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم خطاب) وهذا قال الملك لجبريل ومن معك فخاطبه بصيغة الخطاب لان جبريل خاطب الملك فارتفع حكم الغيبة بالتخاطب من الجانب قاله ابن المنير (ويحتمل أن يكون حياء بصيغة الغيبة تعظيما له لان هاء الغيبة ربما كانت أهم من كاف الخطاب) لما فيها من اجلال الخاطب على مخاطبه لانه لم ينزل نفسه أهلا لخطابه لجلالته عليه وهذان الاحتمالان ذكرهما ابن المنير (وأما قوله في الحديث) ليس يعني به حديث مالك بن صعصعة الذى قدمه لانه ليس فيه ذكر النسم كما في البخاري ومسلم وانما عني به حديث أنس عن أبي ذر عند البخاري أول كتاب الصلاة ولفظه فلما افتتح علونا السماء الدنيا (فاذا) بالفاء وللاصيلي وابن عساكر بدونها (رجل قاعد عن يمينه أسودة) اشخاص جمع سواد كازمنة جمع زمان (وعن يساره أسودة اذا نظر قبل) بكسر القاف وفتح الموحدة أي جهة (يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال) ذلك الرجل القاعد (مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح) وفي رواية شريك فقال مرحبا وأهلا بابني نعم الابن أنت والصالح القائم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق العباد فهي صفة جامعة لمعاني الخير فوصفه بها مكررا مع النبوة والبنوة اشارة الى انه جمع بين صلاح الانبياء وصلاح الابناء كأنه قال مرحبا بالنبي التام في نبوته والابن البار في بنوته وفيه افتخار بابوته للنبي صلى الله عليه وسلم وجمع الصلاح لخلال الخير واقتصر الانبياء على وصفه بالصالح وتواردوا على ذلك وكررها كل منهم عند كل صفة ولم يقولوا بالنبي الصادق أو الامين قال بعضهم وصلاح الانبياء غير صلاح الامم فصلاح الانبياء صلاح كامل لانهم يزول بهم كل فساد فلهم صلاح خاص لا يتناول عموم الصالحين لان كثيرا من الانبياء تمنى أن يلحق بالصالحين ولا يتمنى الاعلى أن يلحق بالادنى فهذا يحقق أن صلاح الانبياء غير صلاح الامم ومن دونهم الامثل فالامثل فكل واحد يستحق اسم الصلاح على قدر ما زال به أو منه من الفساد (قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم) ظاهره أنه سال عنه بعد أن قال له آدم مرحبا ورواية مالك بن صعصعة بعكس ذلك وهي المعتمدة فتحمل هذه عليها اذ ليس في هذه أداة ترتيب كذا في فتح الباري وتبعه الشامي أي لانه لم يقل هنا فقلت لجبريل بالفاء انما قال قلت فيحمل على أن القول وقع قبل قول آدم مرحبا والمراد بالعكس المخالفة فلفظ رواية ابن صعصعة فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح (وهذه الأسودة التى عن يمينه وشماله نسم بنيه) أرواحهم (فاهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التى عن شماله أهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك) سرورا (واذا نظر قبل شماله بكى) حزنا (فالاسودة بوزن أزمنة مفرد سواد) بوزن زمان (هي الاشخاص) من كل شئ وتطلق بمعان أخر (والنسم بالنون والسين المفتوحتين جمع نسمة) بزنة قصب وقصبة (وهي الروح) بيان للمراد بها هنا والا في المصباح النسم والنسمة نفس الريح ثم سميت بها النفس بالسكون قال الحافظ وحكى ابن التين انه رواه شيم بكسر الشين المعجمة وفتح الياء آخر الحروف بعدها ميم وهو تصحيف وظاهره ان أرواح بني آدم من أهل الجنة والنار في السماء وهو مشكل (وقد قال القاضي عياض جاء ان أرواح الكفار في سجين) مكان يعذبون فيه أسفل سافلين كما في ابن المنير وفي المصنف في سجين الارض السابعة وفي القاموس سجين موضع فيه كتاب الفجار وواد في جهنم (وان أرواح المؤمنين منعمة في الجنة) روى الطبراني والبيهقي بسند حسن عن أم مبشر وكعب بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان نسمة المؤمن تسرح في الجنة حيث شاءت ونسمة الكافر في سجين وسئل صلى الله عليه وسلم عن أرواح المؤمنين فقال في طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت قالوا وأرواح الكفار قال محبوسة في سجين

بحديث أبي امامة اللهم انى أعوذبك من الهم والحزن فقد تضمن الاستعاذة من ثمانية أشياء كل اثنين منهما قرينان مزدوجان فالهم والحزن اخوان والعجز والكسل اخوان والجبن والبخل اخوان وضلع الدين وغلبة الرجال اخوان فان المكروه المؤلم اذا ورد على القلب فاما ان يكون سببه أمرا ماضيا فيوجب له الحزن وان كان أمرا متوقعا في المستقبل أوجب الهم وتخلف العبد عن مصالحه وتفويتها عليه اما ان يكون من عدم القدرة وهو العجز أو من عدم الارادة وهو الكسل وحبس خيره ونفعه عن نفسه وبني جنسه اما ان يكون منع نفعه ببدنه فهو الجبن أو بماله فهو البخل وقهر الناس له اما بحق فهو ضلع الدين أو بباطل فهو غلبة الرجال فقد تضمن الحديث الاستعاذة من كل شر وأما تأثير الاستغفار في دفع الهم والغم والضيق فلما اشترك في العلم به أهل الملل وعقلاء كل أمة ان المعاصي والفساد توجب الهم والغم والخوف والحزن وضيق الصدر وأمراض القلب حتى ان أهلها اذا قضوا منها أوطارهم وسئمتها نفوسهم ارتكبوها دفعا لما يجدونه في صدورهم من الضيق والهم والغم كما قال شيخ الفسوق وكاس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

رواه الطبراني (يعني فكيف تكون مجتمعة في سماء الدنيا) مع أرواح الكفار في سجين الارض السابعة (وأجاب) عياض (بانه يحتمل انها تعرض على آدم أوقاتا فوافق) صادف (عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم ويدل على أن كونهم في النار في أوقات دون أوقات قوله) تعالى (النار يعرضون عليها) يحرقون بها (غدوّا وعشيا) صباحا ومساء (واعترض بان أرواح الكفار لاتفتح لهم أبواب السماء كما هو نص القرآن) في قوله تعالى ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء (والجواب عنه ما أبداه هو احتمالا أن الجنة كانت في جهة يمين آدم والنار كانت في جهة شماله وكان يكشف له عنهما) وحين مر المصطفى على آدم كشف له عن ذلك فرأى ما رآه آدم والى هنا جواب عياض كما في الفتح زاد المصنف (ولا يلزم من رؤية آدم لها وهو في السماء أن تفتح لها أبواب السماء ولا تلجها) فلا اعتراض على عياض وان كان الحافظ في الفتح انما ذكر هذا عقب احتمال أن المراد من خرجت من أجسادها حين خروجها لا انها مستقرة ولا يلزم الى آخر ما هنا وياتى كلامه (وفي حديث أبي هريرة عند البزار) وأبي يعلى وابن جرير والبيهقي (فاذا عن يمينه) أي آدم (باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة اذا نظر عن يمينه استبشر واذا نظر عن شماله حزن وهذا لو صح لكان المصير اليه أولى من جميع ما تقدم) لعدم احتياجه لتأويل لان المستفاد منه رؤية البابين حين مروره على آدم وهو لا يستلزم أن عنده شيأ من النسم التي رآها عند آدم لجواز أنه رآها من وراء الابواب (ولكن سنده ضعيف قاله الحافظ ابن حجر) في كتاب الصلاة ببعض تصرف من المصنف وفيه أيضا قبل ذكر هذا الحديث الضعيف ويحتمل ان النسم المرئية هي التي لم تدخل الاجساد بعد وهي مخلوقة قبل الاجساد ومستقرها عن يمين آدم وشماله وقد أعلم بما سيصيرون اليه فلذلك كان يستبشر اذا نظر الى من على يمينه ويحزن اذا نظر الى من على يساره بخلاف التي في الاجساد فليست مرادة قطعا وبخلاف التي انتقلت من الاجساد الى مستقرها فليست مرادة أيضا فيما يظهر وبهذا يندفع الايراد ويعرف أن قوله نسم بنيه عام مخصوص أو أريد به الخصوص انتهى وهو مبني على ان الارواح كلها خلقت قبل الاجساد كما جزم به ثم اذا أراد الله احياء شخص أرسل الروح التي سبق في علمه أنها معدة لذلك الجسد وقال في الفتح هنا في باب المعراج وظهر لي الآن احتمال آخر وهو أن يكون المراد من خرجت من الاجساد حين خروجها لا انها مستقرة ولا يلزم من رؤية آدم لها وهو في السماء أن تفتح لها أبواب السماء ولا تلجها وفي حديث أبي سعيد عند البيهقي ما يؤيده ولفظه فاذا أنا بآدم تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين ويظهر منه ومن حديث أبي هريرة عدم اللزوم المذكور وهذا أولى مما جمع به القرطبي في المفهم أن ذلك في حالة مخصوصة اه وهو مخصص للارواح بالخارجة من الاجساد حين الموت لا مطلقا فهو أيضا عام مخصوص أو أريد به الخصوص وأجاب بعضهم عن الاشكال بحمل الاسودة التي عن شماله على العصاة من الموحدين لا على الجاحدين وعضده ببكاء آدم رحمة لهم ولا يرحم الكفار وتعقبه ابن المنير بان المؤمنين برهم وفاجرهم مطيعهم وعاصيهم من أهل اليمين وقد فسر الله أصحاب الشمال بالكفار فقال وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم الآيات وهذا انما هو لكافر لا حظ له في الايمان ولا حجة في بكاء آدم لانه ليس فيه استغفار لهم ولا خلاف أن من مات أبوه كافرا وهو مسلم لا يحرم عليه البكاء عليه لاسيما الطبيعي والرقة الطبيعية وقال ابن دحية فان قيل كيف يكون نسم السعداء كلهم في السماء وقد كان حين الاسراء جماعة من الصحابة في الارض وهم من السعداء فالجواب ان آدم انما رآهم في مواضعهم ومقارهم في الارض

وإذا كان هذا تأثير الذنوب والآثام في القلوب فلا دواء لها إلا التوبة والاستغفار وأما الصلاة فشأنها في تفريح القلب وتقويته وشرحه وابتهاجه ولذته أكبر شان وفيها من اتصال القلب والروح بالله وقربه والتنعم بذكره والابتهاج بمناجاته والوقوف بين يديه واستعمال جميع البدن وقواه وآلاته في عبوديته واعطاء كل عضو حظه منها واشتغاله عن التعلق بالمخلوق وملابستهم ومحاوراتهم وانجذاب قوى قلبه وجوارحه الى ربه وفاطره وراحته من عدوه حالة الصلاة ما صارت به من أكبر الادوية والمفرحات والاغذية التي لا تلائم الا القلوب الصحيحة وأما القلوب العليلة فهي كالابدان العليلة لا تناسبها الاغذية الفاضلة فالصلاة من أكبر العون على تحصيل مصالح الدنيا والآخرة ودفع مفاسد الدنيا والآخرة وهي منهاة عن الاثم ودافعة لادواء القلوب ومطردة للداء عن الجسد ومنورة للقلب ومبيضة للوجه ومنشطة الجوارح والنفس وجالبة للرزق ودافعة للظلم وناصرة للمظلوم وقامعة لاخلاط الشهوات وحافظة للنعمة ودافعة للنقمة ومنزلة للرحمة وكاشفة للغمة ونافعة من كثير من أوجاع البطن وقد روى ابن ماجه في سننه

ولكنه

ولكنه راهم من الجانب الايمن فالتقييد للنظر لا للمنظور اه وتبعه ابن المنير وهو واضح وقال السهيلي فان قيل كيف رأى عن يمينه أرواح أصحاب اليمين ولم يكن اذ ذاك منهم الا نفر قليل ولعله لم يكن مات تلك الليلة منهم أحد وظاهر الحديث يقتضي انهم جماعة فالجواب ان الاسراء ان كان مناما فتأويله أن ذلك سيكون وان كان يقظة فمعناه أن أرواح المؤمنين رآها هنالك لان الله يتوفى الخلق في منامهم فصعد بالارواح الى هنالك فرآها ثم أعيدت الى أجسادها انتهى وهو مبني على تخصيص الارواح بالخارجة من الاجساد بالموت ولو بالنوم (وأما قوله في الحديث) أي حديث مالك بن صعصعة (ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية) كذا في رواية أبي ذر للبخاري ولغيره ثم صعد بي الى السماء وهي التي قدمها المصنف (فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم) أرسل اليه (فقيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح) الخازن الباب (فلما خلصت اذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما فردا) على السلام (ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح الى قوله ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت) بفتح اللام وصلت (فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام وقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح) وقصد المصنف زيادة البيان لطول العهد بسوق لفظ الحديث والا فالاوجز لو قال وأما ما ذكره في الحديث من أماكن الانبياء في السموات (فهذه الرواية موافقة لرواية ثابت) البناني (عن أنس عند مسلم) وفيه (ان في السماء الاولى آدم وفي الثانية يحيى وعيسى وفي الثالثة يوسف وفي الرابعة ادريس وفي الخامسة هرون وفي السادسة موسى وفي السابعة ابراهيم) فهذا بيان للموافقة محكي بالمعنى (وخالف ذلك ابن شهاب الزهري في روايته عن أنس عن أبي ذر كما في أول الصلاة من البخاري أيضا) وقد خرج مسلم حديثه أيضا في الايمان وذكر (انه لم يثبت) من الاثبات أبو ذر (كيف منازلهم) أي لم يعين أبو ذر لكل نبي سماء والمراد منازل الجميع فلا ينافي انه قال آدم في السماء الدنيا (وقال فيه وابراهيم في السماء السادسة) ولفظ البخاري قال أنس فذكر أي أبو ذر انه وجد في السموات آدم وادريس وموسى وعيسى وابراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير انه ذكر انه وجد آدم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة (وفي رواية شريك عن أنس) في الصحيحين ثم عرج به الى السابعة فقال والله مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء قد سماهم وعيت منهم (ان ادريس في الثانية وهرون في الرابعة وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله تعالى) أي بسبب ان له فضل كلام الله اياه وفيه دلالة على ان شريكا ضبط كون موسى في السابعة فيتعين أحد الجموع الآتية (وسياقه يدل على انه لم يضبط منازلهم) أي جميعهم والا فقد صرح بقوله وعيت انه ضبط أربعة (أيضا كما صرح به الزهري) محمد بن مسلم بن شهاب في حديث أبي ذر (ورواية من ضبط أولى) أحق بتقديمها على من لم يضبط (لاسيما) مع ما حصل فيها من القوة (من) أجل (اتفاق) ولفظ الفتح مع اتفاق فلا يحتاج لهذا التعسف (قتادة) بن دعامة عند الشيخين (وثابت) البناني عند مسلم (وقد وافقهما يزيد بن أبي مالك) هو ابن عبد الرحمن نسب الى جده الهمداني بالسكون الدمشقي القاضي صدوق ربما وهم مات سنة ثلاثين ومائة أو بعدها وله أكثر من سبعين سنة روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه (عن أنس الا انه خالف في ادريس وهرون فقال هرون في الرابعة) فوافق شريكا في ذلك (وادريس في الخامسة) فخالف قتادة وثابتا في انه في الرابعة وشريكا في انه في الثانية (ووافقهم أبو سعيد الخدري) عند ابن مردويه وكان الاولى وافقهما بتثنية الضمير عائدا

من حديث مجاهد عن أبي هريرة قال رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا نائم أشكو من وجع بطني فقال لي يا أبا هريرة أشكم درد قال قلت نعم يا رسول الله قال قم فصل فان في الصلاة شفاء وقد روي هذا الحديث موقوفا على أبي هريرة وانه هو الذي قال ذلك لمجاهد وهو أشبه ومعنى هذه اللفظة بالفارسي أيوجعك بطنك فان لم ينشرح صدر زنديق الاطباء بهذا العلاج فيخاطب بصناعة الطب ويقال له الصلاة رياضة النفس والبدن جميعا اذ كانت تشتمل على حركات وأوضاع مختلفة من الانتصاب والركوع والسجود والتورك والانتقالات وغيرها من الاوضاع التي يتحرك معها أكثر المفاصل ويتغمز معها أكثر الاعضاء الباطنة كالمعدة والامعاء وسائر آلات النفس والغذاء فما ينكر ان يكون في هذه الحركات تقوية وتحليل للمواد ولاسيما بواسطة قوة النفس وانشراحها في الصلاة فتقوى الطبيعة فيندفع الالم ولكن داء الزندقة والاعراض عما جاءت به الرسل والتعويض عنه بالالحاد داء ليس له دواء الا نار تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وأما تأثير الجهاد في دفع الهم والغم فأمر معلوم بالوجدان فان النفس متى تركت

على قتادة وثابت وجمعه قد يوهم موافقة أبي ذر وشريك وليس بمراد فان رواية أبي سعيد انما وافقت رواية قتادة وثابت (الا ان في روايته يوسف في الثانية وعيسى ويحيى في الثالثة) وجمع باحتمال الانتقال لا التعدد لانه خلاف الصحيح (والمشهور في الروايات) كلها ماغير روايتي أبي ذر وشريك (ان الذي في السابعة هو ابراهيم) قال الحافظ وهو الارجح (وأكد) قوى (ذلك في حديث مالك بن صعصعة بانه كان مسندا ظهره الى البيت المعمور) قال الحافظ وهو في السابعة بلا خلاف وماجاء عن علي انه في السادسة عند شجرة طوبى فان ثبت حمل على البيت الذي في السادسة بجانبه شجرة طوبى لانه جاء عنه ان في كل سماء بيتا يحاذي الكعبة وكل منهما معمور بالملائكة وكذا القول فيما جاء عن الربيع بن أنس وغيره ان البيت المعمور في السماء الدنيا فانه محمول على أول بيت يحاذي الكعبة من بيوت السموات (فمع التعدد) أي مع القول بتعدد المعراج (فلا اشكال) بين الثابت المشهور في الروايات انه في السابعة وبين روايتي أبي وشريك اذ رنه في السادسة تحمل كل على مرة (ومع الاتحاد) الذي هو الصحيح وقول الجمهور (فقد جمع بان موسى كان حالة العروج في السادسة وابراهيم في السابعة على ظاهر حديث مالك بن صعصعة وعند الهبوط كان موسى في السابعة) بان يكون صعد معه أو بعده لاجل المراجعة في أمر الصلاة (لانه لم يذكر في القصة ان ابراهيم كلمه في شئ مما يتعلق بما فرض على أمته من الصلاة) لكن لا يلزم من عدم الكلام ان يكون في السادسة حين الرجوع الذي هو تمام الجمع بين الروايتين اذ تركه وان كان في السابعة لان الخليل شانه التسليم لخليله (كما كلمه موسى عليه السلام) وجزاه عنا خيرا (والسماء السابعة هي أول شئ انتهى اليه حالة الهبوط) مما هو أعلى منها (فناسب ان يكون موسى بها لانه هو الذي خاطبه في ذلك) أي أمر الصلاة (كما ثبت في جميع الروايات) لان شان الكليم التكلم ولا باس بهذا الجمع لكن قد علمت ان تمامه بوجود ابراهيم حين رجع في السادسة وان تعليله بعدم تكلمه في الصلاة لا ينهض بل قد يخدش فيه قوله في حديث أنس عند ابن أبي حاتم ثم انجلت عنه السحابة وأخذ بيده فانصرف سريعا فاتى على ابراهيم فلم يقل شيأ فظاهر هذا انه مر على ابراهيم قبل موسى (ويحتمل) في الجمع أيضا (ان يكون لقي موسى في السادسة فاصعده معه الى السابعة تفضيلا له على غيره من أجل كلام الله تعالى وظهرت فائدة ذلك في كلامه مع نبينا فيما يتعلق بامر أمته في الصلاة) وهو قريب من الاحتمال قبله ولم يعرج في هذا أيضا على رواية وابراهيم في السادسة (قاله في فتح الباري وقال ان النووي أشار الى شئ من ذلك) وجمع الكرماني في كتاب الصلاة بانه رأى ابراهيم في السادسة ثم ارتقى ابراهيم الى السابعة ليراه في مكانين تعظيما له وتبعه شيخ الاسلام زكريا وهو عندي أولى من الاحتمالين (وفي رواية شريك عن أنس في قصة موسى) تلو قوله بتفضيل كلام الله فقال موسى رب (لم أظن) فيما مضى (أحدا يرفع علي) لا في الماضي ولا في المستقبل ولفظ الصحيح لم أظن ان يرفع علي أحد قال المصنف بضم التحتية وفتح الفاء ولابي ذر عن الحموي والمستملي ان ترفع علي أحدا بالنصب وفتح الفوقية (قال ابن بطال فهم موسى عليه الصلاة والسلام من اختصاصه بكلام الله تعالى له في الدنيا دون غيره من البشر لقوله تعالى) تعليل لفهم اختصاصه (اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي أن المراد بالناس هنا البشر كلهم) من في زمنه ومن تقدمه ومن تاخره (وانه استحق بذلك ان لا يرفع عليه أحد فلما فضل الله تعالى محمدا عليه الصلاة والسلام بما أعطاه من المقام المحمود وغيره ارتفع على موسى وغيره بذلك) فكان المراد بالناس ناس زمانه لا جميع البشر (وفي حديث أبي سعيد) عند البيهقي وغيره (قال موسى تزعم بنو اسرائيل اني أكرم الخلق على الله وهذا أكرم على الله مني) وأخرج البزار والبيهقي وغيرهما من حديث أبي هريرة قال

ضائل الباطل وصولته واستيلاءه اشتد همها وغمها وكربها وخوفها فاذا جاهدته لله أبدل الله ذلك الهم والحزن فرحا ونشاطا وقوة كما قال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم فلا شئ أذهب لجوى القلب وغمه وهمه وحزنه من الجهاد والله المستعان وأما تاثير لا حول ولا قوة الا بالله في دفع هذا الداء فلما فيها من كمال التفويض والتبري من الحول والقوة الا به وتسليم الامر كله له وعدم منازعته في شئ منه وعموم ذلك لكل تحول من حال الى حال في العالم العلوي والسفلي والقوة على ذلك التحول وان ذلك كله بالله وحده فلا يقوم لهذه الكلمة شئ وفي بعض الآثار انه ماينزل ملك من السماء ولا يصعد اليها الا بلا حول ولا قوة الا بالله ولها تاثير عجيب في طرد الشيطان والله المستعان

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في علاج الفزع والارق المانع من النوم روى الترمذي في جامعه عن بريدة قال شكى خالد الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ماأنام الليل من الارق فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا أويت الى فراشك فقل

موسى

موسى تزعم بنو اسرائيل انى أكرم بنى آدم على الله وهذا رجل من بنى آدم خلفنى فى دنيا وأنا فى أخرى فلو انه بنفسه لم أبال ولكن مع كل نبى أمته (زاد) سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاصى بن أمية (الاموى) بفتح الهمزة على غير قياس وضمها على القياس وهو الاشهر عندهم كما فى المصباح نسبة لجده الاعلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وجزم الجوهرى بالفتح ثم قال وربما ضموا (فى روايته لحديث المعراج فى مغازيه (ولو كان هذا وحده لهان على ولكن معه أمته وهم أفضل الامم عند الله) ومعلوم ان هذا من الغبطة لا الحسد معاذ الله (وفى حديث مالك بن صعصعة ولما جاوزته بكى موسى يبكى فنودى) لفظ الحديث كما مر فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك وكذا هو لفظ البخارى فى المعراج وبدء الخلق وكذا لفظ مسلم وغيره (ما يبكيك قال) قال ابن أبى جمرة الظاهر ان قائل ذلك له البارى تبارك وتعالى يدل على هذا قوله فى الجواب (رب هذا غلام بعثته من بعدى يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتى) وفى رواية أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه انه مر بموسى عليه السلام يرفع صوته فيقول اكرمته وفضلته فقال جبريل هذا موسى قلت من يعاتب قال يعاتب ربه قلت ويرفع صوته على ربه قال ان الله قد عرف له حدته قال العلماء (ولم يكن بكاء موسى حسدا معاذ الله) مفعول مطلق حذف عامله أى أعوذ أى أعتصم بالله معاذا من توهم أن بكاءه حسد (فان الحسد فى ذلك العالم منزوع من آحاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله تعالى بل كان أسفا على ما فاته من الاجر الذى يترتب عليه رفع الدرجات له بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزمة لتنقيص أجره لان لكل نبى مثل أجر كل من تبعه) من غير أن ينقص من أجورهم شئ (ولهذا كان من أتبعه فى العدد دون من أتبع نبينا صلى الله عليه وسلم مع طول مدتهم بالنسبة لمدة هذه الامة وقال العارف ابن أبى جمرة قد جعل الله تعالى فى قلوب أنبيائه عليهم الصلاة والسلام الرأفة والرحمة لاممهم وركبهم) أى ركب بنيتهم فى أصل خلقتهم مجبولة (على ذلك) حتى كأنهم خلقوا من الرأفة والرحمة (وقد بكى نبينا فقيل له ما يبكيك) روى الشيخان عن اسامة أرسلت بنت النبى صلى الله عليه وسلم ان ابنى قد احتضر فاشهدنا فارسل يقرئ السلام ويقول ان لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شئ عنده باجل مسمى فلتصبر ولتحتسب فارسلت اليه تقسم عليه ليأتينها فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد بن ثابت ورجال فدفع اليه الصبى فاقعده فى حجره ونفسه تقعقع ففاضت عيناه فقال سعد يا رسول الله ما هذا (قال هذا رحمة) جعلها الله فى قلوب عباده (وانما يرحم الله من عباده الرحماء) روى بالنصب مفعول يرحم على ان ما فى انما كافة أو اداة حصر وبالرفع خبر ان على انها موصولة بمعنى الذين والرحماء جمع رحيم من صيغ المبالغة فمقتضاه ان رحمة الله تختص بالمتصف بالرحمة الكاملة بخلاف من فيه رحمة ما لكن قضية خبر أبى داود الراحمون يرحمهم الله شموله له ورجح وانما بولغ فى الاول لان ذكر الجلالة دال على العظمة فناسب فيه التعظيم والمبالغة وقال شيخنا لعل مراد الحديث انه يرحم كثير الرحمة رحمة تامة بحيث تمنع من قامت به من العذاب فلا يرد انه يرحم الكافر بتخفيف العذاب عنه وبتأخيره فى سعة عيش وصحة وغيرهما الى وقت قبض روحه وقد يخفف عنه عذاب غير الكفر (والانبياء عليهم الصلاة والسلام قد أخذوا من رحمة الله أوفر نصيب فكانت الرحمة فى قلوبهم لعباد الله أكثر من غيرهم فلأجل ما كان بموسى عليه الصلاة والسلام من الرحمة واللطف بكى اذ ذاك رحمة منه لامته لان هذا وقت افضال وكرم وجود فرجا) حصول ما يتمناه من الثواب لامته فقال (لعل ان يكون) والرجاء يستعمل بمعنى التمنى والخوف لان الراجى يخاف ان لا يدرك ما يترجاه (وقت القبول والافضال) أى الزيادة من النعم والخير على العباد (فيرحم الله أمته ببركة هذه الساعة) لان الله

اللهم رب السموات السبع وما أظلت ورب الارضين وما أقلت ورب الشياطين وما أضلت كن لى جارا من شر خلقك كلهم جميعا ان يفرط على أحد منهم أو يبغى على عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك وفيه أيضا عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم من الفزع أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأعوذ بك رب ان يحضرون قال وكان عبد الله بن عمر يعلمهن من عقل من بنيه ومن لم يعقل كتبه فاعلقه عليه ولا يخفى مناسبة هذه العوذة لعلاج هذا الداء

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم) فى علاج داء الحريق واطفائه يذكر عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الحريق فكبروا فان التكبير يطفئه لما كان الحريق سببه النار وهى مادة الشيطان التى خلق منها وكان فيه من الفساد العام ما يناسب الشيطان بمادته وفعله كان للشيطان اعانة عليه وتنفيذ له وكانت النار تطلب بطبعها العلو والفساد وهذان الامران وهما العلو فى الارض والفساد هما هدى الشيطان واليهما

أوقاتا يتجلى فيها بالرحمة على العباد فلا يرد فيها سائلا ولا يمنع راجيا (فان قال قائل كيف يكون هذا) الواقع من موسى (وأمته لا تخلو من قسمين) جملة حالية مقررة للاشكال (قسم مات على الايمان وقسم مات على الكفر فالذي مات على الايمان لا بد له من دخول الجنة) وان كثر عصيانه في الدنيا (والذي مات على الكفر لا يدخل الجنة أبدا) ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (فبكاؤه لاجل ماذكر لا يسوغ لان الحكم فيهم قد مر ونفذ) عطف تفسير (قيل) في الجواب (ان الله تعالى قدر قدره على قسمين فقدر قدرا وقدر أن ينفذ على كل الاحوال) فلا بد من وقوعه (وقدر قدرا وقدر أن لا ينفذ أي أن لا يوجد خارجا (و) لكن (يكون رفعه بسبب دعاء أو صدقة أو غير ذلك) مما علق عليه في الازل وحصل ذلك المعلق عليه (فلاجل ما ركب في موسى عليه الصلاة والسلام من اللطف والرحمة بالامة طمع) في ذلك وقال (لعل أن يكون ما اتفق لامته من القدر الذي قدره الله تعالى وقدر ارتفاعه بسبب الدعاء والتضرع اليه وهذا وقت يرجى فيه التعطف والاحسان من الله تعالى لانه وقت أسرى فيه بالحبيب الكريم ليخلع عليه خلع) بكسر ففتح جمع خلعة بزنة سدرة وسدر (القرب والفضل العميم فطمع الكليم لعل أن يلحق لامته نصيبا من هذا الخير العظيم وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم ان لله نفحات فتعرضوا) أي تصدوا أو من التعرض وهو الميل الى الشئ من أحد جوانبه (لنفحات الله) أي اسلكوا طرقها حتى تصير عادة وطبيعة وسجية وتعاطوا أسبابها وهو فعل الاوامر وتجنب المناهي رجاء أن تهب من رياح رحمته نفحة تسعدكم أو المعنى تعرضوا لها بطلبكم منه قال الصوفية التعرض للنفحات الترقب لورودها بدوام اليقظة والانتباه من سنة الغفلة حتى اذا مرت نزلت بفناء القلوب قال بعضهم ومقصود الحديث ان لله فيوضا ومواهب تبدو لوامعها من أبواب خزائن الكرم والمنن في بعض الاوقات فتهب فورتها ومقدماتها كالانموذج لما وراءها من مدد الرحمة فمن تعرض لهامع الطهارة الظاهرة والباطنة بجمع همة وحضور قلب حصل له منها في دفعة واحدة ما يزيد على النعم الدارة في الازمنة الطويلة على طول الاعمار فان خزائن الثواب بمقدار على طريق الجزاء وخزائن المنن النفحة منها تفوق ما يعطى على الجزاء له مقدار ووقت معلوم ووقت النفحة مبهم في الازمنة والساعات ليداوم على الطلب بالسؤال كما في ليلة القدر وساعة الجمعة فقصد أن يكونوا متعرضين له في كل الاوقات قياما وقعودا وعلى جنوبهم وفي وقت التصرف في اشغال الدنيا فانه اذا دام أوشك أن يوافق الوقت الذي ينفح فيه فيسعد بسعادة الابد فقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات رحمة الله فان لله نفحات تصيب من يشاء من عباده الحديث أخرجه البيهقي من حديث أنس وأبي هريرة (وهذه نفحة من النفحات) عطية من العطيات قال المصباح النفحة العطية وقيل مبدأ شئ قليل من كثير وفي المصباح نفح الطيب فاح ونفحت الريح هبت (فتعرض لها موسى فكان أمر اقد قدر والاسباب لا تؤثر الا ما سبقت القدرة بانها فيه تؤثر) من تعليقه على سبب وقوعه (وما كان قضاء نافذا لا تؤثر فيه ولا ترده الاسباب) لانه (حتم قد لزم) ومثال ذلك دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لامته أن لا يظهر عليهم عدو من غيرهم وأن لا يهلكهم بالسنين فاعطيهما وأن لا يجعل باسهم بينهم فمنعها فاستجيب له في الاثنتين دون الثالثة وقيل له هذا أمر قدرته أي انفذته فكانت الاثنتان من القدر الذي قدره الله وقدر أن لا ينفذه بسبب الدعاء والثالثة من القدر الذي قدره وقدر انفاذه على كل الاحوال لا يرده راد (وفي) حكمة (بكائه) أي موسى (عليه الصلاة والسلام وجه آخر وهو البشارة لنبينا صلى الله عليه وسلم وادخال السرور عليه) بكثرة أمته المستلزمة لكثرة أجره (وذلك قول موسى عليه الصلاة والسلام الذي هو أكثر الانبياء أتباعا ان الذين يدخلون الجنة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم

أكثر

تقمع الشيطان وفعله ولهذا كان تكبير الله عز وجل له أثر في اطفاء الحريق فان كبرياء الله عز وجل لا يقوم لها شئ فاذا كبر المسلم ربه أثر تكبيره في خمود النار وخمود الشيطان التي هي مادته فيطفئ الحريق وقد جربنا نحن وغيرنا هذا فوجدناه كذلك والله أعلم

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في حفظ الصحة لما كان اعتدال البدن وصحته وبقاؤه انما هو بواسطة الرطوبة المقاومة للحرارة فالرطوبة مادته والحرارة تنضجها وتدفع فضلاتها وتصلحها وتلطفها والا أفسدت البدن ولم يمكن قيامه وكذلك الرطوبة هي غذاء الحرارة فلولا الرطوبة لاحرقت البدن وأيبسته وأفسدته فقوام كل واحدة منهما بصاحبتها وقوام البدن بهما جميعا وكل منهما مادة للاخرى فالحرارة مادة للرطوبة تحفظها وتمنعها من الفساد والاستحالة والرطوبة مادة للحرارة تغذوها وتحملها ومتى مالت احداهما الى الزيادة على الاخرى حصل لمزاج البدن الانحراف بحسب ذلك فالحرارة

أكثر ممايدخلها من أمتى) فبكاؤه حين جاوزه المصطفى وقبل أن يبعد عنه لاجل أن يسمعه هذه البشارة اذ لولم يكن لذلك لترك البكاء حتى يبعد عنه فلا يسمعه ولم يبك حين كان معه بل رحب به وأثنى عليه ودعا له بخير لئلا يشوش عليه (وأما قول موسى عليه الصلاة والسلام لان غلاما ولم يقل غير ذلك من الصيغ) كرجلا أو نبيا (فاشارة الى صغر سنه) أى المصطفى (بالنسبة اليه) الى موسى (وفى القاموس الغلام الطار) أى النابت (الشارب والكهل ضد) فيحتمل انه استعمله بمعنى الكهل لاستعماله فيه وفى الكهل (وقال الخطابى العرب تسمى الرجل المستجمع السن) أى البالغ مبلغ الرجال بان بلغ أشده واستوت لحيته (غلاما مادامت فيه بقية من القوة فى الكهولة) اشارة الى مدحه بقوة الشاب مع انه كهل وقال ابن أبى جمرة العرب انما يطلقون على المرء غلاما اذا كان سيدا فيهم فلاجل ما فى هذا اللفظ من الاختصاص على غيره من ألفاظ الافضلية ذكره موسى دون غيره تعظيما للنبى صلى الله عليه وسلم (قال فى فتح البارى ويظهر لى أن موسى عليه السلام أشار الى ما أنعم الله به على نبينا عليه السلام من استمرار القوة فى الكهولة الى أن دخل فى سن الشيخوخة ولم يدخل على بدنه هرم ولا اعتراه فى قوته نقص) وهذا غير كلام الخطابى لانه قال بقية من القوة وهذا اصرح ببقاء قوته كلها (حتى ان الناس فى قدومه المدينة لما رأوه مردفا أبابكر) على راحلته وان كان له راحلة اكراما له أو على راحلة أخرى قال تعالى بالف من الملائكة مردفين أى يتلو بعضهم بعضا قاله الداودى ورجح ابن التين الاول وقال لا يصح الثانى لانه يلزم منه أن يمشى أبو بكر بين يديه صلى الله عليه وسلم ورده الحافظ بانه انما يلزم ذلك لو جاء الخبر بالعكس فاما ولفظه وهو مردف أبابكر فلا وفى البخارى من وجه آخر عن أنس فكأنى أنظر الى النبى صلى الله عليه وسلم على راحلته وأبو بكر ردفه (اطلقوا عليه اسم الشاب وعلى أبى بكر اسم الشيخ) قال أنس أقبل صلى الله عليه وسلم الى المدينة وهو مردف أبابكر وأبو بكر شيخ يعرف والنبى صلى الله عليه وسلم شاب لا يعرف الحديث فى البخارى (مع كونه عليه السلام فى العمر أسن من أبى بكر) بازيد من عامين لانه استكمل بمدة خلافته عمر المصطفى (والله أعلم انتهى وقد ذكرت ذلك) أى حديث أنس المذكور (فى الهجرة من المقصد الاول) قال الحافظ وقد وقع من موسى فى هذه القصة من مراعاة جانب النبى صلى الله عليه وسلم انه أمسك عن جميع ما وقع له حتى فارقه النبى صلى الله عليه وسلم أدبا معه وحسن عشرة فلما فارقه بكى وقال ما قال انتهى (وقد وقع فى حديث أبى هريرة عند الطبرى) محمد بن جرير (فى ذكر ابراهيم فاذا هو برجل أشمط) أى أبيض الرأس يخالط سواده (جالس عند باب الجنة على كرسى) وفى حديث أبى سعيد فاذا بابراهيم خليل الرحمن مسندا ظهره الى البيت المعمور كأحسن الرجال (وفى رواية مسلم من حديث ثابت) البنانى (عن أنس ثم عرج) بالبناء للفاعل وضمير (بنا) للمصطفى وجبريل ويجوز بناؤه للمفعول (الى السماء السابعة فاذا ابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور) قال أبو عبيدة معنى المعمور الكثير الغاشية ويقال له الضراح بضم المعجمة واهمالها غلط بين كما فى ربيع الابرار سمى به لانه ضرح عن الارض أى بعد قال الحافظ فيه جواز الاستناد الى القبلة بالظهر وبغيره لان البيت المعمور كالكعبة فى انه قبلة من كل جهة وقد أسند ابراهيم ظهره اليه انتهى وقال التلمسانى قيل فيه دلالة على أن الافضل فى غير الصلاة اسناد الظهر للقبلة وقيل الافضل استقبالها ولعل ابراهيم أسند ظهره ليتوجه للمصطفى ويخاطبه انتهى وقد يقال انما دل على الجواز لا على انه أفضل كيف وفى الحديث أشرف المجالس ما استقبل به القبلة رواه الطبرانى (واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك) للعبادة (ثم لا يعودون اليه) لان حجه مرة كفرض الحج علينا أو لاشغال غير دخوله هذا ما فى مسلم وزاد ابن اسحق من حديث أبى سعيد الى يوم القيامة هكذا بينه فى الفتح فما أوهمه قوله

دائما تحلل الرطوبة فيحتاج البدن الى ما به يخلف عليه ما حللته الحرارة ضرورة بقائه وهو الطعام والشراب ومتى زاد على مقدار التحلل ضعفت الحرارة عن تحليل فضلاته فاستحالت موادردية فعاثت فى البدن وأفسدت فحصلت الامراض المتنوعة بحسب تنوع موادها وقبول الاعضاء واستعدادها وهذا كله مستفاد من قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فارشد عباده الى ادخال ما يقيم البدن من الطعام والشراب عوض ما تحلل منه وان يكون بقدر ما ينتفع به البدن فى الكمية والكيفية فمتى جاوز ذلك كان اسرافا وكلاهما مانع من الصحة جالب للمرض أعنى عدم الاكل والشرب أو الاسراف فيه فحفظ الصحة كله فى هاتين الكلمتين الالهيتين ولا ريب أن البدن دائما فى التحلل والاستخلاف وكلما كثر التحلل ضعفت الحرارة لفناء مادتها فان كثرة التحلل تفنى الرطوبة وهى مادة الحرارة واذا ضعفت الحرارة ضعف الهضم ولا يزال كذلك حتى تفنى الرطوبة وتنطفئ الحرارة جملة فيستكمل العبد الاجل الذى كتب الله له ان يصل اليه فغاية علاج الانسان لنفسه ولغيره حراسة

(الى يوم القيامة) من انه فى رواية مسلم خطا نشاعن سقط ثم وجدت فى نسخ صحيحة عدمها ووقعت هذه الزيادة عند البخارى فى بدء الخلق مضمومة الى رواية قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة بلفظ اذا خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم وهى مدرجة من رواية قتادة عن الحسن عن أبى هريرة كما بينه فى الفتح واليه أشار البخارى وقد قدمته وآخر روى بالرفع بتقدير ذلك آخر والنصب على الظرف قال عياض والرفع أجود قال الحافظ واستدل به على ان الملائكة أكثر المخلوقات لانه لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه فى كل يوم سبعون ألفا غير ما ثبت من الملائكة فى هذا الخبر انتهى ويأتى مزيد لهذا فى المصنف وسئل على عنه فقال بيت فى السماء السابعة بحيال البيت حرمته كحرمة هذا فى الارض يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه أخرجه ابن راهويه وحكمه الرفع اذ لا يقال رأيا (وفيه) أى حديث ثابت المذكور عن أنس ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا (فاذا أنا بيوسف واذا هو قد أعطى شطر الحسن) أى نصفه والناس كلهم بعده شركاء فى النصف الآخر هذا ظاهر ببادى الرأى لكن الحقيقة والمراد منه انه أوتى شطر الحسن الذى أوتى المصطفى جملته قاله ابن المنير وقال بعض شراح المصابيح المراد بالشطر البعض لان الشطر كما يراد به نصف الشئ قد يراد به بعضه مطلقا قال الطيبى وقد يراد به الجهة أيضا نحو فول وجهك شطر المسجد الحرام أى جهة من الحسن ومسحة منه كما يقال على وجهه مسحة ملك ومسحة جمال أى أثر ظاهر ولا يقال ذلك الا فى المدح (وفى حديث أبى سعيد عند البيهقى وأبى هريرة عند الطبرى) محمد بن جرير (فاذا أنا برجل) يعنى يوسف (أحسن ما خلق الله قد فضل) زاد (الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر) أربعة عشر وهو أعلى ما يكون البدر (على سائر الكواكب وهذا ظاهره ان يوسف عليه السلام كان أحسن من جميع الناس لكن) هذا الظاهر ليس بمراد اذ لا نزاع ان المصطفى أحسن منه وقد (روى الترمذى من حديث أنس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا) فصرح بانه أحسن من يوسف وغيره (فعلى هذا يحمل حديث المعراج) المذكور من رواية أبى سعيد وأبى هريرة (على ان المراد غير النبى صلى الله عليه وسلم) فلا تعارض بينه وبين حديث أنس المذكور (ويؤيده قول من قال) من أهل الاصول (ان المتكلم لا يدخل فى عموم كلامه وحمل ابن المنير حديث الباب) المروى فى مسلم (على ان المراد ان يوسف أعطى شطر الحسن الذى أوتيه نبينا) أى أوتى جملته كما عبر به ابن المنير قائلا فالنبى صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية ويوسف عليه السلام بلغ نصفها قال ويحقق هذا حديث ما بعث الله نبيا فذكره أو المراد به البعض أو الجهة كما مر عن الطيبى وغيره (وأما قوله فى الحديث عن ادريس ثم قال مرحبا بالنبى الصالح والاخ الصالح) فسماه بالاخ مع أنه جده أعلى لانه ادريس بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم فكان قياسه أن يقول بالابن كما قال ابراهيم وآدم (فيحمل على اخوة النبوة والاسلام لانها تجمع الوالد والولد) فلا اشكال فى خطابه له بالاخوة لانه كما هو والده نسبا أخوه فى النبوة والاسلام وعدل للاخوة تلطفا وتأدبا (وقال ابن المنير وفى طريق شاذة مرحبا بالابن الصالح) هكذا ذكره فى الفوائد من معراجه وقال قبل ذلك فى أوائلها أكثر الطرق على انه خاطبه بالاخ وقال لى ابن أبى الفضل صحت لى طريق أنه خاطبه بالابن الصالح انتهى وكأنه بين مراده أولا فالشاذ ما خالف فيه الثقة غيره (وهذه هى القياس) وان قال بعضهم فى صحتها نظر (لانه جده الاعلى) اذ هو سبط شيث كما علم وجد أبى نوح بن لمك بفتح اللام واسكان الميم وكاف ابن متوشلخ بفتح الميم وشد الفوقية مضمومة وسكون الواو وفتح المعجمة واللام آخره معجمة ابن خنوخ وهو ادريس سمى به لكثرة

البدن الى ان يصل الى هذه الحالة لانه يستلزم بقاء الحرارة والرطوبة اللتين بقاء الشباب والصحة والقوة بهما فان هذا مما لم يحصل لبشر فى هذه الدار وانما غاية الطبيب ان يحمى الرطوبة عن مفسداتها من العفونة وغيرها ويحمى الحرارة عن مضعفاتها ويعدل بينهما بالعدل فى التدبير الذى به قام بدن الانسان كما ان به قامت السموات والارض وسائر المخلوقات انما قوامها بالعدل ومن تامل هدى النبى صلى الله عليه وسلم وجده أفضل هدى يمكن حفظ الصحة به فان حفظها موقوف على حسن تدبير المطعم والمشرب والملبس والمسكن والهواء والنوم واليقظة والحركة والسكون والمنكح والاستفراغ والاحتباس فاذا حصلت هذه على الوجه المعتدل الموافق الملائم للبدن والبلد والسن والعادة كان أقرب الى دوام الصحة أو غلبتها الى انقضاء الاجل ولما كانت الصحة والعافية من أجل نعم الله على عبده وأجزل عطاياه وأوفر منحه بل العافية المطلقة أجل النعم على الاطلاق فحقيق لمن رزق حظا من التوفيق مراعاتها وحفظها وحمايتها عما يضادها وقد روى البخارى فى صحيحه من حديث ابن عباس قال قال

درسه

وسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وفي الترمذي وغيره

درسه للصحف على انه عربي مشتق من الدراسة وقيل سرياني (وقيل ان ادريس الذي لقيه ليس هو الجد المشهور ولكنه الياس) بن ياسين سبط هرون أخي موسى بعث بعده ويسمى ادريس أيضا لانه قرئ ادريس وادراس مكان الياس وفي البخاري يذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن ادريس هو الياس واختار هذا القول ابن العربي وتلميذه السهيلي لحديث المعراج حيث سماه أخا (فان كان كذلك ارتفع الاشكال) وان كان هو الجد الاعلى فيحمل على أخوة النبوة والاسلام لانها تجمع الوالد والولد وانما خص ابراهيم ونوح وآدم بالابوة لعرف خاص كما يشتهر الانسان باحد اجداده دون من سواه من الاعلين والادنين كاشتهار محمد بن ادريس بالشافعي نسبة الى احد اجداده شافع وهكذا أسماء القبائل كلها يشتهر واحد من طبقة الاجداد فينسب اليه الاولاد دون من فوقه وتحته هذا بقية كلام ابن المنير (فان قلت لم كان هؤلاء الانبياء) الثمانية المذكورون في حديث مالك بن صعصعة آدم فيحيي وعيسى فيوسف فادريس فهرون فموسى فابراهيم (عليهم الصلاة والسلام في السموات دون غيرهم من الانبياء) لعل المراد انه انما وجد هؤلاء دون غيرهم في السموات والا فكونه مر على هؤلاء لا يلزم منه ان لا يكون فيها غيرهم ولم يات نص بنفي كون غيرهم فيها (وما وجه اختصاص كل واحد منهم بسماء تخصه ولم كان في السماء الثانية بخصوصها اثنان) يحيي وعيسى (اجيب عن الاقتصار على هؤلاء دون غيرهم من الانبياء بانهم أمروا بملاقاة نبينا صلى الله عليه وسلم فمنهم من ادركه من أول وهلة ومنهم من تاخر فلحقه ومنهم من فاته) على عرف الناس اذا تلقوا الغائب مبتدرين للقائه فلابد غالبا ان يسبق بعضهم بعضا ويصادف بعضهم اللقاء ولا يصادف بعضهم والى هذا أشار ابن بطال قال السهيلي فلم يصنع شيا انتهى لكن هذا الجواب لا يطابق سؤال المصنف الا بتقدير مضاف أي لم كان انتظار هؤلاء لملاقاة النبي في السموات فحذف المضاف لفهمه من الجواب وفي فتح الباري اختلف في حكمة اختصاص كل منهم بالسماء التي التقاه بها فقيل ليظهر تفاضلهم في الدرجات وقيل لمناسبة تتعلق بالحكمة في الاقتصار على هؤلاء دون غيرهم من الانبياء فقيل أمروا بملاقاته فمنهم من أدركه من أول وهلة ومنهم من تاخر فلحق ومنهم من فاته وهذا زيفه السهيلي فاصاب انتهى فلو أتى المصنف بهذا كان أفيد مما ذكره وأسلم من الايراد (وقيل) الحكمة في الاقتصار على المذكورين (اشارة الى ما سيقع له صلى الله عليه وسلم مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم) ووجه الاشارة أن رؤيته لصورهم كالفال فتفسر رؤية كل واحد بما يشبه ما وقع له فهو تنبيه على الحالات الخاصة بهم بتمثيل بما سيقع للمصطفى مما اتفق لهم مما قصه الله عنهم في كتابه والنبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفال الحسن ويستدل به على حسن العاقبة وبالضد من ذلك والفال في اليقظة نظير الرؤيا في المنام وأهل التعبير يقولون من رأى نبيا من الانبياء بعينه في المنام فان رؤياه تؤذن بما يشبه من حال ذلك النبي من شدة أو رخاء أو غير ذلك من الامور التي أخبر بها عن الانبياء في القرآن والحديث أشار الى هذا ابن المنير وغيره (فاما آدم عليه السلام فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة) التي كان فيها في أمن الله وجواره (الى الارض بما سيقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من الهجرة) من مكة وهي حرم الله وأمنه وقطانها جيران الله لان فيها بيته (الى المدينة والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهة فراق ما ألفه من الوطن ثم كان عاقبة كل منهما ان يرجع الى وطنه الذي خرج منه) فآدم رجع الى السماء بعد أن أهبط منها والمصطفى رجع الى مكة لما فتحها وصارت في يده وهذا معنى كلام السهيلي وزاد تلميذه ابن دحية وتبعه ابن المنير ان فيه تنبيها على انه يقوم مقامه في مبدأ الهجرة لان مقام آدم التهيئة والنشأة وعمارة الدنيا باولاده وكذا كان مقام المصطفى أول سنة من الهجرة مقام تنشئة الاسلام وتربية أهله واتخاذ الانصار لعمارة الارض

من حديث عبد الله بن محصن الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح معافى في جسده آمنا في سربه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا وفي الترمذي أيضا من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما يسال عنه العبد يوم القيامة من النعيم ان يقال له ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد ومن ههنا قال من قال من السلف في قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال عن الصحة وفي مسند الامام أحمد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس يا عباس يا عم رسول الله سل الله العافية في الدنيا والآخرة وفيه عن أبي بكر الصديق قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سلوا الله اليقين والمعافاة فما أوتي أحد بعد اليقين خيرا من العافية فجمع بين عافيتي الدين والدنيا ولا يتم صلاح العبد في الدارين الا باليقين والعافية فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة والعافية تدفع عنه

أمراض الدنيا في قلبه وبدنه وفي سنن النسائي من حديث أبي هريرة يرفعه سلوا الله العفو والعافية والمعافاة فما أوتي أحد بعد يقين

كلها بهذا الدين الذى أظهره الله على الدين كله وزوى الارض لنبيه حتى أراه مشارقها ومغاربها وقال صلى الله عليه وسلم وليبلغن ملك أمتى ما زوى لى منها واتفق ذلك فى زمن هشام بن عبد الملك يجبى اليه خراج الارض شرقا وغربا وكان اذا انشات سحابة يقول أمطرى حيث شئت فسيصل الى خراجك (و بعيسى و يحيى على ما وقع له أول الهجرة) وهى ثانى حال له والاولى بمكة (من عداوة اليهود وتماديهم) بالدال أى استمرارهم وفى نسخ تماليهم باللام أى تعاونهم أو اجتماعهم (على البغى عليه وارادتهم وصول السوء اليه) وهذا لفظ الفتح قائلا انه لخصه من السهيلى وهو محتاج لبيان ولفظ السهيلى واضح وهو ثم رأى فى الثانية عيسى و يحيى وهما الممتحنان باليهود اما عيسى فكذبته اليهود وآذوه وهموا بقتله فرفعه الله واما يحيى فقتلوه ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله الى المدينة صار الى حالة ثانية من الامتحان وكانت محنته فيها باليهود آذوه وظاهروا عليه وهموا بالقاء الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله كما نجى عيسى ثم سموه فى الشاة فلم تزل تلك الا كلة تعاوده حتى قطعت أبهره وقال ابن دحية كانت حالة عيسى ومقامته معالجة بنى اسرائيل والصبر على معالجة اليهود وحيلهم ومكرهم وطلب عيسى الانتصار عليهم بقوله من أنصارى الى الله أى مع الله قال الحواريون نحن انصار الله فهذه كانت حالة نبينا صلى الله عليه وسلم فى السنة الثانية من الهجرة ففيها طلب الانصار للخروج الى بدر العظمى فاجابوه ونصروه فلقاؤه لعيسى فى السماء الثانية تنبيه ١ على انه سيلقى مثل حاله ومقامه فى السنة الثانية من الهجرة (و بيوسف على ما وقع له مع أخوته على ما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من قريش) أقاربه (من نصبهم الحرب له وأرادتهم اهلاكه وكانت العاقبة له وقد أشار عليه السلام الى ذلك يوم الفتح بقوله لقريش) بعد الخطبة يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال (أقول كما قال) أخى (يوسف لا تثريب) عتب (عليكم اليوم) خصه بالذكر لانه مظنة التثريب فغيره أولى (يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فانتم الطلقاء) بضم المهملة وفتح اللام وقاف جمع طليق قال المصنف فى فتح مكة أى الذين اطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا والطليق الاسير اذا أطلق فتفسيره هنا بقوله (أى العتقاء) جمع عتيق ٢ بمعنى معتوق فيه تجوز لان حقيقة العتيق من أزيل عنه الرق وهؤلاء لم يسترقوا ولكن لما كان المصطفى متمكنا منه ورفعه عنهم شبههم بمن أزيل عنه الرق وأطلق عليهم اسمه ثم هذا الذى ذكره المصنف الى قوله اليوم يغفر هو ما ذكر فى الفتح انه لخصه من السهيلى وأما لفظه فى الروض فهو وأما لقاؤه ليوسف فى الثالثة فيؤذن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف وذلك انه ظفر باخوته بعد اخراجه من بين ظهرانيهم فصفح عنهم وقال لا تثريب عليكم الآية وكذا نبينا أسر يوم بدر جملة من أقاربه الذين أخرجوه فيهم عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من أطلق ومنهم من فدى ثم ظهر عليهم عام الفتح فقال أقول كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم انتهى وقال ابن دحية مناسبة لقائه ليوسف فى الثالثة أن الثالثة من الهجرة اتفقت فيها غزوة أحد وكانت على المسلمين لم يصابوا بنازلة قبلها ولا بعدها مثلها فانها كانت وقعة أسف وحزن وأهل التعبير يقولون من رأى أحدا اسمه يوسف آذن ذلك من حيث الاشتقاق ومن حيث قصة يوسف باسف يناله قال ابن دحية فان كان يوسف النبى فالعاقبة حميدة والآخرة خير من الاولى ومما اتفق فى أحد من المناسبة شيوع قتل المصطفى فناسب

---

١ قوله على ما وقع له هكذا فى نسخ الشارح وفى نسخة من المتن بما وقع له بالباء ولعلها أظهر تامل اه مصححه

٢ قوله بمعنى معتوق هكذا فى النسخ وصوابه معتق لانه من اعتقه فتنبه اه مصححه

خيرا من معافاة وهذه الثلاثة تتضمن ازالة الشرور الماضية بالعفو والحاضرة بالعافية والمستقبلة بالمعافاة فانها تتضمن المداومة والاستمرار على العافية وفى الترمذى مرفوعا ما سئل الله شيأ أحب اليه من العافية وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبى الدرداء قلت يا رسول الله لان أعافى فاشكر أحب الى من ان أبتلى فاصبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله يحب معك العافية ويذكر عن ابن عباس ان اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما أسل الله بعد الصلوات الخمس فقال سل الله العافية فاعاد عليه فقال له فى الثالثة سل الله العافية فى الدنيا والآخرة واذا كان هذا شان العافية والصحة فنذكر من هديه صلى الله عليه وسلم فى مراعاة هذه الامور ما يتبين لمن نظر فيه انه أكمل الهدى على الاطلاق ينال به حفظ صحة البدن والقلب وحياة الدنيا والآخرة والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله

(فصل) فاما المطعم والمشرب فلم يكن من عادته صلى الله عليه وسلم حبس النفس على نوع واحد من الاغذية لا يتعداه الى ما سواه فان ذلك يضر بالطبيعة جدا وقد يتعذر عليها

ما

ماحصل للمسلمين من الاسف على فقد نبيهم ماحصل ليعقوب من الاسف على يوسف لاعتقاده انه فقد الى ان وجد ريحه بعد تطاول الامد ومن المناسبة أيضا بين القصتين ان يوسف كيد وألقي في غيابة الجب حتى أنقذه الله على يد من شاء قال ابن اسحق وا كبت الحجارة على جبهته صلى الله عليه وسلم من قريش حتى سقط لجنبه في حفرة كان أبو عامر الفاسق حفرها مكيدة للمسلمين فاخذ على بيده صلى الله عليه وسلم واحتضنه طلحة حتى قام (وبادريس على رفيع منزلته عند الله تعالى) لفظ الروض ثم لقاؤه لادريس في الرابعة وهو المكان الذي سماه الله مكانا عليا وهو أول من خط بالقلم فكان ذلك مؤذنا بحالة رابعة وهو علو شأنه صلى الله عليه وسلم حتى أخاف الملوك وكتب اليهم يدعوهم الى طاعته حتى قال أبو سفيان وهو عند ملك الروم حين جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ورأى ما رأى من خوف هرقل لقد أمر أمر ابن أبي كبشة حتى أصبح يخافه ملك بني الاصفر وكتب عنه بالقلم الى جميع ملوك الارض فنهم من أتبعه على دينه كالنجاشي وملك عمان ومنهم من هادنه وأهدى اليه وأتحفه كهرقل والمقوقس ومنهم من تعصى عليه فاظفره الله به فهذا مقام على وخط بالقلم كنحو ما أوتى ادريس انتهى ولا يفهم من قوله بحالة رابعة وقوع الكتابة الى الملوك في رابعة الهجرة كما ظن ابن المنير فقال فلعل ذلك صادف السنة الرابعة مطابقا للقاء ادريس في السماء الرابعة انتهى فانه سهو عجيب فان كتابته للملوك كانت أول السنة السابعة كما تقدم في المكاتبات قال ابن المنير واختلف هل رفع ادريس بعد الوفاة أو رفع حيا كعيسى وفي المكان العلي هل هو السماء الرابعة أو الجنة فان كان هو الجنة فقد شاركه المصطفى بلقائه فيها وزاد عليه في الارتفاع الى أعلى الجنان وأرفع الدرجات انتهى ملخصا ([٢] وبهرون اذ رجع قومه الى محبته بعد ان آذوه) ولفظ الروض ولقاؤه في الخامسة لهرون المحبب في قومه يؤذن بحب قريش وجميع العرب له بعد بغضهم فيه وقال تلميذه ابن دحية ما نال هرون من بني اسرائيل من الاذى ثم الانتصار عليهم والايقاع بهم وقصر التوبة فيهم على القتل دون غيره من العقوبات المنحطة عنه وذلك ان هرون عند ما تركه موسى في بني اسرائيل وذهب للمناجاة تفرقوا على هرون وتحزبوا عليه وداروا حول قتله ونقضوا العهد واخلفوا الموعد واستصغروا جانبه كما حكى الله تعالى ذلك عنهم وكانت الجناية العظمى الصادرة منهم عبادة العجل فلم يقبل الله منهم التوبة الا بالقتل فقتل في ساعة واحدة سبعون ألفا كان نظير ذلك في حقه صلى الله عليه وسلم ما لقيه في خامسة الهجرة من يهود قريظة والنضير وقينقاع فانهم نقضوا العهد وحزبوا الاحزاب وجمعوها وحشدوا وحشروا وأظهروا عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله وذهب اليهم قبل الوقعة بزمن يسير يستعينهم في دية قتيلين فاظهروا اكرامه وأجلسوه تحت جدار ثم تواعدوا أن يلقوا عليه رحى فنزل جبريل فاخبره بمكرهم الذي هموا به فمن حينئذ عزم على حربهم وقتلهم وفعل الله تعالى ذلك وقتل قريظة بتحكيمهم سعد بن معاذ فقتلوا اشر قتله وحاق المكر السيئ باهله ونظير استضعاف اليهود لهرون استضعافهم للمسلمين في غزوة الخندق (وبموسى على ما وقع له من معالجة قومه وقد أشار الى ذلك عليه الصلاة والسلام بقوله) لما آثر ناسا ليؤلفهم في قسمة غنائم حنين فقال رجل والله ان هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله فتغير وجهه ثم قال فمن يعدل ان لم يعدل الله ورسوله ثم قال (لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر) رواه الشيخان ولفظ السهيلي ولقاؤه في السادسة لموسى يؤذن بحالة تشبه حالة موسى حين أمر بغزو الشام فظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها وأدخل بني اسرائيل البلد الذي خرجوا منه بعد اهلاك عدوهم

[٢] قوله وبهرون اذ رجع الخ الذي في نسخة المتن وبهرون على أن قومه رجعوا الى محبته الخ ولعل ذلك هو الانسب بسابقه ولاحقه فتدبر اه مصححه

أحيانا فان لم يتناول غيره ضعف أو هلك وان تناول غيره لم تقبله الطبيعة فاستضر به فقصرها على نوع واحد دائما ولو أنه أفضل الأغذية خطر مضر بل كان يأكل ما جرت عادة أهل بلده بأكله من اللحم والفاكهة والخبز والتمر وغيره مما ذكرناه في هديه في المأكول فعليك بمراجعته ههنا واذا كان في أحد الطعام من كيفية تحتاج الى كسر وتعديل كسرها وعدلها بضدها ان أمكن كتعديل حرارة الرطب بالبطيخ وان لم يجد ذلك تناوله على حاجة وداعية من النفس من غير اسراف فلا تضرر به الطبيعة وكان اذا عافت نفسه الطعام لم يأكله ولم يحملها اياه على كره وهذا أصل عظيم في حفظ الصحة فمتى أكل الانسان ما تعافه نفسه ولا تشتهيه كان تضرره به أكثر من انتفاعه قال أنس ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه ولم يأكل منه ولما قدم اليه الضب المشوي لم يأكل منه فقيل له أهو حرام قال لا ولكن لم يكن بأرض قومي فاجدني أعافه فراعى عادته وشهوته فلما لم يكن يعتاد أكله بأرضه وكانت نفسه لا تشتهيه أمسك عنه ولم يمنع من أكله من يشتهيه ومن عادته أكله وكان يحب اللحم وأحبه اليه الذراع

وكذلك غزا صلى الله عليه وسلم تبوك من أرض الشام وظهر على صاحب دومة الجندل حتى صالحه على الجزية بعد ان أتى به أسيرا وافتتح مكة ودخل أصحابه البلد الذى خرجوا منه وقال ابن دحية يؤذن لقاؤه له فى السادسة بمعالجة قومه فان موسى ابتلى بمعالجة بنى اسرائيل والصبر على أذاهم وما عالجه المصطفى فى السنة السادسة لم يعالج قبله ولا بعده مثله ففيها افتتح خيبر وقدك وجميع حصون اليهود وكتب الله عليهم الجلاء وضرب بهم بسوط البلاء وعالج صلى الله عليه وسلم فى هذه السنة كما عالج موسى من قومه أراد أن يقيم الشريعة فى الارض المقدسة وحمل قومه على ذلك فتقاعدوا عنه وقالوا ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها وفى الآخر سجلوا بالقنوط انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فغضب الله عليهم وحال بينهم و بينها وأوقعهم فى التيه وكذلك أراد صلى الله عليه وسلم فى السادسة أن يدخل بمن معه مكة يقيم بها شريعة الله وسنة ابراهيم فصدوه فلم يدخلها فى هذا العام فكان لقاؤه لموسى تنبيها على التاسى به وجميل الاثر فى السنة القابلة (و) وقع التنبيه (بابراهيم فى استناده الى البيت المعمور بما ختم الله له صلى الله عليه وسلم فى آخر عمره من اقامة نسك الحج وتعظيم البيت الحرام) ولفظ الروض ثم لقاؤه فى السابعة لابراهيم لحكمتين احداهما أن البيت المعمور بحيال الكعبة واليه تحج الملائكة كما ان ابراهيم هو الذى بنى الكعبة وأذن فى الناس بالحج اليها والثانية أن آخر أحواله صلى الله عليه وسلم حجه الى البيت الحرام وحج معه ذلك العام نحو من تسعين ألفا ورؤية ابراهيم عند أهل التاويل تؤذن بالحج لانه الداعى اليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة وقال ابن دحية مناسبة لقيه لابراهيم فى السابعة أنه صلى الله عليه وسلم اعتمر عمرة القضاء فى السنة السابعة من الهجرة ودخل مكة هو وأصحابه ملبين معتمرين محييا السنة ابراهيم ومقيما لرسمه الذى كانت الجاهلية أماتت ذكره وبدلت أمره ورؤيته لابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور اشارة الى انه يطوف بالكعبة فى السابعة وهى أول دخلة دخل مكة بعد الهجرة والكعبة فى الارض قبالة البيت المعمور قال وفى قوله فاذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفا لا يرجعون اليه الى آخر الدهر اشارة الى انه اذا دخل البيت الحرام لا يرجع اليه لانه لم يدخله بعد الهجرة الاعام الفتح ثم لم يدخله فى حجة الوداع واعلم أن ماذكره المصنف تبع فيه الحافظ وقال فى آخرها هذه مناسبات لطيفة أبداها السهيلى فاوردتها منقحة ملخصة وقد زاد ابن المنير فى ذلك أشياء أضربت عنها اذ أكثرها فى المفاضلة بين الانبياء والاشارة فى هذا المقام عندى أولى من تطويل العبارة انتهى وقال ابن دحية لا باس بما ذكره هذا الامام يعنى شيخه السهيلى لكن يحتاج الى تنبيهات منها اجراؤه لذلك كالتعبير فانه يوهم أن الاسراء كان مناما والصحيح انه يقظة والذى يرفع الاشكال أن الفال فى اليقظة نظير الاحلام فيكون تعبير الفال ببيان ما يدل عليه يقظة كتعبير الاحلام بما تدل عليه منا ما فعلى هذا يصح كلامه وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفال الحسن ويستدل به على حسن العاقبة وبالضد من ذلك ومنها انه لم يذكر لمستوى ولا لما بعده نظيرا اما لتعذر استنباط المناسبة أولانقطاع الفكرة دون ذلك انتهى أولان الاولى ترك ذلك كما أفصح به السهيلى نفسه عقب ذكر المناسبات اذ قال وكان الحزم ترك التكلف لتاويل مالم يرد فيه نص عن السلف ولكن عارض هذا ما يجب من التفكر فى حكم الله وتدبر آياته قال ولولا مسارعة الناس الى انكار ما جهلوه وغلظ الطباع عن فهم كثير من الحكمة لابدينا من سر هذا السؤال أكثر مما كشفنا (وأجاب العارف ابن أبى جمرة عن وجه اختصاص كل واحد منهم بسماء) الذى هو ثانى أسئلة المصنف وفيه جواب الثالث وهو لم كان فى الثانية بخصوصها اثنان (بان الحكمة فى كون آدم فى السماء الدنيا لانه أول الانبياء وأول الآباء) فناسب مقام الاولية (وهو الاصل) فكان الاول فى الاولى (ولاجل تانيس النبوة بالابوة)

تعجب موذكر أبو عبيد وغيره عن ضباعة بنت الزبير انها ذبحت فى بيتها شاة فارسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اطعمينا من شاتكم فقالت للرسول ما بقى عندنا الا الرقبة وانى لاستحى ان أرسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الرسول فاخبره فقال ارجع اليها فقل لها ارسلى بها فانها هادية الشاة وأقرب الى الخير وأبعدها من الاذى ولا ريب ان أخف لحم الشاة لحم الرقبة ولحم الذراع والعضد وهو أخف على المعدة وأسرع انهضاما وفى هذا مراعاة الاغذية التى تجمع ثلاثة أوصاف كثرة نفعها وتاثيرها فى القوى الثانى خفتها على المعدة وعدم ثقلها عليها الثالث سرعة هضمها وهذا أفضل ما يكون من الغذاء والتغذى باليسير من هذا أنفع من الكثير من غيره وكان يحب الحلواء والعسل وهذه الثلاثة أعنى اللحم والعسل والحلواء من أفضل الاغذية وأنفعها للبدن والكبد والاعضاء وللاغتذاء بها نفع عظيم فى حفظ الصحة والقوة ولا ينفر منها الامن به علة وآفة

في مبدأ العالم العلوي (واما عيسى فانما كان في السماء الثانية لانه أقرب الانبياء) من حيث الزمن (الى النبي صلى الله عليه وسلم و) لانه (لا امحت شريعة عيسى عليه السلام الا بشريعة سيدنا محمد ولانه ينزل في آخر الزمان لامة محمد صلى الله عليه وسلم على شريعته ويحكم بها) ووجه جعل هذا حكمة كونه في الثانية أن عيسى لما شابه المصطفى في ثاني أحواله وهي حكمه بشريعته وكونه واحدا من أمته ناسب أن يكون في السماء الثانية وأول أحوال عيسى كونه رسولا الى بني اسرائيل (ولهذا) المذكور من الحكم الثلاث (قال عليه السلام) في الصحيحين وغيرهما (أنا أولى الناس) أي أخصهم (بعيسى) ابن مريم وأقربهم اليه لانه بشر بانه يأتي من بعده فالاولوية هنا من جهة قرب العهد كما انه أولى الناس بابراهيم لانه أبوه ودعا به وأشبه الناس به خلقا وخلقا وتبين وجه الاولوية بقوله في بقية الحديث ليس بيني و بينه نبي كأنه قال لانه ليس الخ وضعف هذا الحديث ما ورد أن جرجيس وخالد بن سنان كانا نبيين بعد عيسى لان في اسنادهما مقالا وهذا صحيح بلا شك الا ان يجاب بانهما بعثا بتقرير شريعة عيسى لا بشريعة مستقلة ذكره الحافظ وغيره (فكان في الثانية لاجل هذا المعنى) وفي فتح الصفا لانه مخلوق ثان كخلق آدم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم (وانما كان يحيى عليه السلام معه هنالك لانه ابن خالته وهما كالشيء الواحد فلاجل التزام أحدهما بالآخر كانا هنالك معا) أدق من هذا قول ابن المنير السر في ذلك أن عيسى لم يلقه بعد موته لرفعه حيا صيانة له وذخيرة الى وقت عوده الى الارض فانما بشرع المصطفى غير مجدد شرعا فهو في حكم الاحياء ومقامه في السماء ليس على معنى السكنى الدائمة بخلاف غيره من الانبياء و يحيى هو المقيم في السماء اسوة غيره من الانبياء واختص مقامه عند عيسى لانهما ابنا الخالة وكانا لدتين وكانت أم يحيى تقول لام عيسى وهما حاملتان اني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك أي سجود تحية فكان بينهما اتحاد منذ كانا فلما عرض لعيسى الصعود الى السماء جعل عند يحيى (وانما كان يوسف عليه السلام في السماء الثالثة لان على حسنه تدخل أمة النبي صلى الله عليه وسلم الجنة) وهي ثالث دورها الدنيا فالبرزخ فالجنة فناسب كونه في الثالثة (فارى له هنالك لكي يكون ذلك اشارة له عليه السلام فيسر بذلك) وفي فتح الصفا و يوسف في الثالثة باعتبار أن جعله على خزائن الارض كان مرتبة ثالثة له لانه بعد خروجه من السجن وذلك بعد رفعه من الجب (وانما كان ادريس عليه السلام في السماء الرابعة لانه هنالك توفي ولم تكن له تربة في الارض على ما ذكر) عن كعب الاحبار ان الملك الموكل بالشمس كان صديقا لادريس فسأله أن يريه الجنة فاذن الله له في ذلك فرفعه فلما كان في السماء الرابعة رآه ملك الموت فعجب وقال أمرت أن أقبض روحه في السماء الرابعة فقبضه قال السهيلي ولكون رفعه حيا الى ذلك المقام خاصا به قال تعالى ورفعناه مكانا عليا فلا ينافي رؤيته ابراهيم وموسى في مكان أعلى منه ومر عن الحافظ ان هذا من الاسرائيليات والله أعلم بصحته وان رفعه وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية وقال ابن المنير اختلف في ادريس هل رفع الى السماء بعد موته كغيره من الانبياء أو انما رفع حيا وهو الى الآن حي كعيسى وجاء في القصص ان ادريس أحبته الملائكة لكثرة عبادته فسأل ملك الموت أن يذيقه الموت ليهون عليه فاذاقه ثم حيي فسأل أن يورده النار ليزداد رهبة فاورده ثم أخرج فسأل أن يدخل الجنة ليزداد رغبة فادخلها فقيل له أخرج قال لا يا رب اني ذقت الموت و وردت النار ودخلت الجنة وقد وعدت من دخلها على ذلك أن لا يخرج منها أبدا فاوحى الله الى الخازن أن دعه فباذني فعل ما فعل فبقي في الجنة في السماء الرابعة على هذا الوجه انتهى فتامله (وانما كان هرون عليه السلام في السماء الخامسة لانه ملازم لموسى عليه السلام لاجل انه أخوه) ووزيره (وخليفته في قومه)

وكان يأكل الخبز مادوما ما وجد له اداما فتارة يادمه باللحم ويقول هو سيد طعام أهل الدنيا والآخرة رواه ابن ماجه وغيره وتارة بالبطيخ وتارة بالتمر فانه وضع تمرة على كسرة وقال هذا ادام هذه وفي هذا من تدبير الغذاء أن خبز الشعير بارد يابس والتمر حار رطب على أصح القولين فادم خبز الشعير به من أحسن التدبير لاسيما لمن تلك عادتهم كأهل المدينة وتارة بالخل ويقول نعم الادام الخل وهذا ثناء عليه بحسب مقتضى الحال الحاضر لا تفضيل له على غيره كما يظن الجهال وسبب الحديث انه دخل على أهله يوما فقدموا له خبزا فقال هل عندكم من ادام قالوا ما عندنا الا خل فقال نعم الادام الخل والمقصود ان أكل الخبز مادوما من أسباب حفظ الصحة بخلاف الاقتصار على أحدهما وحده وسمي الادام اداما لاصلاحه الخبز وجعله ملائما لحفظ الصحة ومنه قوله في اباحته للخاطب النظر انه أحرى أن يؤدم بينهما أي أقرب الى الالتئام والموافقة فان الزوج يدخل على بصيرة فلا يندم وكان يأكل من فاكهة بلده عند مجيئها ولا يحتمي منها وهذا أيضا من أكبر أسباب حفظ الصحة فان الله سبحانه بحكمته جعل في كل بلدة من

لما ذهب الى المناجاة (فكان هناك لاجل هذا المعنى وانما لم يكن مع موسى في السماء السادسة لان لموسى مزية وحرمة وهي كونه كليما واختص باشياء لم تكن لهرون فلاجل هذا المعنى ٢ لم يكن معه) تكرار لزيادة البيان (وانما كان موسى في السماء السادسة لاجل ما اختص به من الفضائل ولانه الكليم وهو أكثر الانبياء أتباعا بعد نبينا صلى الله عليه وسلم) فكان فيها للاشعار بالقرب (وانما كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام في السماء السابعة لانه الخليل والاب) الاخير للمصطفى (فناسب أن يتجدد للنبي عليه السلام بلقياه أنس لتوجهه بعده الى عالم آخر وهو اختراق الحجب) كما أنس بابيه آدم في أول عالم السموات ثم في وسطها بابيه ادريس لان الرابعة من السبع وسط معتدل (وأيضا لانه الخليل ولا أحد أفضل من الخليل الا الحبيب والحبيب ها هو قد علا ذلك المقام فكان الخليل فوق الكل لاجل خلته وفضله وارتفع الحبيب فوق الكل لاجل ما اختص بما زاد به عليهم) وما أحسن اختصار الحافظ لهذا بقوله وأيضا فمنزلة الخليل تقتضي أن تكون ارفع المنازل ومنزلة الحبيب ارفع من منزلته فلذلك ارتفع عن منزلة ابراهيم الى قاب قوسين أو أدنى (قال الله تعالى تلك) مبتدأ (الرسل) صفة والخبر (فضلنا بعضهم على بعض) بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره (منهم من كلم الله) كموسى (ورفع بعضهم) أي محمدا (درجات) على غيره بعموم الدعوة وختم النبوة به وتفضيل أمته على سائر الامم والمعجزات المتكاثرة والخصائص العديدة (فحصل لهم الكمال والدرجة الرفيعة وهي درجة الرسالة والنبوة ورفعوا بعضهم فوق بعض بمقتضى الحكمة) الالهية (ترفيعا للمرفوع دون تنقيص بالمنزول) وفي نسخة للمنزول بلام بدل الموحدة أي النازل عن غيره في الفضل (انتهى فليتامل وقد اختلف في) صفة (رؤية نبينا صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الانبياء عليهم السلام) في السموات ولهم ولغيرهم في بيت المقدس مع أن أجسادهم مستقرة في قبورهم بالارض (فحمله بعضهم على رؤية أرواحهم) متشكلة بصور أجسادهم (الا عيسى لما ثبت انه رفع بجسده) سواء قلنا رفع حيا عند الاكثرين أو بعد أن توفي على ظاهر اني متوفيك للاتفاق على رفعه بجسده (وقد قيل في ادريس أيضا ذلك) أي رفع بجسده حيا ثم مات أم لا على قولين تقدما (وأما الذين صلوا معه في بيت المقدس فيحتمل الارواح خاصة) دون الاجساد ويؤيده حديث أبي هريرة عند الحاكم والبيهقي فلقي أرواح الانبياء وفيه دليل على تشكل الارواح بصور أجسادها في عالم الله (ويحتمل الاجساد بارواحها) بان يكون أسرى باجسادهم من قبورهم لملاقاة النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة تشريفا له وتكريما ويؤيده حديث أنس عند البيهقي وبعث له آدم فمن دونه من الانبياء فامهم وعند البزار والطبراني فنشر لي الانبياء من سمى الله تعالى ومن لم يسم فصليت بهم قال الحافظ واختاره بعض شيوخنا واحتج بما في مسلم مرفوعا رأيت موسى ليلة أسرى بي قائما يصلي في قبره فدل على أنه أسرى به لما مر به قلت وليس ذلك بلازم بل يجوز أن لروحه اتصالا بجسده في الارض ولذلك تمكن من الصلاة فيها وروحه مستقرة في السماء (وقيل) أي قال ابن أبي جمرة رؤيته لهؤلاء الانبياء (يحتمل) وجوها أحدها أنه يحتمل (أن يكون عليه السلام عاين كل واحد منهم في قبره في الارض على الصورة التي أخبر بها من الموضع الذي ذكر أنه عاينه فيه فيكون الله عز وجل قد أعطاه من القوة في البصر والبصيرة ما أدرك به ذلك) لكن قد يبعده فاذا فيها آدم الخ لاسيما قوله فاذا أنا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور فان الاصل الحقيقة وكون المعنى فاذا في وجودي في السماء عاينت آدم في قبره ثم يقال مثله في البقية مجاز بعيد جدا بلا داعية وكيف يقال عاينت وأنا في السماء

٢ قوله لم يكن معه في بعض نسخ المتن زيادة (في السادسة) اهـ

من احتمى عن فاكهة بلده خشية السقم الا وهو من أسقم الناس جسما وأبعدهم من الصحة والقوة وما في تلك الفاكهة من الرطوبات فحرارة الفصل والارض وحرارة المعدة تنضجها تدفع شرها اذا لم يسرف في تناولها ولم يحمل منها الطبيعة فوق ما تحتمله ولم يفسد بها الغذاء قبل هضمه ولا أفسدها بشرب الماء عليها وتناول الغذاء بعد التحلي منها فان القولنج كثيرا ما يحدث عند ذلك فمن أكل منها ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي كانت له دواء نافعا

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في هيأة الجلوس للاكل صح عنه انه قال لا آكل متكئا وقال انما أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد وروى ابن ماجه في سننه انه نهى ان يأكل الرجل وهو منبطح على وجهه وقد فسر الاتكاء بالتربيع وفسر الاتكاء على الشيء وهو الاعتماد عليه وفسر بالاتكاء على الجنب والانواع الثلاثة من الاتكاء فنوع منها يضر بالآكل وهو الاتكاء

السابعة ابراهيم في قبره وهو مسند ظهره الى البيت المعمور (ويشهد له رؤيته عليه الصلاة والسلام الجنة والنار في عرض الحائط) بضم العين واسكان الراء جانبه وناحيته (وهو محتمل لان يكون عليه الصلاة والسلام رآهما من ذلك الموضع) حقيقة بان كشف له عنهما وازيلت الحجب التي بينه وبينهما قال ابن أبي جمرة كما يقال رأيت الهلال من منزلي من الطاق والمراد من موضع الطاق (أو مثل له صورتهما في عرض الحائط والقدرة صالحة لكليهما) لكن هذان الاحتمالان ظاهران في ذا الحديث واجراء مثلهما في حديث المعراج لا يظهر لبعده (وقيل) أي قال ابن أبي جمرة أيضا (يحتمل) أن يكون صلى الله عليه وسلم عاين أرواحهم هنالك في صورهم (أن يكون الله سبحانه وتعالى ٢ لما أراد باسراء نبينا رفعهم من قبورهم لتلك المواضع اكراما لنبيه عليه السلام وتعظيما له حتى يحصل له من قبلهم) بكسر ففتح جهتهم (ما أشرنا اليه من الانس والبشارة وغير ذلك مما لم نشر اليه ولا نعلمه نحن) وهذا الاحتمال هو عين قوله أولا ويحتمل الاجساد بأرواحها غايته انه مبسوط عنه فهو كالشرح له وبقي احتمال رابع وبه جزم أبو الوفاء بن عقيل أن أرواحهم مستقرة في الاماكن التي رآهم المصطفى فيها متشكلة بصور أجسادهم لكنه انما يظهر في الذين رآهم في السموات لا في بيت المقدس (وكل هذه الوجوه محتملة) بضم الميم الاولى وفتح الثانية أي قريبة واما بكسر الثانية فالواقعة نفسها كما صرح به بعضهم (ولا ترجيح لاحدها على الآخر) من حيث الاحتمال في حد ذاته (اذ القدرة صالحة لكل ذلك) أما بالنظر لما تشهد له من خارج فيرجح (انتهى) يعني كلام ابن أبي جمرة وان لم يفصح به وأوله ما قد علمته وما قبله أتى به المصنف من فتح الباري وفيه رد على ما أطال به ابن القيم في كتاب الروح من ترجيح أن رؤيته انما هي لارواحهم فقط اذ الاجساد في الارض قطعا انما تبعث يوم القيامة ولو بعثت قبل ذلك لكانت انشقت عنهم الارض قبلها وكانت تذوق الموت عند نفخ الصور وهذه موتة ثالثة وهذا باطل قطعا وبانها لو بعثت الاجساد لم تعد الى القبور بل كانت في الجنة مع أنها محرمة على الانبياء حتى يدخلها نبينا وهو أول من يستفتح باب الجنة ولا تنشق الارض عن أحد قبله الى آخر ما أطال به مما لا حجة له فيه وجوابه كما أملاني شيخنا انه انما يتم ما قاله لو كانت أرواحهم مفارقة لاجسادهم في قبورهم وليس كذلك بل هم أحياء في قبورهم بحياة حقيقية يأكلون ويشربون ويتمتعون فيها وخروجهم من قبورهم ومجيئهم لها ليس الخروج المقتضي للبعث بل هو كخروج الانسان من منزله لحاجة يقضيها ويعود اليه فلا يعد بذلك مفارقا له والذي يعد به مفارقا هو الذي بحيث لا يعود اليه بل يقوم للقيامة وبهذا سقط كلامه (واما قوله في الحديث ثم رفعت) رواه الاكثر بضم الراء وسكون العين وضم التاء ضمير المتكلم بعده حرف الجر وهو (الى سدرة المنتهى) وللكشميهني رفعت بفتح العين وسكون التاء أي السدرة لي أي من أجلي وكذا في بدء الخلق ويجمع بين الروايتين بانه رفع اليها أي ارتقى به وظهرت له والرفع الى الشيء يطلق على التقرب منه وقد قيل في قوله وفرش مرفوعة أي تقرب لهم (فاذا نبقها) بفتح النون وكسر الموحدة وبسكونها أيضا قال ابن دحية والاول هو الذي ثبت في الرواية أي التحريك وهو ثمر السدر (مثل قلال) قال الخطابي بالكسر جمع قلة بالضم هي الجرار يريد أن ثمرها في الكبر مثل القلال وكانت معروفة عند المخاطبين (هجر) بفتح الهاء والجيم بلدة لا تنصرف للتانيث والعلمية ويجوز الصرف كما في الفتح وقدمته قال النعماني وام ثمره افهل هو كالثمار الماكولة وانه ينزل ويعقبه غيره وهل الزائل يؤكل أو يسقط لم أر من ذكر هذا ولا يمتنع ان يكون كذلك وانه تاكله الطيور التي تسرح في الجنة

---

٢ قوله لما أراد باسراء الخ هكذا في النسخ ولعل أصله لما أراد اسراء الخ وقوله رفعهم الخ جواب لما تامل اه مصححه

على الجنب فانه يمنع مجرى الطعام الطبيعي عن هيئته ويعوقه عن سرعة نفوذه الى المعدة وتضغط المعدة فلا يستحكم فتحها للغذاء وأيضا فانها تميل ولا تبقى منتصبة فلا يصل الغذاء اليها بسهولة وأما النوعان الآخران فمن جلوس الجبابرة المنافي للعبودية ولهذا قال كل كما يأكل العبد وكان يأكل وهو مقع ويذكر عنه أنه كان يجلس للأكل متوركا على ركبتيه ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر قدمه اليمنى تواضعا لربه عز وجل وأدبا بين يديه واحتراما للطعام وللمواكل فهذه الهيأة أنفع هيآت الأكل وأفضلها لان الاعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعي الذي خلقها الله سبحانه عليه مع ما فيها من الهيأة الأدبية وأجود ما اغتذى الانسان اذا كانت أعضاؤه على وضعها الطبيعي ولا يكون كذلك الا اذا كان الانسان منتصبا الانتصاب الطبيعي وأردى الجلسات للأكل الاتكاء على الجنب لما تقدم من أن المريء وأعضاء الازدراد تضيق عند هذه الهيأة والمعدة لا تبقى على وضعها الطبيعي لانها تنعصر مما يلي البطن بالارض ومما يلي الظهر بالحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات النفس وان كان المراد بالاتكاء الاعتماد

والروح على قول من يقول انهم صنف على صورة الانسان لهم أيد وأرجل ورؤس وانهم يأكلون الطعام وليسوا من الملائكة قال ابن عباس ما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد من الروح وقال أبو صالح وليسوا بناس ولا بالملائكة وعن بعضهم ان الملائكة لا يرونهم وليس بينه وبين قول ابن عباس هذا تناف فانه لا يلزم من نزولهم معهم رؤيتهم لهم انتهى (واذا ورقها مثل آذان الفيلة) بكسر الفاء وفتحها غلط زاعمه وفتح التحتية جمع فيل وفى بدء الخلق الفيول جمع فيل أيضا والتشبيه فى الشكل فقط لا فى الكبر ولا فى الحسن فلا تنافى رواية تكاد الورقة تغطى هذه الامة (قال) جبريل (هذه سدرة المنتهى) ولعل سبب اخباره انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بوجودها قبل الرؤية فكأنه قال هذه سدرة المنتهى التى علمت بوجودها قال الرازى واضافتها الى المنتهى من اضافة الشئ الى مكانه كقولك أشجار بلدة كذا فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك أو روح من الارواح أمن اضافة المحل الى الحال فيه ككتاب الفقه فالتقدير سدرة عندها منتهى العلوم أو من اضافة الملك الى مالكه كشجرة زيد فالمنتهى اليه محذوف تقديره سدرة المنتهى اليه قال تعالى وأن الى ربك المنتهى فالمنتهى اليه هو الله تعالى واضافتها اليه كاضافة البيت للتشريف والتعظيم (واذا أربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران) قال ابن أبى جمرة يحتمل الحقيقة فهذه الانهار تنبع من أصل الشجرة نفسها فتكون الشجرة طعمها نبق واصلها ينبع منه الماء والقدرة لا تعجز عن هذا ويحتمل انه من تسمية الشئ بما قاربه فتكون الانهار تنبع قريبا من أصل الشجرة انتهى (فقلت وما هذا يا جبريل قال أما الباطنان فنهران فى الجنة) قال ابن أبى جمرة فيه ان الباطن أجل من الظاهر لان الباطن جعل فى دار البقاء والظاهر جعل فى دار الفناء ومن ثم كان الاعتماد على ما فى الباطن كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم (واما الظاهران فالنيل) نهر مصر (والفرات) بالفوقية فى حال الوصل والوقف نهر الكوفة (وفى رواية عند البخارى أيضا) فى بدء الخلق (فاذا فى أصلها أى سدرة المنتهى أربعة انهار) فيفسر قوله فى المعراج واذا أربعة انهار أى فى أصلها اذ الحديث واحد (وعند مسلم يخرج من أصلها) فقوله فى أصلها معناه يخرج منه (وعنده) أى مسلم (ايضا من حديث أبى هريرة أربعة انهار من الجنة النيل والفرات وسيحان) من السيح وهو جرى الماء على وجه الارض وهو نهر العواصم بقرب مصيصة وهو غير سيحون نهر بالهند أو السند (وجيحان) نهر اذنة وجيحون نهر بلخ وينتهى الى خوارزم وزعم انهما هما وهم فقد حكى النووى الاتفاق على انهما غيرهما لكن نازعه السيوطى فى دعوى الاتفاق (فيحتمل ان تكون سدرة المنتهى مغروسة فى الجنة والانهار تخرج من أصلها فيصح انها من الجنة) بهذا الاعتبار فلا يعارض حديث المعراج (ووقع فى رواية شريك كما عند البخارى فى) كتاب (التوحيد) من صحيحه (انه رأى فى سماء الدنيا نهرين يطردان) بالتشديد يجريان (فقال له جبريل) جوابا لقوله ما هذان النهران يا جبريل قال (هما النيل والفرات عنصرهما) بضم العين والصاد المهملتين أصلهما بدل من النيل والفرات (والجمع بينهما أنه رأى هذين النهرين عند سدرة المنتهى مع نهرى الجنة) الباطنين (ورآهما فى سماء الدنيا دون نهرى الجنة واراد بالعنصر عنصر انتشارهما بسماء الدنيا) لا أصلهما الحقيقى فانه من أصل السدرة فلا تنافى بين الاحاديث (كذا قال ابن دحية) كأنه تبرأ منه لعدم تعين ما قال لجواز ان يراد أصل نبعهما من تحت السدرة ومقرهما فى سماء الدنيا ومنها ينزلان الى الارض كما تقدم للمصنف وهو فى المعنى قريب من جمع ابن دحية أو عينه وقال النعمانى يجوز أن عنصرهما مبتدأ يتعلق به خبر سابق لم يتقدم له ذكر من حيث اللفظ لكن من حيث العهد فيكون المعنى هذا النيل والفرات فيتم الكلام ثم يكون عنصرهما

على الوسائد والوطاء الذى تحت المجالس فيكون المعنى انى اذا أكلت لم أقعد متكئا على الاوطية والوسائد كفعل الجبابرة ومن يريد الاكثار من الطعام لكنى آكل بلغة كما يأكل العبد

(فصل) وكان يأكل باصابعه الثلاث وهذا أنفع ما يكون من الأكلات فان الأكل باصبع أو أصبعين لا يستلذ به الآكل ولا يمريه ولا يشبعه الا بعد طول ولا تفرح آلات الطعام والمعدة بما ينالها فى كل أكلة فتاخذها على اغماض كما يأخذ الرجل حقه حبة أو حبتين أو نحو ذلك فلا يلتذ بأخذه ولا يسر به والأكل بالخمسة والراحة يوجب ازدحام الطعام على آلاته وعلى المعدة وربما استدت الآلات فمات وتغصب الآلات على دفعه والمعدة على احتماله ولا يجد له لذة ولا استمراء فأنفع الأكل أكله صلى الله عليه وسلم وأكل من اقتدى به بالاصابع الثلاث

(فصل ومن تدبر أغذيته صلى الله عليه وسلم) وما كان يأكله وحده لم يجمع قط بين لبن وسمك ولا بين لبن وحامض ولا بين غذائين حارين ولا باردين ولا لزجين ولا قابضين ولا مسهلين ولا غليظين ولا مرخيين ولا مستحيلين الى خلط واحد ولا بين مختلفين كقابض ومسهل وسريع الهضم ما

ما كنت رأيت عند سدرة المنتهى يا محمد فما كنتى بهذا العهد السابق عن اعادة الكلام انتهى وهو مع تعسفه لا يصح لان رؤيته ذلك فى سماء الدنيا قبل رقيه لسدرة فلا عهد هنا (و روى ابن أبى حاتم عن أنس انه صلى الله عليه وسلم بعد ان رأى ابراهيم قال ثم انطلق) جبريل (بى على ظهر السماء السابعة حتى انتهى الى نهر عليه خيام الياقوت) بخاء معجمة جمع خيم كسهم وسهام وهو مثل الخيمة وفى نسخة جام بالجيم بلا ياء أى اناء والمراد الجنس فيصدق بالاوانى الكثيرة (واللؤلؤ والزبرجد) بفتح الزاى ودال مهملة جوهر معروف ويقال هو الزمرد (وعليه طير خضر) هو (انعم) فهو خبر مبتدا محذوف (طير رأيت) وهو اسم تفضيل من نعم بالضم نعومة لان ملمسه يعنى ان ملمس هذه الطيور ألين من ملمس سائر الطيور وفى رواية أنعم طير أنت راء (قال جبريل هذا الكوثر الذى أعطاك الله فاذا فيه آنية الذهب والفضة يجرى على رضراض) بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة آخره مثلها حصى صغار (من الياقوت والزمرد) بزاى فميم فراء ثقيلة مضمومات آخره ذال معجمة ومهملة كما فى القاموس وقال انه الزبرجد معرب (ماؤه أشد بياضا من اللبن قال فاخذت من آنيته فاغترفت من ذلك الماء فشربت فاذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك) فجمع الاوصاف الثلاثة الحسنة (وفى حديث أبى سعيد عند البيهقى واذا فيها) أى السماء السابعة (عين تجرى يقال لها السلسبيل فينشق منها نهران أحدهما الكوثر والآخر يقال له نهر الرحمة) قال الحافظ فيمكن أن يفسر بهما النهران الباطنان المذكوران فى الحديث وكذا روى عن مقاتل قال الباطنان السلسبيل والكوثر انتهى وفيه مسامحة لان ما روى عن مقاتل صريح فى ان أحد النهرين السلسبيل والآخر الكوثر وحديث أبى سعيد صريح فى أن السلسبيل هو الاصل و يخرج منه نهران أحدهما الكوثر فهو فرع منه لا قسيم له فحق العبارة و روى عن مقاتل باسقاط لفظ كذا و يكون مقابلا لتفسيرهما بما فى حديث أبى سعيد ثم قال الحافظ عقب ما نقلته عنه وأما الحديث الذى أخرجه مسلم بلفظ سيحان وجيحان والنيل والفرات من أنهار الجنة فلا يغاير هذا لان المراد به ان فى الارض أربعة أنهار أصلها من الجنة وحينئذ لم يثبت لسيحان وجيحان انهما ينبعان من أصل سدرة المنتهى فيمتاز النيل والفرات عليهما بذلك وأما الباطنان فهما غير سيحان وجيحان قال النووى فى هذا الحديث ان أصل النيل والفرات من الجنة وانهما يخرجان من أصل السدرة ثم يسيران حيث شاء الله ثم ينزلان الى الارض ثم يسيران فيها ثم يخرجان منها وهذا لا يمنعه العقل وقد شهد به ظاهر الخبر فليعتمد وقول عياض الحديث يدل على ان أصل سدرة المنتهى فى الارض لقوله ان النيل والفرات يخرجان من أصلها وهما يخرجان من الارض فيلزم منه ان أصل السدرة فى الارض متعقب لان خروجهما من أصلها غير خروجهما بالنبع من الارض والحاصل ان أصلهما من الجنة و يخرجان أولا من أصلها ثم يسيران الى أن يستقرا فى الارض ثم ينبعان واستدل به على فضيلة ماء النيل والفرات لكون منبعهما من الجنة وكذا سيحان وجيحان قال القرطبي لعل ترك ذكرهما فى حديث الاسراء لكونهما ليسا أصلا برأسهما وانما يحتمل أن يتفرعا من النيل والفرات قال وقيل انما أطلق على هذه الانهار انها من الجنة تشبيها لها بانهار الجنة لما فيها من شدة العذوبة والحسن والبركة والاول أولى انتهى وقال ابن المنير صورة انصبابها كانصباب المطر متفرقا ثم يجتمع فى مواقعها فى الارض الى ان ينساق كل منها الى مستقره ومجراه ويحتمل أن يكون انصبابها فى نواحى الارض النائية المتصلة بمبادى هذه الانهار فانه لم يقف أحد على مباديها الى الآن وقال ابن أبى جمرة وردت الاخبار أن من شرب من ماء الجنة لا يموت ولا يفنى وانه لا فضلة له تخرج على ما يعهد فى الدنيا وانما خروجه رشح مسك على البدن فجعل فيه هذه الخاصية العظيمة ثم لما شاءت الحكمة نزوله الى هذه

وبطيئه ولا بين شوى وطبيخ ولا بين طرى وقديد ولا بين لبن وبيض ولا بين لحم ولبن ولم يكن يأكل طعاما فى وقت شدة حرارته ولا طبيخا بائتا يسخن له بالغد ولا شيأ من الاطعمة العفنة والمالحة كالكوامخ والمخللات والملوحات وكل هذه الانواع ضار مولد لانواع من الخروج عن الصحة والاعتدال وكان يصلح ضرر بعض الاغذية ببعض اذا وجد اليه سبيلا فيكسر حرارة هذا ببرودة هذا ويبوسة هذا برطوبة هذا كما فعل فى القثاء والرطب وكما كان يأكل التمر بالسمن وهو الحيس ويشرب نقيع التمر يلطف به كيموسات الاغذية الشديدة وكان يأمر بالعشاء ولو بكف من تمر ويقول ترك العشاء مهرمة ذكره الترمذى فى جامعه وابن ماجه فى سننه وذكر أبو نعيم عنه انه كان ينهى عن النوم على الاكل ويذكر أنه يقسى القلب ولهذا فى وصايا الاطباء لمن أراد حفظ الصحة أن يمشى بعد العشاء خطوات ولو مائة خطوة ولا ينام عقبه فانه مضر جدا وقال مسلموهم أو يصلى عقبه ليستقر الغذاء بقعر المعدة فيسهل هضمه و يجود بذلك ولم يكن من هديه أن يشرب على طعامه فيفسده ولا سيما ان كان الماء حارا أو باردا فانه ردىء جدا قال الشاعر

لاتكن عند أكل سخن وبرد * ودخول الحمام تشرب ماء فاذا ما اجتنبت ذلك حقا

الدا نزعت منه تلك الخصوصية وبقى جوهره بحاله وكل الخواص مثله فى هذا المعنى ان شاء الله تعالى ابقى له الخاصية وان شاء سلبها مع بقاء جوهره وليس لذوات الخواص تأثير بل الخاصية خلقه والجوهر خلقه وانما القدرة هى المؤثرة فى كلها انتهى (وسيأتى مزيد لذلك عما ذكرهنا فى الكوثر فى المقصد الاخير ان شاء الله تعالى وقد وقع فى حديث ثابت عن أنس عند مسلم ثم ذهب بى) لم يقل عرج لانها فى السماء السابعة (الى السدرة المنتهى واذا أوراقها كآذان الفيلة) شبهها وان لم تكن بارض الحجاز لانها كثيرة ببلاد الحبش وكثيرا ما كانوا يأتونها للتجارة واليها كانت الهجرة (واذا ثمرها كالقلال) شبهها بها لعظمها ولطف ورقها وطيب ثمرها وحسن رائحته وان كان شجر الجنة انما يحكيه مافى الدنيا صورة (فلما غشيها) طرأ عليها وغطاها (من أمر الله عز وجل ما غشى) أى أمر عظيم غشى فان الابهام بمثله يفيده نحو الحاقة ما الحاقة فهو كقوله اذ يغشى السدرة ما يغشى فى ارادة الابهام للتفخيم أو التهويل وان معلوما كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم فى حق فرعون وقومه (تغيرت) عن حالها التى كانت عليها وفى رواية ابن عائذ تحولت ياقوتا وزبرجدا والظاهر أن المراد بامر الله وحيه أو تجليه لرسوله فاشرق لها نوراالهى زهت به وحسنت حسنا لا ينعت ونورا لا يمكن أن يقابله الابصار كما قال (فما أحد من خلق الله يستطيع) يقدر (أن ينعتها من حسنها) الذى طرأ عليها أى يصفها باوصاف تحصل صورتها فى الذهن لقصر العبارة لكمال حسنها عن بيان ماهيتها وانما ثبتت لكونها من أشجار الجنة المعتادة لاشراق تلك الانوار عليها ولو كانت من أشجار الارض لاحترقت كما صار الجبل دكا (وقد جاء فى حديث ابن مسعود عند مسلم أيضا بيان سبب تسميتها بسدرة المنتهى ولفظه لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم قال انتهى بى الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة واليها ينتهى ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها) قال القرطبى وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله أو من أعلمه فكانه قيل سميت بذلك لانه اليها ينتهى الخ (وهو معنى قول ابن أبى جمرة لان اليها تنتهى الاعمال وينزل الامر بتلقى الاحكام وعندها تقف الحفظة وغيرهم ولا يتعدونها كانت منتهى لان اليها ينتهى ما يصعد من أسفل وما ينزل من العالم العلوى من أمر العلى) سبحانه وهذا كالشرح لحديث ابن مسعود المذكور (وقال النووى لان علم الملائكة ينتهى اليها) وقال كعب لانه ينتهى اليها علم كل نبى مرسل وكل ملك مقرب (ولم يجاوزها أحد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم) فجاوزها بما لا يعلمه الا الله قال الحافظ وهذا لا يغاير حديث ابن مسعود لكنه ثابت فى الصحيح فهو أولى بالاعتماد وأورده النووى بصيغة التمريض فقال وحكى عن ابن مسعود الخ فاشعر بضعفه عنده ولا سيما ولم يصرح بانه رفعه وهو صحيح مرفوع انتهى وأطنب القرطبى فعد تسعة أقوال لم سميت بذلك فذكر ما فى مسلم وقال أو لان علم الانبياء ينتهى اليها ويعزب عما وراءها قاله ابن عباس والاعمال تنتهى اليها وتقبض منها أو لانتهاء الملائكة والانبياء اليها ووقوفهم عندها أو لان أرواح الشهداء تنتهى اليها قاله الربيع بن أنس أو تأوى اليها أرواح المؤمنين قاله قتادة أو لانه ينتهى اليها كل من كان على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهاجه قاله على بن أبى طالب والربيع بن أنس أيضا أو لان علم الخلائق ينتهى اليها أو لان من رفع اليها فقد انتهى به الى الكرامة انتهى والظاهر أن هذه الاقوال كلها يمكن دخولها فى لفظ من أوتى جوامع الكلم اذ ما يعرج من الارض شامل للاعمال وأرواح الشهداء والمؤمنين ومن كان على سنته ومن رفع اليها فهذه الخمسة ظاهر شمول ما يعرج من الارض لها وباقيها يشمله بضرب من المجاز (ولا يعارض قوله فى حديث ابن مسعود هذا انها فى السادسة ما دل عليه بقية الاخبار)

لم تخف ماحييت فى الجوف داء

ويكره شرب الماء عقيب الرياضة والتعب وعقيب الجماع وعقيب الطعام وقبله وعقيب أكل الفاكهة وان كان الشرب عقيب بعضها أسهل من بعض وعقب الحمام وعند الانتباه من النوم فهذا كله مناف لحفظ الصحة ولا اعتبار بالعوائد فانها طبائع ثوان

(فصل وأما هديه فى فى الشراب) فمن أكمل هدى يحفظ به الصحة فانه كان يشرب العسل الممزوج بالماء البارد وفى هذا من حفظ الصحة ما لا يهتدى الى معرفته الا أفاضل الاطباء فان شربه ولعقه على الريق يذيب البلغم ويغسل خمل المعدة ويجلو لزوجتها ويدفع عنها الفضلات ويسخنها باعتدال ويفتح سددها ويفعل مثل ذلك بالكبد والكلى والمثانة وهو أنفع للمعدة من كل حلو دخلها وانما يضر بالعرض لصاحب الصفراء لحدته وحدة الصفراء فربما هيجها ودفع مضرته لهم بالخل فيعود حينئذ لهم نافعا جدا وشربه أنفع من كثير من الاشربة المتخذة من السكر أو أكثرها ولا سيما لمن لم

كحديث

كحديث أنس وهو قول الاكثر (انه ٢ وصل اليها في السماء السابعة) كما زعمه في المفهم فقال وهذا تعارض لاشك فيه ويترجح حديث أنس بانه مرفوع وحديث ابن مسعود موقوف (لانه يحمل على ان أصلها في السماء السادسة واغصانها وفروعها في السابعة وليس في السادسة منها الا أصل ساقها قاله في فتح الباري) ودعوى القرطبي ان حديث ابن مسعود موقوف لا تصح لانه صرح برفعه (وجاء في حديث أبي ذر عند البخاري في) أول (الصلاة فغشيها) علاها ولابسها (ألوان) أنواع واطلاقها عليها حقيقي كما في القاموس (لا أدري ماهي) قال الكرماني هو كقوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى في أن الابهام للتفخيم والتهويل وان كان معلوما انتهى وفيه انه لا ابهام هنا وانما هو اخبار بنفي درايته ولذا قال شيخنا الحافظ البابلي الاولى حمل النفي على حقيقته لانه صلى الله عليه وسلم من شدة الخشية لم يقدر على النظر الى جميع ألوانها وقد قال تعالى ما زاغ البصر وما طغى (وفي) بقية (حديث ابن مسعود المذكور عند مسلم قال الله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش) بالفتح جمع فراشة الطير الذى يلقي نفسه في ضوء السراج (من ذهب) ففسر المبهم في ما يغشى بذلك (وفي رواية يزيد بن أبي مالك عن أنس) تفسير المبهم بقوله (جراد من ذهب قال البيضاوي) في شرح المصابيح (وذكر الفراش وقع على سبيل التمثيل) أي انه يسقط عليها أشياء تشبه الفراش وخصه بالذكر لانه يتهافت في السراج فشبه ماينزل عليها به في سرعة سقوطه (لان من شان الشجر أن يسقط عليها الجراد وشبهه) كالفراش وجعلها من ذهب لصفاء لونها واضاءتها في نفسها انتهى كلام البيضاوي قال الحافظ (و) يجوز (جعلها من الذهب حقيقة) ويخلق فيه الطيران (والقدرة صالحة لذلك) فما أوهمه المصنف أن جعلها حقيقة من كلام البيضاوي وهم نشا عن سقط أو انتقال نظر حين نقل من فتح الباري ويحتمل أن يكون قوله وجعلها من الذهب من المصنف اختيار المامجوزه الحافظ مبتدأ حذف خبره أولى أي للعلم به من قوله والقدرة صالحة فيكون عطف علة على معلول (وفي حديث أبي سعيد) عند البيهقي (وابن عباس فغشيها الملائكة وفي حديث أبي سعيد) عند البيهقي (على كل ورقة منها ملك) قال بعضهم كأنهم طيور يرتقون اليها تشوقين متبركين بها زائرين كما يزور الناس الكعبة وفي حديث أبي هريرة عند البزار والبيهقي فغشيها أنوار الخلاق وغشيها من الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجر (وفي رواية ثابت عن أنس) عند مسلم (فلما غشيها من أمر الله ماغشى تغيرت) عن حالها الاول فزادت حسنا لان الذى غشيها أنوار الخلاق لان النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل فظهرت الانوار لكن كانت أقوى من الجبل وأثبت فجعل الجبل دكا ولم تتحرك الشجرة وخر موسى صعقا ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم عليهما (فما أحد من خلق الله يستطيع ان ينعتها) يصفها ببيان ماهي عليه من حسنها وقدم المصنف هذه الرواية قريبا وكأنه أعادها لقوله (وفي رواية حميد عن أنس عند ابن مردويه نحوه لكن قال تحولت ياقوتا ونحو ذلك) وفي رواية ابن عائذ تحولت ياقوتا وزبرجدا قال الشامي ولا منافاة بين هذه الروايات لان كلا منها يغشاه أو قيل أبهمه تعظيما كأنه قيل اذ يغشى السدرة ما الله أعلم به من دلائل ملكوته وعجائب قدرته (قال ابن دحية واختيرت السدرة دون غيرها لان فيها ثلاثة أوصاف) جمع وصف وهو ذكر ما في الموصوف من آثار تقوم به والمراد هنا الصفات التي هي نفس الآثار (ظل مديد وطعم لذيذ) لثمرها (ورائحة ذكية فكانت بمنزلة الايمان الذى يجمع القول والعمل والنية فالظل بمنزلة العمل) لتجاوزه (والطعم بمنزلة النية) لكمونه أي استتاره (والرائحة بمنزلة القول) لظهوره وكذا قاله الماوردي معللا لما ذكرته (وقال العارف ابن أبي

---

٢ قوله وصل اليها في الخ في نسخة من المتن وصل اليها بعد ان دخل في الخ اهـ

يعتد هذه الاشربة ولا ألقها طبعه فانه اذا شربها الايلائه ملائمة العسل ولا قربياء منه والفكر في ثلث العادة فانها تهدم أصولا وتبني اصولا وأما الشراب اذا جمع وصفي في الحلاوة والبرودة فمن أنفع شئ للبدن ومن آكد أسباب حفظ الصحة وللارواح والقوى والكبد والقلب عشق شديد له واستمداد منه واذا كان فيه الوصفات حصلت به التغذية وتنفيذ الطعام الى الاعضاء وايصاله اليها تم تنفيذ والماء البارد رطب يقمع الحرارة ويحفظ على البدن رطوباته الاصلية ويرد عليه بدل ما تحلل منها ويرقق الغذاء وينفذه في العروق واختلف الاطباء هل يغذى البدن على قولين فاثبت طائفة التغذية به بناء على مايشاهدونه من النمو والزيادة والقوة في البدن به ولا سيما عند شدة الحاجة اليه قالوا وبين الحيوان والنبات قدر مشترك من وجوه عديدة منها النمو والاعتدال وفي النبات قوة حس وحركة تناسبه ولهذا كان غذاء النبات بالماء فما ينكر أن يكون للحيوان به نوع غذاء وأن يكون جزأ من غذائه التام قالوا ونحن لا ننكر أن قوة الغذاء ومعظمه في الطعام وانما أنكرنا أن لا يكون للماء تغذية البتة قالوا وأيضا الطعام انما يغذي بما فيه من المائية

جرة وهل الشجرة مغروسة فى شئ أم لا يحتمل الوجهين معا لان القدرة صالحة لكليهما فكما جعل الله تعالى فى هذه الدار الارض مقرا للشجر كذلك يجعل الهواء لتلك مقرا) وجاء عن كعب الاحبار ما قد يعين هذا الاحتمال حيث قال هى فى أصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهى علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله (وكما رجع صلى الله عليه وسلم يمشى ٢ فى الهواء ولان بالقدرة استقرت الارض مع انها على الماء فلا مانع من ان تكون الشجرة فى الهواء) لان قدرة الله لا يعجزها شئ (ويحتمل ان تكون مغروسة بارض بان تكون) تلك الارض (من تراب الجنة والله قادر على ما يشاء) وقد استظهر ابن أبى جمرة نفسه هذا الاحتمال لقوله ونهران باطنان ولا يطلق هذا اللفظ وما أشبهه الا على ما يفهم والباطن لابد أن يكون سريانه تحت شئ وحينئذ يطلق عليه اسم الباطن انتهى لكنه مبنى على الشاهد ولا يتم قياس الغائب عليه لعدم الجامع وقد جاء عن كعب ما قد يعين الاول كما علم قال ابن المنير وجه مناسبة المعراج الثامن الى سدرة المنتهى لما اشتملت عليه السنة الثامنة من الهجرة انها اشتملت على فتح مكة ومكة هى أم القرى واليها المنتهى ومنها المبتدأ على ما ورد أن الارض كلها دحيت من مكة فلذا سميت أم القرى أو لان أهل القرى يرجعون اليها فى الدين والدنيا حجا واعتمارا وجوارا وكسبا واتجارا قال الله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس أى يقوم بابدانهم وأديانهم وقال تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل هى الاجر والتجارات فى الموسم فبين أم القرى وسدرة المنتهى من المناسبة ما لا يخفى اذ سدرة المنتهى ينتهى اليها علم الخلائق ومكة ينتهى اليها أهل الآفاق شرقا وغربا وفيها يكون الاجتماع فكان بلوغه الى سدرة المنتهى تنبيها على بلوغه الى فتح مكة أم القرى فى العام الثامن وقد غشيها الجراد أو الفراش الذى هو جند من جند الله جاء اللفظان معا فى الحديث كما غشى مكة فى الفتح جند الله وحزبه وغشيها أيضا أجناس من الخلق وألوان من الاسود والاحمر كما غشى سدرة المنتهى ألوان لا يعلمها الا الله ولما غشيت الالوان السدرة حسنت الى أن لا يحسن أحد أن ينعتها لفرط الحسن كما ان ألوان الخلق لما غشيت مكة يوم الفتح حسنت حينئذ بالايمان وباهل القرآن حتى لا يحسن أحد ان يصف حالها حينئذ من عظم الشان ثم كان ظهور الانهار الاربعة حينئذ دليلا على ان ملك الامة سيبلغها ويحققه أيضا قوله صلى الله عليه وسلم زويت لى الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها دل على انه عليه الصلاة والسلام يكشف له رأى العين علامات تدل على ما سيكون فى المستقبل ولم يكن ذلك منا ما يعبر عنه ولكنه علم يظهر ويتفرس فيه بنور النبوة ما سيقع حتى تكون الصور فى حقه عليه السلام دالة دلالة الالفاظ على المعانى كذلك هذه الاشارات الواقعة فى حديث الاسراء انتهى (وأما قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث) السابق من رواية مالك بن صعصعة (ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فشربت منه فقال جبريل هى الفطرة) علامة الاسلام (التى أنت عليها) وأمتك (فيدل) مع رعاية ما مر من أحاديث عرضها عليه ببيت المقدس (على انه عرض عليه الآنية مرتين) والافهو لا يدل بذاته الا على مرة واحدة عند السدرة (مرة ببيت المقدس) وسببه ما وقع له من العطش (ومرة عند وصوله الى سدرة المنتهى ورؤية الانهار الاربعة) السابقة فى قوله واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران وتقدم ان جمعا من الحفاظ جمعوا بينهما بالتعدد اعمالا للاحاديث لصحة جميعها وان الحافظ زاد احتمال أن ثم هنا على غير بابها من الترتيب وانما هى بمعنى الواو (وأما الاختلاف فى عدد الآنية) جمع اناء كوعاء وزنا ومعنى ففى هذا الحديث قال انها ثلاثة وفى مسلم عن أنس

٢ قوله فى الهواء ولان الخ فى بعض نسخ المتن ما نصه فى الهواء كما كان يمشى فى الارض ولان الخ اه

ولولا ان الماء حصلت به التغذية قالوا ولان الماء مادة حياة الحيوان والنبات ولا ريب ان ما كان أقرب الى مادة الشئ حصلت به التغذية فكيف اذا كانت مادته الاصلية قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى فكيف ننكر حصول التغذية بما هو مادة الحياة على الاطلاق قالوا وقد رأينا العطشان اذا حصل له الرى بالماء البارد تراجعت اليه قواه ونشاطه وحركته وصبر عن الطعام وانتفع بالقدر اليسير منه ورأينا العطشان لا ينتفع بالقدر الكثير من الطعام ولا يجد به القوة والاغتذاء ونحن لا ننكر أن الماء ينفذ الغذاء الى أجزاء البدن والى جميع الاعضاء وانه لا يتم أمر الغذاء الا به وانما ننكر على من سلب قوة التغذية عنه البتة ويكاد قوله عندنا يدخل فى انكار الامور الوجدانية وأنكرت طائفة أخرى حصول التغذية به واحتجت بامور يرجع حاصلها الى عدم الاكتفاء به وانه لا يقوم مقام الطعام وانه لا يزيد فى نمو الاعضاء ولا يخلف عليها بدل ما حللته الحرارة ونحو ذلك مما لا ينكره أصحاب التغذية فانهم يجعلون تغذيته بحسب جوهره ولطافته ورقته وتغذية كل شئ بحسبه وقد شوهد الهواء الرطب البارد اللين اللذيذ يغذى

والصحيحين

والصحيحين عن أبي هريرة اناءين اناء من خمر واناء من لبن وللبزار عن أبي هريرة والبيهقي عن أنس فعرض عليه الماء والخمر واللبن (وما فيها) كما رأيت (فيحمل على ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر) لنسيان أو نقص في السماع أو نحو ذلك (ومجموعها) أي الاواني التي اشتملت عليها الروايات المختلفة (أربعة أوان) كما علمت جمع اناء أيضا والاولى رسم أوان بلا ياء كما في أكثر النسخ وهو الاكثر ويجوز اثباتها كما في نسخة واما النطق فبلا ياء اتفاقا وهذا بخلاف ما عرف بال فالاكثر رسمه بالياء كالقاضي (فيها أربعة أشياء من الانهار الاربعة التي رآها تخرج من أصل سدرة المنتهى ووقع في حديث أبي هريرة عند الطبري) محمد بن جرير بيان ما في الانهار الاربعة ففيه لما ذكر (سدرة المنتهى يخرج من أصلها أربعة أنهار نهر من ماء غير آسن) بالمد والقصر كضارب وحذر أي متغير طعمه وريحه بخلاف ماء الدنيا فيتغير لعارض (ونهر من لبن لم يتغير طعمه) بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضرع يتغير اذا مكث (ونهر من خمر لذة) لذيذة (للشاربين) بخلاف خمر الدنيا كريهة عند الشرب (ونهر من عسل مصفى) بخلاف عسل الدنيا لخروجه من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره وهذا قد يفيد بيان المحال التي جيء بهذه الاواني منها كما قال (فلعله عرض عليه من كل نهر اناء) اكراما له (وجاء عن كعب) عند البيهقي وغيره (ان نهر العسل) في الجنة (نهر النيل ونهر اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الماء نهر سيحان) فهي الآن وان كانت كلها ماء لكن أصولها التي خرجت منها وهي الجنة مختلفة بالاربعة (ولنهر النيل فضائل ولطائف أفردها بالتاليف غير واحد من الائمة ووقع في بعض الطرق انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء في السموات) فان ثبت تكون صلاته متعددة ببيت المقدس وفي السماء على قياس عرض الاواني لكن قدم المصنف عن ابن كثير ما حاصله ان هذا لم يصح والذي تظاهرت به الروايات انه انما أمهم ببيت المقدس (وأما قوله عليه السلام) وكان الاولى تقديمه على قوله ثم أتيت الخ لانه (في الحديث) مقدم على قوله (ثم رفع) بضم الراء وكسر الفاء (الى البيت المعمور فمعناه انه أرى البيت المعمور له) وهو مكانه لانه جيء له به (ويحتمل ان يكون المراد الرفوع) صوابه الرفع كما عبر به الشامي وهو ما ذكره الجوهري وأتباعه مصدر الرفع وزعم بعضهم انه مصدر لرفع عدل اليه لئلا يتوهم انه أحد علامات الاعراب ليس بشيء اذ لا يخطر ببال عاقل ذلك مع قوله البيت المعمور ولا نعلم أحدا ذكر الرفوع مصدرا (والرؤية معا لانه قد يكون بينه وبين البيت عوالم) بكسر اللام جمع عالم بفتحها قياسا مطردا باتفاق (حتى لا يقدر على ادراكه فرفع اليه وأمد في بصره وبصيرته حتى رآه) زاد الشامي على هذا وقد يحتمل ان تلك العوالم التي كانت بينه وبينه أزيلت حتى أدركه ببصره وقد يحتمل ان العالم بقي على حاله والبيت على حاله وأمد في بصره وبصيرته حتى أدركه وعاينه والقدرة صالحة للكل انتهى ولم أعلم حقيقة المراد من هذه الاحتمالات وقد قال صلى الله عليه وسلم فدخلت البيت المعمور أخرجه البيهقي كما يأتي وليس هذا كقوله رفع لي بيت المقدس لان قوله هذا لما سألوه بمكة عنه عن أشياء لم يكن أثبتها قال فرفعه الله لي أنظر اليه وأما البيت المعمور فقد أخبر أنه رفع اليه بعد اخباره أنه رأى ابراهيم مسندا ظهره اليه فالمتبادر أنه رفع ورؤيته معا وتايد بدخوله وصلاته فيه حينئذ كما يأتي (وروى الطبري) محمد بن جرير (من حديث سعيد بن أبي عروبة) مهران اليشكري مولاهم البصري ثقة حافظ من رجال الجميع من أثبت الناس في قتادة له تصانيف (عن قتادة) ابن دعامة (قال ذكر لنا) الذاكر له ذلك الحسن البصري ففي رواية الحسن بن سفيان في مسنده عن قتادة حدثنا الحسن عن أبي هريرة (ان النبي صلى الله عليه وسلم قال البيت المعمور مسجد في السماء) السابعة كما في أكثر الروايات وجاء من وجه آخر عن أنس مرفوعا انه في السماء الرابعة وبه جزم شيخنا في القاموس وقيل

بحسبه والرائحة الطيبة تغذى نوعا من الغذاء فتغذية الماء أظهر وأظهر والمقصود انه اذا كان باردا وخالطه ما يحليه كالعسل أو الزبيب أو التمر أو السكر كان من أنفع ما يدخل في البدن وحفظ عليه صحته فلهذا كان أحب الشراب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم البارد الحلو والماء الفاتر ينفخ ويفعل ضد هذه الاشياء ولما كان الماء البائت أنفع من الذي يشرب وقت استقائه قال النبي صلى الله عليه وسلم وقد دخل الى حائط أبي الهيثم بن التيهان هل من ماء بات في شنه فأتاه به فشرب منه رواه البخاري ولفظه ان كان عندكم ماء بات في شن والا كرعنا والماء البائت بمنزلة العجين الخمير والذي شرب لوقته بمنزلة الفطير وأيضا فان الاجزاء الترابية والارضية تفارقه اذا بات وقد ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعذب له الماء ويختار البائت منه وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقى له الماء العذب من بئر السقيا والماء الذي في القرب والشنان ألذ من الذي يكون في آنية الفخار والاحجار وغيرهما ولاسيما أسقية الادم ولذا التمس النبي صلى الله عليه وسلم ماء بات في شنة دون غيرها من الاواني وفي الماء اذا

فى السماء السادسة وقيل هو تحت العرش وقيل بناه آدم لما أهبط الى الارض ثم رفع زمن الطوفان وكان هذا اشبه قول من قال انه الكعبة جاء ذلك عن الحسن ومحمد بن عباد بن جعفر والاول أكثر وأشهر أى كونه غير الكعبة كذا ذكره الحافظ فى بدء الخلق وهو ينافى قوله فى الصلاة انه فى السابعة بلا خلاف وما ورد عن على انه فى السادسة وعن غيره انه فى سماء الدنيا محمول على ما جاء عن على أيضا ان فى كل سماء بيتا يحاذى الكعبة وكل منها معمور بالملائكة وقدمت عبارته (بحذاء الكعبة لو خر عليها) وقوله (يدخله سبعون ألف ملك كل يوم للعبادة اذا خرجوا منه لم يعودوا) هذه الجملة أيضا فى مسلم من رواية ثابت عن أنس ووقعت فى بدء الخلق من البخارى مدرجة فى حديث مالك بن صعصعة كما مر وروى اسحق بن راهويه والطبرى وغيرهما ان ابن الكوا سأل عليا عن السقف المرفوع قال السماء وعن البيت المعمور قال بيت فى السماء السابعة بحيال البيت حرمته فى السماء كحرمته فى الارض يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ولابن مردويه عن ابن عباس نحوه وزاد وهو على مثل البيت الحرام لو سقط لسقط عليه ومن حديث عائشة نحوه باسناد صالح ومن حديث عبد الله بن عمر ونحوه باسناد ضعيف وهو عند الفاكهى فى كتاب مكة باسناد صحيح عنه لكن موقوفا عليه (وفى هذا دليل على عظيم قدرة الله تعالى وانه لا يعجزه ممكن لان هذا البيت المعمور يصلى فيه كل يوم هذا العدد العظيم منذ خلق الله الخلق الى الابد ثم طائفة هذا اليوم لا ترجع اليه أبدا) الى يوم القيامة كما جاء فى حديث أبى سعيد عند ابن اسحق (ومع) ذلك الامر الدال على عظم القدرة (انه قد روى) ما هو أعظم فى الدلالة منه (انه ليس فى السماء ولا فى الارض موضع شبر الا وملك واضع جبهته هنالك ساجدا) روى البيهقى عن ابن مسعود قال ما فى السموات سماء منها موضع الا وعليه جبهة ملك أو قدماه وأخرج أبو الشيخ عن عائشة رفعته ما فى السماء موضع قدم الا عليه ملك ساجد أو قائم وروى أحمد والترمذى وابن ماجه وصححه الحاكم عن أبى ذر رفعه أطت السماء وحق لها ان تئط ما منها موضع أربعة أصابع الا وعليه ملك واضع جبهته وروى ابن أبى حاتم والطبرانى والضياء عن حكيم بن حزام انى لاسمع أطيط السماء وما تلام ان تئط ما فيها موضع قدم الا عليه ملك ساجد أو قائم وروى ابن منده عن العلاء بن سعيد ممن بايع يوم الفتح مرفوعا أطت السماء وحق لها ان تئط ليس منها موضع قدم الا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد ثم قرأ وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ولم أقف على مثل ذلك فى الارض كما ذكر المصنف نعم روى ابن أبى حاتم عن كعب قال ما من موضع خرم ابرة من الارض الا وملك موكل بها يرفع علم ذلك الى الله وعلى المؤلف مغمز فى حصره ذلك فى السجود مع ان الاحاديث كما ترى ناصة على انه فيه وفى الركوع والقيام هذا وأورد النعمانى على هذا كيف مر صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وأجاب بان الملك رفع رأسه حتى مر أو حمله على يديه كما فى حديث حجاب الذهب ان الملك احتمله حتى وضعه بين يديه وهذا على القول الصحيح ان الملائكة متحيزة تملأ الحيز أما على انها أرواح غير متحيزة ولا تملأ حيزا فلا سؤال (ثم البحار ما من قطرة الا ولها ملك موكل فاذا كانت السموات والارض والبحار هكذا) مملوأة بالملائكة (فهؤلاء الملائكة الذين يدخلون أين يذهبون هذا من عظيم القدرة التى لا يشبهها شئ وفى هذا دليل على أن الملائكة أكثر المخلوقات) وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس شئ من خلق الله أكثر من الملائكة ما من شئ ينبت الا وملك موكل به رواه أبو الشيخ وقال ابن عمر ليس أكثر من الملائكة رواه البزار وقال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو (لانه اذا كان سبعون ألف ملك كل يوم يصلون فى البيت المعمور على ما تقدم ثم لا يعودون اليه) الى يوم القيامة (مع أن الملائكة فى السموات والارض والبحار) لزم أن تكون الملائكة أكثر من جميع المخلوقات غير الملائكة فان

خاصة لطيفة لما فيها من المسام المنفتحة التى يرشح منها الماء وقد الماء وضع فى الشنان وقرب الأدم فى الفخار الذى يرشح ألذ منه وأبرد فى الذى لا يرشح فصلاة الله وسلامه على أكمل الخلق وأشرفهم نفسا وأفضلهم هديا فى كل شئ لقد دل أمته على أفضل الامور وأنفعها لهم فى القلوب والابدان والدنيا والآخرة قالت عائشة كان أحب الشراب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلو البارد وهذا يحتمل أن يريد به الماء العذب كمياه العيون والآبار الحلوة فانه كان يستعذب له الماء ويحتمل أن يريد به الماء الممزوج بالعسل أو الذى نقع فيه التمر أو الزبيب وقد يقال وهو الاظهر يعمهما جميعا وقوله فى الحديث الصحيح ان كان عندك ماء بات فى شن والا كرعنا فيه دليل على جواز الكرع وهو الشرب بالفم من الحوض والمقراة ونحوها وهذه والله أعلم واقعة عين دعت الحاجة فيها الى الكرع بالفم أو قاله مبينا لجوازه فان من الناس من يكرهه والاطباء تكاد تحرمه ويقولون انه يضر بالمعدة وقد روى فى حديث لا أدرى ما حاله عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم نهانا أن نشرب على بطوننا وهو الكرع

المخلوقات بأسرها في بعض الارض وأكثر الارض خال منها فحذف جواب الشرط لدلالة السياق عليه وفي فتح الباري واستدل به على أن الملائكة أكثر المخلوقات لانه لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه في كل يوم سبعون ألفا غير الملائكة (وفي حديث أبي هريرة عند ابن مردويه وابن أبي حاتم) والعقيلي عن النبي صلى الله عليه وسلم في السماء السابعة بيت يقال له البيت المعمور بحيال الكعبة (ان) زائدة من المصنف لاسقاطه أول الحديث المذكور ولفظه و(في السماء) الرابعة كما في نفس حديث أبي هريرة هذا (نهرا) بالنصب اسم ان التي زادها والرواية بالرفع لانه ليس فيها أن (يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه) انغماسة كما هو الرواية (ثم يخرج فينتفض) انتفاضة كما في الرواية (فيخر) أي ينفصل (عنه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا هم الذين يصلون فيه أي في البيت المعمور) لفظ الرواية يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور ٢ فيصلون فيفعلون (ثم لا يعودون اليه) لفظ الرواية ثم يخرجون فلا يعودون اليه أبدا ويولى عليهم أحدهم ثم يؤمر أن يقف بهم في السماء موقفا يسبحون الله فيه الى أن تقوم الساعة (واسناده ضعيف) كما جزم به الحافظ في بدء الخلق وزاد وروى ابن المنذر ونحوه بدون ذكر النهر من طريق صحيحة عن أبي هريرة لكن موقوفا انتهى لكن حكمه الرفع اذ لا يقال رأيا فاعتضد ضعف طريق رفعه ولذا قال الشامي الصواب انه ليس بموضوع أي كما زعمه بعضهم وروى أبو الشيخ عن الليث حدثني خالد بن سعد قال بلغني ان اسرافيل مؤذن اهل السماء فيؤذن لاثنتي عشرة ساعة من النهار ولاثنتي عشرة ساعة من الليل لكل ساعة تاذين يسمع تاذينه من في السموات السبع ومن في الارضين السبع الا الجن والانس ثم يتقدم عظيم الملائكة فيصلي بهم قال وبلغنا ان ميكائيل يؤم الملائكة بالبيت المعمور وروى الديلمي عن علي مرفوعا مؤذن أهل السموات جبريل وامامهم ميكائيل يؤمهم عند البيت المعمور فيجتمع ملائكة السموات فيطوفون بالبيت المعمور وتصلي وتستغفر فيجعل الله ثوابهم واستغفارهم وتسبيحهم لامة محمد صلى الله عليه وسلم فان صحا فلعل اسرافيل وجبريل يتناوبان الاذان أو يؤذنان في آن واحد معا أو واحد بعد واحد (وذكر الامام فخر الدين الرازي عند تفسير قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون انه روي عن عطاء ومقاتل والضحاك عن ابن عباس أنه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبع) لعل المراد سيحان وجيحان والنيل والفرات وسيحون وجيحون والملح (يدخل فيه جبريل عليه السلام كل سحر ويغتسل فيه فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل نقطة تقع من ريشه كذا كذا ألف ملك يدخل منهم البيت المعمور سبعون ألفا ثم لا يعودون اليه الى أن تقوم الساعة) وفي هذا مخالفة لما قبله من وجهين أحدهما في النهر الذي يدخله والثاني صريح الاول أنه لا يخرج منه غير سبعين ألفا والثاني يخرج منه أكثر يدخل منهم البيت سبعون ألفا والجمع بينهما بجواز أن المراد بالسبعين التكثير وأن جبريل ينغمس في البحرين ومن يدخل البيت المعمور بعضهم يخلق من القطرات الخارجة عنه عند انتفاضه من بحر الحيوان وبعضهم مما ينفصل عنه حين خروجه من بحر النور (وقد روي ان ثم ملائكة يسبحون الله فيخلق الله بكل تسبيحة ملكا) وأخرج أبو الشيخ عن أبي سعيد مرفوعا ان في الجنة لنهرا ما يدخله جبريل من دخلة فيخرج فينتفض الا خلق الله من كل قطرة تقطر منه ملكا وأخرج عن الاوزاعي قال موسى يا رب من معك في السماء قال ملائكتي قال وكم هم يا رب قال اثنا عشر سبطا قال وكم عدد كل سبط قال عدد التراب وأخرج عن كعب لا تقطر عين ملك منهم الا كانت ملكا

٢ قوله فيصلون هكذا في النسخ بالنون ولعل الاوفق حذفها الا أن يثبت أنها الرواية تامل اه مصححه

وينهانا أن نغترف باليد الواحدة وقال لا يلغ أحدكم كما يلغ الكلب ولا يشرب بالليل من اناء حتى يختبره الا أن يكون مخمرا أو حديث البخاري أصح من هذا وان صح فلا تعارض بينهما اذ لعل الشرب باليد لم يكن يمكن حينئذ فقال والا كرعنا والشرب بالفم انما يضر اذا انكب الشارب على وجهه وبطنه كالذي يشرب من النهر والغدير فأما اذا شرب منتصبا بفمه من حوض مرتفع ونحوه فلا فرق بين أن يشرب بيده أو بفمه

(فصل) وكان من هديه الشرب قاعدا هذا كان هديه المعتاد وصح عنه أنه نهى عن الشرب قائما وصح عنه أنه أمر الذي شرب قائما أن يستقيء وصح عنه أنه شرب قائما قالت طائفة هذا ناسخ للنهي وقالت طائفة بل مبين ان النهي ليس للتحريم بل للارشاد وترك الاولى وقالت طائفة لا تعارض بينهما أصلا فانه انما شرب قائما للحاجة فانه جاء الى زمزم وهم يسقون منها فاستقى فناولوه الدلو فشرب وهو قائم وهذا كان موضع حاجة وللشرب قائما آفات عديدة منها أنه لا يحصل به الري التام ولا يستقر في المعدة حتى يقسمه الكبد على الاعضاء وينزل بسرعة وحدة الى المعدة فيخشى منه أن يبرد حرارتها ويشوشها

يطير من خشية الله (هذا ما عدا الملائكة التي للتعبد) أي الذين خلقوا وأمروا به دائما على صفة خاصة كركوع أوسجود أو قيام قال صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته ما منهم من ملك يقطر من عينه دمعة الا وقعت ملكا قائما يسبح وملائكة سجود امنذ خلق الله السموات والارض لم يرفعوا رؤسهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة وملائكة ركوعا لم يرفعوا رؤسهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة وصفوفا لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون عنها الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم عز وجل فنظروا اليه وقالوا سبحانك ماعبدناك كما ينبغي لك رواه البيهقي وأبو الشيخ وغيرهما (وما عدا الملائكة الموكلين بالنبات) قال صلى الله عليه وسلم ليس من خلق الله أكثر من الملائكة ما من شئ ينبت الا وملك موكل بها رواه أبو الشيخ (والارزاق) قال صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة موكلين بارزاق بني آدم قال لهم ايما عبد وجدتموه جعل الهم هما واحدا فضمنوا رزقه السموات والارض وبني آدم وايما عبد وجدتموه طلب فان تحرى الصدق فطيبوا له ويسروا وان تعدى ذلك فخلوا بينه وبين ما يريد ثم لا ينال فوق الدرجة التي كتبتها له رواه الحكيم الترمذي في النوادر (والحفظة) قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فقيل على كل انسان ملكان عن اليمين وعن الشمال وقيل اربعة اثنان ليلا واثنان نهارا وقيل بزيادة ملك خامس لا يفارقه لا ليلا ولا نهارا وعن عثمان يارسول الله كم ملك مع العبد قال ملك عن يمينك على حسناتك وهو أمين على الذي على الشمال فاذا عملت حسنة كتبت عشرا واذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين أكتب قال لا لعله يستغفر فاذا قال ثلاثا قال نعم أراحنا الله منه فبئس القرين ما أقل مراقبته لله تعالى وأقل استحياءه من الله يقول الله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وملكان من بين يديك ومن خلفك يقول الله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وملك قابض على ناصيتك فاذا تواضعت لله رفعك واذا تجبرت على الله قصمك وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك الا الصلاة على النبي وملك قائم على فيك لا يدع الحية أن تدخل في فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة يبدلون لان ملائكة الليل سوى ملائكة النهار فهؤلاء عشرون ملكا على كل آدمي أخرجه ابن جرير وروى أبو داود في كتاب القدر والطبراني وغيرهما مرفوعا وكل بالمؤمن ستون وثلثمائة ملك يدفعون ما لم يقدر عليه الحديث (والملك الموكل بتصوير ابن آدم) قال صلى الله عليه وسلم اذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها وشحمها وعظامها الحديث رواه مسلم وفي رواية الطبراني ان النطفة اذا استقرت في الرحم فمضى لها أربعون يوما جاء ملك الرحم فصور عظمه ولحمه ودمه وشعره وبشره وهذا غير الملك الموكل بالجنين روى أبو الشيخ بسند جيد عن ابن عباس قال وكل بالجنين ملك اذا نامت الام واضطجعت رفع رأسه لولا ذلك لغرق في الدم (والملائكة الذين ينزلون في السحاب) يصرفونه حيث أمروا به كما في حديث مرفوع عند أبي الشيخ (والملائكة الذين يكتبون الناس يوم الجمعة) روى أحمد والشيخان عن أبي هريرة مرفوعا اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الناس على قدر منازلهم الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاؤا يستمعون الذكر وروى أحمد وصححه الضياء عن أبي سعيد مرفوعا اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد يكتبون من جاء من الناس على قدر منازلهم فرجل قدم جزورا ورجل قدم بقرة ورجل قدم شاة ورجل قدم دجاجة ورجل قدم عصفورا ورجل قدم بيضة فاذا أذن المؤذن وجلس الامام على المنبر طووا الصحف ودخلوا المسجد يستمعون الذكر (وخزنة الجنة) رضوان واتباعه وكذا خزنة النار مالك وجنده قال تعالى عليها تسعة عشر قال القرطبي المراد بهم رؤساؤهم وأما

ولا يعترض بالعوائد على هذا فان العوائد طبائع ثوان ولها أحكام أخرى وهي بمنزلة الخارج عن القياس عند الفقهاء *(فصل وفي صحيح مسلم من حديث أنس ابن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم)* يتنفس في الشراب ثلاثا ويقول انه أروى وأمرأ وأبرأ الشراب في لسان الشارع وحملة الشرع هو الماء ومعنى تنفسه في الشراب ابانته القدح عن فيه وتنفسه خارجه ثم يعود الى الشراب كما جاء مصرحا به في الحديث الآخر اذا شرب أحدكم فلا يتنفس في القدح ولكن ليبين الاناء عن فيه وفي هذا الشرب حكم جمة وفوائد مهمة وقد نبه صلى الله عليه وسلم على مجامعها بقوله انه أروى وأمرأ وأبرأ فأروى أشد ريا وأبلغه وأنفعه وأبرأ أفعل من البرء وهو الشفاء أي يبرئ من شدة العطش ودائه لتردده على المعدة الملتهبة دفعات فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت الاولى عن تسكينه والثالثة ما عجزت الثانية عنه وأيضا فانه أسلم لحرارة المعدة وأبقى

عليها من أن يهجم عليها البارد وهلة واحدة ونهلة واحدة وأيضا فانه لا يروي لمصادفته لحرارة

جملة الخزنة فلا يعلم عدتهم الا الله (والملائكة الذين يتعاقبون) روى الامام مالك والبخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون قال ابن حبان في هذا دليل واضح أن ملائكة الليل انما تنزل والناس في صلاة العصر وحينئذ تصعد ملائكة النهار ضد قول من زعم ان ملائكة الليل تنزل بعد غروب الشمس (والذين يؤمنون على قراءة المصلي) روى مالك والبخاري وغيرهما عن أبي هريرة مرفوعا اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وظاهر المصنف هنا أنهم غير الحفظة وبه قيل لرواية وافق قوله قول أهل السماء وقيل هم الحفظة وانهم اذا قالوها قالها من فوقهم حتى تنتهي الى أهل السماء قال بعض ولو قيل بانهم الحفظة وسائر الملائكة لكان أقرب وقال الحافظ الذي يظهر أن المراد بهم من يشهد تلك الصلاة من الملائكة ممن في الارض أو السماء الحديث وقالت الملائكة في السماء ولمسلم فوافق ذلك قول أهل السماء (والذين يقولون ربنا ولك الحمد) لحديث مالك والشيخين مرفوعا اذا قال الامام سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا لك الحمد فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه (والذين يدعون لمنتظر الصلاة) قال صلى الله عليه وسلم الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث اللهم اغفر له اللهم ارحمه رواه مالك وأحمد والبخاري ومسلم زاد في رواية لابي داود والنسائي وأحمد ٢ أو يقوم بعد قوله يحدث (والذين يلعنون من هجرت فراش زوجها) قال صلى الله عليه وسلم اذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح رواه أحمد والشيخان قيل هم الحفظة أو من وكل منهم بذلك أو أعم ويرشد اليه رواية في مسلم لعنتها الملائكة الذين في السماء ان كان المراد به سكانها وبسط القول في هذه الاحاديث يخرج عن المقصود فان المراد منها الاستدلال على كثرة الملائكة مع أن المصنف لم يستوف جزئيات ذلك كالملائكة الموكلين بالشمس والريح والمطر وقبر المصطفى والمبلغين له السلام من أمته وغير ذلك مما يحتمل مؤلفا حافلا ثم زاد في الاستدلال فقال (وروى أن في السماء الدنيا وهي من ماء ودخان) قال تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان روى عثمان بن سعيد الدارمي عن ابن عمر قال لما أراد الله أن يخلق الاشياء اذ كان عرشه على الماء ولا أرض ولا سماء خلق الريح فسلطها على الماء حتى اضطربت أمواجه وأثار أركانه فاخرج من الماء دخانا وطينا وزبدا فامر الدخان فعلا وسما ونما فخلق منه السماء وخلق من الطين الارضين ومن الزبد الجبال وأخرج ابن المنذر وابن جرير عن ابن مسعود وناس من الصحابة لما أراد الله أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء وهذا نحو قول من قال من موج مكفوف اذ الموج لغة اضطراب الماء فهو مكفوف عن الاضطراب (ملائكة خلقوا من ماء وريح عليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر) روى أحمد والترمذي وصححه والنسائي عن ابن عباس أقبلت يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أخبرنا ما هذا الرعد قال ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب بيديه مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمر الله قالوا فما هذا الصوت الذي نسمع قال صوته قالوا صدقت (يقولون) أي الرعد وجنده (سبحان ذي الملك والملكوت) وفي العظمة عن ابن عباس الرعد ملك يسوق السحاب بالتسبيح كما يسوق الحادي الابل بحدائه ولا ينافي الحديث قبله في سوقه بمخراق من نار لانه يفعله بيده ويسبح بلسانه حال سوقه وعن جابر سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن منشا

٢ قوله أو يقوم ينظر في عطفه على يحدث المجزوم بلم وتحرر الرواية اه مصححه

العطش لحظة ثم يقلع عنها ولما تكسر سورتها وحدتها وان انكسرت لم تبطل بالكلية بخلاف كسرها على التمهل والتدريج وأيضا فانه أسلم عاقبة وآمن غائلة من تناول جميع ما يروي دفعة واحدة فانه يخاف منه أن يطفئ الحرارة الغريزية بشدة برده وكثرة كميته أو يضعفها فيؤدي ذلك الى فساد مزاج المعدة والكبد والى أمراض رديئة خصوصا في سكان البلاد الحارة كالحجاز واليمن ونحوهما أو في الازمنة الحارة كشدة الصيف فان الشرب وهلة واحدة مخوف عليهم جدا فان الحار الغريزي ضعيف في بواطن أهلها وفي تلك الازمنة الحارة وقوله وأمرأ هو أفعل من مرى الطعام والشراب في بدنه اذا دخله وخالطه بسهولة ولذة ونفع ومنه فكلوه هنيأ مريأ هنيأ في عاقبته مريأ في مذاقه وقيل معناه انه أسرع انحدارا عن المري لسهولته وخفته عليه بخلاف الكثير فانه لا يسهل على المري انحداره ومن آفات الشرب نهلة واحدة انه يخاف منه الشرق بان ينسد مجرى الشراب لكثرة الوارد عليه فيغص به فاذا تنفس رويدا ثم شرب أمن من ذلك ومن فوائده ان الشارب اذا شرب أول مرة تصاعد البخار الدخاني الحار الذي كان على القلب

السحاب فقال ان ملكا موكل بالسحاب يلم القاصية ويلحم الدانية في يده مخراق فاذا رفع برقت واذا زجر رعدت واذا ضرب صعقت وعن عمرو بن بجاد مرفوعا اسم السحاب عند الله العنان والرعد ملك والبرق طرف ملك يقال له روقيل رواهما ابن مردويه (وان فى السماء الثانية) وهى من مرمرة بيضاء كما عند ابن راهويه وأبى الشيخ والطبرانى وغيرهم عن الربيع بن أنس (ملائكة على ألوان) أى أنواع (وصفات شتى) متفرقين فيما أمروا به من العبادة المختلفة (رافعين أصواتهم يقولون سبحان ذى العزة والجبروت و) روى عماه وافتراء (ان فيها ملكا نصف جسده) الاسفل (من نار ونصف جسده) الاعلى (من ثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو يقول يامن ألف بين الثلج والنار) فلم يمنع أحدهما على الآخر مع انهما ضدان (ألف بين قلوب عبادك المؤمنين) وفيه جواز اطلاق الاسماء المبهمة على الله فى مقام الدعاء وبه صرح بعضهم ولا يرد أن كثيرا من الناس قلوبهم مختلفة ودعاء الملائكة مستجاب لان مختلفى القلوب بينهم ائتلاف فى الجملة يمنعهم من استئصال بعضهم بعضا واختلافهم انما هو لاغراض دنيوية لا من جميع الوجوه أو أن الاضافة فى عبادك للتخصيص بالكاملين الذين استحقوا أن يضافوا اليه لكن هذا الحديث أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعا لما أسرى بى مررت بخلق عجيب رأيت ملكا نصف جسده مما يلى رأسه ثلج والآخر نار يكون ما بينهما رتق فلا النار يذيب الثلج ولا الثلج يذيب النار وهو قائم ينادى بصوت رفيع جدا يقول سبحان ربى الذى كف برد هذا الثلج فلا يطفئ حر هذه النار سبحان ربى الذى كف حر هذه النار فلا تذيب الثلج اللهم يامن ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين فقلت من هذا يا أخى يا جبريل قال هذا ملك من الملائكة وكله الله باكناف السموات وأطراف الارضين وهو من أنصح الملائكة لاهل الارض من المؤمنين يدعو لهم بما تسمع فهذا قوله منذ خلق وذكر حديثا طويلا فيه عجائب وهو موضوع كما قاله ابن حبان وابن الجوزى والحافظ فى اللسان والذهبى فى الميزان (وان فى الثالثة وهى من حديد ملائكة ذوى) صفة لملائكة [٢] وفى نسخة ذوا على لغة من يلزم المثنى الالف وفى أخرى ذو وخبر محذوف أى هم ذوو (أجنحة ووجوه شتى) جمع شتيت كمريض ومرضى أى متفرقات فى الصور (وأصوات شتى رافعين) حال وفى نسخة رافعو بتقدير هم (أصواتهم بالتسبيح يقولون سبحانك اللهم أنت الحى الذى لا تموت) بفوقية مراعاة للفظ أنت وتحتية مراعاة للفظ الحى (وهم صفوف قيام كأنهم بنيان مرصوص) ملزوق بعضه الى بعض ثابت (لا يعرف أحدهم لون صاحبه من خشية الله) لانه ما نظر واحد منهم الى وجه صاحبه ولا ينظر اليه الى يوم القيامة كما فى العظمة عن خالد بن معدان (وان فى الرابعة وهى من نحاس ملائكة يضعفون) يزيدون (على ملائكة الثالثة) مثلهم فأكثر عند الخليل وقال الازهرى الضعف فى كلام العرب المثل ثم استعمل فيه وما زاد بلا حد (وكذلك كل سماء أكثر عددا من السماء التى تليها وان ملائكة السماء الرابعة قيام وركوع وسجود على ألوان) أنواع (شتى) متفرقات (من العبادات يبعث الله الملك منهم الى أمر من أموره فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف) المبعوث (صاحبه الذى الى جنبه) ليرجع اليه فصاحبه بالنصب ويجوز رفعه على معنى ان الباقى بمحله لا يعرف هل انصرف الذاهب أم لا (من شدة العبادة) واشتغاله بها (وهم يقولون سبوح قدوس) بضم أولهما أى منزه عن كل سوء وعيب والاظهر أنه خبر لقوله (ربنا الرحمن الذى لا اله الا هو وان فى السماء الخامسة وهى من فضة ملائكة يزيدون على ملائكة الاربع سموات

---

[٢] قوله وفى نسخة ذوا على لغة الخ لكن يلزم عليها عدم التطابق بين النعت والمنعوت واختلافهما بالتثنية والجمع كما لا يخفى اهـ مصححه

والكبد لورود الماء البارد عليه فاخرجته الطبيعة عنها فاذا شرب مرة واحدة اتفق نزول الماء البارد وصعود البخار فيتدافعان ويتعالجان ومن ذلك يحدث الشرق والغصة ولا يهنأ الشارب بالماء ولا يمريه ولا يتم ريه وقد روى عبد الله بن المبارك والبيهقى وغيرهما عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا شرب أحدكم فليمص الماء مصا ولا يعب عبا فانه من الكباد والكباد بضم الكاف وتخفيف الباء هو وجع الكبد وقد علم بالتجربة أن ورود الماء جملة واحدة على الكبد يؤلمها ويضعف حرارتها وسبب ذلك المضادة التى بين حرارتها وبين ما ورد عليها من كيفية المبرود وكميته ولو ورد بالتدريج شيأ فشيأ لم يضاد حرارتها ولم يضعفها وهذا مثاله صب الماء البارد على القدر وهى تفور لا يضرها صبه قليلا قليلا وقد روى الترمذى فى جامعه عنه صلى الله عليه وسلم لا تشربوا نفسا واحدا كشرب البعير لكن اشربوا مثنى وثلاث وسموا اذا أنتم شربتم واحمدوا اذا أنتم فرغتم وللتسمية فى أول الطعام والشراب وحمد الله فى آخره تأثير عجيب فى نفعه واستمرائه ودفع مضرته قال الامام أحمد اذا جمع الطعام أربعا فقد كمل

وهم سجود وركوع لم يرفعوا أبصارهم الى يوم القيامة فاذا كان) وجد (يوم القيامة قالوا ربنا لم نعبدك حق عبادتك) اعتذارا واعترافا بالتقصير واظهارا لكمال عظمته وانعامه بحيث لا يقدر أحد على القيام بشكر ما يقابل نعمة من نعمه (وان في السماء السادسة وهي من ذهب جند الله) وجند اسم جنس مفرد ولذا وصف بقوله (الاعظم الكروبيون) قال الحليمي ملائكة العذاب من الكرب وفي القاموس الكروبيون سادة الملائكة منهم جبريل وميكائيل واسرافيل وهم المقربون من كرب اذا قرب وفي تذكرة الشيخ تاج الدين بن مكتوم سئل ابن دحية هل يعرف لغة أم لا فقال الكروبيون بتخفيف الراء سادة الملائكة وهم المقربون من كرب اذا قرب أنشد أبو علي البغدادي

* كروبية منهم ركوع وسجد *

وقال الطيبي عن بعضهم في هذه اللفظة ثلاث مبالغات احداها ان كرب أبلغ من قرب حين وضع موضع كاد تقول كربت الشمس أن تغرب كما تقول كادت والثانية انه على وزن فعول وهو للمبالغة والثالثة زيادة الياء فيه وهي تزاد للمبالغة كما جرى ذكره في الحبائك (لا يحصي عددهم الا الله تعالى عليهم ملك) أمير (له سبعون ألف ملك جنده وكل ملك منهم جنوده سبعون ألف ملك وهم الذين يبعثهم الله في أموره الى أهل الدنيا رافعوا أصواتهم بالتسبيح والتهليل) وأخرج ابن المنذر عن ابن عمرو يرفعه الملائكة عشرة أجزاء تسعة أجزاء الكروبيون الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون وجزء قد وكلوا بخزانة كل شئ وما في السماء موضع اهاب الا فيه ملك ساجد أو ملك راكع (وان في السماء السابعة وهي من ياقوتة حمراء من الملائكة ما) أي ملائكة (يزيدون على ما تقدم وعليهم ملك مقدم على سبعمائة ألف ملك منهم جنود مثل قطر السماء وتراب الثرى) في الكثرة (والرمل والسهل وعدد الحصى والورق وعدد كل شئ خلق في السموات والارض يخلق الله تعالى في كل يوم ما يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو) وروى أبو الشيخ مرفوعا خلق الله السماء الدنيا فجعلها سقفا محفوظا وجعل فيها حرسا شديدا وشهبا سكانها من الملائكة أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع في صورة البقر مثل عدد النجوم لا يفترون من التسبيح والتهليل والتكبير وأما السماء الثانية فسكانها عدد القطر في صورة العقبان لا يسامون ولا يفترون ولا ينامون منها ينشأ السحاب حتى يخرج من تحت الخافقين فينشر في جو السماء معه ملائكة يصرفونه حيث أمر وابه أصواتهم التسبيح (٢) ونشحهم تخويف وأما السماء الثالثة فسكانها عدد الرمل في صورة الناس يحشرون الليل النهار وأما السماء الرابعة فسكانها عدد أوراق الشجر صافون مناكبهم في صورة الحور العين من بين راكع وساجد تبرق وجوههم سبحات ما بين السموات السبع والارض السابعة وأما السماء الخامسة فان عددها يضعف على عدد سائر الخلق على صورة البشر منهم الكرام البررة والعلماء السفرة وأما السماء السادسة فحزب الله الغالب وجنده الاعظم في صورة الخيل المسومة وأما السماء السابعة ففيها الملائكة المقربون الذين يرفعون الاعمال في بطون الصحف ويحفظون الخيرات فوقها حملة العرش الكروبيون (و) روى (ان حملة العرش لكل منهم وجوه شتى وأعين شتى في جسده لا يشبه بعضها بعضا) روى عبد الرزاق وابن المنذر وغيرهما عن وهب قال حملة العرش أربعة لكل ملك منهم أربعة وجوه وأربعة أجنحة جناحان على وجهه من ان ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يطير بهما واقدامهم في الثرى لكل واحد منهم وجه ثور وأسد وانسان ونسر ليس لهم كلام الا أن يقولوا سبوح قدوس الله القوي ملأت عظمته السموات والارض وزاد أبو الشيخ عن وهب ملك منهم في صورة انسان يشفع لبني آدم في

(٢) قوله ونشحهم هكذا هو في النسخ ولا يلائم معناه المقام اذ هو كما في القاموس الشرب دون الري أو ان يشرب حتى يمتلئ فلعله محرف عن التشيج أو النشيج وليحرر اه مصححه

اذا ذكر اسم الله في أوله وحمد الله في آخره وكثرت عليه الايدي وكان من حل

(فصل) وقد روى مسلم في صحيحه من حديث جابر ابن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول غطوا الاناء وأوكوا السقاء فان في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء وسقاء ليس عليه وكاء الا وقع فيه من ذلك الداء وهذا مما لا تناله علوم الاطباء ومعارفهم وقد عرفه من عرفه من عقلاء الناس بالتجربة قال الليث بن سعد أحد رواة الحديث الاعاجم عندنا يتقون تلك الليلة في السنة في كانون الاول منها وصح عنه انه أمر بتخمير الاناء ولو أن يعرض عليه عودا وفي عرض العود عليه من الحكمة انه لا ينسى تخميره بل يعتاده حتى بالعود وفيه أنه ربما أراد الدبيب أن يسقط فيه فيمر على العود فيكون العود جسرا له يمنعه من السقوط فيه وصح عنه انه أمر عند ايكاء الاناء بذكر اسم الله فان ذكر اسم الله عند تخمير الاناء يطرد عنه الشيطان وايكاؤه يطرد عنه الهوام ولذلك أمر بذكر اسم الله في هذين الموضعين لهذين المعنيين وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب من في السقاء وفي هذا آداب عديدة منها أن تردد

أرزاقهم وملك في صورة نسر يشفع للطير في أرزاقها وملك في صورة ثور يشفع للبهائم في أرزاقها وملك في صورة أسد يشفع للسباع في أرزاقها فلما حملوا العرش وقعوا على ركبهم من عظمة الله فلقنوا لاحول ولاقوة الا بالله فاستووا على أرجلهم قياما وروى عثمان بن سعيد الدارمى عن ابن عباس قال لحملة العرش قرون لها كعوب ككعوب القنا ما بين أخمص أحدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام وبين ارندته الى ترقوته مسيرة خمسمائة عام ومن ترقوته الى موضع القرط خمسمائة عام (رافعة أصواتهم بالتهليل ينظرون الى العرش لا يفترون لو أرسل الملك منهم جناحه لطبق) بشد الباء غطى (الدنيا بريشة من جناحه لا يعلم عددهم الا الله و) روى ابن المنذر وأبو الشيخ والبيهقى فى الشعب عن هرون بن رياب قال (حملة العرش ثمانية) رؤسهم عند العرش فى السماء السابعة وأقدامهم فى الارض السفلى ولهم قرون كقرون الوعلة ما بين أصل قرن أحدهم الى منتهاه مسيرة خمسمائة عام (يتجاوبون بصوت حسن رخيم) أى سهل (تقول أربعة منهم سبحانك اللهم وبحمدك على حلمك بعد علمك وتقول أربعة سبحانك اللهم وبحمدك على عفوك بعد قدرتك) وهذا ظاهر أن الثمانية فى الدنيا ولكن روى ابن جرير عن ابن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحمله اليوم أربعة ويوم القيامة ثمانية وروى أبو الشيخ عن وهب حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدوا بأربعة أخر وروى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس فى قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله والاصل الحقيقة لا انه تمثيل لعظمته تعالى بالمشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم للقضاء العام بين الناس * وحكى الضحاك فى الآية قولين ثمانية أملاك وثمانية صفوف (وقد روى الطبرانى) والبيهقى وأبو الشيخ (من حديث ابن عباس قال) بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل يناجيه اذ انشق أفق السماء فاقبل جبريل يتضاءل ويدخل بعضه فى بعض ويدنو من الارض فاذا ملك قد مثل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويخيرك بين أن تكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا قال صلى الله عليه وسلم فاشار جبريل الى بيده أن تواضع فعرفت انه لى ناصح فقلت نبيا عبدا فعرج ذلك الملك الى السماء فقلت يا جبريل قد كنت أردت ان أسالك عن هذا فرأيت من حالك ما شغلنى عن المسئلة فمن هذا يا جبريل قال هذا اسرافيل خلقه الله يوم خلقه صافا قدميه لا يرفع طرفه بينه وبين الرب سبعون نورا ما منها نور يدنو منه الا احترق بين يديه اللوح المحفوظ فاذا أذن الله فى شئ من السماء أو فى الارض ارتفع ذلك اللوح فضرب جبهته فينظر فيه فان كان من عملى أمرنى به وان كان من عمل ميكائيل أمره به وان كان من عمل ملك الموت أمره به (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل على أى شئ أنت) أى أنت موكل على أى شئ تقوم به وتدبره (قال على الرياح والجنود قال وعلى أى شئ ميكائيل قال على النبات والقطر) أى انهما رأسا الموكلين بذلك (قال وعلى أى شئ ملك الموت قال على قبض الارواح) وفى لفظ الانفس أى وله أعوان قال تعالى توفته رسلنا (الحديث) بقيته وما ظننت انه هبط الا بقيام الساعة وما ذاك الذى رأيت منى الا خوفا من قيام الساعة (وفى اسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى) الانصارى الكوفى القاضى أبو عبد الرحمن مات سنة ثمان وأربعين ومائة (وقد ضعف لسوء حفظه) جدا (ولم يترك) بل روى له أصحاب السنن الاربعة لانه صدوق (وروى الترمذى) باسناد صحيح والحاكم وصححه (من حديث أبى سعيد مرفوعا) ان لى وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الارض (فوزيراى من أهل السماء جبريل وميكائيل) ووزيراى من أهل الارض أبو بكر وعمر هذا تمامه المشار له بقوله (الحديث) وأخرجه الحكيم الترمذى من حديث ابن عباس وأخرج البزار والطبرانى وأبو نعيم عن ابن

عباس

انفاس الشارب فيه يكسبه زهومة ورائحة كريهة يعاف لاجلها ومنها انه ربما غلب الداخل الى جوفه من الماء فتضرر به ومنها انه ربما كان فيه حيوان لا يشعر به فيؤذيه ومنها ان الماء ربما كان فيه قذاة أو غيرها لا يراها عند الشرب فتلج جوفه ومنها ان الشرب كذلك يملأ البطن من الهواء فيضيق عن أخذ حظه من الماء أو يزاحمه أو يؤذيه ولغير ذلك من الحكم فان قيل فما تصنعون بما فى جامع الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا باداوة يوم أحد فقال اخنث فم الاداوة ثم شرب منها من فيها قلنا نكتفى فيه بقول الترمذى هذا حديث ليس اسناده بصحيح وعبد الله بن عمر العمرى يضعف من قبل حفظه ولا أدرى سمع من عيسى أولا انتهى يريد عيسى بن عبد الله الذى رواه عنه عن رجل من الانصار

(فصل) وفى سنن أبى داود من حديث أبى سعيد الخدرى قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرب من ثلمة القدح وأن ينفخ فى الشراب وهذا من الآداب التى يتم بها مصلحة الشارب فان الشرب من ثلمة القدح فيه عدة مفاسد * أحدها أن ما يكون على وجه الماء من قذى أو غيره

عباس رفعه ان الله أيدني باربعة وزراء اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من أهل الارض أبي بكر وعمر قال القرطبي وفيه دلالة ان المصطفى أفضل من جبريل وميكائيل والوزير من الوزر وهو الثقل فانه يتحمل عن الملك أوزاره قال تعالى حكاية عن موسى واجعل لي وزيرا من أهلي وروى أبو يعلى وابن عساكر عن أبي ذر مرفوعا ان لكل نبي وزيرين ووزيراي وصاحباي أبو بكر وعمر (وروى النقاش ان اسرافيل أول من سجد) لآدم (من الملائكة) حين أمروا بالسجود (وانه جوزي على ذلك بولاية اللوح المحفوظ) بان جعل مطلعا عليه ومتصرفا فيه بنقل ما فيه للملائكة كما في حديث ابن عباس المتقدم قريبا وروى أبو الشيخ عن عائشة رفعته لاسرافيل أربعة أجنحة منها جناحان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب واللوح بين عينيه فاذا أراد الله أن يكتب الوحي ينقر بين جبهته وروى أبو الشيخ وابن أبي حاتم عن ضمرة قال بلغني ان أول من سجد لآدم اسرافيل فاثابه الله أن كتب القرآن في جبهته ولا منافاة فكلاهما جوزي به (وفي كتاب العظمة لابي الشيخ) عبد الله (ابن حبان) بفتح المهملة والتحتية الثقيلة الحافظ المشهور (من ذلك) أي ما يدل على كثرة الملائكة جدا (العجب العجاب وعندي منه الجزء الثاني وقد وقعت في غير رواية البخاري هنا) أي في ذكر السموات (زيادات) لا بقيد كونها بعد السدرة ورؤية الانهار لان رؤيته لابراهيم كان قبل ذلك (فمنها) أي الزيادات (ما وقع في رواية أبي سعيد الخدري عند البيهقي في دلائله) والبزار وأبي يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم (ثم صعدت الى السماء السابعة فاذا ابراهيم الخليل مسند) برفعه خبر مبتدأ محذوف (ظهره الى البيت المعمور كأحسن الرجال ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علي) أي رد السلام على سماه سلاما لاشتماله عليه معنى (واذا أنا بامتي) متقسمة أو أراها (شطرين) فنصب بمقدر والا فالظاهر شطران خبر أمتي زيدت فيه الباء والشطر لغة النصف وقد يستعمل في البعض قل أو كثر وهو المراد هنا فلا يلزم استواء القسمين عددا (شطر عليهم ثياب بيض كأنهم القراطيس) جمع قرطاس ما يكتب فيه وكسر القاف أشهر من ضمها والقرطس وزان جعفر لغة فيه (وشطر عليهم ثياب رمدة) أي لونها كلون الرماد لكن الذي في دلائل البيهقي رمد بلا هاء قال في النهاية أي غبر فيها كدورة كلون الرماد واحدها أرمد (قال فدخلت البيت المعمور) نقل في النور أن السلطان برقوق سال عن البيت المعمور من أي شئ هو فاجابه بعض الحاضرين بانه من عقيق ونقله عن بعض التفاسير (ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون) أي منعوا من الدخول (الذين عليهم الثياب الرمدة) وهم على خير كما في رواية البيهقي وغيره أي لانهم لما تاب الله عليهم صارت سيئاتهم مغفورة فبقيت أعمالهم التي يجاوزون عليها كلها حسنة (فصليت أنا ومن في البيت المعمور) اماما على الظاهر (وفي رواية الطبراني فاذا هو برجل أشمط) أي أبيض شعر الرأس يخالط سواده كما في القاموس وفي المغرب الشمط في الرجل شيب اللحية وأطلق ابن الاثير فقال الشمط الشيب (جالس عند باب الجنة على كرسي وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس وقوم في ألوانهم شئ) أي غبرة كما في الحديث قبله (فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص) بفتحات (من ألوانهم شئ) أي صفا بعض الصفاء (ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شئ ثم دخلوا نهرا آخر) ثالثا (فاغتسلوا فيه) هكذا في النسخ الصحيحة ذكر ثلاثة أنهار موافقة للرواية خلاف ما في نسخ سقيمة من الاقتصار على نهرين فانه خطأ نشأ عن سقط ويدل عليه بقية الحديث (فخرجوا وقد خلصت ألوانهم وصارت مثل ألوان البيض الوجوه) فجاؤا فجلسوا الى أصحابهم كما في الرواية (فقال) يا جبريل (من هذا) لفظ الرواية من هؤلاء البيض الوجوه (ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شئ وما هذه الانهار التي

يجتمع الى الثلمة بخلاف الجانب الصحيح * الثاني انه ربما شوش على الشارب ولم يتمكن من حسن الشرب من الثلمة * الثالث ان الوسخ والزهومة تجتمع في الثلمة ولا يصل اليها الغسل كما يصل الى الجانب الصحيح * الرابع ان الثلمة محل العيب في القدح وهي أردأ مكان فيه فينبغي تجنبه وقصد الصحيح فان الرديء من كل شئ لا خير فيه ورأى بعض السلف رجلا يشتري حاجة رديئة فقال لا تفعل أما علمت أن الله نزع البركة من كل رديء * الخامس انه ربما كان في الثلمة شق أو تحديد يجرح فم الشارب ولغير هذه من المفاسد وأما النفخ في الشراب فانه يكسبه من فم النافخ رائحة كريهة يعاف لاجلها ولاسيما ان كان متغير الفم وبالجملة فانفاس النافخ تخالطه ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين النهي عن التنفس في الاناء والنفخ فيه في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه عن ابن عباس رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتنفس في الاناء أو ينفخ فيه فان قيل فما تصنعون بما في الصحيحين من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتنفس في الاناء ثلاثا قيل نقابله بالقبول والتسليم ولا معارضة

دخلوا فيها فجاؤا وقد صفت ألوانهم قال) جبريل (هذا أبوك ابراهيم أول من شمط) بكسر الميم كفرح (على الارض وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا) يخلطوا (ايمانهم بظلم) أي شرك كما فسره به النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين (أولئك لهم الامن) من العذاب (وهم مهتدون) وتوقف بعض في تفسيره هنا بالشرك لمقابلته بقوله (وأما هؤلاء النفر الذين في ألوانهم شيء فقوم خلطوا عملا صالحا) وهو جهادهم أو اعترافهم بذنوبهم أو غير ذلك (وآخر سيأ) ولا وقفة أصلا فالمراد بالعمل السيء ما يشمل ادعاء الشريك لله تعالى وقوله (فتابوا) منه بمعنى أسلموا (فتاب الله عليهم) وأما البيض الوجوه فما خلطوه بشرك أصلا فلذا ميزوا عليهم وان سبقت لمن لم يشرك معصية وتاب منها (وأما الانهار فاولها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث وسقاهم ربهم شرابا طهورا) مبالغة في طهارته ونظافته وظاهره أن الجملة اسم للنهر وليس مرادا وانما المراد أن الثالث هو النهر الذي يقال للذين يشربون منه سقاهم الخ وعليه فاسم النهر الشراب الطهور (وفي رواية البخاري في الصلاة) عن ابن عباس وأبي حبة الانصاري قال النبي صلى الله عليه وسلم (ثم عرج) بفتحات أو ضم الاول وكسر الثاني (بي حتى ظهرت) أي ارتفعت (لمستوى) بفتح الواو منون أي موضع مشرف يستوى عليه أي يصعد قال المصنف وفي بعض الاصول بمستوى بموحدة بدل اللام (أسمع فيه صريف الاقلام) قال القرطبي لعلها المعبر عنها بالقلم المقسم به في ن والقلم ويكون القلم للجنس (الحديث والمستوى المصعد) وقيل المكان المستوى وعليهما فالباء ظرفية وعلى رواية اللام قال التوربشتي اللام للعلة أي ارتفعت لاستعلاء مستوى أو لرؤيته أو لمطالعته ويحتمل أن يكون متعلقا بالمصدر أي ظهرت ظهور المستوى ويحتمل أن تكون بمعنى الى قال تعالى أوحى لها أي اليها والمعنى اني أقمت مقاما بلغت فيه من رفعة المحل الى حيث اطلعت على الكوائن وظهر لي ما يراد من أمر الله وتدبيره في خلقه وهذا هو المنتهى الذي لا تقدم فيه لاحد عليه وقال الطيبي لام الغرض والى الغائية يلتقيان في المعنى قال في الكشاف في قوله تعالى كل يجري لاجل مسمى ويجري الى أجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين قلت كلا ولن يسلك هذه الطريقة الا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين أعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لان قوله الى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهي اليه وقوله لاجل مسمى يريد يجري لادراك أجل مسمى انتهى فالحاصل أن اللام والى وان كان معناهما أعني الادراك والانتهاء ملائما لصحة الغرض فليستا متعاقبتين فمعنى ظهرت الى مستوى بلغته وانتهيت اليه أي لو روي بذلك ومعنى لمستوى الذي الرواية به أدركت مستوى وجعل البيضاوي اللام صالحة للعلة والغاية (وصريف الاقلام هو بفتح الصاد المهملة) وكسر الراء وآخره فاء وفي النور عن بعضهم صرير بالراء آخره عوض الفاء وهو الاشهر في اللغة (تصويتها حالة الكتابة والمراد) كما قال عياض والنووي (ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى) ووحيه وما ينسخون من اللوح المحفوظ أو ما شاء الله من ذلك أن يكتب ويرفع لما أراده من أمره وتدبيره وفيه حجة لاهل السنة في الايمان بصحة كتابة الوحي والمقادير في كتب الله من اللوح المحفوظ بالاقلام التي هو يعلم كيفيتها على ما جاءت به الآيات والاحاديث الصحيحة وأن ما جاء من ذلك على ظاهره لكن كيفية ذلك وصورته وجنسه لا يعلمه الا الله ومن أطلعه على شيء منه من ملائكته ورسله وما يتأول هذا ويحيله الا ضعيف النظر والايمان اذ جاءت به الشريعة ودليل العقول لا يحيله والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد حكمة من الله واظهار الما يشاء من غيبه لمن يشاء من ملائكته وسائر خلقه والا فهو غني عن الكتب والاستذكار انتهى (والقدر المكتوب قديم وانما الكتابة حادثة) فلا يتوهم أن القدر الذي تكتبه الملائكة حادث انما الحادث الكتابة ونفس القدر

بينه وبين الاول فان معناه انه كان يتنفس في شربه ثلاثا وذكر الاناء لانه آلة الشرب وهذا كما جاء في الحديث الصحيح ان ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات في الثدي أي في مدة الرضاع

(فصل وكان صلى الله عليه وسلم) يشرب اللبن خالصا تارة ومشوبا بالماء أخرى وفي شرب اللبن الحلو في تلك البلاد الحارة خالصا ومشوبا نفع عظيم في حفظ الصحة وترطيب البدن وري الكبد ولا سيما اللبن الذي ترعى دوابه الشيح والقيصوم والخزامى وما أشبهها فان لبنها غذاء مع الاغذية وشراب مع الاشربة ودواء مع الادوية وفي جامع الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه واذا سقي لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فانه ليس شيء يجزئ من الطعام والشراب الا اللبن قال الترمذي هذا حديث حسن

(فصل وثبت في صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم) كان ينبذ له أول الليل ويشربه اذا أصبح يومه ذلك والليلة التي تجيء والغد والليلة الاخرى والغد الى العصر فان بقي منه شيء سقاه الخادم أو أمر به فصب وهذا النبيذ وما يطرح فيه تمر يحليه

لايكتب فيؤول بما تعلق به القدر وامضاه والمتعلق حادث كالكتابة (وظاهر الاخبار أن اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم) كناية عن فراغ لكتابة وانتهائها عبر به على عادة الكتاب انهم اذا فرغوا من الكتابة نظفوا أقلامهم فيجف باز اله أثر المداد الذي كان عليها (بما فيه قبل خلق السموات والارض وانما هذه الكتابة في مصحف الملائكة كالفروع المنتسخة من الاصل وفيها الاثبات والمحو على ما ذكر ٢ في الاثر) وهذا ذكره ابن دحية وتبعه ابن المنير وزاد أو أصل اللوح المحفوظ الذي انتسخ منه اللوح هو علم الغيب القديم في أزل القدم وهو الذي لامحو فيه ولا اثبات حيث لالوح ولا قلم والحكمة البالغة والله أعلم في سماعه لصريف الاقلام حصول الطمانينة بجفاف القلم بما في القدر حتى يتمكن التفويض للقدر لا للسبب وحتى يتعاطى السبب تعبدا لا تعوذا وبذلك يتم التوكل ويسكن الاضطراب عند اختلاف الاسباب قالا والمناسبة بين هذا المعراج التاسع والعام التاسع من الهجرة أنه كان فيه غزوة تبوك خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة الى الشام في العدد الذي لم يتم قبله مثله كان العدد ثلاثين ألفا والشقة بعيدة ولهذا لم يور فيها بل أعلم الناس بوجههم ليكونوا تاهبهم بحسب ذلك ومع هذا الاجتهاد في الاستعداد لم يلق صلى الله عليه وسلم فيها حربا ولا افتتح فيها بلدا الان أجل فتح الشام لم يكن بعد فانفسخ العزم بالقدر وبجفاف القلم ورجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلى المسلمين الوقار والسكينة من غير اضطراب عند انصراف العزيمة (وذكر ابن القيم أن الاقلام اثناعشر قلما وأنها متفاوتة في الرتب) جمع رتبة المنزلة (فاعلاها وأجلها قدرا قلم القدر السابق الذي كتب الله به مقادير الخلق) بمعنى القدر وهو عبارة عن تعلق علم الله وارادته أزلا بالكائنات قبل وجودها وهو سبحانه أزلي لايتقيد وجوده بزمان قاله الابي وقال النووي قال العلماء المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل التقدير لانه أزلي لا أول له (كما في سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت) الخزرجي النقيب البدري من فضلاء الصحابة (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما) أي شئ (خلق الله القلم) بالرفع على الخبرية والاولية نسبية أي بعد العرش لان الجمهور وهو الاصح أن العرش خلق قبل القلم قال ابن السيد الوجه رفع القلم وما أعلم أحدا رواه بالنصب وهو خطا لان القلم أول مخلوق كما دلت عليه الاحاديث فان صحت روايه بنصبه خرجت على لغة نصب ان الجزأين لا على أنه مفعول خلق لفساده في المعنى والاعراب انتهى وظاهر الاحاديث أنه قلم حقيقي من نور كحديث ابن عباس قلمه نور وعن مجاهد أنه من البراع القصب فان صح فلعل تجسمه من نور على صفة البراع وطوله خمسمائة عام رواه أبو الشيخ عن ابن عمر وعنده أيضا بسند واه وعرضه كذلك وسنه مشقوقة ينبع منه المداد وفي خبر مرسل انه من لؤلؤ وطوله سبعمائة عام ولا معارضة فالاقل لاينفي الاكثر وكونه لؤلؤا على التشبيه لشدة بياضه اذ هو نور وأغرب شيخ الاسلام السراج البلقيني فيما حكاه عنه ولده في ترجمته فقال القلم ملك من الملائكة لانه من نور والملائكة مخلوقة من النور وانه عاقل قائم بكل مايؤمر به (قال له اكتب قال) القلم بان خلق الله له قوة النطق والادراك كما خلقها في الاعضاء والجذع وغير ذلك وتجويز غير هذا خروج عن الظاهر بلا دليل (يارب وما اكتب قال اكتب مقادير كل شئ) زاد في رواية الترمذي ما كان وما هو كائن الى الابد أي ما كان قبل القلم لان أوليته نسبية فلا يرد تصريحه أنه أول مخلوق وما هو كائن الى انقضاء هذا العالم كما قال الى الابد وكقوله (حتى تقوم الساعة) وكذا ما بعدها مما يمكن تناهيه لانعيم الآخرة وعذابها اذلا نهاية له فلا يدخل تحت الكتابة وبقية حديث أبي داود من مات على غير هذا فليس مني (فهذا القلم أول الاقلام وأجلها وقد قال غير واحد من أهل التفسير انه القلم الذي أقسم الله به) في قوله ن والقلم انه الذي خط في اللوح

(٢) قوله في الاثر في بعض نسخ المتن في الآية

وهو يدخل في الغذاء والشراب وله نفع عظيم في زيادة القوة وحفظ الصحة ولم يكن يشربه بعد ثلاث خوفا من تغيره الى الاسكار

(فصل) في تدبيره لامر الملبس وكان من أتم الهدى وأنفعه للبدن وأخفه عليه وأيسره لبسا وخلعا وكان أكثر لبسه للاردية والازر وهي أخف على البدن من غيرها وكان يلبس القميص بل كان أحب الثياب اليه وكان هديه في لبسه لما يلبسه أنفع شئ للبدن فانه لم يكن يطيل أكمامه ويوسعها بل كانت كم قميصه الى الرسغ لايجاوز اليد فيشق على لابسها ويمنعه خفة الحركة والبطش ولا يقصر عن هذه فتبرز للحر والبرد وكان ذيل قميصه وازاره الى أنصاف الساقين لم يتجاوز الكعبين فيؤذي الماشي ويؤذه ويجعله كالمقيد ولم يقصر عن عضلة ساقيه فتنكشف ويتاذى بالحر والبرد ولم تكن عمامته بالكبيرة التي يؤذي الرأس حملها ويضعفه ويجعله عرضة للضعف والآفات كما تشاهد من حال أصحابها ولا بالصغيرة التي تقصر عن وقاية الرأس من الحر والبرد بل وسطا بين ذلك وكان يدخلها تحت حنكه وفي ذلك فوائد عديدة فانها تقي العنق الحر والبرد وهو أثبت

وبابعد مابينهما في النفع والزينة وأنت بياض بالاصل اذا تأملت هذه اللبسة وجدتها من أنفع اللبسات وأبلغها في حفظ صحة البدن وقوته وأبعدها من التكلف والمشقة على البدن وكان يلبس الخفاف في السفر دائما أو أغلب أحواله لحاجة الرجلين الى ما يقيهما من الحر والبرد وفي الحضر أحيانا وكان أحب ألوان الثياب اليه البياض والحبرة وهي البرود المحبرة ولم يكن من هديه لبس الاحمر ولا الاسود ولا المصبغ ولا المصقول وأما الحلة الحمراء التي لبسها فهي الرداء اليماني الذي فيه سواد وحمرة وبياض كالحلة الخضراء فقد لبس هذه وهذه وقد تقدم تقرير ذلك وتغليظ من زعم أنه لبس الاحمر القاني بما فيه كفاية ﴿فصل في تدبيره لامر المسكن لما علم صلى الله عليه وسلم﴾ انه على ظهر سير وان الدنيا مرحلة مسافر ينزل فيها مدة عمره ثم ينتقل عنها الى الآخرة لم يكن من هديه وهدي أصحابه

وقيل المراد الذي يكتب به وأقسم به لكثرة فوائده الخاصلة بالكتابة به (والقلم الثاني قلم الوحي) (والثالث قلم التوقيع) أي الذي يكتب به ما يقع صادرا عن الله ورسوله والتوقيع ما يوقع في الكتاب كما في القاموس (والرابع قلم طب الابدان الذي يحفظ به صحتها والخامس قلم التوقيع عن الملوك ونوابهم وبه تساس الممالك) أي يدبر أمرها (والسادس قلم الحساب وهو الذي تضبط به الاموال مستخرجها ومصرفها ومقاديرها وهو قلم الارزاق والسابع قلم الحكم الذي تثبت به الحقوق وتنفذ به القضايا والثامن قلم الشهادة الذي تحفظ به الحقوق والتاسع قلم التعبير) تفسير الرؤيا (وهو كاتب وحي المنام وتفسيره وتعبيره والعاشر قلم تواريخ العالم ووقائعه والحادي عشر قلم اللغة وتفاصيلها والثاني عشر القلم الجامع وهو قلم الرد على المبطلين ودفع شبه المحرفين فهذه الاقلام بها انتظام مصالح العالم قال ويكفي في جلالة القلم أنه لم تكتب كتب الله الا به وانه تعالى أقسم به في كتابه) في أحد القولين كما مر (انتهى ملخصا من كتاب أقسام القرآن) لابن القيم رحمه الله (وقد وقع) في رواية أبي ذر (عند مسلم) في الايمان (وغيره) كالبخاري في أحاديث الانبياء والترمذي في التفسير والنسائي في الصلاة (من الزيادة أيضا ثم أدخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك) حقيقة وقول المصنف أي تراب الجنة كرائحة المسك تعقب بانه لاضرورة الى هذا التأويل وقد تظاهرت الاحاديث على ان ترابها المسك وفي حديث أبي بن كعب عند ابن مردويه فقال ياجبريل انهم يسألوني عن الجنة فقال أخبرهم أنها قيعان وأن ترابها المسك (الحديث والجنابذ بالجيم ثم النون المفتوحتين ثم ألف ثم موحدة ثم ذال معجمة هي القباب) وفي الفتح شبه القباب واحدها جنبذة بالضم وهو ما ارتفع من البناء فارسي معرب وأصله بلسانهم كنبذة بوزنه لكن الموحدة مفتوحة والكاف ليست خالصة وفي القاموس الجنبذة وقد تفتح الباء أو هو لحن كالقبة (ويؤيده) أي تفسيره بالقباب (ما في التفسير) لسورة الكوثر (من البخاري من طريق قتادة عن أنس لما عرج به) أي بالنبي كما هو لفظه (صلى الله عليه وسلم قال أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر) وللترمذي حافتاه فيهما مثل القباب (وأما ما في كتاب الصلاة من البخاري) من حديث أبي ذر ثم أدخلت الجنة (فاذا فيها حبائل اللؤلؤ بالمهملة والموحدة وآخره لام) كذا لجميع الرواة في الصلاة (فقال القاضي عياض وغيره) من الائمة (هو تصحيف) وانما هو جنابذ كما عند البخاري في أحاديث الانبياء وكذا عند غيره من الائمة ووقع في نسخة معتمدة من رواية أبي ذر في الصلاة جنابذ على الصواب قال الحافظ وأظنه من اصلاح بعض الرواة وقال صاحب المطالع الحبائل القلائد والعقود أو هي من حبال الرمل أي فيها لؤلؤ مثل حبال الرمل جمع حبل وهي ما استطال من الرمل وتعقب بان الحبائل لا تكون الا جمع حبالة أو حبيلة بوزن عظيمة وقال بعض من اعتنى بالبخاري الحبائل جمع حبالة وحبالة جمع حبل على غير قياس والمراد أن فيها عقودا أو قلائد من اللؤلؤ انتهى (وفي حديث الامام أحمد) والترمذي (من رواية حذيفة فتحت لهما) أي للمصطفى وجبريل (أبواب السماء قال) صلى الله عليه وسلم (فرأيت الجنة والنار) وعد الآخرة أجمع (وفي حديث أبي سعيد) عند البيهقي وابن جرير وابن أبي حاتم (انه) صلى الله عليه وسلم (عرضت عليه الجنة وان رمانها كأنه الدلاء) بكسر الدال والمد جمع دلو وفي رواية للبيهقي وغيره أيضا واذا فيها رمان كأنه جلود الابل المقتبة أي التي بأقتابها (واذا طيرها كأنه البخت) نوع من الابل الواحد بختي مثل روم ورومي ثم يجمع على البخاتي ويخفف ويثقل كما في المصباح وفي رواية للبيهقي وغيره واذا بطيرها كالبخاتي فقال أبو بكر يارسول الله ان تلك الطير لناعمة قال آكلتها أنعم منها واني لارجو أن

ومن تبعه الاعتناء بالمساكن وتشييدها وتعليتها وزخرفتها وتوسيعها بل كانت من أحسن منازل المسافر تقي

تأكل منها وفى عرضها عليه كرامة عظيمة لانه كان يعرضها على أمته ليشتروها كما قال تعالى ان الله اشترى الآية فاراد الله أن يعاين نبيه مايعرضه على أمته ليكون وصفه لها عن مشاهدة ولانه كان يدعو اليها فاراها له ليعلم انها تسع الخلائق كلهم ولا تمتلى حتى ينشئ الله لها خلقا كما فى الحديث وليعلم خسة الدنيا فى جنبها فيكون فيها أزهد وعلى الشدائد اصبر ولئلا يكون لاحد كرامة الاوله مثلها وكان لادريس كرامة دخول الجنة قبل القيامة فاراد تعالى أن يكون ذلك اصفيه ونجيه أيضا قاله ابن دحية ملخصا (وانه عرضت عليه النار فاذا هى لو طرح فيها الحجارة والحديد لا كلتها) وفى مسلم عن ابن عباس وابن مردويه عن عمر ورأى مالكا خازن النار فاذا رجل عابس يعرف الغضب فى وجهه وفى حديث أبى هريرة فى مسلم والنسائى فبدأ النبى صلى الله عليه وسلم بالسلام (ووقع عند مسلم) وكذا عند البخارى فى الرقائق والترمذى (من طريق همام) بن منبه بن كامل الصنعانى أخو وهب ثقة روى له الجميع مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة على الصحيح (عن قتادة) بن دعامة بن قتادة السدوسى البصرى ثقة روى له الجميع يقال ولد أكمه مات سنة بضع عشرة ومائة (عن أنس رفعه بينما) بالميم (أنا أسير فى الجنة اذا أنا بنهر) وذلك ليلة المعراج كما فى رواية البخارى السابقة قريبا عن أنس لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم قال أتيت على نهر (حافتاه) بحاء مهملة وخفة الفاء جانباه لانه ليس مستطيلا يجرى فيه الماء حتى يكون له حافتان بل سائل على وجه أرض الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم لعلكم تظنون ان أنهار الجنة أخدود فى الارض لا والله انها السائحة على وجه الارض رواه أبو نعيم وصححه الضياء عن أنس والاخدود شق مستطيل فى الارض (قباب الدر المجوف واذا طينه) بالنون وشك هدبة بن خالد شيخ البخارى هل هو بالنون أو الموحدة ولم يشك فيه أبو الوليد شيخ البخارى أيضا فقاله بالنون وهو المعتمد وفى رواية البيهقى بلفظ ترابه (مسك أذفر) بذال معجمة يقال ذفر الشئ بالكسر ذفرا بفتحتين اشتدت رائحته طيبة كانت أو كريهة وأما بدال مهملة فالريح المنتنة (فقال جبريل هذا الكوثر) ولمسلم أيضا من طريق شيبان عن قتادة عن أنس لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه (وفى رواية أبى عبيدة ابن عبد الله بن مسعود) مشهور بكنيته والاشهر انه لا اسم له غيرها ويقال اسمه عامر كوفى ثقة والراجح أنه لا يصح سماعه من أبيه مات بعد سنة ثمانين (عن أبيه ان ابراهيم عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم يابنى) تصغير تحبب (انك لاق ربك الليلة) يحتمل أن يكون ابراهيم علم بذلك فى حياته ويحتمل غير ذلك (وان أمتك آخر الامم وأضعفها فان استطعت أن تكون حاجتك) كلها بدليل قوله فيما أسقطه من الحديث أو جلها بضم الجيم أى معظمها وكان معناه ان لم تستطع كلها (فى أمتك فافعل) ودعا له بالبركة وهذا الحديث ساقه الشامى فى القصة قبل دخوله بيت المقدس فقال ومر على شجرة تحتها شيخ وعياله فرأى مصابيح وضوأ فقال من هذا ياجبريل قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه فرد عليه السلام وقال من هذا معك ياجبريل قال هذا ابنك أحمد فقال مرحبا بالنبى العربى الامى الذى بلغ رسالة ربه ونصح لامته يابنى انك لاق فذكره ثم قال ثم سار حتى أتى المدينة يعنى مدينة القدس فما أوهمه سياق المصنف ان ابراهيم وصاه بذلك لما اجتمع به فى السماء السابعة ليس بمراد (وفى حديث أبى سعيد الخدرى عند البيهقى ثم صعد) جبريل (بى الى السماء السابعة قال ثم رفعت لى) بضم الراء مبنى للمفعول ونائبه (سدرة المنتهى فاذا كل ورقة منها تغطى) لفظ رواية البيهقى وغيره عن أبى سعيد تكاد تغطى (هذه الامة) نعم فى حديث أبى هريرة عند البزار والبيهقى وغيرهما الورقة منها مغطية للامة كلها وفى لفظ للطبرى الورقة منها تظل الخلق (واذا فيها) أى فى أصلها كما مر (عين تجرى يقال لها السلسبيل فينشق

الحر والبرد وتستر عن العيون وتمنع من ولوج الدواب ولا يخاف سقوطها لفرط ثقلها ولا تعشش فيها الهوام لسعتها ولا تعتورها الاهوية والرياح المؤذية لارتفاعها وليست تحت الارض فتؤذى ساكنها ولا فى غاية الارتفاع عليها بل وسط وتلك أعدل المساكن وأنفعها وأقلها حرا وبردا ولا تضيق عن ساكنها فينحصر ولا تفضل عنه بغير منفعة ولا فائدة فتأوى الهوام فى خلوها ولم يكن فيها كنف تؤذى ساكنها برائحتها بل رائحتها من أطيب الروائح لانه كان يحب الطيب ولا يزال عنده وريحه هو من أطيب الرائحة وعرقه من أطيب الطيب ولم يكن فى الدار كنيف تظهر رائحته ولا ريب ان هذه من أعدل المساكن وأنفعها وأوفقها للبدن وحفظ صحته

(فصل) فى تدبيره لامر النوم واليقظة من تدبر نومه ويقظته صلى الله عليه وسلم وجده أعدل نوم وأنفعه للبدن والاعضاء والقوى فانه كان ينام أول الليل ويستيقظ فى أول النصف الثانى فيقوم ويستاك ويتوضأ ويصلى ما كتب الله له فيأخذ البدن والاعضاء والقوى حظها من النوم والراحة وحظها من الرياضة مع وفور الاجر وهذا غاية صلاح القلب والبدن

منها نهران أحدهما الكوثر والآخر يقال له الرحمة فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر) المراد تبشيره بهذا الامر أي لو كان له ذنوب لغفرت ولم يكن له ذنب البتة قاله التقي السبكي تبعا لابن عطية ونحوه قول عياض عن بعضهم المغفرة هنا تبرئه من العيوب وقال بعض المحققين المغفرة هنا كناية عن العصمة أي فعصمت فيما تقدم من عمري وفيما تأخر منه عن الذنوب وهذا قول في غاية الحسن وسيكون لنا ان شاء الله تعالى عودة الى بسط ذلك حيث تكلم فيه المصنف (ثم دفعت الى الجنة فاستقبلتني جارية فقلت لها لمن أنت قالت لزيد بن حارثة) الكلبي مولى المصطفى وحبه أبي اسامة البدري المختص بان الله تعالى لم يصرح في كتابه باسم أحد سواه من الصحابة (وفيه) أي حديث أبي سعيد (واذا رمانها كالدلاء عظما) بكسر ففتح وفي رواية كأنه جلود الابل المقتبة ولا منافاة لجواز انه رأى فيها ما يشبه بكل منهما فاخبر بكل مرة و يحتمل غير ذلك (ثم عرضت علي) بالبناء للمجهول ونائبه (النار فاذا فيها غضب الله وزجره) عذابه (ونقمه) جمع نقمة (لو طرحت فيها الحجارة والحديد لاكلتها) من شدة توقدها وفي حديث شداد بن أوس فاذا جهنم تكشف عن مثل الزرابي ووجدتها مثل الحمة السخنة وزاد فيه انه رآها في وادي بيت المقدس كذا في فتح الباري فيحتمل انها لما عرضت عليه وهو في السماء رآها في وادي بيت المقدس أي من جهته بان قوى الله بصره حتى رآها وأورد الشامي الحديث في القصة قبل دخوله بيت المقدس ثم قال الزرابي بزاي فراء كما رأيته بخط جماعة منهم الذهبي في تاريخ الاسلام والهيثمي في مجمع الزوائد والشيخ يعني السيوطي في تفسيره جمع زربية بتثليث الزاي وهي الطنفسة بكسر الطاء والفاء و بضمهما و بكسر الطاء وضم الفاء وهي البساط الذي له خمل رقيق ورأيت بخط بعض المحدثين الروابي براء فواو اوو أظنه تصحيفا وان كان قريب المعنى والحمة بحاء مضمومة الفحمة والسخنة بضم السين المهملة وسكون الخاء المعجمة أي حارة (ثم اغلقت دوني) حتى لا يحصل له نوع ضجر قال ابن دحية انما عرضت عليه النار ليكون آمنا يوم القيامة فيفزع الى الشفاعة ولو لم يؤمن لكان مشغولا بنفسه كغيره من الانبياء لانهم لم يروا قبل يوم القيامة شيئا منها فاذا رأوها جزعوا وكفت ألسنتهم عن الخطبة والشفاعة من هولها وقال كل منهم نفسي نفسي وهو صلى الله عليه وسلم قد رآها قبل فلا يفزع منها مثل ما فزعوا فيقدر على الخطبة وهو المقام المحمود ولان الكفار لما كذبوا واستهزؤا به وآذوه أشد الاذى أراه الله تعالى النار المعدة لهم تطييبا لقلبه وتسكينا لفؤاده وللاشارة الى أن من طيب قلبه باهانة أعدائه والانتقام منهم فاولى أن يطيبه في أوليائه بالشفاعة والاكرام وليعلم منة الله عليه حين أنقذهم منها ببركته وشفاعته انتهى ملخصا (وفي الطبراني) وابن حبان من طريق أبي واقد الحراني قال الذهبي وهو الآفة والخطيب من طريق محمد بن خليل قال ابن الجوزي كذاب يضع وابن غيلان من طريق أحمد بن الاحجم المروزي وهو كذاب وابن الجوزي من طريق غلام خليل وهو كذاب كلهم (من حديث عائشة) مرفوعا (لما كان) تامة أي حصل (ليلة أسري بي الى السماء ادخلت الجنة فوقفت) بالفاء أي اطلعت (على شجرة من أشجار الجنة) لم أر في الجنة شجرة أحسن منها ولا أبيض ورقا ولا أطيب منها ثمرة فتناولت أخذت (ثمرة من ثمرها فاكلتها فصارت نطفة في صلبي فلما اهبطت الى الارض واقعت خديجة فحملت بفاطمة) فاذا اشتقت الى رائحة الجنة شممت ريح فاطمة هذا بقيته (وهو حديث ضعيف) أراد به شر الضعيف وهو الموضوع فقد صرح ابن الجوزي والذهبي والحافظ بانه موضوع وان تعددت طرقه عن عائشة ورواه ابن الجوزي عن ابن عباس من طريق الابرادي وهو وضاع كذاب والحاكم في المستدرك عن سعد بن أبي وقاص قال الذهبي في تلخيصه هذا كذب جلي وهو من وضع مسلم بن عيسى الصفار لان فاطمة ولدت قبل النبوة فضلا عن الاسراء

والدنيا والآخرة ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج اليه ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج اليه منه وكان يفعله على أكمل الوجوه فينام اذا دعته الحاجة الى النوم على شقه الايمن ذاكرا الله حتى تغلبه عيناه غير ممتلئ البدن من الطعام والشراب ولا مباشر بجنبه الارض ولا متخذ للفرش المرتفعة بل له ضجاع من ادم حشوه ليف وكان يضطجع على الوسادة و يضع يده تحت خده أحيانا * ونحن نذكر فصلا في النوم النافع منه والضار فنقول النوم حالة للبدن يتبعها غور الحرارة الغريزية والقوى الى باطن البدن لطلب الراحة وهو نوعان طبيعي وغير طبيعي فالطبيعي امساك القوى النفسانية عن أفعالها وهي قوى الحس والحركة الارادية ومتى أمسكت هذه القوى عن تحريك البدن استرخى واجتمعت الرطوبات والابخرة التي كانت تتحلل وتتفرق بالحركات واليقظة في الدماغ الذي هو مبدأ هذه القوى فيتخدر و يسترخي وذلك النوم الطبيعي وأما النوم غير الطبيعي فيكون لعرض أو مرض وذلك بان يستولي الرطوبات على الدماغ استيلاء لا تقدر اليقظة على تفريقها أو تصعد أبخرة رطبة كثيرة كما

ويدل

و يدل على ان المصنف أراد بالضعف الوضع قوله (وفيه التصريح بان الاسراء كان قبل ولادة فاطمة وهى ولدت قبل النبوة بسبع سنين وشئ) الذى جزم به ابن الجوزى والمدائنى وأسنده الواقدى عن الباقرى عن العباس انها ولدت قبل النبوة بخمس سنين (ولا ريب ان الاسراء كان بعد النبوة) بالاجماع ولذا قال فى اللسان كأن واضعه خذله الله فاطمة ولدت قبل فرض الصلاة انتهى (وذكر أبو الحسن على (بن غالب فيما) أى كتاب (تكلم فيه على أحاديث الحجب السبعين والسبعمائة والسبعين ألف حجاب) وهذه الاحوال الثلاثة نشأت من اختلاف الروايات فى عدة الحجب حيث وردت بكل منها وجمع النعمانى بان السبعين بالنسبة الى السموات السبع والسبعمائة باعتبار عالم الكرسى وما حوى والسبعين ألفا باعتبار عوالم العرش وما حوى وبسط الكلام على ذلك (وعزاها الى الربيع بن سبع) باسكان الموحدة وقد تضم كما فى التبصير ومقتضى المصنف انه لم يره لابن سبع (فى شفاء الصدور) لانه كثير النقل عنه (من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعد ان ذكر مبدأ حديث الاسراء كما) أى مثل ما (ورد فى الامهات) أى الاصول وهى الكتب وظاهره ان ابن عباس رواه بلا واسطة وليس كذلك فالمنقول عن ابن غالب عن ابن سبع عن ابن عباس قال قال على سلونى قبل أن تفقدونى سلونى عن علم لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل أعلمنى رسول الله مما علمه ليلة الاسراء قال علمنى ربى علوما شتى فاعلمنى صلى الله عليه وسلم قال كنت نورا فى جسد ابراهيم وذرة فى ظهره فلما عارضه جبريل وهو فى المنجنيق فقال له يا خليل الرحمن هل لك من حاجة قال أما اليك فلا فعاد اليه ثانية ومعه ميكائيل فقال لا اليك ولا الى ميكائيل فعاد اليه الثالثة فقال هل لك من حاجة الى ربك قال يا أخى يا جبريل من شان الخليل أن لا يعارض خليله قال النبى صلى الله عليه وسلم فانطقنى الله ان قلت ان بعثنى الله نبيا واصطفانى بالرسالة لاجازين أخى جبريل على فعله بابى ابراهيم فلما كان ليلة الاسراء بعد أن بعثنى الله (أتانى جبريل وكان السفير) أى المسافر بمعنى الذاهب (بى الى ربى الى أن انتهى الى مقام ثم وقف عند ذلك فقلت يا جبريل فى مثل هذا المقام) وهو سدرة المنتهى (يترك الخل خليله فقال ان تجاوزته احترقت بالنور فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا جبريل هل لك من حاجة الى ربك فقال يا محمد سل الله تعالى فى ان أبسط جناحى) مفرد مضاف الى ياء المتكلم (على الصراط لامتك حتى يجوزوا عليه) اذ لو كان مثنى لقال عليهما (ثم زج) بزاى فجيم ثقيلة (بى فى النور زجا فخرق بى) بالبناء للمفعول (سبعون ألف حجاب ليس فيها حجاب يشبه الآخر وانقطع عنى حس كل ملك وانسى فلحقنى عند ذلك استيحاش) أى حالة تشبه حالة المستوحش فى الانفراد والبعد عن الخلق وتطلق الوحشة على الخلوة (فعند ذلك نادانى مناد بلغة أبى بكر قف ان ربك يصلى فبينما انا أتفكر فى ذلك أقول هل سبقنى أبو بكر فاذا النداء من العلى الاعلى) سبحانه وتعالى وتاويله بان النداء من الملك بامر العلى بإباء المقام كما لا يخفى بل العلى تعالى خاطبه بلا واسطة بقوله (ادن يا خير البرية) أى الخلق وأصله بالهمزة قلبت ياء لوقوعها بعد ياء زائدة وأدغمت الزائدة فى المبدلة عن الهمزة (ادن يا أحمد ادن يا محمد ليدن الحبيب) مجزوم بلام الامر مساولادن فجمع بين الامر بالصيغة وباللام (فادنانى ربى حتى كنت كما قال تعالى ثم دنا) قرب (فتدلى) زاد فى القرب (فكان) منه (قاب) قرب (قوسين أو أدنى) من ذلك (قال وسالنى ربى) لم يبين ما ساله عنه (فلم أستطع ان أجيبه فوضع يده بين كتفى بلا تكييف ولا تحديد) لاستحالتهما عليه (فوجدت بردها بين ثديى فاورثنى علم الاولين والآخرين وعلمنى علوما شتى فعلم أخذ على كتمانه) بكسر الكاف أى أمرنى باخفائه (اذ علم) أى لعلمه (انه لا يقدر على حمله أحد غيرى وعلم خيرنى فيه) أى فى اخفائه واظهاره قال فى الحديث فكنت اسر الى أبى بكر والى عمر والى عثمان واليك

يكون عقيب الامتلاء من الطعام والشراب فتثقل الدماغ وترخيه فيخدر ويقع امساك القوى النفسانية عن أفعالها فيكون النوم والنوم فائدتان جليلتان أحدهما سكون الجوارح وراحتها مما يعرض لها من التعب فيريح الحواس من نصب اليقظة ويزيل الاعياء والكلال * والثانية هضم الغذاء ونضج الاخلاط لان الحرارة الغريزية فى وقت النوم تغور الى باطن البدن فتعين على ذلك ولهذا يبرد ظاهره ويحتاج النائم الى فضل دثار وأنفع النوم ان ينام على الشق الايمن ليستقر الطعام بهذه الهيأة فى المعدة استقرارا حسنا فان المعدة أميل الى الجانب الايسر قليلا ثم يتحول الى الشق الايسر قليلا ليسرع الهضم بذلك لاستمالة المعدة على الكبد ثم يستقر نومه على الجانب الايمن ليكون الغذاء أسرع انحدارا من المعدة فيكون النوم على الجانب الايمن بداءة نومه ونهايته وكثرة النوم على الجانب الايسر مضر بالقلب بسبب ميل الاعضاء اليه فتنصب اليه المواد وأردأ النوم النوم على الظهر ولا يضر الاستلقاء عليه للراحة من غير نوم وأردأ منه ان ينام منبطحا على وجهه وفى المسند وسنن ابن ماجه عن أبى امامة قال مر النبى صلى الله عليه وسلم على رجل نائم فى المسجد منبطح على

يا أبا الحسن يعني عليا لانه راويه (وعلمني القرآن فكان جبريل يذكرني به) بضم الياء وسكون الذال وكسر الكاف مخففة وبضم الياء وفتح الذال وكسر الكاف مشددة وكأنه نزل معارضته بالقرآن حين كان يدارسه منزلة من يغفل عن الشئ فيذكر به أو كان يحصل له سهو عن بعض الكلمات فيذكره به (وعلم أمرني بتبليغه الى العام والخاص من أمتي) وهو قوله يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك كذا في الرواية قبل قوله (قال ولقد عاجلت جبريل في آية نزل على بها) لم يبينها ولم نر من بينها (فعاتبني ربي وأنزل على ولا تعجل بالقرآن) أي بقراءته (من قبل أن يقضى اليك وحيه) أي يفرغ جبريل من ابلاغه (وقل ربي زدني علما) بالقرآن فكلما انزل عليه شئ منه زاد به علمه (ثم ألهمني ربي ان (قلت) كما في الرواية (اللهم انه لما لحقني استيحاش قبل قدومي عليك سمعت مناديا ينادي بلغة تشبه لغة أبي بكر فقال لي قف ان ربك يصلي فعجبت من هاتين) وبينهما بقوله (هل سبقني أبو بكر الى هذا المقام وان ربي لغني عن أن يصلي قال فنادانى أنا الغني عن أن أصلي لاحد) أتكمل به أو لغرض يحمل على صلاتي له وانما أصلي على غيري رحمة وتفضلا مني من غير اجبار ولا الجاء على ذلك فاني أنا الغني المطلق لا اله غيري (وانما أقول سبحاني سبحاني) تنزيها الى عما لا يليق (سبقت رحمتي غضبي اقرأ يا محمد هو الذي يصلي عليكم) أي يرحمكم (وملائكته) أي يستغفرون لكم (ليخرجكم) ليديم اخراجه اياكم (من الظلمات) أي الكفر (الى النور) أي الايمان (وكان بالمؤمنين رحيما) ومن رحمته صلاته عليهم كما قال (فصلاتي رحمة لك ولامتك) وروى ابن المنذر وغيره لما نزلت ان الله وملائكته الآية قال الصديق يا رسول الله ما خصك الله بشرف الا وأشركنا فيه فنزلت هو الذي يصلي عليكم الآية (وأما أمر صاحبك يا محمد) وهو سماعك صوتا يشبه صوته فسببه تانيسك بسماع شبهه ليزول عنك عظيم الهيبة فتقوى على قبول ما يلقى اليك كما أشار اليه بقوله (فان أخاك موسى كان أنسه بالعصا فلما أردنا كلامه قلنا وما تلك) كائنة (بيمينك يا موسى) الاستفهام للتقرير ليترتب عليه المعجزة فيها (قال هي عصاي وشغل بذكر العصا عن عظيم الهيبة وكذلك أنت يا محمد لما كان أنسك) التام (بصاحبك أبي بكر وانك خلقت) بكسر الهمزة جملة حالية (أنت وهو من طينة واحدة وهو أنيسك في الدنيا) كما وقع ليلة الغار (والآخرة خلقنا ملكا على صورته ينادي بك بلغته ليزول عنك الاستيحاش لئلا يلحقك من عظيم الهيبة ما يقطعك عن فهم) مصدر مضاف للمفعول أي عن فهمك (ما يراد منك) فهمه (ثم) انساني ربي حاجة أخي جبريل وأراد أن يمن على بان اذكرنيها (قال الله تعالى وأين حاجة جبريل) هكذا في الرواية انساني الخ فكأنه أنساها له بشغله بعظيم الهيبة والجلال أو تلذذه بسماع الخطاب فمن عليه باذكاره (فقلت اللهم انك أعلم فقال يا محمد قد أجبته فيما سال ولكن في) طائفة من أمتك فقلت اللهم فمن تلك الطائفة قال (من أحبك وصحبك) فاجابه باذنه في بسط جناحه لخواص أمته الاتقياء دون من دنس ايمانه بتقصير في طاعة وبالعصيان كمن أبغض بعض صحبه (وفي رواية) من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان ذكر حديث الاسراء كما في الامهات قال (فتقدمت وجبريل على أثري) ٢ فيه العطف على الضمير المتصل بلا فاصل وهو ضعيف ومع ضعفه هو جائز في السعة كما قال ابن مالك (حتى انتهى بي الى حجاب فراش الذهب فحرك الحجاب فقيل من هذا قال أنا جبريل ومعي محمد صلى الله عليه وسلم فقال الملك الله أكبر) تعظيما لما رأى وفرحا بقدوم المصطفى (فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني فوضعني بين يديه في أسرع من طرفة عين وغلظ الحجاب مسيرة خمسمائة عام فقال لي تقدم يا محمد) أسقط منه فقلت انك أنت تقدم قال

٢ قوله فيه العطف الخ لاحاجة اليه اظهور رجعل وجبريل على أثري جملة حالية ا ه

بطنه من غير أن يكون عادته في صحته جرت بذلك فذلك يدل على اختلاط عقل وعلى ألم في نواحي البطن قال الشراح لكتابه لانه خالف العادة الجيدة الى هيأة رديئة من غير سبب ظاهر ولا باطن والنوم المعتدل تمكن للقوى الطبيعية من أفعالها مريح للقوة النفسانية مكثر من جوهر حاملها حتى انه ربما عاد بارخائه مانعا من تحلل الارواح ونوم النهار رديء يورث الامراض الرطوبية والنوازل ويفسد اللون ويورث الطحال ويرخي العصب ويكسل ويضعف الشهوة الا في الصيف وقت الهاجرة وأردؤه نوم أول النهار وأردأ منه النوم آخره بعد العصر ورأى عبد الله ابن عباس ابنا له نائما نومة الصبحة فقال له قم أتنام في الساعة التي تقسم فيها الارزاق وقيل نوم النهار ثلاث خلق وخرق وحمق فالخلق نومة الهاجرة وهي خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم والخرق نومة الضحى يشغل عن أمر الدنيا والآخرة والحمق

يا محمد تقدم فانت أكرم على الله مني (فمضيت فانطلق بي الملك في أسرع من طرفة عين الى حجاب اللؤلؤ فحرك الحجاب فقال الملك من وراء الحجاب من هذا قال أنا فلان) لم يسم (صاحب حجاب الذهب) ولا شك ان سيره معه باذن الله تأنيساله عليه السلام (وهذا محمد صلى الله عليه وسلم رسول رب العزة معي فقال الملك الله أكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني حتى وضعني بين يديه) ووجود الملائكة عند الحجب معلول بما تفيده الاحاديث ان سدرة المنتهى لم يجاوزها أحد الا المصطفى وبه جزم النووي كما مر وتاويله باحتمال ان المراد لم يجاوزها أحد من ملائكة السموات ونحوها انما ينهض لو كان لهذا الحديث نوع تماسك ويأبى انه كذب (فلم أزل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوزت سبعين حجابا غلاظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام فقال لي تقدم يا محمد فمضيت فانطلق بي الملك ثم دلي لي رفرف أخضر تغلب خضرته ضوء الشمس فالتمع) أي أضاء (بصري) فقوي ادراكه حتى تمكن من مشاهدة ما في تلك الحضرات من الامور التي يقصر العقل عن وصفها وبيان حقيقتها (ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملت حتى وصلت الى العرش) أسقط قوله فلما رأيت العرش اتضع كل شئ عند العرش ثم ان الله تعالى بحوله وقوته وتمام نعمته على قربني عند العرش (فابصرت أمرا عظيما لا تناله الالسن) حذف منه فسألت الهي ان يمن علي بالثبات حتى أستتم نعمته فمن الله علي وقواني لذلك (ثم دلي لي قطرة من العرش فوضعت على لساني فما ذاق الذائقون شيأ قط أحلى منها فانبأني الله بها نبأ الاولين والآخرين ونور قلبي وغشي نور عرشه بصري فلم أر شيأ فجعلت أرى بقلبي ولا أرى بعيني) قال النعماني أي فقط بل رأيت بالباطن والظاهر وقد أرشد الى ذلك بقوله (ورأيت من خلفي ومن بين كتفي كما رأيت امامي) والانفا المقتضي لكونه سلب رؤيته ببصره ورأى بغيره من ظاهر جسده وبهذا لا يشكل مع ما تقرر من الرؤية انتهى (الحديث) ذكر النعماني تمامه في أزيد من ورقتين ناسباله لمن عزاه له المصنف بقوله (رواه والذي قبله) ابن سبع (في كتاب شفاء الصدور كما ذكره ابن غالب) هذا يشعر بعدم رؤيته في ابن سبع (والعهدة في ذلك عليه) قال الشامي بعد نقل كلام المصنف هذا وهو كذب بلا شك انتهى والعجب من النعماني حيث أورد الروايتين بطولهما ساكتا عليهما قائلا ولا يستبعد وقوع هذا كله في بعض ليلة (وتكثير الحجب لم يرد في طريق صحيح ولم يصح في ذلك غير ما في مسلم) في الايمان عن أبي موسى قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل (حجابه النور) لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه أي انه محتجب بنور عزته وأشعة عظمته وذلك الحجاب هو الذي تدهش دونه العقول وتذهب الابصار وتتحير البصائر فحجابه خلاف الحجب المعهودة فكيف يشاهد فهو استئناف في جواب سؤال مقدر هو لم لا نشاهد الله أشار اليه الطيبي (والرفرف البساط) أي هو المراد هنا (وقيل انه في الاصل ما كان من الديباج وغيره رقيقا حسن الصنعة ثم اتسع فيه) فاطلق على البساط وعلى كل ثوب عريض وعلى ذيل الخيمة وعلى الوسائد والنمارق وبها فسر متكئين على رفرف خضر وفي نسخ رقيق مبتدأ خبره من الديباج مقدم عليه واسم كان ضمير الشان والجملة خبر كان (واعلم ان ما ذكر في هذا المحل الرفيع من الحجب) على تقدير صحتها وكذا حجابه النور (فهو في حق المخلوق) زاد الفاء في خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط وهو جائز (لا في حق الخالق عز وجل) اذ الحجاب لغة المنع والحاجب المانع ومنه حاجب العين وحاجب الامير فيقتضي تناهيه وتحيزه (والله سبحانه وتعالى منزه عما يحجبه اذ الحجب) بضمتين جمع حجاب أو بفتح فسكون مصدر (انما تحيط بقدر محسوس) له طول وعرض في جهة يحس

ونوم الصبيحة يمنع الرزق لان ذلك وقت تطلب فيه الخليقة أرزاقها وهو وقت قسمة الارزاق فنومه حرمان الا لعارض أو ضرورة وهو مضر جدا بالبدن لارخائه البدن وافساده للفضلات التي ينبغي تحليلها بالرياضة فيحدث تكسرا وعيا وضعفا وان كان قبل التبرز والحركة والرياضة واشغال المعدة بشئ فذلك الداء العضال المولد لانواع من الادواء والنوم في الشمس يثير الداء الدفين ونوم الانسان بعضه في الشمس وبعضه في الظل ردئ وقد روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان أحدكم في الشمس فقلص عنه الظل فصار بعضه في الشمس وبعضه في الظل فليقم وفي سنن ابن ماجه وغيره من حديث بريدة بن الحصيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يقعد الرجل بين الظل والشمس وهذا تنبيه على منع النوم بينهما وفي الصحيحين عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الايمن ثم قل اللهم اني أسلمت نفسي اليك ووجهت وجهي

بتوجه الناظر فيقتضى الجهة وهو منزه عن ذلك (فالخلق كلهم محجوبون عنه تعالى بمعانى الاسماء والصفات والافعال وسائر المخلوقات من معانى الانوار والظلمات كل له مقام من الحجب معلوم وحظ من الادراك) أى أنواع العلم (والمعرفة) به (مقسوم) بحسب ما أراده تعالى وقد قال تعالى فى الكفار كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فجعلهم هم المحجوبين لا هو واورد ان الحجب أمر نسبى لابد من تعلقه بالطرفين فكيف يصح ذلك وأجيب بانه نسبى لكن بين حاجب ومحجوب والحاجب سبحات الانوار وستائر العظمة والمحجوب مخلوقاته لا هو لانه محجوب عنه لا محجوب فيجوز ان يوصف بانه محجوب عنه وحاجب ومحتجب خلافا لمن أنكره (وأقرب الخلق الى الله تعالى الملائكة الحافون) بعرشه (والكروبيون) بخفة الراء سادات الملائكة من كرب اذا قرب كما مر (وهم محجوبون) عن رؤيته (بنور المهابة والعظمة والكبرياء والجلال والقدس والقيومية حجب الذات بالصفات) أى كما ان الذات حجبت بالصفات التى قامت بها عن معرفة حقيقتها وتعلقها بهيئة تميزها كذلك حجب الحافون والكروبيون عنه تعالى بانوار المهابة (وهم فى الحجب عنه على طبقات مختلفات كل على مقام معلوم ودرجات) وفى التنزيل وما منا الا له مقام معلوم (وبالجملة فالمخلوقات كلها) أى التى تقوم بالعالم يشتغل بها عما يقربه الى الله (ما كانت) ما ظرفية أى مدة كونها أى وجدانها (حجاب) بالرفع خبر المخلوقات (عن الخالق) أى هى التى تحجبهم عن القيام بحقوق الخالق وجعلها بعض معترضة بين المبتدا والخبر والاظهر جعلها ظرفا من المبتدا (فقوم حجبوا برؤية النعم) التى أسبغت عليهم (عن المنعم) جل وعلا (وبرؤية الاحوال) المشاهدة لهم من نحو صحة وغنى وضديهما (عن) ذى (الحول) والقوة الذى خلق ذلك وقدره وفى نسخة عن المحول أى الموجد لتلك الاحوال لكن فى اطلاقه على الله نظر (وبرؤية الاسباب) كالشبع والرى وضديهما (عن المسبب) الخالق لذلك (وقوم حجبوا بالعلم عن المعلم) فتراهم أبدا انما يبحثون ويتكلمون فى العلم وما يتفرع منه غافلين عن التفكر فى آلاء من علمهم (وبالفهم عن المفهم وبالعقل عن المعقل) وفى اطلاق ذلك كله على الله تعالى نظر فاسماؤه توقيفية (وكل ذلك من معنى حجاب النعم عن المنعم والمواهب عن الواهب) اذ هى بعض تفاصيل النعم والمواهب (وقوم حجبوا بالشهوات المباحة) فهم ابدا فيها يرتعون (وقوم حجبوا بالشهوات المحرمات والمعاصى والسيآت) وان لم يكن فيها شهوات فتغاير العطف (وقوم حجبوا بالمال والبنين وزينة الحياة الدنيا اللهم لا تحجب قلوبنا عنك فى الدنيا ولا أبصارنا عنك فى الآخرة يا كريم) واجعل وجوهنا ناضرة الى ربها ناظرة وما أحلى قول الحكم الحق ليس بمحجوب انما المحجوب أنت عن النظر اليه اذ لو حجبه شئ لستره ما حجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشئ فهو له ساتر وهو القاهر فوق عباده كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الذى ظهر فى كل شئ كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الذى ظهر بكل شئ كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الذى ظهر لكل شئ كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الظاهر قبل وجود كل شئ كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو أظهر من كل شئ انتهى (وقد ورد فى الصحيح) للبخارى من طريق شريك (عن أنس قال عرج بى جبريل الى سدرة المنتهى) لفظ الصحيح ثم علا به جبريل فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ففى قول المصنف بى شئ لانه لم يصرح برفعه (ودنا الجبار رب العزة) دنو قرب ومكانة لا دنو مكان ولا قرب زمان (فتدلى) زاد فى القرب (فكان قاب قوسين أو أدنى) أقرب وهو بالنسبة للمصطفى عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة وبالنسبة الى الله تعالى اجابته ورفع درجته وهذا مما أنكر من رواية شريك قال الخطابى ليس فى البخارى أشنع ظاهرا ولا أمنع مذاقا من هذا فانه يقتضى تحديد المسافة بين أحد

اليك وفوضت أمرى اليك وألجأت ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت واجعلهن آخر كلامك فان مت من ليلتك مت على الفطرة وفى صحيح البخارى عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى ركعتى الفجر يعنى سنتها اضطجع على شقه الايمن وقد قيل ان الحكمة فى النوم على الجانب الايمن ان لا يستغرق النائم فى نومه لان القلب فيه ميل الى جهة اليسار فاذا نام على جنبه الايمن طلب القلب مستقره من الجانب الايسر وذلك يمنع من استقرار النائم واستثقاله فى نومه بخلاف قراره فى النوم على اليسار فانه مستقره فيحصل بذلك الدعة التامة فيستغرق الانسان فى نومه ويستثقل فيفوته مصالح دينه ودنياه ولما كان النائم بمنزلة الميت والنوم أخو الموت ولهذا يستحيل على الحى الذى لا يموت وأهل الجنة لا ينامون فيها كان النائم محتاجا الى من يحرس نفسه ويحفظها مما يعرض لها من الآفات ويحرس بدنه أيضا من طوارق الآفات وكان ربه وفاطره تعالى هو المتولى لذلك وحده علم النبى صلى الله عليه وسلم النائم ان يقول كلمات المذكورين

المذكورين وبين الآخر تمييز مكان كل واحد منهما هذا مع ما في التدلي من التشبيه والتمثيل له بالشئ الذي تعلق من فوق الى أسفل فمن لم يبلغه من هذا الحديث الا هذا القدر مقطوعا عن غيره ولم يعتبره باول القصة ولا بآخرها اشتبه عليه وجهه ومعناه وكان قصاراه امار دالحديث من أصله واما الوقوع في التشبيه وهما امر غوب عنهما وأما من اعتبر أول الحديث بآخره فانه يزول عنه الاشكال فانه مصرح فيهما بانه كان رؤيا لقوله أوله وهو نائم وفي آخره استيقظ و بعض الرؤيا مثل يضرب ليتاول على الوجه الذي يجب أن يصرف اليه معنى التعبير في مثله و بعض الرؤيا لا يحتاج الى ذلك بل ياتي كالمشاهدة قال وهو كما قال ولا التفات الى من تعقبه بان في الحديث الصحيح ان رؤيا الانبياء وحي فلا يحتاج الى تعبير لانه كلام من لم يمعن النظر فان بعض مرائي الانبياء يقبل التعبير كقول بعض الصحابة في القميص فما أولته يارسول الله قال الدين وفي رؤيا اللبن قال العلم لكن جزم الخطابي بانه منام متعقب بان الراجح انه يقظة بالادلة ثم دفع الخطابي الحديث من أصله بان القصة بطولها انما هي حكاية يحكيها أنس من تلقاء نفسه لم يعزها الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا نقلها عنه فحاصل الامر في النقل انها من جهة الراوي أما أنس وأما شريك فانه كثير التفرد بمناكير الالفاظ التي لا يتابعه عليها سائر الرواة قال الحافظ وما نفاه من ان أنسا لم يسند هذه القصة الى النبي صلى الله عليه وسلم لا تاثير له فادنى أمره فيها أن تكون مرسل صحابي فاما أن يكون تلقاها عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن صحابي تلقاها عنه ومثل ما اشتملت عليه لا يقال بالرأي فيكون لها حكم الرفع ولو أثر ماذكره لم يحمل حديث أحد روى مثل ذلك على الرفع أصلا وهو خلاف عمل المحدثين قاطبة فالتعليل بذلك مردود ثم قال الخطابي نسبة التدلي للجبار مخالف لعامة السلف والعلماء وأهل التفسير من تقدم ومن تاخر والذي قيل فيه ثلاثة أقوال أحدها دنا جبريل من محمد فتدلى أي تقرب منه وقيل هو على التقديم والتاخير أي تدلى فدنا لان التدلي سبب الدنو الثاني تدلى جبريل بعد الانصباب والاندفاع حتى رآه مرتفعا وذلك من آيات الله حيث أقدره على أن يتدلى في الهواء من غير اعتماد على شئ وتمسك بشئ الثالث دنا جبريل فتدلى محمد ساجدا لربه شكرا على ما أعطاه من الزلفى قال وقد روى هذا الحديث عن أنس من غير طريق شريك فلم يذكر هذه الالفاظ الشنيعة وذلك مما يقوي الظن انها صادرة من شريك قال الحافظ قد أخرج البيهقي من طريق الاموي في مغازيه عن محمد بن عمرو بن أبي سلمة عن ابن عباس في قوله ولقد رآه نزلة أخرى قال دنا منه ربه وهذا اسناد حسن وهو شاهد قوي لرواية شريك ثم قال الخطابي وفي هذا الحديث لفظة أخرى تفرد بها شريك أيضا لم يذكرها غيره وهي قوله فعلا به يعني جبريل الى الجبار تعالى فقال وهو مكانه يارب خفف عنا والمكان لا ينسب الى الله انما هو مكان النبي صلى الله عليه وسلم في مقامه الاول الذي قام فيه قبل هبوطه قال الحافظ وهذا الاخير متعين وليس في السياق تصريح باضافة المكان الى الله قال وما جزم به من مخالفته للسلف والخلف فقد ذكرنا من وافقه وقد نقل القرطبي عن ابن عباس انه قال دنا الله قال القرطبي والمعنى دنا أمره وحكمه وأصل التدلي النزول الى الشئ حتى يقرب منه وقيل تدلى الرفرف لمحمد حتى جلس عليه ثم دنا محمد من ربه وقد أزال العلماء اشكاله فقال القاضي عياض اضافة الدنو والقرب هنا من الله أو الى الله ليس بدنو مكان وقرب مدى ينتهي اليه وانما دنا صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه هو منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته اعتناء بشانه واظهار المعالم رؤيته أحدا غيره واشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته مما لم يطلع عليه غيره كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ينتهي اليه مطمح فهم أو مطرح وهم ومن العباد بالحدود الغائية المنتهية الى غاية وقال أيضا انقطعت الكيفية عن الدنو ألا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد الى ما أودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما أدناه اليه وأزال

التفويض والالتجاء والرغبة والرهبة ليستدعي بها كمال حفظ الله له ثم راسة لنفسه وبدنه فارشده مع ذلك الى أن يستذكر الايمان وينام عليه ويجعل التكلم به آخر كلامه فانه ربما توفاه الله في منامه فاذا كان الايمان آخر كلامه دخل الجنة فتضمن هذا الهدى في المنام مصالح القلب والبدن والروح في النوم واليقظة والدنيا والآخرة فصلوات الله وسلامه على من نالت به أمته كل خير وقوله أسلمت نفسي اليك أي جعلتها مسلمة لك تسليم العبد المملوك نفسه الى سيده ومالكه وتوجيه وجهه اليه يتضمن اقباله بالكلية على ربه واخلاص القصد والارادة له واقراره بالخضوع والذل والانقياد قال تعالى فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وذكر الوجه اذ هو أشرف ما في الانسان ومجمع الحواس وأيضا ففيه معنى التوجه والقصد من قوله * رب العباد اليه الوجه والعمل * وتفويض الامر اليه رده الى الله سبحانه وذلك يوجب سكون القلب وطمانينته والرضى بما يقضيه ويختاره له مما يحبه ويرضاه والتفويض من أشرف مقامات العبودية ولا علة فيه وهو من مقامات الخاصة خلافا لزاعمي

عن قلبه الشك والارتياب أى الذى عرا خاطره هل يغشى حضرة هذا القرب و ينال مواهبه من اناقة وا كرام وشرف وانعام فانجح الله أمنيته لا الشك فى ذلك اذ كان أثبت الناس معرفة واي‍ـانا وأسكنهم جنانا وأملكهم طمانينة وسكونا وانما الدنو والقرب من الله تعالى أو اليه كناية عن جزيل فوائده اليه وجميل عوائده عليه وتانيس لاستيحاشه بانقطاع الاصوات عنه و بسط بالمكالمة واكرام بشرائف منيفة أو هو دنو افضال واجمال على أحد الوجوه فى حديث ينزل ربنا الى سماء الدنيا كل ليلة وقال الواسطى من توهم انه تعالى بنفسه دنا فقد جعل ثم مسافة ولا مسافة لاستحالتها بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعنى كلما قرب منه نزل بساحة البعد كناية عن نفيهما جميعا أو عن ادراك حقيقته اذ لا يدركها أحد اذ لا دنو للحق ولا بعد لاستحالتهما وقوله فانى قريب تمثيل لكمال علمه واجابته لتعاليه عن القرب مكانا (فاوحى الى عبده ما أوحى) كذا فى النسخ ولفظ البخارى فاوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة (الحديث) ذكر فى بقيته الهبوط والمراجعة فى الصلاة (وهذا الدنو والتدلى المذكور فى هذا الحديث وغيره من أحاديث المعراج غير الدنو والتدلى المذكور فى قوله تعالى فى سورة النجم ثم دنا فتدلى فكان قاب) قدر (قوسين) ما بين مقبض القوس والسية بكسر السين المهملة وتحتية خفيفة وهى ما عطف من طرفها ولكل قوس قابان (وان اتفقا فى اللفظ) لاختلافهما فى المسند اليه لانه فى الحديث مسند الى الله تعالى بخلاف الآية (فان الصحيح أن المراد فى الآية جبريل لانه الموصوف بما ذكر من أول السورة) يعنى قوله علمه شديد القوى (الى قوله ولقد رآه نزلة) مرة من النزول كجلسة من الجلوس والواو للعطف أو الحال أى كيف تجادلونه فيما رآه وهو قد رآه على وجه لا شك فيه (أخرى) يدل على سبق رؤية قبلها (عند سدرة المنتهى) ظرف مكان لرأى (هكذا فسره النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح) الذى أخرجه مسلم (قالت عائشة رضى الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية) أى ولقد رآه نزلة أخرى (فقال ذاك جبريل لم أره فى صورته التى خلق عليها الا مرتين) الاولى بالارض والنبى صلى الله عليه وسلم بحراء فى أوائل البعثة بعد فترة الوحى كما قال ابن كثير وجبريل بالافق الاعلى ومرة فى السماء ليلة الاسراء (ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك من وجوه) سبعة (أحدها انه قال علمه) أى صاحبكم محمدا والمفعول الثانى محذوف أى علم النبى الوحى ويجوز ان ضمير علمه للوحى أى الموحى فالمفعول الاول محذوف أى علم الوحى النبى (شديد القوى) أى قواه العلمية والعملية شديدة كلها (وهذا جبريل الذى وصفه بالقوة فى سورة التكوير) بقوله ذى قوة وفى وصفه بذلك فوائد اذ مدح المعلم مدح للمتعلم فلو قال علمه جبريل بلا وصف لم يحصل للمصطفى فضيلة ظاهرة وفيه رد قولهم أساطير الاولين والوثوق بقول جبريل لان قوة الادراك شرط للوثوق بقول القائل وكذا قوة الحفظ والامانة فوصفه بجميع هذه الشروط (الثانى انه قال ذو مرة) قال القرطبى قال قطرب تقول العرب لكل جزل الرأى حصيف العقل ذو مرة قال الشاعر

قد كنت قبل لقائكم ذا مرة * عندى لكل مخاصم ميزانه

وكانت جزالة رأيه وحصافة عقله أن الله ائتمنه على وحيه الى جميع رسله وفسره ابن القيم بقوله (أى حسن الخلق) بفتح فسكون أو بضمتين (وهو الكريم الذى فى سورة التكوير) فى انه لقول رسول كريم أى كريم خلقا وخلقا قال ابن القيم أيضا ذو مرة أى جميل المنظر حسن الصورة ذو جلالة ليس شيطانا أقبح الخلق صورة بل هو من أجمل الخلق وأقواهم وأعظمهم أمانة ومكانة عند الله ذو ل وهذا تعديل لسند الوحى والنبوة وتزكية له كما ذكر

بخلاف ذلك والجاء الظهر اليه سبحانه يتضمن قوة الاعتماد عليه والثقة به والسكون اليه والتوكل عليه فان من أسند ظهره الى ركن وثيق لم يخف السقوط ولما كان للقلب قوتان قوة الطلب وهى الرغبة وقوة الهرب وهى الرهبة وكان العبد طالبا لمصالحه هاربا من مضاره جمع الامرين فى هذا التفويض والتوجه فقال رغبة ورهبة اليك ثم أثنى على ربه بانه لا ملجا للعبد سواه ولا منجا له منه غيره فهو الذى يلجا اليه العبد لينجيه من نفسه كما فى الحديث الآخر أعوذ برضاك من سخطك و بمعفوك من عقوبتك وأعوذ بك منك فهو سبحانه الذى يعيذ عبده و ينجيه من باسه الذى هو بمشيئته وقدرته فمنه البلاء ومنه الاعانة ومنه ما يطلب النجاة منه واليه الالتجاء فى النجاة فهو الذى يلجا اليه فى أن ينجى مما منه و يستعاذ به مما منه فهو رب كل شئ ولا يكون شئ الا بمشيئته وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة ثم ختم الدعاء بالاقرار بالايمان بكتابه ورسوله الذى هو ملاك النجاة والفوز فى الدنيا والآخرة فهذا هديه فى نومه

لولم يقل انى رسول لكا * ن شاهد فى هديه ينطق

قطيره

نظيره في سورة التكوير فوصفه بالعلم والقوة وجمال المنظر وجلالته وهذه كانت أوصاف الرسولين البشري والملكي (الثالث انه قال فاستوى) قال القرطبي أي ارتفع وعلا الى مكانه في السماء بعد ان علم محمدا قاله ابن المسيب وابن جبير قال الرازي وهو المشهور وقيل ظهر في صورته التي خلق عليها (وهو) أي جبريل مبتدأ خبره (بالافق الاعلى) والجملة حال من فاعل استوى قاله مكي قال القرطبي والمعنى فاستوى جبريل عاليا على صورته ولم يكن المصطفى رآه عليها حتى ساله اياها وقيل الجملة مستأنفة (وهو) أي الافق (ناحية السماء العليا وهذا استواء جبريل عليه السلام وأما استواء الرب جل جلاله فعلى عرشه) كما قال الرحمن على العرش استوى لكن الآية فيها تأويل معلومة لا يليق الجزم بظاهرها دون الاتيان بها كما فعل ذلك لكن هذا كلام ابن القيم وقد رمي بالتجسيم (الرابع انه قال ثم دنا) جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض (فتدلى) على المصطفى والمعنى انه لما رأى من عظمة جبريل ما رأى وهاله ذلك رده الله الى صورة آدمي حتى قرب من المصطفى هذا قول الجمهور كما في القرطبي (فكان قاب قوسين أو أدنى) قال ابن القيم أو ليست للشك بل لتحقيق قدر المسافة وأنها لا تزيد على قوسين البتة كما قال تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون تحقيقا لهذا العدد وانهم لا ينقصون عن مائة ألف رجلا واحدا (فهذا دنو جبريل وقد تنزل الى الارض حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وأما الدنو والتدلي في حديث المعراج فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان فوق السموات فهناك دنا الجبار جل جلاله منه وتدلى) دنو منزلة كما في الحديث القدسي من تقرب الي شبرا تقربت اليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة وهو تمثيل يقرب المعنى الى الافهام أي من تقرب الي بطاعتي جازيته بأضعاف ما تقرب الي ٢ ومن هرول في طاعتي سبقته بجزائه فهو قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان والمامول ثوابا مضاعفا ومرله مزيد قربيا (الخامس انه قال ولقد رآه نزلة) نصب على المصدر الواقع موقع الحال أي رآه نازلا نزلة (أخرى) قاله الحوفي وابن عطية أو على المصدر المؤكد أو الظرف الذي هو مرة لان فعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها ورد بانه ليس مذهب البصريين انما هو مذهب الفراء (عند سدرة المنتهى والذي عند سدرة المنتهى قطعا هو جبريل وبهذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ذاك جبريل) ولا معدل عن تفسيره (السادس أن نفس الضمير في قوله ولقد رآه وقوله دنا فتدلى وقوله فاستوى وقوله وهو بالافق الاعلى واحد فلا يجوز أن يخالف بين المفسرين) بفتح السين والراء تثنية بجعل ضميري استوى وهو لجبريل ودنا فتدلى لله تعالى (من غير دليل) لانه تحكم والاصل توافق الضمائر لكن الاستدلال بهذا لا يصح اذ الدليل ما سلمه الخصم وقد قيل الضميران في فاستوى وفي وهو لله تعالى وهو قول الحسن البصري على معنى العظمة والقدرة والسلطان (السابع انه سبحانه وتعالى أخبر ان هذا الذي دنا فتدلى كان بالافق الاعلى وهو أفق السماء) أي جانب من جوانبها قاله ابن دريد ومنه قوله

أخذنا بآفاق السماء عليكم * لنا قمراها والنجوم الطوالع

وقال مجاهد مطلع الشمس وقال قتادة هو الافق الذي يأتي منه النهار يعني طلوع الفجر حكاها الماوردي ولذا قال (بل تحتها فدنا من الارض فتدلى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنو الرب تبارك وتعالى وتدليه على ما في حديث شريك) عن أنس (كان فوق العرش لا الى الارض) فلا يصح تفسير الآية بما في حديث شريك ولذا جزم ابن كثير بان الدنو والتدلي في حديث شريك غير الذي في الآية

---

٢ قوله ومن هرول الخ أنظر ما هذا تفسيره في الحديث المذكور ومقتضى ما ساقه فيه ان يقول ومن مشى الخ الا ان يكون للحديث بقية لم يذكرها وهذا تفسير لما لم يذكره وحرر اه مصححه

ويدعوه ثم يستاك ثم يقوم الى وضوئه ثم يقف للصلاة بين يدي ربه مناجيا له بكلامه مثنيا عليه راجيا له راغبا راهبا فاي حفظ لصحة القلب والبدن والروح والقوى ولنعيم الدنيا والآخرة فوق هذا

(فصل) وأما تدبير الحركة والسكون وهو الرياضة فنذكر منها فصلا يعلم منه مطابقة هديه في ذلك لأكمل أنواعه وأحمدها وأصوبها فنقول من المعلوم افتقار البدن في بقائه الى الغذاء والشراب ولا يصير الغذاء بجملته جزأ من البدن بل لا بد أن يبقى منه عند كل هضم بقية ما اذا كثرت على ممر الزمان اجتمع منها شئ له كمية وكيفية فيضر بكميته بان يسد ويثقل البدن ويوجب أمراض الاحتباس وان استفرغ تأذى البدن بالادوية لان أكثرها سمية ولا تخلو من اخراج الصالح المنتفع به ويضر بكيفيته بان يسخن بنفسه أو بالعفن أو يبرد بنفسه أو يضعف الحرارة الغريزية عن انضاجه وسدد الفضلات لا محالة ضارة تركت أو استفرغت والحركة أقوى الاسباب في منع تولدها فانها تسخن الاعضاء وتسيل فضلاتها فلا تجتمع على طول الزمان وتعود البدن



(ثم نفى سبحانه وتعالى عن نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه مازاغ البصر) أى مامال قال ابن عباس مازاغ يمينا ولا شمالا (وماطغى) ماجاوز ما أمر به وعلى هذا المفسرون ومفعول نفى قوله (ما يعرض للرائى الذى لا أدب له بين يدى الملوك والعظماء من التفاته يمينا وشمالا) وهذا تفسير لزاغ (و) نفى بقوله ماطغى (مجاوزة بصره لما بين يديه وأخبر عنه بكمال الادب فى ذلك المقام وفى تلك الحضرة اذ لم يلتفت جانبا ولم يمد بصره الى غير ما أرى من الآيات وما هنالك من العجائب) التى لا يشبهها شئ (بل قام مقام العبد الذى أوجب أدبه) فاعل ومفعوله (اطراقه و) أوجب (اقباله على ما أريه دون التفاته الى غيره ودون تطلعه الى مالم يره مع ما فى ذلك من ثبات الجاش) بالهمز (وهو روع) بالفتح أى خوف (القلب اذا اضطرب) عند الفزع وقد لا يهمز والجمع جؤش كما فى القاموس وفى النهاية الجاش القلب والنفس والجنان يقال فلان ثابت الجاش أى ثابت القلب لا يرتاع للعظائم والشدائد (وسكون القلب وطمأنينته وهذا غاية الكمال) فزيغ البصر التفاته جانبا وطغيانه مده أمامه الى حيث ينتهى فنزه علمه عن الضلال وقصده وعمله عن الغى ونطقه عن الهوى وفؤاده عن تكذيب بصره وبصره عن الزيغ والطغيان وهكذا يكون المدح

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

قال الامام الرازى اللام فى البصر يحتمل وجهين أحدهما البصر المعروف وهو بصر محمد صلى الله عليه وسلم أى مازاغ بصر محمد صلى الله عليه وسلم فعدم الزيغ ان قلنا الغاشى للسدرة هو الجراد أو الفرش معناه لم يلتفت اليه ولم يشتغل به ولم يقطع نظره عن مقصوده وان قلنا أنوار الله فمعناه لم يلتفت يمنة ويسرة بل اشتغل بمطالعتها ففيه بيان أدبه أو مازاغ بضعفه عن مطالعتها ففيه بيان قوته الثانى انها التعريف الجنس أى مازاغ بصر أصلا فى ذلك الموضع لعظم الهيبة قال وفيه لطيفة هى انه لم يقل مامال وما جاوز لان الميل والتجاوز مذمومان فى ذلك الموضع فاستعمل الزيغ والطغيان فيه أو هو بيان لشدة يقينه الذى لا يقين فوقه أى مامال عن الطريق فلم ير الشئ على خلاف ما هو عليه بخلاف من ينظر الى عين الشمس مثلا ثم ينظر الى شئ أبيض فانه يراه أبيض واخضر يزيغ بصره عن جادة الابصار وقوله ماطغى أى ماتخيل المعدوم موجودا وقيل ماجاوز ما أمر به انتهى (قال) ابن القيم (فى مدارج السالكين) فى شرح منازل السائرين لابى اسمعيل الهروى (وفى هذه الآية أسرار عجيبة هى من غوامض الآداب اللائقة بأكمل البشر صلوات الله وسلامه عليه تواطأ هنالك بصره وبصيرته) وهى العقل المنور بنور القدس المكحل بضياء هداية الحق فلا يخطئ فى العيان ولا يحتاج الى برهان بل يتصور الحق بينا مكشوفا والباطل زاهقا مدحورا فلذا قال صاحب المنازل البصيرة ما يخلص من الحيرة (وتوافقا) عطف تفسير لتواطا (فيما يشاهده بصره فالبصيرة مواطئة) موافقة (له وما شاهدته بصيرته فهو أيضا حق مشهود بالبصر فتواطأ فى حقه أى ما كذب الفؤاد ما رآه ببصره) فهو اخبار عن تصديق فؤاده لما رأته عيناه وليس كمن رأى شيأ على خلاف ما هو عليه فكذب فؤاده بصره (ولهذا قرأها هشام وأبو جعفر ما كذب الفؤاد ما رأى بتشديد الذال أى لم يكذب القلب البصر بل صدقه وواطاه بصحة الفؤاد والبصر وكون المرئى المشاهد بالبصر والبصيرة حقا) وحاصله أن قلبه صدق ما رآه بعينه ولم يقل انه خيال لا حقيقة له (وقرأ الجمهور ما كذب الفؤاد بالتخفيف وهو متعد) بنفسه على القراءتين (وما رأى مفعوله أى ما كذب قلبه ما رأت عيناه بل واطاه ووافقه) وما مصدرية أى ما كذب فؤاده رؤيته أو موصول والعائد محذوف أى الذى رآه بعينه وقيل قراءة التخفيف على اسقاط الخافض أى فيما رآه قاله مكى وغيره وعلى التقديرين فهو اخبار عن

الخفة والنشاط ويجعله قابلا للغذاء ويصلب المفاصل ويقوى الاوتار والرباطات ويؤمن جميع الامراض المادية وأكثر الامراض المزاجية اذا استعمل القدر المعتدل منها فى وقته وكان باقى التدبير صوابا ووقت الرياضة بعد انحدار الغذاء وكمال الهضم والرياضة المعتدلة هى التى تحمر فيها البشرة وتربو ويتندى بها البدن وأما التى يلزمها سيلان العرق فمفرطة وأى عضو كثرت رياضته قوى وخصوصا على نوع تلك الرياضة بل كل قوة فهذا شأنها فان من استكثر من الحفظ قويت حافظته ومن استكثر من الفكر قويت قوته المفكرة ولكل عضو رياضة تخصه فللصدر القراءة فليبتدئ فيها من الخفية الى الجهر بتدريج ورياضة السمع بسمع الاصوات والكلام بالتدريج فينتقل من الاخف الى الاثقل وكذلك رياضة اللسان فى الكلام وكذلك رياضة البصر وكذلك رياضة المشى بالتدريج شيأ فشيأ وأما ركوب الخيل ورمى النشاب والصراع والمسابقة على الاقدام فرياضة للبدن كله وهى قالعة لامراض مزمنة كالجذام والاستسقاء والقولنج رياضة النفوس بالتعلم والتأدب والفرح والسرور والصبر

بطابق

تطابق رؤية القلب لرؤية البصر وتوافقهما وتصديق كل واحد منهما ما صاحبه وهذا ظاهر في قراءة التشديد وقد استشكلها المبرد وغيره بأنه اذا رأى بقلبه فقد علمه أيضا بقلبه واذا وقع العلم فلا كذب معه وأجيب بأنه قد يتخيل الشئ على خلاف ما هو به فيكذبه قلبه اذ يريه صورة المعلوم على خلاف ما هى عليه كما تكذبه عينه فيقال كذبه قلبه وكذبته عينه فنفى ذلك سبحانه عن رسوله (فلموافقة قلبه لقالبه) جسده (وظاهره لباطنه وبصره لبصيرته لم يكذب الفؤاد البصر ولم يتجاوز البصر حده فيطغى ولم يمل على المرئى فيزيغ بل اعتدل البصر على المرئى ما جاوزه ولا مال عنه كما اعتدل القلب فى الاقبال على الله تعالى والاعراض عما سواه فانه أقبل على الله بكليته وأعرض عما سواه بكليته) قلبا وقالبا وقد حكى الماوردى فى الفؤاد قولين أحدهما نفسه لانه محل الاعتقاد والثانى صاحبه وعبر عنه بالفؤاد لانه قطب الجسد وبه قوام الحياة (وللقلب زيغ وطغيان كما ان للبصر زيغا وطغيانا) بل قد يكون أشد لحديث ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب (وكلاهما منتف عن قلبه وبصره فلم يزغ قلبه التفاتا عن الله الى غيره ولم يطغ بمجاوزته مقامه الذى أقيم فيه وهذا غاية الكمال والادب مع الله تعالى) ولا بدع ففى الحديث أدبنى ربى فأحسن تأديبى (الذى لا يلحقه فيه) أحد (سواه فان عادة النفوس اذا أقيمت فى مقام عال رفيع ان تطلع الى ما هو أعلى منه وفوقه ألا ترى أن موسى عليه الصلاة والسلام لما أقيم مقام التكليم والمناجاة) لله سبحانه (طلبت نفسه الرؤية) فقال رب أرنى أنظر اليك (ونبينا صلى الله عليه وسلم لما أقيم فى ذلك المقام وفاه حقه ولم يلتفت بصره ولا قلبه الى غير ما أقيم فيه البتة) بالقطع فلم يسأل حتى قال له ربه سل ومع ذلك سأل بالتلويح دون التصريح فقال انك اتخذت الى آخر ما يأتى (ولاجل هذا ما عاقه عائق ولا وقف به مراد حتى جاوز السموات السبع فلم تعقه ارادة منه لشئ ولم تقف به دون كمال العبودية همة ولهذا كان مركوبه فى مسراه يسبق خطوه الطرف فيضع خطوه) وفى نسخة قدمه (عند منتهى طرفه) بسكون الراء أى نظره وهذا صريح فى التساوى فيدافع قوله يسبق الا أن يكون المراد ان ما ينتهى اليه طرفه وهو الجزء الاخير من المسافة التى ينتهى اليها الطرف يضع مؤخر قدمه عنده فتكون جملة القدم مقدمة على ما وصل اليه طرفه (مشاكلا لحال راكبه وبعد شاوه) بالشين المعجمة والهمز بزنة فلس أى غايته وأمده (الذى سبق به العالم أجمع فى سيره فكان قدم البراق لا يتخلف عن موضع نظره كما كان قدمه صلى الله عليه وسلم لا يتأخر عن محل معرفته فلم يزل صلى الله عليه وسلم فى خفارة) بضم الخاء وكسرها أى حماية (كمال أدبه مع الله تعالى وتكميل مرتبة عبوديته له حتى خرق حجب السموات وجاوز السبع الطباق) وهى السموات (وجاوز سدرة المنتهى ووصل الى محل من القرب سبق به الاولين والآخرين) اذ لم يصل اليه نبى مرسل ولا ملك مقرب (فانصبت له هنالك أقسام القرب انصبابا وانقشعت) انكشفت (له سحائب الحجب) بضمتين جمع حجاب (ظاهرا وباطنا حجابا حجابا) أى حجابا بعد حجاب (وأقيم مقاما غبطه) استحسنه (به الانبياء والمرسلون فاذا كان فى المعاد) يوم القيامة (أقيم مقاما من القرب ثانيا يغبطه به الاولون والآخرون واستقام هنالك على صراط مستقيم من كمال أدبه مع الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فأقامه فى هذا العالم) أى عالم الدنيا (على أقوم صراط على الحق والهدى) وانك لتهدى الى صراط مستقيم (وأقسم بكلامه القديم على ذلك فى الذكر) أى القرآن (الحكيم فقال يس) القراءة المشهورة بسكون النون وقرئ شاذا بالفتح للخفة وبالكسر لالتقاء الساكنين وبالضم على النداء كما فى الاتقان (والقرآن الحكيم) المحكم بعجيب النظم وبديع المعانى (انك لمن المرسلين على) متعلق بما قبله (صراط مستقيم) أى طريق الانبياء قبلك التوحيد والهدى والتأكيد بالقسم وغيره رد لقول الكفار

والثبات والاقدام والسماحة وفعل الخير ونحو ذلك مما ترتاض به النفوس ومن أعظم رياضة النفس والحب والشجاعة والاحسان فلا تزال ترتاض بذلك شيأ فشيأ حتى تصير لها هذه الصفات هيآت راسخة وملكات ثابتة وأنت اذا تأملت هديه صلى الله عليه وسلم فى ذلك وجدته أكمل هدى حافظ للصحة والقوى ونافع فى المعاش والمعاد ولا ريب ان الصلاة نفسها فيها من حفظ صحة البدن واذابة اخلاطه وفضلاته ما هو من أنفع شئ له سوى ما فيها من حفظ صحة الايمان وسعادة الدنيا والآخرة وكذلك قيام الليل من أنفع أسباب حفظ الصحة ومن أمنع الامور لكثير من الامراض المزمنة ومن أنشط شئ للبدن والروح والقلب كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان هو استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة ثانية فان صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان وفى الصوم الشرعى من أسباب حفظ الصحة ورياضة البدن والنفس ما لا يدفعه صحيح

لست مرسلا (فاذا كان يوم المعاد أقامه على الصراط فيسال السلامة لاتباعه ولاهل سنته حتى يجوزوا الى جنات النعيم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ثم اعلم أن ماذكر هنا من القرب والدنو) الى الله ومن الله في حديث شريك وفي الآية على أحد القولين ليس بدنو مكان ولاقرب مدى وانما (المراد به تاكيد المحبة) باظهار عظيم منزلته وتشريف رتبته (والقربة ورفع المنزلة والرتبة) عطف تفسير (قال جعفر الصادق) لصدقه في مقاله ابن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي الهاشمي أبو عبد الله الفقيه الامام الصدوق المتوفى سنة ثمان وأربعين ومائة روى له مسلم وأصحاب السنن (لما قرب الحبيب من الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق تعالى بغاية اللطف وذلك قوله جل جلاله فاوحى) الله (الى عبده) محمد صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ملك ولاغيره على ماهو المنقول عن جعفر في الشفاء وغيره فالمراد بالوحي هنا الكلام وان كان أعم منه (ما أوحى) أي أمرا عظيما ففي ابهامه تفخيمه وتعظيمه كما أفاده قوله (أي كان ماكان وجرى ماجرى وقال الحبيب للحبيب ما يقول الحبيب للحبيب وألطف به الطاف الحبيب للحبيب فخفي السر ولم يطلع عليه أحد) لانه من أسرار المعارف التي لم يطلع عليها غيره (ولم يعلم أحد ما أوحى الا الذي أوحى) وهو الله سبحانه أي والموحى اليه محمد صلى الله عليه وسلم عليه أيضا ويحتمل قراءة أوحى بالبناء للمفعول أي أوحى اليه لكن فيه حذف نائب الفاعل الا أن يكون للعلم به من السياق (وقال غيره في قوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى أبهمه لعظمته فان الابهام قد يقع للتعظيم فهو مبهم لا يطلع عليه بل يتعبد بالايمان به) وهذا معنى كلام جعفر وان اختلف التعبير (وقيل هو مفسر بالاخبار الواردة قال سعيد بن جبير أوحى الله تعالى اليه صلى الله عليه وسلم ألم أجدك) استفهام تقرير (يتيما) بفقد أبيك قبل ولادتك أو بعدها (فآويتك) بضمك الى عمك أبي طالب واسكان محبتك في قلبه حتى كان يقدمك على أولاده (ألم أجدك ضالا) عما أنت عليه الآن من الشريعة كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان (فهديتك) اليها أو ضالا في بعض شعاب مكة فبينت لك الطريق ورددتك أو ناسيا فهديتك الى الذكر لان الضلال جاء بمعنى النسيان قال تعالى أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى وجمع بينهما في لا يضل ربي ولا ينسى لانه ثم بمعنى الخطا والغفلة (ألم أجدك عائلا) قليل المال (فاغنيتك) بما اقنعتك به من الغنائم وغيرها وفي الحديث ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس (ألم نشرح لك صدرك) بالنبوة وغيرها (ووضعنا) حططنا (عنك وزرك الذي أنقض) أثقل (ظهرك) وهذا كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وتقدم قريبا ويأتي للمصنف (ورفعنا لك ذكرك) بان تذكر مع ذكري في الاذان والاقامة والتشهد والخطبة وغيرها (وقيل أوحى الله تعالى اليه ان الجنة حرام) ممنوع دخولها (على الانبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها أمتك ذكره الثعلبي) الامام المفسر (والقشيري) العلم الشهير (وقيل أوحى الله تعالى اليه خصصتك بحوض الكوثر فكل أهل الجنة أضيافك بالماء ولهم الخمر واللبن والعسل ذكره القشيري وذكر أيضا انه أوحى اليه ما أوحى الى الرسل لقوله تعالى ما يقال لك) بناء على أن معناه ما يوحى اليك (الا ما قد قيل للرسل من قبلك) من الوحي وقيل معناه ما يقال لك من التكذيب (وقيل أوحى اليه الصلوات الخمس ذكره النقاش) وقيل ما في ما أوحى للعموم والمراد كل ما جاء به وفي الشفاء أكثر المفسرين على ان الموحي الله الى جبريل وجبريل الى محمد الا الشذوذ منهم جعفر الصادق قال أوحى اليه بلا واسطة ونحوه ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلمه ربه في الاسراء وحكى عن الاشعري وابن مسعود وابن عباس وأنكره آخرون انتهى (وفي رواية أبي سعيد الخدري عند البيهقي) وأبي هريرة عند ابن جرير والبزار وأبي يعلى والبيهقي (ان الله تعالى قال له

صلوات

الفطرة وأما الجهاد وما فيه من الحركات الكلية التي هي من أعظم أسباب القوة وحفظ الصحة وصلابة القلب والبدن ودفع فضلاتهما وزوال الهم والغم والحزن فامر انما يعرفه من له منه نصيب وكذلك الحج وفعل المناسك وكذلك المسابقة على الخيل وبالنصال والمشي في الحوائج والى الاخوان وقضاء حقوقهم وعيادة مرضاهم وتشييع جنائزهم والمشي الى المساجد للجمعات والجماعات وحركة الوضوء والاغتسال وغير ذلك وهذا أقل ما فيه الرياضة المعينة على حفظ الصحة ودفع الفضلات وأما ما شرع له من التوصل به الى خيرات الدنيا والآخرة ودفع شرورهما فامر وراء ذلك فعلمت ان هديه فوق كل هدي في طب الابدان والقلوب وحفظ صحتها ودفع أسقامهما ولا مزيد على ذلك لمن قد أحضر رشده وبالله التوفيق

(فصل) وأما الجماع والباه فكان هديه فيه أكمل هدي يحفظ به الصحة ويتم به اللذة وسرور النفس ويحصل به مقاصده التي وضع لاجلها فان الجماع وضع في الاصل لثلاثة أمور هي مقاصده الاصلية * أحدها حفظ النسل ودوام النوع الى أن تتكامل العدة التي قدر الله

صلوات الله وسلامه عليه) وفى رواية فرأى ربه سبحانه فخر صلى الله عليه وسلم ساجدا وكلمه ربه عند ذلك فقال يا محمد قال لبيك يا رب قال (سل) أصله اسأل فخفف وحذف المفعول للعموم أى كل ما تريد (فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا) صفيا خالص المحبة وفى رواية أبى يعلى ان الله قال له انى اتخذتك خليلا وروى ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعا ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فمنزلى ومنزل ابراهيم فى الجنة يوم القيامة تجاهين والعباس بيننا مؤمن بين خليلين (وآتيته ملكا عظيما) تقدم انه لا يعهد لابراهيم ملك عرفى فيجوز أن المراد قهره لعظماء الملوك كالنمرود فالقاهر أعظم من المقهور أو ملك النفس أو بالنسبة لذريته كيوسف وداود وسليمان (وكلمت موسى) بلا واسطة (تكليما) أكده لافادة انه حقيقى فلا عبرة بانكار بعض المعتزلة (وأعطيت داود ملكا عظيما) فجعلته خليفتك فى الارض (وألنت له الحديد) فكان فى يده كالعجين يتخذ منه الدروع (وسخرت له الجبال) تسبح معه بالعشى والاشراق (وأعطيت سليمان ملكا عظيما) اذ ملكته الدنيا باسرها (وسخرت له الانس) جندا ورعايا لا يعصونه فى شئ (والجن) فكانوا يخدمونه فى بنائه وفى غيره فبنت له بيت المقدس بالرخام المزخرف بناء عاليا حتى كان يضئ فى الليلة المظلمة ولم يزل كذلك حتى خربه بختنصر ونقل ما فيه لمملكته بالعراق (والشياطين) وهم مردة الجن فهو عطف خاص على عام فكانوا يغوصون البحار ويستخرجون له الدر والجواهر ويعملون له ما يريد (وسخرت له الرياح) تجرى بامره رخاء حيث أصاب وتحمل كرسيه وبساطه مسيرة شهر غدوا ومسيرة شهر رواحا (وأعطيته ملكا لا ينبغى) لا يكون (لاحد من بعده) كما سأل فملك ما فوق الارض وما تحتها (وعلمت عيسى) وهو صغير (التوراة والانجيل) الذى أنزل عليه ولا احكام فيه انما هو حكم وحقائق التوحيد وقيل فيه أحكام قليلة بالنسبة للتوراة فلذا حفظها وعمل بها (وجعلته يبرئ الاكمه) الذى ولد أعمى (والابرص) بياض لون البدن وصيرورته قبيحا من علة مزمنة لا يتيسر علاجها وخصهما لانهما داآ اعياء (ويحيى الموتى باذنك) فاحيا جماعة كثيرة (وأعذته) حفظته وأجرته (وأمه من الشيطان الرجيم) المطرود اللعين (فلم يكن له عليهما سبيل) طريق (فقال له ربه) جوابا المعنى كلامه ان المقامات العلية سبق لها السابقون من الرسل (قد اتخذتك حبيبا) هذا فى مقابلة الخلة والمحبة أعظم وفى رواية أبى يعلى انه تعالى قال له اتخذتك خليلا فجمع بين الصفتين ولم يذكر ما يقابل ما بعده لعلمه اذ هو لم يرض الملك لما عرض عليه والكلام وقع له كما وقع لموسى والقرآن أعظم من التوراة والانجيل وابراء الاكمه والابرص وقع للمصطفى نظيره كردعين قتادة وبرء كثير من الامراض بمس يده وأعيذ من الشيطان حتى أن قرينه آمن به ووقع له احياء الموتى وما هو أغرب منه كما تقدم بسط ذلك كله فى المعجزات (فهو مكتوب فى التوراة محمد حبيب الرحمن) هذا من كلام الراوى أبى سعيد أو غيره استشهادا وتقوية للحديث وفى سبعيات الهمدانى ثبت فى الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال هممت ليلة المعراج أن أخلع نعلى فسمعت النداء من قبل الله يا محمد لا تخلع نعليك لتشرف السماء بهما فقلت يا رب انك قلت لموسى اخلع نعليك انك بالوادى المقدس فقال يا أبا القاسم ادن منى لست عندى كموسى فانه كليمى وأنت حبيبى انتهى وتعقب بان هذا باطل لم يذكر فى شئ من الاحاديث بعد الاستقراء التام ويأتى له مزيد (وأرسلتك الى الناس كافة) جامعا فى الانذار والابلاغ من الكف بمعنى الجمع ومنه كف الثوب وهو جمعه بالخياطة والهاء للمبالغة كعلامة وقيل معناه مانعا ورادعا عن الكفر وسائر المعاصى من الكف بمعنى المنع والهاء للمبالغة أيضا والنصب على الوجهين حال من المفعول فى أرسلتك أو على انه مفعول مطلق لارسلتك أى ارسالة كافة أى عامة كفتهم عن الخروج منها فكأنه صفة مصدر (بشيرا) للمؤمنين والمتقين (ونذيرا)

الوطر وتنيل اللذة والتمتع بالنعمة وهذه وحدها هى الفائدة التى فى الجنة اذ لا تناسل هنالك ولا احتقان يستفرغه الانزال وفضلاء الاطباء يرون ان الجماع من أحد أسباب حفظ الصحة قال جالينوس الغالب على جوهر المنى النار والهواء ومزاجه حار رطب لان كونه من الدم الصافى الذى تغتذى به الاعضاء الاصلية واذا ثبت فضل المنى فاعلم انه لا ينبغى اخراجه الا فى طلب النسل أو اخراج المحتقن منه فانه اذا دام احتقانه أحدث أمراضا رديئة منها الوسواس والجنون والصرع وغير ذلك وقد يبرئ استعماله من هذه الامراض كثيرا فانه اذا طال احتباسه فسد واستحال الى كيفية سمية توجب أمراضا رديئة كما ذكرنا ولذلك تدفعه الطبيعة اذا كثر عندها من غير جماع وقال بعض السلف ينبغى للرجل ان يتعاهد من نفسه ثلاثا ينبغى ان لا يدع المشى فان احتاج اليه يوما قدر عليه وينبغى ان لا يدع الاكل فان أمعاءه تضيق وينبغى ان لا يدع الجماع فان البئر اذا لم ينزح ذهب ماؤها وقال محمد بن زكريا من ترك الجماع مدة طويلة

للكافرين والعاصين (وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا أذكر الا وتذكر معي) أي كثيرا أو عادة أو في مواطن معلومة كالاذان والاقامة والتشهد والاسلام والخطبة وغير ذلك وبهذا دفع ايراد أن الشهادة الثانية قد لا تذكر وهذا بيان لرفع ذكره ولا أرفع من ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول لك تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله أعلم قال لا أذكر الا ذكرت معي رواه أبو يعلى والطبراني وصححه ابن حبان والضياء من حديث أبي سعيد فقد خاطبه بذلك بعد ارساله جبريل له به قبل ذلك على مدلول الحديثين زيادة في التعظيم والاكرام (وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس) فيه تبشيره بذلك قبل انزاله عليه لان الاسراء بمكة والسورة مدنية (وجعلت أمتك أمة وسطا) خيارا عدولا (وجعلت أمتك هم الاولون) في القيام من القبور والقضاء ودخول الجنة (والآخرون) في الوجود والمنة بهذا عليه لما تضمنه من كثرتهم وقلة مكثهم في القبور وعدم نسخ شريعته وروى الخطيب عن أنس مرفوعا لما أسري بي الى السماء قربني ربي حتى كان بيني وبينه كقاب قوسين أو أدنى وعلمني المسميات قال يا محمد قلت لبيك قال هل غمك أن جعلتك آخر النبيين قلت يا رب لا قال هل غم أمتك أني جعلتهم آخر الامم قلت يا رب لا قال فاقرأ أمتك مني السلام وأخبرهم اني جعلتهم آخر الامم لافضح الامم عندهم ولا أفضحهم (وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة) أي لا يعتد بها اعتدادا كاملا (حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي) أي يأتوا بكلمتي الشهادة لحديث كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء أي ناقصة لا بركة فيها وبالتقييد بكاملا اندفع ما قيل مقتضاه أن التشهد في الخطبة ركن أو شرط ولم يقل به أحد من الفقهاء وتعسف الجواب بان المعنى لا يصح الاخطبة المسلم المصدق بك والامة أمة الدعوة أو النسخ اذ لا يثبت بالاحتمال على أن الشافعي وغيره اشترطوا في الخطبة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي تتضمن الشهادة بذلك فدعوى الاجماع غير مسموعة (وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم) أي يحفظون الكتاب المجيد ويتلونه حفظا والاناجيل جمع انجيل وهو اسم كتاب الله المنزل على عيسى (وجعلتك أول النبيين خلقا) لانه خلق روحه قبل الارواح وخلق الارواح ونبأه قبلهم في عالم الارواح فهو أولهم خلقا ونبوة (وآخرهم بعثا) ارسالا (وأولهم يقضى له) قبل الناس (وأعطيتك سبعا من المثاني) الفاتحة لانها تثنى وتكرر في كل ركعة أو غيرها تقدم بسطه (لم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك الكوثر) نهر في الجنة كما في مسلم مرفوعا (وأعطيتك خواتيم سورة البقرة) من آمن الرسول (من كنز تحت العرش) قال الحافظ العراقي معناه انها ادخرت له وكنزت كما قال (لم أعطها نبيا قبلك) وكثير من آي القرآن منزل في الكتب السابقة باللفظ أو المعنى وان كان في القرآن أيضا ما لم يؤت غيره لكن في هذه خصوصية لهذه الامة وهي موضع الاصر الذي كان على من قبلها قال التوربشتي ليس يعني بقوله أعطى انها أنزلت عليه بل المعنى انه استجيب له فيما لقن من الآيتين من قوله غفرانك ربنا الى آخر السورة ولمن يقوم بحقهما من السائلين قال الطيبي وفي كلامه اشعار بان الاعطاء بعد الانزال لان المراد منه الاستجابة وهي مسبوقة بالطلب والسورة مدنية والمعراج كان بمكة قال ويمكن أن يقال هذا من قبيل وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وانما أوثر الاعطاء لتعبيره بكنز (وأعطيتك ثمانية أسهم الاسلام) وصفا لامتك دون الامم ومر أن هذا أرجح القولين (والهجرة والجهاد) وما فيه من الغنائم (والصلاة) أي مجموع الصلوات الخمس (والصدقة) الزكاة (وصوم رمضان) وفيه حجة لاحد القولين في اختصاصه بالامة المحمدية (والامر بالمعروف والنهي عن المنكر) لك بلا شرط ولامتك بالشروط المعلومة (وجعلتك فاتحا) لكل خير (وخاتما) للنبيين (وفي اسناده أبو جعفر الرازي) التيمي مولاهم مشهور بكنيته واسمه عيسى

ضعفت قوى أعصابه واسئد مجاريها وتقاص ذكره قال ورأيت جماعة تركوه لنوع من التنشيف فبردت أبدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم كآبة بلا سبب وقلت شهواتهم وهضمهم انتهى ومن منافعه غض البصر وكف النفس والقدرة على العفة عن الحرام وتحصيل ذلك للمرأة فهو ينفع نفسه في دنياه وأخراه وينفع المرأة ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يتعاهده ويحبه ويقول حبب الي من دنياكم النساء والطيب وفي كتاب الزهد للامام أحمد في هذا الحديث زيادة لطيفة وهي أصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن وحث على التزويج أمته فقال تزوجوا فاني مكاثر بكم الامم وقال ابن عباس خير هذه الامة أكثرها نساء وقال اني أتزوج النساء وآكل اللحم وأنام وأقوم وأصوم وأفطر فمن رغب عن سنتي فليس مني وقال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحفظ للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء ولما تزوج جابر ثيبا قال له هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وروى ابن ماجه في سننه من حديث أنس بن مالك

ابن

ابن عبد الله بن ماهان وأصله من مرو وكان يتجر الى الرى مات فى حدود الستين ومائة روى له أصحاب السنن (ضعفه بعضهم وقال أبو زرعة) الرازى (متهم وقال ابن كثير الاظهرى انه سيئ الحفظ) وليس بمتهم وبه جزم الحافظ فقال صدوق سيئ الحفظ خصوصا عن مغيرة (وذكر الفخر الرازى عن والده قال سمعت أبا القاسم سليمان الانصارى يقول لما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة فى المعراج أوحى الله تعالى اليه يا محمد بم) يكون (شرفك) الذى تريده (قال يارب بنسبتى اليك بالعبودية فأنزل الله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده) لانه ليس للمؤمن صفة أتم ولا أشرف من العبودية ولذا أطلقه الله على نبيه فى أشرف المواطن كقوله أسرى بعبده الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب تبارك الذى نزل الفرقان على عبده فأوحى الى عبده قاله أبو على الدقاق قال الطوسى وسبب ذلك ان الالهية والسيادة والربوبية انما هى فى الحقيقة لله لا لغيره والرتب الحقيقية أشرف المراتب اذ ليس بعدها الا المجاز قال بعض وبهذا يخرج الجواب عن وصف يحيى بالسيادة (فسماه تعالى بهذا لتحققه صلى الله عليه وسلم بالاسم الاعظم واتصافه بجميع صفاته فلا يصلح هذا الاسم بالحقيقة الا له عليه الصلاة والسلام وللاقطاب من بعده بتبعيته لا بالحقيقة وان أطلق على غيره مجازا) لان حقيقة العبد عند القوم القائم الى أوامر سيده على حد النشاط حيث جعله محل أمره قاله أبو حفص النيسابورى وقال ابن عطاء والذى لا مالك له وقيل هو الذى يتخلق بأخلاق ربه وقيل غير ذلك مما هو متقارب المعنى مختلف اللفظ وكل تكلم بلسان حاله على قدر مقامه (ورحم الله الاديب برهان الدين) ابراهيم بن شرف الدين بن عبد الله بن محمد (القيراطى) البارع المتفنن ولد فى صفر سنة ست وعشرين وسبعمائة ولازم علماء عصره وبرع فى الفنون ودرس بعدة أماكن وفاق فى النظم وله ديوان مشهور مات بمكة سنة احدى وثمانين وسبعمائة (فلقد أجاد حيث قال

ودعتنى بالعبد يوما فقالوا * قد دعته بأشرف الاسماء)

وقد أخذ قول القائل يا قوم قلبى عند زهراء * يعرفه السامع والرائى

لا تدعنى الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائى

أنشده الاستاذ أبو القاسم القشيرى (ولبعض الاشارات) من محققى الصوفية الذين يستخرجون من النصوص معانى كأنها منطوق بها بحسب أفهامهم وأحوالهم كأن الله تعالى قال له محمد) بحذف ياء النداء لانها للبعيد وهو قد حصل له غاية القرب (انى أعطيتك نورا) قوة فى بصرك شديدة زائدة على المعتاد (تنظر به جمالى) اذ لو لم أعطك ذلك ما قدرت على نظره (وسمعا) زائدا على سمعك (تسمع به كلامى) فلولاه ما سمعت ثم لما ثبت وتحقق له القرب المعنوى ذكر ياء النداء على الاصل فقال (يا محمد انى أعرفك بلسان الحال معنى عز وجل الى يا محمد) وذلك لانى (أرسلتك الى الناس شاهدا ومبشرا ونذيرا والشاهد مطالب بحقيقة ما يشهد به) كما قال صلى الله عليه وسلم على مثل الشمس فاشهد أو فدع رواه الحاكم والبيهقى (فأريتك جنتى لتشهد ما أعددت فيها لاوليائى) المؤمنين (وأريتك نارى لتشهد ما أعددت فيها لاعدائى) الكافرين اذ ليس الخبر كالعيان وفى التنزيل عن ابراهيم بلى ولكن ليطمئن قلبى (ثم أشهدتك جلالى) عظمتى (وأكشف لك عن جمالى لتعلم انى منزه فى جمالى) وجلالى (عن الشبيه والنظير والوزير) المعين (والمشير فرآه صلى الله عليه وسلم بالنور الذى قواه من غير ادراك ولا احاطة) عطف تفسير كما فسر به قوله تعالى لا تدركه الابصار أى لا تحيط به (فردا صمدا) مقصودا فى الحوائج على الدوام أو لا جوف له كما فى الطبرانى عن بريدة وقاله كثير من المفسرين وكأنه بمعنى المصمود وقال الشعبى لا يأكل ولا يشرب ونظر فيهما ابن عطية بأن الجسم فى غاية البعد عن صفات الله فالذى

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد أن يلقى الله طاهرا مطهرا فليتزوج الحرائر وفى سننه أيضا من حديث ابن عباس يرفعه قال لم ير للمتحابين مثل النكاح وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة وكان صلى الله عليه وسلم يحرض أمته على نكاح الابكار الحسان وذوات الدين وفى سنن النسائى عن أبى هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى النساء خير قال التى تسره اذا نظر وتطيعه اذا أمر ولا تخالفه فيما يكره فى نفسها وماله وفى الصحيحين عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تنكح المرأة لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك وكان يحث على نكاح الولود ويكره المرأة التى لا تلد كما فى سنن أبى داود عن معقل ابن يسار أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى أصبت امرأة ذات حسب وجمال وانها لا تلد أفأتزوجها قال لا ثم أتاه الثانية فنهاه ثم أتاه الثالثة فقال تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم وفى الترمذى عنه مرفوعا أربع من سنن المرسلين النكاح

يعطينا هذه العبارات (لا في شئ) يحويه أي مكان (ولا من شئ) متولدا (ولا قائما بشئ) بعينه (ولا على شئ ولا مفتقر الى شئ) لانه خالق كل شئ (ليس كمثله شئ) الكاف زائدة لانه تعالى لا مثل له (فلما كلمه شفاها) اى بلا واسطة (وشاهده كفاحا) بكسر الكاف أي مواجهة أي بلا حائل (فقال يا محمد لابد) لا فراق ولا محالة (لهذه الخلوة من سر لا يذاع) لا ينتشر ولا يظهر (ورمز) اشارة (لا يشاع) لا يظهر فمعناهما واحد حسنه اختلاف اللفظ لرعاية السجع (فاوحى الى عبده ما أوحى فكان سرا من سر لم يقف عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل و أنشد لسان الحال

بين المحبين سر ليس يفشيه * قول ولا قلم في الكون يحكيه)

يقال فشا الشئ فشوا وفشوا ظهر وانتشر وافشيته بالالف

(سر يمازجه أنس يقابله * نور تحير في بحر من التيه

ولما انتهى الى العرش تمسك العرش باذياله) جمع ذيل كذبول قال في سبل الرشاد لم يرد في أحاديث المعراج الثابتة أنه صلى الله عليه وسلم عرج به الى العرش فقول ابن المنير انه عرج به اليه ليس على ما ينبغي وقد سئل الامام رضى الدين القزويني عن وطء النبي صلى الله عليه وسلم العرش بنعله وقول الرب جل جلاله لقد شرف العرش بنعلك يا محمد هل ثبت أم لا فاجاب أما حديث وطء النبي صلى الله عليه وسلم العرش بنعله فليس بصحيح ولا ثابت بل وصوله الى ذروة العرش لم يثبت في خبر صحيح ولا حسن ولا ثابت أصلا وانما صح في الاخبار انتهاؤه الى سدرة المنتهى فحسب وأما الى ما وراءها فانما ورد ذلك في أخبار ضعيفة ومنكرة لا يعرج عليها اه قال بعض المحدثين قاتل الله من وضع أنه رقى العرش بنعله ما أعدم حياءه وما أجرأه على سيد المتأدبين ورأس العارفين صلى الله عليه وسلم قال وجواب الرضى القزويني هو الصواب فقد وردت قصة الاسراء والمعراج مطولة ومختصرة عن نحو أربعين صحابيا وليس في حديث احدمنهم انه صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة في رجليه نعل وانما وقع ذلك في نظم بعض قصاص جهلة ولم يذكر العرش بل قال وأتى البساط فهم بخلع نعله فنودي لا تخلع وهذا باطل لم يذكر في شئ من الاحاديث بعد الاستقراء التام ولم يرد في حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف انه جاوز سدرة المنتهى بل ذكر فيها أنه انتهى الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام فقط ومن ذكر أنه جاوز ذلك فعليه البيان وأنى له به ولم يرد في خبر ثابت ولا ضعيف أنه رقى العرش وافتراء بعضهم لا يلتفت اليه ولا أعلم خبرا ورد فيه أنه رأى العرش الا ما رواه ابن أبي الدنيا عن أبي المخارق انه صلى الله عليه وسلم قال مررت ليلة أسري بي برجل مغيب في نور العرش فقلت من هذا الملك قيل لا قلت نبي قيل لا قلت من هو قيل هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطب من ذكر الله ولم يستسب لوالديه قط وهو خبر مرسل لا تقوم به الحجة في هذا الباب انتهى أي لان المرسل ضعيف عند جماهير النقاد للجهل بالساقط في الاسناد مع ان أبا المخارق مجهول لكن دعواه انه لم يرد انه جاوز سدرة المنتهى في حديث ضعيف ولا حسن ولا صحيح فيها نظر فقد أخرج ابن أبي حاتم عن أنس انه صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى سدرة المنتهى غشيته سحابة فيها من كل لون فتأخر جبريل والقزويني الذي صوب هذا المحدث كلامه قد اعترف بورود هذا بقوله واما الى ما وراءها فانما ورد في أخبار ضعيفة ومنكرة (وناداه بلسان حاله) قصره عليه ليس لامتناع كونه بلسان القال لانه جماد وقد عهد نطقه كتسبيح الحصا وغيره بل لانه لم يرد في حديث نطقه بقوله (يا محمد أنت) كائن (في صفاء) أي خالص (وقتك) حال كونك (آمنا) فهو حال من الضمير في الخبر المحذوف وهذا أولى من جعله حالا من المبتدا لضعفه بخلاف الخبر فالراجح جوازه (من مقتك) مصدر مضاف لمفعوله أي من وصول مقت

الختان وسقطت النون من الحاشية وكذلك رواه المحاملي عن شيخ أبي عيسى الترمذي ومما ينبغي تقديمه على الجماع ملاعبة المرأة وتقبيلها ومص لسانها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلاعب أهله ويقبلها وروى أبو داود في سننه انه صلى الله عليه وسلم كان يقبل عائشة ويمص لسانها ويذكر عن جابر بن عبد الله قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المواقعة قبل الملاعبة وكان صلى الله عليه وسلم ربما جامع نساءه كلهن بغسل واحد وربما اغتسل عند كل واحدة منهن فروى مسلم في صحيحه عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه بغسل واحد وروى أبو داود في سننه عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه في ليلة فاغتسل عند كل امرأة منهن غسلا فقلت يا رسول الله لو اغتسلت غسلا واحدا فقال هذا

الّيك والمراد من جميع المشوشات (أشهد لك جمال أحديته) أي أحديته الجميلة وهي تنزهه عن الجسمية
والتعدد والتحيز قال البيضاوي الاحد يدل على مجامع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه
الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة
وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية (وأطلعك على جلال
صمديته) أي سيديته واحتياج غيره اليه وقصدهم اليه قال البيضاوي الصمد السيد المصمود اليه في
الحوائج من صمد اذا قصد وهو المقصود على الاطلاق فانه مستغن عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج
اليه في جميع جهاته (وانا الظمآن) أي المشتاق (اليه) فهو مجاز من اطلاق الملزوم على لازمه فالظما
بالهمز العطش وزنا ومعنى ويلزمه الاشتياق للماء (اللهفان) المتحسر (عليه المتحير فيه لا أدري من أي
وجه) أي طريق (آتيه جعلني أعظم خلقه) من حيث الجسم قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده ما السموات السبع والارضون السبع عند الكرسي الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وان فضل
العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة رواه ابن مردويه وابن أبي شيبة عن أبي ذر وروى
ابن جرير عنه رفعه ما السموات السبع في الكرسي الا كدراهم سبعة ألقيت في ترس وما الكرسي في
العرش الا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الارض وهذا نص صريح في ان الكرسي غير
العرش وما روي عن الحسن البصري ان الكرسي هو العرش فضعيف لا يصح عنه والصحيح عنه
وعن غيره من الصحابة والتابعين انه غيره (فكنت أعظمهم منه هيبة) أي أعظم الخلق الذي أشابههم
ويشبهوني كالكرسي واللوح والقلم لا الانبياء والملائكة كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم
بالله وأشدكم له خشية (وأكثرهم فيه حيرة) مصدر حار من باب تعب لم يدر وجه الصواب قال الازهري
وأصله ان ينظر الانسان الى شيء فيغشاه ضوؤه فيصرف بصره عنه (وأشدهم منه خوفا يا محمد فخلقني
فكنت أرعد) بضم العين وفتحها قال المجد رعد كمنع ونصر اضطرب (لهيبة جلاله فكتب على قائمتي
لا اله الا الله فازددت لهيبة اسمه ارتعادا وارتعاشا) عطف تفسير قال المجد رعش كفرح ومنع أخذته
الرعدة (فكتب محمد رسول الله فسكن لذلك قلقي) اضطرابي (وهدأ) سكن (روعي) فزعي روى
الحاكم وصححه عن ابن عباس ان الله أوحى الى عيسى لقد خلقت العرش على الماء فاضطرب
فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن موقوف حكمه الرفع اذ لا يقال رأيا (فكان اسمك
لقاحا) كذا في نسخ بلام قبل القاف أي كمالا (لقلبي) لان الناقة لا تلقح حتى تكمل فكذا العرش لم
يكمل حتى كتب عليه محمد رسول الله وبهذا سقط اعتراض بعضهم بانه لا معنى للقاح هنا لانه من
لقحت الناقة حملت فما كان ينبغي لهذا الصوفي الا بداله بنحو شفاء وفي نسخ نفاحا بنون ثم فاء أي
رائحة من نفحت الريح هبت فكأن هبوبها بريحها ما تتصل به كذلك اسمه صلى الله عليه وسلم لما ظهر
أشبه هبوب المريحة للاجسام الواصلة اليها (وطمانينة) اسم من اطمان القلب سكن ولم يقلق
(لسري) أي جوفي قال المجد في معاني السر وجوف كل شيء ولبه (فهذه بركة كتابة اسمك علي
فكيف اذا وقع جميل نظرك علي يا محمد أنت المرسل رحمة للعالمين) وأنا من جملتهم (ولا بد لي من
نصيب من هذه الرحمة) لعمومها (ونصيبي يا حبيبي ان تشهد لي بالبراءة مما نسبه أهل الزور الي) أي
الكذب قال تعالى والذين لا يشهدون الزور (وتقوله أهل الغرور) أي ادعوا (علي) ما لا حقيقة
له وبينه بقوله (زعموا اني أسع من لا مثل) لا شبيه (له وأحيط بمن لا كيفية له يا محمد من لا حد لذاته
ولا عد لصفاته كيف يكون مفتقرا الي ومحمولا علي) لا يتأتى ذلك ولا يكون (اذا كان الرحمن اسمه
والاستواء صفته) كما قال الرحمن على العرش استوى (وصفته متصلة بذاته فكيف يتصل بي

فليتوضأ وضوءا وفي الغسل والوضوء بعد الوطء من النشاط وطيب النفس واخلاف بعض ما تحلل بالجماع وكمال الطهر والنظافة واجتماع الحار الغريزي الى داخل البدن بعد انتشاره بالجماع وحصول النظافة التي يحبها الله ويبغض خلافها ما هو من أحسن التدبير في الجماع وحفظ الصحة والقوى فيه

(فصل) وأنفع الجماع ما حصل بعد الهضم وعند اعتدال البدن في حره وبرده ويبوسته ورطوبته وخلائه وامتلائه وضرره عند امتلاء البدن أسهل وأقل من ضرره عند خلوه وكذلك ضرره عند كثرة الرطوبة أقل منه عند اليبوسة وعند حرارته أقل منه عند برودته وانما ينبغي ان يجامع اذا اشتدت الشهوات وحصل الانتشار التام الذي ليس عن تكلف ولا فكر في صورة ولا نظر متتابع ولا ينبغي ان يستدعي شهوة الجماع ويتكلفها ويحمل نفسه عليها وليبادر اليه اذا هاجت به كثرة المني واشتد شبقه وليحذر
جماع العجوز والصغيرة التي لا يوطأ مثلها والتي لا شهوة لها والمريضة والقبيحة المنظر والبغيضة فوطء هؤلاء يوهن القوى

أو ينفصل عني) فانما الاستواء صفة لا تفسر اذ لا يعلمها الا هو أو تفسر بالاستيلاء كقوله
* قد استوى بشر على العراق * أو بغيره فيه المذهبان الشهيران (يا محمد وعزته لست بالقريب منه وصلا) أي لا أتصل به (ولا بالبعيد عنه فصلا) بل أنا من جملة مخلوقاته (ولا بالمطيق له حملا أو جدني منه) متعلق بقوله (رحمة) مقدم عليه لاجل السجع (وفضلا) علي وعلى عباده حيث جعلني سقف المخلوقات (ولو محقني) أذهبني كلي حتى لا يرى لي أثر كقوله يمحق الله الربا (لكان حقا منه وعدلا) اذ لا حجر على المالك الحقيقي فيما يفعل بملكه (يا محمد أنا محمول قدرته) فكيف أحمله (ومعمول حكمته فاجاب لسان حال سيدي زاده الله فضلا وشرفا لديه) عنده (و واصل صلاته وسلامه عليه أيها العرش اليك عني أنا مشغول عنك فلا تكدر)
(على صفوتي) مثلث الصاد أي خالص ما أنا فيه من اشتغالي بالحضرة العلية (ولا تشوش على خلوتي) بشين معجمة أوله أي تخلط على قاله الفارابي وتبعه الجوهري وقال بعض الحذاق هي كلمة مولدة والصحيح هوش بالهاء أوله وقال ابن الانباري قال أئمة اللغة انما يقال هوشت وتبعه الازهري وغيره وقالوا شوش خطا (فما أعاره صلى الله عليه وسلم منه طرفا) نظرا (ولا اقرأه من مسطور ما أوحى اليه حرفا ما زاغ البصر وما طغى) استدلال لقوله فما أعاره منه طرفا (وقد ورد في بعض أخبار الاسراء) والمعراج (مما ذكره العلامة) محمد (بن مرزوق في شرحه لبردة المديح أنه صلى الله عليه وسلم لما كان من ربه) كما قال صلى الله عليه وسلم في رواية شريك ودنا الجبار فتدلى فكان (قاب قوسين أو أدنى) فليس فاعل قال عائدا على الله فلا يخالف ما مر له أن المراد في الآية جبريل على الصحيح (قال اللهم انك عذبت الامم بعضهم) بدل (بالحجارة) كقوم لوط (وبعضهم بالخسف) كقارون (وبعضهم بالمسخ) كطائفة من بني اسرائيل (فما أنت فاعل بامتي قال) تعالى (أنزل عليهم الرحمة وأبدل سيئاتهم حسنات) أي يجعل في الآخرة مكان السيئة حسنة قال صلى الله عليه وسلم اني لاعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فيعرض الله عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع ان ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له ان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يا رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا قال أبو ذر فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه رواه مسلم وغيره (ومن دعاني) ناداني بنحو يا الله (منهم لبيته) أجبته بلبيك (ومن سألني أعطيته) ما سأل أو نظيره فورا أو بعد مدة سبق في علمه تأخيرا لاعطاء اليها لحكمة اقتضت ذلك أو تدخر له دعوته في الآخرة فيجازى عليها (ومن توكل علي كفيته) وفي التنزيل ومن يتوكل على الله فهو حسبه (وفي الدنيا أستر على العصاة وفي الآخرة أشفعك فيهم ولولا أن الحبيب يحب معاتبة حبيبه) أي ملاطفته بالكلام (لما حاسبت أمتك) وقال الخليل حقيقة العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة (ولما أراد صلى الله عليه وسلم الانصراف قال يا رب ان لكل قادم من سفره تحفة) بزنة رطبة وحكى سكون الحاء عما اتحفت به غيرك (فما تحفة أمتي) التي أتحفهم بها في قدومي (قال الله تعالى أنا لهم ما عاشوا) في الدنيا بالحفظ والنصر وتيسيرهم لصالح الاعمال وغير ذلك وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها (وأنا لهم اذا ماتوا) أي وقت نزع أرواحهم بطرد الشياطين عنهم وتوفيهم على الاسلام وغير ذلك (وأنا

وتضعف الجماع بالخاصية وغلط من قال من الاطباء ان جماع الثيب أنفع من جماع البكر واحفظ للصحة وهذا من القياس الفاسد حتى ربما حذر منه بعضهم وهو مخالف لما عليه عقلاء الناس ولما اتفقت عليه الطبيعة والشريعة وفي جماع البكر من الخاصية وكمال التعلق بينها وبين مجامعها وامتلاء قلبها من محبته وعدم تقسيم هواها بينه وبين غيره ما ليس للثيب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر هلا تزوجت بكرا وقد جعل الله سبحانه من كمال نساء أهل الجنة من الحور العين انهن لم يطمثهن أحد قبل من جعلن له من أهل الجنة وقالت عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم أرأيت لو مررت بشجرة قد ارتع فيها وشجرة لم يرتع فيها ففي أيهما كنت ترتع بعيرك قال في التي لم يرتع فيها تريد أنه لم يأخذ بكرا غيرها وجماع المرأة المحبوبة في النفس يقل أضعافه للبدن مع كثرة استفراغه للمني وجماع البغيضة يحل البدن ويوهن القوى مع قلة استفراغه وجماع الحائض حرام طبعا وشرعا فانه مضر جدا والاطباء قاطبة تحذر منه وأحسن أشكال الجماع أن يعلو الرجل المرأة مستفرشا لها بعد الملاعبة والقبلة وبهذا سميت

لهم في القبور) بجعلها روضة من رياض الجنة وتثبيتهم لسؤال الملكين وغير ذلك (وأنا لهم في النشور) يوم القيامة بجعل الفزع الاكبر لا يحزنهم وجعلهم على مكان عال وغرا محجلين من آثار الوضوء وغير ذلك حتى يدخلهم الجنة قبل الامم (نسأل الله الوفاة على الاسلام) والايمان بلا محنة (واعلم أنه قد اختلف العلماء قديما وحديثا في رؤيته صلى الله عليه وسلم ربه تعالى ليلة الاسراء) وعلى انه رآه هل بعيني رأسه أو بقلبه أو مرة بالبصر وأخرى بالقلب وثالثها الوقف هذا حاصل ما ذكره (فروى البخاري في التفسير تاما) وفي التوحيد مقطعا ومسلم في الايمان والترمذي والنسائي في التفسير (من حديث مسروق) بن الاجدع بن مالك الهمذاني الوادعي الكوفي ثقة فقيه عابد مخضرم روى له الائمة مات سنة اثنتين ويقال سنة ثلاث وستين وله ثلاث وستون سنة (قال قلت لعائشة) رضي الله عنها وفي رواية عبد الرزاق وابن حميد والترمذي وغيرهم عن مسروق قال لقي ابن عباس كعبا بعرفة فسأله عن شئ فقال ابن عباس انا بني هاشم نزعم وفي لفظ نقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين قال مسروق فدخلت على عائشة فقلت (يا أمتاه) بضم الهمز وشد الميم فوقية فالف فهاء ساكنة قال في الفتح والاصل يا أمه والهاء للسكت فاضيف اليها ألف الاستغاثة فابدلت تاء ثم زيدت هاء السكت بعد الالف وقال الخطابي اذا نادوا قالوا يا أمه بهاء السكت وعند الوصل يا أمت فاذا تفجعوا للندبة قالوا يا أمتاه والهاء للسكت وتعقبه الكرماني بان قول مسروق ليس للندبة اذ ليس هو متفجعا عليها قال الحافظ وهو كما قال (هل رأى محمد ربه) ليلة الاسراء (فقالت لقد قف) بفتح القاف وشد الفاء قام (شعري مما قلت) ولابي ذر مما قلته بالضمير (أين أنت من ثلاث) أي كيف يغيب فهمك عنها وكان ينبغي أن تكون مستحضرها ومعتقدا كذب من يدعي وقوعها (من حدثكهن فقد كذب) في حديثه (من حدثك أن محمدا رأى ربه) ليلة المعراج (فقد كذب ثم قرأت) مستدلة لذلك بطريق الاستنباط (لا تدركه الابصار) أي لا تراه (وهو يدرك الابصار) أي يراها ولا تراه ولا يجوز في غيره أن يدرك البصر وهو لا يدركه أي يحيط بها علما (وهو اللطيف) باوليائه (الخبير) بهم وقرأت مستدلة أيضا (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا) أن يوحي اليه (وحيا) في المنام أو بالهام (أومن وراء حجاب) بان يسمعه كلامه ولا يراه كما وقع لموسى عليه السلام وأجيب بان هذه الآية لا تدل على نفي الرؤية مطلقا بل على ان البشر لا يرى الله في حال التكلم فنفي الرؤية مقيد بهذه الحالة دون غيرها وبانه عام مخصوص بما تقدم وبان المراد بالوحي الكلام بلا واسطة والقول وان كان محتملا لكن الجمهور على ان المراد بالوحي هنا الالهام والرؤيا في المنام وكلاهما يسمى وحيا وأما قوله تعالى أومن وراء حجاب فقال الواحدي وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه تعالى من حيث لا يرونه وليس المراد ان يكون هناك حجاب يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم (ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت وما تدري نفس ماذا تكسب) أي تعمل (غدا) من خير أو شر ويعلمه الله وفي رواية مسلم فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله (ومن حدثك انه كتم) شيئا مما أمر بتبليغه ولابي ذر أنه قد كتم (فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) جميعه ولا تكتم منه شيئا خوفا أن تنال بمكروه (وان لم تفعل) أي لم تبلغ جميع ما أنزل اليك (فما بلغت رسالته) بالافراد والجمع لان كتمان بعضها كتمان كلها زاد مسلم في رواية ولو كان محمد كاتما شيئا مما أنزل عليه لكتم هذه الآية واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس

الرجال قوامون على النساء وكما قيل
اذا رمتها كانت فراشا يقلني
وعند فراغي خادم يتملق
وقد قال تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن وأكمل اللباس وأسبغه على هذه الحال فان فراش الرجل لباس له وكذلك لحاف المرأة لباس لها فهذا الشكل الفاضل ماخوذ من هذه الآية وبه يحسن موقع استعارة اللباس من كل من الزوجين للآخر وفيه وجه آخر وهو انها تنعطف عليه أحيانا فتكون عليه كاللباس قال الشاعر
اذا ما الضجيع ثنى عطفه
تثنت فكانت عليه لباسا
وأردأ أشكاله أن تعلوه المرأة ويجامعها على ظهره وهو خلاف الشكل الطبيعي الذي طبع الله عليه الرجل والمرأة بل نوع الذكر والانثى وفيه من المفاسد ان المني يتعسر خروجه كله فربما بقي في العضو منه بقية فيتعفن ويفسد فيضر

وأيضا فربما سال الى الذكر رطوبات من الفرج وأيضا فان الرحم لا يتمكن من الاشتمال على الماء واجتماعه فيه وانضمامه عليه

والله أحق أن تخشاه (ولكنه) صلى الله عليه وسلم وللمستملي ولكن (رأى جبريل في صورته مرتين) مرة بالارض وهو بالافق الاعلى ومرة في السماء عند سدرة المنتهى (وفي رواية مسلم من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد أعظم الفرية) بدل قوله كذب والفرية بالكسر الكذب وجمعها فرى كعنب (وقوله) أي الشخص وهو عائشة (قف أي قام من الفزع لما حصل عندها من هيبة الله واعتقدته من تنزيهه واستحالة وقوع ذلك) في الدنيا وليس انكار الوقوع الرؤية مطلقا كما تزعم المعتزلة قال النضر بن شميل القفه بفتح القاف وشد الفاء كالقشعريرة وأصله القبض والاجتماع لان الجلد ينقبض عند الفزع فيقوم الشعر لذلك (قال النووي تبعا لغيره لم تنف عائشة وقوع الرؤيا بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته) لان النص أقوى من الاستنباط (وانما اعتمدت الاستنباط على ماذكرته من ظاهر الآية وقد خالفها غيرها من الصحابة) فلم يفهمها على ظاهرها كابن عباس (والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم) أي الصحابة (لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا) ممن قال بانه حجة ومن قال ليس بحجة (قال الحافظ أبو الفضل العسقلاني جزمه) أي النووي (بان عائشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة) محمد بن اسحق امام الائمة كما تبعه جماعة (وهو عجيب فقد ثبت ذلك عنها في صحيح مسلم الذي شرحه الشيخ) النووي (فعنده من طريق داود بن أبي هند) القشيري مولاهم البصري ثقة متقن مات سنة أربعين ومائة وقيل قبلها روى له مسلم وأصحاب السنن (عن الشعبي) عامر بن شراحيل (عن مسروق في الطريق المذكور قال مسروق وكنت متكئا فجلست فقلت) يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة أخرى فقالت انا أول هذه الامة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال انما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والارض هذا لفظ مسلم في كتاب الايمان قال في الفتح وأخرجه ابن مردويه أيضا عن مسروق فقلت (ألم يقل ولقد رآه نزلة أخرى فقالت أنا أول هذه الامة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقلت يا رسول الله هل رأيت ربك قال لا انما رأيت جبريل منهبطا) أي نازلا من السماء فسقط من قلم المصنف أو نساخه بعض الكلام كما رأيت اذ لم يقع في مسلم تصريح بان النبي صلى الله عليه وسلم نفى رؤيته لله تعالى وبهذا بطل تعجب الحافظ من النووي لان غاية ما في رواية مسلم أنها زيفت دليل الخصم باسنادها الى المصطفى أن المراد جبريل فلا يلتفت الى غيره ولكن لا يدل على نفي الرؤية كما صرح به الابي لانه لا يلزم من ابطال الدليل بطلان المدلول وأما رواية ابن مردويه المصرحة بنفي الرؤية ورفعها اليه صلى الله عليه وسلم فمعناه في الآية المسؤل عنها وهي ولقد رآه نزلة أخرى ان سلم أن رواية ابن مردويه تعادل رواية مسلم والا فما فيه أصح ولم يقع فيه تصريح بنفي الرؤية مرفوعا وقد قال التقي السبكي في تفسيره قول ابن عطية حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قاطع لكل تاويل في اللفظ لان قول غيرها انما هو منتزع من ألفاظ القرآن فيه نظر لانه ان كان سؤالها عن ولقد رآه نزلة أخرى فليس مما نحن فيه وجائز أن يكون ذلك جبريل وهذا أي الله سبحانه وان كان عن الآية تبين فيقرب بما قاله ابن عطية والاحتمال حاصل فيما سالت عنه ليس في لفظها صراحة بذكره ثم قال فلذلك نستمر ما ادعاه هؤلاء الائمة من ان عائشة لم تذكر فيه نصا وبان بهذا أن الراجح في تفسير الآية أن الرؤية بالبصر وانها الله تعالى انتهى وفيه تامل لان رواية ابن مردويه صرحت بان السؤال عن ولقد رآه نزلة أخرى لكن كلامه انما هو مع رواية مسلم ومن قال انه صلى الله عليه وسلم خاطبها على قدر عقلها وحاول تخطئتها فيما ذهبت اليه فهو مخطئ قليل الادب (ثم احتجاج عائشة رضي الله عنها بالآية)

لتخليق الولد وأيضا فان المرأة مفعول بها طبعا وشرعا واذا كانت فاعلة خالفت مقتضى الطبع والشرع

وكان أهل الكتاب انما يأتون النساء على جنوبهن على حرف ويقولون هو أيسر للمرأة وكانت قريش والانصار تشرح النساء على أقفائهن فعاب اليهود عليهم ذلك فانزل الله عز وجل نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم وفي الصحيحين عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها كان الولد أحول فانزل الله عز وجل نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم وفي لفظ لمسلم ان شاء مجبية وان شاء غير مجبية غير ان ذلك في صمام واحد والمجبية المنكبة على وجهها والصمام الواحد الفرج وهو موضع الحرث والولد وأما الدبر فلم يبح قط على لسان نبي من الانبياء ومن نسب الى بعض السلف اباحة وطء الزوجة في دبرها فقد غلط عليه وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من أتى المرأة في دبرها وفي لفظ لاحمد وابن ماجه لا ينظر الله الى رجل جامع امرأته في دبرها وفي لفظ للترمذي وأحمد من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فصدقه فقد كفر بما

الاولى (تنالفها فيه ابن عباس فاخرج الترمذى) وحسنه (من طريق الحكم بن أبان) العدنى أبى عيسى صدوق عابد له أوهام مات سنة أربع وخمسين ومائة وكان مولده سنة ثمانين روى له أصحاب السنن (عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رأى محمد ربه قال عكرمة قلت أليس يقول الله تعالى لا تدركه الابصار) أى لا تراه (قال) ابن عباس (ويحك) يا عكرمة (ذاك اذا تجلى) ظهر (بنوره الذى هو نور) وأما اذا تجلى بغيره فتمكن رؤيته على الوجه الذى يليق بالرائى (وقد رأى ربه مرتين) مرة ببصره ومرة بفؤاده رواه الطبرانى باسناد صحيح عن ابن عباس قال الشامى وحاصله أن المراد بالآية نفى الاحاطة به عند رؤيته لا نفى أصل رؤيته وقال النووى المراد بالادراك الاحاطة والله تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفى الاحاطة لا يلزم منه نفى الرؤية بغير احاطة (وقال القرطبى) الشيخ أبو العباس فى المفهم (الابصار فى الآية جمع محلى بالالف واللام فيقبل التخصيص وقد ثبت دليل ذلك سمعا فى قوله تعالى كلا) حقا (انهم عن ربهم يومئذ) يوم القيامة (لمحجوبون) فلا يرونه (فيكون المراد الكفار بدليل قوله تعالى فى الآية الاخرى وجوه يومئذ) يوم القيامة (ناضرة) حسنة مضيئة (الى ربها ناظرة) فثبت النظر فى الآخرة للمؤمنين بنص الآية (واذا جازت فى الآخرة جازت فى الدنيا لتساوى الوقتين بالنسبة الى المرئى) وهو ذاته تعالى (انتهى وهذا استدلال جيد) من القرطبى (وقال القاضى عياض) فى الشفا والحق الذى لا امتراء فيه أن (رؤيته الله تعالى جائزة عقلا) لانه موجود حقيقة وكل موجود تجوز رؤيته عيانا (وليس فى العقل ما يحيلها) أى ما يقتضى انها مستحيلة وهذا كالدليل لما قبله فهو عطف علة على معلول وذكر دليلا نقليا تاييد العقلى بقوله (والدليل على جوازها سؤال موسى عليه الصلاة والسلام لها) ومحال أن يجهل نبى ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذى لا يعلمه الا من علمه الله فقال له الله لن ترانى أى لن تطيق ولا تحتمل رؤيتى ثم ضرب له مثالا مما هو أقوى من بنية موسى وأثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته فى الدنيا بل فيه جوازها على الجملة (ثم قال) عقب هذا (وليس فى الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا) دليل قاطع على (امتناعها) واذا لم تكن مستحيلة فلا دليل على امتناع وقوعها مطلقا أو فى الدنيا (اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة) والله موجود وهذا تعليل للجواز فالعلة فيه الوجود وهو مشترك بين الله وسائر الموجودات فكما تجوز رؤيتها تجوز رؤيته وانتقد هذا التعليل باقتضائه صحة رؤية الاصوات والروائح والطعوم وكيفية الملموس فانها موجودة مع أنها غير محسوسة بالبصر وأجيب بانه منقول عن الاشعرى وهو قد التزم جواز رؤيتها فالكلام فى الجواز لا الوقوع (ولا حجة) مسلمة عند الخصم (لمن استدل على منعها) أى الرؤية (بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات فى هذه الآية) فقيل لا تدركه أبصار الكفار وقيل لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقيل لا تدركه الابصار وانما يدركه المبصرون وكل هذه التاويلات لا تقتضى منع الرؤية ولا استحالتها (انتهى) كلام عياض بهذا الذى زدته وحذفه المصنف استغناء عما بسطه تبعا للحافظ بقوله (وقد روى ابن أبى حاتم بسنده عن اسمعيل ابن علية) بضم العين المهملة وفتح اللام وشد التحتية وهى أمه اشتهر بها وأبوه ابراهيم بن مقسم بكسر الميم وسكون القاف وفتح السين البصرى ثقة حافظ روى له الستة مات سنة ثلاث وتسعين ومائة وهو ابن ثلاث وثمانين (فى تاويل هذه الآية قال هذا فى الدنيا وقال آخرون لا تدركه الابصار أى جميعها وهذا مخصص) بصيغة اسم المفعول (بما ثبت) فى الكتاب والسنة (من رؤية المؤمنين له فى الدار الآخرة) وهذا كالشرح لقول ابن علية (وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من هذه الآية انه لا يرى فى الدنيا ولا فى الآخرة) وقد بالغ عياض فى الرد عليهم بان ما استدلوا به حجة عليهم لا لهم فقال وقد

أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وفى لفظ للبيهقى من أتى شيئا من الرجال والنساء فى الادبار فقد كفر وفى مصنف وكيع حدثنى زمعة بن صالح عن ابن طاوس عن أبيه عن عمرو ابن دينار عن عبد الله ابن يزيد قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يستحيى من الحق لا تاتوا النساء فى أعجازهن وقال مرة فى أدبارهن وفى الترمذى عن طلق بن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تاتوا النساء فى أعجازهن فان الله لا يستحيى من الحق وفى الكامل لابن عدى من حديثه عن المحاملى عن سعيد بن يحيى الاموى قال حدثنا محمد بن حمزة عن زيد بن رفيع عن أبى عبيدة عن عبد الله بن مسعود يرفعه لا تاتوا النساء فى أعجازهن وروينا فى حديث الحسن ابن على الجوهرى عن أبى ذر مرفوعا من أتى الرجال أو النساء فى أدبارهن فقد كفر وروى اسمعيل بن عياش عن شريك بن أبى صالح عن محمد بن المنكدر عن جابر يرفعه استحيوا من الله فان الله لا يستحيى من الحق لا تاتوا النساء فى حشوشهن و رواه الدارقطنى من هذه الطريق ولفظه ان الله لا يستحيى من الحق لا يحل ما تاك النساء فى حشوشهن وقال البغوى

استدل بعضهم بهذه الآية على جواز الرؤية وعدم استحالتها انتهى أي لان نفي الشيء عند البلغاء يقتضي جوازه والا كان عبثا فلا يقال للحائط لا علم له والله قد ساق نفي ادراك الابصار في سياق المدح وانما يتمدح بامر ثبوتي كما لا بالعدم الصرف فكل نفي مدح به تضمن أمرا وجوديا كنفي الموت المتضمن للحياة السرمدية فلو كان نفي الابصار معناه انه لا يرى أصلا كسائر المعدومات لم يكن فيه مدح (فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أما الكتاب فقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) تراه يوم القيامة مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذا قدم المفعول وليس هذا في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقول المعتزلة معناه منتظرة انعامه رد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسير الوجه بالجملة خلاف الظاهر فان المستعمل بمعناه لا يتعدى بالى واستشهادهم لتفسيرهم بقوله

واذا نظرت اليك من ملك * والبحر دونك زدتني نعما

قال العلم السخاوي لا حجة فيه لان النظر بمعنى التامل لا يطلع عليه مخلوق ولذا قال زدتني نعما وقال البيضاوي النظر بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطاء وقال الطيبي والبحر دونك جملة معترضة تحتمل وجهين أحدهما البحر بيني وبينك وثانيهما البحر أقل منك في الجود وهذا أرجح وحينئذ لا يصلح للاستشهاد (وقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فلا يرونه بخلاف المؤمنين (قال الامام (الشافعي رحمه الله تعالى فدل هذا) بالمفهوم (على ان المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى) اذ تخصيص الحجب بالكفار يدل بمفهومه على ذلك دلالة ظاهرة وحاد المعتزلة عن سواء السبيل فقدروا مضافا متصل رحمة ربهم أو قرب ربهم أو هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يمنع من الدخول على الملوك (وأما السنة فقد تواترت الاخبار عن أبي سعيد) سعد بن مالك بن سنان (وأبي هريرة) عبد الرحمن بن صخر (وأنس) بن مالك (وجرير) بن عبد الله البجلي (وصهيب) بضم الصاد ابن سنان الرومي (وبلال) المؤذن (وغير واحد من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن المؤمنين يرون الله تبارك وتعالى في الدار الآخرة في العرصات) قبل دخول الجنة (وفي روضات الجنات جعلنا الله منهم) وتفصيل ذلك يطول (وقيل المنفي في الآية) بقوله لا تدركه الابصار (ادراك العقول فلا ينافي ادراك الابصار (قال ابن كثير وهو غريب جدا وخلاف ظاهر الآية) لانه صرح بالابصار (وقال آخرون لا منافاة بين اثبات الرؤية ونفي الادراك فان الادراك أخص من الرؤية ولا يلزم من نفي الاخص انتفاء الاعم) اذ النفي انما وقع على خاص (ثم اختلف هؤلاء في الادراك المنفي ماهو فقيل معرفة الحقيقة فان هذا لا يعلمه الا هو وان رآه المؤمنون كما ان من رأى القمر فانه لا يدرك حقيقته وكنهه وماهيته) عطف مساو (فالعظيم) تبارك وتعالى (أولى بذلك) من القمر لانه اذا لم يدرك حقيقة المخلوق فكيف الخالق (وله المثل) الوصف (الاعلى) الذي ليس لغيره ما يساويه ولا يدانيه فانما هذا تقريب للفهم (وقال آخرون المراد بالادراك الاحاطة) بجوانب المرئي وحدوده لان حقيقة الادراك اللحوق والوصول في المكان كقول أصحاب موسى انا لمدركون أو الزمان كما يقال أدرك فلان النبي صلى الله عليه وسلم أو الصفة كادرك الغلام اذا بلغ وأدركت الثمرة اذا نضجت ثم نقل لابصار الشيء المتناهي المحدود بالجهات لتوهم معنى اللحوق فيه كأن المبصر قطع المسافة التي بينه وبينه حتى بلغه ووصل اليه فابصار ما ليس في جهة لا يتحقق فيه معنى البلوغ فلا يسمى ادراكا فلا يلزم من نفيه وهو رؤية مخصوصة نفي المطلقة والى هذا أشار بقوله (قالوا) أي الآخرون وليس المراد التبري بل النسبة (ولا يلزم من عدم الاحاطة عدم الرؤية كما لا يلزم من عدم الاحاطة

حدثنا هدبة حدثنا همام قال سئل قتادة عن الذي يأتي امرأته في دبرها فقال حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تلك اللوطية الصغرى وقال أحمد في مسنده حدثنا عبد الرحمن قال حدثنا همام أخبرنا عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده فذكره وفي المسند أيضا عن ابن عباس أنزلت هذه الآية نساؤكم حرث لكم في أناس من الانصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه فقال ائتها على كل حال اذا كان في الفرج وفي المسند أيضا عن ابن عباس قال جاء عمر بن الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت فقال وما الذي أهلكك قال حولت رحلي البارحة قال فلم يرد عليه شيأ فاوحى الله الى رسوله نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم أقبل وأدبر واتق الحيضة والدبر وفي الترمذي عن ابن عباس مرفوعا لا ينظر الله الى رجل أتى رجلا أو امرأة في الدبر وروينا من حديث أبي علي الحسن بن الحسين بن دوما عن البراء ابن عازب يرفعه كفر بالله العظيم عشرة من هذه الامة القاتل والساحر والديوث وناكح المرأة في دبرها ومانع الزكاة

بالعلم عدم العلم) فالمعنى لا تدركه الابصار اذا نظرت اليه على وجه الاحاطة لتعاليه عن التناهي وعن الاتصاف بالحدود التي هي النهايات والجوانب والاحاطة بما لا يتناهى محال وحينئذ فدلالة الآية على جواز الرؤية بل على تحققها بالوقوع أظهر من دلالتها على الجواز بما ذكر من التمدح (وفي صحيح مسلم) قوله صلى الله عليه وسلم (لا أحصي ثناء عليك) قال ابن الاثير الاحصاء هنا بلوغ الواجب أي لا أبلغ الواجب في الثناء عليك وقال الراغب هو التحصيل أي لا أحصل ثناء لعجزي عنه اذ هو نعمة تستدعي شكرا وهكذا الى غير نهاية أو لا أعد ثناء كما في الصحاح لان معنى الاحصاء العد بالحصا كما قال

ولست بالاكثر منهم حصا * وانما العزة للكاثر

وعليه فهو من نفي الملزوم المعبر عنه بالاحصاء المفسر بالعد وارادة نفي اللازم وهو استيعاب المعدود فكأنه قيل لا أستوعب فالمراد نفي القدرة عن الاتيان بجميع الثناآت لا نفي القدرة على أفرادا وفرد منها ولا عدها اذ يمكن عد افراد كثيرة من الثناء (أنت) مبتدأ خبره (كما أثنيت) أي الثناء عليك هو المماثل لثنائك (على نفسك) ولا قدرة لاحد عليه ويحتمل ان أنت تاكيد للكاف من عليك باستعارة الضمير المنفصل للمتصل والثناء الوصف بالجميل قال النووي بتقديم المثلثة والمد المشهور في اللغة قصر استعماله في الخير واستعماله في الشر مجاز وقال المجد وصف بمدح أو ذم أو خاص بالمدح (ولا يلزم من هذا عدم الثناء) بل وجد الثناء من المصطفى كثيرا جدا على ربه (فكذلك هذا) الذي فيه الكلام لا يلزم من عدم الاحاطة عدم الرؤية (وروى ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى لا تدركه الابصار قال لو أن الجن والانس والشياطين) مردة الجن (والملائكة منذ خلقوا الى أن فنوا صفوا صفا واحدا ما أحاطوا بالله أبدا) فهذا يؤيد أن المراد بالادراك الاحاطة (قال ابن كثير غريب لا يعرف الا من هذا الوجه) يعني أنه تفرد به الراوي فلا متابع له (ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة) وذلك ظاهر في غرابته وليس المراد أن ما ليس فيها يكون غريبا (والله أعلم) بالحق في ذلك (ومما ينسب لامام الحرمين في) كتاب (لمع الادلة) بضم ففتح جمع لمعة من لمع أضاء (أنه قال من أصحابنا من قال ان الرب تعالى يرى ولا يدرك لان الادراك ينبي عن الاحاطة ودرك) بفتح فسكون بمعنى ادراك (الغاية والرب جل جلاله تقدس) تنزه (عن الغاية والنهاية) وكلامهم في الادراك مسلم لكنه ليس بلازم من الرؤية كما مر فتفهيم لهم ما ليس بمسلم واليه أشار بقوله (ثم قال فان عارضوا بقوله تعالى) في جواب قول موسى عليه الصلاة والسلام رب أرني أنظر اليك قال (لن تراني) لا تقدر على رؤيتي (وزعموا أن لن تفيد النفي على التأبيد) كما زعمه الزمخشري في انموذجه أو تاكيده كما زعمه في كشافه في الآية والصحيح انها لا تفيد ذلك (قلنا هذه الآية أوضح الادلة على جواز الرؤية لانها لو كانت مستحيلة لكان معتقد جواز الرؤية ضالا كافرا) باعتقاد المحال على الله (وكيف يعتقد) بالبناء للفاعل (ما) أي أمرا (لا يجوز على الله تعالى) مفعول والفاعل من اصطفاه لرسالته) ياموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي (واختاره لنبوته وخصه بكرامته وشرفه بتكليمه) بلا واسطة (وجعله أفضل أهل زمانه) أشار الى أن قوله على الناس ناس زمانه (وأيده ببرهانه) كأنه اراد قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات والاستفهام للنفي أي لا يمكن اعتقاده ذلك وكذا قوله (وكيف يجوز على الانبياء الريب) الشك (في أمر يتعلق بعلم الغيب) وانفصل المعتزلة عن هذا بانه لم يساله لجوازه عنده بل تبكيتا للقائلين له أرنا الله جهرة أو سالها مع علمه باستحالتها ليتاكد الدليل العقلي بالسمعي ويطمئن قلبه كما قال ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي فان العلم يتفاوت قوة وضعفا ورد بان تفاوته غير مسلم والخليل لم يساله لذلك وانما علم ان الله متخذ خليلا يحيي الموتى بدعائه فسال ذلك ليعلم أهو هو أم لا ولو سلم فلا يلزم سؤال ما لا يجوز وينافي الادب اذ كان يقول

ومن وجد سعة فمات ولم يحج وشارب الخمر والساعي في الفتن وبائع السلاح من أهل الحرب ومن نكح ذات محرم منه وقال عبد الله بن وهب حدثنا عبد الله بن لهيعة عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ملعون من يأتي النساء في محاشهن يعني أدبارهن وفي مسند الحرث بن أبي أسامة من حديث أبي هريرة وابن عباس قالا خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته وهي آخر خطبة خطبها بالمدينة حتى لحق بالله عز وجل وعظنا فيها وقال من نكح امرأة في دبرها أو رجلا أو صبيا حشر يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة يتأذى به الناس حتى يدخل النار وأحبط الله أجره ولا يقبل منه صرفا ولا عدلا ويدخل في تابوت من نار ويشد عليه مسامير من نار قال أبو هريرة هذا لمن لم يتب وذكر أبو نعيم الاصبهاني من حديث خزيمة بن ثابت يرفعه ان الله لا يستحيي من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن وقال الشافعي أخبرني عمي محمد بن علي بن شافع قال أخبرني عبد الله ابن علي بن السائب عن عمرو بن أحيحة بن الجلاح عن خزيمة بن ثابت أن رجلا

موسى بين لي علم ذلك جوازا أو استحالة (فيجب حمل الآية على أن ما اعتقد موسى عليه الصلاة والسلام جوازه جائز لكن ظن ان ما اعتقد جوازه ناجز) واقع في الحال (فرجع النفي في الجواب الى الانجاز) فكأنه قيل لن تراني في الحال (وما سأل موسى ربه رؤيته في المآل فصرف النفي اليه) حتى يلزم أنه لا يرى أبدا (والجواب) بلن تراني دون لن أرى (يدل على قضية الخطاب انتهى وقال البيضاوي في هذه الآية دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال) لانهم بعثوا لتعليم الامم الشرائع والعقائد الحقة وهي معرفة ما يجوز على الله وما يمتنع فلو جهل ذلك كان الله آمر الدعا لا يعلمه وهو محال لانه جهل أو عبث (وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله) وجواب المعتزلة بانه انما يلزم هذا لو كان سؤالا حقيقيا الا لالزام غيره أو تبكيته رد بان السياق يأباه (ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن أرى) ففي ذلك دليل واضح على الجواز انتهى وقوله تبت اليك أي من سؤالي مالم تقدره لي قاله عياض أي في ذلك الوقت فلا ينافي قوله وقد ذكر القاضي أبو بكر ان موسى رأى الله فلذا خر صعقا وأن الجبل رآه بادراك خلقه الله له فصار دكا قال عياض واستنبط ذلك والله أعلم من قوله ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل ظهوره حتى رآه على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حين تجلى ولولا ذلك مات صعقا بلا افاقة وهذا يدل على أن موسى رآه وقال بعض المفسرين رآه الجبل وبه استدل من قال برؤية نبينا صلى الله عليه وسلم اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس في الآيات نص في المنع انتهى والراجح أن موسى لم يره وقيل قوله تبت اليك انما كان لما غشيه من شدة ما أفضى به الى أن صعق كما يقول من فعل جائزا حصل له منه مشقة تبت عن فعل مثله (ونقل القاضي عياض عن أبي بكر الهذلي في) تفسير (الآية أن المراد ليس لبشر أن يطيق) أي يقدر (أن ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي) فيها (مات) لضعف القوى البشرية عن سبحات الجلال الا من أقدره الله وفيه دليل على جواز وقوعه في الدنيا لكن من وقع له لا يعيش كما روي أن من رأى جبريل من غير الانبياء يعمى (قال) عياض (وقد رأيت لبعض السلف المتقدمين و) لبعض (المتأخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة) لمانع منها الا ذاتها من حيث هي لما مر من جوازها عقلا فامتناعها العارض (لضعف تركيب أهل الدنيا) أي لضعف أبدانهم المركبة كما قال تعالى خلق الانسان ضعيفا (وقواهم) جمع قوة وهي أمر أودعه الله في البدن به الادراك أو المراد المعنى اللغوي (وكونها) أي القوى أو هي مع التركيب (متغيرة) بالازدياد أول أمرها ثم النقص بعده وذلك يدل على ضعفها (غرضا) بمعجمتين (للآفات) شبه الجسد بهدف ينصب لرمي السهام وآفات الدهر ومصائبه بسهام لا يزال يرمى بها حتى تفنى ويجوز اهمال العين أي معرضا والاول أصح رواية ودراية ونصب حالا أو خبرا بعد خبر لكون ولم يعطف لكونه سببا لما قبله فبينهما كمال الاتصال وفيه نظر لان ذلك مخصوص بالجمل وقال التلمساني روي معترضة بدل قوله متغيرة أي ذات أعراض وهي الآفات والامراض أو من العرضة أي متعرضة للآفات وهي كالعاهات كل ما يعرض لشئ فيفسده (والفناء) بفتح الفاء والمد الزوال والعدم (فلم يكن لهم قوة على الرؤية) لضعف أبدانهم وقواهم في الدنيا (فاذا كان في الآخرة) أي اذا أحياهم الله (وركبوا تركيبا آخر) غير تركيبهم الاول (ورزقوا قوى ثابتة) بمثلثة ونون وتحتية أي غير القوى الاولى الدنيوية وفي نسخ ثابتة بموحدة وفوقية فقوله (باقية) تفسير له أي مخلدة لا تفنى لقوة تركيبها وتمام قواها (وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم) أي جعلها تامة كاملة مستعدة للبقاء السرمدي (قووا بها على الرؤية) جواب اذا وضمير بها للمذكورات من التركيب والقوى والانوار فهذا يدل على وقوعها في الآخرة وجوازها في الدنيا لانه لو رزقهم ذلك في

الحرثتين أو في أي الخرزتين أو في أي الخصفتين أمن دبرها في قبلها فنعم أم من دبرها في دبرها فلا ان الله لا يستحيي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن قال الربيع فقيل للشافعي فما تقول فقال عمي ثقة وعبد الله ابن علي ثقة وقد أثنى على الانصاري خيرا يعني عمرو بن الجلاح وخزيمة ممن لا يشك في ثقته فلست أرخص فيه بل أنهى عنه قلت ومن ههنا نشأ الغلط على من نقل عنه الاباحة من السلف والأئمة فانهم أباحوا أن يكون الدبر طريقا الى الوطء في الفرج فيطأ من الدبر لا في الدبر فاشتبه على السامع من نفي أو لم يظن بينهما فرقا فهذا الذي أباحه السلف والأئمة فغلط عليهم الغالط أقبح الغلط وأفحشه وقد قال تعالى فأتوهن من حيث أمركم الله قال مجاهد سألت ابن عباس عن قوله تعالى فأتوهن من حيث أمركم الله فقال تأتيها من حيث أمرت أن تعتزلها يعني في الحيض وقال علي بن طلحة عنه يقول في الفرج ولا تعده الى غيره وقد دلت الآية على تحريم الوطء

الدنيا صح ذلك منهم أيضا ولذا شق صدر المصطفى وأودع فيه ما قوى به على ذلك (قال) عياض (وقد رأيت) وفي نسخ وروى (نحو هذا لمالك بن أنس) الامام (رضى الله عنه قال لم ير) بضم التحتية ونائب الفاعل عائد على الله (في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان) النظر أو الناظر (في الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رؤى الباقي بالباقي) لان البقاء الابدى علة لصحة الرؤية كما أن الفناء والحدوث لا مدخل له في المنع لان الرؤية بخلق الله وليست مشروطة بشئ عند أهل السنة فكأنه أراد أن البقاء يلزمه قوة التركيب والقوة المعدة لصحة النظر فيكون بمعنى ما قبله وكذا ان كان مراده ان الرائى والمرئى لابد أن يكون بينهما مناسبة وأبصار هذه الدار فانية فاذا عادت وكسيت صفة دوام البقاء تحملت رؤية الحى القيوم للمناسبة في الجملة وان كان بقاؤه قديما ذاتيا وبقاؤها طار عرضى (وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دلالة على الاستحالة) والامتناع عقلا بل هو دال على الجواز اذ لا مانع منه (الا من حيث ضعف القدرة البشرية) في الدنيا (فاذا قوى الله من شاء من عباده) بان رزقه قوة تطيق ذلك (وأقدره على حمل أعباء) اثقال (الرؤية) أى جعل له قدرة وطاقة على رؤيته ومشاهدته ونسخة الرسالة تصحيف فلا دخل لها هنا والذى في الشفاء الرؤية (لم تمتنع في حقه) الرؤية فيمكنه منها بما منحه من القوة وأعباء جمع عبء بكسر المهملة وسكون الموحدة وهمزة الحمل الثقيل حقيقة في المحسوسات استعير للمعاني الشاقة (انتهى) كلام عياض (والاستثناء في قوله الا من حيث ضعف القوة ينبغى ان يكون منقطعا على معنى لكن من حيث ضعف القوة والا) بان كان متصلا (فضعف القوة قصاراه غايته (أن يكون مانعا) فلا يصح دخوله فيما قبل الاستثناء (أى امتنع من حيث ضعف القوة لا) نافية (من جهة كونه مستحيلا) تقرير وبيان للانقطاع (ويدل على هذا قوله فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم يمتنع في حقه) اذ لو كان متصلا لما حسن التفريع (وقد وقع في صحيح مسلم ما يؤيد هذه التفرقة في حديث مرفوع فيه واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا وأخرجه ابن خزيمة أيضا) في صحيحه (من حديث أبى أمامة) صدى ابن عجلان الباهلى (ومن حديث عبادة بن الصامت) الانصارى (فاذا جازت الرؤية في الدنيا عقلا فقد امتنعت سماعا) بقوله حتى تموتوا (لكن من أثبتها للنبي صلى الله عليه وسلم له أن يقول ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه) على أحد الاقوال في الاصول (وفي تفسير ابن كثير في بعض كتب الله المتقدمة ان الله تعالى قال لموسى لما ساله الرؤية ياموسى انه لن يرانى حى الا مات) وقد اختلف على قول من قال ان موسى رآه هل مات ثم أحياه الله كما ذهب اليه كثير من المفسرين أو لم يمت لانه ألهى بالنظر للجبل حتى لا يموت اذ تجلى له ابتداء وهو قول جعفر بن محمد كما مر وعليه فمعنى قوله الا مات مالم أثبته وأقوه فلا يموت (وقد جزم القشيرى في الرسالة بانها لا تجوز في الدنيا على جهة الكرامة وادعى حصول الاجماع عليه) ونوزع بوجود الخلاف (وحكى القاضى عياض) في الشفاء (امتناعها) أى رؤيته تعالى (في الدنيا عن جماعة من المحدثين) لعدم صحة حديث عن المصطفى صريح بذلك (والفقهاء) في باب الردة هل يكفر مدعيها أم لا (والمتكلمين) في أصول الدين (وقال القشيرى أيضا سمعت الامام أبا بكر بن فورك) بضم الفاء واسكان الواو وفتح الراء فكاف (يحكى عن الامام أبى الحسن الاشعرى) امام أهل السنة والجماعة (في ذلك قولين في كتاب الرؤية الكبير انتهى) أى في جوازها وعدمه وأجمعوا على وقوعها في الآخرة للمؤمنين كما تواترت به الاحاديث وبه نطق القرآن وقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة الحسنى الجنة وزيادة هى النظر اليه تعالى كما فسره به النبي صلى الله عليه وسلم في مسلم وغيره وأحالت المعتزلة ذلك فصارت الادلة عندهم كالصائل لا يبالون بأى شئ دفعوه فقال كبيرهم الزمخشرى زعمت المسمية والمجبرة أن الزيادة النظر الى

في دبرها من وجهين * أحدهما انه أباح اتيانها في الحرث وهو موضع الولد لا في الحش الذى هو موضع الاذى وموضع الحرث هو المراد من قوله من حيث أمركم الله الآية قال فأتوا حرثكم أنى شئتم واتيانها في قبلها من دبرها مستفاد من الآية أيضا لانه قال أنى شئتم أى من حيث شئتم من أمام أو من خلف قال ابن عباس فأتوا حرثكم يعنى الفرج واذا كان الله حرم الوطء في الفرج لاجل الاذى العارض فما الظن بالحش الذى هو محل الاذى اللازم مع زيادة المفسدة بالتعرض لانقطاع النسل والذريعة القريبة جدا من أدبار النساء الى أدبار الصبيان وأيضا فللمرأة حق على الزوج في الوطء ووطؤها في دبرها يفوت حقها ولا يقضى وطرها ولا يحصل مقصودها وأيضا فان الدبر لم يتهيأ لهذا العمل ولم يخلق له وانما الذى هيئ له الفرج فالعادلون عنه الى الدبر خارجون عن حكمة الله وشرعه جميعا وأيضا فان ذلك مضر بالرجل ولهذا ينهى عنه عقلاء الاطباء من الفلاسفة وغيرهم لان للفرج خاصية في اجتذاب الماء المحتقن وراحة الرجل منه والوطء في الدبر لا يعين على اجتذاب جميع الماء ولا يخرج كل المحتقن لمخالفته الامر الطبيعى وأيضا يضر من وجه آخر وهو احواجه الى حركات

وجه الله وجاؤا بحديث مرفوع قال الطيبي هو عنده بالقاف أي مفترى وأما عند أهل السنة فبالفاء وقال ابن المنير بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه والحديث مدون في الصحاح وقد جعل أهل السنة جاؤا به من عند أنفسهم فنسبه الله وقال الزمخشري في موضع آخر

لجماعة سموا هواهم سنه * وجماعة حمر لعمري موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا * شنع الورى فتستروا بالبلكفه

قال ابن المنير انتقل الى الهجاء وقد أذن صلى الله عليه وسلم لحسان في المنافحة وهجاء المشركين فتأسيت وقلت

وجماعة كفروا برؤية ربهم * هذا ووعد الله ما ان يخلفه
وتلقبوا عدلية قلنا أجل * عدلوا بربهم فحسبهم سفه
وتلقبوا الناجين كلا انهم * ان لم يكونوا في لظى فلهم شفه

قال السعد لقد عورض ما أنشده أو أنشأه من الهذيان

لجماعة كفروا برؤية ربهم * ولقاؤه فهم حمير موكفه
فكأنهم علموا بلا كيف فنحن نرى فلم تنفعهم بالبلكفه
هم عطلوه عن الصفات وعطلوا * عنه الفعال فما لهم من متلفه
هم نازعوه الخلق حتى أشركوا * بالله زمرة حاكة وأساكفه
هم غلقوا أبواب رحمته التي * هي لا تزال على المعاصي موكفه

الى آخر ما قال وقد أكثر الناس في الرد عليه نظما ونثرا ثم لما أثبت المؤلف جواز الرؤية في الدنيا عقلا وسمعا وان كان كلامه في الخلاف في وقوعها للمصطفى وعدمه لانه ان لم يثبت الجواز لم يثبت الوقوع أخذ في تتميم الكلام على الوقوع فقال (وقد ذهبت عائشة) كما تقدم (وابن مسعود) في المشهور عنه (الى أنه عليه السلام لم ير ربه ليلة الاسراء واختلف عن أبي ذر) فروي عنه أنه رآه وروي عنه أنه لم يره وكذا اختلف عن أبي هريرة فحكى ابن اسحق أن مروان سأل أبا هريرة هل رأى محمد ربه قال نعم وفي رواية لم يره والى النفي ذهب كثير من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وبالغ الحافظ عثمان بن سعيد الدارمي فنقل فيه الاجماع (وذهب جماعة الى اثباتها) قال النووي وهو قول أكثر العلماء (وحكى عبد الرزاق) ابن همام الصنعاني أحد الاعلام (عن معمر) بن راشد (عن الحسن البصري انه حلف ان محمدا رأى ربه) لفظ الرواية انه كان يحلف بالله لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه (وأخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير اثباتها) أي رؤية الله للمصطفى وانه كان يشتد عليه انكار عائشة لها (وبه قال سائر) أي جميع (أصحاب ابن عباس وجزم به كعب الاحبار) أي ملجأ العلماء وكبر لما وافقه ابن عباس حتى جاوبته الجبال بعرفة سرورا (والزهري) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (وصاحبه) أي تلميذه (معمر) بن راشد البصري أحد الاعلام (وآخرون) كثيرون (وهو قول الاشعري وغالب أتباعه) وفي الشفاء وقال الاشعري وجماعة من أصحابه انه صلى الله عليه وسلم رأى الله ببصره وعيني رأسه وقال أي الاشعري كل آية أوتيها نبي فقد أوتي مثلها نبينا وخص من بينهم بتفضيل الرؤية (ثم اختلفوا هل رآه بعينه أو بقلبه) ويأتي معناه وقال النووي الراجح عند أكثر العلماء انه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه ليلة المعراج واستدل بأشياء نوزع في بعضها (وجاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة) أي دالة على الرؤية بلا قيد بالعين ولا بالقلب (وأخرى مقيدة) بانه رآه بقلبه (فيجب حمل مطلقها) الدال على الرؤية (على مقيدها) انه رآه بقلبه عملا بقاعدة حمل المطلق على المقيد هكذا قاله

منعبة جدا لمخالفته للطبيعة وأيضا فانه محل القذر والنجو فيستقبله الرجل بوجهه ويلابسه وأيضا فانه يفضي بالمرأة جدا لانه وارد غريب بعيد عن الطباع مناف لها غاية المنافرة وأيضا فانه يحدث الهم والغم والنفرة عن الفاعل والمفعول وأيضا فانه يسود الوجه ويظلم الصدر ويطمس نور القلب ويكسو الوجه وحشة تصير عليه كالسيماء يعرفها من له أدنى فراسة وأيضا فانه يوجب النفرة والتباغض الشديد والتقاطع بين الفاعل والمفعول ولا بد وأيضا فانه يفسد حال الفاعل والمفعول فساد الا يكاد يرجى بعده صلاح الا أن يشاء الله بالتوبة النصوح وأيضا فانه يذهب بالمحاسن منهما ويكسوهما ضدها كما يذهب بالمودة بينهما ويبدلهما بها تباغضا وتلاعنا وأيضا فانه من أكبر أسباب زوال النعم وحلول النقم فانه يوجب اللعنة والمقت من الله واعراضه عن فاعله وعدم نظره اليه فأي خير يرجوه بعد هذا وأي شر يأمنه وكيف حياة عبد قد حلت عليه لعنة الله ومقته وأعرض عنه بوجهه ولم ينظر اليه وأيضا فانه يذهب بالحياء جملة والحياء هو حياة القلوب فاذا فقده القلب استحسن القبيح واستقبح الحسن وحينئذ فقد استحكم فساده

الحافظان ابن كثير وابن حجر وغيرهما ومقتضاه انه لم يرد عنه أخبار مقيدة بانه رآه بعينه وهو عجب فني الشفاء بعد حكايته اختلاف الروايات عن ابن عباس في انه رآه بعينه أو بقلبه مانصه والاشهر عنه انه رآه بعينه روي ذلك عنه من طرق انتهى فالوجه الجمع بانه رآه مرتين مرة بقلبه ومرة بعينه كما قال ابن خزيمة وبه صرح ابن عباس في الطبراني بسند صحيح كما يأتي ومحل القاعدة اذا عارض المطلق مقيد واحد أما اذا عارضه مقيدان فلا يقيد بواحد دون الآخر لانه تحكم فان أمكن الجمع كما هنا بالتعدد وجب المصير اليه والارجع للمطلق (فمن ذلك) أي ماجاء عن ابن عباس لا بقيد المطلق والمقيد (ما أخرجه النسائي باسناد جيد) أي مقبول وفي نسخ صحيح وهي أنسب بقوله (وصححه الحاكم أيضا من طريق عكرمة عن ابن عباس انه قال أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم) كما قال تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا (والكلام لموسى) وكلم الله موسى تكليما (والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم) وهذا من الاحاديث المطلقة وأخرجه ابن خزيمة بلفظ ان الله اصطفى ابراهيم بالخلة وموسى بالكلام ومحمدا بالرؤية واستشكل تفريقه هذه الخصائص بان الخلة والكلام ثبتا لنبينا أيضا وأجيب بان مراده أن الخلة تثبت له مع زيادة المحبة فهو خليل وحبيب وموسى اشتهر بالتكليم لان كلام الله بالارض في الدنيا بلا واسطة لم يقع لاحد سواه وان كان الله تعالى كلم نبينا في المعراج بلا واسطة في حظائر قدسه (ومنها ما أخرجه مسلم من طريق أبي العالية) رفيع بضم الراء مصغر ابن مهران الرياحي بكسر الراء والتحتية ثقة من رجال الجميع مات سنة تسعين وقيل ثلاث وتسعين وقيل بعد ذلك (عن ابن عباس في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى ربه بفؤاده مرتين) أي بقلبه (وله) أي مسلم (من طريق عطاء) بن أبي رباح (عن ابن عباس قال رآه بقلبه) وكل من الروايتين مقيد لكن لاصراحة فيهما انه لم يره بعينه ولذا قال (وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن مردويه من طريق عطاء عن ابن عباس قال لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه وانما رآه بقلبه) وكأن هذا خاطب ابن عباس به من لا يليق به الافصاح بانه رآه بعينه أو مراده لم يره بعينه فقط وانما رآه بقلبه وعينه أو هو من تصرف الراوي عن عطاء فلا ينافي ذلك أن الاشهر عنه انه رآه بعينه ولاشك أن رواية مسلم عن عطاء عنه أصح من رواية ابن مردويه هذه (وعلى هذا فيمكن الجمع بين اثبات ابن عباس ونفي عائشة بان يحمل نفيها على رؤية البصر واثباته على رؤية القلب لكن) يقدح في الجمع المذكور أنه (روى الطبراني في الاوسط باسناد رجاله رجال الصحيح) بمعنى انه خرج لهم أصحاب الصحيح (خلا جهور) بفتح الجيم واسكان الهاء وفتح الواو ثم راء (ابن منصور الكوفي وجهور بن منصور) المذكور (قد ذكره ابن حبان في الثقات فالاسناد صحيح لثقة رجاله) وان لم يخرج لبعضهم في الصحيح لان الصحيح مراتب (عن ابن عباس انه كان يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده) فلا يمكن الجمع حينئذ بما تقدم بين اثباته ونفي عائشة لانه مصرح بانه رآه مرة ببصره ولا رد المطلق عنه الى المقيد بالقلب أيضا كما قدمته وقول ابن كثير من روى عن ابن عباس انه رآه ببصره فقد أغرب فانه لا يصح في ذلك شئ عن الصحابة قال الشامي ليس بجيد لان اسناد الطبراني هذا صحيح (ثم المراد برؤية الفؤاد) كما قال الحافظ ابن حجر (رؤية القلب لا مجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله على الدوام بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت له في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين والرؤية لا يشترط لها شئ مخصوص عقلا) بل هي قوة يجعلها الله تعالى فيما شاء من خلقه ولا يشترط فيها أيضا اتصال أشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك (ولو جرت العادة بخلقها في العين) فليست شرطا وقال الواحدي وعلى القول بانه رآه بقلبه جعل الله

وأيضا فانه يحيل الطباع عما ركبها الله ويخرج الانسان عن طبعه الى طبع لم يركب الله عليه شيئا من الحيوان بل هو طبع منكوس واذا نكس الطبع انتكس القلب والعمل والهدى فيستطيب حينئذ الخبيث من الاعمال والهيئات ويفسد حاله وعمله وكلامه بغير اختياره وأيضا فانه يورث من الوقاحة والجرأة مالا يورثه سواه وأيضا فانه يورث من المهانة والسفال والحقارة مالا يورثه غيره وأيضا فانه يكسو العبد من حلة المقت والبغضاء وازدراء الناس له واحتقارهم اياه واستصغارهم له ماهو مشاهد بالحس فصلاة الله وسلامه على من سعادة الدنيا والآخرة في هديه واتباع ماجاء به وهلاك الدنيا والآخرة في مخالفة هديه وماجاء به

(فصل) والجماع الضار نوعان ضار شرعا وضار طبعا فالضار شرعا المحرم وهو مراتب بعضها أشد من بعض والتحريم العارض منه أخف من اللازم كتحريم الاحرام والصيام والاعتكاف وتحريم المظاهر منها قبل التكفير وتحريم وطء الحائض ونحو ذلك ولهذا لا حد في هذا الجماع وأما اللازم فنوعان نوع لاسبيل الى حله البتة كذوات المحارم فهذا من أضر الجماع وهو يوجب القتل حدا عند طائفة من العلماء كأحمد بن حنبل رحمه الله

تعالى بصره فى فؤاده أوخلق لفؤاده بصرا حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين (وروى ابن خزيمة باسناد قوى عن أنس قال رأى محمد ربه) بعينه كما جزم عليه الواحدي وتبعه البغوى (وفى مسلم من حديث أبى ذر) الغفارى (أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك) أى رؤيته لربه فلفظه عن عبدالله بن شقيق عن أبى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك (فقال نور) منون مرفوع وروى بالنصب أيضا (أنى) بفتح الهمزة وشد النون والقصر (أراه أى حجابه نور) اشارة الى أن نور خبر مبتدأ أو يجوز أنه فاعل لفعل مقدر أى حجبنى أو منعنى أو ظهر لى نور وعلى رواية النصب تقديره رأيت نورا (فكيف) تفسير لقوله أنى (أراه ومعناه ان النور منعنى من الرؤية) لجرى العادة بان النور اذا غشى البصر حجبه عن رؤية ما وراءه وروى نورانى بكسر النون الثانية وشد التحتية نسبة للنور على غير قياس كصنعانى وهذه الرواية حكاها فى الشفاء عن بعض مشايخه ولكنه قال فى شرحه لمسلم الاكمال هذه الرواية لم تقع لنا ولا رأيتها فى أصل من الاصول (وعند أحمد) عن أبى ذر (قال) صلى الله عليه وسلم (رأيت نورا) ظاهر عزوه لاحمد بعد عزوما قبله لمسلم أنه لم يروه وليس كذلك فقد رواه مسلم أيضا عقب الاول من وجه آخر عن عبدالله بن شقيق قال قلت لابى ذر لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسألته فقال عن أى شئ كنت تسأله قال كنت أسأله هل رأيت ربك قال قد سألته فقال رأيت نورا أى رأيت نورا حجبنى عن رؤية الله فتتفق الروايتان على أن النور مانع (ومن المستحيل أن تكون ذات الله نورا اذ النور من جملة الاعراض والله تعالى يتعالى عن ذلك) ولذا قال فى الشفاء حديث أبى ذر هذا مختلف أى فيه من حيث اللفظ محتمل أى لكونه رآه أولم يره مشكل أى من حيث جعل ذاته نورا وقال فى الاكمال ومن المستحيل أن تكون ذاته نورا الا نه جسم وهو منزه عنه باجماع فيؤول بما ذكر فى الله نور السموات والارض أن معناه منورهما أو هادى أهلهما أو منور قلوب المؤمنين أو ذو بهجة وجمال أو خالق النور ورده أبو عبدالله الابى بانه لا يستقيم تاويل الرواية بشئ من الجميع لانه لا يلتئم مع قوله أنى أراه لان كونه خالقا أو منورا أو هاديا لا يمنع من رؤيته قال السنباطى فالذى يظهر على ما نعتقده من وقوع الرؤية أن قوله نور أى هو ذو نور ثم استعظم ما وقع له من الرؤية وما شاهده من الذات العلية فقال أنى أراه اعترافا بالقصور عن درجة الرؤية واستعظاما للذات المرئية كما قيل فى قوله تعالى أنى يحيى هذه الله بعد موتها قال وأما رأيت نورا فهو نص فى الرؤية وتاويله بان المراد منعنى عن رؤيته كعادة الانوار الساطعة فضعيف جدا لان فيه قياس الاشياء الخارقة للعادة الجائية فى طور ماوراء العقل على الاشياء المحسوسة العادية وهذا خطأ قطعا انتهى وقال العراقى فى تخريج أحاديث الاحياء مازلت لهذا الحديث منكرا وقال ابن خزيمة فى القلب من صحة اسناده شئ انتهى وأجيب بان النور من أسمائه تعالى كما فى الحديث قال الغزالى ومعناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره ونحوه قول الاشعرى الله نور ليس كالانوار فالروايتان بمعنى فهو نور النور الخفى بفرط الظهور وقول عياض النور جسم غير مسلم (وعند ابن خزيمة) والنسائى (عنه) أى عن أبى ذر أنه (قال) فى تفسير الآية (رآه بقلبه ولم يره بعينه) وروى ابن جرير عن بعض الصحابة قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك قال لم أره بعينى رأيته بفؤادى مرتين ثم تلا ثم دنا فتدلى وفيه موسى ابن عبيدة ضعيف (وبهذا يتبين مراده فى حديث أبى ذر) المذكور عن مسلم (بذكر النور الذى حال بينه وبين رؤيته ببصره) وذلك لا يمنع رؤيته بقلبه (وجنح) أى مال (ابن خزيمة فى كتاب التوحيد الى ترجيح الاثبات) أى انه رآه ببصره (وأطنب فى الاستدلال بما يطول ذكره وحمل ما ورد عن ابن عباس) من انه رآه بقلبه (على أن الرؤية وقعت مرتين مرة بقلبه

وغيره وفيه حديث مرفوع ثابت والثانى ما يمكن أن يكون حلالا كالاجنبية فان كانت ذات زوج ففى وطئها حقان حق لله وحق للزوج فان كانت مكرهة ففيه ثلاثة حقوق وان كان لها أهل وأقارب يلحقهم العار بذلك صار فيه أربعة حقوق فان كانت ذات محرم منه صار فيه خمسة حقوق فضرة هذا النوع بحسب درجاته فى التحريم وأما الضار طبعا فنوعان أيضا نوع ضار بكيفيته كما تقدم ونوع ضار بكميته كالاكثار منه فانه يسقط القوة ويضر بالعصب ويحدث الرعشة والفالج والتشنج ويضعف البصر وسائر القوى ويطفئ الحرارة الغريزية ويوسع المجارى ويجعلها مستعدة للفضلات المؤذية وأنفع أوقاته ما كان بعد انهضام الغذاء فى المعدة وفى زمان معتدل لا على جوع فانه يضعف الحار الغريزى ولا على شبع فانه يوجب أمراضا سديدة ولا على تعب ولا أثر حمام ولا استفراغ ولا انفعال نفسانى كالغم والهم والحزن وشدة الفرح وأجود أوقاته بعد هزيع من الليل اذا صادف انهضام الطعام ثم يغتسل أو يتوضأ وينام عقيبه فيراجع اليه قواه وليحذر الحركة والرياضة عقيبه فانهما مضرة جدا

ومرة

ومرة بعينه) جمعا بين مختلف الروايات عنه وعملا بتصريحه بذلك في الطبراني المانع من رد المطلق للمقيد كما مر تحريره (ومما يعزى للأستاذ عبد العزيز المهدوي أنه صلى الله عليه وسلم لما رجع من سفر الاسراء) بمعنى خروجه من مكة الى المقدس ثم الى السموات ثم الى حيث شاء الله سفر الصدق حد السفر عليه وهو الخروج للارتحال من محله الى غيره (أبصر العوالم) بكسر اللام (من حيث فلكهم) أي نظر كل عالم وخاطبه بما يليق بفلكه المتعلق به (ومراتبهم) اللائقة بهم قربا وبعدا (وسقى كل واحد من كاسه وعلى قدر عقله فخاطب الكفار وهم آخر العوالم بما رأى في الطريق وما كان في المسجد الاقصى على العيان) بكسر العين المشاهدة حيث جلا الله له المسجد (وبما يعرفون لانهم في فلك الاجسام حتى صدقوا بالاسراء) حقيقة وان لم يؤمنوا عنادا (ثم ارتقى حتى حدث عن فلك السماء وكذلك في كل سماء حتى أخبر عما شاهد ورأى كل فلك وما يليق أن يحدث به أعني أصحابه كلا على قدر مرتبته بلا ضيق ولا تزاحم الى السماء السابعة) وحاصل معنى كلامه أنه صلى الله عليه وسلم رأى تلك الليلة ما تقصر العقول عن ادراكه فحدث أصحابه كلا بما يليق بمخاطبته وبمرتبته فاختلفت العبارات باختلاف أحوال المخاطبين مع كون المخبر عنه واحدا الاختلاف فيه وانما نشأ الاختلاف من اختلاف العبارات التي أدى بها عليه السلام (ولما وصل مقام جبريل تحدث عن الافق المبين) البين) وهو الاعلى (وعما فوق) الافق (الى الدنو) القرب (والى التدلي الى موضع الايحاء عند حضرة اسقاط الصور والخلق فأخبر بذلك أصحابه فمنهم من قال رأى جبريل بالافق المبين وبالافق الاعلى وصدق) لانه حدث بما أخبره به (ومنهم من قال برؤية الفؤاد) القلب (والبصيرة) لا البصر (وصدق وهي عائشة ومن معها) كابن مسعود في الأشهر عنه (ومنهم من قال بعيني رأسه رأى) ربه تبارك وتعالى (وصدق فكل أخبر بما حدثه صلى الله عليه وسلم من مقامه وسقاه من كاسه وما يليق به) لكن قال الشامي من قال أنه صلى الله عليه وسلم خاطب عائشة على قدر عقلها ومن حاول تخطئتها فيما ذهبت اليه فهو مخطئ قليل الادب انتهى (فاذا صح هذا المعراج عرفت الامر ومقامات الرؤية والقائلين بذلك واختلافهم) نفيا واثباتا ووقفا (وقولهم الجميع الحق انتهى) كلام المهدوي وحاول بذلك الجمع بين النفي والاثبات وقد يؤيده خبر حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله رواه الديلمي عن علي رفعه وهو في البخاري موقوف عليه وروى الحسن بن سفيان عن ابن عباس يرفعه أمرت ان أخاطب الناس على قدر عقولهم قال الحافظ وسنده ضعيف جدا لا موضوع (وممن أثبت الرؤية) أي رؤية الله تعالى (لنبينا صلى الله عليه وسلم الامام أحمد) بن حنبل (روى الخلال) بالخاء المعجمة نسبة الى الخل أبو محمد الحسن بن أبي طالب بن محمد بن الحسن البغدادي الحافظ الثقة صاحب التصانيف مات سنة تسع وثلاثين وأربعمائة (في كتاب السنة عن) اسحق بن منصور بن بهرام الكوسج التميمي (المروزي) نزيل نيسابور أحد الأئمة الحفاظ الثقات روى عنه الجماعة سوى أبي داود قال الخطيب كان فقيها عالما وهو الذي دون المسائل عن أحمد مات سنة احدى وخمسين ومائتين (قال قلت لاحمد) بن حنبل الامام (انهم يقولون ان عائشة قالت من زعم أن محمدا قد رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية) بكسر الفاء الكذب (فباي معنى يدفع) بتحتية مضمومة أو فوقية مفتوحة (قولها) بالرفع والنصب (قال بقول النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي) أي ببصري على الظاهر المتبادر (قول النبي صلى الله عليه وسلم أكبر) بموحدة أعظم وأجل (من قولها) فيقدم عليه اذ لا رأي لاحد مع نصه وهذا ظاهر في ان أحمد كان يقول انه رآه ببصره قبل أن يسأل ويجيب لان عائشة تقول بانه رآه

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج العشق) هذا مرض من أمراض القلب مخالف لسائر الأمراض في ذاته وأسبابه وعلاجه واذا تمكن واستحكم عز على الاطباء دواؤه وأعيى العليل داؤه وانما حكاه الله سبحانه في كتابه عن طائفتين من الناس من النساء وعشاق الصبيان المردان فحكاه عن امرأة العزيز في شان يوسف وحكاه عن قوم لوط فقال تعالى اخبارا عنهم لما جاءت الملائكة لوطا وجاء أهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وأما ما زعمه بعض من لم يقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم حق قدره انه ابتلي به في شان زينب بنت جحش وانه رآها فقال سبحان مقلب القلوب وأخذت بقلبه وجعل يقول لزيد بن حارثة أمسكها حتى أنزل الله عليه واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فظن هذا الزاعم ان ذلك في شان العشق وصنف بعضهم كتابا في العشق وذكر فيه عشق الانبياء وذكر هذه الواقعة

بقلبه على ما مر فدفعه أحمد بالحديث جلاله على المبادر منه وحينئذ بطل الانكار المذكور بقوله (وقد أنكر صاحب الهدى) ابن القيم فيه (على من زعم أن أحمد قال رأى ربه بعيني رأسه قال وانما قال أحمد مرة رأى محمد ربه) وأطلق (وقال مرة) رآه (بفؤاده) فيحمل المطلق على المقيد (وحكى عنه بعض المتأخرين انه رأى ربه بعيني رأسه وهذا من تصرف الحاكي فان نصوصه) أي أحمد (موجودة) وليس فيها انه رآه بعيني رأسه فالحاكي ذلك عنه من تصرفه (انتهى) لكن في الشفاء ان عبد الله بن أحمد حكى عن أبيه انه رآه وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل انه قال أنا أقول بحديث ابن عباس انه رأى ربه بعينيه رآه رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس أحمد وقال أبو عمر رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار انتهى وجمع بينهما بانه قد يخفيه في بعض المجالس (وقد رجح القرطبي في المفهم بشرح مسلم قول الوقف في هذه المسئلة) وهو قول سعيد بن جبير لا أقول رآه ولا لم يره (وعزاه لجماعة من المحققين وقواه بانه ليس في الباب دليل قاطع وغاية ما استدل به الطائفتان ظواهر متعارضة قابلة للتأويل) ونحوه قول عياض أواخر هذا المبحث من الشفاء لامرية في الجواز اذ ليس في الآيات نص في المنع بل هي مشيرة للجواز وأما وجوب وقوعها لنبينا صلى الله عليه وسلم والقول بانه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضا ولا نص اذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده ولم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد متضمنه من رؤيته ربه ومثله حديث أبي ذر في تفسير الآية ثم قال فان ورد حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده انتهى (قال) القرطبي (وليست المسئلة من العمليات فيكتفى فيها بالادلة الظنية وانما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها الا بالدليل القطعي) ورده السبكي في السيف المسلول على من سب الرسول بانه ليس من شرطه أن يكون قاطعا متواترا بل متى كان حديثا صحيحا ولو ظاهرا وهو من رواية الآحاد جاز أن يعتمد عليه في ذلك لان ذلك ليس من مسائل الاعتقاد التي يشترط فيها القطع على أنا لسنا مكلفين بذلك انتهى (والله أعلم) بالواقع من ذلك (وأما قوله في الحديث) أي حديث مالك بن صعصعة الذي قدمه المصنف ثم تكلم عليه (ثم فرضت على الصلاة) بالافراد لابي ذر ولغيره الصلوات بالجمع (كل يوم خمسين صلاة ففي رواية ثابت البناني) بضم الموحدة ونونين بينهما ألف (عن أنس عند مسلم ففرض الله على) فصرح بذكر الفاعل وان كان في الاولى بنى للمفعول للعلم به (خمسين صلاة كل يوم وليلة) فأفاد أن المراد بيوم في الرواية الاولى مع الليلة (ونحوه في رواية مالك بن صعصعة عند البخاري أيضا) لا محل لذكر هذا لان رواية مالك هي التي أراد بقوله وأما قوله في الحديث وهذا انما ذكره الحافظ في قوله في الصلاة قال النبي صلى الله عليه وسلم ففرض الله على أمتي خمسين صلاة فعارضه الحافظ بروايتي ثابت ومالك من جهة تصريحه فيهما بان الفرض عليه وجمع الحافظ بقوله فيحتمل أن يقال في كل من رواية الباب والرواية الاخرى اختصار (ويحتمل أن يقال ذكر الفرض عليه يستلزم الفرض على الامة وبالعكس الا ما يستثنى من خصائصه) وكان المصنف حذف احتماله الاول لانه لم يذكر رواية الصلاة لكنه بترك رواية الصلاة صار لا كبير فائدة فيه اذ رواية ثابت موافقة للرواية التي شرحها فيكون قوله ذكر الفرض عليه ضائعا (وفي حديث ثابت عن أنس عند مسلم) عقب قوله وليلة (فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك) قال أولا فرض على وهنا على أمتك لان ما فرض على النبي فرض على أمته ففيه احتباك وهو من أنواع البديع وهو أن يذكر شيئين يحذف من كل منهما ما ذكر في الآخر فحذف من الاول وعلى أمتي ومن الثاني عليك وهذا جمع ثالث ولم يقل موسى عليك لانه علل

وهذا من جهل هذا القائل بالقرآن وبالرسل وتحميله كلام الله مالا يحتمله ونسبته رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما برأه الله منه فان زينب بنت جحش كانت تحت زيد ابن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تبناه وكان يدعى ابن محمد وكانت زينب فيها شمم وترفع عليه فشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلاقها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى في نفسه أن يتزوجها ان طلقها زيد وكان يخشى من قالة الناس انه تزوج امرأة ابنه لان زيدا كان يدعى ابنه فهذا هو الذي أخفاه في نفسه وهذه هي الخشية من الناس التي وقعت له ولهذا ذكر سبحانه هذه الآية يعدد فيها نعمه عليه لا يعاقبه فيها وأعلمه انه لا ينبغي له أن يخشى الناس فيما أحل الله له وان الله أحق أن يخشاه فلا يتحرج ما أحله له لاجل قول الناس ثم أخبره انه سبحانه زوجه اياها بعد قضاء زيد وطره منها لتقتدي أمته به في ذلك ويتزوج الرجل بامرأة ابنه من التبني لا امرأة ابنه لصلبه ولهذا قال في آية التحريم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وقال في هذه السورة ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقال في أولها

وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم فتأمل هذا الذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعدم الطاقة وهي انما تنسب الى الامة لاله ففيه حسن أدب موسى في الخطاب (قلت خمسين صلاة) تمييز (قال ارجع الى ربك) أي الى الموضع الذي ناجيته فيه (فاسأله التخفيف فان أمتك لا يطيقون) بضم أوله (ذلك) أي انه يشق عليهم فيقصرون فيه لا انه محال حتى يقال انه مبني على تكاليف المحال وهو جائز وفائدته الاخذ في مقدماته حتى يعلم امتثاله (فاني قد بلوت بني اسرائيل) أي اختبرتهم بأن أمرتهم بما كلفتهم به (وخبرتهم) أي علمت منهم عدم الوفاء بذلك فهو عطف مسبب على سبب يقال بلاه وابتلاه بخير أو شر بمعنى امتحنه خبرت الشئ من باب قتل علمته واختبرته بمعنى امتحنته كما في المصباح كذا مشاه شيخنا وقال غيره وخبرتهم عطف تفسير وهو واضح لان كونه بمعنى علم في خبر لا اختبر فمعناه امتحن وفيه مقدر أي خبرتهم مع قوة أجسادهم وطول أعمارهم فلم أجد لهم صبرا على ذلك فكيف حال أمتك (قال) صلى الله عليه وسلم (فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن أمتي) ما فرضته عليهم من الصلاة فحذف المفعول للعلم به وفي رواية شريك عن أنس قال أي موسى ان أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كأنه يستشيره في ذلك فاشار اليه جبريل أن نعم ان شئت فعلا به الى الجبار فقال وهو مكانه يا رب خفف عنا فان أمتي لا تستطيع هذا (فحط عني خمسا) منها وأصل معناه تنزيل الحمل فشبهه بالحمل تشبيها مكنيا كقوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به وفي رواية ابن صعصعة وأبي ذر وشريك فوضع (فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا فقال ان أمتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع) أي أردد الرجوع وأكرره (بين ربي وبين موسى) أي بين موضع مناجاتي له تعالى وملاقاتي لموسى (حتى قال) تعالى لما انتهى التخفيف الى خمس (يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة بكل صلاة عشر) فكل حسنة بعشر أمثالها (فتلك خمسون صلاة) وفي حديث أبي ذر هن خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدي ومر في حديث ابن صعصعة فوضع عني عشرا ومثله لشريك وفي رواية أبي ذر فوضع شطرها قال ابن المنير ذكر الشطر أعم من كونه وقع دفعة واحدة أو في مرار متعددة واذا ورد تفصيل واجمال حمل الاجمال على التفصيل فلا تعارض قال الحافظ وكذا العشر فكأنه وضع العشر في دفعتين والشطر في خمس دفعات أو المراد بالشطر البعض وقد حققت رواية ثابت أن التخفيف كان خمسا وهي زيادة معتمدة يتعين حمل باقي الرواية عليها وقال الكرماني الشطر هو النصف ففي المراجعة الاولى وضع خمسا وعشرين وفي الثانية ثلاثة عشر يعني نصف الخمسة وعشرين بجبر الكسر وفي الثالثة سبعة كذا قال وليس في حديث أبي ذر في المراجعة الثالثة ذكر وضع شئ الا أن يقال حذف ذلك اختصارا فيتجه لكن الجمع بين الروايات يأبى هذا الحمل فالمعتمد ما تقدم انتهى قال الشامي ويؤيد رواية ثابت ما رواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي وابن مردويه من حديث مالك بن صعصعة فحط عني خمسا وفيه فمازلت بين موسى وبين ربي يحط عني خمسا خمسا انتهى والظاهر أن هذه رواية شاذة وان صح اسنادها فالثابت في الصحيحين والنسائي ومسند أحمد من حديث مالك بن صعصعة فوضع عني عشرا وقدم المؤلف لفظه (ومن هم بحسنة) أي أراد فعلها مصمما عليه (فلم يعملها كتبت له حسنة) أي كتبت له الحسنة التي هم بها ولم يعملها كتابة واحدة لان الهم سببها وسبب الخير (فان عملها كتبت له عشرا) لان الحسنة بعشر أمثالها (ومن هم بسيئة لم يعملها لم تكتب شيأ) أي اذا لم يصمم على الفعل كما هو مذكور في محله وفي الفتح استثنى جماعة ممن ذهب الى عدم مؤاخذة من وقع منه الهم بالمعصية ما يقع في الحرم المكي ولو لم يصمم لقوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ذكره السدي في تفسيره عن مرة ابن مسعود وأخرجه أحمد من طريقه مرفوعا ومنهم من رجح وقفه (فان عملها كتبت سيئة واحدة) قال في الفتح استثنى

ودفع طعن الطاعنين عنه وبالله التوفيق ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب نساءه وكان أحبهن اليه عائشة رضي الله عنها ولم تكن تبلغ محبته لها ولا لاحد سوى ربه نهاية الحب بل صح انه قال لو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وفي لفظ وان صاحبكم خليل الرحمن

(فصل) وعشق الصور انما يبتلى به القلوب الفارغة من محبة الله تعالى المعرضة عنه المتعوضة بغيره عنه فاذا امتلأ القلب من محبة الله والشوق الى لقائه دفع ذلك عنه مرض عشق الصور ولهذا قال تعالى في حق يوسف كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فدل على ان الاخلاص سبب لدفع العشق وما يترتب عليه من السوء والفحشاء التي هي ثمرته ونتيجته فصرف المسبب صرف لسببه ولهذا قال بعض السلف العشق حركة قلب فارغ يعني فارغا مما سوى معشوقه قال تعالى وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدي به أي فارغا من كل شئ الا من موسى لفرط محبتها له وتعلق قلبها به والعشق مركب

بعض العلماء وقوع المعصية في الحرم المكي قال ابن اسحق بن منصور قلنا لاحمد هل ورد في شيء من الحديث أن السيئة تكتب بأكثر من واحدة قال لا ما سمعت الا بمكة لتعظيم البلد والجمهور على التعميم في الازمنة والامكنة لكن قد تتفاوت بالعظم ولا يرد على ذلك قوله تعالى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين لان ذلك ورد تعظيما لحق النبي صلى الله عليه وسلم لان وقوع ذلك من نسائه يقتضي أمرا زائدا على الفاحشة وهو أذاه صلى الله عليه وسلم واستدل به على ان الحفظة لا تكتب المباح للتقييد بالحسنات والسيآت وأجاب بعض الشراح بان بعض الائمة عد المباح من الحسن وتعقب بان الكلام فيما يترتب على فعله حسنة وليس المباح ولو سمي حسنا كذلك نعم قد تكتب حسنة بالنية وليس البحث فيه (قال) صلى الله عليه وسلم (فنزلت حتى انتهيت) أي انتهى سيري فوصلت (الى موسى) ولم يقل انتهيت قبل هذا وقال هنا اشارة الى انتهاء المراجعة ولا مراجعة بعده (فأخبرته) بما قال الله (فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف) من الخمس (فقلت لقد راجعت ربي) مرارا في سؤال التخفيف (حتى استحييت منه) زاد في حديث ابن صعصعة ولكن أرضى وأسلم وفي رواية شريك عن أنس قال صلى الله عليه وسلم يا موسى قد والله استحييت من ربي مما اختلفت اليه قال ابن المنير هنا نكتة لطيفة وهي انه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم تفرس من كون التخفيف وقع خمسا خمسا انه لو سأل التخفيف بعد ان صارت خمسا لكان سائلا في دفعها فلذلك استحيا قال الحافظ ودلت مراجعته صلى الله عليه وسلم له في طلب التخفيف في تلك المرات كلها انه لو علم أن الامر في كل مرة ليس على سبيل الالزام بخلاف المرة الاخيرة ففيها ما يشعر بذلك لقوله تعالى ما يبدل القول لدي ويحتمل ان يكون سبب الاستحياء ان العشرة آخر جمع القلة وأول جمع الكثرة فخشي ان يدخل في الالحاح في السؤال لكن الالحاح في الطلب من الله مطلوب فكأنه خشي من عدم القيام بالشكر وسيأتي في التوحيد زيادة في هذا ومخالفة انتهى (وفي رواية النسائي) من طريق يزيد بن أبي مالك (عن أنس فقيل لي انى يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة) كل يوم وليلة (فقم بها انت وأمتك وذكر مراجعته مع موسى وفيه فانه فرض على بني اسرائيل صلاتان فما قاموا بهما) هذا هو الصواب وما وقع في البيضاوي انه فرض عليهم خمسون صلاة في اليوم والليلة فقال السيوطي هذا غلط فلم يفرض على بني اسرائيل خمسون صلاة قط بل ولا خمس صلوات ولم تجمع الخمس الا لهذه الامة وانما فرض على بني اسرائيل صلاتان فقط كما في الحديث انتهى (وقال في آخره خمس بخمسين فقم بها انت وأمتك قال فعرفت أنها عزمة) أي طلب جازم لا يتغير (وان سألت) (من الله فرجعت الى موسى فقال ارجع فلم ارجع) فهذا صريح في أن عدم رجوعه لانه فهم ان الامر للالزام لا لمجرد الفراسة (فان قلت لم قال موسى عليه السلام لنبينا صلى الله عليه وسلم ان أمتك لا يطيقون ذلك ولم يقل انك وأمتك لا تطيقون) أي ما الحكمة في قصر العجز على الامة دونه (أجيب بان العجز مقصور على الامة لا يتعداهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فهو لما رزقه الله من الكمال يطيق ذلك واكثر منه وكيف لا) يكون ذلك (وقد جعلت قرة عينه) فرحها وسرورها (في الصلاة) ذات الركوع والسجود لانها محل المناجاة ومعدن المصافاة والقول بان المراد صلاة الله وملائكته منع بان السياق يأباه (قال العارف ابن أبي جمرة والحكمة في تخصيص فرض الصلاة بليلة الاسراء انه صلى الله عليه وسلم لما عرج به رأى في تلك الليلة تعبد الملائكة وان منهم القائم فلا يقعد والراكع فلا يسجد والساجد لا يقعد) أي لا يرفع رأسه منه أبدا (فجمع الله له ولامته تلك العبادات) ليعلمه بما أكرمه به من ان ما رآه من عبادة الملائكة جمع له ولامته (في ركعة واحدة يصليها العبد بشرائطها من الطمأنينة والاخلاص) وقال ابن أبي جمرة أيضا في اختصاص فرضها

العشق على كثير من العقلاء وتكلم فيها بعضهم بكلام يرغب عن ذكره الى الصواب فنقول قد استقرت حكمة الله عز وجل في خلقه وأمره على وقوع التناسب والتآلف بين الاشياء وانجذاب الشيء الى موافقه ومجانسه بالطبع وهروبه من مخالفه ونفرته عنه بالطبع فسر التمازج والاتصال في العالم العلوي والسفلي انما هو التناسب والتشاكل والتوافق وسر التباين والانفصال انما هو بعدم التشاكل والتناسب وعلى ذلك قام الخلق والامر فالمثل الى مثله مائل واليه صائر والضد عن ضده هارب وعنه نافر وقد قال تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فجعل سبحانه علة سكون الرجل الى امرأته كونها من جنسه وجوهره فعلة السكون المذكورة وهو الحب كونها منه فدل على ان العلة ليست بحسن الصورة ولا الموافقة في القصد والارادة ولا في الخلق والهدي وان كانت هذه أيضا من أسباب السكون والمحبة وقد ثبت في الصحيح عن

بليلة الاسراء اشارة الى عظم شأنها فلذلك اختص فرضها بكونه بغير واسطة بل بمراجعات تعددت على ماسبق بيانه (وقد وقع من موسى عليه السلام من العناية بهذه الامة في أمر الصلاة مالم يقع لغيره ووقعت الاشارة لذلك في حديث أبي هريرة عند الطبري والبزار قال صلى الله عليه وسلم كان موسى أشدهم على حين مررت) يشير الى نحو قوله فلما تجاوزت بكى قيل ما يبكيك قال لان غلاما بعث من بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي وغير ذلك مما تقدم في المتن (وخيرهم لي حين رجعت) لشفقته على أمتي (وفي حديث أبي سعيد) الخدري عند البيهقي وغيره (فاقبلت راجعا فررت بموسى ونعم الصاحب كان لكم) لامره لي بسؤال التخفيف عنكم كما أفاده بقوله (فسألني كم فرض عليك ربك الحديث) في المراجعة والقصد منه قوله ونعم الصاحب كان لكم (قال السهيلي وأما اعتناء موسى عليه السلام بهذه الامة والحاحه على نبيها أن يشفع لها ويسأل التخفيف عنها) في الصلاة (فلقوله) أي موسى ونسخة تعالى من جهل النساخ ولا ذكر لها في الروض (والله أعلم حين قضى) أوحى (الامر اليه) بالرسالة الى فرعون وقومه (بجانب) الجبل أو الوادي أو المكان (الغربي) من موسى حين المناجاة (ورأى صفات أمة محمد صلى الله عليه وسلم في الالواح وجعل يقول اني أجد في الالواح أمة صفتهم كذا) مقول القول (اللهم اجعلهم أمتي فيقال له تلك أمة أحمد وهو حديث مشهور) في التفاسير كما في الروض زاد المصنف (وقد تقدم ذكره في خصائص هذه الامة قال) السهيلي (فكان اشفاقه) أي حنوه وعطفه (عليهم واعتناؤه بامرهم كما يعتني بالقوم من هو منهم لقوله اللهم اجعلني منهم انتهى) أحسن الحافظ تلخيصه بقوله وذكر السهيلي ان الحكمة في ذلك انه رأى في مناجاته صفة أمة محمد فدعا الله ان يجعله منهم فكان اشفاقه عليهم كعناية من هو منهم انتهى (وقال القرطبي الحكمة في تخصيص موسى بمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الصلوات يحتمل ان تكون لكون أمة موسى عليه السلام كلفت من الصلوات مالم يكلف بغيرها من الامم قبلها فثقلت عليهم) وردان بني اسرائيل كلفوا بركعتين بالغداة وركعتين بالعشي قيل وركعتين عند الزوال فما قاموا بهما كلفوا به (فاشفق موسى على أمة محمد من مثل ذلك) قال ابن المنير أكثر الامة يغلب عليه التفريط في الصلوات الخمس خصوصا النساء وكثير من المصلين مفرط في الشروط غير موف بالحقوق فكان ذلك من آثار فراسة موسى فيهم لقوله للمصطفى وقد رجع الفرض الى الخمس ارجع الى ربك فاسأله التخفيف ولم يرد صلى الله عليه وسلم فراسة موسى ولكن قال استحييت وفي لفظ ارضى وأسلم (ويشير اليه قوله اني جربت) من التجربة وفي رواية خبرت (الناس قبلك) قال ابن أبي جمرة فيه ان التجربة أقوى من المعرفة الكثيرة لقول موسى للمصطفى انه عالج الناس قبله وجربهم وفيه تحكيم العادة والتنبيه بالاعلى على الادنى لان من سلف من الامم كانوا أقوى ابدانا من هذه الامة وقد قال موسى انه عالجهم على أقل من ذلك فما وافقوه انتهى بحروفه زاد في الفتح وقال غيره لعل الحكمة من جهة أنه ليس في الانبياء من له اتباع أكثر من موسى ولا له كتاب أكبر ولا أجمع للاحكام من كتابه فكان من هذه الجهة مضاهيا للنبي صلى الله عليه وسلم فناسب أن يتمنى ان يكون له مثل ما أنعم به عليه من غير ان يريد زواله عنه وناسب أن يطلعه على ما وقع له وينصحه فيما يتعلق به ويحتمل ان موسى لما وقع له في الابتداء الاسف على نقص حظ أمته بالنسبة لامة محمد حتى تمنى ان يكون منهم استدرك ذلك ببذل النصيحة لهم والشفقة عليهم ليزيل ما عساه ان يتوهم عليه فيما وقع منه في الابتداء (ووقع في كلام بعض أهل الاشارات) أي الصوفية في حكمة ذلك انه (لما تمكنت نار المحبة من قلب موسى عليه السلام اضاءت له أنوار نور الطور فاسرع اليها ليقتبس) يأخذ القبس

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وفي مسند الامام أحمد وغيره في سبب هذا الحديث ان امرأة بمكة كانت تضحك الناس فجاءت الى المدينة فنزلت على امرأة تضحك الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة الحديث وقد استقرت شريعته سبحانه ان حكم الشيء حكم مثله فلا تفرق شريعته بين متماثلين أبدا ولا تجمع بين متضادين ومن ظن خلاف ذلك فاما لقلة علمه بالشريعة واما لتقصيره في معرفة التماثل والاختلاف واما لنسبته الى شريعته مالم ينزل به سلطانا بل يكون من آراء الرجال فبحكمته وعدله ظهر خلقه وشرعه وبالعدل والميزان قام الخلق والشرع وهو التسوية بين المتماثلين والتفريق بين المختلفين وهذا كما انه ثابت في الدنيا فهو كذلك يوم القيامة قال تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعده الامام أحمد رحمه الله أزواجهم أشباههم ونظراؤهم وقال تعالى واذا النفوس زوجت أي قرن كل صاحب عمل بشكله ونظيره

وهو شعلة فى رأس فتيلة أو عود (فاحتبس فلما نودى من النادى) انى أنا الله (اشتاق الى المنادى فكان يطوف فى بنى اسرائيل) قائلا (من يحملنى رسالة الى ربى ومراده ان تطول مناجاته مع الحبيب) أى الله (فلما مر عليه النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج) وعلم ان الله اتخذه حبيبا (ردده فى أمر الصلوات ليسعد برؤية حبيب الحبيب) سواء قيل انه رآه أم لا (وقال آخر) من الصوفية أيضا (لما سأل موسى عليه السلام الرؤية ولم تحصل له البغية) بكسر الباء وضمها لغة أى الحاجة التى طلبها (بقى الشوق يقلقه) يزعجه (والامل) الرجاء (يعلله) أى يشغله بما رجاه فيسهل عليه الامر ويتسلى بما يترجاه (فلما تحقق ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم منح الرؤية) لله سبحانه (وفتح له باب المزية أكثر السؤال) أى قصد بتكرير رجوعه (ليسعد برؤية) أى تكرار رؤية (من قد رأى) قال الحافظ ويحتاج الى ثبوت تجديد الرؤية فى كل مرة انتهى أى فانها ما ثبتت سوى مرة مع قوة الخلاف وتعقب بان محبته لرؤية من رأى لا تتوقف على تجددها اذ يكفى علمه بانه رآه مرة واحدة لعلمه انه حصل له بها ما لم يحصل لغيره فيحمله ذلك على محبة رؤيته ومخاطبته ويكررها بل مثله يحمل على محبة الاتصال به بحيث يود ان لا يفارقه لحظة ويؤيده قوله

وأشرب الماء ما بى نحوه عطش * الا لان عيونى سيل واديها

(كما قيل واستنشق الارواح) جمع روح بالفتح وهو نسيم الريح (من نحو أرضكم * لعلى أراكم أو أرى من يراكم) فكلاهما محبوب (وأنشد) أسال (من لا قيت عنكم عساكم * تجودون) تسمحون (لى بالعطف) الحنو والشفقة (منكم عساكم) تأكيد لفظى للتقوية وفيه تجريد الفعل بعد عسى من ان وهو قليل (فانتم حياتى ان حييت وان أمت * بهواكم (فيا حبذا ان مت عبد هواكم) لانه غاية السعادة (وقال آخر

وانما السر فى موسى يردده * ليجتلى حسن ليلى حين يشهده

يبدو سناها على وجه الرسول فيا * لله در رسول حين أشهده

وقال آخر) من الصوفية فى حكمة ذلك (لما جلس الحبيب) المصطفى (فى مقام القرب) أى الموضع الذى حصلت فيه المناجاة له الذى لم يصل اليه ملك مقرب ولا نبى مرسل سواه (دارت عليه كؤوس الحب) حيث قال له اتخذتك حبيبا (ثم عاد وهلال) واحد الاهلة (ما كذب الفؤاد ما رأى بين عينيه بشر) بكسر الموحدة وسكون المعجمة (فاوحى الى عبده ما أوحى مل قلبه وأذنيه فلما اجتاز بموسى عليه السلام قال لسان حاله لنبينا صلى الله عليه وسلم

يا واردا من أهيل الحى يخبرنى * عن جيرتى شنف الاسماع بالخبر

ناشدتك الله يا راوى حديثهم * حدث فقد ناب سمعى اليوم عن بصرى)

شنف الاسماع أى فرحها بخبر الاحباب وسرها أى أصحابها بذلك مأخوذ من شنف الجارية اذا جعل لها شنفا وهو ما يعلق فى أعلى الاذن (فاجاب لسان حال نبينا صلى الله عليه وسلم) بقول ابن الفارض

(ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا * سر أرق من النسيم اذا سرى

وأباح طرفى نظرة أملتها * فغدوت معروفا وكنت منكرا)

وحاصل هذا ان حكمة ترديده ليعلم ما أوحى اليه فاشير للجواب بانه من السر الذى لا يفشى ثم هى حكم لا تتزاحم (فكل قوم يلحظون مذهبهم وقد علم كل اناس مشربهم) موضع شربهم فلا يشاركهم غيرهم فيه (والله تعالى بفضله واحسانه يوالى انسجام سحائب عفوه ورضوانه على العارف الربانى الشيخ)

أو أبى وفى صحيح الحاكم وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يحب المرء قوما الا حشر معهم والمحبة أنواع متعددة فافضلها وأجلها المحبة فى الله ولله وهى تستلزم محبة ما أحب الله وتستلزم محبة الله ورسوله ومنها محبة الاتفاق فى طريقة أو دين أو مذهب أو نحلة أو قرابة أو صناعة أو مراد ما ومنها محبة لنيل غرض من المحبوب اما من جاهه أو من ماله أو من تعليمه وارشاده أو قضاء وطر منه وهذه هى المحبة العرضية التى تزول بزوال الموجب لها فانه من ودك لامر ولى عند انقضائه وأما محبة المشاكلة والمناسبة التى بين المحب والمحبوب فحبة لازمة لا تزول الا لعارض يزيلها ومحبة العشق من هذا النوع فانها استحسان روحانى وامتزاج نفسانى ولا يعرض فى شئ من أنواع المحبة من الوسواس والنحول وشغل البال والتلف ما يعرض من العشق فان قيل فاذا كان سبب العشق ما ذكرتم من الاتصال والتناسب الروحانى فما باله لا يكون دائما من الطرفين بل نجده كثيرا من طرف العاشق وحده فلو كان سببه الاتصال النفسى والامتزاج الروحانى

محمد بن الحسين بن محمد بن موسى (أبي عبد الرحمن السلمي) بضم السين وفتح اللام نسبة الى جده اسمه سليم الازدي النيسابوري الصوفي سمع الاصم وغيره وسأل الدارقطني عن الرجال سؤال عارف بالحديث وعنه القشيري والبيهقي والحاكم ومات قبله بسبع سنين وكان حافظا عالما زاهدا ثقة ولا عبرة بمن قال كان يضع للصوفية الاحاديث ولد سنة ثلاثين وثلثمائة قال الذهبي كان وافر الجلالة وتصانيفه قيل نحو ألف مات ثالث شعبان سنة اثنتي عشرة وأربعمائة بنيسابور (فلقد أجاد اذ أفاد بما أفرده من لطائف المعراج حسبما جمعه من كلام أهل الاشارات باقوم منهاج) أي طريق قال ابن أبي جمرة والحكمة في ان ابراهيم لم يتكلم في طلب التخفيف ان مقام الخلة انما هو الرضا والتسليم والكلام في هذا الشان ينافي ذلك المقام وموسى هو الكليم والكليم أعطي الادلال والانبساط ومن ثم استبد موسى بامر النبي صلى الله عليه وسلم بطلب التخفيف دون ابراهيم مع ان للمصطفى من الاختصاص بابراهيم أزيد مما له من موسى لمقام الابوة ورفعة المنزلة والاتباع في الملة وقال غيره الحكمة في ذلك ما أشار اليه موسى في نفس الحديث من سبقه الى معالجة قومه في هذه العبادة بعينها وانهم خالفوه وعصوه وقال القرطبي وأما قول من قال ان موسى أول من لاقاه بعد الهبوط فلا يصح لان حديث مالك بن صعصعة انه رآه في السادسة وابراهيم في السابعة اقوى اسنادا من حديث شريك انه رأى موسى في السابعة قال الحافظ اذا جمعنا بينهما بانه لقيه في الصعود في السادسة وصعد معه الى السابعة فلقيه فيها بعد الهبوط ارتفع الاشكال وبطل الرد (وقد استدل العلماء بقوله في الحديث) السابق قريبا من رواية ثابت عن أنس عند مسلم (انهن خمس صلوات كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون) صلاة ونحوه حديث أبي ذر هن خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدي وفي رواية شريك كل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك أي وعلى أمتك (على عدم فرضية ما زاد على الصلوات الخمس كالوتر) خلافا لمن قال به (وعلى دخول النسخ قبل الفعل) كذا في النسخ وصوابه على جواز وفيه سقط فلفظ فتح الباري وعلى دخول النسخ في الانشاآت ولو كانت مؤكدة خلافا لقوم فيما أكد وعلى جواز النسخ قبل الفعل (قال ابن بطال وغيره ألا ترى أنه عز وجل نسخ الخمسين بالخمس قبل أن تصلى ثم تفضل عليهم بان أكمل لهم الصواب وتعقبه ابن المنير فقال هذا ذكره طوائف من الاصوليين والشراح وغيرهم وهو مشكل على من أثبت النسخ قبل الفعل كالاشاعرة) بناء على قولهم بجواز بل وقوع التكليف بما لا يستطاع لان الافعال كلها مخلوقة لله تعالى والعبد مطالب بما لا يقدر على ايجاده ولا يقدر على احرازه لقوله والله خلقكم وما تعملون (أو منعه كالمعتزلة) جريا على قولهم العبد يخلق فعل نفسه ويوجد طاعة ربه باستطاعته فلا يتصور التكليف عندهم بما لا يستطاع فلا يتصور النسخ قبل التمكن من الفعل (لكونهم اتفقوا جميعا على أن النسخ لا يتصور قبل البلاغ) قال المصنف وتعقب بان الخلاف ماثور نص عليه ابن دقيق العيد في شرح العمدة وغيره (وحديث الاسراء وقع فيه النسخ قبل البلاغ فهو مشكل عليهم جميعا قال) ابن المنير (وهذه نكتة مبتكرة انتهى) وتعقبه الحافظ وتبعه المصنف بقوله (فان أراد قبل البلاغ لكل أحد فممنوع) لان ذلك بلغ النبي صلى الله عليه وسلم (وان أراد قبل البلاغ الى بعض الامة) صوابه اسقاط بعض كما في الفتح (فمسلم لكن قد يقال هو بالنسبة اليهم ليس نسخا لكن هو نسخ بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم لانه كلف بذلك قطعا ثم نسخ بعد أن بلغه وقبل أن يفعله فالمسئلة صحيحة التصور في حقه صلى الله عليه وسلم) وهذا الاستدراك انما هو ايضاح لما قبله لكن التعقب على ابن المنير بهذا فيه نظر لانه ذكر في معراجه الجواب بتصور النسخ في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقال هذا جواب ضعيف بل كان التكليف عاما القول

لكانت المحبة مشتركة بينهما فالجواب ان السبب قد يتخلف عنه مسببه لفوات شرط أو لوجود مانع وتخلف المحبة من الجانب الآخر لابد أن يكون لاحد ثلاثة أسباب * الاول علة في المحبة وانها محبة عرضية لا ذاتية ولا يجب الاشتراك في المحبة العرضية بل قد يلزمها نفرة من المحبوب * الثاني مانع يقوم بالمحب يمنع محبة محبوبه له اما في خلقه أو خلقه أو هديه أو فعله أو هيأته أو غير ذلك * الثالث مانع يقوم بالمحبوب يمنع مشاركته للمحب في محبته ولولا ذلك المانع لقام به من المحبة لمحبه مثل ما قام بالآخر فاذا انتفت هذه الموانع وكانت المحبة ذاتية فلا يكون قط الا من الجانبين ولولا مانع الكبر والحسد والرياسة والمعاداة في الكفار لكانت الرسل أحب اليهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم ولما زال هذا المانع من قلوب اتباعهم كانت محبتهم لهم فوق محبة الانفس والاهل والمال

(فصل) والمقصود ان العشق لما كان مرضا من الامراض كان قابلا للعلاج وله أنواع من العلاج فان كان مما للعاشق سبيل الى وصل محبوبه شرعا وقدرا فهو علاجه كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع

موسى ان أمتك لا تطيق ذلك وسله التخفيف لامتك وتجويز أن التكليف كان عليه خاصة لرواية فرض على خمسين صلاة لكنه فهم أن الامة تدخل بعد وكذا فهم موسى فراجعه في التخفيف وكذا كل تكليف يتقدم فيه الرسول على الامة تقدما زمانيا لانه يبلغه عن الله قبل أن يبلغهم منه ولذا قال وأنا أول المسلمين فيه نظر لانه لو فهم دخولهم دخولا ضروريا اذ فهمه صواب قطعا فيعود الاشكال لانه اختص بالتكليف ثم التخفيف ثم كلفت الامة بالتخفيف لا بالاصل فلم يدخلوا فيه البتة فالاحسن الجواب بانه عام في حقه وحقهم والتخفيف أيضا عام وانما صح النسخ في حق الامة لان الاسلام يوجب على كل مسلم الدخول في فروعه وشرائعه فكل من آمن في حياته عليه السلام آمن على أن ثم تكاليف منها ما نزل مبينا بكل وجه وما نزل مجملا من وجه مبينا من وجه وما لم ينزل وسينزل والتزام الاسلام شامل للجميع فكما يجوز النسخ بعد البلاغ وفيه نوع اجمال كذلك يجوز قبل البلاغ لانه دخل عليه بالالتزام العام ولا فرق بين اجمال واجمال وأكثر الفرائض انما وجب مجملا ثم بين وقت الحاجة كالصلاة والزكاة لم يقترن باول وجوبها ذكر أعدادها ولا أوقاتها ولا شرائطها انتهى ملخصا (ولما رجع صلى الله عليه وسلم من سفر الاسراء مر في بعض طريقه بعير) بكسر العين ابل باحمالها (لقريش تحمل طعاما وفيها جمل يحمل غرارتين) تثنية غرارة وهي الجوالق بجيم مضمومة فواو فالف فقاف الخرج (غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذى العير نفرت منه واستدارت) أي دار بعضها ببعض من النفرة (وانصرع ذلك البعير) وانكسر رواه ابن أبي حاتم عن أنس (وفي رواية) له أيضا عنه (ومر بعير) ابل (قد أضلوا بعيرا) أي واحدا وهو ناقة والبعير يقع على الذكر والانثى (لهم قد جمعه فلان) أي أتى به قال المجد الجمع كالمنع تأليف المفترق (قال صلى الله عليه وسلم فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد) لانه سلم عليهم كما في الرواية (ثم أتى محمد) صلى الله عليه وسلم (مكة قبل الصبح وأخبر قومه بما رأى وقال لهم ان من آية ما أقول لكم أني مررت بعير لكم في مكان كذا وكذا) أي بالروحاء كما في حديث أم هانئ (وقد أضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان) لرجل سماه فنسي الراوي اسمه (وان مسيرهم ينزلون بكذا كذا وكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم) بضم الدال كقوله تعالى يقدم قومه والماضي بفتحها (جمل آدم) بفتح الهمزة والمد وفتح الدال وأصله أأدم بهمزتين أبدلت الثانية ألفا أي شديد السواد والناقة أدماء كما في الصحاح (وعليه مسح أسود وغرارتان) وفي رواية أبي يعلى قالوا فأخبرنا عن عدتها وما فيها من الرعاة قال وكنت عن عدتها مشغولا ثم قام فأتى الابل فعدها وعلم ما فيها من الرعاة ثم أتى قريشا فقال هي كذا وكذا وفيها من الرعاة فلان وفلان فكان كما قال (فلما كان ذلك اليوم) الذي قال انهم يأتون فيه (أشرف الناس ينظرون حتى اذا كان قريب من نصف النهار أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل كما وصف عليه السلام وفي رواية) للبيهقي عن يونس بن بكير وعن اسمعيل السدي (سألوه آية فأخبرهم بقدوم العير يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس أن تغرب فدعا الله تعالى فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف) وهو مخالف للرواية قوله انها أقبلت قرب نصف النهار ولا خلف لانه مر بعير بل بثلاثة فكان احداها تأخرت وقد روى الطبراني وابن مردويه عن أم هانئ قالوا أخبرنا عن عيرنا فقال أتيت على عير بني فلان بالروحاء قد ضلوا ناقة لهم فانطلقوا في طلبها فانتهيت الى رحالهم فليس بها منهم أحد واذا قدح ماء فشربت منه ثم انتهيت الى عير بني فلان فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر ثم انتهيت الى عير بني فلان في التنعيم يقدمهم جمل أورق عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان وها هي ذه تطلع عليكم من الثنية فاستقبلوا الابل فقالوا هل ضل لكم بعير قالوا نعم فسألوا العير الآخر فقالوا هل انكسر لكم ناقة حمراء

منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء فدل الحديث على علاجين أصلى وبدلى وأمره بالاصلى وهو العلاج الذي وضع لهذا الداء فلا ينبغي العدول عنه الى غيره ما وجد اليه سبيلا وروى ابن ماجه في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لم نر للمتحابين مثل النكاح وهذا المعنى الذي أشار اليه سبحانه عقيب احلال النساء حرائرهن واماءهن عند الحاجة بقوله يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا فذكر تخفيفه في هذا الموضع واخباره عن ضعف الانسان يدل على ضعفه عن احتمال هذه الشهوة وانه سبحانه خفف عنه أمرها بما أباحه له من أطايب النساء مثنى وثلاث ورباع وأباح له ما شاء مما ملكت يمينه ثم أباح له أن يتزوج بالاماء ان احتاج الى ذلك علاجا لهذه الشهوة وتخفيفا عن هذا الخلق الضعيف ورحمة به

(فصل) وان كان لا سبيل للعاشق الى وصال معشوقه قدرا أو شرعا أو هو ممتنع عليه من الجهتين وهو الداء العضال فمن علاجه إشعار نفسه اليأس منه فان النفس متى يئست من الشيء استراحت منه ولم تلتفت اليه فان لم يزل مرض

قالوا نعم قالوا فهل كان عندكم قصعة من ماء فقال رجل أنا والله وضعتها فاشربها أحد منا ولا أهريقت في الارض زاد أبو يعلى وابن عساكر فرموه بالسحر وقالوا صدق الوليد فانزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الافتنة للناس (وعن عائشة لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس كانوا آمنوا) لانهم استبعدوا وقوع ذلك بالشقاوة التي كتبت عليهم وفي حديث ابن عباس عند أحمد والبزار باسناد حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان ليلة أسرى بي وأصبحت بمكة مر بي عدو الله أبو جهل فقال هل كان من شئ قلت انى أسرى بي الليلة الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين أظهرنا قلت نعم قال فان دعوت قومك أتحدثهم بذلك قلت نعم قال يامعشر بني كعب بن لؤى فانقضت اليه المجالس فقال حدث قومك بما حدثتني فحدثهم فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا (وسعى رجال من المشركين الى أبي بكر فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه أسرى به الليلة الى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم) وفي رواية ابن اسحق فقال لهم أبو بكر انكم لتكذبون عليه قالوا بل ها هو ذاك في المسجد يحدث به الناس (قال لئن قال ذلك لقد صدق) أي لئن تحققتم قوله ذلك فتحققوا انه قد صدق لانكم تعلمون انه لا يكذب فاتى باللام وقد زيادة في تحقق صدقه (قالوا أتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح فقال نعم انى لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك) وأزال توهم قصر البعد على الارض بقوله (أصدقه في خبر السماء في غدوة) بضم الغين ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (أو روحة) اسم للوقت من الزوال للغروب (فلذلك سمى الصديق رواه الحاكم في المستدرك) من حديث عائشة (وابن اسحق) من حديث الحسن البصري مرسلا (وزاد ثم أقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يانبي الله أحدثت) بهمزة الاستفهام وتاء الخطاب كما هو في ابن اسحق (هؤلاء) القوم (أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة قال نعم) حدثتهم (فقال يانبي الله صفه لي فاني قد جئته قال الحسن) البصري (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع لي المسجد حتى نظرت اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابي بكر فيقول أبو بكر صدقت أشهد أنك رسول الله كلما وصف له منه شيأ) قال صدقت أشهد انك رسول الله حتى انتهى قال صلى الله عليه وسلم وأنت يا أبا بكر الصديق فيومئذ سماه الصديق وأنزل الله وما جعلنا الرؤيا الآية هذا بقيته في ابن اسحق (وقول أبي بكر صفه لي لم يكن عن شك فانه صدقه من أول وهلة ولكنه أراد اظهار صدقه عليه الصلاة والسلام لقومه فانهم كانوا يثقون) بمثلثة من الوثوق (بابي بكر فاذا طابق خبره عليه السلام ما كان يعلم أبو بكر وصدقه كان حجة ظاهرة عليهم وفي رواية البخاري) ومسلم كلاهما عن جابر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني قريش قمت في الحجر (فجلى) بجيم وتخفيف اللام ولابي ذر عن الكشميهني بتشديدها (الله لي بيت المقدس) فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه هذا بقيته في البخاري ومسلم وقوله فجلى (أي كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته) والمسجد في مكانه (وفي رواية مسلم) عن أبي هريرة رفعه لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراى (فسألتني عن أشياء) من بيت المقدس (لم أثبتها) أي لم أعرفها حق المعرفة (فكربت) بضم الكاف وكسر الراء من الكرب وهو الغم الذي يأخذ النفس لشدته (كربا شديدا) وفي رواية كربة بضم الكاف وسكون الراء (لم أكرب مثله) بتذكير الضمير عائدا على معنى كربة على روايتها وهو الغم والهم أو الشئ (قال فرفعه الله لي أنظر اليه ما يسألوني عن شئ الا أنبأتهم) أخبرتهم (به فيحتمل أن يكون حمل الى ان وضع بحيث يراه ثم أعيد ففي حديث ابن عباس عند أحمد والبزار فجئ بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع عند دار

مع العشق اليأس فقد انحرف الطبع انحرافا شديدا فينتقل الى علاج آخر وهو علاج عقله بأن يعلم بأن تعلق القلب بما لا يطمع في حصوله نوع من الجنون وصاحبه بمنزلة من يعشق الشمس وروحه متعلقة بالصعود اليها والدوران معها في فلكها وهذا معدود عند جميع العقلاء في زمرة المجانين وان كان الوصال متعذرا شرعا لا قدرا فعلاجه بان ينزله منزلة المتعذر قدرا اذلم يأذن فيه الله فعلاج العبد ونجاته موقوف على اجتنابه فليشعر نفسه انه معدوم ممتنع لا سبيل له اليه وانه بمنزلة سائر المحالات فان لم تجبه النفس الامارة فليتركه لاحد أمرين اما خشية واما فوات محبوب هو أحب اليه وأنفع له وخير له منه وأدوم لذة وسرورا فان العاقل متى وازن بين نيل محبوب سريع الزوال بفوات محبوب أعظم منه وأدوم وأنفع وألذ أو بالعكس ظهر له التفاوت فلا تبع لذة الابد التي لا خطر لها بلذة ساعة تنقلب آلاما وحقيقتها انها أحلام نائم أو خيال لا ثبات له فتذهب اللذة وتبقى التبعة وتزول الشهوة وتبقى الشقوة الثاني حصول مكروه أشق عليه من فوات هذا المحبوب بل يجتمع له الامران أعني فوات ما هو أحب اليه من هذا المحبوب وحصول ما هو أكره اليه من فوات

عقيل فنعته وانا انظر اليه) قال الحافظ وهذا يقتضى أنه ازيل من مكانه حتى أحضر اليه وما ذلك فى قدرة الله بعزيز (وهذا أبلغ فى المعجزة) من كشفه له عن المسجد وهو فى مكانه (ولا استحالة فيه فقد أحضر عرش بلقيس فى طرفة عين) لسليمان (وأما ما وقع فى حديث أم هانئ عند ابن سعد فخيل الى بيت المقدس وطفقت) بكسر الفاء وسكون القاف (أخبرهم عن آياته) علاماته (فان ثبت) لفظ خيل زاد الحافظ ولم يكن مغيرا من قوله فجلى (احتمل أن يكون المراد مثل قربيا منه كما قيل فى حديث أريت الجنة والنار ويؤول قوله فى حديث ابن عباس جئ بالمسجد أى جئ بمثاله) زاد الحافظ ويؤيد الاحتمال الاول أى تفسير جلى بكشف حديث شداد بن أوس عند البزار والطبرانى ففيه ثم أتيت أصحابى قبل الصبح بمكة فأتانى أبو بكر فقال أين كنت الليلة قلت انى أتيت بيت المقدس فقال انه مسيرة شهر فصفه لى قال ففتح الى شراك كأنى أنظر اليه لا يسالنى عن شئ الا أنبأته عنه (وفى حديث أم هانئ المذكور انهم قالوا له كم للمسجد من باب قال ولم أكن عددتها قال فجعلت أنظر اليه وأعدها بابا بابا) أى بعد باب (وعند أبى يعلى) من حديث أم هانئ (ان الذى سأله) صلى الله عليه وسلم (عن صفة بيت المقدس هو المطعم بن عدى) الميت على كفره (والد جبير) بضم الجيم (ابن مطعم) النوفلى الصحابى الشهير ولا تنافى فانه سأله امتحانا وأبو بكر أراده لان يصدقه قومه وقد علم الصديق أنه ان لم يكن أثبته تلك الليلة فالله يطلعه عليه ثم لا ينافى اسناد السؤال الى المطعم رواية من روى أن الكفار قالوا يا محمد صف لنا بيت المقدس كيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل فذهب ينعت لهم بناؤه كذا وهيئته كذا وقربه من الجبل كذا فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب لاحتمال أن المطعم هو الذى ابتدأ سؤاله من المشركين كما أنه الذى تولى كبر التكذيب يومئذ روى أبو يعلى وغيره عن أم هانئ انه صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم بالاسراء الى بيت المقدس ضجوا وأعظموا ذلك فقال المطعم بن عدى كل أمرك قبل اليوم كان أمما غير قولك اليوم انا أشهد أنك كاذب نحن نضرب أكباد الابل مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا تزعم أنك قد أتيته فى ليلة واللات والعزى لا أصدقك فقال أبو بكر يا مطعم بئس ما قلت لابن أخيك جبهته وكذبته انا أشهد انه صادق (وأشار ابن أبى جمرة الى ان الحكمة فى الاسراء الى بيت المقدس اظهار الحق للمعاند) الذى يريد اخماد الحق (لانه لو عرج به من مكة الى السماء لم يجد لمعاندة الاعداء سبيلا الى البيان والايضاح حيث سألوه عن جزئيات) تتعلق بالاسراء وبينها بقوله (من) سؤالهم عن صفة (بيت المقدس) حتى أبوابه عن عدتها (كانوا رأوها وعلموا انه لم يكن رآها قبل ذلك فلما أخبرهم بها حصل التحقيق انه أسرى به الى بيت المقدس) وان أصروا على التكذيب فلمحض العناد (واذا صح البعض لزم تصحيح الباقى فكان ذلك سببا لقوة ايمان المؤمنين وزيادة فى شقاء من عاند وجحد من الكافرين) أصلا وارتدادا وثم حكم أخر ولا تزاحم (والله أعلم) بحقيقة الحكمة فى ذلك وقد اقتصر المصنف فى الاسراء والمعراج على الزبد التى ذكرها لان مرامه الاختصار والا فمعلوم ما فيه من التصانيف المبسوطة التى لو جمعت واختصرت كانت عدة اسفار كبار

*(المقصد السادس فى) بيان (ما ورد فى آى التنزيل من عظم قدره) بيان لما أى بيان مقداره وشرف رتبته (ورفعة) أى اعلاء (ذكره) بين الناس [٢] بأمرهم بالثناء عليه فيه وقرن اسمه باسمه محمد رسول الله وجعل طاعته طاعته من يطع الرسول فقد أطاع الله وخطابه بالقاب يا أيها النبى يا أيها الرسول (وشهادته له) أى اخباره والشهادة خبر قاطع كما فى القاموس (بصدق نبوته) أى بوجودها وتحققها فى نفسها التحقق أنها وحى من الله أو المراد بصدقه عليه السلام فى دعواها ومن ذلك قوله تعالى انا

---

[٢] قوله بأمرهم فى بعض النسخ حذفه اهـ

أرسلناك

هذا المحبوب فاذا تيقن ان فى اعطاء النفس حظها من هذا المحبوب هذين الامرين هان عليه تركه ورأى ان صبره على فوته أسهل من صبره عليهما بكثير فعقله ودينه ومروءته وانسانيته تأمره باحتمال الضرر اليسير الذى ينقلب سريعا لذة وسرورا وفرحا لدفع هذين الضررين العظيمين وجهله وهواه وظلمه وطيشه وخفته يأمره بايثار هذا المحبوب العاجل بما فيه جالبا عليه ما جلب والمعصوم من عصمه الله فان لم تقبل نفسه هذا الدواء ولم تطاوعه لهذه المعالجة فلينظر ما تجلب عليه هذه الشهوة من مفاسد عاجلته وما تمنعه من مصالحها فانها أجلب شئ لمفاسد الدنيا وأعظم شئ تعطيلا لمصالحها فانها تحول بين العبد وبين رشده الذى هو ملاك أمره وقوام مصالحه فان لم تقبل نفسه هذا الدواء فليتذكر قبائح المحبوب وما يدعوه الى النفرة عنه فانه ان طلبها وتأملها وجدها أضعاف محاسنه التى تدعو الى حبه وليسال جيرانه عما خفى عليه منها فان المحاسن كما هى داعية الحب والارادة فالمساوى داعية البغض والنفرة فليوازن بين الداعيين وليحب أسبقهما وأقربهما منه بابا ولا يكن ممن غره لون جمال على جسم أبرص مجذوم

ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وقوله يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وقوله ولكن رسول الله وخاتم النبيين وقوله يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فجعله شاهدا على أمته بابلاغهم الرسالة وهذا من خصائصه ومبشرا لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعصية وداعيا الى توحيد الله وسراجا منيرا يهتدى به للحق (وثبوت بعثته) كالدليل على تحقق نبوته (وقسمه تعالى على تحقيق رسالته) بنحو يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم (وعلو منصبه) حسبه وشرفه (الجليل) العظيم (ومكانته) عظمته يقال مكن فلان مكانة بزنة ضخم ضخامة عظم وارتفع فهو مكين أو استقامته يقال الناس على مكاناتهم أى على استقامتهم (ووجوب طاعته) بنحو يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول (واتباع سنته) طريقته بنحو قوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وقوله لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (وأخذه تعالى له الميثاق على سائر) أى جميع (النبيين فضلا) أى احسانا (ومنة) أى انعاما (ليؤمنن به ان ادركوه ولينصرنه) بقوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين الآية (والتنويه) أى الرفع والتعظيم (به فى الكتب السالفة) بذكر اسمه ونعته فيها (كالتوراة والانجيل) كما فى الصحيح عن عبد الله بن عمر انه صلى الله عليه وسلم موصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الحديث فى التنزيل عن الانجيل ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد وفى نسخ والتوراة والانجيل من عطف الخاص على العام تنبيها على عظم قدرهما حتى كأنهما نوع مغاير لما عطف عليه (بانه صاحب الرسالة والتبجيل) متعلق بقوله والتنويه به بعد تعلقه بالاول والمعنى رفع ذكره بانه صاحب الرسالة وهذا أظهر من كونه بدلا منه (وغير ذلك * اعلم) أمر يصدر به ما يعتنى به من الكلام (أطلعنى الله واياك على أسرار التنزيل) بمعنى المنزل وهو القرآن أو الكتب المنزلة فيشمل جميعها (ومنحنا) وهبنا (بلطفه تبصرة) أى تنويرا فى قلوبنا وهى رؤية الاشياء بعين البصيرة بحيث لا يقتصر منها على رؤية ظاهرها بل تعبر الى ما يؤل اليه باطنها كذا فى لطائف الاعلام (تهدينا الى سواء السبيل) الطريق ومعمول اعلم (انه لا سبيل لنا ان نستوعب الآيات الدالة على ذلك وما فيها من التصريح والاشارة) أى من حيث دلالتها على ذلك فلا ينافى أن الآيات الدالة محصورة معدودة فى أنفسها بل حروف القرآن كلها محصورة مضبوطة واحتمال ان المراد بالآيات معناها اللغوى وهو العلامات الدالة على نبوته وغيرها مما ثبت له من الكمالات مدفوع بان الترجمة فيما ورد فى آى التنزيل لا فى مطلق العلامات (الى علو محله الرفيع) أى الشريف (ومرتبته ووجوب المبالغة فى حفظ الادب معه) كقوله لا تقدموا بين يدى الله ورسوله (وكذلك الآيات التى فيها ثناؤه تعالى عليه واظهاره عظيم شانه لديه) عنده (وقسمه تعالى بحياته) بقوله لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون اتفق المفسرون على انه قسم من الله بمدة حياته صلى الله عليه وسلم حكاه عياض ومراده مفسر والسلف فانه كما قال ابن القيم لا يعرف بينهم فى ذلك نزاع ولم يوفق الزمخشرى فى قوله انه خطاب من الملائكة للوط ويأتى ان شاء الله تعالى بسطه عند حكاية المصنف ذلك (وندائه بالرسول والنبى ولم يناد باسمه بخلاف غيره) من الانبياء (فناداهم باسمائهم) يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا لوط يا موسى يا عيسى (الى غير ذلك مما يشير الى انافة) أى زيادة (قدره) من انافت الدراهم على مائة زادت عليها (العلى) الرفيع (عنده) تعالى (وانه لا مجد يساوى مجده) شرفه وكرمه فى ذاته وأصوله (ومن تامل القرآن العظيم وجده طافحا) ممتلئا أى دالا دلالة ظاهرة بكثرة بمعنى ناطقا فلذا عداه بالباء فى قوله (بتعظيم الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ويرحم الله ابن الخطيب) أبا عبد الله محمد بن

وليجاوز بصره حسن الصورة الى قبح الفعل وليعبر من حسن المنظر والجسم الى قبح الخبر والقلب فان عجزت عنه هذه الادوية كلها لم يبق له الاصدق اللجا الى من يجيب المضطر اذا دعاه وليطرح نفسه بين يديه على بابه مستغيثا به متضرعا متذللا مستكينا فمن وفق لذلك فقد قرع باب التوفيق فليعف وليكتم ولا يشبب بذكر المحبوب ولا يفضحه بين الناس ويعرضه للاذى فانه يكون ظالما متعديا ولا يغتر بالحديث الموضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رواه سويد بن سعيد عن على بن مسهر عن أبى يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ورواه عن أبى مسهر أيضا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم ورواه الزبير بن بكار عن عبد الملك بن عبد العزيز ابن الماجشون عن عبد العزيز بن أبى حازم عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من عشق فعف فمات فهو شهيد وفى رواية من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وادخله الجنة فان هذا الحديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولا يجوز أن يكون من كلامه فان الشهادة درجة عالية عند الله مقرونة بدرجة الصديقية ولها أعمال وأحوال هي شرط في حصولها وهي نوعان عامة وخاصة فالخاصة الشهادة في سبيل الله والعامة خمس مذكورة في الصحيح ليس العشق واحدا منها وكيف يكون العشق الذي هو شرك في المحبة وفراغ عن الله وتمليك القلب والروح والحب لغيره تنال به درجة الشهادة هذا من المحال فان افساد عشق الصور للقلب فوق كل افساد بل هو خمر الروح الذي يسكرها ويصدها عن ذكر الله وحبه والتلذذ بمناجاته والانس به ويوجب عبودية القلب لغيره فان قلب العاشق متعبد لمعشوقه بل العشق لب العبودية فانها كمال الذل والحب والخضوع والتعظيم فكيف يكون تعبد القلب لغير الله مما تنال به درجة أفاضل الموحدين وساداتهم وخواص الاولياء فلو كان اسناد هذا الحديث كالشمس كان غلطا ووهما ولا يحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ العشق في حديث صحيح البتة ثم ان العشق منه حلال ومنه حرام فكيف يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم انه يحكم على كل عاشق يكتم ويعف بانه شهيد فترى

جابر (الاندلسي حيث قال مدحتك آيات الكتاب) كلها صريحا أو استلزاما بذمها لمخالفه ودلالتها على اكرامه بنزولها عليه مع اشتمالها على ما فاقت به غيرها من الكتب السماوية (فما عسى * يثني على علياك) أي شرفك (نظم مديحي) أي فاي شئ يترجى به أن يليق الثناء به على شرفك التام بالنسبة لما أثنى الله عليك (واذا كتاب الله أثنى مفصحا) عليك (كان القصور) أي العجز (قصار) بضم القاف أي غاية (كل فصيح) انه يعترف عن الاتيان ببعض وصافك (وهذا المقصد أكرمك الله) جملة دعائية (يشتمل على عشرة أنواع

النوع الاول في ذكر آيات تتضمن عظم قدره ورفعة ذكره وجليل مرتبته وعلو درجته على الانبياء وتشريف منزلته) هي والرتبة متقاربان بمعنى علو القدر (قال الله تعالى تلك) مبتدا (الرسل) صفة والخبر (فضلنا بعضهم على بعض) بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره (منهم من كلم الله قال المفسرون) أي جمهورهم (يعني موسى عليه الصلاة والسلام كلمه بلا واسطة) وقيل المصطفى كلمه ليلة المعراج (وليس نصا في اختصاص موسى بالكلام) لانه انما قال منهم فلا يفهم منه انه لم يكلم غيره (وقد ثبت انه تعالى كلم نبينا أيضا كلم) ليلة المعراج وقد قال السيوطي من جملة من كلم من الانبياء آدم كما في الحديث (فان قلت اذا) بمعنى حيث (ثبت انه عليه السلام كلمه ربه بلا واسطة وقام به هذا الوصف فلم لم يشتق له من الكلام اسم الكليم) بمعنى المكالم كالجليس بمعنى المجالس والانيس بمعنى المؤانس والنديم بمعنى المنادم وهو كثير (كما اشتق منه لموسى أجيب بان اعتبار المعنى قد يكون لتصحيح الاشتقاق كاسم الفاعل) مثل القائم والضارب فيطرد بمعنى ان كل من قام به ذلك الوصف يشتق له منه اسم وجوبا (للملاحظة ان صحة استعماله بالنظر لمبدأ الاشتقاق دون غيره) وقد يكون للترجيح فقط كالكليم والقارورة فلا يطرد وحاصله مع الايضاح كما قال شيخنا ان المشتق وهو ما دل على ذات مبهمة باعتبار حدث معين قد يكون اشتقاقه لما فهم فيه من المصدر الذي اشتق منه ذلك اللفظ فلاحظ ان صحة استعماله بالنظر لمبدأ الاشتقاق دون غيره فاذا اشتق على هذا الوجه وجب اطلاقه على كل ما صدق عليه كالضارب والقائم فان كلا منهما يصدق على من اتصف بالضرب والقيام وقد يكون اطلاقه على معنى وتخصيصه به باعتبار أثر قام به جعل المستعمل على ملاحظته في أصل وضع اللفظ لذلك المعنى فوضعه له وهذا من الاسماء المشبهة للصفات وليس منها والكليم من هذا النوع فلا يلزم من اطلاقه على موسى لكلام الله له اطلاقه على غيره ممن كلمه الله تعالى (وحينئذ فلا يلزم في كل من قام به ذلك الوصف أن يشتق له منه اسم كما حققه القاضي عضد الدين) عبد الرحمن بن أحمد الايجي المحقق النحرير يروي تصانيف البيضاوي عن زين الدين الهنكي عنه وروى عنه محمد بن يوسف الكرماني شارح البخاري (وهذا ملخصه وتحريره كما قاله) تلميذه (المولى سعد الدين التفتازاني) بفتح الفوقيتين والزاي وسكون الفاء نسبة الى تفتازان قرية بنواحي نسا ولعل حكمة عدم اطلاقه على المصطفى مع ظهور دلالته على كلامه ان قومه أنكروا الاسراء أصلا فلم يسم كليما حذرا من انكارهم اذا سمعوه وتكلمهم بما لا يليق في حقه ولا دليل قطعي يرد عليهم فاقتصر على ما ظهر لهم كالاسراء فانه وصف لهم بيت المقدس وغيره فتحققوا صدقه وان أنكروه عنادا (وقوله ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفعه الله تعالى من ثلاثة أوجه بالذات في المعراج) الى مقام لم يصل اليه ملك مقرب ولا نبي مرسل (وبالسيادة على جميع البشر) لقوله أنا سيد الناس يوم القيامة (وبالمعجزات لانه عليه الصلاة والسلام أوتي من المعجزات ما لم يؤت نبي قبله) قال عياض ولانه بعث الى الاحمر والاسود أي لعموم بعثته (قال الزمخشري وفي هذا الابهام) بقوله بعضهم (من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي

لايلتبس) فهو وان عبر عنه بالبعض المقتضى لابهامه معلوم متميز عن سائر من عداه ومتعين فيه قال التفتازانى فى التعبير عنه باللفظ المبهم تنبيه على انه من الشهرة بحيث لا يذهب الوهم الى غيره فى هذا المعنى ألا ترى أن التنكير الذى يشعر بالابهام كثيرا ما يجعل علما على الاعظام والافخام فكيف اللفظ الموضوع لذلك (انتهى) كلام الزمخشرى وقد أحسن فيه لكنه أساء فى قوله بعده ويجوز أن يريد ابراهيم أو غيره من أولى العزم من الرسل وقد قال بعض المحققين لم ينصب الزمخشرى فى تجويزه ان المراد بالبعض غيره لان المستحق للتفضيل على الوجه المذكور هو أفضل الانبياء باجماع المسلمين وتاييده بخبر ابن عباس تذاكرنا فضل الانبياء فذكرنا نوحا وابراهيم وموسى وعيسى فقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغى لاحد أن يكون خيرا من يحيى بن زكريا مدفوع بان المراد ان فى كل نبى نوع فضيلة تخصه فلا وجه لتخصيص بعضهم بالامتياز من تلك الجهة فالمنفى فى قوله لا ينبغى الخ الخيرية من جميع الوجوه (وقد بينت هذه الآية وكذا قوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بتخصيص كل منهم بفضيلة كموسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمد بالاسراء وسليمان بالملك (أن مراتب الانبياء والرسل) وفى نسخة الرسل والانبياء أى الذين ليسوا برسل أو هو عطف عام على خاص (متفاوتة خلافا للمعتزلة القائلين بانه لا فضل لبعضهم على بعض وفى هاتين الآيتين) تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض (رد عليهم) على سبيل الصراحة (وقال قوم آدم أفضل لحق الابوة) وليس بشئ لانها بمجردها لا تقتضى فضله عليهم مطلقا وكم من فرع فضل أصله لخصوصيات شرف بها على الاصل بل كثيرا ما تشرف الاصول بفرعها

وكم أب قد علا بابن ذوى شرف * كما علا برسول الله عدنان

(وتوقف بعضهم) لتعارض الادلة عليه (فقال السكوت أفضل) لعدم القاطع عند ذا البعض (والمعتمد ما عليه جماهير السلف والخلف ان الرسل أفضل من الانبياء) لان الرسالة تثمر هداية الامة والنبوة قاصرة على النبى كالعلم والعبادة خلافا لمن قال النبى أفضل لان النبوة الوحى بمعرفته تعالى وصفاته فهى متعلقة به من طرفيها والرسالة الامر بالتبليغ فهى متعلقة به من أحد الطرفين وأجيب بانها تستلزم النبوة فهى مشتملة عليها لانها كالرسول وأخص من النبوة التى هى أعم كالنبى (وكذلك الرسل بعضهم أفضل من بعض بشهادة هاتين الآيتين وغيرهما قال بعض أهل العلم) بالكتاب والسنة (فيما حكاه القاضى عياض) فى الشفاء (والتفضيل المراد لهم هنا) عطف على مقدر أو على ما تقدم وهنا اشارة لما ذكر قبله (فى الدنيا) متعلق بالتفضيل (وذلك بثلاثة أحوال) وفى نسخة أوجه (أن تكون آياته ومعجزاته أظهر) وفى نسخة أبهر أى أقوى وأغلب من بهر ضوء القمر الكواكب علاها أو هو بمعنى أظهر (وأشهر) كانشقاق القمر وانفلاق البحر وانقلاب العصا حية (أو تكون) بالنصب (أمته أزكى) أتقى وأطهر لبعدهم عن التلبس بما لا يليق (وأكثر) من غيرهم (أو يكون فى ذاته أفضل) بزيادة علمه وخصاله المحمودة (وأظهر) بمعجمة أى أشهر وبمهملة أتقى وأنقى (وفضله فى ذاته) ونفسه (راجع الى ما خصه الله تعالى به من كرامته) أى اكرام الله له بمآثر ومناقب عظيمة وهبها له (واختصاصه) بالجر معطوف على مدخول الى (من كلام) بلا واسطة لموسى والمصطفى وهو بيان لاختصاصه بمعنى ما خصه به (أو خلة) لابراهيم والمصطفى (أو رؤية) عيانا لنبينا صلى الله عليه وسلم (أو ما شاء الله) أراده لهم غير ما ذكر (من ألطافه) بفتح الهمزة أى عطاياه (وتحف) بفاء آخره (ولايته) أى تحف أولاها لهم هكذا فى الشفاء بالفاء فقط وفسرها شارحها بما ذكر وقال شيخنا كان المراد بها ما ميز به تعالى ولايته عن ولاية غيره من الخواص والمزايا التى لم تثبت لغيره وفى بعض نسخ

من يعشق امرأة غيره أو يعشق المردان والبغايا ينال بعشقه درجة الشهداء وهل هذا الاختلاف المعلوم من دينه صلى الله عليه وسلم كيف والعشق مرض من الامراض التى جعل الله سبحانه لها الادوية شرعا وقدرا والتداوى منه اما واجب ان كان عشقا حراما واما مستحب وأنت اذا تاملت الامراض والآفات التى حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابها بالشهادة وجدتها من الامراض التى لا علاج لها كالمطعون والمبطون والمجنون والحرق والغرق وموت المرأة يقتلها ولدها فى بطنها فان هذه بلايا من الله لا صنع للعبد فيها ولا علاج لها وليست أسبابها محرمة ولا يترتب عليها من فساد القلب وتعبده لغير الله ما يترتب على العشق فان لم يكف هذا فى ابطال نسبة هذا الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلد أئمة الحديث العالمين به وبعلله فانه لا يحفظ عن امام واحد منهم قط انه شهد له بصحة بل ولا بحسن كيف وقد أنكروا على سويد هذا الحديث ورموه لاجله بالعظائم واستحل بعضهم غزوه لاجله قال أبو أحمد بن عدى فى كامله هذا الحديث أحد ما أنكر على سويد وكذلك قال البيهقى انه مما أنكر عليه وكذلك قال ابن طاهر فى الذخيرة وذكره الحاكم فى تاريخ

المصنف وتحقق ولايته بقافين أى ثبوتها بلا ريبة ولا تردد لكثرة الادلة المثبتة لها (واختصاصه) بما اختصهم به من قرة أعين لا يعلمها الا هو (انتهى فلا مرية) بالكسر لا شك (ان آيات نبينا ومعجزاته أظهر وأبهر) بموحدة أغلب (وأكثر وأبقى) بالموحدة (وأقوى) أشد (ومنصبه) حسبه وشرفه (أعلى ودولته أعظم وأوفر وذاته أفضل وأطهر) بالمهملة (وخصوصياته على جميع الانبياء أشهر من أن تذكر) فقد جمعت فيه الاحوال الثلاثة وزيادة (فدرجته أرفع من درجات المرسلين وذاته أزكى وأفضل من سائر المخلوقين) انسا وملكا (وتأمل حديث الشفاعة) اضافة لادنى ملابسة لذكرها فيه (فى المحشر) بفتح الشين وكسرها (وانتهائها اليه) بعد تنصل رؤساء الانبياء منها (وانفراده هنالك بالسودد) أى السيادة (كما قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد) يكون جمعا وواحدا والمراد الاول (آدم وأول من تنشق الارض عنه يوم القيامة) أى أول من يعجل أحياؤه مبالغة فى اكرامه وتخصيصا بتعجيل جزيل انعامه (رواه ابن ماجه) محمد القزوينى (وفى حديث أنس عند الترمذى) مرفوعا أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وأنا مبشرهم اذا أيسوا لواء الحمد يومئذ بيدى و(أنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربى) اخبار بما منحه من السودد والاكرام وتحدث بمزيد الفضل والانعام (ولا فخر) حال مؤكدة أى أقول ذلك غير مفتخر به فخر تكبر أتى به دفعا لتوهم ارادة الافتخار به قال القرطبى انما قال ذلك لانه مما أمر بتبليغه لما يترتب عليه من وجوب اعتقاد ذلك وأنه حق فى نفسه وليرغب فى الدخول فى دينه ويتمسك به من دخل فيه ولتعظم محبته فى قلوب متبعيه فتكثر أعمالهم وتطيب أحوالهم ويحصل لهم شرف الدنيا والآخرة لان شرف المتبوع متعد لشرف التابع (لكن هذا لا يدل على كونه أفضل من آدم بل من أولاده فالاستدلال بذلك على مطلق أفضليته عليه السلام على الانبياء كلهم ضعيف) تبع التفتازانى فى شرح العقائد وقد تعقب بان المراد سيد جنس الآدميين فلا يخرج آدم لان المراد من ولد آدم كافة البشر بدليل قوله فى حديث أبى هريرة أنا سيد الناس وقوله فى حديث أبى سعيد آدم فمن سواه الا تحت لوائى وقد لوح المصنف بعد قليل بمعنى هذا التعقب بقوله وهذا يدل على انه أفضل من آدم وبان دخول آدم أولوى لان فى ولده من هو أفضل منه وبان ذلك من الاسلوب العربى على حد اعملوا آل داود شكرا الدخول داود لزوما أو قصدا وعبر عنه بذلك لارادة التنصيص على دخول آله معه (واستدل الشيخ سعد الدين) مسعود بن عمر بن عبد الله (التفتازانى) الشافعى قال الحافظ فى الدرر الكامنة ولد سنة ست عشرة وسبعمائة وأخذ عن القطب والعضد وتقدم فى الفنون واشتهر ذكره وطار صيته وله تصانيف انتفع بها الناس مات بسمرقند سنة احدى وتسعين وسبعمائة (لمطلق أفضليته عليه الصلاة والسلام على جميع الانبياء (بقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس قال لانه لا شك أن خيرية الامم بحسب كمالهم فى الدين وذلك تابع لكمال نبيهم الذى يتبعونه) وهذا انما ذكره التفتازانى سندا للاجماع على فضل المصطفى وتعقب بانه لا يصح سندا له لان خيريتهم فى الدنيا بزيادة نفعهم للغير لحديث خير الناس أنفعهم للناس وهذا هو الظاهر لحديث البخارى عن أبى هريرة قال فى الناس ناس يأتون بهم والسلاسل فى أعناقهم حتى يدخلون الاسلام وخيريتهم فى الآخرة بكثرة ثوابهم لحديث البخارى لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء والسر فى ذلك انهم صدقوا الانبياء كلهم بخلاف جميع الامم فانما صدق كل منهم نبيه ومن قبله كما نبه عليه صلى الله عليه وسلم بقوله لهرقل أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين قال الكرمانى وغيره مرة للايمان بنبيهم ومرة للايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والخيرية باحد هذين المعنيين للامة لا تدل على أفضلية رسولهم انتهى وفيه تأمل (واستدل له الفخر الرازى

نيسابور وقال أنا أتعجب من هذا الحديث فانه لم يحدث به عن غير سويد وهو ثقة وذكره أبو الفرج بن الجوزى فى كتاب الموضوعات وكان أبو بكر الازرق يرفعه أولا عن سويد فعوتب فيه فاسقط النبى صلى الله عليه وسلم وكان لا يجاوز به ابن عباس رضى الله عنهما ومن المصائب التى لا تحتمل جعل هذا الحديث من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم ومن له أدنى المام بالحديث وعلله لا يحتمل هذا البتة ولا يحتمل أن يكون من حديث الماجشون عن ابن أبى حازم عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا وفى صحته موقوفا على ابن عباس نظر وقد رمى الناس سويد بن سعيد راوى هذا الحديث بالعظائم وأنكره عليه يحيى بن معين وقال هو ساقط كذاب لو كان لى فرس ورمح كنت أغزوه وقال الامام أحمد متروك الحديث وقال النسائى ليس بثقة وقال البخارى كان قد عمى فيلقن ما ليس من حديثه وقال ابن حبان يأتى بالمعضلان عن الثقات يجب مجانبة ما يروى انتهى وأحسن ما قيل فيه قول أبى حازم الرازى انه صدوق كثير التدليس ثم قول الدارقطنى هو ثقة

فى المعالم) أى معالم التنزيل اسم تفسيره (بانه تعالى وصف الانبياء بالاوصاف الحميدة) فى سورة الانعام (ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم أولئك الذين هدا) هم (الله فبهداهم) طريقهم التوحيد والصبر (اقتده) بهاء السكت وقفا و وصلا وفى قراءة بحذفها وصلا (فامره أن يقتدى باثرهم فيكون اتيانه به واجبا والا فيكون تاركا للامر) وهو محال (واذا أتى بجميع ما أتوا به من الخصال الحميدة فقد اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم فيكون أفضل منهم) لان الواحد اذا فعل مثل فعل الجماعة كان أفضل منهم قيل عليه لاشك انه أفضل من كل واحد منهم ومن الجميع أيضا لكن فى هذا الدليل خفاء لانه لا يلزم من اتيانه بكل ما أتى به كل واحد منهم الا مساواته للمجموع لا أفضليته عليهم وكأنه الداعى للعز بن عبد السلام على قوله انه أفضل من كل واحد منهم لا من جميعهم فقام الاجماعة من علماء عصره على تكفيره فعصمه الله بل قد يتوقف فى المساواة أيضا الا انك لو أنعمت على أربعة فاعطيت واحدا دينارا وآخر دينارين وآخر ثلاثة وآخر أربعة لزاد صاحب الاربعة على كل واحد دون جميع ما لغيره ولو أعطيته ستة لساواهم ولو أعطيته عشرة زاد عليهم فينبغى أن يقال انه صلى الله عليه وسلم ساواهم فى العمل و زاد عليهم بانه أعلم منهم بالله وأكثر من جميعهم خصائص ومعجزات وهذا التفضيل فى القرب والمنزلة وهو أكثر ثوابا وأمته أكثر من جميع الامم وأجرهم له الى يوم القيامة ولو كانت للناس مساكن بعضها فوق بعض لكان الذى فوق الاخير أعلى من الجميع وفى آية تلك الرسل ايماء لهذا حيث أبهم وعبر برفع الدرجات دون ان يسميه و يقول انه أعظم أو أفضل انتهى (وبان دعوته عليه الصلاة والسلام فى التوحيد والعبادة وصلت الى أكثر بلاد العالم بخلاف سائر الانبياء فظهر ان انتفاع أهل الدنيا بدعوته صلى الله عليه وسلم أكمل من انتفاع سائر الامم بدعوة سائر الانبياء فوجب ان يكون أفضل من سائر الانبياء انتهى) استدلال الرازى (وقد روى الترمذى) وقال حسن صحيح وأحمد وابن ماجه وصححه الحاكم (عن أبى سعيد الخدرى قال قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة) خصه لانه يوم مجموع له الناس فيظهر سودده لكل أحد عيانا ووصف نفسه بالسودد المطلق المفيد للعموم فى المقام الخطابى فيفيد سيادته على جميع أولاد آدم حتى أولى العزم واحتياجهم اليه وتخصيص ولد آدم ليس للاحتراز فهو أفضل حتى من خواص الملائكة باجماع من يعتد به (ولا فخر) بل انما قلته شكرا كقول سليمان علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ أى لا أقوله تكبرا وتعاظما على الناس فى الدنيا وان كان فيه فخر الدارين أو لا افتخر بذلك بل فخرى بمن أعطانى هذه الرتبة (وبيدى لواء) بالكسر والمد علم (الحمد) والعلم فى العرصات مقامات لاهل الخير والشر نصب فى كل مقام لكل متبوع لواء يعرف به قدره وأعلى تلك المقامات مقام الحمد ولما كان صلى الله عليه وسلم أعظم الخلائق أعطى أعظم الالوية لواء الحمد ليأوى اليه الاولون والآخرون فهو حقيقى ولا وجه لحمله على لواء الجمال والكمال (ولا فخر) لى بذلك فخر تكبرا ولا فخر بالعطاء بل بالمعطى (وما من نبى) يومئذ (آدم فمن سواه الا تحت لوائى) قال الطيبى آدم فمن سواه اعتراض بين النفى والاستثناء وآدم بالرفع بدل أو بيان من محله ومن موصولة وسواه صلته وصح لانه ظرف وآثر الفاء التفصيلية فى فمن للترتيب على منوال الامثل فالامثل وبقية هذا الحديث وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر وأنا أول شافع ولا فخر (وفى حديث أبى هريرة مرفوعا عند البخارى) ومسلم والترمذى وأحمد (أنا سيد الناس يوم القيامة) وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين فى صعيد واحد فذكر حديث الشفاعة بطوله (وهذا) المذكور من حديثى أبى سعيد وأبى هريرة (يدل على انه أفضل من آدم عليه السلام ومن كل أولاده بل أفضل من الانبياء) اضراب انتقالى لدفع توهم ان المراد باولاده من عدا الانبياء (بل

غير انه لما كبر كان ربما قرئ عليه حديث فيه بعض النكارة فيجيزه انتهى وعيب على مسلم اخراج حديثه وهذه حاله ولكن مسلم روى من حديثه ما تابعه عليه غيره ولم ينفرد به ولم يكن منكرا ولا شاذا بخلاف هذا الحديث والله أعلم

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم) فى حفظ الصحة بالطيب لما كانت الرائحة الطيبة غذاء الروح والروح مطية القوى والقوى تزداد بالطيب وهو ينفع الدماغ والقلب وسائر الاعضاء الباطنة ويفرح القلب ويسر النفس ويبسط الروح وهو أصدق شئ للروح وأشده ملاءمة لها وبينه وبين الروح الطيبة نسبة قريبة كان أحد المحبوبين من الدنيا الى أطيب الطيبين صلوات الله عليه وسلامه وفى صحيح البخارى انه صلى الله عليه وسلم كان لا يرد الطيب وفى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم من عرض عليه ريحان فلا يرده فانه طيب الريح خفيف المحمل وفى سنن أبى داود والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من عرض عليه طيب فلا يرده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة وفى مسند البزار عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود

أفضل الخلق كلهم) لانه من ناس اذا تحرك فشمل الملائكة حتى أمين الوحي باجماع حتى من المعتزلة وجهل الزمخشري مذهبه كما حققه جماعة من المحققين (وروى البيهقي في فضائل الصحابة انه ظهر على ابن أبي طالب من البعد فقال صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عائشة ألست يا رسول الله بسيد العرب قال أنا سيد العالمين وهو سيد العرب وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء) والملائكة لان العالم ماسوى الله (وقد روى هذا الحديث أيضا الحاكم في صحيحه) المستدرك من طريق أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير (عن ابن عباس) مرفوعا (لكن بلفظ أنا سيد ولد آدم وعلى سيد العرب وقال) الحاكم (انه صحيح ولم يخرجاه) أي البخاري ومسلم مع ان اسناده على شرطهما (وله شاهد من حديث عروة) بن الزبير (عن) خالته (عائشة وساقه) أي رواه الحاكم (من طريق أحمد بن عبيد بن ناصح) أبي جعفر النحوي يعرف بابي عصيدة قيل ان أبا داود حكى عنه مات بعد السبعين ومائتين (قال حدثنا الحسين بن علوان وهما ضعيفان) لكن اقتصر في التقريب على ان أحمد ابن عبيد لين الحديث (عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة) مرفوعا (بلفظ ادعوا الى سيد العرب قالت) عائشة (فقلت يا رسول الله ألست سيد العرب فقال وذكره وكذا أورده) الحاكم (من حديث عمر بن موسى الوجيهي) بفتح الواو وكسر الجيم نسبة الى وجيه (وهو ضعيف أيضا عن أبي الزبير) محمد ابن مسلم المكي (عن جابر مرفوعا ادعوا الى سيد العرب فقالت عائشة ألست سيد العرب وذكره) ورواه أبو نعيم في الحلية عن الحسن بن علي رفعه ادع سيد العرب يعني عليا فقالت له عائشة ألست سيد العرب فقال أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب (قال شيخنا) السخاوي (وكلها ضعيفة بل جنح) مال (الذهبي الى الحكم على ذلك بالوضع) انتهى ولم يتبين لي ذلك اذ ليس فيها وضاع ولا كذاب ولا متهم والحاكم انما أورد حديث عائشة من الطريقين وان كان فيهما ضعف شاهدا لحديث ابن عباس الذي صححه لان رواته من رجال الصحيح (ولم يقل صلى الله عليه وسلم أنا سيد الناس عجبا وافتخارا على من دونه) والفخر ادعاء العظم والمباهاة (حاشاه من ذلك) اذ هو سيد المتواضعين (وانما قاله اظهار النعمة الله عليه) لقوله وأما بنعمة ربك فحدث (واعلاما للامة بقدر امامهم ومتبوعهم عند الله وعلو منزلته لديه لتعرف نعمة الله عليهم وعليه) وليعتقدوا فضله على من سواه قال القرطبي ولانه مما أمر بتبليغه لما يترتب عليه من وجوب اعتقاد ذلك وانه حق في نفسه فان قيل هذا راجع للاعتقاد فكيف يحصل القطع به من أخبار الآحاد قلنا من سمع شيئا من هذه الامور منه صلى الله عليه وسلم مشافهة حصل له العلم به كالصحابة ومن لم يشافهه حصل له العلم به من طريق التواتر المعنوي لكثرة أخبار الآحاد به (وكذلك العبد) أي عبد من عباد الله الكاملين (اذا لاحظ ما هو فيه من فيض المدد وشهده من عين المنة ومحض الجود وشهد مع ذلك فقره الى ربه في كل لحظة وعدم استغنائه عنه طرفة عين أنشاله ذلك في قلبه سحائب النور) وفي نسخة السرور والنور وأولى (فاذا انبسطت هذه السحائب في سماء قلبه وامتلأ أفقه بها أمطرت عليه وابل الطرب بما هو فيه من لذيذ السرور فان لم يصبه وابل) مطر شديد (فطل) مطر خفيف والمعنى انه يزكو وينمو كثر المطر أو قل (وحينئذ يجري على لسانه الافتخار من غير عجب ولا فخر بل هو فرح بفضل الله وبرحمته كما قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فالافتخار) كائن (على ظاهره) بحسب اللفظ (والافتقار والانكسار في باطنه ولا ينافي أحدهما الآخر والى هذا المعنى يشير قول العارف) هو من أشهده الحق نفسه وظهرت عليه الاحوال والمعرفة حاله هكذا ذكره الشيخ فالعالم عنده أعلى مقاما من العارف خلافا للاكثرين وقد قرر ذلك في الفتوحات ومواقع النجوم (الرباني سيد علي

فنظفوا أفنائكم وساحاتكم ولا تشبهوا باليهود يجمعون الاكب في دورهم الاكب الزبالة وذكر ابن أبي شيبة انه صلى الله عليه وسلم كان له سكة يتطيب منها وصح عنه انه قال ان لله حقا على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام وان كان له طيب أن يمس منه وفي الطيب من الخاصية ان الملائكة تحبه والشياطين تنفر منه وأحب شئ الى الشياطين الرائحة المنتنة الكريهة فالارواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة والارواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة وكل روح تميل الى ما يناسبها فالخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات وهذا وان كان في النساء والرجال فانه يتناول الاعمال والاقوال والمطاعم والمشارب والملابس والروائح اما بعموم لفظه أو بعموم معناه

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في حفظ صحة العين روى أبو داود في سننه عن عبد الرحمن ابن النعمان بن معبد بن هوذة الانصاري عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالاثمد المروح عند النوم وقال ليتقه الصائم قال أبو عبيد المروح المطيب بالمسك وفي سنن ابن ماجه وغيره عن ابن عباس

الوفائى فى قصيدته التى أولها سامن أنت مولاه) ناصره ومعينه (حاشا * علاه) رفعته (ان يتلاشى) يخس بعد رفعته (والله يا روح) حياة (قاى * لامات من بك عاشا) بل يحيا حياة طيبة (قوم هم أنت ساق * لا يرجعون عطاشا) بل على غاية من الرى (لاقص) بمهملة ثقيلة (دهر جناحا * له وفاؤك راشا) أصلح حاله ونفعه (بك النعيم مقيم * لمن وهبت انتعاشا) أى رفعة وجبرا وذكرا حسنا قال المجد نعشه الله كمنعه ورفعه كانعشه ونعشه وفلانا جبره بعد فقره والميت ذكره ذكرا حسنا (ومن بحولك) قوتك (يقوى * لن يضعف الدهر) بالنصب (جاشا) أى نفسا قال المجد الجاش نفس الانسان وقد لا يهمز (عبد له بك عز *) قوة ومنعة (فكيف لا يتحاشى) يكرم ويعظم (حاشا وفاؤك يرمى * من أنت مولاه حاشا) أى تنزيها له أن يفعل ذلك (فان قلت ما الجمع بين) كل من (هاتين الآيتين) تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض فان كلا منهما صريح فى التفضيل وعدم التفريق فى قوله تعالى لا نفرق بين أحد منهم دال على التسوية كجملة أحاديث كما قال (وبين قوله تعالى) خطابا للمؤمنين (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا) من القرآن (وما أنزل الى ابراهيم) من الصحف العشر (واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) أولاد يعقوب (وما أوتى موسى) من التوراة (وعيسى) من الانجيل (وما أوتى النبيون من ربهم) من الكتب والآيات (لا نفرق بين أحد منهم) فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود والنصارى (ونحن له مسلمون) وأورد أن بين انما تقع على اثنين كجلست بين زيد وعمرو وأحد فى الآية مفرد لانه بمعنى واحد لا بعينه فكيف صح دخول بين عليه وأجيب بانه باعتبار معطوف حذف لظهوره أى بين أحد منهم وبين غيره وفيه دلالة صريحة على تحقيق عدم التفريق بين كل فرد منهم وبين من عداهم كائنا من كان بخلاف ما لو قيل لا نفرق بينهم وأجاب الكشاف بان أحد فى معنى الجماعة بحسب الوضع قال التفتازانى لانه اسم لمن يصلح أن يخاطب يستوى فيه المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث ويشترط أن يكون استعماله مع كلمة كل أو فى كلام غير موجب وهذا غير الاحد الذى هو أول العدد فى مثل قل هو الله أحد قال وليس كونه فى معنى الجماعة من جهة كونه نكرة فى سياق النفى على ما سبق الى كثير من الاوهام ألا ترى انه لا يستقيم لا نفرق بين رسول من الرسل الا بتقدير عطف أى رسول ورسول وقال فى لا نفرق بين أحد من رسله من زعم ان معنى الجمع فى أحد انه نكرة فى سياق النفى فقد سها وانما معناه ما ذكر فى كتب اللغة انه اسم لمن يصلح أن يخاطب فحين أضيف بين اليه أو أعيد ضمير جمع اليه أو نحو ذلك فالمراد به جمع من الجنس الذى يدل عليه الكلام فمعنى لا نفرق بين أحد بين جمع من الرسل ومعنى فما منكم من جماعة ومعنى لستن كأحد كجماعة من جماعات النساء انتهى (والحديث الثابت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال استب) أى سب (رجل من المسلمين) قال عمرو بن دينار هو أبو بكر الصديق أخرجه سفيان ابن عيينة فى جامعه وابن أبى الدنيا فى كتاب البعث ويعكر عليه أن فى رواية للشيخين من حديث أبى هريرة أيضا وأبى سعيد أنه من الانصار الا ان كان المراد المعنى الاعم فان الصديق من أنصاره صلى الله عليه وسلم بل هو رأس من نصره ومقدمهم وسابقهم قاله الحافظ فى الفتح زاد فى المقدمة أو يحمل على تعدد القصة لكن لم يسم من اليهود غير واحد (ورجل من اليهود) أى سب كل منهما الآخر بمعنى غيره قال الحافظ لم أقف على اسم هذا اليهودى وزعم ابن بشكوال انه فنحاص وهو بكسر الفاء وسكون النون ومهملتين وعزاه لابن اسحق والذى ذكره ابن اسحق لفنحاص مع أبى بكر فى لطمه اياه قصة أخرى فى نزول قوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير الآية (فقال اليهودى فى قسمه) أى حلفه وفى رواية للشيخين عن أبى هريرة فقال المسلم والذى اصطفى محمدا على العالمين وقال اليهودى والذى اصطفى موسى على العالمين

رضى الله عنهما قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم مكحلة يكتحل منها ثلاثا فى كل عين وفى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اكتحل يجعل فى اليمنى ثلاثا يبتدئ بها ويختم بها وفى اليسرى ثنتين وقد روى أبو داود عنه صلى الله عليه وسلم من اكتحل فليوتر فهل الوتر بالنسبة الى العينين كلتيهما فيكون فى هذه ثلاث وفى هذه اثنتان واليمنى أولى بالابتداء والتفضيل أو هو بالنسبة الى كل عين فيكون فى هذه ثلاث وفى هذه ثلاث وهما قولان فى مذهب أحمد وغيره وفى الكحل حفظ لصحة العين وتقوية للنور الباصر وجلاء لها وتلطيف للمادة الرديئة واستخراج لها مع الزينة فى بعض أنواعه وله عند النوم مزيد فضل لاشتمالها على الكحل وسكونها عقيبه عن الحركة المضرة بها وخدمة الطبيعة لها وللاثمد من ذلك خاصية وفى سنن ابن ماجه عن سالم عن أبيه يرفعه عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر وفى كتاب أبى نعيم فانه منبتة للشعر مذهبة للقذى مصفاة للبصر وفى سنن ابن ماجه أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه خير أكحالكم الاثمد يجلو البصر وينبت الشعر * (فصل) فى ذكر شئ من الادوية والاغذية المفردة التى جاءت على لسانه صلى الله

فرفع المسلم عندذلك يده فلطم وجه اليهودي وفي رواية لهما أيضا بينما يهودي يعرض سلعته أعطى فيها شيأ كرهه فقال (لا والذي اصطفى موسى على العالمين) وفي رواية لهما على البشر فقال ذلك ردا على المسلم فيما قاله وأكده بالقسم (فرفع المسلم يده) عند ذلك أي سماعه قوله لما فهمه من عموم لفظ العالمين أو البشر فدخل فيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد تقرر عند المسلم أنه أفضل وقد جاء ذلك مبينا في حديث أبي سعيد أن الضارب قال له أي خبيث أعلى محمد فدل على ان لطمه عقوبة له على كذبه عنده قاله الحافظ (فلطم اليهودي) وفي رواية لهما فلطم وجه اليهودي وقال أتقول هذا ورسول الله بين أظهرنا وفي رواية للامام أحمد فلطم عين اليهودي وقوله (وقال أي خبيث) بفتح الهمزة وسكون الياء حرف نداء (وعلى محمد) هذه الجملة ادخلها المصنف في حديث أبي هريرة وليست منه فقد أخرجه مسلم في الفضائل والبخاري في الخصومات والرقاق والتوحيد وأحاديث الانبياء مختصرا ومطولا وليس فيه هذه الجملة انما هي عنده في مواضع عن أبي سعيد قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس جاء يهودي فقال ضرب وجهي رجل من الانصار فقال أدعوه فقال أضربته قال سمعته بالسوق يحلف والذي اصطفى موسى على البشر قلت أي خبيث أعلى محمد صلى الله عليه وسلم فاخذتني غضبة ضربت وجهه فقال لا تخيروا بين الانبياء الحديث وأخرجه مسلم بنحوه وقد صرح الحافظ كما رأيت بان هذه الجملة من حديث أبي سعيد (فجاء اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتكى) ضمنه معنى اعترض فعداه بقوله (على المسلم) وهذا نقل بالمعنى والا فلم تقع هذه اللفظة في الصحيحين لا في حديث أبي هريرة ولا في حديث أبي سعيد ولفظ البخاري في الاشخاص في حديث أبي هريرة فذهب اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر بما كان من أمره وأمر المسلم وكذلك في أولى روايتيه في أحاديث الانبياء ولفظه في الثانية يا أبا القاسم ان لي ذمة وعهدا فما بال فلان لطم وجهي فقال لم لطمت وجهه فذكره فغضب صلى الله عليه وسلم حتى رؤي في وجهه وكذا أخرجه مسلم في الفضائل باللفظين من طريق (فقال صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على الانبياء وفي رواية) لهما (لا تفضلوا بين الانبياء) وفي رواية لا تخيروني على موسى (وحديث أبي سعيد الخدري عند البخاري) في التفسير والتوحيد والخصومات (ومسلم) في الفضائل (انه صلى الله عليه وسلم قال لا تخيروا بين الانبياء) بان تقولوا فلان خير من فلان (وحديث ابن عباس عند البخاري ومسلم) أيضا في الفضائل (مرفوعا ما ينبغي) ما يصح ولا يجوز (لعبد) من عباد الله (أن يقول أنا خير من يونس) يحتمل ان يكون رجوع أنا الى القائل والى النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ في التفسير والاول أولى لكنه قال في أحاديث الانبياء حديث عبد الله بن جعفر عند الطبراني لا ينبغي لنبي أن يقول أنا الخ يؤيد رجوعها للنبي صلى الله عليه وسلم وللطبراني في حديث ابن عباس ما ينبغي لاحد وللطحاوي انه سبح الله في الظلمات فاشار الى جهة الخيرية انتهى (ابن متى) بفتح الميم والفوقية الثقيلة والف مقصورة وقع في تفسير عبد الرزاق انه اسم أمه ورده الحافظ بقوله في بقية هذا الحديث ونسبه الى أبيه ففيه رد على من زعم انه اسم أمه وهو محكي عن وهب بن منبه وذكره الطبري وتبعه ابن الاثير في الكامل والذي في الصحيح أصح وقيل سبب قوله ونسبه الى أبيه انه كان في الاصل يونس ابن فلان فنسيه الراوي وكنى عنه بفلان وذلك سبب نسبته الى أمه فقال الذي نسي يونس ابن متى وهي أمه ثم اعتذر فقال ونسبه اي شيخه الى أبيه أي سماعا فنسيته ولا يخفى بعد هذا التاويل وتكلفه انتهى بل يرده ما في الثعلبي عن عطاء سألت كعب الاحبار عن متى فقال هو أبو يونس واسم أمه برورة أي صديقة بارة فانتفى وهي من ولد هرون انتهى فقول السيوطي التاويل عندي أقوى وان استبعده الحافظ فيه نظر قال الحافظ ولم أقف في شيء من الاخبار على اتصال نسبه وقد قيل انه كان في زمن

عليه وسلم مرتبة على حروف المعجم (حروف الهمزة) أثمد هو حجر الكحل الاسود يؤتى به من أصبهان وهو أفضله ويؤتى به من جهة المغرب أيضا وأجوده السريع التفتيت الذي لفتاته بصيص وداخله أملس ليس فيه شيء من الاوساخ ومزاجه بارد يابس ينفع العين ويقويها ويشد أعصابها ويحفظ صحتها ويذهب اللحم الزائد في القروح ويدملها وينقي أوساخها ويجلوها ويذهب الصداع اذا اكتحل به مع العسل المائي الرقيق واذا دق وخلط ببعض الشحوم الطرية ولطخ على حرق النار لم تعرض فيه خشكريشة ونفع من التنفط الحادث بسببه وهو أجود أكحال العين لا سيما المشايخ والذين قد ضعفت أبصارهم اذا جعل معه شيء من المسك * أترج ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب * في الاترج منافع كثيرة وهو مركب من أربعة أشياء قشر ولحم وحمض وبزر ولكل واحد منها مزاج يخصه فقشره حار يابس ولحمه حار رطب وحمضه بارد يابس وبزره حار يابس ومن منافع قشره أنه اذا جعل في الثياب منع السوس ورائحته تصلح فساد الهواء والوباء وتطيب النكهة اذا أمسكها في الفم وتحلل الرياح واذا

ملوك الطوائف من الفرس (وحديث أبي هريرة عند الشيخين من قال أنا خير من يونس ابن متى فقد كذب) هذا لفظ البخاري في التفسير مختصرا بلا واو أوله فزيادتها في نسخ خطأ ولم يخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد أحسن السيوطي فعزاه في الزوائد للبخاري والترمذي وابن ماجه نعم أخرجه مسلم والبخاري في آخر الحديث السابق بلفظ ولا أقول ان أحدا أفضل من يونس بن متى ورواه البخاري أيضا مختصرا بلفظ لا ينبغي للعبد أن يقول أنا خير من يونس ابن متى وفي رواية مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يعني الله لا ينبغي لعبد لي وقال ابن المثنى لعبدي أن يقول أنا خير من يونس بن متى ومسلم رواه عن شيوخه ابن أبي شيبة وابن بشار ومحمد بن مثنى فلذا بين اختلاف لفظهم فالاول ولان بلام والثالث بدونها والاضافة لياء المتكلم (أجاب العلماء بان قوله عز وجل لا نفرق بين أحد منهم يعني في الايمان بما أنزل اليهم والتصديق بانهم رسل الله وأنبياؤه) عطف عام على خاص على أن الرسول أخص من النبي ومرادف على تساويهما وان كلا منهما انسان أوحي اليه بشرع وأمر بتبليغه أو المعنى التصديق بان منهم رسلا وأنبياء ليسوا برسل (والتسوية بينهم في هذا) المذكور من الايمان بما أنزل الخ (لا تمنع أن يكون بعضهم أفضل من بعض) كما هو نص الآيتين بسبب خواص ترجح من قامت به على غيره بالنظر لتلك الخصوصية (وأجابوا عن الاحاديث باجوبة) سبعة أو ثمانية (فقال بعضهم ان) مخففة من الثقيلة (نعتقد) بالرفع أي انا نعتقد (ان الله تعالى فضل بعضهم على بعض في الجملة) وجاز حذف اللام مما دخلت عليه لظهور المراد كقوله ان الحق لا يخفى على ذي بصيرة ولكن عدم الفصل بينها وبين الفعل الغير الناسخ نادر والمضارع أندر من الماضي كما في ان يزينك لنفسك وان يشينك لهيه ويحتمل قراءته بفتح الهمزة (ونكف) نمتنع (عن الخوض في تفصيل) تبيين (التفضيل بآرائنا) لانه هجوم على عظيم (قال ٢ ابن ظفر فان أراد هذا القائل انا نكف عن الخوض في تفصيل التفضيل بآرائنا) المجردة عن فهم كتاب أو سنة (فصحيح) وبهذا الايراد ان هذا عين ما قاله ذلك البعض فكيف يجعله احتمالا فيه (وان أراد انا لا نذكر في ذلك ما فهمناه من كتاب الله وروي لنا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهو رأي أيضا لكن في فهم الدليل من غير أن تكون دلالته عليه قطعية (فسقيم) أي ضعيف لان الاخبار على غلبة الظن وما أدى اليه الاجتهاد لا يمتنع ومحصله ان التفضيل بالرأي المحض مجمع على منعه وبالدليل لا وجه لمنعه وما أحسن اختصار الحافظ لهذا بقوله قال العلماء انما نهى عن ذلك من يقوله برأيه لا من يقوله بدليل (وقال آخر نفضل) أي نعتقد فضل (من رفع الله درجته) منزلته (بخصائص الحظوة) بضم الحاء المهملة وكسرها ومعجمة المحبة ورفع المنزلة (والزلفى) القربى مصدر بمعنى التقريب (ولا نخوض) لا نتكلم (في تفضيل بعضهم على بعض) عبر عن المتكلم بالخوض لما فيه من المشقة بلوم الدنيا وعقوبة الاخرى وفي القاموس خاض الماء دخله والغمرات اقتحمها (في سياسة) أمر ونهي (المنذرين) بفتح الذال القوم الذين أرسلوا اليهم وبينوا لهم عواقب الفواحش (والصبر على الدين) أي القيام به وهو هنا ما شرع من الاحكام التي من جملتها وجوب تبليغ ما أمروا به ومنع المخالفين لهم الخارجين عن الطاعة (والنهضة) أي السرعة (في أداء الرسالة والحرص على هدى الضلال) بضم الضاد وشد اللام جمع ضال ويجوز فتحها والتخفيف بتقدير أهل الضلال والاول أولى (فان كلا منهم قد بذل في ذلك وسعه الذي لا يكلفه الله أكثر منه) لانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها (وقال الآخر مما ذكره القاضي عياض) في الشفاء (ان نهيه عليه السلام عن التفضيل كان قبل ان يعلم) بالبناء للفاعل أو المفعول أي يعلمه الله (انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل

---

٢ قوله ابن ظفر في بعض نسخ المتن ابن ظفر بك اه

جعل في الطعام كالابازير أعان على الهضم قال صاحب القانون وعصارة قشره تنفع من نهش الافاعي شربا وقشره ضمادا وحراقة قشره طلاء جيد للبرص انتهى وأما لحمه فلطف لحرارة المعدة نافع لاصحاب المرة الصفراء قامع للبخارات الحارة وقال الغافقي أكل لحمه ينفع البواسير انتهى وأما حماضه فقابض كاسر للصفراء ومسكن للخفقان الحار نافع من اليرقان شربا واكتحالا قاطع للقيء الصفراوي مشه للطعام عاقل للطبيعة نافع من الاسهال الصفراوي وعصارة حماضه يسكن غلمة النساء وينفع طلاء من الكلف ويذهب بالقوبا ويستدل على ذلك من فعله في الحبر اذا وقع في الثياب قلعه وله قوة تلطف وتقطع وتبرد وتطفئ حرارة الكبد وتقوي المعدة وتمنع حدة المرة الصفراء وتزيل الغم العارض منها وتسكن العطش وأما بزره فله قوة محللة مجففة وقال ابن ماسويه خاصية حبه النفع من السموم القاتلة اذا شرب منه وزن مثقال مقشرا بماء فاتر وطلاء مطبوخ وان دق ووضع على موضع اللسعة نفع وهو ملين للطبيعة مطيب للنكهة واكثر هذا الفعل موجود في قشره وقال غيره خاصية

اذ يحتاج الى توقيف) أى اعلام به واذن فيه فلا يقدم عليه بالعقل (وان من فضل بلا علم) بل بالرأى المجرد (فقد كذب) لانه لا يطابق ما فى نفس الامر والجملة حالية أو استئنافية مقوية لما قبلها (قال الحافظ عماد الدين بن كثير وفى هذا) الذى قاله الجماعة الآخرون (نظر انتهى ولعل وجه النظر من جهة معرفة المتقدم تاريخا من ذلك) يعنى انه يتوقف على العلم بتقدم النهى على العلم بانه سيد ولد آدم ولم يعلم التاريخ أو فيه مضاف أى جهة جهل معرفة الخ (ثم رأيت فى تاريخ ابن كثير ان وجه النظر من جهة ان هذا من رواية أبى سعيد) الخدرى (وأبى هريرة) الدوسى (وما هاجر أبو هريرة الاعام خيبر) بالمعجمة وراء آخره على الصواب فى المحرم سنة سبع ونسخة حنين تصحيف (فيبعد انه لم يعلمه) الله تعالى (بهذا الا بعد هذا) بل أعلمه فضله قبل ذلك قال السبكى وفى حديث الاسراء ما يدل عليه انتهى ومن جملته قول ابراهيم بهذا فضلكم محمد (وقال آخر انما قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع) لين الجانب وخفض الجناح (ونفى التكبر) اظهار العظمة (والعجب) بضم فسكون استحسان النفس والمدح لها (قال القاضى عياض وهذا لا يسلم من الاعتراض) لانه عد الاخبار بخلاف الواقع الذى هو كذب مذموم تواضعا قيل ولان نفى التكبر والعجب يقتضى ثبوتهما له وانه مع ما علم من حاله كيف يتوهم فيه ما لا يتوهم فى صالحى أمته ولا يخفى انه اعتراض ساقط فان التواضع صفة محمودة وهو من شانه صلى الله عليه وسلم كذا فى شرح الشفاء وقال شيخنا لانه صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يفتخر من باب التحدث بالنعمة بل المطلوب منه أن يظهر فضله لامته ليقوى ايمانهم به ولئلا يجهلوا مقامه فيضلوا (وقيل) مما ذكر عياض أيضا (لا نفضل بعضهم تفضيلا يؤدى) بضم التحتية وفتح الهمزة وشد الدال بجر وبوصل (الى تنقيص بعضهم) تفعيل من النقص أى يقتضى وصفهم بما فيه نقص (أو الغض منه) بفتح الغين والضاد المعجمتين أى انتقاصه كما فى القاموس وغيره فهو مساو لما قبله ولا يصلح انه عطف تفسير لانه انما يكون بالواو الا أن تكون أو استعملت بمعنى الواو مجازا فعوملت معاملتها وقد رد هذا الجواب بانه ان أريد مطلق النقص فهذا لا يقوله مسلم وان أريد نقص بعضهم عن بعض فى الفضل فلا معنى لافعل التفضيل الاذلك (وقيل) مما ذكره عياض أيضا (منع التفضيل) بين الانبياء والرسل (انما هو فى حق النبوة والرسالة) نفسهما الا الانبياء والرسل (فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيها) أى النبوة (على حد واحد) فرتبتها وقدرها متحد فيهم اذهى شئ واحد (لا تتفاضل) أى لا يزيد بعضها على بعض (وانما التفاضل فى زيادة الاحوال) أى العوارض الطارئة عليها (والخصوص) أى ما خص به بعضهم دون بعض (والكرامات) التى أكرم الله بها بعضهم (والرتب) الدنيوية والأخروية (وأما النبوة نفسها فلا تتفاضل) قال السنوسى فى شرح عقائده ويدل عليه منع ان يقال لفلان النبى النصيب الاقل من النبوة ولفلان النصيب الاوفر منها ونحوه من العبارات التى تقتضى أن النبوة مقولة بالتشكيك ولا شك ان امتناع ذلك معلوم من الدين بالضرورة بين السلف والخلف فدل على ان حقيقة النبوة من المتواطئ المستوى افراده ولا يلتفت لمن خالف مقتضاه لوضوح فساده (وانما التفاضل بامور أخرى زائدة عليها) ليست من نفس حقيقتها كما تبين وفى ذكره ذلك فى النبوة دون الرسالة ايماء الى الفرق بينهما (ولذلك) المذكور من ان التفاضل لامر زائد (كان منهم رسل وأولو عزم) أى شدة وقوة وتصميم على تنفيذ ما يراد به وبغيره (انتهى وهذا قريب من القول الثانى) وليس عينه لاختلاف ملحظهما وفى فتح البارى قال العلماء انما نهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك من يقوله برأيه لا من يقوله بدليل أو من يقوله بحيث يؤدى الى تنقيص المفضول أو يؤدى الى الخصومة والتنازع أو المراد لا تفضلوا بجميع أنواع الفضائل بحيث لا يترك

خبيه النفع من لسعات العقارب اذاشرب منه وزن مثقالين مقشرا بماء فاتر وكذلك اذادق ووضع على موضع اللدغة وقال غيره حبه يصلح للسموم كلها وهو نافع من لدغ الهوام كلها وذكر ان بعض الاكاسرة غضب على قوم من الاطباء فامر بحبسهم وخيرهم أدما لا يزيد لهم عليه فاختاروا الاترج فقيل لهم لم اخترتموه على غيره فقالوا لانه فى العاجل ريحان ومنظره مفرح وقشره طيب الرائحة ولحمه فاكهة وحمضه أدم وحبه ترياق وفيه دهن وحقيق بشئ هذه منافعه أن يشبه به خلاصة الوجود وهو المؤمن الذى يقرأ القرآن وكان بعض السلف يحب النظر اليه لما فى منظره من التفريح * أرز فيه حديثان باطلان موضوعان على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما انه لو كان رجلا لكان حليما الثانى كل شئ أخرجته الارض ففيه دواء وشفاء الا الارز فانه شفاء لاداء فيه ذكرناهما تنبيها وتحذيرا من نسبتهما اليه صلى الله عليه وسلم وبعد فهو حار يابس وهو أغذى الحبوب بعد الحنطة وأجدها خلطا يشد البطن شدا يسيرا ويقوى المعدة ويدبغها ويمكث فيها وأطباء الهند تزعم أنه أجد

للمفضول فضيلة فالامام مثلا اذا قلنا انه أفضل من المؤذن لا يستلزم نقص فضيلة المؤذن بالنسبة الى الاذان وقيل النهى انما هو فى حق النبوة نفسها لقوله لا نفرق بين أحد من رسله ولم ينه عن تفضيل الذوات لقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية وقال الحليمى الاخبار الواردة فى النهى عن التخيير انما هى فى مجادلة أهل الكتاب وتفضيل بعض الانبياء على بعض بالمخايرة لان المخايرة اذا وقعت بين دينين لم يؤمن ان يخرج أحدهما الى الازراء بالآخر فيفضى الى الكفر فاما اذا كان التخيير مستندا الى مقابلة الفضائل ليحصل الرجحان فلا يدخل فى النهى ثم قال أعنى فى الفتح فى قوله ما ينبغى لعبد ان يقول أنا خير من يونس قال العلماء انما قاله صلى الله عليه وسلم تواضعا ان كان قاله بعد ان علم انه أفضل الخلق وان قاله قبل علمه فلا اشكال وقيل خص يونس بالذكر لما يخشى على من سمع قصته ان يقع فى نفسه تنقيص له فبالغ فى ذكر فضله لسد هذه الذريعة انتهى وذكرته برمته لحسن تلخيصه وان تكرر بعضه مع ماذكره المصنف (وقال ابن أبى جمرة) بجيم وراء (فى حديث يونس) يريد بذلك نفى التكييف والتحديد على ماقاله ابن خطيب الرى) الامام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن ابن الحسين التميمى البكرى الطبرستانى الرازى بحر العلوم ناصر السنة الورع الدين صاحب التصانيف الكثيرة تفقه على أبيه وغيره ولد سنة ثلاث وقيل اربع واربعين وخمسمائة وتوفى بهراة يوم عيد الفطر يوم الاثنين سنة ست وستمائة من بعض ترجمته أيضا كان أبوه خطيبا بالرى بفتح الراء وشد التحتية مدينة مشهورة من أعلام البلاد كانت أعظم من أصبهان والنسبة اليها بزيادة زاى (لانه قد وجدت الفضيلة بينهما فى عالم الحس لان النبى صلى الله عليه وسلم أسرى به الى فوق السبع الطباق) أى السموات (ويونس نزل به الى قعر البحر وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة) خصه لانه يوم ظهور ذلك كل الظهور (وقال عليه السلام آدم ومن دونه تحت لوائى) فالمراد بولد آدم جنس البشر كما تقرر فدخل آدم (وقد اختص صلى الله عليه وسلم بالشفاعة الكبرى التى لم تكن لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهذه الفضيلة وجدت بالضرورة فلم يبق ان يكون قوله عليه الصلاة والسلام لا تفضلونى على يونس بن متى الا بالنسبة الى القرب من الله سبحانه والبعد فمحمد صلى الله عليه وسلم وان أسرى به لفوق السبع الطباق واخترق الحجب ويونس عليه الصلاة والسلام وان نزل به لقعر البحر فهما بالنسبة الى القرب والبعد من الله سبحانه وتعالى على حد واحد انتهى وهو مروى عن الامام دار الهجرة مالك بن أنس) وهو حمل حسن لا يرد عليه شئ (وعزى نحوه لامام الحرمين) أبى المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى ذكر القرطبى فى التذكرة أن القاضى أبا بكر بن العربى قال أخبرنى غير واحد ان امام الحرمين سئل هل البارى فى جهة فقال لا هو متعال عن ذلك قيل ما الدليل عليه قال قول النبى صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى قيل ما وجه الدليل منه قال لا أقول حتى يأخذ ضيفى هذا ألف دينار يقضى بها دينا فقام رجلان فقالا هى علينا فقال لا يتبع بها اثنين لانه يشق عليه فقال واحد هى على فقال ان يونس رمى بنفسه فى البحر فالتقمه الحوت وصار فى قعر البحر فى ظلمات ثلاث ونادى لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين كما أخبر الله ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم حين جلس على الرفرف الاخضر وارتقى به صعدا حتى انتهى به الى موضع يسمع فيه صريف الاقلام وناجاه ربه بما ناجاه وأوحى اليه ما أوحى باقرب الى الله من يونس فى ظلمة البحر فالله سبحانه قريب من عباده يسمع دعاءهم ولا يخفى عليه حالهم كيفما تصرفت من غير مسافة بينه وبينهم انتهى (وقال ابن المنير) فى معراجه (ان قلت ان لم يفضل) نبينا صلى الله عليه وسلم (على يونس باعتبار استواء الجهتين بالنسبة الى وجود الحق تعالى فقد فضل باعتبار تفاوت

الاغذية وأنفعها اذا طبخ بالبان البقر وله تأثير فى خصب البدن وزيادة المنى وكثرة التغذية وتصفية اللون *أرز بفتح الهمزة وسكون الراء وهو الصنوبر ذكره النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع تفيئها الرياح تقيمها مرة وتميلها أخرى ومثل المنافق مثل الارزة لا تزال قائمة على أصلها حتى يكون انجعافها مرة واحدة وحبه حار رطب وفيه انضاج وتليين وتحليل والذع يذهب بنقعه فى الماء وهو عسر الهضم وفيه تغذية كثيرة وهو جيد للسعال ولتنقية رطوبات الرئة ويزيد فى المنى ويولد مغصا وترياقه حب الرمان المز * اذخر ثبت فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال فى مكة لا يختلى خلاها فقال له العباس رضى الله عنه الا الاذخر يا رسول الله فانه لقينهم ولبيوتهم فقال الا الاذخر والاذخر حار فى الثانية يابس فى الاولى لطيف مفتح للسدد وأفواه العروق يدر البول والطمث ويفتت الحصا ويحلل الاورام الصلبة فى المعدة والكبد والكليتين شربا وضمادا وأصله يقوى عمود الاسنان والمعدة ويسكن الغثيان ويعقل البطن

(حرف الباء) بطيخ روى أبو داود والترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يأكل البطيخ بالرطب يقول

الجهتين في تفضيل الحق) سبحانه (فانه تعالى فضل الملأ الاعلى) أي السموات (على الحضيض الادنى) أي الارض عند الاكثرين لانه لم يعص فيها ومعصية ابليس لم تكن فيها أو وقعت نادرة فلم يلتفت اليها وقيل الارض أفضل لانها مستقر الانبياء ومدفنهم ونسب للاكثر أيضا وصحح الاول ومحل الخلاف كما قال السراج البلقيني فيما عدا قبور الانبياء فهي أفضل اتفاقا (فكيف لا تفضله عليه الصلاة والسلام على يونس فان لم يكن التفضيل بالمكان فهو بالمكانة) الرفعة وعلو المنزلة (بلا اشكال ثم قال) تلو هذا السؤال بلا فاصل (قلت لم ينه عن مطلق التفضيل وانما نهى عن تفضيل مقيد بالمكان يفهم منه القرب المكاني) الذي يتعالى الله عنه (فعلى هذا يحمل جمعا بين القواعد انتهى) وهو في معنى ما قال امام الحرمين ومالك وغيرهما (و) قد (اختلف) في جواب قول السائل (هل البشر أفضل من الملائكة) أم الملائكة أفضل ثالثها الوقف واختاره الكيا الهراسي ومحل الخلاف في غير نبينا صلى الله عليه وسلم اما هو فافضل الخلق اجماعا لا يفضل عليه ملك مقرب ولا غيره كما ذكره الرازي وابن السبكي والسراج البلقيني والزركشي ومافي الكشاف من تفضيل جبريل قال بعض المغاربة جهل الزمخشري مذهبه فان المعتزلة مجمعون على تفضيل المصطفى نعم قيل ان طائفة منهم خرقوا الاجماع كالرماني فتبعهم (فقال جمهور أهل السنة والجماعة خواص بني آدم وهم الانبياء أفضل من خواص الملائكة) واختاره الامام فخر الدين في الاربعين وفي المحصل قال ابن المنير وفضلهم باعتبار الرسالة والنبوة لا باعتبار عموم الاوصاف البشرية بمجردها والا لكان كل البشر أفضل من الملائكة معاذ الله وذكر الامام فخر الدين ان الخلاف في التفضيل بمعنى أيهما أكثر ثوابا على الطاعات ورد بذلك احتجاج الفلاسفة على تفضيل الملائكة بانها نورانية علوية والجسمانية ظلمانية سفلية وقال هذا لم يلاق محل النزاع وبهذا يزول الاشكال في المسئلة (وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل) ملك الموت (وحملة العرش) وهم أربعة أو ثمانية تقدم تحريره في المعراج (والمقربون والكروبيون) بفتح الكاف وخفة الراء كما مر (والروحانيون) بضم الراء وفتحها اما الضم فلانهم أرواح ليس معها ماء ولا نار ولا تراب ومن قال هذا قال الروح جوهر ويجوز أن يؤلف الله أرواحا فيجسمها ويخلق منها خلقا ناطقا عاقلا فيكون الروح مخترعا والتجسيم ضم النطق والعقل اليه حادثا من بعد ويجوز ان أجساد الملائكة على ماهي عليه اليوم مخترعة كما اخترع عيسى وناقة صالح واما الفتح فبمعنى انهم ليسوا محصورين في الابنية والظلل ولكنهم في فسحة وبساط وقيل ملائكة الرحمة روحانيون بفتح الراء وملائكة العذاب الكروبيون من الكرب قاله الحليمي والبيهقي (وخواص الملائكة) وهم المذكورون (أفضل من عوام بني آدم) يعني أولياء البشر وهم من عدا الانبياء كما في الحبائك أي الصلحاء كما يأتي (قال التفتازاني بالاجماع بل بالضرورة) لعصمتهم جميعهم قال السيوطي لكن رأيت لطائفة من الحنابلة انهم فضلوا أولياء البشر على خواص الملائكة وخالفهم ابن عقيل من أئمتهم وقال ان ذلك شناعة عظيمة عليهم (وعوام بني آدم أفضل من عوام الملائكة) وهم غير خواصهم في أحد القولين وجزم به الصفار والنسفي كلاهما من الحنفية وذكر البلقيني انه المختار عند الحنفية ومال الى بعضه وهو انه قد يوجد من أولياء البشر من هو أفضل من غير الخواص من الملائكة وذهب الاكثرون الى تفضيل جميع الملائكة على أولياء البشر وجزم به ابن السبكي في جمع الجوامع وفي منظومته فذكر المصنف ثلاث صور واستدل لها بقوله (فالمسجود له أفضل من الساجد) وهو الملائكة أي ان مجموع البشر أفضل من مجموع الملائكة كما أشار له بقوله (فاذا ثبت تفضيل الخواص) وهم الانبياء (على الخواص) من الملائكة بالسجود (لآدم ثبت تفضيل العوام على العوام) وهذا صريح في تفضيل

الاخضر وهو بارد رطب وفيه جلاء وهو أسرع انحدارا عن المعدة من القثاء والخيار وهو سريع الاستحالة الى أي خلط كان صادفه في المعدة واذا كان آكله محرورا انتفع به جدا وان كان مبرودا دفع ضرره بيسير من الزنجبيل ونحوه وينبغي أكله قبل الطعام ويتبع به والا غثى وقيأ وقال بعض الاطباء انه قبل الطعام يغسل البطن غسلا ويذهب بالداء أصلا * بلح روى النسائي وابن ماجه في سننهما من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا البلح بالتمر فان الشيطان اذا نظر الى ابن آدم يأكل البلح بالتمر يقول بقي ابن آدم حتى أكل الحديث بالعتيق وفي رواية كلوا البلح بالتمر فان الشيطان يحزن اذا رأى ابن آدم يأكله يقول عاش ابن آدم حتى أكل الجديد بالخلق رواه البزار في مسنده وهذا لفظه قلت الباء في الحديث بمعنى مع أي كلوا هذا مع هذا

قال بعض أطباء الاسلام انما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأكل البلح بالتمر ولم يأمر بأكل البسر مع

المجموع وأورد الرازي في الاربعين لا يقال السجدة كانت لله وآدم كالقبلة لسلمنا انها لآدم لكن لم لا يكون من السجود التواضع والترحيب سلمنا انها وضع الجبهة على الارض لكنها قضية عرفية يجوز أن تختلف باختلاف الازمنة فلعل عرف ذلك الوقت ان من سلم على غيره وضع جبهته على الارض وتسليم الكامل على غيره أمر معتاد قال والجواب عن الاسئلة الثلاثة ان ذلك السجود لو لم يدل على زيادة منصب المسجود له على الساجد لما قال ابليس أرأيتك هذا الذي كرمت علي فانه لو وجد شئ آخر يصرف هذا الكلام اليه سوى هذا السجود فدل على اقتضائه ترجيح المسجود له على الساجد (فعوام الملائكة خدم عمال الخير) وهم صلحاء المؤمنين (والمخدوم له فضل على الخادم) وهذا الاستدلال للصورة الثالثة وعطف على فالمسجود له أفضل من الساجد باعتبار المعنى أي فبنو آدم من حيث هم أفضل لان هذا النوع مسجود له في الجملة (ولان المؤمنين) من حيث هم (ركب فيهم الهوى) بالقصر أي الميل الى الشئ ثم استعمل في الميل المذموم نحو ولا تتبع الهوى فيضلك (والعقل) عبر به دون الشهوة وان كان أظهر في بيان المشقة الحاصلة للمؤمنين في العبادة لبيان ما حصل به الاشتراك بين الآدمي والبشر وقد أوضح ذلك الفخر في الاربعين فقال الملائكة لهم عقول بلا شهوة والبهائم لهم شهوة بلا عقل والآدمي له عقل وشهوة فان رجحت شهوته على عقله كان أخس من البهيمة قال تعالى أولئك كالانعام بل هم أضل فقياسه لو رجح عقله على شهوته وجب ان يكون أفضل من الملك انتهى وذكر نحوه البيهقي وزاد ألا ترى من ابتلي من الملائكة بالشهوة كيف وقع في المعصية وذكر قصة هاروت وماروت وساقها من ثلاثة طرق فكان المصنف عبر عن الشهوة بالهوى لتسببه عنها (مع تسليط الشيطان عليهم بوسوسته والملائكة ركب فيهم العقل دون الهوى) لعدم الشهوة (ولا سبيل للشيطان عليهم) لعصمتهم فهذه الآفة غير حاصلة للملائكة (فالانسان كما قاله) التفتازاني (في شرح العقائد النسفي يحصل الفوائد والكمالات العلمية والعملية مع وجود العوائق والموانع من الشهوة والغضب وسنوح الحاجات) أي ظهورها وعروضها (الضرورية) التي لا بد منها (الشاغلة عن اكتساب الكمالات) من علم وعمل ومع ذلك يحصلهما (ولا شك أن العبادة وكسب الكمال مع الشواغل والصوارف) أي الموانع وهي لازمة للشواغل وكأنه جمع صارف أو صارفة أي أمر صارف أو خصلة صارفة ٢ لان فواعل يجمع قياسا على فاعل وفاعلة والمسموع صروف كفلس وفلوس على ما في المصباح (أشق وأدخل في الاخلاص فيكون) الانسان (أفضل) وفي الاربعين لان طاعة البشر أشق لان الشهوة والغضب والحرص والهوى من أعظم الموانع عن الطاعات وهذه صفات موجودة في البشر مفقودة في الملائكة والفعل مع المانع أشق منه مع غير المانع ولان تكاليف الملائكة مبنية على النصوص قال تعالى لا يسبقونه بالقول وتكاليف البشر بعضها مبني على النصوص وبعضها على الاستنباط قال تعالى فاعتبروا يا أولي الابصار وقال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم والتمسك بالاجتهاد والاستنباط في معرفة الشئ أشق من التمسك بالنص والاشق أفضل نصا وقياسا اما النص فقوله صلى الله عليه وسلم أجرك على قدر نصبك وحديث أفضل العبادات أحمزها أي أشقها واما القياس فلو اشترك الطاعات السهلة والشاقة في الثواب لخلا تحمل الشاقة عن الفائدة وتحمل الضرر الخالي عن الفائدة محظور قطعا فكان يجب حرمة الشاقة فلما لم يكن كذلك علم ان الاشق أكثر ثوابا (والمراد بعوام بني آدم هنا) في هذا المبحث (الصلحاء) لا ما اشتهر أنهم مقابل العلماء وما في الاصول أنهم خلاف المجتهدين

٢ قوله لان فواعل يجمع الخ هكذا في النسخ ولعل العبارة مقلوبة والاصل فان فاعلة وفاعلا أي اذا كان وصفا لمؤنث أو لغير عاقل يجمعان قياسا على فواعل تأمل اه مصححه

التمر لان البلح بارد يابس والتمر حار رطب ففي كل منهما اصلاح للآخر وليس كذلك البسر مع التمر فان كل واحد منهما حار وان كانت حرارة التمر أكثر ولا ينبغي من جهة الطب الجمع بين حارين أو باردين كما تقدم وفي هذا الحديث التنبيه على صحة أصل صناعة الطب ومراعاة التدبير الذي يصلح في دفع كيفيات الاغذية والادوية بعضها ببعض ومراعاة القانون الطبي الذي يحفظ به الصحة وفي البلح برودة ويبوسة وهو ينفع الفم واللثة والمعدة وهو ردئ للصدر والرئة بالخشونة التي فيه بطئ في المعدة يسير التغذية وهو للنخلة كالحصرم لشجرة العنب وهما جميعا يولدان رياحا وقراقر ونفخا ولا سيما اذا شرب عليهما الماء ودفع مضرتهما بالتمر أو بالعسل والزبد وبسر ثبت في الصحيح أن أبا الهيثم بن التيهان لما ضافه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما جاءهم بعذق وهو من النخلة كالعنقود من العنب فقال له هلا انتقيت لنا من رطبه فقال أحببت أن تنتقوا من بسره ورطبه والبسر حار يابس ويبسه أكثر من حره ينشف الرطوبة ويدبغ المعدة ويحبس البطن وينفع اللثة والفم وأنفعه ما كان هشا وحلوا وكثرة أكله وأكل

(لا الفسقة) جعلهم في مقابلة الصلحاء يقتضي ان كل من لم يرتكب كبيرة ولم يصر على صغيرة من صلحاء المؤمنين وان لم يصل درجة الاولياء وهو قد ينافي تعريف الولي بالقائم بحق الله والعباد لكن من هذه صفته قليل (كما نبه عليه العلامة كمال الدين ابن أبي شريف المقدسي قال ونص عليه البيهقي في الشعب وعبارته قد تكلم الناس قديما وحديثا في المفاضلة بين الملائكة والبشر) الانسان سمي به لظهور بشرته يطلق على الانسان واحده وجمعه وقد يثنى ويجمع على الابشار كما في القاموس (فذهب ذاهبون الى ان الرسل من البشر) الذين يدعون الناس الى الحق ويبلغونهم ما نزل اليهم (أفضل من الرسل من الملائكة) وهم الذين يتوسطون بين الله وبين الانبياء فهم رسل بالمعنى اللغوي كقوله جاعل الملائكة رسلا أما الاصطلاحي وهو انسان ذكر أوحي اليه بشرع وأمر بتبليغه فلا يكونون رسلا اذ لاشئ من الملائكة بانسان (والاولياء من البشر) قال السيوطي وهم من عدا الانبياء (أفضل من الاولياء من الملائكة) وهم من عدا خواصهم كما أفاده السيوطي (انتهى) كلام البيهقي وانما يوافق دعواه بتاويل أولياء البشر بالصلحاء الذين لا كبيرة لهم ولا اصرار على صغيرة لا بما عرفه التفتازاني انه العارف بالله وصفاته حسبما يمكنه المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات (وذهبت المعتزلة والفلاسفة وبعض الاشاعرة) أي أهل السنة كأبي اسحق الاسفرايني والحاكم أبي عبد الله (الى تفضيل الملائكة وهو اختيار القاضي أبي بكر) محمد بن الطيب (ابن الباقلاني) بتخفيف اللام والنون نسبة الى بيع الباقلاء (وأبي عبد الله الحليمي) واختاره أيضا الامام فخر الدين في المعالم وأبو شامة قال البيهقي وأكثر أصحابنا ذهبوا الى القول الاول والامر فيه سهل وليس فيه من الفائدة الا معرفة الشئ على ما هو به انتهى (وتمسكوا بوجوه) نحو عشرين اقتصر منها على أربعة (الاول) وهو أضعفها (ان الملائكة أرواح مجردة) قال الآمدي هذا غير مسلم بل اجسام ذات أرواح والتفاوت في هذا المفهوم ليس بمسلم (كاملة بالعقل) بمعنى انها (مبرأة عن مبادي الشرور والآفات كالشهوة والغضب) والخيال والوهم (وعن ظلمات الهيولى) قال المجد القطن وشبه الاوائل طينة العالم به أو هو في اصطلاحهم موصوف بما يصف به أهل التوحيد الله تعالى أنه موجود بلا كمية وكيفية ولم يقترن به شئ من سمات الحدث ثم حلت به الصفة واعترضت به الاعراض فحدث منه العالم (والصورة) قالوا وهذه الصفات هي الحجب القوية عن تجلي نور الله ولا كمال الا بحصول ذلك التجلي ولا نقص الا بحصول ذلك الحجاب فلما كان هذا التجلي حاصلا لهم أبدا والارواح البشرية محجوبة عن ذلك التجلي في أكثر الاوقات علم انه لا نسبة لكمالهم الى كمال البشر والقول بان الخدمة مع كثرة العوائق أعلى منها بلا عوائق كلام خيالي لان المقصود من جميع العبادات والطاعات حصول ذلك التجلي فاي موضع كان فيه التجلي أكثر وعن المعاوق أبعد كان فيه الكمال والسعادة أتم ولذا قال تعالى في الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون (قوية على الافعال العجيبة) لا تستثقل حمل الاثقال ولا تستصعب نقل الجبال والرياح تهب بتحريكها والسحاب تعرض وتزول بتصرفاتها والزلازل تطوى بقوتها (عالمة بالكوائن ماضيها وآتيها من غير غلط) لانهم ناظرون الى اللوح المحفوظ أبدا فيعلمون ما وجد في الماضي وما سيوجد في المستقبل (والجواب ان مبنى ذلك) الذي احتجوا به (على الاصول الفلسفية) اذ هم القائلون بانهم أرواح مجردة (دون الاصول الاسلامية) القائلين بانهم أجسام ذات أرواح والتفاوت في هذا غير مسلم عندنا وأما في باقي الصفات المذكورة فغير مسلمة على ما عرف من أصولنا قاله الآمدي (الثاني ان الانبياء مع كونهم أفضل البشر) باتفاق الفريقين (يتعلمون ويستفيدون منهم بدليل قوله تعالى علمه شديد القوى) أي جبريل (وقوله تعالى نزل به الروح الامين

الباخ يحدث السدد في الاحشاء * بيض ذكر البيهقي في شعب الايمان أثرا مرفوعا ان نبيا من الانبياء شكى الى الله سبحانه الضعف فامره باكل البيض وفي ثبوته نظر ويختار من البيض الحديث على العتيق وبيض الدجاج على سائر بيض الطير وهو معتدل يميل الى البرودة قليلا قال صاحب القانون ومحه حار رطب يولد دما صحيحا محمودا ويغذي غذاء يسيرا ويسرع الانحدار من المعدة اذا كان رخوا وقال غيره مخ البيض مسكن للالم مملس للحلق وقصبة الرئة نافع للحلق والسعال وقروح الرئة والكلى والمثانة مذهب للخشونة لاسيما اذا أخذ بدهن اللوز الحلو ومنضج لما في الصدر ملين له مسهل لخشونة الحلق وبياضه اذا قطر في العين الوارمة ورما حارا برده وسكن الوجع واذا لطخ به حرق النار أو ما يعرض له لم يدعه ينفط واذا لطخ به الوجع منع الاحتراق العارض من الشمس واذا خلط بالكندر ولطخ على الجبهة نفع من النزلة وذكره صاحب القانون في الادوية القلبية ثم قال وهو وان لم يكن من الادوية المطلقة فانه بماله مدخل في تقوية القلب جدا أعني الصفرة وهي تجمع ثلاثة معان سرعة

على

على قلبك ولاشك ان المعلم أفضل من المتعلم والجواب ان التعليم انما هو من الله والملائكة انما هم مبلغون) فلا يلزم تفضيلهم على الانبياء لان مجرد كونهم وسائط فى التبليغ لا يقتضى التفضيل الا ترى ان السلطان لو أرسل الى الوزير مثلا رسالة مع بعض اتباع السلطان لا يلزم منه ان الرسول أفضل من الوزير ولا مساوله ولا يلزم أيضا كون المعلم أعلم كما ادعوه قال الآمدى آدم كان أعلم منهم لقوله وعلم آدم الاسماء كلها الآيات والمراد أصحاب الاسماء وهى المسميات لقوله ثم عرضهم ولو أراد الاسماء لقال ثم عرضها كما قاله ثعلب ولو سلم انهم أعلم فانما يدل على اختصاصهم بالاعلمية ولا يلزم أن يكونوا أفضل عند الله بمعنى أكثر ثوابا وأرفع درجة (الثالث انه اطرد فى الكتاب والسنة تقديم ذكرهم على الانبياء) كقوله كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس (وما ذاك الا لتقدمهم فى الشرف والرتبة) لان العرف شاهد بفضيلة المتقدم فى الذكر والاصل تنزيل الشرع عليه ويدل عليه قول عمر للقائل

* كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * لو قدمت الاسلام لاعطيتك (والجواب أن ذلك لتقدمهم فى الوجود) لا للدلالة على الفضيلة بدليل أنه تعالى قدم ذكرهم على كتبه والكتب على الرسل والكتب ان كانت هى الكلام القديم النفسانى فهى أفضل من الملائكة وان كانت العبارات والكتابات الدالة فالرسل أفضل منها باتفاق وقد أخر الرسل عنها فى الذكر قاله الآمدى (أولان وجودهم أخفى) لعدم رؤيتنا لهم ولذا استدلوا على وجودهم بالادلة السمعية كذكرهم فى الكتب السماوية واخبار الانبياء بهم (فالايمان بهم أقوى وبالتقديم أولى) لان الله أثنى على الذين يؤمنون بالغيب أى بما غاب عنهم (الرابع قوله تعالى لن يستنكف) يتكبر ويانف (المسيح) الذى زعمتم أنه اله عن (أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون) عنده ان يكونوا عبيدا لله (فان أهل اللسان يفهمون من ذلك أفضلية الملائكة من) أى على (عيسى اذ القياس فى مثله الترقى من الادنى الى الاعلى يقال لا يستنكف من هذا الامر الوزير ولا السلطان ولا يقال السلطان ولا الوزير) اذ لا يحسن ذلك لاقتضائه زيادته على السلطان ولا كذلك فدل على فضل الملائكة على الانبياء ثم أجابوا عن قصور الدليل على فضلهم على عيسى فلا يلزم ذلك على بقية الانبياء بقولهم (ثم لا قائل بالفرق) وفى نسخ بالفصل بصاد مهملة أى التمييز (بين عيسى وغيره من الانبياء عليهم السلام) فثبت الدليل بقياس المساواة لكن قد اعترض الفخر هذا الاستدلال بوجوه بان محمدا أفضل من المسيح ولا يلزم من فضل الملائكة عليه فضلهم على محمد صلى الله عليه وسلم وبان قوله ولا الملائكة المقربون صيغة جمع تتناول الكل فتفيد أن مجموعهم أفضل من المسيح لا ان كل واحد أفضل منه ولان الواو حرف عطف فتفيد الجمع المطلق لا الترتيب فاما المثال المذكور فليس بحجة لان الحكم الكلى لا يثبت بالمثال الجزئى ثم هو معارض بسائر الامثلة كقولك ما أعاننى على هذا الامر لا عمرو ولا زيد فلا يفيد فضل المتأخر فى الذكر ومنه قوله تعالى ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت فلما اختلفت الامثلة امتنع التعويل عليها ثم تحقيق المسئلة اذا قيل هذا العالم لا يستنكف عن خدمته الوزير ولا السلطان فنحن نعلم بعقولنا ان السلطان أعظم درجة من الوزير فعرفنا أن الغرض من ذكر الثانى المبالغة وانما عرفناها بالعقل لا بمجرد الترتيب فلا يمكننا أن نعرف ان المراد فى ولا الملائكة بيان المبالغة الا اذا عرفنا قبل ذلك ان الملائكة أفضل من المسيح وحينئذ تتوقف صحة الدليل على صحة المطلوب وهو دور (والجواب) على تقدير أن الآية دالة على ان منصب الملك أعلى من المسيح لكنها لا تدل على ان تلك الزيادة فى جميع المناصب بل فى بعضها فقولك لا يستنكف من خدمة هذا العالم الوزير ولا السلطان انما يفيد

بسرعة ولذلك هو أوفق ما يتلافى به عادية الامراض الحالة بجوهر الروح * بصل روى أبو داود فى سننه عن عائشة رضى الله عنها انها سئلت عن البصل فقالت ان آخر طعام أكله رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه بصل وثبت عنه فى الصحيحين انه منع آكله من دخول المسجد والبصل حار فى الثالثة وفيه رطوبة فضلية ينفع من تغير المياه ويدفع ريح السموم ويفتق الشهوة ويقوى المعدة ويهيج الباه ويزيد فى المنى ويحسن اللون ويقطع البلغم ويجلو المعدة وبزره يذهب البهق ويدلك به حول داء الثعلب فينفع جدا وهو بالملح يقلع الثآليل واذا شمه من شرب دواء مسهلا منعه من القىء والغثيان وأذهب رائحة ذلك الدواء واذا استعط بمائه نقى الرأس ويقطر فى الاذن لثقل السمع والطنين والقيح والماء الحادث فى الاذنين وينفع من الماء النازل فى العينين اكتحالا يكتحل ببزره مع العسل لبياض العين والمطبوخ منه كثير الغذاء ينفع من اليرقان والسعال وخشونة الصدر ويدر البول ويلين الطبع وينفع من عضة الكلب غير الكلب اذا نطل

ان السلطان أكمل منه في بعض الاشياء وهي القدرة والسلطنة ولا يفيد زيادته على الوزير في العلم والزهد فاذا ثبت هذا فنحن نقول بموجبه وهو أن الملك أفضل من البشر في القدرة والقوة والبطش فان جبريل قلع مدائن قوم لوط والبشر لا يقدر على ذلك فلم قلتم بفضل الملك على البشر في كثرة الثواب الذي هو محل الخلاف في المسئلة وكثرته انما تحصل بنهاية التواضع والخضوع ووصف العبد بذلك لا يلائم صيرورته مستنكفا عن العبودية لله بل يناقضها فامتنع كون المراد من الآية هذا المعنى أما اتصافه بالقدرة الشديدة والقوة الكاملة فناسب التمرد وترك العبودية وذلك (أن النصارى استعظموا المسيح بحيث يرتفع) وفي نسخة يترفع أي يتعالى (من أن يكون عبدا من عباد الله بل ينبغي أن يكون ابناله) كما قال تعالى وقالت النصارى المسيح ابن الله (لانه مجرد لا أب له و) لانه (كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى بخلاف سائر العباد من بني آدم فرد) الله (عليهم بانه لا يستنكف من ذلك) أي عبودية الله (المسيح ولا من هو أعلى منه في هذا المعنى وهم الملائكة الذين لا أب لهم ولا أم ويقدرون باذن الله تعالى على افعال أقوى وأصعب وأعجب من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله تعالى) الذي شاهدتموه من المسيح (فالترقي والعلو انما هو في أمر التجرد) من الاب والام (واظهار الآثار القوية) كالشدة والقوة والبطش (لا في مطلق الشرف والكمال) المؤدي الى كثرة الثواب ومزيد الرفعة عند الله (فلا دلالة في الآية على أفضلية الملائكة البتة انتهى) ما أورده من هذا المبحث وليس المراد انتهى ما في الشعب لانه ليس فيها ذلك وقدم قوله انتهى يعني ما في الشعب قبل قوله وذهبت والقول الثالث الوقف حكاه الكلاباذي عن جمهور الصوفية قال شارحه القونوي وهو أسلم الاقوال والسلامة لا يعدلها شئ كيف وأدلة الجانبين متجاذبة وليست المسئلة مما كلفنا الله تعالى بمعرفة الحكم فيها فالصواب تفويض علمها الى الله واعتقاد أن الفضل لمن فضله الله ليس بشرف الجوهر ليقال الملائكة أفضل لان جوهرهم أشرف فانهم خلقوا من نور وخلق البشر من طين وأصل ابليس وجوهره وهو النار أشرف وأصفى من جوهر البشر وما أفاده ذلك فضلا ولا بالعمل ليقال عمل الملائكة أكثر لان ابليس أكثر عملا أيضا وقال في منع الموانع عن والده المسئلة ليست مما يجب اعتقاده ويضر الجهل به ولو لقي الله ساذجا منها بالكلية لم يأثم قال القاضي تاج الدين فالناس ثلاثة رجل عرف أن الانبياء أفضل واعتقده بدليل وآخر جهل المسئلة ولم يشتغل بها وهذان لا ضرر عليهما وثالث قضى بان الملك أفضل وهذا على خطر وهل من فضل الانبياء على خطر فالساذج أسلم منه أو انه لاصابة الحق ان شاء الله ناج من الخطر هذا موضع نظر والذي كنت أفهمه عن الوالد أن السلامة في السكوت وأن الدخول في التفضيل بين هذين الصنفين الكريمين على الله بلا دليل قاطع دخول في خطر عظيم وحكم في مكان لسنا أهلا للحكم فيه وجاءت أحاديث مشيرة الى عدم الدخول في ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى ونحوه ولا خلاف انه أفضل منه فلعله اشارة الى انكم لا تدخلوا في أمر لا يعنيكم وما للسوقة والدخول بين الملوك أعني بالسوقة أمثالنا وبالملوك الانبياء والملائكة انتهى وقد بسط في الحبائك المسئلة (ثم ان الملائكة بعضهم أفضل من بعض) فاعلاهم درجة حملة العرش الحافون حوله فاكابرهم كالاربعة فملائكة الجنة والنار فالموكلون ببني آدم فالموكلون باطراف هذا العالم كذا ذكر الرازي (وافضلهم الروح الامين جبريل المزكى) صفة بمنزلة التعليل كانه قال لانه المزكى (من رب العالمين المقول فيه من ذي العزة) سبحانه (انه) أي القرآن (لقول رسول كريم) على الله أضيف اليه القرآن لنزوله به (ذي قوة) أي شديد القوة (عند ذي العرش) أي الله (مكين) ذي مكانة (مطاع ثم) أي تطيعه الملائكة في السموات وثم اما متعلقة بمطاع أو بقوله (أمين) على الوحي (فوصفه

فإنهما أو بملح وسذاب وإذا احتمل فتح أفواه البواسير *(فصل)* وأما ضرره فإنه يورث الشقيقة ويصدع الرأس ويولد أرياحا ويظلم البصر وكثرة أكله تورث النسيان ويفسد العقل ويغير رائحة الفم والنكهة ويؤذي الجالس والملائكة وإماتته طبخا تذهب بهذه المضرات منه وفي السنن أنه صلى الله عليه وسلم أمر آكله وآكل الثوم ان يميتهما طبخا ويذهب رائحته مضغ ورق السذاب عليه * باذنجان في الحديث الموضوع المختلق على رسول الله صلى الله عليه وسلم الباذنجان لما أكل له وهذا الكلام مما يستقبح نسبته الى آحاد العقلاء فضلا عن الانبياء وبعد فهو نوعان أبيض وأسود وفيه خلاف هل هو بارد أو حار والصحيح انه حار وهو مولد للسوداء والبواسير والسدد والسرطان والجذام ويفسد اللون ويسوده ويضر بنتن الفم والابيض منه المستطيل عار من ذلك

(حرف التاء)

تمر ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم من تصبح بسبع تمرات وفي لفظ من تمر العالية لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر وثبت عنه أنه قال بيت لا تمر فيه جياع أهله وثبت عنه أكل

بسبع

ـبع صفات) على ماقاله الزمخشري وهو ظاهر بجعل عند ذي العرش صفة مستقلة لا متعلقة بما قبلها ولا بما بعدها وعدها الرازي ستة فجعلها متعلقة بقوله ذي قوة (وهو أفضل الملائكة الثلاثة الذين هم أفضل الملائكة على الاطلاق وهم ميكائيل واسرافيل وعزرائيل) كما قال كعب الاحبار جبريل أفضل الملائكة نقله النعماني وكأن هذا لم يصح عند السيوطي فقد قال في الحبائك سئلت هل الافضل جبريل أو اسرافيل والجواب لم أقف على نقل في ذلك لاحد من العلماء والآثار متعارضة فحديث الطبراني عن ابن عباس مرفوعا ألا أخبركم بافضل الملائكة جبريل وأثر وهب ان أدنى الملائكة من الله جبريل ثم ميكائيل يدل على تفضيل جبريل وحديث ابن مسعود مرفوعا ان أقرب الخلق من الله اسرافيل صاحب الصور وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وحديث عائشة مرفوعا اسرافيل ملك الله ليس دونه شئ وأثر كعب ان أقرب الملائكة الى الله اسرافيل وأثر الهذلي ليس شئ من الخلق أقرب الى الله من اسرافيل وحديث ابن أبي جبلة أول من يدعى يوم القيامة اسرافيل وأثر ابن سابط يدبر أمر الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل الى ان قال وأما اسرافيل فامين الله بينه وبينهم أي وبين الثلاثة وأثر خالد بن أبي عمران واسرافيل بمنزلة الحاجب كل ذلك يدل على تفضيل اسرافيل انتهى (وكذلك الرسل أفضل من الانبياء) الذين ليسوا برسل لزيادتهم بالرسالة والانبياء بعضهم أفضل كما قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض قال الامام الرازي أجمعت الامة على ان بعض الانبياء أفضل من بعض وأن محمدا أفضل الكل (وكذلك الرسل بعضهم أفضل من بعض) بنص الآية (ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء والرسل) نصا واجماعا (كما تقدم) قريبا ويليه ابراهيم كما نقل بعضهم عليه الاجماع وفي الصحيح خير البرية ابراهيم خص منه المصطفى فبقي على عمومه كذا في النقاية وقال التفتازاني في شرح المقاصد اختلف في الافضل بعد المصطفى فقيل آدم لكونه أبا البشر وقيل نوح لطول عبادته ومجاهدته وقيل ابراهيم لزيادة توكله واطمئنانه وقيل موسى لكونه كليم الله ونجيه وقيل عيسى لكونه روح الله وصفيه انتهى وجزم ابن كثير في تاريخه بان ابراهيم أفضل بعد محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم (وأول الانبياء آدم) أي والرسل أيضا فالصحيح انه مرسل الى بنيه كما دل عليه حديث أبي ذر (وآخرهم نبينا صلى الله عليه وسلم فاما نبوة آدم فبالكتاب الدال على انه قد أمر) بنحو اسكن أنت وزوجك الجنة (ونهى) بنحو ولا تقربا هذه الشجرة (مع القطع بانه لم يكن في زمنه نبي آخر فهو بالوحي لا غير وكذا السنة) دلت على نبوته كحديث أبي ذر الآتي (والاجماع) من الامة عليها (فانكار نبوته على مانقل عن البعض يكون كفرا) لمخالفة الاجماع والنص (وقد اختلف في عدد الانبياء والمرسلين والمشهور في ذلك مافي حديث أبي ذر) عند ابن مردويه في تفسيره) وعبد بن حميد والحاكم في المستدرك وابن عساكر والحكيم الترمذي في النوادر (قال) أبو ذر (قلت يارسول الله كم الانبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قال قلت يارسول الله كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر) هم (جم) أي جمع (غفير) أي كثير (قال قلت يارسول الله من كان أولهم) أي الرسل (قال آدم قال صلى الله عليه وسلم ياأباذر أربعة سريانيون آدم وشيث) ابنه (ونوح وخنوخ) بفتح المعجمة وضم النون وسكون الواو ثم معجمة بوزن ثمود عند الاكثر وقيل بزيادة ألف في أوله وسكون المعجمة الاولى وقيل كذلك لكن بحذف الواو وقيل كذلك لكن بدل الخاء الاولى هاء وقيل كالثاني لكن بدل المعجمة مهملة (وهو ادريس) سرياني وقيل عربي مشتق من الدراسة لكثرة درسه الصحف ولا يمنع الحديث كون لفظ ادريس عربيا اذا ثبت ان له اسمين (وهو أول من خط بالقلم) وذكر ابن اسحق أن له أوليات كثيرة منها انه أول من خاط الثياب ذكره

التمر بالزبد وأكل التمر بالخبز وأكله مفردا وهو حار في الثانية وهل هو رطب في الاولى أو يابس فيها على قولين وهو مقو للكبد ملين للطبع يزيد في الباه ولا سيما مع حب الصنوبر ويبرئ من خشونة الحلق ومن لم يعتده كأهل البلاد الباردة فانه يورث لهم السدد ويؤذي الاسنان ويهيج الصداع ودفع ضرره باللوز والخشخاش وهو من أكثر الثمار تغذية للبدن بما فيه من الجوهر الحار الرطب وأكله على الريق يقتل الدود فانه مع حرارته فيه قوة ترياقية فاذا أديم استعماله على الريق خفف مادة الدود وأضعفه وقلله أو قتله وهو فاكهة وغذاء ودواء وشراب وحلوى * تين لما لم يكن التين بارض الحجاز والمدينة لم يأت له ذكر في السنة فان أرضه تنافي أرض النخل ولكن قد أقسم الله في كتابه لكثرة منافعه وفوائده والصحيح ان المقسم به هو التين المعروف وهو حار وفي رطوبته ويبوسته قولان وأجوده الابيض الناضج القشر يجلو رمل الكلى والمثانة ويؤمن من السموم وهو أغذى من جميع الفواكه وينفع خشونة الحلق والصدر وقصبة الرئة ويغسل الكبد والطحال وينقي الخلط البلغمي من المعدة ويغذو البدن غذاء جيدا الا انه يولد القمل اذا اكثر منه

كله الحافظ (وأربعة من العرب هود) بن عبد الله بن رباح بن حرث بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وسماه في التنزيل أخا عاد لكونه من قبيلتهم لا من جهة اخوة الدين هذا هو الراجح في نسبه واما ابن هشام فقال اسمه عابر بن أرفخشد بن سام (وصالح) ابن عبيد بن اسف بن ماشج بن عبيد بن جادر بن ثمود ابن عابر بن ارم بن سام (وشعيب) بن سليل بن يشجن بن عنقاء بن مدين بن ابراهيم وقيل شعيب بن صفور بن عنقاء بن نابت بن مدين وقول ابن اسحق يشجن بن لاوى بن يعقوب لا يثبت (ونبيك) محمد صلى الله عليه وسلم (يا أباذر) ففي هذا الحديث أن شعيبا من العرب العاربة وقيل انه من بني عنزة بن أسد ففي حديث سلمة بن سعيد العنزي أنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فانتسب الى عنزة فقال نعم الحي عنزة مبغي عليهم منصورون رهط شعيب وأختان موسى أخرجه الطبراني وفي أسانيده مجاهيل (وأول نبي من بني اسرائيل موسى) قد يستشكل هذا بقوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات سواء قلنا انه ابن يعقوب أو ابن أفرايم بن يوسف بن يعقوب وكلاهما قبل موسى وهما من بني اسرائيل الذي هو يعقوب الا أن يقال المعنى أول نبي أمر جميع من يأتي من أنبيائهم بعده باتباع شرعه والدعاء اليه (وآخرهم عيسى وأول النبيين) على الاطلاق (آدم وآخرهم نبيك يا أباذر وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم) محمد (بن حبان) بكسر المهملة وشد الموحدة (في كتابه الانواع والتقاسيم وقد وسمه بالصحيح) وكذا صححه الحاكم (وخالفه ابن الجوزي فذكره في الموضوعات واتهم به ابراهيم بن هشام) الغساني (قال الحافظ ابن كثير ولا شك انه قد تكلم فيه) أي ابراهيم (غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث) فقال أبو حاتم انه غير ثقة وكذبه أبو زرعة الرازي (والله أعلم) بصحته في نفس الامر وعدمها (وروى أبو يعلى) وأبو نعيم في الحلية بسند ضعيف (عن أنس مرفوعا كان من خلا من اخواني من الانبياء ثمانية آلاف نبي) لا يعارض ما قبله بفرض صحتهما لان الاخبار بالاقل لا ينافي الاكثر لدخوله فيه ولعله أوحي اليه بهذا فاخبر به ثم بالاول وما ينطق عن الهوى (ثم كان عيسى ابن مريم ثم كنت أنا والذين نص الله على أسمائهم في القرآن آدم وادريس ونوح وهود وصالح وابراهيم ولوط واسمعيل واسحق) ولدا ابراهيم (ويعقوب) بن اسحق (ويوسف) بن يعقوب وكذا حفيده يوسف ابن أفرايم بن يوسف في قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات في أحد القولين والثاني انه ابن يعقوب وحكى النقاش والماوردي انه رسول من الجن بعث اليهم قال السيوطي وهو غريب جدا (وأيوب) قال ابن اسحق والصحيح انه من بني اسرائيل ولم يصح في نسبه شئ الا أن اسم أبيه أبيض وقال ابن جرير هو أيوب بن موص بن رازح بن عيص بن اسحق وحكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط وان أباه آمن بابراهيم فعلى هذا كان قبل موسى وقال ابن جرير كان بعد شعيب وقال ابن أبي خيثمة بعد سليمان ابتلى وهو ابن سبعين سنة سبع سنين وقيل ثلاث عشرة وقيل ثلاث سنين وروى الطبراني ان مدة عمره ثلاث وتسعون سنة (وشعيب وموسى وهرون) أخوه شقيقه وقيل لامه وقيل لابيه حكاهما الكرماني في عجائبه (ويونس وداود وسليمان) ابنه (والياس واليسع وزكريا ويحيى) ولده (وعيسى) ابن مريم (وكذا ذو الكفل) نبي (عند كثير من المفسرين) وقيل هو ابن أيوب في المستدرك عن وهب بعث الله بعد أيوب ابنه بشرا نبيا وسماه ذا الكفل وأمره بالدعاء الى توحيده وكان مقيما بالشام عمره حتى مات وعمره خمس وستون سنة وكفل مائة نبي فروا اليه من القتل وتكفل بصيام جميع النهار وقيام جميع الليل وأن يقضي بين الناس ولا يغضب فوفى بذلك وقيل هو الياس وقيل يوشع وقيل زكريا وقيل اليسع وان له اسمين وقيل اسمه ذو الكفل وقيل لم يكن نبيا بل رجلا صالحا تكفل بامور فيوفي بها (والله أعلم) بذلك ومن جملة المختلف في نبوته لقمان وذو القرنين وكذا الخضر لكن لم يفصح

جـدا و يابسه يغذو وينفع العصب وهو مع الجوز واللوز محمود وقال جالينوس واذا أكل مع الجوز والسداب قبل أخذ السم القاتل نفع وحفظ من الضرر ويذكر عن أبي الدرداء أهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم طبق من تين فقال كلوا وأكل منه وقال لو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة قلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوا منها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وفي ثبوت هذا نظر واللحم منه أجود ويعطش المحرورين ويسكن العطش الكائن عن البلغم المالح وينفع السعال المزمن ويدر البول ويفتح سدد الكبد والطحال ويوافق الكلى والمثانة ولاكله على الريق منفعة عجيبة في تفتيح مجاري الغذاء وخصوصا باللوز والجوز وأكله مع الاغذية الغليظة رديء جدا والتوت الابيض قريب منه لكنه أقل تغذية وأضر بالمعدة * تلبينة قد تقدم انها ماء الشعير المطحون وذكرنا منافعها وانها أنفع لاهل الحجاز من ماء الشعير الصحيح

* (حرف الثاء) *

ثلج ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اللهم اغسل من خطاياي بالماء والثلج والبرد وفي هذا الحديث من الفقه ان الداء يداوى بضده فان في الخطايا من الحرارة والحريق ما يضاده

باسيه

باسمه في القرآن (قال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك) واستأنف بيانيا فقال (روى ابن جرير) محمد
الطبري الحافظ أحد الاعلام في تفسيره وأبو يعلى والطبراني (من حديث أبي سعيد) الخدري (أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل فقال ان ربي وربك) المحسن الي والمالك لتحليل
التربية المزكي لي ولك بجميل التزكية واضافة رب للتشريف فكما تفيده اضافة العبد اليه تعالى
تشريفه فكذا اضافته اليه تعالى تفيده بل ذلك أقوى أفادته (يقول) زاد في رواية لك تنبيها على كمال
العناية ومزيد التوجه عنده والرعاية (تدري) استفهام حذفت أداته تخفيفا لكثرة وقوعها وفيه وفي
رواية أتدري باثباتها وهو غير حقيقي لاستحالته على علام الغيوب بل تقرير ليقر بعدم علمه
فيعلمه من لدنه أي أتدري جواب (كيف) أي على أي حال ومعنى (رفعت ذكرك) وكيف في محل
نصب حال من المفعول على القاعدة المشهورة ان وقعت بعد كلام تام فحال والا فخبر وليست منصوبة
بتدري لان لها الصدر فتدري معلق عن الجملة بعده كقوله

وما أدري وسوف أخال أدري * أقوم آل حصن أم نساء

وزعم أن كيف خرجت عن الاستفهام أي أتدري كيفية الرفع وهذا من الانبساط مع المحبوب لاجل
زيادة التوجه والانتظار نكتة أعجمية مع أن لفظ كيفية لم تسمع من العرب كما صرح به أهل اللغة
(قلت) وفي رواية فقلت (الله أعلم) وكان هذا اخبار من جبريل عما وقع من المخاطبة بينه وبين
الله قبل نزوله والله عالم بانه يجيب برد العلم اليه فكأنه قال اذ أجابك فقل (قال اذا ذكرت) بضم التاء
والضمير لله (ذكرت) بفتحها خطاب للمصطفى والفعل مجهول فيهما وفي رواية لا أذكر الا ذكرت
(معي) بصيغة الحصر وأي رفع أعظم من ذلك وأفادت هذه الرواية الثانية أن الحصر هو المراد في
الاولى أي اذا ذكرت فالا ذكر أو المطلوب أن تذكر معي فمن لم يذكرك ترك المطلوب وفيه رد العلم الى الله
ورد على من كرهه مطلقا أو عقب ختم نحو الدرس ولا ايهام فيه خلافا لزاعمه بل هو في غاية التفويض
المطلوب وقد قال تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالاته وقال علي ما أبردها على كبدي اذا سئلت عما لا أعلم
أن أقول الله أعلم ولا يعارضه ما في البخاري ان عمر سال الصحب عن سورة النصر فقالوا الله أعلم
فغضب وقال قولوا نعلم أو لا نعلم لانه فيمن جعل الجواب به ذريعة الى عدم اخباره عما سئل عنه
وهو يعلم وفي المعالم انه صلى الله عليه وسلم سال جبريل عن الآية فقال قال الله فكأنه بعد السؤال
جاء وقال ان ربي الخ وقوله قال الله نقل بالمعنى هكذا قال بعض المحققين ثم قد وقع في بعض نسخ الشفاء
الله ورسوله أعلم فان صحت رواية فالمراد به جبريل لانه من رسل الملائكة يرسل بالوحي للانبياء
والرسل وتفضيله عليه في خصوص هذا العلم لانه علمه قبل أن يبلغه اليه (وذكره) أي رواه أيضا
(الطبراني) سليمان بن أحمد واسناده حسن وفي نسخة الطبري ولا فائدة فيها اذ هو ابن جرير الذي نسبه له
أولا (وصححه ابن حبان) وكذا صححه الضياء المقدسي في الاحاديث المختارة (وروينا عن الامام
الشافعي قال أخبرنا ابن عيينة) سفيان (عن) عبد الله (بن أبي نجيح) بفتح النون وكسر الجيم وحاء
مهملة يسار المكي أبي يسار الثقفي مولاهم ثقة من رجال الجميع ورمي بالقدر وربما دلس مات سنة
احدى وثلاثين ومائة أو بعدها (معناه) أي ورفعنا لك ذكرك (لا أذكر) مجهول المتكلم
(الا ذكرت) مجهول المخاطب (معي) في قول (أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله) وفي
التفسير بهذا اشارة الى أن الحصر هو المراد فيما قبله (قال الامام الشافعي يعني والله أعلم ذكره عند
الايمان) بالله تعالى (وفي الاذان) كما أشار له ابن أبي نجيح فلا يرد على الحصر أن الكافر كثيرا ما يذكر
الله وحده بل والمؤمن كثيرا ما يقول لا اله الا الله مقتصرا عليها وكثيرا ما يذكر الله ولا يطلب ذكره

الثلج والبرد والماء البارد ولا يقال ان الماء الحار أبلغ في ازالة الوسخ لان في الماء البارد من تصلب الجسم
وتقويته ما ليس في الحار
والخطايا توجب أمرين
التدنيس والارخاء فالمطلوب
تداويهما بما ينظف القلب
ويصلبه فذكر الماء البارد
والثلج والبرد اشارة الى
هذين الامرين وبعد
فالثلج بارد على الاصح
وغلط من قال حار وشبهته
تولد الحيوان فيه وهذا
لا يدل على حرارته فانه
يتولد في الفواكه الباردة
وفي الخل وأما تعطيشه
فلتهيجه الحرارة لا لحرارته
في نفسه ويضر المعدة
والعصب واذا كان
وجع الاسنان من حرارة
مفرطة سكنها * ثوم هو
قريب من البصل وفي
الحديث من أكلهما
فليمتهما طبخا وأهدي
اليه طعام فيه ثوم فارسل
به الى أبي أيوب الانصاري
فقال يا رسول الله تكرهه
وترسل به الي فقال اني
أناجي من لا تناجي وبعد
فهو حار يابس في الرابعة
يسخن اسخانا قويا
ويجفف تجفيفا بالغا
نافع للمبرودين ولمن
مزاجه بلغمي ولمن
أشرف على الوقوع في
الفالج وهو مجفف للمني
مفتح للسدد محلل للرياح
الغليظة هاضم للطعام
قاطع للعطش مطلق
للبطن مدر للبول يقوم في لسع الهوام وجميع الاورام الباردة مقام الترياق واذا دق وعمل فيه ضماد على نهش الحيات أو في لسع

صلى الله عليه وسلم كسمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد والتسمية في الوضوء والاكل والشرب (قال) الشافعي (ويحتمل أن يكون المراد ذكره عند تلاوة القرآن وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية) بان يتذكر في نفسه أن فعلها والكف عن ضده سببه تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم الثواب الحاصل للطيع والعقاب الحاصل للعاصي فيصلي عليه جزاء التبليغه وتحمل أعباء الرسالة (انتهى) قول الشافعي (وقيل) معناه (رفعه بالنبوة) الخاصة وهي رسالته الى جميع الخلائق وبقاء شرعه الى يوم الدين وكونها رحمة للعالمين فلا يرد أن وصف النبوة شاركه فيه الانبياء فلا يكون مرفوعا بها عليهم أو المراد بها سبقه بالنبوة جميع الانبياء وكونه أول الانبياء في الخلق أو على من في عصره والفضل للتقدم (قاله يحيى بن آدم) بن سليمان (الكوفي) أبو زكريا مولى بني أمية ثقة حافظ فاضل روى عنه أحمد وغيره وروى له الستة ومات سنة ثلاث ومائتين (وعن ابن عطاء) بلا اضافة هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء البغدادي الزاهد الادمي بفتحتين نسبة الى بيع الأدم له لسان في فهم القرآن يختص به صحب الجنيد وغيره ومات سنة تسع أو احدى عشرة وثلثمائة (جعلتك) أي ذكرك (ذكرا من ذكري) أو جعلت ذاتك مبالغة حتى كان من رأى ذاته ذكر الله أو المعنى كان ذكرك عين ذكري لعدم انفكاكه عنه غالبا أو هو مثله في التقرب به والاجر أو هو معدود من أفراده لان كل مطيع لله ذاكره (فمن ذكرك ذكرني) الفاء تفسيرية أو تفريعية (وعنه أيضا جعلت تمام الايمان بذكري معك) وفي نسخة من الشفاء بذكرك معي وهذه واضحة والاولى مخالفة لقاعدة أن مع تدخل على المتبوع غالبا وقد تجيء لمطلق المصاحبة كما هنا أي جعلته يحصل بذكر الله مصحوبا بذكره عليه السلام بان يأتي بالشهادتين على الوجه المعروف وجعله تمام الايمان اما لان الايمان عنده تصديق القلب واللسان كما هو قول لاهل السنة وأما من يقول بمجرد التصديق فباعتبار أنه لا يعتد به بدونه ولا تترتب عليه الاحكام ما لم يأت به لسانا (وعن جعفر بن محمد) الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (الصادق) صفة لجعفر لصدقه في مقاله أبي عبد الله الهاشمي فقيه امام صدوق روى له مسلم وأصحاب السنن ومات سنة ثمان وأربعين ومائة (لا يذكرك أحد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية) صيغة مصدر من الرب والياء للمصدرية ولا بد معها من تاء التانيث يعني لا يعترف أحد برسالتك الا بعد أن يعترف بربوبية الله ووحدانيته لوجوب معرفة الله عقلا قبل ذلك لئلا يلزم الدور كما ذهب اليه الماتريدية أو سمعا كما ذهب اليه غيرهم وقيل المراد أو أراد ذلك أو عبر بالماضي عن المضارع مبالغة في تحقق وقوعه (٢) ولا يشكل الاول بعدم مقارنة الحال العامل لتقدم الايمان بالله أو ارادته على الايمان بالرسول وأما التلفظ بما يدل على ذلك فذكره عقبه بلا فاصل بعد مقارنا عرفا ومثله يكفي عند النحاة فلا حاجة لجعل الحال مقدرة ودعوى عدم اختصاصه صلى الله عليه وسلم بذلك مدفوعة بان هذه المقارنة في الاذان والاقامة والخطب والصلاة والايمان وهذا كله مختص بهذه الامة فتختص المقارنة على هذه الصفة بنبيها الاختصاصها به دون من عداه من الامم والرسل وهذا في غاية الظهور (قال البيضاوي وأي رفع مثل أن قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته) وصلى عليه في ملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة وخاطبه بالالقاب وانما زاد ذلك ليكون ايها ما قبل ايضاح

---

(٢) قوله ولا يشكل الاول أي بشقيه وهما حمل الذكر على الاعتراف المشار اليه بقوله يعني لا يعترف الخ وحمله على الارادة المشار اليه بقوله وقيل المراد أو أراد ذلك أي لا يستشكل ذلك يعني لا يعتبر في مثل هذا المقام عدم مقارنة الحال العامل ولا يقال به لتقدم الايمان بالله الخ فهو علة للنفي وبذلك يتم الكلام بخلاف ما لو جعل علة للنفي فان الكلام يكون ناقصا هكذا ينبغي أن تفهم هذه العبارة

العقارب نفعها وجذب السموم منها ويسخن البدن ويزيد في حرارته ويقطع البلغم ويحلل النفخ ويصفي الحلق ويحفظ صحة أكثر الابدان وينفع من تغير المياه والسعال المزمن ويؤكل نيأ ومطبوخا ومشويا وينفع من وجع الصدر من البرد ويخرج العلق من الحلق واذا دق مع الخل والملح والعسل ثم وضع على الضرس المتأكل فتته وأسقطه وعلى الضرس الوجع سكن وجعه وان دق منه مقدار درهمين وأخذ مع ماء العسل أخرج البلغم والدود واذا طلي بالعسل على البهق نفع ومن مضاره انه يصدع ويضر الدماغ والعينين ويضعف البصر والباه ويعطش ويهيج الصفراء ويجيف رائحة الفم ويذهب رائحته ان يمضغ عليه ورق السداب * ثريد ثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام والثريد وان كان مركبا فانه مركب من خبز ولحم فالخبز أفضل الاقوات واللحم سيد الادام فاذا اجتمعا لم يكن بعدهما غاية وتنازع الناس أيهما أفضل والصواب ان الحاجة الى الخبز أكثر وأعم واللحم أجل وأفضل وهو أشبه بجوهر البدن من كل ماعداه وهو

فيفيد المبالغة (انتهى) كلام البيضاوي بمازدته فاقتصر المصنف على حاجته منه هنا الاجل شرحه بقوله (يشير) البيضاوي (الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله) فجعل طاعته طاعته (والله ورسوله أحق ان يرضوه) أحق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين ولان الكلام فى ايذاء الرسول وارضائه أولان التقدير والله أحق أن يرضوه والرسول كذلك قاله فى الانوار (ومن يطع الله ورسوله) فقد فاز فوزا عظيما (وأطيعوا الله والرسول) لانه بمعنى وأطيعوا الرسول فجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام فى غير حقه عليه الصلاة والسلام قاله عياض واعترض بانه لامانع ان يقال أطع الله والقاضي كقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم حتى قال بعض انه وهم وما أظن أحدا منعه وأجيب بانه أراد أنه منهى عنه تنزيها وادبا لورود الحديث بما يدل على رعاية الادب فى اللفظ وترك ما يوهم خلافه وأما نفى الجواز اعتمادا على تصريح الخطابى وغيره بالكراهة ولا دلالة فى آية وأولى الامر لاحتمال الجواز بالتبعية ولذا لم يكرر وأطيعوا مرة أخرى كما لم تكرر اللام فى عامتهم فى حديث الدين النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم (و) يشير الى (قول قتادة) بن دعامة عند ابن أبى حاتم والبيهقى (رفع الله ذكره) صلى الله عليه وسلم (فى الدنيا والآخرة فليس خطيب) يخطب على جهة الكمال وفى الحديث كل خطبة ليس فيها شهادة فهى كاليد الجذماء (ولا متشهد) أى آت بكلمة الشهادة فى غير الخطبة والصلاة (ولا صاحب صلاة) المراد بها الفرد الكامل المتبادر فلا ترد صلاة الجنازة (الا يقول) مستثنى من أعم الاحوال أى ليس فى حال من الاحوال الا قائلا (أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله انتهى) قول قتادة وأورد أن أمر الآخرة لا يعلم بالمقايسة فرفع ذكره فى الدنيا لا يستلزم رفعه فى الآخرة وأجيب بانه أخذه من اطلاق الآية والحديث ورفع ذكره فى الدنيا عنوان رفعه فى الاخرى ووجه التفريع أن من رفع ذكره فى الدارين حقيق بان نشهد له بذلك فهو بيان لبعض الاحوال التى تفعل فى الدنيا وليس فيها شئ من أحوال الآخرة وان شمله قوله فى الدنيا والآخرة فلما ذكره واغيره فيندرج فيه ما يفعل فى الآخرة (فهو مذكور معه) تفريع على قول قتادة (فى الشهادة) دخولا فى الايمان وثناء عليه بعده (والتشهد) لان الشهادة من جملة ألفاظه الواردة فيه سواء كان بلفظ حديث ابن مسعود أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أو بلفظ حديث غيره وأن محمدا رسول الله (ومقرون ذكره بذكره فى القرآن) أى مصاحب له فالمقارنة المصاحبة كما قيل

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى

(والخطب) الشرعية الكاملة (والاذان ويؤذن باسمه فى موقف القيامة) اظهارا لرفعة قدره فى ذلك الموطن روى ابن زنجويه عن كثير بن مرة الحضرمى مرفوعا يبعث بلال على ناقة من نوق الجنة ينادى على ظهرها بالاذان فاذا سمعت الانبياء وأممها أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قالوا ونحن نشهد على ذلك (وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة رفعه لما نزل آدم عليه السلام بالهند استوحش) حصل له وحشة لانفراده (فنزل له جبريل عليه السلام فنادى بالاذان الله أكبر الله أكبر مرتين أشهد أن لا اله الا الله مرتين أشهد أن محمدا رسول الله مرتين الحديث) ورواه أيضا الحاكم وابن عساكر وحكمة ذلك التنويه باسمه فى عهد آدم ومصاحبته لاسم الله وأن الاذان ينفع المستوحش الحزين وقد روى الديلمى عن على رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حزينا فقال يا ابن أبى طالب مالى أراك حزينا فمر بعض أهلك يؤذن فى أذنك فانه دواء الهم فجربته فوجدته كذلك وقال كل من رواته جربته فوجدته كذلك (وكتب اسمه الشريف على العرش) أى على ساقه كما قدمه فى الاسماء أى قوائمه ولابن عدى لما

طعام أهل الجنة وقد قال تعالى لمن طلب البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير وكثير من السلف على ان الفوم الحنطة وعلى هذا فالآية نص على ان الادم خير من الحنطة

(حرف الجيم)

جمار قلب النخل ثبت فى الصحيحين عن عبد الله بن عمر قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس اذ أتى بجمار نخلة فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان من الشجر شجرة مثل الرجل المسلم لا يسقط ورقها الحديث * والجمار بارد يابس فى الاولى يختم القروح وينفع من نفث الدم واستطلاق البطن وغلبة المرة الصفراء وثائرة الدم وليس برديء الكيموس ويغذو غذاء يسيرا وهو بطيء الهضم وشجرته كلها منافع ولهذا مثلها النبى صلى الله عليه وسلم بالرجل المسلم لكثرة خيره ومنافعه * جبن فى السنن عن عبد الله بن عمر قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم بجبنة فى تبوك فدعا بسكين وسمى وقطع رواه أبو داود وأكله الصحابة رضى الله عنهم بالشام والعراق والرطب غير المملوح جيد للمعدة هين السلوك فى الاعضاء يزيد فى اللحم ويلين البطن تليينا معتدلا والمملوح أقل غذاء من الرطب وهو رديء

عرج بي رأيت مكتوبا على ساق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله أيدته بعلي (وعلى كل سماء) أي السموات السبع (وعلى الجنان وما فيها) من قصور وغرف وعلى نحور الحور العين وورق شجرة طوبى وسدرة المنتهى وأطراف الحجب وبين أعين الملائكة (رواه ابن عساكر) عن كعب الاحبار وهو من الاسرائيليات وقيل انه موضوع وقدمه في الاسماء والمعجزات وأعاده هنا لبيان رفع الذكر (وأخرج البزار عن ابن عمر مرفوعا لما عرج بي الى السماء ما مررت بسماء الا وجدت اسمي فيها مكتوبا محمد رسول الله) وكتب مع أنه مشهور في السموات باحمد أكثر ليحصل به الرد من علم ذلك على منكري رسالته وانما يعرف بينهم بمحمد دون أسمائه (وفي الحلية عن ابن عباس رفعه ما في الجنة شجرة عليها ورقة الا مكتوب عليها) أي الورقة (لا اله الا الله محمد رسول الله) وكل من هذين شاهد وبيان لقوله في حديث كعب على كل سماء وعلى الجنان (وأخرج الطبراني من حديث جابر مرفوعا كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما السلام لا اله الا الله محمد رسول الله) ويروى عن عبادة بن الصامت مرفوعا عند الطبراني أيضا ان فص خاتم سليمان بن داود كان سماويا ألقي اليه فوضعه في أصبعه وكان نقشه أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي (وعزاه) أي نسبه (الحافظ ابن رجب) عبد الرحمن (في كتاب أحكام الخواتيم لجزء أبي علي الخالدي وقال انه باطل موضوع) وتعقب بانه شديد الضعف لا موضوع (وشق اسمه الكريم من اسمه تعالى كما قال حسان) بن ثابت (وشق) بالبناء للفاعل عطفا على قوله قبل * وضم الاله اسم النبي الى اسمه * أي أخذ (له) اسما حروفه (من اسمه ليجله *) ليعظمه (فذو العرش محمود وهذا محمد) وسماه من أسمائه الحسنى بنحو سبعين اسما كما بينت ذلك في أسمائه صلوات الله وسلامه عليه) من المقصد الثاني (وصلى عليه في ملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة) والتسليم (عليه) من جملة ما رفع به ذكره (فقال تعالى ان الله وملائكته يصلون) اختلف المفسرون وغيرهم في أن الواو عائدة على الله تعالى وملائكته أو على ملائكته فقط وخبر الجلالة محذوف أي ان الله يصلي وملائكته يصلون فاجازه بعضهم ومنعه آخرون لعلة التشريك حكاه عياض أي التسوية بين الله وملائكته في لفظ واحد وهو ضمير الواو ولما فيه من عدم رعاية التعظيم (على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) خصه بالتاكيد وتنوين التعظيم أي تسليما عظيما تعريضا بمن لم يسلم أولان المراد تسليما لا كتسليم غيره من الامة والصلاة لا يشاركه فيها الامة فيفهم منها في نفسها التعظيم بلا تاكيد أولان التسليم لم يثبت لله والملائكة فهو في معرض المساهلة في الجملة (فاخبر عباده بمنزلة نبيه عنده في الملأ الاعلى بانه يثني عليه عند ملائكته المقربين وان الملائكة تصلي عليه ثم أمر العالم السفلي) أي المؤمنين (بالصلاة والتسليم عليه) وكل ذلك ابانة لفضله ورفعا لذكره (فيجتمع الثناء عليه من أهل العالمين) بفتح اللام والميم تثنية العالم (العلوي و) العالم (السفلي جميعا) وقد أورد على هذا ان المؤمنين شاركوه في ذلك قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته ومثله كثير في الاحاديث كحديث ان الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف وأجيب بان الآية الاولى نزلت أولا من غير مزاحم فيها مع التاكيدان والاسمية وتمييزه بمجموع ما ذكر فبان بها فضله ورفعه على غيره وقد أخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر يا رسول الله ما أنزل الله عليك خيرا الا أشركنا فيه فنزلت هو الذي يصلي عليكم وملائكته وقال الامام الرازي صلاة الملائكة على المؤمنين بطريق التبعية لصلاته تعالى عليهم لتاخر ذكرها وصلاتهم على النبي صلى الله عليه وسلم بطريق الاصالة ففيها تفضيله على غيره كما اذ قيل يدخل فلان وفلان فانه يدل على تقديم الاول بخلاف فلان وفلان يدخلان انتهى ولا يرد بان الواو لمطلق الجمع بلا ترتيب لان ملاحظة أن التقديم الذكرى

بالمعدة مؤذ للامعاء والعتيق يعقل البطن وكذا المشوي وينفع القروح ويمنع الاسهال وهو بارد رطب فان استعمل مشويا كان أصلح لمزاجه فان النار تصلحه وتعدله وتلطف جوهره وتطيب طعمه ورائحته والعتيق المالح حار يابس وشيه يصلحه أيضا بتلطيف جوهره وكسر حرافته لما تجذبه النار منه من الاجزاء الحارة اليابسة المناسبة لها والمملح منه يهزل ويولد حصاة الكلى والمثانة وهو ردىء للمعدة وخلطه بالملطفات أرداٌ بسبب تنفيذها له الى المعدة

(حرف الحاء)

حناء قد تقدمت الاحاديث في فضله وذكر منافعه فاغنى عن اعادته *حبة السوداء ثبت في الصحيحين من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بهذه الحبة السوداء فان فيها شفاء من كل داء الا السام والسام الموت * الحبة السوداء هي الشونيز في لغة الفرس وهي الكمون الاسود وتسمى الكمون الهندي قال الحربي عن الحسن رضي الله عنه انها الخردل وحكى الهروي انها الحبة الخضراء ثمرة البطم وكلاهما وهم والصواب انها الشونيز وهي كثيرة المنافع جدا

بشعير

يشعر بالاهتمام والتقديم لا من حيث الواو (وكنبه نبيا وآدم بين الروح والجسد) كما مر مبسوطا في المقصد الاول (وختم به النبوة والرسالة) فلا نبي بعده ولا رسول (وأعلن بذكره الكريم) أي أظهره (في الاولين والآخرين ونوه) رفع (بقدره الرفيع) العالي (حين أخذ الميثاق على جميع النبيين) كما قال وإذ أخذ الله ميثاق النبيين الآية (وجعل ذكره في فواتح الرسائل وخواتمها وشرف به المصاقع) بالصاد المهملة والقاف الخطباء الفصحاء البلغاء جمع مصقع بكسر الميم (على المنابر) جمع منبر من النبر وهو الارتفاع (وزين بذكره أرباب الاقلام والمحابر) جمع محبرة بفتح الميم والباء أو فتحها وضم الباء أو كسرها وفتح الباء لانه آلة أجودها الاولى (ونشر ذكره في الآفاق) النواحي (شرقا وغربا بحرا وبرا حتى في السموات السبع وعند المستوى وصريف الاقلام) تصويتها (والعرش والكرسي وسائر) بمعنى جميع (الملائكة المقربين من الكروبين) بالتخفيف سادة الملائكة (والروحانيين) بفتح الراء وضمها (والعلويين) أي الملازمين للسموات (والسفليين) من عداهم كالموكلين بحفظ بني آدم ومصالحهم (وجعله في قلوب المؤمنين بحيث يستطيبون ذكره) ويتلذذون به (فترتاح أرواحهم وربما تميل من طرب سماع اسمه أشباحهم) أجسادهم وأنشد لغيره قوله

(وإذا ذكرتم أميل كأنني * من طيب ذكركم سقيت الراحا)

قال المجد الراح الخمر كالرياح بالفتح والارتياح (كأنه تعالى يقول أملأ الوجود كله) علويه وسفليه (من أتباعك كلهم يثنون عليك ويصلون عليك ويحفظون سنتك) وقد قال ألا أني أوتيت الكتاب ومثله معه الحديث رواه أحمد وأبو داود (بل ما من فريضة من فرائض الصلاة الا ومعها سنة) مما سنه كتكبيرة الاحرام معها رفع اليدين والفاتحة معها السورة وهكذا (فهم يتمسكون في الفريضة بأمري وفي السنة بأمرك) لانه من أمري (وجعلت طاعتي طاعتك) في نحو قولي من يطع الرسول فقد أطاع الله (وبيعتي بيعتك) ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وأتى بهما على القلب للمبالغة (فالقراء يحفظون ألفاظ منشورك) على اختلاف القراآت الواردة عنك متواترة وغيرها ويوجهون ما قد يخفى من جهة اللسان بأوجه متعددة أو وجه هؤلاء هم القراء (والمفسرون يفسرون معاني فرقانك) بما ورد عنك وعن أصحابك وتابعيهم وما استنبطوه من اللغة واستخرجوه من علوم البلاغة (والوعاظ) المذكرون (يبلغون بليغ وعظك) من اضافة الصفة للموصوف أي وعظك البليغ (والملوك والسلاطين يقفون في خدمتك ويسلمون عليك من وراء الباب) أدبا واحتشاما (ويمسحون وجوههم بتراب روضتك ويرجون شفاعتك فشرفك باق أبد الآبدين والحمد لله رب العالمين) على ذلك الفضل العظيم (وقال تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) من الشقاء والتعب أو الشقاوة على ما يأتي (اعلم أن للمفسرين في قولين أحدهما انها) أي هذه اللفظة والا فهي حرفان (من) أسماء (حروف التهجي والثاني انها كلمة مفيدة) أي مركبة لا مقطعة من أسماء حروف التهجي (وعلى القول الاول قيل معناها) الذي أريد بها (يا مطمع) بزنة مقعد (الشفاعة للامة) أي يا من هو محل تطمع بها في الشفاعة لها (ويا هادي الخلق الى الملة) يحتمل أن الاسم مركب من مجموع النداءين وأن كل واحد منهما مسمى بمجموع الطاء والهاء ومقتضى قول عياض وقيل هي حروف مقطعة لمعان الاول فالطاء للاول والهاء للثاني (وقيل الطاء في الحساب بتسعة والهاء بخمسة فالجملة أربعة عشر ومعناها يا أيها البدر) ذكره معرفا باللام اشارة الى انه الكامل المنير السالم من العوارض (وهذه الاقوال) استعمل الجمع في اثنين لانه الذي قدمه بناء على انهما أقله فهو حقيقة أو مجاز من استعمال الكل في البعض بناء على أن أقله ثلاثة (لا يعتمد عليها انتهى كما قال المحققون من بدع) بكسر فسكون أي غريب (التفسير) الذي لا سند له سوى هذا التوهم العقلي

وقوله شفاء من كل داء مثل قوله تعالى تدمر كل شيء بأمر ربها أي كل شيء يقبل التدمير ونظائره وهي نافعة من جميع الامراض الباردة وتدخل في الامراض الحارة اليابسة بالعرض فتوصل قوى الادوية الباردة الرطبة اليها بسرعة تنفيذها اذا أخذ يسيرها وقد نص صاحب القانون وغيره على الزعفران في قرص الكافور لسرعة تنفيذه وايصاله قوته وله نظائر يعرفها حذاق الصناعة ولا تستبعد منفعة الحار في أمراض حارة بالخاصية فانك تجد ذلك في أدوية كثيرة منها الانزروت وما يركب معه من أدوية الرمد كالسكر وغيره من المفردات الحارة والرمد ورم حار باتفاق الاطباء وكذلك نفع الكبريت الحار جدا من الجرب والشونيز حار يابس في الثالثة مذهب للنفخ مخرج لحب القرع نافع من البرص وحمى الربع والبلغمية مفتح للسدد ومحلل للرياح مجفف لبلة المعدة ورطوبتها وان دق وعجن بالعسل وشرب بالماء الحار أذاب الحصاة التي تكون في الكليتين والمثانة وتدر البول والحيض واللبن اذا أديم شربه أياما وان سخن بالخل وطلي على البطن قتل حب القرع فان عجن بماء الحنظل الرطب أو المطبوخ كان فعله في اخراج الدود أقوى ويجلو ويقطع ويحلل

وفى نسخة المفسرين والمعنى واحد وتجوز قراءته بفتح الدال جمع بدعة اسم من الابتداع وهو الاستخراج والاحداث بلا أصل (ومثلها قول الواسطى) أبى بكر محمد بن موسى الامام العارف من كبار أتباع الجنيد (فيما حكاه القاضى عياض فى الشفاء أراد يا طاهر و يا هادى) فالطاء من طاهر والهاء من هادى وقيل الطاء طول القراءة والهاء هيا تها وقيل طوبى والهاوية وقيل قسم بطوله وهدايته عليه السلام وهى أيضا من البدع وقيل طه اسم من أسمائه صلى الله عليه وسلم وقيل من أسماء الله حكاهما عياض والمصنف فى المقصد الثانى قائلا المعتمد أنهما من أسماء الحروف (وأما على قول من قال انها كلمة مفيدة ففيه وجهان أحدهما أن معناه يا رجل) أى معناه رجل وحرف النداء مقدر معه (وهو مروى عن ابن عباس) عند البيهقى (والحسن) البصرى (و مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة) والكل من التابعين المفسرين (قال سعيد بن جبير بلسان النبطية) أى المنسوبة الى النبط قوم كانوا ينزلون سواد العراق (وقال قتادة بلسان السريانية وقال عكرمة بلسان الحبشة) ولا يشكل عليهم قوله تعالى قرآنا عربيا لان المراد عربى الاسلوب لا الكلمات أو هو اسم للجملة وهى كثيرة لا يخرجه اشتماله على كلمات قليلة غير عربية كقسطاس وسجين عن كونه عربيا ولانه نزل بمكة والمدينة و بينهما الا انه لا يلزم من نزوله بها أن جميعه بلغتهم لجواز اشتهار تلك اللغة فى تلك الاماكن (وقال البيضاوى ان صح أن معناه يا رجل فلعل أصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب) للياء طاء (و لاختصار) أى الاقتصار على الهاء من هذا (انتهى قال الكلبى لو قلت فى عك) بفتح العين وشد الكاف قال الجوهرى هو عك ابن عدنان أخو معد وهم اليوم باليمن (يا رجل لم يجبك حتى تقول طه) لانها لغتهم ولا يعلمون لفظ يا رجل (وقال السدى) بضم السين وشد الدال (معنى طه يا فلان) كناية عن اسم الانسان دون قصد واحد بعينه نحو رأيت زيدا فقلت له يا فلان افعل كذا بخلاف يا رجل القصد به يا هذا الذكر من بنى آدم (وقال الزمخشرى لعل عكا تصرفوا فى يا هذا كأنهم فى لغتهم قالبون الياء طاء) الاحسن أن يقول ياء بلا أل لان الكلمة المركبة من حرفين فصاعدا انما ينطق بلفظها لا بحروف هجائها والياء انما هى اسم لاحد حروف التهجى (فقالوا فى يا طا) أى ذكروا بدل لفظ يا لفظ طا فى البدل و كذا فى الكشاف بفى ويقع فى بعض نسخ المصنف باسقاط فى على حذف مضاف اى بدل يا طا (واختصروا) لفظ (هذا) بحذف الذال (فاقتصروا على ها) مضمومة الى طا فصار طه بالقصر لان أسماء حروف التهجى مالم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه لكنها قابلة اياه معرضة له اذلم تناسب مبنى الاصل ولذا قيل ق و ص مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة أين وما ولا قاله فى الانوار (وأثر الصيغة) ظاهر (لا يخفى فى البيت المستشهد به) وهو (ان السفاهة طه) أى يا رجل (فى خلائقكم) أى طباعكم (لا قدس الله أخلاق الملاعين) جمع ملعون أى مطرود كما فى القاموس وغيره وقول بعض سموا ملاعين لانهم يلعنون الناس كثير الا يناسب اللغة ولم يذكر المجد أن أخلاق من جموع خليقة فيحتمل انه جمع خلق كعنق وأعناق فيكون هجاهم أولا بان طبيعتهم مجبولة على السفاهة ثم دعا على خلقهم (انتهى) كلام الزمخشرى ورده البيضاوى فقال الاستشهاد بالبيت ضعيف لجواز أن يكون قسما كقولهم حم لا ينصرون انتهى أى ان السفاهة وحق طه أو وقسمى طه كقوله صلى الله عليه وسلم ليلة الخندق ان لقيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون رواه أبو داود والترمذى والنسائى والحاكم وصححه عن البراء بن عازب (قال) أبو حيان (فى البحر) تفسيره الكبير (وكان) الزمخشرى (قد قدم أن طه فى لغة عك فى معنى يا رجل ثم تخوض) تكلف الخوض بمبالغته بما تكلفه (وتجرأ) أسرع بالهجوم بلا توقف (على عك بما لا يقوله نحوى وهو أنهم قلبوا الياء طاء وهذا لا يوجد فى لسان) أى لغة

ويشفى من الزكام البارد اذا دق وصير فى خرقة واشتم دائما أذهبه ودهنه نافع داء الحية ومن الثآليل والخيلان واذا شرب منه مثقال بماء نفع من البهر وضيق النفس والضماد به ينفع من الصداع البارد واذا نقع منه سبع حبات عددا فى لبن امرأة وسعط به صاحب اليرقان نفعه نفعا بليغا واذا طبخ بخل وتمضمض به نفع من وجع الاسنان عن برد واذا استعط به مسحوقا نفع من ابتداء الماء العارض فى العين وان ضمد به مع الخل قلع البثور والجرب المتقرح وحلل الاورام البلغمية المزمنة والاورام الصلبة وينفع من اللقوة اذا تسعط بدهنه واذا شرب منه مقدار نصف مثقال الى مثقال نفع من لسع الرتيلاء وان سحق ناعما وخلط بدهن الحبة الخضراء وقطر منه فى الاذن ثلاث قطرات نفع من البرد العارض فيها والريح والسدد وان قلى ثم دق ناعما ثم نقع فى زيت وقطر فى الانف ثلاث قطرات أو أربع نفع من الزكام العارض معه عطاس كثير واذا أحرق وخلط بشمع مذاب بدهن السوسن أو دهن الحناء وطلى به القروح الخارجة من الساقين بعد غسلها بالخل نفعها وأزال القروح واذا سحق بخل وطلى

(العرب قلب الياء التي للنداء طاء وكذلك حذف اسم الاشارة في النداء واقرار) أي ابقاء (ها التي للتنبيه) كذا في النسخ الصحيحة وهو ما في النهر فما في بعض النسخ وأقرت تصحيف انتهى (وقيل معناه يا انسان) حكاه عياض وغيره فان صحت هذه التفاسير فهو مشترك والوجه الثاني انها كلمة دالة على الطلب (و) يدل عليه انه (قرئ) شاذا (طه) وبه قرأ الحسن البصري (باسكان الهاء على انه أمر له صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه فقد روى انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه) للاستراحة من طول القيام (فامر بان يطأ الارض بقدميه معا) حتى لا يتعب فيحتاج للاستراحة أخرج عبد بن حميد عن الربيع بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله طه الآية وأخرج ابن مردويه عن علي قال لما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا قام الليل كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع أخرى فهبط عليه جبريل فقال طه طا الارض بقدميك يا محمد فامر بان يطأ الارض بقدميه معا (وان الاصل طا فقلبت همزته هاء كما قالوا اهياك) بكسر الهاء (في اياك وهرقت في أرقت ويجوز أن يكون الاصل من وطأ على ترك الهمزة) قال الطيبي بان قلبت ألفا وبنى الامر عليه واذا بنى عليه (فيكون أصله طا يا رجل ثم أثبت الهاء فيه للوقف) أي السكت فصار طه (وعلى هذا يحتمل أن يكون أصل طه طاها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية عن الارض) أي الضمير راجع اليها لعلمها من قرينة الحال والضمير يسمى كناية عند النحاة ويحتمل انه أراد أن الهاء وحدها ضمير كما عليه بعض النحاة أوان ها اسم لحرف مأخوذ من ها اسم للضمير فهي كناية اصطلاحية عنه لا انه ضمير (لكن يرد ذلك) كما قال البيضاوي (كتبهما على صورة الحرف) وتعقب بان رسم المصحف غير قياسي كما رسم المؤمنون بلا ألف في الامام (وأما قوله تعالى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى فذكروا في سبب نزولها أقوالا) منها ما تقدم وأخرج البزار عن علي قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يراوح بين قدميه يقوم على كل رجل حتى نزلت ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (أحدها) ما عند ابن مردويه بمعناه عن ابن عباس (ان أبا جهل) فرعون الامة (والوليد بن المغيرة ومطعم بن عدي قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتشقى حيث تركت دين آبائك) ومرادهم ضد السعادة (فقال صلى الله عليه وسلم بل بعثت رحمة للعالمين) فكيف أشقى أنا (فانزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم وتعريفا له صلى الله عليه وسلم بان دين الاسلام والقرآن هو) أي المذكور (السلم) فلا يرد أن القياس هما السلم (الى نيل كل فوز والسبب في ادراك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها) وأي شقاوة مثل الخلود في جهنم (وثانيها انه) كما رواه ابن مردويه عن علي بمعناه انه (صلى الله عليه وسلم) لما نزل عليه يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا (صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل) بامر الله (أبق على نفسك فان لها عليك حقا أي ما أنزلنا عليك القرآن لتنهك) تتعب وتؤلم (نفسك بالعبادة) الزائدة (وتذيقها المشقة العظيمة) بالسهر وقيام الليل (وما بعثت الا بالحنيفية السمحة) السهلة التي لا تعب فيها (وروى انه كان اذا قام من الليل ربط صدره بحبل حتى لا ينام) مبالغة في امتثال الامر (وقال بعضهم كان يسهر طول الليل) في ابتداء أمره حتى أمر بالتخفيف (وتعقب بانه بعيد لانه صلى الله عليه وسلم ان فعل شيأ من ذلك فلا بد أن يكون فعله بامر الله تعالى) وهذا ممنوع لانه فعل ذلك لتحقق مدلول ما أمر به من قيام الليل على الوجه الاتم لا للامر بخصوصه ويمنع تعقبه أيضا بقوله (فاذا فعله عن أمره فهو من باب السعادة لا من باب الشقاء) بل هو التباس اذ الرد على أنه من باب الشقاء بمعنى اتعاب النفس على هذا لا ينافي أن الاتعاب المذكور للسعادة وانما يقال من باب السعادة لا الشقاء على الوجه الذي قبله في الرد على أبي جهل ومن معه هكذا أملاني

به البرص والبهق الأسود والخزاز الغليظ نفعها وأبرأها واذا سحق ناعما واستف منه كل يوم درهمين بماء بارد من عضة كلب كلب قبل ان يفزع من الماء نفعه نفعا بليغا وأمن على نفسه من الهلاك واذا سعط بدهنه نفع من الفالج والكزاز وقطع موادهما واذا دخن به طرد الهوام واذا أذيب الانزروت بماء ولطخ على داخل الحلقة ثم ذر عليها الشونيز كان من الذرورات الجيدة العجيبة النفع من البواسير ومنافعه أضعاف ما ذكرنا والشربة منه درهمان وزعم قوم ان الاكثار منه مقاتل * حرير قد تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم أباحه للزبير ولعبد الرحمن بن عوف من حكة كانت بهما وتقدم منافعه ومزاجه فلا حاجة الى اعادته * حرف قال أبو حنيفة هذا هو الحب الذي يتداوى به وهو الثفاء الذي جاء فيه الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ونباته يقال له الحرف وتسميه العامة الرشاد وقال أبو عبيد الثفاء هو الحرف قلت والحديث الذي أشار اليه ما رواه أبو عبيد وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ماذا في الامرين من الشفاء الثفاء والصبر رواه أبو داود

شيخنا (وثالثها قال بعضهم) ظاهره انه سبب النزول الآية لقوله أولاذكر وافى سبب نزولها اقوالا ولا كذلك فانما هذا فهم فى الشفاء اذ السبب لا يكون احتمالا بل نقل مجرد وقد قال (يحتمل ان يكون المراد لا تشق نفسك ولا تعذبها بالاسف) الحزن والحسرة (على كفر هؤلاء) فهو كقوله لا تذهب نفسك عليهم حسرات (فانما أنزلنا عليك القرآن لتذكر) تعظ (به من آمن فمن آمن وأصلح) عمل الصالحات من الفرائض وغيرها (فلنفسه) لان ثمرته عائدة عليه وان كان للنبى أجره أيضا (ومن كفر فلا يحزنك كفره) لانهم لكفره (فما عليك الا البلاغ) وليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء (وهذا كقوله تعالى لعلك باخع) قاتل (نفسك) ولعل للاشفاق أى أشفق على نفسك أن تقتلها (أن لا يكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا أو خيفة أن لا يؤمنوا وكقوله (ولا يحزنك كفرهم ورابعها) وهو من نمط الثالث لا سبب النزول كما يوهمه المصنف (أن هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة وفى ذلك الوقت كان صلى الله عليه وسلم مقهورا مع أعدائه) الكفار (فكأنه تعالى قال لا تظن انك تبقى على هذه الحالة) التى هى قهر الاعداء (بل يعلو أمرك ويظهر قدرك فانا ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى أى لتبقى شقيا) متعبا مقهورا والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه أشقى من رائض المهر أى ان معالجة المهارة شقاوة لما فيها من التعب (بل تصير معظما مكرما زاده الله تعالى تعظيما وتكريما) كما الى هذا الاشارة بقوله الا تذكرة لمن يخشى أى لكن تذكيرا لمن فى قلبه خشية ورقة يتأثر بالانوار ولمن علم الله انه يخشى بالتخويف فانه المنتفع به ومن خشى صار المصطفى لديه معظما مكرما كما وقع ذلك للصحابة حتى كانوا عنده كأنما على رؤسهم الطير ولا يحدون النظر اليه وكان أحب اليهم من أنفسهم قال البيضاوى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى خبر طه ان جعلت مبتدأ على انه مؤول بالسورة والقرآن فيه واقع موقع العائد وجواب ان جعلت مقسما به ومنادى له ان جعلت نداء واستئناف ان كانت جملة فعلية أو اسمية باضمار مبتدأ أو طائفة من الحروف محكية قال تبعا للكشاف وانتصاب الا تذكرة على الاستثناء المنقطع ولا يجوز أن يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين يعنى أن نصب تذكرة نصبة صحيحة ليست بعارضة والنصبة التى فى لتشقى بعد نزع الخافض عارضة كما قال أبو حيان ولا يجوز أن يكون مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر فى موضع الحال من الكاف أو القرآن أو مفعول له على أن لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة للقرآن أى ما أنزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه (وقال الله تعالى انا أعطيناك الكوثر) أكده مع ضمير العظمة ايماء الى عظمة المعطى والمعطى وتشويقا ونفيا للشبهة فيه (السورة قال الامام فخر الدين) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمى البكرى الطبرستانى الرازى (ابن الخطيب) بالرى مر بعض ترجمته غير مرة (فى هذه السورة كثير من الفوائد منها انها كالمتممة لما قبلها من السور) المتعلقة به صلى الله عليه وسلم وليس القصد بها بيان الاحكام فلا يرد أن ما ذكره دليلا على ذلك بعض السور لا جميعها على انه كما قال شيخنا فى التقرير لم تظهر زيادة الكوثر على تفسيره بما هو أعم من النهر على قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى فانه شامل لما شمله الكوثر أو أشمل (وذلك لان الله تعالى أنزل) وفى نسخة جعل (سورة والضحى فى مدح نبينا صلى الله عليه وسلم وتفصيل أحواله) أى جنسها فلا ينافى أن ما ذكره فى هذه السورة مشتمل على جميعها لزوما (فذكر فى أولها) أى أحواله (ثلاثة أشياء تتعلق بنبوته) أى ترتبط بها وتترتب عليها كالثمرة لها وليس المراد التعلق النحوى ولا المعنوى المقتضى لكون هذه من معنى النبوة اذ ليست من معناها (وهى قوله ما ودعك) أى تركك (ربك وما قلى) أبغضك حذف مفعوله اختصارا للعلم به وللجرى على نهج الفواصل ولئلا

في المراسيل وقوته في الحرارة واليبوسة في الدرجة الثالثة وهو يسخن ويلين البطن ويخرج الدود وحب القرع ويحلل أورام الطحال ويحرك شهوة الجماع ويجلو الجرب المتقرح والقوباء واذا ضمد به مع العسل حلل ورم الطحال واذا طبخ مع الحناء أخرج الفضول التى فى الصدر وشربه ينفع من نهش الهوام ولسعها واذا دخن به فى موضع طرد الهوام عنه ويمسك الشعر المتساقط واذا خلط بسويق الشعير والخل وتضمد به نفع من عرق النساء وحلل الاورام الحارة فى آخرها واذا تضمد به مع الماء والملح أنضج الدماميل وينفع من الاسترخاء فى جميع الاعضاء ويزيد فى الباه ويشهى الطعام وينفع الربو وعسرة النفس وغلظ الطحال وينقى الرئة ويدر الطمث وينفع من عرق النساء ووجع حق الورك مما يخرج من الفضول اذا شرب أو احتقن به ويجلو ما فى الصدر والرئة من البلغم اللزج وان شرب منه بعد سحقه وزن خمسة دراهم بالماء الحار أسهل الطبيعة وحلل الرياح ونفع من وجع القولنج البارد السبب واذا سحق وشرب نفع من البرص وان لطخ عليه وعلى البهق الابيض بالخل نفع منهما وينفع من الصداع الحادث

يخاطبه بالبغض وان كان منفيا أولي جم نفسه وأصحابه وأمته روى الشيخان وغيرهما عن جندب بن عبد الله قال اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك الا قد تركك فأنزل الله والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وروى سعيد بن منصور والفريابي عن جندب قال أبطأ جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال المشركون قد ودع محمد فنزلت وهذه المرأة هي العوراء أم جميل أخت أبي سفيان ابن حرب وروى الحاكم برجال ثقات عن زيد بن ارقم قال مكث صلى الله عليه وسلم أياما لا ينزل عليه فقالت أم جميل امرأة أبي لهب ما أرى صاحبك الا قد ودعك وقلاك فأنزل الله والضحى الآيات وفي الصحيح أيضا عن جندب قالت امرأة يا رسول الله ما أرى صاحبك الا أبطأ عنك فنزلت ما ودعك ربك وما قلى قال الحافظ هي زوجته خديجة كما في المستدرك أيضا واعلام النبوة لابي داود وأحكام القرآن للقاضي اسمعيل وتفسير ابن مردويه من حديث خديجة نفسها فخاطبته كل واحدة منهما بما يليق بها وروى سنيد في تفسيره ان قائل ذلك عائشة وهو باطل لانها لم تكن اذ ذاك زوجته وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن شداد أن خديجة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ما أرى ربك الا قد قلاك فنزلت وأخرج أيضا عن عكرمة ابطأ جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فجزع جزعا شديدا فقالت خديجة اني أرى ربك قد قلاك مما نرى من جزعك فنزلت وكلاهما مرسل رجاله ثقات قال الحافظ والذي يظهر أن كلا من أم جميل وخديجة قالت ذلك لكن أم جميل قالته شماتة وخديجة قالته توجعا وروى ابن أبي شيبة والطبراني بسند فيه من لا يعرف عن خولة خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جروا دخل بيته تحت السرير فمات فمكث صلى الله عليه وسلم أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي فقال يا خولة ما حدث في بيت رسول الله جبريل لا يأتيني فقلت في نفسي لو هيأت البيت وكنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو فجاء صلى الله عليه وسلم ترعد لحيته وكان اذا نزل عليه أخذته الرعدة فأنزل الله والضحى الى قوله فترضى قال الحافظ قصة ابطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب نزول الآية غريب بل شاذ مردود بما في الصحيح (وللآخرة خير لك من الاولى) لانها باقية خالصة من الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار واللام للابتداء مؤكدة أو جواب قسم ففيه تعظيم آخر أي كما أعطاك في الدنيا يعطيك في الآخرة ما هو أعلى وأكثر فلا تبال بما قالوه فهو وعد فيه تسلية بعدما نفى عنه ما يكرهه فهو تحلية بعد تخلية وقيل المعنى لنهاية أمرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وعد شامل لما أعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للتأكيد وقول الزمخشري وتبعه البيضاوي اللام للابتداء دخل على الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير ولانت سوف رده ابن الحاجب وغيره بأن فيه تكلفين وهما تقدير محذوف وخلع اللام عن معنى الحال لئلا يجتمع دليلا حال واستقبال قال وليست للقسم لانها لا تدخل على المضارع مؤكدا بالنون قال ابن هشام وهو ممنوع بل تارة تجب اللام وتمتنع النون وذلك مع الفعلين كالآية ومع تقدم المعمول بين اللام والفعل نحو ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون ومع كون الفعل للحال نحو لا أقسم وتارة يمتنعان وذلك مع الفعل المنفي نحو تالله تفتؤ وتارة يجبان نحو وتالله لاكيدن (ثم ختمها) أي الاحوال المتعلقة بنبوته (كذلك بأحوال ثلاثة فيما يتعلق بالدنيا) من حيث النبوة لكن تعلق الثلاثة الاول بالنبوة من حيث كونها حاصلة بها والثلاثة الثانية بمعنى أن سببها اكرامه بالنبوة وان كان أولاها حصل قبل النبوة والاثنان بعد النبوة ولو أسقط كذلك فان التنبيه على تعلقها بالنبوة (وهي قوله تعالى ألم يجدك) من الوجود بمعنى العلم و(يتيما) مفعوله الثاني أو المصادفة ويتيما حال أي لا أب لك وقيل لا مثل لك (فآوى) بأن ضمك

من البرد والبلغم وان قلي وشرب نفع من الضبع لاسيما اذا لم يسحق لتحلل زوجته بالقلي واذا غسل بمائه الرأس نقاه من الاوساخ والرطوبات اللزجة قال جالينوس قوته مثل قوة بزر الخردل ولذلك قد يسخن به أوجاع الورك المعروفة بالنسا وأوجاع الرأس وكل واحد من العلل التي تحتاج الى التسخين كما يسخن بزر الخردل وقد يخلط أيضا في أدوية يسقاها أصحاب الربو من طريق ان الامر فيه معلوم انه يقطع الاخلاط الغليظة تقطيعا قويا كما يقطعها بزر الخردل لانه شبيه به في كل شئ * حلبة يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه عاد سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه بمكة فقال ادعوا له طبيبا فدعي الحارث بن كلدة فنظر اليه فقال ليس عليه باس فاتخذوا له فريقة وهي الحلبة مع تمر عجوة رطبة يطبخان فيحساهما ففعل ذلك فبرئ وقوة الحلبة من الحرارة في الدرجة الثانية ومن اليبوسة في الاولى واذا طبخت بالماء لينت الحلق والصدر والبطن وتسكن السعال والخشونة والربو وعسر النفس وتزيد في الباه وهي جيدة للريح والبلغم والبواسير محدرة الكيموسات المرتبكة في الامعاء وتحلل البلغم اللزج من الصدر وتنفع من الدبيلات

الى عمك أبي طالب (ووجدك ضالا أي عن علم الحكم) بكسر ففتح جمع حكمة أي معرفة العلل والاسباب فقوله (والاحكام) عطف مسبب على سبب وليس الحكم مفرد الاحكام لانه يصير ما بعده مرادفا ولا ينافي ذلك أن بعض الاحكام تعبدي لانه بالنسبة لنا أما هو صلى الله عليه وسلم فكان عارفا بالعلة (فهدى) أي هداك الى معرفتها وهذا أحد تفاسير في الآية كما يأتي للمصنف (ووجدك عائلا) ذا عيال (فأغنى) بما حصل لك من ربح التجارة كذا قصره البيضاوي ولم يجعله شاملا لذلك ولغيره من مبدئه الى نهايته مما حصل له أو يقصره على ما حصل له من الغنائم والفتوحات لان ربح التجارة حصل به أصل الغنى وما بعده حصل به الزيادة بعد اطمئنان النفس بالاول فكانت النعمة في الحقيقة هي الربح لانها التي حصل بها دفع الحاجة هذا ولم يذكر المصنف من أحواله بقية السورة مع انها خطاب له لعدم دلالتها على مدحه صريحا اذ ليست أوصافا قائمة به يمدحه بتعدادها ولا صفات كمالية قائمة به ولا على تعداد النعم التي أنعم بها عليه وانما هي أمر له ونهي وكلاهما لا يعد من النعم الصريحة وان ترتب عليه الامتثال بفعل المأمور وترك المنهي وهما من أعظم النعم ولا يرد قوله أولا جعل سورة والضحى في مدح نبينا لان المراد معظمها أو كلها ولكن ما تركه هنا مستلزم الكمال لان كونه منهيا مأمورا مقتض لامتثاله وهو كمال استلزاما لا صراحة (ثم ذكر في سورة ألم نشرح أنه تعالى شرفه عليه الصلاة والسلام بثلاثة أشياء وهي ألم نشرح لك صدرك) استفهم عن الشرح على وجه الانكار مبالغة في اثبات الشرح فكأنه قيل شرحنا ولذا عطف عليه ووضعنا اعتبارا للمعنى قاله الكشاف قال الطيبي أي أنكر عدم الشرح فاذا أنكره ثبت لان الهمزة للانكار ولم نفي اذا دخل عليه النفي عاد اثباتا ولا يجوز جعل الهمزة للتقرير انتهى أي لان التقرير سؤال مجرد اذ هو حمل المخاطب على الاعتراف بامر استقر عنده ثبوته أو نفيه فلا يحسن عطف ووضعنا عليه (أي ألم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق) فالمراد به ما يرجع الى المعرفة والطاعة فكأنه قيل ألم نفتح ونوسع صدرك بالايمان والنبوة والعلم والحكمة وبه جزم البغوي وتقدم غير ذلك (ووضعنا عنك وزرك أي عناءك) بفتح المهملة والمد أي خضوعك (الثقيل) القوي الذي كنت فيه قبل ظهور أمرك أو المشقة التي كنت فيها بمعاداة الكفار لك فوضعنا ذلك باظهارك عليهم بقتل من قتل وهداية من اهتدى فالعناء يكون بمعنى الخضوع وبمعنى المشقة (الذي أنقض ظهرك) أثقله ويأتي للمصنف في النوع العاشر معنى الآية (ورفعنا لك ذكرك) مر الكلام عليه (وهكذا سورة سورة حتى قال انا أعطيناك الكوثر أي أعطيناك هذه المناقب) جمع منقبة بفتح الميم الفعل الكريم كما في المصباح وفي المختار بوزن المتربة ضد المثلبة انتهى فالقاف مفتوحة فقراءته بكسرها على هذا خطأ (المتكاثرة التي كل واحدة منها أعظم من ملك الدنيا بحذافيرها) بأسرها أو بجوانبها جمع حذفور كعصفور كما في القاموس (واذ) تعليلية (أنعمنا عليك بهذه النعم) وفي نسخة واذا للظرفية المجردة والفاء في (فاشتغل بطاعتنا) زائدة على النسختين والتعليل أظهر (ولا تبال بقولهم) ساحر كاهن مجنون وغير ذلك (ثم ان الاشتغال بالعبادة اما أن يكون بالنفس وهو قوله فصل لربك) أمر بالصلاة مطلقا أو التهجد وكان الظاهر فاشكر فعدل عنه لان مثل هذه النعمة العظيمة ينبغي أن يكون شكرها كذلك وأعظم ذلك العبادة وأعظمها الصلاة (واما بالمال وهو قوله وانحر) أمر بتقريب البدن لان النحر يختص بها وفي غيرها يقال ذبح (وتأمل قوله انا أعطيناك كيف ذكره بلفظ الماضي ولم يقل سنعطيك) بلفظ المضارع (ليدل) صلة ذكره (على ان الاعطاء حصل في الزمان الماضي) كما (قال عليه الصلاة والسلام كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد) رواه أحمد

لهذه الادواء في الاحشاء مع السمن والفانيذ واذا شرب بشمع وزن خمسة دراهم قوة

وأمراض الرئة وتستعمل أدرت الحيض واذا طبخت وغسل بها الشعر جعدته وأذهبت الحزاز ودقيقها اذا خلط بالنطرون والخل وضمد به حلل ورم الطحال وقد تجلس المرأة في الماء الذي طبخت فيه الحلبة فتنتفع به من وجع الرحم العارض من ورم فيه واذا ضمد به الاورام الصلبة القليلة الحرارة نفعتها وحللتها واذا شرب ماؤها نفع من المغص العارض من الرياح وأزلق الامعاء واذا أكلت مطبوخة بالتمر أو العسل أو التين على الريق حللت البلغم اللزج العارض في الصدر والمعدة ونفعت من السعال المتطاول منه وهي نافعة من الحصر مطلقة للبطن واذا وضعت على الظفر المتشنج أصلحته ودهنها ينفع اذا خلط بالشمع من الشقاق العارض من البرد ومنافعها أضعاف ما ذكرنا ويذكر عن القاسم بن عبد الرحمن انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استشفوا بالحلبة وقال بعض الاطباء لو علم الناس منافعها لاشتروها بوزنها ذهبا

(حرف الخاء) خبز ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تكون الارض

والبخاري

والبخاري في التاريخ وغيرهما ومر الكلام عليه أول الكتاب (ولا شك أن من كان في الزمان الماضي عزيز امرعى الجانب أشرف ممن سيصير كذلك كأنه تعالى يقول يا محمد قد هيأنا) يسرنا وسهلنا (أسباب سعادتك قبل دخولك في هذا الوجود فكيف أمرك بعد وجودك واشتغالك بعبوديتنا) استفهام تفخيم وتعظيم أي فاعتقد من الكمالات التي تحصل لك بعد وجودك ما شئت فإنه لا نهاية لها (يا أيها العبد الكريم انا لم نعطك هذا الفضل العظيم) المعبر عنه بالكوثر (لأجل طاعتك وانما اخترناك بمجرد فضلنا واحساننا من غير موجب) مرتب على ما قبل الاستفهام أي هيأنا أسباب سعادتك قبل دخولك في هذا الوجود لا لأجل طاعتك المتأخرة بل فضلا وليس مرتبا على الاستفهام لئلا يكون فيه بعض تناف (واختلف المفسرون في تفسير الكوثر على وجوه) وصلت الى نحو عشرين قولا (منها انه نهر في الجنة وهذا هو المشهور المستفيض عند السلف والخلف) ودليله انه (روى أنس) بن مالك (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما) بالميم (أنا أسير في الجنة اذا أنا بنهر) وللترمذي اذ عرض لي نهر أي ظهر وللبخاري في التفسير عن أنس قال لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء قال أتيت على نهر (حافتاه) بحاء مهملة وخفة الفاء جانباه لانه ليس أخدودا أي شقا مستطيلا في الارض يجري فيه الماء حتى يكون له حافتان ولكنه سائل على وجه أرض الجنة ومعلوم انه ليس عاما في جميعها فما جاوز ما انتهى سيلانه اليه هو جانبه روى أبو نعيم والضياء عن أنس قال قال صلى الله عليه وسلم لعلكم تظنون ان أنهار الجنة أخدود في الارض لا والله انها السائحة على وجه الارض (قباب) بكسر القاف وخفة الموحدة جمع قبة وللترمذي حافتاه فيهما اللؤلؤ مثل القباب فالمراد في جانبيه مثل قباب (الدر المجوف) بفتح الواو مشددة صفة للدر وهو كبار اللؤلؤ حقيقة وتجوز أنه مثله في الحسن والنضارة خلاف الظاهر بلا داعية (قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك) وعطف على مقدر أي فنظرت له (فإذا طينه مسك) اذ المفاجأة انما تترتب على النظر لا على أعطاك ربك ويدل له رواية الترمذي عن أنس قال أي المصطفى ثم ضرب أي جبريل بيده الى طينه فاستخرج مسكا أي اظهارا للشرف المنعم به وسماه طينا جريا على العادة في كون مقر الماء طينا كما قال الدلجي وغيره فلا بد من تقدير في قوله طينه مسك ليصح الحمل وهو هنا في المبتدأ أي فاذا مادة ما تحت مائه مسك ولا يقدر في الخبر أي مثل مسك لانه خلاف الظاهر من الاحاديث انه يجري على المسك ولا يعارضه حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي ومجراه على الدر والياقوت لانهما فوق طينه الذي هو مسك كما أن الانهار تجري على طين وحصى فهذا حصاه جواهر وطينه مسك (اذفر) بمعجمة ساكنة أي شديد الرائحة الطيبة ويطلق أيضا على الكريهة وليس بمراد هنا وأما بمهملة فخاص بالمنتنة (رواه البخاري) في الرقاق بهذا اللفظ عن شيخيه أبي الوليد هشام بن عبد الملك وهدبة بن خالد كلاهما عن همام عن قتادة عن أنس ثم قال في آخره طينه أي بالنون أو طيبه أي بموحدة شك هدبة أي ولم يشك أبو الوليد انه بالنون قال الحافظ وغيره وهو المعتمد ففي البعث للبيهقي من طريق عبد الله بن مسلم عن أنس بلفظ ترابه مسك ورواه في التفسير الى قوله هذا الكوثر وأخرجه مسلم أيضا كما قدم في المعراج والترمذي (وقيل الكوثر أولاده) من فاطمة لان عقبه انما هو منها ويؤيده قوله الآتي فانظر كم قتل من أهل البيت (فان هذه السورة انما نزلت ردا على من عابه عليه الصلاة والسلام بعدم) أي بفقد (الاولاد) كالعاصي بن وائل قال لما مات القاسم لقد أصبح محمد أبتر فنزل انا أعطيناك الكوثر عوضا عن مصيبتك بالقاسم رواه يونس في زيادات المغازي ولابن جرير عن شمر بن عطية كان عقبة بن أبي معيط يقول لا يبقى لمحمد ولد وهو أبتر فأنزل الله فيه ان شانئك هو الابتر والطبراني بسند ضعيف

يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده نزلا لأهل الجنة وروى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال كان أحب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد من الخبز والثريد من الحيس وروى أبو داود في سننه أيضا من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددت أن عندي خبزة بيضاء من برة سمراء ملبقة بسمن ولبن فقام رجل من القوم فاتخذه فجاء به فقال في أي شئ كان هذا السمن فقال في عكة ضب فقال ارفعه وذكر البيهقي من حديث عائشة رضي الله عنها ترفعه اكرموا الخبز ومن كرامته أن لا ينتظر به الادم والموقوف أشبه فلا يثبت رفعه ما قبله وأما حديث النهي عن قطع الخبز بالسكين فباطل لا أصل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما المروي النهي عن قطع اللحم بالسكين ولا يصح أيضا قال مهنا سألت أحمد عن حديث أبي معشر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تقطعوا اللحم بالسكين فان ذلك من فعل الاعاجم فقال ليس بصحيح ولا يعرف هذا وحديث عمرو بن أمية خلاف هذا وحديث المغيرة يعني بحديث عمرو بن أمية

عن أبي أيوب لما مات ابراهيم مشى المشركون بعضهم الى بعض فقالوا ان هذا الصابئ قد بتر الليلة فأنزل الله انا أعطيناك الكوثر الى آخر السورة فان صح هذا كله فقد تعدد السبب والنزول بمكة والمدينة اذ موت ابراهيم بها (وعلى هذا فالمعنى انه) تعالى (يعطيه) صلى الله عليه وسلم (نسلا يبقون على ممر الزمان) فهو من وضع الماضي موضع المستقبل (فانظر كم قتل من أهل البيت) مع الحسين وبعده (ثم العالم ممتلئ منهم ولم يتفق لنبي من الانبياء غيره) مثل هذا (وقيل الكوثر الخير الكثير) الذي أعطاه الله اياه قاله ابن عباس رواه البخاري وغيره فهو وصف مبالغة في المفرط الكثرة فيشمل النبوة والقرآن والخلق الحسن العظيم وكثرة الاتباع والعلم والشفاعة والمقام المحمود وغيرها مما أنعم به عليه لكن أورد عليه ان أراد ابن عباس بهذا بيان ما وضع له لغة أو بيان معنى عام خص في الآية فلا كلام فيه وان أراد تفسير الآية فالنص النبوي جاء بخلافه كما مر ويأتي (وقيل النبوة وهي من الخير الكثير) الذي أعطيه (وقيل علماء أمته) وجعل البيضاوي مجموع أولاده والاتباع والعلماء قولا واحدا لعله قول آخر لم يذكره المصنف (وقيل الاسلام ولا ريب) لا شك (انهما) أي الاسلام والعلماء (من الخير الكثير) الذي فسر به ابن عباس الكوثر فلا يقصر عليهما ولا على النبوة ولا غيرها بل يعم شرف الدارين (فالعلماء ورثة الانبياء) لان الميراث ينتقل للاقرب وأقرب الامة في نسبة الدين العلماء الذين أعرضوا عن الدنيا وأقبلوا على الآخرة وكانوا للامة بدلا من الانبياء الذين فازوا بالحسنيين العلم والعمل وحازوا الفضيلتين الكمال والتكميل ولا رتبة فوق رتبة النبوة فلا شرف فوق شرف وارث تلك الرتبة ولذا اشتغلت الملائكة وغيرهم من المخلوقات بالاستغفار والدعاء لهم الى يوم القيامة وروى ابن عدي وأبو نعيم والديلمي عن علي رفعه العلماء مصابيح الارض وخلفاء الانبياء وورثتي وورثة الانبياء قال تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا قال الكشاف ما سماهم ورثة الانبياء الا لمدانا تهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من أجله وقال الغزالي لا يكون العالم وارثا الا اذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبينه الا درجة النبوة وهي الفارق بين الوارث والموروث اذ هو الذي حصل له المال واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصله لكن انتقل اليه وتلقاه عنه انتهى (كما رواه أحمد وأبو داود والترمذي) وابن ماجه والبيهقي كلهم عن أبي الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر صححه ابن حبان والحاكم وغيرهما وحسنه حمزة الكناني وضعفه الترمذي وغيره بالاضطراب في سنده قال السخاوي لكن له شواهد يتقوى بها ولذا قال شيخنا له طرق يعرف بها ان للحديث أصلا وقد أخرجه الديلمي عن البراء بن عازب رفعه العلماء ورثة الانبياء يحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان في البحر اذا ماتوا وأورده أيضا بلا سند عن أنس مرفوعا العلماء ورثة الانبياء وانما العالم من عمل بعلمه (وأما) خبر (علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل) فانهم كانوا يدعون الى شريعة موسى من غير أن يأتوا بشرع مجدد وكذا علماء هذه الامة يدعون الى الشريعة المحمدية (فقال الحافظ ابن حجر ومن قبله الدميري والزركشي انه لا أصل له) زاد بعضهم ولا يعرف في كتاب معتبر وسئل عنه الحافظ العراقي فقال لا أصل له ولا اسناد بهذا اللفظ ويغني عنه العلماء ورثة الانبياء وهو حديث صحيح وعن عبد الله بن عمرو مرفوعا أكرموا حملة القرآن فمن أكرمهم فقد أكرمني ومن أكرمني فقد أكرم الله ألا فلا

كان النبي صلى الله عليه وسلم يحتز من لحم الشاة وبحديث المغيرة انه لما أضافه أمر بجنب فشوى ثم أخذ الشفرة فجعل يحز

(فصل) وأجود أنواع الخبز أجودها اختمارا وعجنا ثم خبز التنور وأجود أصنافه وبعده خبز الفرن ثم خبز الملة في المرتبة الثالثة وأجوده ما اتخذ من الحنطة الحديثة وأكثر أنواعه تغذية خبز السميد وأبطؤها هضما لقلة نخالته ويتلوه خبز الحوارى ثم الخشكار وأجود أوقات أكله في آخر اليوم الذي خبز فيه واللين منه أكثر تليينا وغذاء وترطيبا وأسرع انحدارا واليابس بخلافه ومزاج الخبز من البر حار في وسط الدرجة الثانية وقريب من الاعتدال في الرطوبة واليبوسة واليبس يغلب على ما جففته النار منه والرطوبة على ضده وفي خبز الحنطة خاصية وهو انه يسمن سريعا وخبز القطائف يولد خلطا غليظا والفتيت نفاخ بطيء الهضم والمعمول باللبن مسدد كثير الغذاء بطيء الانحدار وخبز الشعير بارد يابس في الاولى وهو أقل غذاء من خبز الحنطة *خل* روى مسلم في صحيحه عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أهله الادام فقالوا ما عندنا الا خل

تنقص وحملة القرآن حفة وقهم فانهم من الله بمكان كاد حملة القرآن أن يكونوا أنبياء الا انه لا يوحى اليهم رواه الديلمي وقال انه غريب جدا قال السخاوي وفيه من لا يعرف وأحسبه غير صحيح (ثم روى أبو نعيم في) كتاب (فضل العالم العفيف بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد) لانهم لما قاموا مقام الانبياء في الامرين استحقوا أن يكونوا أقرب الناس من درجتهم (وقيل الكوثر كثرة الاتباع والاشياع) بمعجمة وتحتية عطف مساو (وعن بعضهم المراد بالكوثر العلم وحمله عليه أولى لوجوه) أي ثلاثة (أحدها ان العلم هو الخير الكثير) الذي يتفرع عنه سعادة الدارين (و) الوجه (الثاني اما ان يحمل الكوثر على نعم الآخرة وعلى نعم الدنيا قال) ذلك البعض (والاول غير جائز) ان حمل على حقيقة اللفظ (لانه قال انا أعطيناك الكوثر) بصيغة الماضي (والجنة سيعطيها الا انه أعطاها فوجب حمل الكوثر على ما وصل اليه في الدنيا) ابقاء للفظ أعطينا على حقيقته (وأشرف الامور الواصلة اليه في الدنيا هو العلم والنبوة فوجب حمل اللفظ على العلم) كأنه قصره عليه مع اشتراكه مع النبوة في انهما أشرف ما وصل اليه لان العلم مترتب عليها فكأنه المقصود بالوحي وثمراته كثيرة بخلاف النبوة فخاصة به عليه الصلاة والسلام (و) الوجه (الثالث انه لما قال انا أعطيناك الكوثر قال عقبه فصل لربك وانحر والشئ الذي يتقدم على العبادة هو المعرفة) أي العلم بالاحكام فيفيد أنه المراد (ولان الفاء في قوله فصل للتعقيب ومعلوم أن الموجب) أي السبب المقتضي (للعبادة ليس الا العلم) فيفيد انه المراد لكن هذا كله استنباط عقلي لا يلاقي تفسيره صلى الله عليه وسلم بانه نهر في الجنة (وقيل الكوثر الخلق الحسن) لان به سعادة الدارين (كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة رواه الطبراني) والبزار (وعن ابن عباس) ان الكوثر (جميع نعم الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم) فشمل النبوة والعلم وجميع ما مر وغيره من النعم التي لم تذكر (وبالجملة فليس حمل الآية على بعض هذه النعم أولى من حملها على الباقي فوجب حملها على الكل ولذا روى أن سعيد بن جبير لما روى هذا القول) ان الكوثر جميع النعم (عن ابن عباس) لكن الذي رواه البخاري من طريق أبي بشر وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله اياه قال أبو بشر فقلت لسعيد ان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله اياه (قال له بعضهم) هو أبو بشر جعفر بن أبي وحشية واسمه اياس (ان ناسا) وفي رواية ان أناسا بضم الهمزة وسمي منهم أبو اسحق السبيعي وقتادة (يزعمون) يقولون (انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله اياه) لان النهر فرد من أفراد الخير الكثير فلا تنافي لكن صرح صلى الله عليه وسلم بأنه نهر في الجنة كما في مسلم و ... أتى وكما مر عن الصحيحين في حديث المعراج ان جبريل قال له هذا الكوثر الذي أعطاك ربك وفي الصحيح عن أبي عبيدة بن عبد الله ابن مسعود انه سأل عائشة عن قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر قالت نهر أعطيه نبيكم في الجنة ٢ شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم فأي معدل عن هذا على انه قد ورد عن ابن عباس تفسيره بالنهر فكأنه بلغه عن المصطفى فرجع عن الاستنباط أخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عباس في قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر قال هو نهر في الجنة عمقه سبعون ألف فرسخ ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل شاطئاه من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت خص الله به نبيه قبل الانبياء وما ذكر في عمقه لا يخالفه ما رواه ابن أبي الدنيا عنه أيضا أنه سئل ما أنهار الجنة أفي أخدود قال لا ولكنها تجري على أرضها لا تفيض

---

٢ قوله شاطئاه عليه الخ هكذا في النسخ ولعل مرجع الضمير المجرور بعلى كل من الشاطئين وليحرر لفظ الحديث اه مصححه

فدعا به وجعل يأكل ويقول نعم الادام الخل نعم الادام الخل وفي سنن ابن ماجه عن أم سعد رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم نعم الادام الخل اللهم بارك في الخل ولم يفتقر بيت فيه الخل الخل مركب من الحرارة والبرودة أغلب عليه وهو يابس في الثالثة قوي التجفيف يمنع من انصباب المواد ويلطف الطبيعة وخل الخمر ينفع المعدة الملتهبة ويقمع الصفراء ويدفع ضرر الادوية القتالة ويحلل اللبن والدم اذا جمد في الجوف وينفع الطحال ويدبغ المعدة ويعقل البطن ويقطع العطش ويمنع الورم حيث يريد أن يحدث ويعين على الهضم ويضاد البلغم ويلطف الاغذية الغليظة ويرق الدم واذا شرب بالملح نفع من أكل الفطر القتال واذا احتسى قطع العلق المتعلق باصل الحنك واذا تمضمض به مسخنا نفع من وجع الاسنان وقوى اللثة وهو نافع للداحس اذا طلي به والنملة والاورام الحارة وحرق النار وهو مشه للاكل مطيب للمعدة صالح للشباب وفي الصيف لسكان البلاد الحارة * خلال فيه حديثان لا يثبتان * أحدهما يروى من حديث أبي أيوب الانصاري يرفعه يا حبذا المتخللون من الطعام انه ليس شئ أشد على الملك من بقية تبقى في الفم من الطعام وفيه

ههنا ولا ههنا لانه أجيب بأن المراد انها ليست في اخدود كالجداول ومجاري الانهار التي في الارض بل سائحة على وجه الارض مع عظمها وارتفاع حافاتها فلا ينافي ماذكر في عمقها (قال الامام فخر الدين ابن الخطيب) الرازي (قال بعض العلماء ظاهر قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر يقتضي انه تعالى قد أعطاه ذلك الكوثر فيجب أن يكون الاقرب حمله على ما آتاه الله تعالى في الدنيا من النبوة والقرآن والذكر العظيم والنصر على الاعداء) والآيات البينات (وأما الحوض) الذي له في القيامة وهو أحد ماقيل في تفسير الكوثر كما في الشفاء (وسائر ما أعده الله من الثواب) في الآخرة (فهو وان جاز أن يقال انه داخل فيه لان ما ثبت بحكم وعد الله فهو كالواقع) لانه لا يخلف وعده وجوازه لا يوجب الحمل عليه ولا يرجحه لانه اذا حمل عليه بخصوصه أو على ما يشمله كان مجازا واذا حمل على ما أعطيه في الدنيا فقط كان حقيقة وهي مقدمة على المجاز ما أمكنت حيث لا مانع وقد علم أن المانع تفسيره صلى الله عليه وسلم بأنه نهر في الجنة (الا أن الحقيقة ما قدمناه) في قوله فيجب أن يكون الاقرب الخ لان ما أعطاه في الدنيا ثبت اعطاؤه له بالعقل فاستعمال الاعطاء حقيقة فيه بخلاف أمور الآخرة (لان ذلك وان أعد له فلا يصح أن يقال على الحقيقة انه أعطاه الكوثر في حال نزول السورة بمكة) وانما يصح أن يقال ذلك على المجاز اما لانها ستعطى أو لانه تعالى قدر في علمه ايصاله فعبر عنها بأعطينا (ويحتمل أن يجاب عنه بأن من أقر لولده الصغير بشئ يصح أن يقال أعطاه ذلك الشئ مع ان الصبي في ذلك الحال ليس أهلا للتصرف انتهى) وعليه يحمل أعطى على ما أعطاه من أمور الدنيا والآخرة ولا يكون مجازا لان من وهب شيأ لولده الصغير وقبله له صار ملكا حقيقيا للصغير فهاهنا كذلك (وقد روينا في صحيح مسلم) وسنن أبي داود والنسائي (من حديث أنس بينما) بالميم (رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا) أي بيننا وأظهر زائدة (اذ أغفى اغفاءة) أي نام نومة خفيفة (ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما يضحكك أضحك الله سنك يا رسول الله) قال الابي عبر وا بالضحك عن التبسم لوضوح التبسم منه صلى الله عليه وسلم فعبروا عنه بالضحك (قال نزلت علي سورة آنفا) أي قريبا فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر) فهم منه فاهمون ان السورة نزلت في تلك الاغفاءة لان رؤيا الانبياء وحي قال في الاتقان والاشبه ان القرآن كله نزل يقظة وأجاب الرافعي بأنه خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة في اليقظة أو عرض عليه الكوثر الذي نزلت فيه السورة فقرأها عليهم وفسرها لهم أو الاغفاءة ليست نوما بل هي البرحاء التي كانت تعتريه عند الوحي قال في الاتقان والاخير أصح من الاول لان قوله أنزل علي آنفا يدفع كونها نزلت قبل ذلك (ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر) داخل الجنة كما رآه المصطفى ليلة المعراج كما مر في حديث أنس في الصحيح (وعدنيه ربي) بقوله انا أعطيناك الكوثر (عليه خير كثير) منه قوله سابقا حافتاه قباب الدر وطينه مسك أذفر (وهو حوض) أي نهر في الجنة يسيل في حوض (ترد عليه أمتي يوم القيامة) وفي رواية لاحمد ويفتح نهر الكوثر الى الحوض وفي مسلم عن أبي ذران الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة قال المصنف ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه وقال الحافظ وهذا النهر هو الذي يصب في الحوض فهو مادة الحوض كما جاء صريحا في البخاري (آنيته عدد النجوم) ولاحمد من رواية الحسن عن أنس أكثر من عدد نجوم السماء وفي الصحيحين من حديث ابن عمرو وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبدا (فيختلج) بضم التحتية وسكون المعجمة وفتح الفوقية واللام وبالجيم مبني للمفعول أي يجتذب ويقتطع (العبد منهم فأقول رب انه من أمتي) فلم أخرج منهم (فيقول ما تدري ما أحدث بعدك من الردة عن الاسلام والمعاصي فيمنعون من الحوض حتى يطهروا من ذنوبهم وأحضر المرتدون

يروى من حديث ابن عباس قال عبد الله بن أحمد سألت أبي عن شيخ روى عنه صالح الوحاظي يقال له محمد بن عبد الملك الانصاري حدثنا عطاء عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخلل بالليط والآس وقال انهما يسقيان عروق الجذام فقال أبي رأيت محمد بن عبد الملك وكان أعمى يضع الحديث ويكذب وبعد فالخلال نافع اللثة والاسنان حافظ لصحتها نافع من تغير النكهة وأجوده ما اتخذ من عيدان الاخلة وخشب الزيتون والخلاف والتخلل والقصب والآس والريحان والبادروج مضر

(حرف الدال)

دهن روى الترمذي في كتاب الشمائل من حديث أنس بن مالك رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته ويكثر القناع كأن ثوبه ثوب زيات * الدهن يسد مسام البدن ويمنع ما يتحلل منه واذا استعمل بعد الاغتسال بالماء الحار يحسن البدن ورطبه وان دهن به الشعر حسنه وطوله ونفع من الحصبة ودفع أكثر الآفات عنه وفي

زيادة لتذكيلهم وحسرتهم (وهذا تفسير صريح منه صلى الله عليه وسلم بأن المراد بالكوثر هنا الحوض) أي النهر الذي يصب في الحوض بدليل قوله نهر (فالمصير اليه أولى) أي أحق وأوجب وقول الشارح أي من حيث الاعتبار فلا ينافي ما قدمه من انه واجب فيه انه لم يقدم ذلك انما قدم الوجوب في تفسيره بغير ذلك (وهذا هو المشهور كما تقدم) في قوله انه نهر في الجنة وهذا هو المشهور المستفيض عند السلف والخلف وهذا صريح في تأويل قوله الكوثر الحوض بما قلناه لانه الذي قدمه وقد قيل ان المراد به الحوض الذي في القيامة على ظاهر الحديث فلا تأويل وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل المعرفة أي العلوم اللدنية التي أفاضها عليه بلا واسطة فكأنها كوثر وقيل تخفيفات الشريعة وقيل كثرة الامة ومغايرته لكثرة الاتباع بحمله على أصحابه لكثرتهم على اتباع غيره عن المرسلين جدا وقيل رفعة الذكر وقيل الدعوات المجابات له وقيل كلمة التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل الخمس صلوات التي خصت بها أمته فهذه عشرة والمصنف حكى عشرة فتلك عشرون أصحها الاول (فسبحان من أعطاه هذه الفضائل العظيمة وشرفه بهذه الخصال العميمة وحباه) بوحدة (بما أفاضه عليه من نعمه) جمع نعمة (الجسيمة وقد جرت عادة الله تعالى مع أنبيائه عليهم الصلاة والسلام أن يناديهم بأسمائهم الاعلام نحو يا آدم اسكن) أنت وزوجك الجنة وبدأ به لانه أبو البشر المقدم عليهم (يا نوح اهبط) بسلام وكذا يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا (يا موسى اني أنا الله يا عيسى ابن مريم أذكر نعمتي (عليك) يا داود انا جعلناك خليفة في الارض يا زكريا انا نبشرك يا يحيى خذ الكتاب (وأما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فناداه بالوصف الشريف من الانباء والارسال) الدال على التعظيم والملاطفة لمنزلته عنده (فقال يا أيها النبي يا أيها الرسول) يا أيها المزمل يا أيها المدثر فلم يذكر باسمه في النداء تعظيما وذكر في الخبر كقوله وما محمد الا رسول محمد رسول الله ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد لانه ورد مورد التعيين والاعلام بأن صاحب هذا الاسم هو الرسول وقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لما لم يورد هذا المورد لم يذكر اسمه (ولله در القائل

ودعا جميع الرسل كلا باسمه * ودعاك وحدك بالرسول وبالنبي

دعا نادى ومراد المصنف خطاب الله تعالى له في القرآن باسمه فلا يرد عليه كما توهم خطابه بقوله انك لا تهدي من أحببت وقوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقوله في الحشر ارفع رأسك وقل تسمع يا محمد ولم يقل يا أيها النبي أو يا أيها الرسول وان قيل حكمته انه أخصر ففيه سرعة اجابته وتطويل الكلام لا يناسب مقام الاذن في الشفاعة وقد سرى هذا التشريف ببركته الى أمته ففي الخصائص ان الله شرفهم بخطابهم في القرآن بقوله يا أيها الذين آمنوا وخاطب الامم السالفة بيا أيها المساكين (قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ولا يخفى على أحد ان السيد اذا دعا) نادى عبيده (بأفضل ما أوجد لهم) اعطاهم (من الاوصاف العلية والاخلاق السنية) بمعنى العلية فحسنه اختلاف اللفظ (ودعا آخرين) وفي نسخة غيرهم (بأسمائهم الاعلام التي لا تشعر بوصف من الاوصاف ولا بخلق) بضمتين (من الاخلاق) دل دعاؤه لذلك البعض على (أن منزلة من دعاه بأفضل الاسماء والاوصاف أعز عليه وأقرب اليه ممن دعاه باسمه العلم) فالمقدر جواب اذا لان لفظ أن مفرد لا يقع جوابا لاذا وجملة اذا من الشرط والجواب خبر أن السيد الخ (وهذا معلوم بالعرف ان من دعى بأفضل أوصافه واخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه انتهى) اذ العدول عن الاسم العلم يقتضي

والدهن في البلاد الحارة كالحجاز ونحوه من آكد أسباب حفظ الصحة واصلاح البدن وهو كالضروري لهم وأما البلاد الباردة فلا يحتاج اليه أهلها والالحاح به في الرأس فيه خطر بالبصر وأنفع الادهان البسيطة الزيت ثم السمن ثم الشيرج وأما المركبة فمنها بارد رطب كدهن البنفسج ينفع من الصداع الحار وينوم أصحاب السهر ويرطب الدماغ وينفع من الشقاق وغلبة اليبس والجفاف ويطلى به الجرب والحكة اليابسة فينفعها ويسهل حركة المفاصل ويصلح لاصحاب الامزجة الحارة في زمن أيام الصيف وفيه حديثان باطلان موضوعان على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما فضل دهن البنفسج على سائر الادهان كفضلي على سائر الناس والثاني فضل دهن البنفسج على سائر الادهان كفضل الاسلام على سائر الاديان ومنها حار رطب كدهن البان وليس دهن زهره بل دهن يستخرج من حب أبيض أغبر نحو الفستق كثير الدهنية والدسم ينفع من صلابة

ذلك عرفا ٢ ولذا قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا (وانظر) نظر تأمل وتدبر في المعاني المستنبطة من الالفاظ (ما في نحو قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة من ذكر الرب تعالى) المشعر بمزيد الرأفة (واضافته) أي رب (اليه صلى الله عليه وسلم) بقوله ربك (وما في ذلك من التنبيه على شرفه) باضافته اليه (واختصاصه وخطابه وما في ذلك من الاشارة اللطيفة وهي ان المقبل عليه بالخطاب له الحظ الاعظم والقسم الاوفر من الجملة المخبر بها) وهي هنا خلافة الله في الارض فلا ريب ان له النصيب الاوفى منها (اذ هو في الحقيقة أعظم خلفائه ألا ترى الى عموم رسالته ودعائه) الخلق الى ذلك الى رسول الله اليكم جميعا (وجعله أفضل أنبيائه) بدليل انه (أمهم ليلة اسرائه) بتقديم جبريل له والحق في الامامة للافضل (وجعل آدم فمن دونه) أي فمن بعده (يوم القيامة تحت لوائه فهو المقدم في أرضه وسمائه وفي دار تكليفه) الدنيا (وجزائه) الآخرة (وبالجملة فقد تضمن الكتاب العزيز) القوي الغالب (من التصريح بجليل رتبته وتعظيم قدره) أي رتبته وشرفه (وعلو منصبه) بزنة مسجد العلو والرفعة كما في المصباح كغيره (ورفعة ذكره ما يقضي بانه استولى على أقصى درجات التكريم) أي اعلاها (ويكفي اخباره تعالى بالعفو عنه ملاطفة) معاملة وشفقة والمفاعلة مجاز به لتنزيل استحقاقه له بمنزلة فعله أو هي لاصل الفعل بلا مشاركة (قبل ذكر العتاب في قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم) فقدم عفا الله عنك دعامة تقصد بها الملاطفة اذ هو خبر معناه لا عهدة عليك وليس المعنى ان الاذن ذنب يتعلق به العفو به لان مسامحته لهم مع أذاهم اسقاط للحظوظ فهو عتب بلطف لا ملامة فيه أي قد بلغت في الامتثال والاحتمال الغاية وزدت في طاعة الله ومحبته والرفق بالبر والفاجر ما أجحف بك فهو من عتب الحبيب في حيفه على نفسه وتخفيف لا تعنيف ومدح لا قدح ويأتي بسط هذا ان شاء الله (و) يكفي في ذلك أيضا (تقديم ذكره على الانبياء تعظيما له) اذ التقديم يعطيه (مع تأخره عنهم) في الوجود (في قوله تعالى) واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم (ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) قيل معناه تبليغ الرسالة وتصديق بعضهم بعضا وقيل أن يعلنوا بنبوة المصطفى ويعلن هو بانه لا نبي بعده ففيها تفضيل له من وجوه منها انه ذكر النبيين جملة ثم خص بالذكر بعضهم تشريفا لهم وقدمه صلى الله عليه وسلم عليهم تشريفا على تشريف وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم في قول (واخباره بتمني أهل النار طاعته في قوله تعالى يوم تقلب وجوههم في النار) يقولون يا (التنبيه) (ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول وهذا بحر لا ينفد) بفتح الفاء لا يفرغ (وقطر) بفتح القاف وسكون الطاء أي مطر (لا يعد) لكثرته أو بضم القاف أي اقليم لا يمكن عد نواحيه وبلاده لكثرتها جوزهما شيخنا في التقرير واقتصر في الحاشية على الفتح لانه أظهر والله أعلم

(* النوع الثاني في أخذ الله تعالى له الميثاق على النبيين) عداه بعلى اشارة الى انه ألزمهم به وعداه فيما يأتي بعن اشارة الى أنهم التزموه (فضيلا) أي احسانا (ومنة) أي انعاما (ليؤمنن به ان أدركوه ولينصرنه) على عدوه (قال الله تعالى واذ) أي حين متعلق بمقدر أي اذكر وقيل باقررتم وان أخر عنه (أخذ الله ميثاق النبيين) عهدهم كلهم أو مع أممهم أو أنبياء بني اسرائيل (لما) بفتح اللام للابتداء أو توكيد معنى القسم الذي في أخذ الميثاق وكسرها متعلقه باخذ وما موصولة على الوجهين أي الذي (آتيتكم) اياه وفي قراءة آتيناكم (من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم) من

٢ قوله ولذا قال الله تعالى الخ هكذا في النسخ والتلاوة لا تجعلوا دعاء الرسول الخ بدون يا أيها الذين آمنوا اهـ

ويسخن العصب وقد روي فيه حديث باطل مختلق لا أصل له أدهنوا بالبان فانه أحظى لكم عند نسائكم ومن منافعه انه يجلو الاسنان ويكسبها بهجة وينقيها من الصدى ومن مسح به وجهه ورأسه لم يصبه حصا ولا شقاق واذا دهن به حقوه ومذاكيره وما والاها نفع من برد الكليتين وتقطير البول (حرف الذال) * ذريرة ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي بذريرة في حجة الوداع لحله واحرامه تقدم الكلام في الذريرة ومنافعها وماهيتها فلا حاجة لاعادته * ذباب تقدم في حديث أبي هريرة المتفق عليه في أمره صلى الله عليه وسلم بغمس الذباب في الطعام اذا سقط فيه لاجل الشفاء الذي في جناحه وهو كالترياق للسم الذي في الجناح الآخر وذكرنا منافع الذباب هناك * ذهب روى أبو داود والترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم رخص لعرفجة بن أسعد لما قطع أنفه يوم الكلاب واتخذ أنفا من ورق فأنتن عليه فأمره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتخذ أنفا من

الكتاب والحكمة وتنوين رسول وابهامه للتعظيم والمراد محمد صلى الله عليه وسلم أو للتعميم على القولين الآتيين للمصنف (لتؤمنن به ولتنصرنه) جواب القسم ان أدركتموه وأممهم تبع لهم في ذلك (الآية أخبر تعالى) في الازل كما حكاه المصنف أول الكتاب (أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه) صفة نبي ولا يرد أنه قاصر على الرسل مع ان المتبادر العموم لجواز أن معناه أوحى اليه والبعث يطلق على الايحاء (من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم أن يصدق بعضهم بعضا) على نبوته ومعناه كما في البغوي انه أخذ العهد على كل نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده وينصره ان أدركه وان يأمر قومه بنصره فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى ومن عيسى ان يؤمن بمحمد انتهى فليس معنى هذا القول يصدق بعضهم بعضا على نبوة المصطفى وانهم من أتباعه ومؤمنون به كما توهم اذ لو كان كذلك ما صح قول المصنف الآتي ان ذا القول لا يخالف قول علي وابن عباس اذ هو عينه على ذا الفهم (قاله الحسن) البصري (وطاوس) اليماني (وقتادة) السدوسي الثلاثة من التابعين (وقيل معناه انه تعالى أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم) لانهم تبع لهم فهو من الاستغناء بذكر الملزوم عن لازمه ولا يرد انه خاص بالرسل لانهم هم الذين لهم أمم أما النبيون فلا أمم لهم لجواز ان يراد بأممهم الاناس الموجودون في زمانهم وأطلق عليهم أممهم من حيث وجودهم في زمانهم وان لم يرسلوا اليهم فالنبي وان لم يأمر بشرع يجب عليه أن يخبر بنبوته لئلا يحتقر ولا يمتنع عليه الوعظ ونحوه ومنه اخباره للناس بالايمان بمحمد اذا جاء أو الانبياء (وعن علي بن أبي طالب) عند ابن جرير وغيره (وابن عباس) عند ابن جرير وابن عساكر ووقع للزركشي وابن كثير والحافظ في الفتح في كتاب الانبياء انهم عزوه لصحيح البخاري قال الشامي ولم أظفر به فيه (ما بعث الله نبيا من الانبياء) وفي رواية لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده (الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو) أي ذلك النبي (حي ليؤمنن به ولينصرنه) و (يأخذ العهد بذلك على قومه هذا بقية المروي عن علي وابن عباس كما تقدم ثم هو موقوف لفظا مرفوع حكما لانه اخبار عن غيب فلا مجال للرأي فيه ويحتمل انهما قالاه فهما للآية والظاهر الاول ولذا اقتصرت عليه أول الكتاب (وما قاله قتادة والحسن وطاوس) من ان المعنى أخذ على كل نبي أن يؤمن بمن بعده (لا يضاد) لا يخالف (ما قاله علي وابن عباس ولا ينفيه بل يستلزمه) لانه اذا صدق بعضهم بعضا لزم أن يكونوا مأمورين بالايمان بالمصطفى ونصره (ويقتضيه) عطف تفسير (وقيل معناه ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به وينصروه) وعلى هذا فاضافة الميثاق الى النبيين اضافته للفاعل والمعنى واذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على أممهم قاله البيضاوي (واحتج له بان الذين أخذ الله الميثاق منهم يجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مبعثه وكان الانبياء عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من جملة الاموات) لا يرد عيسى وادريس على حياتهما والخضر على حياته ونبوته لان الحكم للاكثر (والميت لا يكون مكلفا فتعين ان يكون الميثاق مأخوذا على الامم قالوا ويؤكد) أي يقوي (هذا) القول (انه تعالى حكم على الذين أخذ عليهم الميثاق انهم لو تولوا لكانوا فاسقين) بقوله فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون (وهذا الوصف لا يليق بالانبياء) أي لا يجوز عليهم (وانما يليق بالامم) لجوازه عليهم (وأجاب الفخر الرازي) وفي نسخة وأجاب القفال والظاهر فسادها وفي أخرى وأجيب (بان يكون المراد من الآية أن الانبياء لو كانوا في الحياة لوجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم) كما قال لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي (ونظيره قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك وقد علم الله تعالى انه لا يشرك قط ولكن

ذهب وليس لعرفجة عندهم غير هذا الحديث الواحد الذهب زينة الدنيا وطاسم الوجود ومفرح النفوس ومقوي الظهور وسر الله في أرضه ومزاجه في سائر الكيفيات وفيه حرارة لطيفة تدخل في سائر المعجونات اللطيفة والمفرحات وهو أعدل المعدنيات على الاطلاق وأشرفها ومن خواصه انه اذا دفن في الارض لم يضره التراب ولم ينقصه شيأ وبرادته اذا خلطت بالادوية نفعت من ضعف القلب والرجفان العارض من السوداء وينفع من حديث النفس والحزن والغم والفزع والعشق ويسمن البدن ويقويه ويذهب الصفار ويحسن اللون وينفع من الجذام وجميع الاوجاع والامراض السوداوية ويدخل بخاصية في أدوية داء الثعلب وداء الحية شربا وطلاء ويجلو العين ويقويها وينفع من كثير من أمراضها ويقوي جميع الاعضاء وامساكه في الفم يزيل البخر ومن كان به مرض يحتاج الى الكي وكوي به لم يتنفط موضعه ويبرأ سريعا وان اتخذ منه ميلا واكتحل به قوى العين وجلاها واذا اتخذ منه خاتم فصه منه وأحمي وكوي به قوادم أجنحة الحمام ألفت أبراجها ولم تنتقل عنها وله خاصية عجيبة في تقوية النفوس لاجلها أبيح في الحرب والسلاح منه ما أبيح وقد روي

سيفه ذهب وفضة وهو معشوق النفوس التي متى ظفرت به سلاها عن غيره من محبوبات الدنيا قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واد من ذهب لابتغى اليه ثانيا ولو كان له ثان لابتغى ثالثا ولايملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب هذا وانه أعظم حائل بين الخليقة وبين فوزها الاكبر يوم معادها وأعظم شئ عصي الله به وبه قطعت الارحام وأريقت الدماء واستحلت المحارم ومنعت الحقوق وتظالم العباد وهو المرغب في الدنيا وعاجلها والمزهد في الآخرة وما أعده الله لاوليائه فيها فكم أميت به من حق وأحيي به من باطل ونصر به من ظالم وقهر به مظلوم وما أحسن ماقال فيه أبو القاسم الحريري

تباله من خادع مماذق * أصفر ذي وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق * زينة معشوق ولون عاشق
وحبه عند ذوي الحقائق * يدعو الى ارتكاب سخط الخالق

خرج هذا الكلام على سبيل التقدير والفرض) والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة والخطاب باعتبار كل واحد (وقال تعالى ولو تقول) النبي (علينا بعض الاقاويل) بان قال علينا مالم نقله سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة أقاويل تحقيرا لها كأنها جمع أفعولة من القول كأضاحيك (لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) أي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع مايفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة قاله البيضاوي (وقال في الملائكة ومن يقل منهم انى اله من دونه) أي الله أي غيره (فذلك نجزيه جهنم) كذلك كما جزيناه نجزي الظالمين (مع أنه تعالى أخبر عنهم بأنهم لايسبقونه بالقول) لايأتون بقولهم الا بعد قوله (وبأنهم يخافون) أي الملائكة حال من ضمير يستكبرون (ربهم من فوقهم) حال من هم أي عاليا عليهم بالقهر (فكل ذلك خرج على سبيل الفرض والتقدير واذا نزلت هذه الآية) واذ أخذ الله ميثاق النبيين (على أن الله أوجب على جميع الانبياء أن يؤمنوا بمحمد لو كانوا في الاحياء وأنهم لو تركوا ذلك) فرضا وتقديرا (لصاروا في جملة الفاسقين) حاشاهم (فلأن يكون الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجبا على أممهم من باب أولى) لانه اذا أمر المتبوع بذلك فكيف بالتابع (فكان صرف هذا الميثاق الى الانبياء أقوى في تحصيل المقصود) بالتعظيم له لشموله للامم بالاحروية بخلاف جعله على الامم (وقال السبكي) الكبير في رسالة صغيرة سماها التعظيم والمنة في لتؤمنن به ولتنصرنه (في هذه الآية) أفادت (انه عليه الصلاة والسلام على تقدير مجيئهم) أي النبيين (في زمانه يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم الى يوم القيامة وتكون الانبياء وأممهم كلهم من أمته) مع بقاء الانبياء على نبوتهم (ويكون قوله عليه الصلاة والسلام) في حديث رواه الشيخان وغيرهما (وبعثت الى الناس كافة) قومي وغيرهم من العرب والعجم (لايختص به الناس) الكائنون (من زمانه الى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضا) وذكر نحوه البارزي في توثيق عرا الايمان وادعى بعض أن ماذكره السبكي غريب لايوافقه عليه من يعتد به والجمهور على ان المراد بالكافة ناس زمنه فمن بعدهم الى يوم القيامة ودفعه شيخنا لما ذكرته له بانه لاينافي كلام الجمهور الا اذا أريد التبليغ بالفعل اما اذا أريد بالبعث اتصافه بكونهم مامورين في الازل بان يتبعوه اذا وجد كما هو صريح كلامه فلا يخالفه واحد فضلا عن الجمهور (وانما أخذ المواثيق على الانبياء ليعلموا انه المقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم) مع بقائهم على النبوة والرسالة ولذا لما أتى على ربه في المعراج قال ابراهيم بهذا فضلكم محمد (وفي أخذ المواثيق) خبر مقدم (وهي في معنى الاستحلاف) بحاء مهملة أي طلب اليمين قال ذلك لان الميثاق لغة العهد (ولذلك دخلت لام) جواب (القسم في لتؤمنن به ولتنصرنه) وجواب الشرط محذوف ان جعلت ما بمعنى الشرط وقرئ بفتح اللام أما على قراءة لما بكسرها وجعل ما مصدرية فهو جواب القسم في واذ أخذ الله الخ (لطيفة) مبتدأ مؤخر (وهي كأنها ايمان البيعة التي تؤخذ للخلفاء) على الناس بالطاعة (ولعل ايمان الخلفاء أخذت من هنا فانظر) نظر تدبر وتأمل (هذا التعظيم العظيم للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى فاذا عرف هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء) أي مبعوث اليهم لاخذ الميثاق عليهم بايمانهم به ان أدركوه والمراد بالنبوة هنا الرسالة أي انه رسول الى جميع الانبياء أي أوحي اليه بتبليغهم عن الله تعالى حتى لو اجتمع بواحد منهم في زمانه كان مرسلا اليه مع بقائه على رسالته ونبوته (ولهذا ظهر ذلك في الآخرة) أي كونه نبي الانبياء (جميع الانبياء) بالرفع بدل من ذلك أو بيان له (تحت لوائه) كما قال في أحاديث (و) ظهر (في الدنيا كذلك ليلة الاسراء صلى بهم) اماما (ولو اتفق مجيئه في زمن

آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى) وباقي الانبياء والمرسلين (وجب عليهم وعلى أممهم الايمان به ونصرته وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم فنبوته عليه السلام عليهم ورسالته اليهم معنى حاصل لهم في حياتهم وانما أمره يتوقف على اجتماعهم معه فتأخر ذلك الامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل) وهو ذاته صلى الله عليه وسلم من حيث قابلة للرسالة بأن يوحى اليها (وتوقفه على أهلية الفاعل) وهو أمر بالتبليغ لانه يفعل ما أمر به من تبليغ ما أمر به ويأمر وينهى وهي ذاته فتطلق عليها محلا وفاعلا باعتبارين (فههنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي الشريفة وانما هو من جهة وجود العصر) الزمن (المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا يأتي عيسى في آخر الزمان على شريعته) أي نبينا يعني انه مأمور بالعمل بها لكونه مأمورا باتباعه (وهو نبي كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس انه يأتي واحدا من هذه الامة) ليس متصفا بنبوته وحذف هذه الصفة تأدبا قال السيوطي وسبب هذا الظن تخيله ذهاب صفة النبوة منه وهو فاسد لانه لا يذهب أبدا ولا بعد موته (نعم هو واحد من هذه الامة لما قلنا من اتباعه للنبي وانما يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة) وأخذه لها من النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة لانه اجتمع به غير مرة فلا مانع انه تلقى منه أحكام شريعته المخالفة لشرع الانجيل لعلمه بأنه ينزل في أمته ويحكم فيهم بشرعه والى هذا أشار جماعة من العلماء أو يتلقاها عنه اذا نزل لانه يجتمع به في الارض كما صرح به في أحاديث فلا مانع أن يأخذ عنه ما احتاج اليه من أحكام شرعه ذكره السيوطي وتقدم له مزيد في خصائص الامة (وكل ما فيهما من أمر ونهي فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الامة) من حيث كونه مأمورا بهما كغيره وفي نسخة لا كما يتعلق بلا النافية أي لان تعلقه به قطعي من حيث انه اذا اجتهد في أخذ شيء منهما كان قطعيا مطابقا للواقع بخلاف أخذ غيره من الامة فظني قد لا يصيب فيه (وهو نبي كريم على حاله لم ينقص منه شيء) اذ النبوة لا تذهب بالموت فكيف بمن هو حي (وكذلك لو بعث النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه أو في زمان موسى وابراهيم ونوح وآدم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى أممهم والنبي صلى الله عليه وسلم نبي عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته ورسالته أعم وأشمل وأعظم) لكونها للانبياء والامم جميعا بخلاف غيره فكل الى أمته (وتتفق مع شرائعهم في الاصول لانها لا تختلف) كما قال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث والانبياء أولاد علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد رواه الشيخان وعلات بفتح المهملة وشد اللام وفوقية أي ضرائر من رجل واحد (وتقدم شريعته فيما عساه) يختلف أو (يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على سبيل التخصيص واما على سبيل النسخ أو لا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الاوقات بالنسبة الى أولئك الامم ما جاءت به أنبياؤهم وفي هذا الوقت بالنسبة الى هذه الامة هذه الشريعة) التي جاء بها اليها عليه السلام (والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات) كعادم الماء لمرض أو سفر فرضه التيمم واعترض بأن النصوص العقلية والنقلية ناطقان بخلافه كقوله تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وما في معناها من الآيات والانبياء مع تعظيمهم له ومحبتهم ليسوا مكلفين بأحكام شرعه والا لم يكونوا أصحاب شرع فالمحبة والتعظيم معنى والتعبد بشرعه معنى آخر ولا عبرة بتلازمهما أمرا واحدا وقوله ليؤمنن به دون بشرعه مناد عليه فما تبجح به السبكي واستحسنه هو ومن بعده لا وجه له عند من له أدنى بصيرة نقادة

ولاهم تقطع بين السارق * ولا بدت ظلمة من فاسق
ولا اشماز باخل من طارق * ولا اشتكى المطول مطل الماذق
ولا استعيذ من حسود راشق
وشر ما فيه من الخلائق
أن ليس يغني عنك في المضايق
الا اذا فر فرار الآبق

(حرف الراء)

رطب قال الله تعالى لمريم وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا وفي الصحيحين عن عبد الله ابن جعفر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل القثاء بالرطب وفي سنن أبي داود عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات قبل ان يصلي فان لم تكن رطبات فتمرات فان لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء طبع الرطب طبع المياه حار رطب يقوي المعدة الباردة ويوافقها ويزيد في الباه ويخصب البدن ويوافق أصحاب الامزجة الباردة ويغذو غذاء كثيرا وهو من أعظم الفاكهة موافقة لاهل المدينة وغيرها من البلاد التي هو فاكهتهم فيها وأنفعها للبدن وان كان من لم يعتده يسرع التعفن في جسده ويتولد عنه دم ليس بمحمود ويحدث في اكثاره منه صداع وسوداء ويؤذي أسنانه واصلاحه بالسكنجبين ونحوه وفي فطر النبي صلى الله

وكيف يتأتى ماقاله مع قوله تعالى أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا فانه عكسه وقد طلب موسى أن يكون من أمته فأجابه الله بقوله استقدمت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه فى دار الجلال انتهى وتعسفه لايخفى فان قوله ذلك من جملة مدخول لو فى قوله لو بعث فى زمان عيسى أو موسى الى آخره فسقط جميع ماقاله ومن أقوى تعسفه قوله ليسوا مكلفين بأحكام شرعه فانه لم يدع تكليفهم به بل ان شرائعهم على تقدير وجوده فى أزمانهم شرع له فيهم (وبهذا بان) ظهر واتضح (لنا معنى حديثين كانا خفيا) أى بعد ادراكهما (عنا أحدهما قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس كافة كنا نظن انه من زمانه الى يوم القيامة فبان انه جميع الناس أولهم وآخرهم والثانى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد) رواه أحمد والبخارى فى التاريخ وأبو نعيم وغيرهم (كنا نظن أنه بالعلم فبان انه زائد على ذلك) على ماشرحناه يعنى بقوله أولا انه قد جاء ان الله تعالى خلق الارواح قبل الاجساد فقد يكون قوله كنت نبيا اشارة الى روحه أو حقيقة من الحقائق والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن أمده بنور الهى ويؤتى الله كل حقيقة منها مايشاء فى الوقت الذى يشاء فحقيقته صلى الله عليه وسلم قد تكون من حين خلق آدم آتاها ذلك الوصف بأن يكون خلقها متهيئة لذلك وافاضة عليها من ذلك الوقت فصار نبيا فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وان تأخر جسده المتصف بها الى أن قال فقد علم ان من فسره بعلم الله بأنه سيصير نبيا لم يصل الى هذا المعنى لان علمه محيط بجميع الاشياء ووصفه صلى الله عليه وسلم بالنبوة فى ذلك الوقت ينبغى أن نعلم منه أمر ثابت له فى ذلك الوقت ولو كان المراد مجرد العلم لم تكن له خصوصية بانه نبى وآدم بين الروح والجسد لان جميع الانبياء يعلم الله نبوتهم فى ذلك الوقت وقبله فلا بد من خصوصية له لاجلها أخبر بهذا الخبر ليعرف قدره عند الله انتهى (وانما يفترق الحال بين مابعد وجود جسده الشريف وبلوغه الاربعين وماقبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم وتأهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تأهلوا قبل ذلك وتعليق الاحكام على الشروط قد يكون بحسب المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف فههنا التعليق انما هو بحسب المحل القابل وهو المبعوث اليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذى يخاطبهم بلسانه وهذا كما يوكل الاب رجلا فى تزويج ابنته اذا وجدت كفؤا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل أهل للوكالة ووكالته ثابتة ٢ وقد يحصل التوقف أى توقف التصرف) الاظهر فى التعبير بقوله والتصرف متوقف (على وجود الكفء ولا يوجد الا بعد مدة وذلك لا يقدح فى صحة الوكالة وأهلية التوكيل) وهذا المثال ظاهر فى حديث بعثت الى الناس كافة (انتهى) كلام السبكى فى رسالته وهى نحو ورقتين كما ذكر المصنف سواء بسواء فمن كتب على قوله والاوقات الى هنا انتهى كلام السيوطى لم يقف على رسالته فرجم بالغيب والله تعالى أعلم

(النوع الثالث فى) بيان مايدل على (وصفه تعالى له) صلى الله عليه وسلم (بالشهادة) على وحدانية الله وغيرها مما يأتى فى انا أرسلناك شاهدا (وشهادته) تعالى (له بالرسالة) أى اخباره بذلك فالشهادة خبر قاطع كما فى القاموس وغيره (قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم واسمعيل عليهما السلام) أى ماوقع منهما من الالفاظ الحادثة المنزلة على المصطفى وايجاده لمتأخر عن بعثته فلا يرد أن كلامه تعالى قديم سابق على قولهما فكيف يكون حكاية لما قالاه (عند) تمام (بناء البيت) اذ الدعاء انما كان بعد أن فرغا من بنائه (الحرام) أى الكعبة واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل (ربنا تقبل منا انك أنت السميع) للقول (العليم) بالفعل (ربنا واجعلنا مسلمين) منقادين (لك و) اجعل (من

٢ قوله وقد يحصل التوقف أى الخ كذا نسخ الشارح ونسخ المتن وقد يحصل توقف التصرف اه

عليه وسلم من الصوم عليه أو على التمر أو الماء تدبير لطيف جدا فان الصوم يخلى المعدة من الغذاء فلا تجد الكبد فيها ماتجذبه وترسله الى القوى والاعضاء والحلو أسرع شئ وصولا الى الكبد وأحبه اليها ولاسيما ان كان رطبا فيشتد قبولها له فتنتفع به هى والقوى فان لم يكن فالتمر لحلاوته وتغذيته فان لم يكن فحسوات الماء تطفئ لهيب المعدة وحرارة الصوم فتنتبه بعده للطعام وتأخذه بشهوة وريحان قال تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وقال تعالى والحب ذو العصف والريحان وفى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم من عرض عليه ريحان فلا يرده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة وفى سنن ابن ماجه من حديث أسامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا مشمر للجنة فان الجنة لا خطر لها هى ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام فى أبد فى دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة فى محلة عالية بهية قالوا نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها قال قولوا ان شاء الله تعالى فقال القوم ان شاء الله

ذريتنا

ذريتنا) أولادنا (أمة) جماعة (مسلمة لك) ومن للتبعيض وأتى به لتقدم قوله لا ينال عهدى الظالمين (وأرنا) علمنا (مناسكنا) شرائع عبادتنا أو حجنا (وتب علينا انك أنت التواب الرحيم) سألاه التوبة مع عصمتهما تواضعا وتعليما لذريتهما (ربنا وابعث فيهم) أى أهل البيت (رسولا منهم) من أنفسهم (يتلو عليهم آياتك) القرآن (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) ما فيه من الاحكام (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك (انك أنت العزيز) الغالب (الحكيم) فى صنعه (فاستجاب الله دعاءهما) بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم (وبعث فى أهل مكة منهم رسولا بهذه الصفة من ولد اسمعيل الذى دعا مع أبيه ابراهيم عليهما السلام بهذا الدعاء) أفاد أن المبتدئ بالدعاء ابراهيم فوافقه اسمعيل فلذا خص ابراهيم فى الخبر الآتى لكونه المبتدئ به وزعم أن الدعاء كان من ابراهيم وضم اليه اسمعيل لمشاركته له فى الدعاء بتأمينه عليه أو غيره فاسد لان التأمين من خصوصية هذه الامة كما مر فى الخصائص قال صلى الله عليه وسلم وأعطيت آمين ولم يعطها أحد ممن كان قبلكم الا أن يكون الله أعطاها نبيه هرون فان موسى كان يدعو الله ويؤمن هرون رواه ابن مردويه وغيره (فان قلت من أين علم أن الرسول هنا المراد به محمد صلى الله عليه وسلم فالجواب من وجوه) ثلاثة (* أحدها اجماع المفسرين وهو حجة) قوية (* الثانى قوله عليه الصلاة والسلام) فى حديث أخرجه الطيالسى والحرث والديلمى وابن عساكر (أنا دعوة أبى ابراهيم) أى صاحب دعوته اذ لا يصح الاخبار بالمصدر (وبشارة) أخى (عيسى) وفى رواية ابن عساكر وكان آخر من بشر بى عيسى بن مريم وفائدة اخبار المصطفى بذلك بعد علمه ثبوت وقوعه مقدرا له ذلك فى الازل التنويه بشرفه وكونه مطلوب الوجود تاليا للآيات معلما للكتاب والحكمة مطهر الناس من الشرك معروفا عند جميع الانبياء (قالوا) ليس مراده التبرى بل الحكاية عن كل العلماء (وأراد بالدعوة هذه الآية) وخصه لانه المبتدئ كما مر (وبشارة عيسى هى) هكذا فى النسخ الصحيحة خبر بشارة وفى نسخة سقيمة وهى بزيادة واو ولا يحسن عطف بشارة على قوله هذه الآية لان المعنى عليه يصير حاصله أراد ببشارة عيسى ولا يخفى ما فيه (ما ذكر فى سورة الصف من قوله تعالى ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) سماه به لانه مسمى به فى الانجيل ولانه أبلغ من محمد بشر عيسى قومه بذلك ليؤمنوا به عند مجيئه أو ليكون معجزة لعيسى عند ظهوره (* الثالث ان ابراهيم انما دعا بهذا الدعاء بمكة لذريته الذين كانوا بها وبما حولها ولم يبعث الله تعالى الى من بمكة) من ذرية ابراهيم واسمعيل (الا محمدا صلى الله عليه وسلم) فتعين انه المراد (وقد امتن الله تعالى) وفى نسخة من وهما بمعنى أنعم مطلقا أو على من لا يطلب ويكون بمعنى تعداد النعم (على المؤمنين ببعث النبى منهم على هذه الصفة فقال لقد من) أنعم (الله على المؤمنين) ولا يحمد المن الا من الله تعالى لانه بمنه يذكر العبد فيبعثه على الشكر فيثيبه ومن الخلق قبيح مطلقا ولذا قال لنبيه ولا تمنن تستكثر فالمن انحرام عليه مكروه لغيره وقيل بحرمته أيضا (بعث فيهم رسولا من أنفسهم) من جنسهم يعرفون حاله وأنه ما قرأ ولا درس وقد جاءه العلم دفعة فقص سير الاولين والآخرين على ما هى عليه فيعلم العاقل انه أمر خارق من عند الخالق كل ذلك ابلاغ فى ظهور حجته ووضوح معجزته فكيف يليق ان يجعل المقتضى مانعا فيلحدون ويجحدون قاله ابن المنير فى تفسيره (يتلو عليهم آياته) القرآن (ويزكيهم) يطهرهم من الذنوب (ويعلمهم الكتاب) القرآن (الآية) بالنصب أى اقرأ أو اذكر (فليس لله تعالى منة على المؤمنين أعظم من ارسال محمد صلى الله عليه وسلم يهدى الى الحق) الاسلام أو العقائد (والى طريق مستقيم) من الشرائع (وانما كانت النعمة على هذه الامة بارساله أعظم النعم لان النعمة به صلى الله عليه وسلم تمت بها مصالح الدنيا والآخرة وكمل

* الريحان كل نبت طيب الريح فكل أهل بلد يخصونه بشئ من ذلك فأهل العرب يخصونه بالآس وهو الذى يعرفه العرب من الريحان وأهل العراق والشام يخصونه بالحبق فأما الآس فمزاجه بارد فى الاولى يابس فى الثانية وهو مع ذلك مركب من قوى متضادة والاكثر فيه الجوهر الارضى البارد وفيه شئ حار لطيف وهو يجفف تجفيفا قويا وأجزاؤه متقاربة القوة وهى قوة قابضة حابسة من داخل وخارج معا وهو قاطع للاسهال الصفراوى دافع للبخار الحار الرطب اذا شم مفرح للقلب تفريحا شديدا وشمه مانع للوباء وكذلك افتراشه فى البيت ويبرئ الاورام الحادثة فى الحالبين اذا وضع عليها واذا دق ورقه وهو غض وضرب بالخل ووضع على الرأس قطع الرعاف واذا سحق ورقه اليابس وذر على القروح ذوات الرطوبة نفعها ويقوى الاعضاء الواهية اذا ضمد به وينفع داء الداحس واذا ذر على البثور والقروح التى فى اليدين والرجلين نفعها واذا دلك به البدن قطع العرق ونشف الرطوبات الفضلية وأذهب نتن الابط واذا جلس فى طبيخه نفع من خروج المقعدة والرحم ومن استرخاء المفاصل واذا صب على كسور العظام

بسببها دين الله تعالى) أحكامه وفرائضه (الذى رضيه) اختاره (لعباده) كما قال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا (وقوله من أنفسهم يعنى انه بشر مثلهم وانما امتاز عليهم بالوحى) لا ملك ولا أعجمى (وقرئ فى الشواذ من أنفسهم بفتح الفاء يعنى من أشرافهم) واذا كان من أشرفهم كان منهم ضرورة (لانه من بنى هاشم و بنوهاشم أفضل قريش وقريش أفضل العرب والعرب أفضل من غيرهم) وقدمر تفاصيل ذلك فى المقصد الاول وكذا قرئ لقد جاءكم رسول من أنفسكم بفتح الفاء كما مر أيضا (ثم قيل لفظ المؤمنون عام ومعناه خاص فى العرب) لان المراد المؤمنين منهم وفى الظرفية تسمح اذ التخصيص انما هو بكون المؤمنين من العرب لا بكون المؤمنين فيهم ولو من غيرهم و يمكن تعلق فى العرب بمقدر كالدليل لكون معناه خاصا أى وانما كان مخصوصا بالعرب لان بعثه فيهم ويحتمل تعلقه بمعناه بجوز الاحقيقة اذ العموم والخصوص من عوارض الالفاظ دون المعنى (لانه ليس حى من أحياء العرب الا وقد ولده) بفتحات أى له عليه ولادة اما بكونه جدة أو جدا وفى البغوى قيل أراد العرب لانه ليس حى منهم الا وله فيهم نسب الا بنى تغلب دليله هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم وقيل أراد جميع المؤمنين ومعنى قوله من أنفسهم بالايمان والشفقة بالنسب دليله لقد جاءكم رسول من أنفسكم (وخص المؤمنين بالذكر) مع ان نعمة البعثة عامة (لانهم هم المنتفعون به أكثر فالنعمة عليهم أعظم) فلا ينافى قوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (فان قلت هل العلم بكونه صلى الله عليه وسلم بشرا ومن العرب شرط فى صحة الايمان وهو من فروض الكفاية) على الابوين مثلا فاذا علم أحدهما ولده المميز ذلك سقط طلبه عن الآخر (أجاب الشيخ ولى الدين) أحمد (ابن) عبد الرحيم (العراقى) الحافظ ابن الحافظ (انه شرط فى صحة الايمان فلو قال شخص أومن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الى جميع الخلق لكن لا أدرى هل هو من البشر أو من الملائكة أو من الجن أو لا أدرى أو هو من العرب أو العجم فلاشك فى كفره لتكذيبه القرآن) كقوله تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم وقال تعالى ولا أقول لكم انى ملك (وجحده ما تلقته قرون الاسلام خلفا عن سلف وصار معلوما بالضرورة عند الخاص والعام ولا اعلم فى ذلك خلافا فلو كان غبيا) بمعجمة فموحدة جاهلا قليل الفطنة (لا يعرف ذلك وجب تعليمه اياه فان جحده) أى المعلوم بالضرورة (بعد ذلك حكمنا بكفره) لان انكاره كفر اما انكاره أليس ضروريا فليس كفرا ولو جحده بعد التعليم على ما اقتضاه شراح البهجة لشيخ الاسلام زكريا (انتهى) جواب الولى وتعقبه بعض شراح مسلم بقول الحليمى فى منهاجه الايمان به صلى الله عليه وسلم أى التصديق بأنه رسول الى الانس والجن الى قيام الساعة يتضمن الايمان بجميع الانبياء والمرسلين فلذا اكتفى به فى المقارنة للايمان بالله تعالى ومن آمن به صلى الله عليه وسلم وقال لا أدرى أكان بشرا أم ملكا أم جنيا لم يضره ذلك ان كان ممن لم يسمع شيأ من أخباره سوى انه رسول الله كما لو لم يعلم انه كان شابا أو شيخا مكيا أو عراقيا أو عجميا لان شيأ من ذلك لا ينافى الرسالة لامكان اجتماعها بخلاف ما لو قال آمنت بالله ولا أدرى أجسم هو أم لا لان الجسم لا يمكن أن يكون الها فتبين بذلك ان معرفته صلى الله عليه وسلم ليست شرطا فى صحة ابتداء الايمان وانما هى واجبة بعد ذلك لاجل أن لا يقع فى شئ مما ينقص مقامه الشريف فليتأمل انتهى (فان قلت هل هو عليه الصلاة والسلام باق على رسالته الى الآن) بعد الموت الى الابد (أجاب أبو المعين) ميمون بن محمد بن سعيد بن مكحول (النسفى) الحنفى صاحب التبصرة فى علم الكلام والتمهيد لقواعد التوحيد وغيرهما وهو غير صاحب الكنز عبد الله بن أحمد وغير صاحب التفسير عمر بن محمد وغير صاحب العقائد البرهان محمد بن محمد وكلهم حنفيون من نسف بفتح النون والمهملة وبالفاء مدينة بما وراء النهر (بأن الاشعرى قال انه عليه الصلاة والسلام الآن فى حكم

الذى لم تلتحم نفعها ويجلو قشور الرأس وقروح الرطبة و بثوره و يمسك الشعر المتساقط و يسوده واذا دق ورقه وصب عليه ماء يسير وخلط به شئ من زيت أو دهن الورد وضمد به وافق القروح الرطبة والنملة والحمرة والاورام الحادة والشرى والبواسير وحبه نافع من نفث الدم العارض فى الصدر والرئة دابغ للمعدة وليس بضار للصدر ولا الرئة لحلاوته وخاصيته النفع من استطلاق البطن مع السعال وذلك نادر فى الادوية وهو مدر للبول نافع من لذع المثانة وعض الرتيلاء ولسع العقارب والتخلل بعرقه مضر فليحذر وأما الريحان الفارسى الذى يسمى الحبق فحار فى أحد القولين ينفع شمه من الصداع الحار اذا رش عليه الماء ويبرد ويرطب بالعرض وبارد فى الآخر وهل هو رطب أو يابس على قولين والصحيح ان فيه من الطبائع الاربع ويجلب النوم وبزره حابس للاسهال الصفراوى ومسكن للمغص مقو للقلب نافع للامراض السوداوية * رمان قال تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان ويذكر عن ابن عباس موقوفا ومرفوعا ما من رمان من رمانكم هذا الا وهو ملقح بحبة من رمان

الرسالة وحكم الشيء يقوم مقام أصل الشيء ألا ترى أن العدة تدل على ما كان من أحكام النكاح انتهى) قضيته ان وصفه بأنه رسول انقطع بموته لكن بقاء حكمه نزل منزلة بقائها فهي باقية حكما لا حقيقة (وقال غيره ان النبوة والرسالة باقية) كل منهما أو لاتحادهما في صفة الايحاء فكأنهما شيء واحد أو بناء على اتحادهما فلا يرد أن الاولى للمطابقة باقيتان (بعد موته عليه الصلاة والسلام حقيقة كما يبقى وصف الايمان للمؤمن بعد موته لان المتصف بالنبوة والرسالة والايمان هو الروح وهي باقية لا تتغير بموت البدن باجماع انتهى وتعقب) هذا التعليل (بأن الانبياء أحياء في قبورهم) كما صرحت به الاحاديث (فوصف النبوة باق للجسد والروح معا) أي الاتصاف بالنبوة مع الرسالة وان انقطع العمل بشرائعهم سوى شريعة نبينا صلى الله وسلم عليهم (وقال القشيري كلام الله تعالى) النفسي الازلي لا الالفاظ الدالة عليه (لمن اصطفاه أرسلتك أو بلغ عني وكلامه تعالى قديم فهو عليه الصلاة والسلام قبل أن يوجد كان رسولا) بقوله أرسلتك أو بلغ عني (وفي حال كونه) أي وجوده خارجا بعد تكوينه وايجاده رسولا وان تأخر الامر بالتبليغ الى بعد الوحي وتقدم تقريبه بأن من أقر لولده الصغير بشيء يصح ان يقال أعطاه ذلك الشيء مع ان الصبي في هذا الحال ليس أهلا للتصرف وفي نسخة وفي حال موته وعليها يكون ساكتا عن حال وجوده للعلم به (والى الابد رسولا لبقاء الكلام وقدمه واستحالة البطلان على الارسال الذي هو كلام الله تعالى) وهذا ظاهر على ما هو الراجح من ان كلامه تعالى الازلي يتنوع حقيقة الى أمر ونهي وخبر واستخبار وغير ذلك (ونقل السبكي في طبقاته عن ابن فورك) بضم فسكون (انه عليه السلام حي في قبره رسول الله أبد الآباد) أي في جميع الازمنة الصادق بما بعد موته الى قيام الساعة (على الحقيقة لا المجاز) لحياته في قبره يصلي فيه بأذان واقامة قال ابن عقيل الحنبلي ويضاجع أزواجه ويستمتع بهن أكمل من الدنيا وحلف على ذلك وهو ظاهر ولا مانع منه (وقال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم) نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم (يتلو عليهم آياته) القرآن (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) ما فيه من الاحكام (وان) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي وانهم (كانوا من قبل) قبل مجيئه (لفي ضلال مبين) بين (والمراد بالاميين العرب) سموا بذلك لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤن وكانت الكتابة معدومة فيهم الا النادر الاحكم له ثم أطلق على من كتب منهم ومن لم يكتب تغليبا والامي هو الذي لا يكتب ولا يقرأ الخط وان قرأ ما حفظه بالسماع من غيره وقيل الذي يقرأ ولا يكتب (تنبيها لهم على قدر هذه النعمة وعظمها حيث كانوا أميين لا كتاب لهم وليس عندهم شيء من آثار النبوة) لا يرد أنه كان عندهم بقايا من شرع ابراهيم كالحج والغسل من الجنابة لانهم لما اشتغلوا عنها بعبادة الاصنام وغيروا البقايا عن وجهها كأنها لم تكن عندهم (كما كان عند أهل الكتاب) بقايا قليلة (فمن الله عليهم بهذا الرسول وبهذا الكتاب ٢ حتى صاروا أفضل الامم) أي الذين آمنوا منهم (وفي كونه عليه الصلاة والسلام منهم فائدتان احداهما ان هذا الرسول كان أيضا أميا كأمته المبعوث اليهم لم يقرأ كتابا قط ولم يخطه) يكتبه (بيمينه كما قال تعالى وما كنت تتلو) تقرأ (من قبله) أي الكتاب المذكور في قوله وكذلك أنزلنا عليك الكتاب أي القرآن (من كتاب ولا تخطه بيمينك) الجارحة التي يكتب بها وذكرها زيادة تصوير لما نفى عنه من الكتابة (ولا خرج عن ديار قومه) عطف على قوله لم يقرأ أي خروجا يقتضي تعلم شيء من غيره كما أفاده قوله (فأقام عند غيرهم حتى تعلم منهم) فلا يرد خروجه مع عمه وفي تجارة خديجة لانه لم يقم فيهما اقامة تقتضي التعلم منهم (بل لم يزل أميا بين أمة) طائفة

٢ قوله حتى صاروا أفضل الامم وفي كونه كذا نسخ الشرح التي بأيدينا ونسخة المتن حتى صاروا أفضل الامم وأعلمهم وعرفوا ضلالة من ضل قبلهم من الامم وفي كونه الخ اهـ

مقو لها لما فيه من قبض لطيف نافع للحلق والصدر والرئة جيد للسعال وماؤه ملين للبطن يغذو البدن غذاء فاضلا يسيرا سريع التحلل لرقته ولطافته ويولد حرارة يسيرة في المعدة وريحا ولذلك يعين على الباه ولا يصلح للمحمومين وله خاصية عجيبة اذا أكل بالخبز يمنعه من الفساد في المعدة وحامضه بارد يابس قابض لطيف ينفع المعدة الملتهبة ويدر البول أكثر من غيره من الرمان ويسكن الصفراء ويقطع الاسهال ويمنع القيء ويلطف الفضول ويطفئ حرارة الكبد ويقوي الاعضاء نافع من الخفقان الصفراوي والآلام العارضة للقلب وفم المعدة ويقوي المعدة ويدفع الفضول عنها ويطفئ المرة الصفراء والدم واذا استخرج ماؤه بشحمه وطبخ بيسير من العسل حتى يصير كالمرهم واكتحل به قطع الصفرة من العين ونقاها من الرطوبات الغليظة واذا لطخ على اللثة نفع من الاكلة العارضة لها وان استخرج ماؤهما

 بشحمهما أطلق البطن وأحدر الرطوبات العفنة المرية ونفع من حميات الغب المتطاولة وأما الرمان المز فوسط

(أمية) لا تقرأ ولا تكتب كيوم ولدتها أمها على جبلتها وتظرف من قال

من أعجب الاشياء اني أمرؤ * عمي خالي وأبي أمي

(لا يكتب ولا يقرأ حتى بلغ الاربعين من عمره ثم جاء بعد ذلك) أي حضر او ظهر او بعث (بهذا الكتاب المبين) اسم فاعل من أبان بمعنى البين الواضح أو بمعنى المظهر للشرائع ومافيها او الموضح لها (وهذه الشريعة الباهرة) الغالبة الفاضلة على غيرها من الشرائع (وهذا الدين القيم) هو أبلغ من المستقيم باعتبار الوزن لانه صفة مشبهة تدل على الثبوت والدوام والمستقيم أبلغ باعتبار صيغته الدالة على الطلب فكأنه نفسه الذي يطلب قوامه (الذي اعترف حذاق الارض ونظارها انه لم يقرع) أي يصل (العالم ناموس) رسول صاحب سر يبلغهم ماجاء به عن الله (أعظم منه وفي هذا برهان عظيم على صدقه) وامتنان وثناء عظيم (* الفائدة الثانية التنبيه على ان المبعوث منهم وهم الاميون خصوصاً أهل مكة يعرفون نسبه وشرفه وصدقه وامانته وعفته وانه نشأ بينهم معروفاً بذلك وانه لم يكذب قط فكيف كان يدع) أي يترك (الكذب على الناس ثم يفتري) يقول (الكذب على الله عز وجل) من تلقاء نفسه (هذا هو الباطل) والاستفهام انكاري (ولهذا سأل هرقل) بكسر الهاء وفتح الراء واسكان القاف على المشهور ولا ينصرف للعلمية والعجمة وحكى الجوهري وغيره سكون الراء وكسر القاف (عن هذه الاوصاف واستدل بها على صدقه فيما ادعاه من النبوة والرسالة) فقال سألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال فذكرت ان لا فقد أعرف انه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله الى أن قال وسألتك بما يأمركم فذكرت انه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وينهاكم عن عبادة الاوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين (وقد قال الله تعالى خطاباً له) خطاب شفقة وتسلية قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون (فانهم لا يكذبونك) ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون واستشكل ظاهره لان كذب القول يستلزم كذب قائله الا ان يكون ناقلاً غير ملتزم للصحة والنبي صلى الله عليه وسلم انما ذكره على أنه حق من عند الله وأجيب بان المراد ليس قصدهم تكذيبك لانك عندهم موسوم بالصدق وانما يقصدون تكذيبي والجحود بآياتي أو لا يعتقدونك كاذباً وانما ينسبون الكذب لما جئت به عناداً أو لا يقولون عادتك الكذب لكننا ننكر النبوة فلا يلزم أن تكون كذاباً أو انك غير متعمد للكذب بل تخيلت أمراً باطلاً فالتكذيب المنفي بالنسبة لافعاله وتعمده فلا يكون عيباً قيل وهذا أحسن التأويلات وقيل لا يخصونك بالتكذيب وقيل لا يكذبونك في السر ونقل ابن الجوزي عن قتادة لا يكذبونك بحجة بل بهتاناً وعناداً وقال عياض في هذه الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له صلى الله عليه وسلم والطافه في القول بأن قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولاً واعتقاداً وكانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع عنه بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشئ ثم أنكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً انتهى (ويروى ان رجلاً) هو الحرث بن عامر بن نوفل كما عند النسائي عن ابن عباس وروى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس ان أناساً من قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان نتبعك تتخطفنا الناس فنزلت وقالوا ان نتبع الهدى الآية فلعل الحرث هو المبتدي (قال والله يا محمد ما كذبتنا قط فنتهمك اليوم ولكنا ان نتبعك نتخطف من أرضنا فنزلت هذه الآية) ظاهره ان

الخبيثة واقاعه للجراحات قالوا ومن ابتلع ثلاثة من جنبذ الرمان في كل سنة أمن الرمد سنته كلها

(حرف الزاي)

زيت قال تعالى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وفي الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة وللبيهقي وابن ماجه أيضاً عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتدموا بالزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة * الزيت حار رطب في الاولى وغلط من قال يابس والزيت بحسب زيتونه فالمعتصر من النضيج أعدله وأجوده ومن الفج فيه برودة ويبوسة ومن الزيتون الاحمر متوسط بين الزيتين ومن الاسود يسخن ويرطب باعتدال وينفع من السموم ويطلق البطن ويخرج الدود والعتيق منه أشد تسخيناً وتحليلاً وما استخرج منه بالماء فهو أقل حرارة وألطف وأبلغ في النفع وجميع أصنافه

المرادفانهم لايكذبونك وقدعلم من رواية النسائي وابن جرير أنها وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف
من أرضنا (رواه أبو صالح) مشهور بكنيته واسمه ميزان البصري مقبول من أواسط التابعين خرج
له الترمذي (عن ابن عباس) رضي الله عنهما (وعن مقاتل كان الحرث بن عامر) بن نوفل بن عبد مناف
ووقع في الانوار تسمية أبيه عثمان وهو خلاف الروايات انه عامر (يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في
العلانية فاذا خلا مع أهل بيته قال ما محمد من أهل الكذب) ووقع في الانوار انه أتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب ٢ وانما نحن أكلة
رأس أن يتخطفونا من أرضنا فرد الله عليهم بقوله أولم نمكن لهم حرما آمنا (وروى ان المشركين كانوا اذا
رأوه عليه السلام قالوا انه لنبي) ويتعللون بالانفة عن اتباعه [illegible] لا يكونوا تابعين ويأبى الله الا أن يتم
نوره ولو كره الكافرون (و) روى الترمذي والحاكم (عن علي قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا
لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به) وفي نسخة مصححة من الشفاء ما جئت بدون الباء (فأنزل الله
تعالى الآية) لفظ روايتهما فأنزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
(والمعنى انهم ينكرونه مع العلم بصحته اذ الجحد لغة) كما صرح به الجوهري والجد وغيرهما ماهو
(الانكار مع العلم) فهو محض عناد وبغي (فان قلت فما الجمع بين هذا) فانهم لا يكذبونك (وبين قوله
تعالى تلو هذه الآية) (ولقد كذبت رسل من قبلك الآية) فان مفادها انهم كذبوا الا انها تسلية له اذ قوله
فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا معناه فاصبر كما صبروا حتى يأتيك نصرنا باهلاك من
كذبك كما أهلكنا من كذب الرسل من قبلك ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين أي
ما فيه تسلية لك قيل كان الاولى المعارضة بقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
لصراحتها في التكذيب دون هذه ورده شيخنا تقريرا بأن ما سلكه المصنف أولى لان هذه الآية صرح
فيها بالقضية الشرطية فلا تستلزم التكذيب بالفعل بخلاف ولقد كذبت تستلزمه (أجيب بأنه) أي
التكذيب الصادر منهم (على طريق الجحد) لعلمهم بصدقه وكذبوه عنادا واستكبارا عن الاتباع
فهم مصدقون في نفس الامر وان كذبوا ظاهرا (وهو يختلف باختلاف أحوالهم في الجهل فمنهم من وقع
منه ذلك لجهله) لا جحدا (فحيث علم آمن ومنهم من علم وأنكر كفرا وعنادا كأبي جهل فيكون المراد
بقوله فانهم لا يكذبونك قوما مخصوصين منهم) وهم الذين كذبوا جهلا ثم آمنوا أو المكذبون عنادا اذ
هم مصدقون باطنا (لا كلهم وحينئذ فلا تعارض) بين الآيتين وفي الشفاء من قرأ لا يكذبونك
بالتخفيف معناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على
كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك انتهى
ومر له مزيد (وروى ان أبا جهل لقيه النبي صلى الله عليه وسلم في بعض فجاج مكة فصافحه فقيل له
أتصافحه) وأنت تعاديه (فقال والله اني لاعلم انه نبي ولكن متى كنا تبعا لبني عبد مناف فأنزل الله
الآية) فانهم لا يكذبونك والجمع بين هذا وحديث علي انه صافحه وقال له انا لا نكذبك الخ وقال اسأله
والله اني الخ (رواه ابن أبي حاتم) ونقل البغوي وغيره عن السدي قال التقى الاخنس بن شريق وأسلم بعد
ذلك وأبو جهل فقال يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس هنا أحد يسمع كلامك
غيري فقال أبو جهل والله ان محمدا الصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية
والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فأنزل الله هذه الآية وفي الشفاء روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال انهم

---

١ قوله وانما نحن أكلة رأس يضرب مثلا في قلة العدد كما يستفاد من مجمع الامثال للميداني اه مصححه

مليئة للبشرة وتبطئ الشيب وماء الزيتون المالح يمنع من تنفط حرق النار ويشد اللثة وورقه ينفع من
الحمرة والنملة والقروح
الوسخة والشرى ويمنع
العرق ومنافعه أضعاف
ما ذكرنا * زبد روى
أبو داود في سننه عن
ابني بشر السلميين
رضي الله عنهما قالا دخل
علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقدمنا له
زبدا وتمرا وكان يحب
الزبد والتمر الزبد حار
رطب فيه منافع كثيرة
منها الانضاج والتحليل
ويبرئ الاورام التي
تكون الى جانب الاذنين
والحالبين وأورام الفم
وسائر الاورام التي
تعرض في أبدان النساء
والصبيان اذا استعمل
وحده واذا لعق منه نفع
من نفث الدم الذي
يكون من الرئة وأنضج
الاورام العارضة فيها
وملين للطبيعة والعصب
والاورام الصلبة العارضة
من المرة السوداء والبلغم
نافع من اليبس العارض
في البدن واذا طلي على
منابت أسنان الطفل
كان معينا على نباتها
وطلوعها وهو نافع من
السعال العارض من
البرد واليبس ويذهب
القوبى والخشونة التي
في البدن ويلين الطبيعة
ولكنه يسقط شهوة
الطعام ويذهب بوخامة الحلو كالعسل والتمر وفي جمعه صلى الله عليه وسلم بين التمر وبينه من الحكمة إصلاح كل منهما بالآخر

يعلمون انك صادق فأنزل الله هذه الآية قال السيوطي لم أجده ا (والقرآن كله مملوء بالآيات الدالة على صدق هذا الرسول الكريم وتحقيق رسالته) ثبوتها (وكيف) استفهام انكاري على من ينسب الكذب للنبي أي لا (يليق بكمال الله تعالى أن يقر من يكذب عليه أعظم الكذب) مع قوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا (ويخبر عنه بخلاف ما الامر عليه ثم ينصره على ذلك ويؤيده) ويقويه (ويعلى كلمته ويرفع شأنه) أمره (ويجيب دعوته) أي جنسها (ويهلك عدوه ويظهر على يديه من الآيات والبراهين والادلة) ألفاظ متقاربة (ما تضعف عنه قوى البشر وهو مع ذلك كاذب عليه مفتر ساع في الارض بالفساد ومعلوم ان شهادته) الله (سبحانه على كل شئ) كما قال وهو على كل شئ شهيد (وقدرته على كل شئ وحكمته وعزته وكماله المقدس) المطهر عما لا يليق به (يأبى ذلك كل الاباء) أشد الامتناع (ومن ظن ذلك به وجوزه عليه فهو من أبعد الخلق من معرفته ان عرف منه بعض صفاته كصفة القدرة وصفة المشيئة) أي ان جميع الناس يدركون كثيرا من صفاته ويقرون بها ومن حق من عرف شيأ منها أن يعترف بما ظهر له من الادلة باتصافه صلى الله عليه وسلم بجميع صفات الكمال اللائقة بالانبياء (والقرآن كله مملوء من هذه الطريق وهذه طريق الخاصة بل خاصة الخاصة الذين يستدلون بالله) أي بذاته وصفاته (على أفعاله وما يليق به أن يفعله وما لا يفعله) وليس الحكم مقصورا على الذات من غير اعتبار صفة زائدة عليها كما تقول المعتزلة (واذا تدبرت القرآن) أي تأملت معانيه وتبصرت ما فيه (رأيته ينادي على ذلك ويبديه ويعيده لمن له فهم وقلب واع عن الله تعالى) يتفكر به في حقائقه فالمنتفع بالقرآن المتأهل لامره ونهيه هو الجامع بين الحفظ والفهم واتعاب النفس في تأمل ألفاظه ومعانيه (قال تعالى ولو تقول) الرسول الكريم (علينا بعض الاقاويل) بأن قال عنا ما لم نقله (لاخذنا) لنلنا (منه) عقابا (باليمين) بالقوة والقدرة (ثم لقطعنا منه الوتين) نياط القلب وهو عرق متصل به اذا انقطع مات صاحبه (فما منكم من أحد) هو اسم ما ومن زائدة لتأكيد النفي ومنكم حال من أحد وهو في الاصل نعت له فلما قدم عليه أعرب حالا (عنه حاجزين) ما نعين خبر ما وجمع لان أحدا في سياق النفي بمعنى الجمع وضمير عنه للنبي أي لا مانع لنا عنه من حيث العقاب (أفترا سبحانه وتعالى يخبر أن كماله وحكمته وقدرته تأبى أن يقر من تقول عليه بعض الاقاويل) ثم يقر من يكذب عليه لا (بل لا بد أن يجعله عبرة لعباده كما جرت بذلك سنته) عادته (في المتقولين عليه) فذلك دليل على صدقه صلى الله عليه وسلم (وقال تعالى أم) بمعنى بل (يقولون افترى على الله كذبا) بنسبة القرآن الى الله (فان يشأ الله يختم على قلبك هاهنا انتهى جواب الشرط) وهو فان يشأ الله والقصد به كما في البيضاوي استبعاد الافتراء عن مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه وأما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكأنه قال ان يشأ الله خذلانك تجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن والوحي عنه أو يربط عليه بالصبر عليه فلا يشق عليه اذاهم انتهى (ثم أخبر خبرا جازما غير معلق انه يمحو الباطل ويحق الحق) بكلماته انه عليم بذات الصدور فهو كما في البيضاوي استئناف لنفي الافتراء عما يقول بأنه لو كان مفترى لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه أو بقضائه لا مرد له (وقال تعالى وما قدروا الله حق قدره) أي ما عظموه حق عظمته أو ما عرفوه حق معرفته (اذ قالوا) للنبي صلى الله عليه وسلم وقد خاصموه في القرآن (ما أنزل الله على بشر من شئ) قال ابن عباس قائل ذلك اليهود وقال مجاهد مشركو قريش وقال السدي [1] فنحاص اليهودي وقال سعيد بن جبير مالك بن الصيف أخرجهما ابن أبي حاتم (فأخبر ان من نفي عنه الارسال

[1] قوله فنحاص اليهودي في الاصل كما ترى والمعروف من التواريخ في أسمائهم اهمال آخره اه

نعم الطعام الزبيب يذهب النصب ويشد العصب ويطفئ الغضب ويصفي اللون ويطيب النكهة وهذا أيضا لا يصح فيه شئ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد فاجود الزبيب ما كبر جسمه وسمن شحمه ولحمه ورق قشره ونزع عجمه وصغر حبه وجرم الزبيب حار رطب في الاولى وحبه بارد يابس وهو كالعنب المتخذ منه الحلو منه حار والحامض قابض بارد والابيض أشد قبضا من غيره واذا أكل لحمه وافق قصبة الرئة ونفع من السعال ووجع الكلى والمثانة ويقوي المعدة ويلين البطن والحلو اللحم أكثر غذاء من العنب وأقل غذاء من التين اليابس وله قوة منضجة هاضمة قابضة محللة باعتدال وهو بالجملة يقوي المعدة والكبد والطحال نافع من وجع الحلق والصدر والرئة والكلى والمثانة وأعدله ان يؤكل بغير حبه وهو يغذي غذاء صالحا ولا يسدد كما يفعل التمر واذا أكل منه بعجمه كان أكثر نفعا للمعدة والكبد والطحال واذا لصق لحمه على الاظافير المتحركة أسرع قلعها والحلو والكلام

والكلام لم يقدروه حق قدره ولا عرفه كما ينبغي ولا عظمه كما يستحق) في الرحمة والانعام على العباد فان الوحي والبعث من عظائم رحمته وجلائل نعمته أو ماقدروه في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة (فكيف من ظن انه ينصر الكاذب المفتري عليه ويؤيده ويظهر على يديه الآيات والادلة وهذا) أي تعظيمه صلى الله عليه وسلم بالآيات الدالة على كماله (في القرآن كثير) وذلك لانه (يستدل) بزيادة السين والتاء أي يدل (تعالى) خلقه (بكماله المقدس وأوصافه وجلاله على صدق رسوله) فيما جاء به (وعلى وعده ووعيده) مثلا قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم دل بكونه خالقا للناس منعما عليهم بجعل الارض فراشا والسماء بناء الخ على ان من قدر على ابتداء هذه الاحوال لا يعجز عن بعثهم بعد فناء أجسادهم ومن لازم ذلك صدق الرسول في أخباره عن الله بالبعث والاعادة (ويدعو عباده الى ذلك) أي تصديقه فيما جاء عليه الصلاة والسلام أو الاشارة راجعة للصدق بتقدير مضاف أي الى اعتقاد صدق رسوله (وقال تعالى لمن طلب آية تدل على صدق رسوله) مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وهم الذين قالوا لولا أنزل عليه آية من ربه فرد عليهم بقوله قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين (أولم يكفهم) فيما طلبوا (انا أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (يتلى عليهم) فهو آية مستمرة لا انقضاء لها بخلاف ماذكر من الآيات (ان في ذلك) الكتاب (لرحمة) لنعمة عظيمة (وذكرى) عظة (لقوم يؤمنون) لمن همه الايمان دون التعنت وروى ابن جرير وابن أبي حاتم والدارمي عن يحيى بن جعدة قال جاء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود فقال صلى الله عليه وسلم كفى بقوم ضلالة ان يرغبوا عما جاء به نبيهم اليهم الى ما جاء به غيره الى غيرهم فنزلت أولم يكفهم انا أنزلنا الآية (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) بصدقي وقد صدقني بالمعجزات أو بتبليغ ما أرسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت (يعلم ما في السموات والارض) فلا يخفى عليه حالي وحالكم (والذين آمنوا بالباطل) وهو ما يعبد من دون الله (وكفروا بالله) منكم (أولئك هم الخاسرون) في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان (فأخبر سبحانه ان الكتاب الذي أنزله يكفي من) أي بدل (كل آية) لانقضائها بخلافه (ففيه الحجة والدلالة على انه من الله تعالى وان الله سبحانه أرسل به رسوله وفيه بيان ما يوجب لمن اتبعه السعادة وينجيه من العذاب) بقوله ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون (ثم قال قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض فاذا كان سبحانه عالما بجميع الاشياء) المعبر عنها بما في السموات والارض (كانت شهادته أعظم شهادة وأعدلها فانها شهادة بعلم تام محيط بالمشهود به) بخلاف شهادة غيره فليس لها هذا الوصف اذ قد يخفى عليه ما يمنعه من الشهادة بما شاهده لو علمه (وهو سبحانه وتعالى يذكر علمه عند شهادته) فهذا حكمة قوله يعلم ما في السموات والارض بعد قوله شهيدا مع انه مقطوع محقق الحصول عند كل أحد (و) يذكر (قدرته وملكه عند مجازاته) لافادته انه لا يعجزه شئ (وحكمته عند خلقه وأمره ورحمته عند ذكر ارسال رسله وحلمه عند ذنوب عباده تنبيها لهم على التوبة وأن لا يقنطوا (فتأمل ورود أسمائه الحسنى في كتابه وارتباطها بالخلق والامر والثواب والعقاب) يظهر لك من أسرارها العجب العجاب وحاصله ان من عادته تعالى اذا ذكر أمرا تقصر عن ادراكه العقول ذكر أنه انما أخبر عنه بعلم تام وقدرة كاملة فليس اخباره عن شئ كاخبار بعض البشر عما شاهده لانه قد يخفى عليه ما يمنعه الشهادة لو علمه أو من المجازاة عليه (وقال تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه) تيسيره أطلق له لانه من أسبابه وقيد به اشارة الى انه أمر صعب لا يتأتى الا بمعونته تعالى قاله البيضاوي وغيره وقال العز بن عبد السلام في مجاز القرآن اذنه مشيئته وارادته لان الغالب في

منه ومالا عج له نافع لاصحاب الرطوبات والبلغم وهو يخصب الكبد وينفع بخاصيته وفيه نفع للحفظ قال الزهري من أحب أن يحفظ الحديث فليأكل الزبيب وكان المنصور يذكر عن جده عبد الله ابن عباس عجمه داء ولحمه دواء * (زنجبيل) * قال تعالى ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا وذكر أبو نعيم في كتاب الطب النبوي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال أهدى ملك الروم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة زنجبيل فاطعم كل انسان قطعة وأطعمني قطعة * الزنجبيل حار في الثانية رطب في الاولى مسخن معين على هضم الطعام ملين البطن تليينا معتدلا نافع من سدد الكبد العارضة عن البرد والرطوبة ومن ظلمة البصر الحادثة عن الرطوبة أكلا واكتحالا معين على الجماع وهو محلل للرياح الغليظة الحادثة في الامعاء والمعدة وبالجملة فهو صالح للكبد والمعدة الباردتي المزاج واذا أخذ منه مع السكر وزن درهمين بالماء الحار أسهل فضولا لزجة لعابية ويقع في المعجونات التي تحلل البلغم وتذيبه والمري منه حار يابس يهيج الجماع ويزيد في المني ويسخن المعدة والكبد ويعين على الاستمراء وينشف البلغم الغالب على البدن ويزيد في

الاذن أن لا يقع الا بمشيئته واعتبار الملازمة الغالبة تصحيح المجاز أو بأمر التكوين فان الامر يلازمه مشيئة الآمر غالبا وقال ابن عباس في قوله تعالى فهزموهم باذن الله بأمره وقوله كن وهو من مجاز التمثيل شبه سهولة الاشياء في قدرته بسهولة هذه الكلمة على الناطق بها تفهيما السرعة نفوذ مشيئته وقدرته فيما يريده ويعبر بالاذن عن التيسير والتسهيل كقوله تعالى والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه أي بتيسيره وتسهيله اذ لا يحسن ان يقال دعوته باذني ولا قمت وقعدت باذني ولذا قال الزمخشري يجوز أن يراد بالاذن هنا الامر أي يدعوكم الى الجنة والمغفرة بأمره اياكم بطاعته وكلاهما من مجاز الملازمة انتهى (وسراجا) أحوال مقدرة (منيرا) قال عياض جمع الله له في هذه الآية ضروبا من رتب الاثرة وجملة أوصاف من المدحة فجعله شاهدا على أمته بابلاغهم الرسالة وهي من خصائصه ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى الله باذنه الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به الى الحق وقال ابن عطية هذه أرجى آية في القرآن لانه أمره بتبشير المؤمنين بالفضل الكبير وقد فسره في آية أخرى والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير (أي شاهدا على الوحدانية) أي اتصافه تعالى بأنه واحد أحد لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولم يقيد الشهادة فشملت الشهادة بها في الدنيا والآخرة وفي البيضاوي شاهدا على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وكذا تقدم عن عياض فجعلا ذلك صلة الشهادة وجعلا صلة داعيا الى الاقرار بالله وتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته وهو خلاف ما ذكر المصنف (وشاهدا في الدنيا بأحوال الآخرة) أي بما يكون فيها ذاتا أو صفة (من الجنة والنار والميزان والصراط وشاهدا في الآخرة بأحوال الدنيا و) ذلك بأن يشهد للمطيع (بالطاعة و) على العاصي (بالمعصية) فهو بيان للمراد بالشهادة (والصلاح) الواقع من المطيع (والفساد) من العاصي وعلمه صلى الله عليه وسلم بذلك لان أعمال أمته تعرض عليه كما ثبت في الحديث واستشكل مع حديث الصحيح ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال انهم بدلوا وغيروا بعدك فأقول سحقا سحقا وفي رواية انك لا تدري ما أحدثوا بعدك وأجيب بأنها انما تعرض عليه عرضا مجملا فيقال عملت أمتك شرا عملت أمتك خيرا أو انها تعرض عليه دون تعيين عاملها قاله الابي (وشاهدا على الخلق يوم القيامة) بابلاغ أنبيائهم وتزكية أمته (كما قال تعالى) وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس (ويكون الرسول عليكم شهيدا) روى أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي سعيد مرفوعا يجيء نوح وأمته فيقول الله هل بلغت فيقول نعم أي رب فيقول لامته هل بلغكم فيقولون لا ما جاءنا من نبي فيقول لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمته وهو قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس والوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم وروى أحمد والنسائي وابن ماجه عن أبي سعيد رفعه يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان ويجيء النبي ومعه الثلاثة وأكثر من ذلك فيقال له هل بلغت قومك فيقول نعم فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم هذا فيقولون لا فيقال له من يشهد لك فيقول محمد وأمته فيقال لهم هل بلغ هذا قومه فيقولون نعم فيقال وما علمكم فيقولون جاء نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا وصدقناه فذلك قوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال البيضاوي وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المؤتمن على أمته عدى بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وطالبهم بالبينة وهو أعلم اقامة للحجة على المنكرين انتهى ولاظهار فضل هذه الامة على رؤس الاشهاد

الحفظ ويوافق برد الكبد والمعدة ويزيل بلتها الحادثة عن أكل الفاكهة ويطيب النكهة ويدفع به ضرر الاطعمة الغليظة الباردة

(حرف السين)

سنا قد تقدم وتقدم سنوت أيضا وفيه سبعة أقوال أحدها انه العسل الثاني انه رب عكة السمن يخرج خططا سوداء على السمن الثالث أنه حب يشبه الكمون وليس بكمون الرابع الكمون الكرماني الخامس انه الشبت السادس انه التمر السابع انه الرازيانج *سفرجل روى ابن ماجه في سننه حديث اسمعيل ابن محمد الطلحي عن شعيب بن حاجب عن أبي سعيد عن عبد الملك الزبيري عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وبيده سفرجلة فقال دونكها يا طلحة فانها تجم الفؤاد ورواه النسائي من طريق آخر وقال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في جماعة من أصحابه وبيده سفرجلة يقلبها فلما جلست اليه دحا بها الي ثم قال دونكها أبا ذر فانها تشد القلب وتطيب النفس وتذهب بطخاء الصدر وقد روي في السفرجل أحاديث أنم هذا أمثلها ولا تصح *والسفرجل بارد يابس ويختلف في ذلك باختلاف طعمه وكله

قال

قال أبو الحسن القابسي أبان الله فضل نبينا وفضل أمته بهذه الآية وفي قوله وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد الآية (كأنه تعالى يقول يا أيها المشرف) بالفاء بالنبوة (من قبلنا انا أرسلناك شاهدا) بوحدانيتنا ومشاهدا كمال فردانيتنا (مبشرا) عبادنا عنا وتنذرهم مخالفة أمرنا وتعلمهم مواضع الخوف منا) وهي المعاصي (وداعيا الخلق الينا) أي الى ما يجب الينا (وسراجا يستضاء بك) من ظلمات الجهل ويقتبس من نورك أنوار البصائر (وشمسا تبسط شعاعك على جميع من صدقك وآمن بك ولا يصل الينا الا من اتبعك وخدمك وقدمك) على جميع الخلق بأن علم كمالك الذي تتميز به على غيرك وأذعن له (فبشر) يا أيها المشرف من قبلنا المؤمنين (بفضلنا) انعامنا عاجلا وآجلا (وطولنا) أي احساننا (عليهم) بترك عقابهم فتغاير العطف لكن يصير (واحساننا اليهم) تفسيرا وفي نسخة فبشره بضمير عائد على لفظ من وحذفه أولى (ولما كان الله تعالى قد جعله عليه الصلاة والسلام شاهدا على الوحدانية والشاهد لا يكون مدعيا فالله تعالى لم يجعل النبي في مسئلة الوحدانية مدعيا لها لان المدعي من يقول شيأ على خلاف الظاهر والوحدانية أظهر من الشمس والنبي صلى الله عليه وسلم كان ادعى النبوة) قبل نزول هذه الآية حيث أخبر ان الله بعثه ولم يعرف بها قبل الدعوة فاتى بخلاف ظاهر حاله قبل (فجعل) جواب لما ادخل عليه الفاء (الله تعالى شاهدا له في مجازاة كونه شاهدا له تعالى فقال سبحانه والله يشهد) التلاوة يعلم (انك لرسوله) ولا يصح أن يشهد تفسير ليعلم لان علم الشئ لا يستلزم الشهادة به لكن في القاموس شهد الله أنه لا اله الا هو أي علم الله أو قال أو كتب (ومن هذا قوله تعالى ويقول الذين كفروا) قيل هم رؤساء اليهود (لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) فانه أظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها (ومن عنده علم) مرتفع بالظرف لاعتماده على الموصول أو مبتدأ والظرف خبره (الكتاب) القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز أو علم التوراة وهو ابن سلام وأضرابه قال سعيد بن جبير هو جبريل وقال عكرمة هو عبد الله بن سلام رواهما ابن أبي حاتم وقال ابن عباس هم اليهود والنصارى وقال قتادة كنا نتحدث ان منهم ابن سلام وسلمان الفارسي وتميما الدارمي أخرجهما ابن جرير وقيل المراد علم اللوح المحفوظ وهو الله قال الطيبي فيلزم عطف الشئ على نفسه فأول الزمخشري وغيره اسم الذات بما يعطيه من معنى استحقاق العبادة لكونه جامعا لمعاني الاسماء فقال كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزى الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر خبر والمبتدأ علم قال الازهري لا يكون الها حتى يكون معبودا وخالقا ورازقا ومدبرا فاتى بالموصول ليتوافق المعطوف والمعطوف عليه (فاستشهد على رسالته بشهادة الله له) وأمره بقول ذلك اذ لا يجحد باطنا (وكذلك قوله تعالى) حين قالت قريش يا محمد لقد سألنا عنك أهل الكتاب فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك رسول الله فنزلت على ما قال الكلبي وتبعه البغوي وغيره وأخرج ابن اسحاق وابن جرير عن ابن عباس ان ثلاثة من اليهود جاؤا فقالوا يا محمد ما نعلم مع الله الها غيره فقال لا اله الا الله بذلك بعثت والى ذلك ادعو فانزل الله في قولهم (قل أي شئ) أي موجود (أكبر شهادة) تمييز محول عن المبتدأ (قل الله شهيد بيني وبينكم) على صدقي فهو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان أكبر شئ شهادة قال الطيبي فهو من أسلوب الحكيم يعني فشهادته معلومة لا كلام فيها وانما الكلام في انه شاهد لي عليكم مبين لدعواي واذا ثبت انه شهيد له لزم ان أكبر شئ شهادة شهيد له ونحوه قول التفتازاني كأنه قيل معلوم ان الله هو الاكبر شهادة ولكن الانسب بالمقام هو الاخبار بأن الله شهيد لي لينتج مع قولنا الله أكبر شهادة أن الاكبر شهادة شهيد لي قال أبو حيان هذا الوجه أرجح مما

أردؤا بض جيد المعدة والحلو منه أقل بردا ويبسا وأميل الى الاعتدال والحامض أشد قبضا ويبسا وبردا وكله يسكن العطش والسقء ويدر البول ويعقل الطبع وينفع من قرحة الامعاء ونفث الدم والهيطة وينفع من الغثيان ويمنع من تصاعد الابخرة اذا استعمل بعد الطعام وحراقة أغصانه وورقه المغسولة كالتوتياء في فعله وهو قبل الطعام يقبض وبعده يلين الطبع ويسرع بانحدار الثقل والاكثار منه مضر بالعصب مولد للقولنج ويطفئ المرة الصفراء المتولدة في المعدة وان شوى كان أقل لخشونته وأخف واذا قور وسطه ونزع حبه وجعل فيه العسل وطين جرمه بالعجين وأودع الرماد الحار نفع نفعا حسنا وأجود ما أكل مشويا أو مطبوخا بالعسل وحبه ينفع من خشونة الحلق وقصبة الرئة وكثير من الامراض ودهنه يمنع العرق ويقوي المعدة والمربى منه تقوي المعدة والكبد وتشد القلب وتطيب النفس ومعنى نجم الفؤاد تريحه وقيل تفتحه وتوسعه من جمام الماء وهو اتساعه وكثرته والطخاء للقلب مثل الغيم على السماء قال أبو عبيد الطخاء ثقل وغشاء تقول ما في السماء طخاء أي سحاب وظلمة * سواك في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتي لامرتهم بالسواك

قدمه الزمخشري ان المعنى قل الله أكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد أي هو لان فيه اضمارا أولا وآخرا والاول لا اضمار فيه مع صحة معناه (وقوله تعالى) روى ابن اسحاق عن ابن عباس دخل جماعة من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الى والله أعلم انكم تعلمون أني رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فأنزل الله (لكن الله يشهد) يبين نبوتك (بما أنزل اليك) من القرآن المعجز (أنزله) ملتبسا (بعلمه) أي عالما به أو فيه علمه (والملائكة يشهدون) أيضا لك (وكفى بالله شهيدا) على ذلك قال البيضاوي استدراك على مفهوم ما قبله وكأنه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا أوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد أو انهم أنكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما أنزل اليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك روى ابن جرير عن ابن عباس لما نزل انا أوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت (وقوله تعالى والله يعلم انك لرسوله) فلا يضرك قول المنافقين ذلك بألسنتهم مخالفا لما في قلوبهم (وقوله محمد رسول الله) جملة مبينة للمشهود به ويجوز أن يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف أو مبتدأ والذين معه معطوف عليه وخبرهما أشداء على الكفار رحماء بينهم كما في الانوار (فهذا كله منه تعالى شهادة لرسوله صلى الله عليه وسلم قد أظهرها وبينها وبين صحتها غاية البيان بحيث قطع العذر) بسكون الذال وتضم للاتباع أي منع الاشياء التي تكون سببا لطلب ما يزيل اللوم عن الفاعل (بينه وبين عباده وأقام الحجة عليهم بكونه سبحانه شاهدا لرسوله) صلى الله عليه وسلم (وقال تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى) ملتبسا به أو بسببه ولاجله (ودين الحق) الاسلام (ليظهره) ليعليه (على) جنس (الدين كله) بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا وتسليط المسلمين على أهله اذ ما من أهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لما وعده من الفتح (وكفى بالله شهيدا) على ان ما وعده كائن أو على نبوته باظهار المعجزات أو على انك مرسل كما قال محمد رسول الله (فيظهر ظهورين ظهورا بالحجة والبيان) بحيث لا يستطيع المعاند ردهما بل يجادعون أنفسهم بالتشغيب والتكذيب والافتراء والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا اليه وغير ذلك (وظهورا بالنصر والغلبة والتأييد حتى يظهر على مخاليفه ويكون منصورا) كما قال هو الذي أيدك بنصره لينصرك الله نصرا عزيزا (ومن شهادته تعالى أيضا ما أودعه في قلوب عباده من التصديق الجازم واليقين الثابت والطمأنينة بكلامه) سبحانه (ووحيه) الى أنبيائه (فان الله فطر) خلق (القلوب) مشتملة (على قبول الحق والانقياد له والطمأنينة والسكون اليه ومحبته وفطرها على) أعاد العامل تنبيها على ان كلا من قبول الحق و (بغض الكذب والباطل) مقصود بالذات (والنفور عنه وعدم السكون اليه ولو بقيت الفطرة) بالكسر الخلقة (على حالها لما آثرت) قدمت (على الحق سواه ولما سكنت اطمأنت (الا اليه ولا اطمأنت الا به ولا أحبت غيره ولهذا ندب) دعا (الحق سبحانه الى تدبر القرآن فان كل من تدبره أوجب له علما ضروريا ويقينا جازما انه حق بل أحق كل حق وأصدق كل صدق قال تعالى أفلا يتدبرون القرآن) يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي (أم على قلوب أقفالها) لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها أمر وقيل أم منقطعة والهمزة للتقرير وتنكير قلوب لان المراد قلوب بعض منهم أو للاشعار بأنها لابهام أمرها في القساوة أو لفرط جهالتها كأنها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على أقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ أقفالها على المصدر قاله البيضاوي (فلو رفعت الاقفال عن القلوب لباشرتها حقائق القرآن واستنارت فيها مصابيح الايمان وعلمت علما ضروريا كسائر الامور الوجدانية) بكسر الواو (كاللذة والالم انه من عند الله تكلم به حقا وبلغه رسوله جبريل الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهذا

عند كل صلاة وفيهما انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك وفي صحيح البخاري تعليقا عنه صلى الله عليه وسلم السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وفي صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل بيته بدأ بالسواك والاحاديث فيه كثيرة وصح عنه أنه استاك عند موته وصح عنه أنه قال أكثرت عليكم في السواك وأصلح ما اتخذ السواك من خشب الاراك ونحوه ولا ينبغي أن يؤخذ من شجرة مجهولة فربما كان سما وينبغي القصد في استعماله فان بالغ فيه فربما أذهب طلاوة الاسنان وصقالتها وهيأها لقبول الابخرة والمتباعدة من المعدة والاوساخ ومتى استعمل باعتدال جلى الاسنان وقوى العمود وأطلق اللسان ومنع الحفر وطيب النكهة ونقى الدماغ وشهى الطعام وأجود ما استعمل مبلولا بماء الورد ومن أنفعه أصول الجوز قال صاحب التيسير زعموا انه اذا استاك كل خامس من الايام نقى الرأس وصفى الحواس وأحد الذهن وفي السواك عدة منافع يطيب الفم ويشد اللثة ويقطع البلغم ويجلو البصر ويذهب بالحفر ويصح المعدة ويصفي الصوت ويعين على هضم الطعام ويسهل مجاري الكلام

الشاهد فى القلب من أعظم الشواهد انتهى ملخصا من مدارج السالكين) للعلامة ابن القيم فى شرح منازل السائلين لشيخ الاسلام الهروى (وقال تعالى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) حال من الضمير فى اليكم قال المفتى لما حكى ما فى الكتابين من نعوته صلى الله عليه وسلم وشرف من يتبعه من أهلهما ونيلهم لسعادة الدارين أمر عليه الصلاة والسلام ببيان أن تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من تبعه كائنا من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص سائر الرسل بأقوامهم وارسال موسى الى فرعون وملئه بالآيات التسع انما كان لامرهم بعبادة رب العالمين وترك العظمة التى كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه الفئة الباغية وبارسال بنى اسرائيل من الاسر والقسر وأما العمل بأحكام التوراة فختص ببنى اسرائيل انتهى (ففى هذه الآية دلالة على انه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كافة الثقلين) الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض أو لرزانة رأيهم وقدرهم أو لانهما مثقلان بالتكليف ووجه الدلالة أن الناس وان غلب استعماله فى الانس لكنه اسم للانس والجن لانه مشتق من ناس ينوس اذا تحرك فيطلق عليهما وبهما فسر فى صدور الناس (وقالت العيسوية من اليهود وهم اتباع عيسى) المنقول لغيره أبى عيسى (الاصفهانى) زاد فى نسخة النصرانى ولا ينافيها قوله أولا من اليهود لجواز انه كان نصرانيا ثم تهود فتبعته تلك الطائفة (أن محمدا صادق مبعوث الى العرب غير مبعوث الى بنى اسرائيل ودليلنا على ابطال قولهم هذه الآية لان قوله يا أيها الناس خطاب عام (يتناول كل الناس) العرب وبنى اسرائيل وغيرهم فتخصيصه بالعرب من أين (ثم قال) بأمر الله تعالى قل يا أيها الناس (انى رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضى كونه مبعوثا الى جميع الناس) اقتضاء ظاهرا لاسيما مع قوله جميعا فهو قريب من الصريح (وأيضا) دليل ثان فى الرد على العيسوية (فلانا نعلم بالتواتر انه كان يدعى) أى يذكر (انه مبعوث الى الثقلين فاما أن نقول انه كان رسولا حقا أو ما كان كذلك) من ارخاء العنان للخصم للزوم الحجة له (فان كان رسولا حقا) كما اعترفت به أيها الخصم (امتنع الكذب عليه) لاستحالته على الرسول (ووجب الجزم بكونه صادقا فى كل ما يدعيه) ومنه انه رسول الى بنى اسرائيل (فلما ثبت بالتواتر وبظاهر هذه الآية) لما يقل بصرفها الاحتمال ان أل فيها للجنس ولكن يمنعه أو يبعده التأكيد بقوله جميعا (انه كان يدعى انه مبعوث الى جميع الثقلين وجب كونه صادقا وذلك يبطل قول من يقول انه كان مبعوثا الى العرب فقط لا الى بنى اسرائيل) وعبر بيدعى لان الادعاء قول يخالف الظاهر كما قدمه وهذا وان طابق الواقع بحسب نفس الامر لكنه مخالف للظاهر فلذا أتى بالادلة والبراهين لاثبات رسالته (واذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا من الناس من يقول انه عام دخله التخصيص ومنهم من أنكر ذلك أما الاولون) ترك عديله اما الظهوره أى وأما المنكرون فقالوا هو باق على عمومه والتكليف ووصول خبر الرسالة ليس شرطا فى الرسالة وانما هو شرط فى المؤاخذة بما بلغه (فقالوا دخله التخصيص من وجهين الاول انه رسول الله الى الناس اذا كانوا من جملة المكلفين) لا مجانين وصبيانا (فاذا لم يكونوا من جملة المكلفين لم يكن رسولا اليهم وذلك لانه عليه السلام قال) كما رواه أحمد وأبو داود والنسائى وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم عن على وعمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (رفع القلم عن ثلاث) كناية عن عدم التكليف لانه يلزم منه الكتابة وعبر برفع اشعارا بأن التكليف لازم لبنى آدم لا ينفك عنهم الا عن ثلاثة (عن الصبى) الطفل ولو مراهقا (حتى يبلغ) وفى رواية حتى يكبر وأخرى حتى يشب وأخرى حتى يحتلم قال السبكى ليس فى روايتى حتى يكبر وحتى يبلغ من البيان ما فى رواية حتى يحتلم فالتمسك بها لبيانها أولى لان حتى يبلغ مطلق وحتى يحتلم مقيد فيحمل عليه فان الاحتمال بلوغ قطعا وعدم بلوغ

ويبسط للقراءة والذكر والصلاة ويطرد النوم ويرضى الرب ويعجب الملائكة ويكثر الحسنات ويستحب كل وقت ويتأكد عند الصلاة والوضوء والانتباه من النوم وتغير رائحة الفم ويستحب للمفطر والصائم فى كل وقت لعموم الاحاديث فيه ولحاجة الصائم اليه ولانه مرضاة للرب ومرضاته مطلوبة فى الصوم أشد من طلبها فى الفطر ولانه مطهرة للفم والطهور للصائم من أفضل أعماله وفى السنن عن عامر بن ربيعة رضى الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا أحصى يستاك وهو صائم وقال البخارى قال ابن عمر يستاك أول النهار وآخره وأجمع الناس على ان الصائم يتمضمض وجوبا واستحبابا والمضمضة أبلغ من السواك وليس لله غرض فى التقرب اليه بالرائحة الكريهة ولا هى من جنس ما شرع التعبد به وانما ذكر طيب الخلوف عند الله يوم القيامة حثا منه على الصوم لا حثا على ابقاء الرائحة بل الصائم أحوج الى السواك من المفطر وأيضا فان رضوان الله أكبر من استطابته لخلوف فم الصائم وأيضا فان محبته للسواك أعظم من محبته لبقاء خلوف فم الصائم

السن ليس ببلوغ قطعا (وعن النائم حتى يستيقظ) من نومه (وعن المجنون) زاد في رواية المغلوب على عقله (حتى يفيق) وفي رواية حتى يبرأ أي بالافاقة وفي أخرى حتى يعقل وفي أخرى وعن المبتلى حتى يبرأ أي المبتلى بداء الجنون قال ابن حبان والمراد برفع القلم ترك كتابة الشر عليهم دون الخير قال الزين العراقي وهو ظاهر في الصبي دون المجنون والنائم لانهما في حيز من ليس قابلا لصحة العبادة منهم لزوال الشعور فالمرفوع عن الصبي قلم المؤاخذة لاقلم الثواب لقوله صلى الله عليه وسلم للمرأة لما سألته ألهذا حج قال نعم واختلف في تصرف الصبي فصححه أبو حنيفة ومالك باذن وليه مراعاة للتميز وأبطله الشافعي مراعاة للتكليف (والثاني انه رسول الله الى كل من وصله خبر وجوده وخبر معجزاته وشرائعه حتى يمكنه عند ذلك متابعته اما لو قدرنا) قد يشعر بعدم وجوده والمصرح به في الفروع والاصول خلافه (حصول قوم في طرف من أطراف الارض لم يبلغهم خبره وخبر معجزاته وشرائعه حتى لا يمكنهم عند ذلك متابعته فلا يكونون مكلفين بالاقرار بنبوته) ويكونون من الناجين في الآخرة لعذرهم بعدم بلوغ الدعوة ولكن لا يصلى عليهم لانه انما يصلى على المحقق اسلامه ولا يجوز لعنهم لانهم لعدم تكذيبهم في معنى المسلم كما قال الغزالي انه التحقيق لا مسلم كما عبر به بعض أو على الفطرة كما عبر به آخر واختار السبكي التعبير بناج (وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده) أقسم تقوية للحكم (لا يسمع بي أحد من هذه الامة) التي وجد فيهم الى قيام الساعة (ولا يهودي ولا نصراني) عطف خاص على عام لافادة عموم بعثته (ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به الا كان من أصحاب النار) الخالدين فيها (رواه مسلم) وأحمد (ومفهومه ان من لم يسمع به ولم تبلغه دعوة الاسلام فهو معذور) فيكون ناجيا (على ما تقرر في الاصول انه لا حكم قبل الشرع على الصحيح) لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولان الغافل لا يكلف لقوله تعالى ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ثم اختلف هل نجاة من لم تبلغه الدعوة ودخوله الجنة غير متوقفة على الامتحان أو متوقفة عليه لورود أحاديث كثيرة بانهم يمتحنون يوم القيامة ببعث رسول اليهم ان ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها سحب اليها (وفي هذا الحديث نسخ الملل كلها برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم) لجعله من لم يؤمن برسالته من أهل النار وانما يكون كذلك بموته كافرا وكفره يستدعي نسخ الشريعة التي هو متمسك بها والله أعلم (وقال تعالى يا أهل الكتاب) اليهود والنصارى (قد جاءكم رسولنا) محمد صلى الله عليه وسلم (يبين لكم) الدين وحذف لظهوره أو ما كنتم من الكتاب كآية الرجم وصفته صلى الله عليه وسلم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال أي جاءكم رسولنا مبينا (على فترة من الرسل) متعلق بجاء أي على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي فتعلق على فترة بجاءكم تعلق الظرفية كقوله واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وقيل انه حال من ضمير لكم (ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فهو في موقع المفعول له (فقد جاءكم بشير ونذير) متعلق بمحذوف أي لا تعتذروا انما جاءنا بأن تقولوا ذلك قاله الكشاف قال التفتازاني أي بمحذوف تفصح عنه الفاء وتفيد بيان سببه كالتي تذكر بعد الاوامر والنواهي بيانا لسبب الطلب لكن كمال حسنها وفصاحتها ان تكون مبنية على التقدير منبئة عن المحذوف بخلاف قولك أعبد ربك فالعبادة حق له ولكون مبنى الفاء الفصيحة على الحذف اللازم بحيث لو ذكر لم يكن بتلك الفصاحة تختلف العبارة في تقدير المحذوف فتارة أمرا أو نهيا كما في هذه الآية وتارة شرطا كقوله فهذا يوم البعث وتارة معطوفا عليه كقوله فانفجرت (والله على كل شئ قدير) فيقدر على الارسال تترا كما فعل بين موسى وعيسى اذا

وأيضا فان السواك لا يمنع طيب الخلوف الذي يزيله السواك عند الله يوم القيامة بل يأتي الصائم يوم القيامة وخلوف فمه أطيب من المسك علامة على صيامه ولو أزاله بالسواك كما ان الجريح يأتي يوم القيامة ولون دم جرحه لون الدم وريحه ريح المسك وهو مأمور بازالته في الدنيا وأيضا فان الخلوف لا يزول بالسواك فان سببه قائم وهو خلو المعدة عن الطعام وانما يزول أثره وهو المنعقد على الاسنان واللثة وأيضا فان النبي صلى الله عليه وسلم علم أمته ما يستحب لهم في الصيام وما يكره لهم ولم يجعل السواك من القسم المكروه وهو يعلم انهم يفعلونه وقد حضهم عليه بأبلغ ألفاظ العموم والشمول وهم يشاهدونه يستاك وهو صائم مرارا كثيرة تفوت الاحصاء ويعلم انهم يقتدون به ولم يقل لهم يوما من الدهر لا تستاكوا بعد الزوال وتأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع والله أعلم * سمن روى محمد بن جرير الطبري باسناده من حديث صهيب يرفعه عليكم بألبان البقر فانها شفاء وسمنها دواء ولحومها داء رواه عن أحمد بن الحسن الترمذي حدثنا محمد بن موسى النسائي حدثنا دفاع بن دغفل السدوسي عن عبد الحميد

كان

كان بينهما ألف وسبعمائة سنة وألف نبي وعلى الارسال على الفترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (خاطب الله تعالى أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأنه قد أرسل اليهم رسوله محمدا خاتم النبيين الذى لانبي بعده ولا رسول) بيان لخاتم النبيين (بل هو المعقب لجميعهم) أى الجائى بعدهم (ولهذا قال تعالى على فترة من الرسل أى من بعد مدة متطاولة ما بين ارساله وعيسى بن مريم) والفترة لغة من فتر الشئ اذا سكنت حدته سميت المدة التى بين الانبياء فترة لفتور الدواعى فى العمل بتلك الشرائع (وقد اختلفوا فى مقدار هذه المدة فقال النهدى) بفتح النون واسكان الهاء أبو عثمان عبد الرحمن بن مل بلام ثقيلة والميم مثلثة مشهور بكنيته من كبار التابعين مخضرم ثقة عابد روى له الجميع مات سنة خمس وتسعين وقيل بعدها وعاش مائة وثلاثين سنة وقيل أكثر (وقتادة) بن دعامة الاكمه التابعى المشهور (فى رواية عنه ستمائة سنة ورواه البخارى) من حديث أبى عثمان النهدى (عن سلمان الفارسى) قال فترة بين عيسى ومحمد ستمائة سنة قال الحافظ أى المدة التى لم يبعث فيها رسول من الله ولا يمتنع ان ينبأ فيها نبي يدعو الى شريعة الرسول الاخير (وعن قتادة انها خمسمائة وستون سنة) أخرجه عبد الرزاق عن معمر عنه لكن لم يقل وستون سنة كما فى الفتح قال وعن الكلبى خمسمائة وأربعون (وقال الضحاك أربعمائة سنة وبضع وثلاثون سنة وعن الشعبى) عامر بن شراحيل (فيما ذكره ابن عساكر) عنه (تسعمائة سنة وثلاث وثلاثون سنة قال الحافظ عماد الدين بن كثير والمشهور انها ستمائة سنة) خلافا لنقل ابن الجوزى الاتفاق على ذلك فانه تعقب بوجود الخلاف (قال وكانت هى الفترة بين عيسى ابن مريم آخر أنبياء بنى اسرائيل وبين محمد آخر النبيين من بنى آدم) بيان للواقع (على الاطلاق كما فى البخارى) فى أحاديث الانبياء وكذا مسلم كلاهما (من حديث أبى هريرة مرفوعا) بلفظ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (أنا أولى الناس بابن مريم) وفى رواية للبخارى بعيسى ابن مريم فى الدنيا والآخرة ولفظ مسلم فى الاولى والآخرة قال الحافظ أى أخصهم به وأقربهم اليه لانه بشر بأنه يأتى من بعده فالاولوية من جهة قرب العهد كما انه أولى الناس بابراهيم من جهة قوة الاقتداء زاد السيوطى ولانه أبردود عابه وأشبه الناس به خلقا وملة انتهى وقول الكرمانى التوفيق بين الحديث وبين قوله تعالى أن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي ان هذا الحديث وارد فى كونه صلى الله عليه وسلم متبوعا والآية واردة فى كونه تابعا رده الحافظ بان مساق الحديث كمساق الآية فلا دليل على هذه التفرقة والحق انه لامنافاة ليحتاج الى الجمع فهو أولى بكل منهما من جهة واسقط المصنف من هذه الرواية عند البخارى ومسلم والانبياء أولاد علات (لانه ليس بينى وبينه نبى) لم تقع لفظة لانه فى الصحيحين ولذا قال السيوطى ليس الخ بيان لجهة الاولوية وقال الحافظ قوله ليس بينى وبينه نبى هذا أورده كالشاهد لقوله انه أقرب الناس اليه وتبعه المصنف وفى رواية لهما والانبياء اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد والعلات بفتح المهملة الضرائر وأصله ان من تزوج امرأة ثم أخرى كأنه عل منها بعدما كان ناهلا من الاخرى والعلل الشرب بعد الشرب وأولاد العلات الاخوة من الاب وأمهاتهم شتى فقوله أمهاتهم الخ من باب التفسير كقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ومعنى الحديث ان أصل دينهم واحد وهو التوحيد وان اختلفت فروع الشرائع وقيل المراد ان أزمنتهم مختلفة (وهذا فيه رد على من زعم انه بعث بعد عيسى نبي يقال له خالد بن سنان) العبسى (كما حكاه القاضى) عياض وفى نسخة القضاعى (وغيره) وفى فتح البارى استدل به على انه لم يبعث بعد عيسى أحد الا نبينا صلى الله عليه وسلم وفيه نظر لانه ورد ان الرسل الثلاثة الذين أرسلوا الى أصحاب القرية

ابن صيفي بن صهيب عن أبيه عن جده ولا يثبت ما فى هذا الاسناد والسمن حار رطب فى الاولى وفيه جلاء يسير ولطافة وتفشية للاورام الحادثة من الابدان الناعمة وهو أقوى من الزبد فى الانضاج والتليين وذكر جالينوس انه أبرأ به الاورام الحادثة فى الاذن وفى الارنبة واذا دلك به موضع الاسنان نبتت سريعا واذا خلط مع عسل ولوز مر جلا ما فى الصدر والرئة والكيموسات الغليظة اللزجة الا انه ضار بالمعدة سيما اذا كان مزاج صاحبها بلغميا وأما سمن البقر والمعز فانه اذا شرب مع العسل نفع من شرب السم القاتل ومن لدغ الحيات والعقارب وفى كتاب ابن السنى عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه قال لم يستشف الناس بشئ أفضل من السمن * سمك روى الامام أحمد بن حنبل وابن ماجه فى سننه من حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال أصناف السمك كثيرة وأجوده ما لذ طعمه وطاب ريحه وتوسط مقداره وكان رقيق القشر ولم يكن صلب اللحم ولا يابسه وكان فى ماء عذب جار على الحصباء ويغتذي بالنبات لا الاقذار وأصلح أماكنه ما كان فى

المذكورة قصتهم فى سورة يس كانوا من اتباع عيسى وان جرجيس وخالد بن سنان كانا نبيين وكانا بعد عيسى والجواب ان هذا الحديث يضعف ما ورد من ذلك فانه صحيح بلا تردد وفى غيره مقال أو المراد انه لم يبعث بعد عيسى نبى بشريعة مستقلة وانما بعث بعده بتقرير شريعة عيسى (والمقصود ان الله بعث محمدا على فترة من الرسل وطموس) مصدر طمس محى ودرس (من السبل) أى ذهاب الشرائع وعدم العلم بشئ منها (وتغير الاديان) بتحريف ما يدل عليها وتبديله (وكثرة عبادة الاوثان والنيران والصلبان) جمع صليب للنصارى (فكانت النعمة به أتم والنفع به أعم وفى حديث عند الامام أحمد مرفوعا ان الله نظر الى أهل الارض) نظر غضب (فمقتهم) أبغضهم أشد البغض لقبح ما ارتكبوه والمراد من هذا ونحوه غايته (عجمهم) بفتحتين وفى لغة بضم فسكون خلاف العرب (وعربهم الا بقايا من بنى اسرائيل) فلم يمقتهم لتمسكهم بالحق (وفى لفظ مسلم من أهل الكتاب) بدل قوله من بنى اسرائيل ومعناهما واحد (فكان الدين قد التبس على أهل الارض كلهم حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهدى به الخلائق وأخرجهم الله به من الظلمات) الكفر (الى النور) الايمان (وتركهم على المحجة) بفتح الميم (البيضاء) أى الطريقة الواضحة ببيانه لهم الحق من الباطل (والشريعة الغراء صلوات الله وسلامه عليه) قال الامام الرازى كان العالم مملوأ من الكفر والضلال اما اليهود فكانوا فى المذاهب الباطلة من التشبيه والافتراء على الانبياء وتحريف التوراة واما النصارى فقالوا بالتثليث والابن والاب والحلول والاتحاد واما المجوس فأثبتوا الهين واما العرب فانهمكوا فى عبادة الاصنام والفساد فى الارض فلما بعث صلى الله عليه وسلم انقلبت الدنيا من الباطل الى الحق ومن الظلمة الى النور وانطلقت الالسنة بتوحيد الله فاستنارت العقول بمعرفة الله ورجع الخلق من حب الدنيا الى حب المولى انتهى (وقال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم) بضم الفاء فى قراءة الجمهور أى منكم وقرئ شاذا بفتح الفاء أى من خياركم وأشرفكم وأخرج ابن مردويه عن أنس قال قرأ النبى صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من أنفسكم بفتح الفاء وقال انا أنفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح كلنا نكاح (عزيز) شديد (عليه ما عنتم حريص عليكم) ان تهتدوا (بالمؤمنين رؤف) شديد الرحمة (رحيم) يريد لهم الخير والرأفة مع الرحمة حيث وقعت مقدمة لا للفاصلة كما قال البيضاوى ومن تبعه لوقوعه كذلك فى غير الفواصل قال تعالى وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة بل لان أصل معنى الرأفة التلطف والشفقة كما صرح به القرطبى فى شرح الاسماء فقال قال الله تعالى وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه الآية حيث ذكر الوصفان قدم الرؤف على الرحيم فى الذكر وسببه أن الرحمة فى الشاهد انما تحصل بمعنى المرحوم من فاقته وضعفه وحاجته والرأفة تطلق عندنا على ما يحصل الرحمة من شفقة على المرحوم وقال المشايخ الرؤف المتعطف والذى جاد بلطفه ومن بعطفه انتهى (أى عزيز عليه عنتكم أى اثمكم بالشرك والمعاصى) بيان للمراد بالعنت والا فهو لغة المشقة والخطأ (قال الحسن) البصرى (عزيز عليه أن تدخلوا النار) من عز اذا صعب وشق قال الشاعر * يعز علينا أن نفارق من نهوى * (حريص عليكم أن تدخلوا الجنة) والحرص فرط الشدة أو الشح على الشئ أن يضيع والمراد هنا شدة الطلب لما يريده ويحبه (ومن حرصه صلى الله عليه وسلم علينا) على الرفق بنا (انه لم يخاطبنا بما يريد ابلاغه الينا و) يريد (فهمنا اياه على قدر منزلته) بأن يأتى بالالفاظ المتناهية فى البلاغة والغرابة خشية عدم فهمنا المراد منها (بل على قدر منزلتنا) بالالفاظ المتداولة بين الناس وان نزلت فى الرتبة عن غيرها السهل فهمها علينا ويتضح المراد منها (والى هذا أشار صاحب البردة بقوله لم يمتحنا) لم يبتلنا (بما) أى بخطاب (تعيا العقول) أى تقصر عن

ثم رجيد الماء وكان يأوى الى الاماكن الصخرية ثم الرملية والمياه الجارية العذبة التى لاقذر فيها ولا حماة الكثيرة الاضطراب والتموج المكشوفة للشمس والرياح والسمك البحرى فاضل محمود لطيف والطرى منه بارد رطب عسر الانهضام يولد بلغما كثيرا الا البحرى وما جرى مجراه فانه يولد خلطا محمودا وهو يخصب البدن ويزيد فى المنى ويصلح الامزاج الحارة وأما المالح فأجوده ما كان قريب العهد بالتملح وهو حار يابس وكلما تقادم عهده ازداد حره ويبسه والسلور منه كثير اللزوجة ويسمى الجرى واليهود لا تأكله واذا أكل طريا كان ملينا للبطن واذا ملح وعتق وأكل صفى قصبة الرئة وجود الصوت واذا دق ووضع من خارج أخرج السلا والفضول من عمق البدن من طريق ان له قوة جاذبة وماء ملح الجرى المالح اذا جلس فيه من كانت به قرحة الامعاء فى ابتداء العلة وافقه بجذبه المواد الى ظاهر البدن واذا احتقن به ابرأ من عرق النسا وأجود ما فى السمك ما قرب من مؤخرها والطرى السمين منه يخصب البدن لحمه وودكه فى الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال بعثنا

فهمه لغموضه فلا نهتدي الى المراد (به حرصا علينا) أن لا نضل (فلم نرتب ولم نهم أي لم نتحير) تفسير لنرتب (ولم نشك فيما ألقاه الينا) بل تحققناه لسهولته (وقال تعالى وما أرسلناك الا رحمة) أي للرحمة (للعالمين) الانس والجن وغيرهم (ولا رحمة مع التكليف بما لا يفهم) بل هو عقاب (ومن حرصه عليه السلام على هدايتنا انه كان كثيرا ما يضرب المثل بالمحسوس ليحصل الفهم) كقوله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير من أن يكون لك حمر النعم (وهذه سنة القرآن) عادته المستمرة ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما (ومن تتبع الكتاب والسنة رأى من ذلك العجب العجاب) البالغ فيما يتعجب منه لاشتماله على الاشياء البالغة في زيادة البيان والايضاح والرفق بالمؤمنين (ولما ساوى سبحانه وتعالى بين الناس) مؤمنهم وكافرهم (في حرص رسوله عليه السلام على اسلامهم خص المؤمنين برأفته ورحمته لهم) المستفاد من التقديم كانه قيل بالمؤمنين لا بغيرهم (وقال من أنفسكم ولم يقل من أرواحكم فقيل يحتمل أن يكون مراده) على مغايرة النفس للروح (انه منا بجسده المنفس) بالتشديد للمبالغة أي المكرم ولرعاية (لا بروحه المقدس) المطهر وان كان أصل المنفس بالتخفيف (ويرحم الله القائل اذا رمت) قصدت (مدح المصطفى شغفا) ولوعا (به * ومحبة له (تبلد) من البلادة عدم الذكاء والفطنة أي انكسرت حدة (ذهني) ويردعن الاوصاف اللائقة بمقامه وفي نسخة تبدد أي تفرق (هيبة لمقامه) لاني أرى الاوصاف قاصرة عنه فيعلوني الخجل عند ارادة مدحه (فأقطع ليلي ساهر الجفن) أي جنسه (مطرقا *) بكسر الراء وفتحها (هوى) القصر أي ميلا (فيه أحلى من لذيذ منامه) اذ السهر في هوى المحبوب ألذ (اذا قال فيه الله جل جلاله * رؤف رحيم) وهما من أسمائه (في سياق كلامه) ومعنى اذا الظرفية المجردة لا الشرط لان القول تحقق من الله فلا يليق جعله مستقبلا ويجوز ان اذا منون أي لاجل هذا (فمن ذا يجاري) يأتي بما يشابه (الوحي) بثنائه على المصطفى نثرا أو نظما (والوحي معجز * بمختلفيه) بالفاء متعلق بيجاري (نثره ونظامه) أي نظمه والمعنى ان الوحي معجز للكلام نثرا كان أو نظما فلا يمكن مشابهته لاحد * (تنبيه) * ايقاظ وتبيين (وأما قول القاضي عياض بعد ذكره الآية) لقد جاءكم (في الشفاء ما لفظه أعلم الله تعالى المؤمنين أو العرب أو أهل مكة أو جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه ويتحققون مكانته ويعلمون صدقه وامانته ولا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم يكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة أو قرابة وكونه من أنفسهم وارفعهم وأفضلهم على قراءة الفتح (ثم وصفه بعد) أي بعد الاعلام المذكور (بأوصاف حميدة) أي محمودة عند الله والناس أو حامدة على التجوز في النسبة (وأثنى عليه بمحامد) جمع محمدة (كثيرة) والثناء بها لا يغاير الوصف بصفات حميدة ولا يعاب مثله في مقام الخطابة مع انه لما كانت أوصاف جمع قلة عقبه بجمع الكثرة دفعا للايهام والاول مطابق لظاهر الآية والثاني لما تضمنته مما لا يحصى (من حرصه) بيان لما قبله من الاوصاف وما بعده أي من فرط شدته (على هدايتهم) أي دلالتهم والمراد طلب تأثيرها لا مجردها (ورشدهم) أي صلاحهم ظاهرا او باطنا ليغاير الهداية كما يقتضيه ظاهر العطف فلا يفسر بضد الغي لانه الهداية (واسلامهم) مغاير لما قبله فلذا عطف بالواو وجعل ذلك كله متعلق الحرص لدلالة السياق عليه ولقوله ان تحرص على هداهم فالقرآن يفسر بعضه بعضا والحرص لا يتعلق بالذوات فان قيل لم قدم عياض هذه الصفة وهي حريص عليكم مع تأخرها في الآية أجيب بأنه لما كانت العزة منشأ لحرصه قدمت في الآية على وفق الواقع لبيان حاله في ابتداء أمره فلما حكاه عياض بيانا للمحامد قدم

رضي الله عنه فأتينا الساحل فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط فألقى لنا البحر حوتا يقال لها عنبر فأكلنا منه نصف شهر وائتدمنا بودكه حتى ثابت أجسامنا فأخذ أبو عبيدة ضلعا من أضلاعه وحمل رجلا على بعيره ونصبه فمر تحته * سلق روى الترمذي وأبو داود عن أم المنذر قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي رضي الله عنه ولنا دوال معلقة قالت فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل وعلي معه يأكل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه يا علي فانك ناقه قالت فجعلت لهم سلقا وشعيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا علي فأصب من هذا فانه أوفق لك قال الترمذي حديث حسن غريب السلق حار يابس في الاولى وقيل رطب فيها وقيل مركب منهما وفيه برودة ملطفة وتحليل وتفتيح وفي الاسود منه قبض ونفع من داء الثعلب والكلف والحزاز والثآليل اذا طلي بمائه ويقتل القمل وتطلى به القوباء مع العسل ويفتح سدد الكبد والطحال وأسوده يعقل البطن ولا سيما مع العدس وهما رديئان والابيض يلين مع العدس ويحقن بمائه للاسهال وينفع

انقصود بالذات الذى هو الحمد أولان المقام مقام مدح وهو فى الحرص أتم وأ كمل وسياق الآية للامتنان وهو كونه يعز عليه حالهم فأشار الى تفاوت المقامين ولا يرد أن المنة فى الحرص أتم لان مسلك الآية على الترقى وما هنا بخلافه للتفنن (وشدة ما يعنتهم) روى بسكون العين وخفة النون من الاعنات قال الله تعالى ولو شاء الله لاعنتكم و روى بفتح العين وتثقيل النون وهما لغتان أعنت وعنت بمعنى المشقة والوقوع فيها و يجى بمعنى الاثم والفساد والهلاك (و يضر بهم) بفتح الياء وضم الضاد وروى بضم الباء وكسر الضاد مضارع أضر ١ لانه يقال ضره وأضر به ومعناهما أوقعه فى الضرر (فى دنياهم وأخراهم) الدنيا تقال فى مقابل آخرة وأخرى كما عبر به (وعزته عليه) عطف تفسير على شدة كقوله انما أشكو بثى وحزنى وكان المناسب لعطف التفسير تأخير الاشهر الاظهر فيقول عزته وشدته لكنه عكس للمبادرة للمراد حتى يسلم السامع من عنت الانتظار ولا حاجة لجعل الشدة غير العزة للتنازع فى عليه فان التفسير لا ينافى التنازع و بقية كلام عياض ورأفته ورحمته بمؤمنيهم (فهو وان كان المقصد منه صحيحا فى ظاهره شئ لانه يوهم أن قوله وشدة ما يعنتهم معطوف على متعلق المصدر الذى هو الحرص) بيان للمصدر ومتعلقه قوله على هدايتهم (فيكون مخفوضا به) فيصير المعنى من حرصه على شدة ما يعنتهم وهذا فاسد (ومما يقوى هذا التوهم قوة اعطاء الكلام أن الضمير الاول من قوله وعزته عليه عائد على النبى صلى الله عليه وسلم والضمير الثانى عائد على الله تعالى فلا تبقى الشدة الا أن تكون معطوفة على متعلق المصدر) أى قوله على هدايتهم (ولا يخفى ما فى هذا) من الفساد الموهم خلاف المراد (وقد تأوله بعض العلماء على حذف مضاف) مجرور معطوف على الحرص المجرور بمن (أى وكراهة شدة ما يعنتهم ونحو ذلك) من المضافات المصححة للمراد قال فى النسيم لا حاجة الى تقدير لان معنى شدته عليه انه صعب شاق عليه فيراد به انه مكروه تأباه نفسه فالمعنى من حرصه على هدايتهم ومن كراهته لما يضرهم وصاحب المواهب لم يخف عليه العطف ولكن أوقعه التقدير فيما وقع فيه انتهى وكأنه لم ير بقية الكلام وهو قوله (والاولى) من تأويله على حذف مضاف (أو الصواب) على ابقائه على ظاهره (ان شاء الله تعالى أن تكون الشدة معطوفة على نفس المصدر الذى هو الحرص) وكان هذا أولى من تقدير المضاف لما فيه من الاحتياج لتقدير الاصل عدمه (و يكون قوله وعزته معطوفا على وشدة والضمير فيه راجع الى الموصول وهو ما فى قوله ما يعنتهم) أى الذى (والهاء الثانية فى عليه عائدة على النبى صلى الله عليه وسلم انتهى) والمعنى وصفه وأثنى عليه بمحامد من شدة الذى يعنتهم وعزة الذى يعنتهم على المصطفى (وقال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين يجوز أن يكون) قوله (رحمة مفعولا له) أى لاجل الرحمة وللعالمين متعلق به أى الا لترحم بك العالمين بهدايتك اياهم لسعادة الدارين وفى الصحيح قيل يا رسول الله ادع على المشركين فقال انى لم أبعث لعانا انما بعثت رحمة (و يجوز أن ينتصب على الحال) من الكاف (مبالغة فى أن جعله نفس الرحمة واما على حذف مضاف أى ذا رحمة) وليس للعالمين متعلقا بأرسلنا لان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها الا فى الاستثناء المفرغ نحو ما مررت الا بزيد ٢ والمعنى الا لارحم العالمين بالبناء للفاعل لا للمفعول كما زعم (أو بمعنى راحم) اسم فاعل (قاله السمين) الشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبى النحوى نزيل القاهرة مات سنة ست وخمسين وسبعمائة له

---

١ قوله لانه يقال الخ هكذا فى النسخ ومقتضاه تعين الضبط الثانى فى المصنف فيكون من أضر لانه الذى يتعدى بالباء دون ضر لكن فى القاموس أن ضر يتعدى بنفسه و بالباء وعليه فالضبطان هنا ظاهران تأمل اه مصححه

٢ قوله والمعنى الخ انظر ما موقع هذه العبارة هنا وتأمل اه مصححه

من القوانيج مع المرى والتوابل وهو قليل الغذاء ردىء الكيموس يحرق الدم و يصلحه الخل والخردل والاكثار منه يولد القبض والنفخ

(حرف الشين)

شونيز هو الحبة السوداء وقد تقدم فى حرف الحاء *شبرم روى الترمذى وابن ماجه فى سننهما من حديث أسماء بنت عميس قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا كنت تستمشين قالت بالشبرم قال حار بار * الشبرم شجر صغير وكبير كقامة الرجل وأرجح له قضبان حمر ملمعة ببياض وفى رؤس قضبانه جمة من ورق وله نور صغار أصفر الى البياض يسقط ويخلفه مراود صغار فيها حب صغير مثل البطم فى قدره أحمر اللون ولها عروق عليها قشور حمر والمستعمل منه قشر عروقه ولبن قضبانه وهو حار يابس فى الدرجة الرابعة ويسهل السوداء والكيموسات الغليظة والماء الاصفر والبلغم مكرب مغث والاكثار منه يقتل و ينبغى اذا استعمل أن ينقع فى اللبن الحليب يوما وليلة و يغير عليه اللبن فى اليوم مرتين أو ثلاثا ويخرج و يجفف فى الظل و يخلط معه الورد والكثيرا و يشرب بماء العسل أو عصير العنب والشربة منه ما بين أربع

اعراب القرآن وأيضا تفسير كبير فى عدة أجزاء (قال أبو بكر بن طاهر) بن مفوز بن أحمد بن مفوز المعافرى الشاطبى كما جزم به البرهان الحلبى فى المقتفى والشمنى وغيرهما (فيما حكاه القاضى عياض فى الشفاء (زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة) استعارة مكنية بجعلها كالحلة والخلعة البهية والزينة ما يتزين به لباسا وغيره واضافته للرحمة بيانية أو من اضافة الاعم للاخص ٢ كلجين الماء وقيل الزينة هنا اللباس أى ألبسه الله رحمة رحمانية شاملة له وفيه اشارة الى انها امنة من الله بها عليه غير الحلية البشرية (فكان كونه) أى وجوده فهى تامة لا خبر لها وتقدير من ربنا قبيح (رحمة) خبر فكان والفاء فيه للتفسير والتفصيل (وجميع شمائله) جمع شمال بالكسر قال الازهرى الشمال خلقة الرجل أى خلقه وجمعه شمائل ورجل كريم الشمائل أى فى اخلاقه ومخالطته انتهى فعطف (وصفاته رحمة) عام على خاص اذ لم يخصص الصفات بالظاهرة والشمائل بخلافها وقال شراح الشفاء صفاته تشمل غضبه وظاهر مرآه لانه لا يغضب لنفسه وانما يغضب لله وغضبه للاصلاح وهو رحمة فى ذاته وأما مرآه الحسن فانه لمحبته والتصديق به ألا ترى ان عبد الله بن سلام لما رآه آمن به وقال لما رأيت وجهه عرفت انه ليس بوجه كذاب (فمن أصابه شئ من رحمته) أى اهتدى بهدايته لان من لم يهتد كمن لم تصبه الرحمة كما أن من شرب الماء ولم يروَ كأنه لم يشرب (فهو الناجى) أى السالم (فى الدارين) الدنيا والآخرة (من كل مكروه) يصيب من لم يهتد فى الدنيا كقتل وسبى وأخذ جزية وفى الآخرة العذاب المخلد وأما أسقام الدنيا وآلامها التى تصيب المؤمن فلا تعد مكروهة بعد العلم بما فيها من تكفير السيآت ونيل الحسنات (والواصل فيهما الى كل محبوب) أما فى الآخرة فغنى عن البيان وأما فى الدنيا فان كان ذا غنى ونعمة فظاهر والا فالمؤمن العاقل اذا صبر وقام بوظائف العبودية فى دنيا سريعة الزوال كان ما أصابه من المكروه لايصاله للنعم الاخروية محبوبا عنده (انتهى) كلام ابن طاهر (وقال ابن عباس رحمة للبر) أى المؤمن (والفاجر) أى الكافر (لان كل نبى) ممن سبق (اذا كذب) بشد الذال مبنى للمجهول (أهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم أخر من كذبه الى الموت أو الى القيامة) فتأخير عذاب الدنيا عنهم بنحو الاستئصال والخسف والمسخ والعذاب النازل من السماء رحمة فلا يرد عليه من قتل من الكفار فى غزوات المصطفى (وأما من صدقه) أى آمن به (فله الرحمة فى الدنيا والآخرة) وان عذب العاصى فمآله الى الجنة مع خفة عذابه عن الكفار بمراحل بل لا مشابهة وعن ابن عباس أيضا عند الطبرى وغيره هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الامم الكاذبة (وقال) أبو الليث (السمرقندى) نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم الفقيه الحنفى الامام المشهور وله التصانيف كالتفسير والنوازل وخزانة الفتاوى وتنبيه الغافلين والبستان توفى سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة منسوب الى سمرقند مدينة بفارس بما وراء النهر قال التلمسانى المصحح فى النسخ بفتح السين والراء وسكون الميم والمعروف فتح الميم وسكون الراء وتبع قول المجد اسكان الميم وفتح الراء لحن وفيه نظر وهو معرب شمر كند وشمر اسم رجل وكند بمعنى قرية (رحمة للعالمين يعنى الجن والانس) تفسير للآية بجنس العقلاء من الثقلين بقرينة جمع المذكر السالم وان كان جمع عالم وهو كل ما يعلم به الصانع من العقلاء وغيرهم فالمفرد أعم من جمعه فخص ثم جمع بجعله صفة أو ملحقا بها لان فاعل بالفتح اسم آلة كالخاتم والقالب وقيل غلب العقلاء أو جعل اسما للذى العلم من الثقلين أو هما والملك أو الانس (وقيل لجميع الخلق) مقابل لما اختاره قال

٢ قوله كلجين الماء الخ لا يظهر كونه مثالا لما قبله فلعل فى العبارة سقطا والاصل أو من اضافة المشبه به للمشبه كلجين الماء الخ فتدبر اه مصححه

دوائى الى دانقين على حسب القوة وقال حنين أما ابن الشبرم فلا خير فيه ولا أرى شربه البتة فقد قتل به أطباء الطرقات كثيرا من الناس * شعير روى ابن ماجه من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخذ أحدا من أهله الوعك أمر بالحساء من الشعير فصنع ثم أمرهم فحسوا منه ثم يقول انه ليرتو فؤاد الحزين ويسرو فؤاد السقيم كما تسرو احداكن الوسخ بالماء عن وجهها ومعنى يرتوه يشده ويقويه ويسرو يكشف ويزيل وقد تقدم ان هذا هو ماء الشعير المغلى وهو أكثر غذاء من سويقه وهو نافع للسعال وخشونة الحلق صالح لقمع حدة الفضول مدر للبول جلاء لما فى المعدة قاطع للعطش مطفئ للحرارة وفيه قوة يجلو بها ويلطف ويحلل وصفته انه يؤخذ من الشعير الجيد المرضوض مقدار ومن الماء الصافى العذب خمسة أمثاله ويلقى فى قدر نظيف ويطبخ بنار معتدلة الى أن يبقى منه خمساه ويصفى ويستعمل منه مقدار الحاجة محلى * شوى قال الله تعالى فى ضيافة خليله ابراهيم عليه السلام لاضيافه فما لبث أن جاء بعجل حنيذ والحنيذ المشوى على الرضف وهى الحجارة المحماة وفى الترمذى عن أم سلمة

الشريف الجرجاني يطلق على كل جنس لا فرد فهو للقدر المشترك بين الاجناس فيصح اطلاقه على كل جنس وعلى مجموعها واذا عرف بلام الاستغراق شمل كل فرد من جنس كالاقاويل فمن فسره بجميع الخلق فعلى الاصل ومن فسره بالانس والجن فعلى بعض الوجوه أو خصه لانه صلى الله عليه وسلم مبعوث اليهما ومن فسره بالمؤمن والكافر أراد أنه يشملهما الا أن معناه ذلك انتهى وآخذ في بيان ما به تكون الرحمة على مختاره فقال (للمؤمنين) بدل من للعالمين أو متعلق بمقدر أي ارسله وعلى الاول وهو الظاهر هو بيان لمختاره وعلى الثاني يصلح لهما وفي نسخة للمؤمن بالافراد (رحمة بالهداية) الزائدة على هداية الايمان أو لمن قدر ايمانه (ورحمة للمنافقين) وفي نسخة للمنافق بالافراد على ارادة الجنس (بالامان من القتل) مطلقا بخلاف الكافر فانما يأمن بجزية أو أمان (ورحمة للكافرين) وفي نسخة بالافراد (بتأخير العذاب) لما بعد الموت وأما عذاب الدنيا بالقحط وغيره فلا يختص بطائفة أو المراد الاستئصال والمسخ والخسف والزنديق سواء أدخل في المنافق أو الكافر عذابه مؤخر أيضا فالظاهر اشتراكهما فيه وتمييز المنافق باجراء أحكام الاسلام عليه ظاهر أو يقال أراد في كل قسم ذكر رحمة مخصوصة من غير تخصيص (فذاته عليه السلام رحمة تعم المؤمن والكافر كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) لان العذاب اذا نزل عم ولم تعذب أمة الا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها (وقال عليه الصلاة والسلام انما أنا رحمة مهداة) بضم الميم معطاة من الله بلا عوض (رواه الديلمي والبيهقي في الشعب) للايمان (من حديث أبي هريرة) ورواه الحاكم وصححه على شرطهما وأقره الذهبي ومر شرحه في الاسماء الشريفة (وقال بعض العارفين الانبياء كلهم خلقوا من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة) أعلاها وأجلها (ولقد أحسن القائل

غنيمة عمر الكون بهجة عيشه * سرور رخياة الروح فائدة الدهر

هو النعمة العظمى هو الرحمة التي * تجلى بها الرحمن في السر والجهر)

ومعنى البيتين ظاهر (فبيانه) أي ظهوره أو تبيينه (عليه السلام ونصحه رحمة) أي كل واحد منهما (ودعاؤه واستغفاره) كل منهما (رحمة) سواء في حياته وبعد مماته كما قال صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم ومماتي خير لكم أما حياتي فأبين لكم السنن وأشرع لكم الشرائع وأما موتي فان أعمالكم تعرض علي فما رأيت منها حسنا حمدت الله وما رأيت منها سيئا استغفرت الله لكم رواه البزار وغيره بسند جيد (فرزق ذاك من قبله) بأن آمن به وان عاصيا (وحرمه من رده) فلم يؤمن به نسأل الله الثبات على الايمان (فان قلت كيف كان رحمة وقد جاء بالسيف) قال تعالى جاهد الكفار أي بالسيف (واستباحة الاموال) بالغنائم التي لم تحل لاحد قبله ومنها استرقاق الذراري والنساء (فالجواب من وجهين أحدهما أنه انما جاء بالسيف لمن استكبر وعاند ولم يتفكر ولم يتدبر) فعذابه انما جاء من نفسه كعين جرت فانتفع بها قوم وكسل آخرون فهي رحمة لهما وهو صلى الله عليه وسلم لم يرد ضرر الاحد وقد اجتهد في نفع كل أحد وايصال تلك الرحمة اليه ولكن من يضلل الله فما له من هاد (ومن أوصاف الله تعالى الرحمن الرحيم ثم هو منتقم من العصاة) ولا تنافي بين الوصفين فكذا لا تنافي بين بعثه بالسيف وكونه رحمة (وقال تعالى ونزلنا من السماء ماء) مطرا (مباركا) كثير البركة والمنافع (ثم قد يكون سببا للفساد) باهلاك الزرع وغيره والقصد أنه لا مانع من وصف الشيء بالشيء وضده لاختلاف من يقع عليه الامران (وثانيهما أن كل نبي من الانبياء قبل نبينا اذا كذبه قومه أهلك الله المكذبين بالخسف) كقارون (والمسخ) قردة كأصحاب ايلة بدعاء داود وخنازير كأصحاب المائدة بدعاء عيسى قال تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم الآية (والغرق) كقوم نوح وفرعون وقومه وبالريح العاصف فيها حصباء

توضأ قال الترمذي حديث صحيح وفيه أيضا عن عبد الله بن الحرث قال أكلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شواء في المسجد وفيه أيضا عن مغيرة بن شعبة قال ضفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأمر بجنب فشوى ثم أخذ الشفرة فجعل يحز لي بها منه قال فجاء بلال يؤذن للصلاة فالقى الشفرة فقال ماله تربت يداه أنفع الشوى شوى الضأن الحولي ثم العجل اللطيف السمين وهو حار رطب الى اليبوسة كثير التوليد للسوداء وهو من أغذية الاقوياء والاصحاء والمرتاضين والمطبوخ أنفع وأخف على المعدة وأرطب منه ومن المطجن وأردؤه المشوي في الشمس والمشوي على الجمر خير من المشوي باللهب وهو الحنيذ * شحم ثبت في المسند عن أنس أن يهوديا أضاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم له خبز شعير واهالة سنخة والاهالة الشحم المذاب والالية والسنخة المتغيرة وثبت في الصحيح عن عبد الله ابن مغفل قال دلي جراب من شحم يوم خيبر فالتزمته وقلت والله لا أعطي أحدا منه شيئا فالتفت

كقوم لوط و بالصيحة كثمود قال تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا (وقد أخر الله عذاب من كذب نبينا الى الموت أو الى يوم القيامة) فتأخيره رحمة لانه لم يجمع عليهم عذابين كالامم السابقة (لا يقال انه تعالى قال قاتلوهم يعذبهم الله) يقتلهم (بأيديكم ويخزهم) أي يذلهم بالاسر والقهر (وقال تعالى ليعذب الله المنافقين) والمنافقات والمشركين والمشركات (لانا نقول تخصيص العام) وهو العالمين من رحمة للعالمين ببعض افراده وهو المنافق والمشرك (لا يقدح فيه) لانه يكفي في عمومه صدقه على غير ما خصص به (وفي الشفاء القاضي عياض وحكى) بالبناء للمجهول كما قال البرهان (أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل أصابك من هذه الرحمة شئ) فيه اشارة الى أنه مرحوم مقرب وانما السؤال عن رحمة نالته من رحمة المصطفى كما أفاده اسم الاشارة (قال نعم كنت أخشى العاقبة) أي سوءها او المراد بالعاقبة السيئة بجعل التعريف للعهد بقرينة الخشية فانها بمعنى الخوف وانما يكون في المكروه والعاقبة ما يعقب الشئ ويحصل منه خيرا كان أو شرا (فأمنت) بفتح الهمزة المقصورة وكسر الميم الخفيفة مبنى للفاعل من الامن ضد الخوف وضبطه بضم الهمزة مبنى للمفعول خلاف المشهور ثم ان كان بشد الميم فظاهر وان كان بتخفيفها فركيك جدا لانه ان كان من ضد الخيانة فلا يناسب المقام أو من الامن فكذلك لان مفعوله الثاني من المعاني لا الذوات فيحتاج لتقدير وحذف أي أمنت سوء عاقبتي ولا داعي له (لثناء الله تعالى على بقوله) انه لقول رسول كريم (ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين) عند الله في علمه أو في حكمه وقضائه لان ثناءه يقتضي رضاه وقبوله وهو لا يرضى و يقبل الامن كان مرحوما مقربا فلما علم ذلك من القرآن الذي هو رحمة نازلة بالمصطفى اطمأن خاطره وأمن سوء الخاتمة (انتهى) نقل عياض قال السيوطي ولم أجده مخرجا في شئ من كتب الحديث (وذكر السمرقندي في تفسيره بلفظ وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل يقول الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فهل أصابك من هذه الرحمة شئ قال نعم كنت أخشى عاقبة الامر) أي خاتمته (فامنت بك لثناء الله تعالى على في قوله ذي قوة عند ذي العرش مكين) ولا يعارض هذا ما روى ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قال ومالي لا أبكي فوالله ما جفت لي عين منذ خلق الله النار مخافة أن أعصيه فيقذفني فيها أخرجه أحمد في الزهد عن أبي عمران الجوني بلاغا وأخرج أبو الشيخ عن عبد العزيز بن أبي داود قال نظر الله الى جبريل وميكائيل وهما يبكيان فقال الله ما يبكيكما وقد علمتما اني لا أجور فقالا يارب انا لا نأمن مكرك قال هكذا فافعلا فانه لا يأمن مكري الا كل خاسر لانه كلما ازداد القرب زاد الخوف فالمقرب لا يزال خائفا ممن يهابه أولانه من عظمة الله تعالى قد يذهل عن الامان (وهذا يقتضي أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل من جبريل وهو الذي عليه الجمهور) بل حكى الرازي عليه الاجماع وكذا ابن السبكي والبلقيني والزركشي وقال انهم استثنوه من الخلاف في التفضيل بين النبي والملك (خلافا لمن زعم) وهو الزمخشري في الكشاف (أن جبريل أفضل) وقد قال بعض علماء المغاربة جهل الزمخشري مذهبه فان المعتزلة مجمعون على انه أفضل من جبريل نعم قيل ان طائفة منهم خرقوا الاجماع كالرماني فتبعهم الكشاف جهلا (واستدل بأن الله وصف جبريل بسبعة أوصاف من أوصاف الكمال في قوله انه لقول رسول كريم) أي جامع لانواع الخير ففيه شهادة له بعلو الرتبة وليس المراد كريم عند مرسله كما قيل به في التي الى كتاب كريم وان أجيز هنا لاستغنائه عنه بعند ذي العرش (ذي قوة) على تبليغ ما حمله من الوحي وعلى اقتلاع المدائن والجبال واهلاك صيحته كل من سمعها وهبوطه الى الارض وصعوده في طرفة عين الى غير

فأذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ولم يقل شيأ أجود الشحم ما كان من حيوان مكتمل وهو حار رطب وهو أقل رطوبة من السمن ولهذا لو أذيب الشحم والسمن كان الشحم أسرع جمودا وهو ينفع من خشونة الحلق ويرخي ويعفن ويدفع ضرره بالليمون المملوح والزنجبيل وشحم المعز أقبض الشحوم وشحم التيوس أشد تحليلا وينفع من قروح الامعاء وشحم العنز أقوى في ذلك ويحتقن به للسحج والزحير

(حرف الصاد)

صلاة قال الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين وقال تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وفي السنن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وقد تقدم ذكر الاستشفاء بالصلاة من عامة الاوجاع قبل استحكامها * والصلاة مجلبة للرزق حافظة للصحة دافعة للاذى مطردة للادواء مقوية للقلب مبيضة للوجه مفرحة للنفس مذهبة للكسل منشطة للجوارح ممدة للقوى شارحة

ذلك (عند ذي العرش) صفة مستقلة عنده لانه عدها سبعا الا متعلقة بما قبله ولا بما بعده والا فهي ستة وقد عدها الرازي ستة فعلقها بما قبلها (مكين) أي متمكن المنزلة عند ربه رفيع المحل عنده (مطاع ثم) أي في السماء (أمين) على الوحي (ووصف محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله وما صاحبكم بمجنون) كما تبهته الكفرة (ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم مساويا لجبريل في صفات الفضل أو مقاربا له لكان وصف محمد أمثل ذلك) قال البيضاوي وهو استدلال ضعيف اذ المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر أفترى على الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما (وأجيب بأنا متفقون على أن لمحمد صلى الله عليه وسلم فضائل أخرى) القرآن طافح بها ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ان تطيعوه تهتدوا قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة الى غير ذلك (سوى ما ذكر في هذه الآية وعدم ذكر الله تعالى لتلك الفضائل هنا لا يدل على عدمها بالاجماع) لانه لم يقصد المفاضلة بينهما (واذا ثبت أن لمحمد صلى الله عليه وسلم فضائل أخرى زائدة) على هذه السبع التي تشدق بها جاهل المعتزلة (فيكون أفضل من جبريل) وهو اجماع حتى من المعتزلة أيضا كما مر (وبالجملة فافراد أحد الشخصين بالوصف لا يدل البتة) ٢ بقطع الهمزة (على انتفاء تلك الاوصاف عن الثاني) بل هو موصوف بها ضرورة انه لا يصح نفيها عنه (واذا ثبت بالدليل القرآني انه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين والملائكة من جملة العالمين وجب أن يكون أفضل منهم) حتى جبريل (والله أعلم) ولهذا ونحوه حذر جماعة من أكابر العلماء كالسبكي من قراءة الكشاف (وقال تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) قال ابن عطية أذهب الله بهذه الآية ما وقع في نفوس منافقين وغيرهم من تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة دعية زيد بن حارثة لانهم كانوا استعظموا أن يتزوج زوجة ابنه فنفى القرآن تلك البنوة وأعلم أنه عليه السلام ما كان أبا أحد من المعاصرين له حقيقة ولم يقصد بهذه الآية أنه لم يكن له ولد فيحتاج الى الاحتجاج في أمر بنيه بأنهم كانوا ماتوا ولا في الحسن والحسين الى أنهما ابنا بنته ومن احتج بذلك تأول معنى البنوة على غير ما قصد بها (ولكن رسول الله) وقرئ بالرفع أي هو وقرأ عاصم وأبو عمرو ونافع بالنصب عطفا على أبا ولكن بالتخفيف وقرأت فرقة لكن بالتشديد ورسول اسمها والخبر محذوف (وخاتم النبيين) بكسر التاء قراءة الجمهور بمعنى انه ختمهم أي جاء آخرهم وقرأ عاصم بفتح التاء أي انهم ختموا به فهو كالخاتم والطابع لهم (وهذه الآية نص في انه لا نبي بعده واذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق الاولى لان مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فان كل رسول نبي ولا ينعكس) فليس كل نبي رسولا (كما قدمنا ذلك في أسمائه الشريفة من المقصد الثاني وبذلك وردت الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم فروى الامام أحمد) بن حنبل (من حديث أبي بن كعب) الانصاري الخزرجي سيد القراء من فضلاء الصحابة (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثلي) مبتدأ (في النبيين) متعلق به وفي حديث جابر ومثل الانبياء بالعطف والخبر (كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة) بفتح اللام وكسر الموحدة ونون ويجوز كسر اللام وسكون الموحدة قطعة طين تعجن وتعد للبناء من غير احراق فان أحرقت فهي آجرة (لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويتعجبون) بفوقية بعد التحتية (منه) أي من حسنه وكماله (ويقولون) ودنا لو تم موضع هذه اللبنة) فلو للتمني فلا جواب لها أو جوابها محذوف لعلمه من المذكور أي اتم حسنها وكمالها (فانا في النبيين موضع تلك اللبنة) وفي رواية أحمد عن أبي هريرة ألا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك (ورواه الترمذي عن بندار) بضم الموحدة واسكان النون ودال مهملة فألف فراء بلا نقط لقب محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري

٢ قوله بقطع الهمزة فيه أن همزة أل همزة وصل ولا يقطع الا في يا الله الا أن يثبت سماعه تأمل اهـ مصححه

الصدر مغذية للروح منورة للقلب حافظة للنعمة دافعة للنقمة جالبة للبركة مبعدة من الشيطان مقربة من الرحمن وبالجملة فلها تأثير عجيب في حفظ صحة البدن والقلب وقواهما ودفع المواد الرديئة عنهما وما ابتلي رجلان بعاهة أو داء أو محنة أو بلية لا كان حظ المصلي منهما أقل وعاقبته أسلم وللصلاة تأثير عجيب في دفع شرور الدنيا ولا سيما اذا أعطيت حقها من التكميل بالاصل ظاهرا وباطنا فما استدفعت شرور الدنيا والآخرة واستجلبت مصالحهما بمثل الصلاة وسر ذلك أن الصلاة صلة بالله عز وجل وعلى قدر صلة العبد بربه عز وجل تفتح عليه من الخيرات أبوابها وتقطع عنه من الشرور أسبابها وتفيض عليه مواد التوفيق من ربه عز وجل والعافية والصحة والغنيمة والغنى والراحة والنعيم والافراح والمسرات كلها محضرة لديه ومسارعة اليه * صبر الصبر نصف الايمان فانه ماهية مركبة من صبر وشكر كما قال بعض السلف الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر قال تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد وهو ثلاثة

أبي بكر ثقة روى عنه الأئمة الستة وابن خزيمة وغيرهم مات سنة اثنتين وخمسين ومائتين وله خمس وثمانون سنة (عن أبي عامر) عبد الملك بن عمرو القيسي (العقدي) بفتح المهملة والقاف ثقة مات سنة أربع أو خمس ومائتين روى له الجميع (وقال) الترمذي (حديث حسن صحيح) عن أبي بن كعب (وفي حديث أنس بن مالك مرفوعا ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي) قيل ومن لا نبي بعده يكون أشفق على أمته كوالد ليس له غير ولد (رواه الترمذي وغيره) كالامام أحمد والحاكم باسناد صحيح (وفي حديث جابر مرفوعا) قال قال النبي صلى الله عليه وسلم (مثلي) مبتدأ (ومثل الانبياء) عطف عليه (كمثل رجل) خبر (بنى دارا فأكملها وأحسنها) وفي رواية همام عن أبي هريرة عند مسلم كمثل رجل ابتنى بيوتا فأحسنها وأجملها وأكملها (الا موضع لبنة) من زاوية من زواياها (فكان من دخلها فنظر قال ما أحسنها الا موضع هذه اللبنة) وفي رواية الشيخين فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع هذه اللبنة وفي حديث أبي هريرة ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة وفي رواية همام ألا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك قال صلى الله عليه وسلم (فأنا موضع اللبنة ختم بي الانبياء) ولمسلم جئت فختمت الانبياء (عليهم السلام) وفي حديث أبي هريرة قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين (رواه أبو داود) سليمان بن داود بن الجارود (الطيالسي) بفتح الطاء والتحتانية نسبة الى الطيالسة البصري الثقة الحافظ المصنف مات سنة أربع وقيل ثلاث ومائتين روى له مسلم والاربعة (وكذا البخاري ومسلم بنحوه) عن جابر وأخرجاه أيضا من حديث أبي هريرة وسياقه أتم وقدمه المصنف في الخصائص (وفي حديث أبي سعيد الخدري فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة رواه مسلم) فيه شئ لان مسلما لم يسق لفظه بل أحال به على حديث أبي هريرة الذي رواه من ثلاثة طرق فقال حدثنا ابن أبي شيبة وأبو كريب قالا حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل النبيين فذكر نحوه هذا لفظ مسلم وقد علمت ثبوتها في حديث أبي هريرة وأورد أن المشبه به واحد والمشبه جماعة فكيف صح التشبيه وأجيب بأنه جعل الانبياء كرجل واحد لانه لا يتم ما أراد من التشبيه الا باعتبار الكل وكذا الدار لا تتم الا باجتماع البنيان وبانه من باب التشبيه التمثيلي وهو أن يوجد وصف من أوصاف المشبه ويشبه بمثله من أحوال المشبه به فكأنه شبه الانبياء وما بعثوا به من ارشاد الناس ببيت أسست قواعده ورفع بنيانه وبقي منه موضع يتم به صلاح ذلك البيت وزعم ابن العربي أن اللبنة المشار اليها كانت في أس الدار المذكورة وأنها لولا وضعها لانقضت تلك الدار قال وبهذا يتم المراد من التشبيه المذكور قال الحافظ وهذا ان كان منقولا فحسن والا فليس بلازم نعم ظاهر السياق أن اللبنة في مكان يظهر عدم الكمال في الدار بفقدها وفي رواية مسلم الا موضع لبنة من زاوية من زواياها فظهر أن المراد أنها مكملة محسنة والا لاستلزم أن يكون الامر بدونها ناقصا وليس كذلك فان شريعة كل نبي بالنسبة اليه كاملة فالمراد هنا النظر الى الاكمل بالنسبة الى الشريعة المحمدية مع ما مضى من الشرائع الكاملة وفي الحديث ضرب الامثال للتقريب للافهام (وفي حديث أبي هريرة عند مسلم) عن النبي صلى الله عليه وسلم فضلت على الانبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا (وأرسلت الى الخلق كافة) ارسالة عامة محيطة بهم لانها اذا عمتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم (وختم بي النبيون) أي أغلق باب الوحي والرسالة وسد لكمال الدين وتصحيح الحجة فلا نبي بعده ومر الحديث في الخصائص (فمن تشريف الله تعالى له ختم الانبياء والمرسلين به واكمال الدين الحنيفي) المائل عن الباطل للحق (له وقد أخبر الله تعالى في كتابه ورسوله في السنة المتواترة عنه انه لا نبي بعده ليعلموا) أي المخبرون (أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو

أنواع صبر على فرائض الله فلا يضيعها وصبر عن محارمه فلا يرتكبها وصبر على أقضيته وأقداره فلا يسخطها ومن استكمل هذه المراتب الثلاث استكمل الصبر ولذة الدنيا والآخرة ونعيمها والفوز والظفر فيهما فلا يصل اليه أحد الا على جسر الصبر كما لا يصل أحد الى الجنة الا على الصراط قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خير عيش أدركناه بالصبر واذا تأملت مراتب الكمال المكتسب في العالم رأيتها كلها منوطة بالصبر واذا تأملت النقصان الذي يذم صاحبه عليه ويدخل تحت قدرته رأيته كله من عدم الصبر فالشجاعة والعفة والجود والايثار كله صبر ساعة

فالصبر طلسم على كنز العلى
من حل ذا الطلسم فاز بكنزه

وأكثر أسقام البدن والقلب انما تنشأ من عدم الصبر فما حفظت صحة القلوب والابدان والارواح بمثل الصبر فهو الفاروق الأكبر والترياق الاعظم ولو لم يكن فيه الا معية الله مع أهله فان الله مع الصابرين ومحبته لهم فان الله يحب الصابرين ونصره لاهله فان النصر مع الصبر وانه خير لاهله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وانه سبب الفلاح يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا

كذاب) كثير الكذب (أفاك) كذاب مبالغ فيه (دجال) كذاب قال ثعلب الدجال هو المموه يقال سيف مدجل اذا طلى بذهب وقال ابن دريد كل شئ غطيته فقد دجلته واشتقاق الدجال من هذا لانه يغطى الارض بالجمع الكثير (ضال) لم يهتد فالالفاظ الاربعة متقاربة وقد علم صلى الله عليه وسلم بذلك وأخبر به ففي الصحيحين مرفوعا لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله (ولو تحذلق) بفوقية فمهملة فمعجمة أظهر الحذق وادعى أكثر مما عنده ومثله حذلق بلا تاء (وتشعبذ) بالذال المعجمة بعد الموحدة أتى بما يرى الانسان منه ما لا حقيقة له كالسحر ويقال له أيضا شعوذ بالواو بدل الموحدة (وأتى بأنواع السحر) قال ابن فارس وهو اخراج الباطل في صورة الحق ويقال هو الخديعة وسحره بكلامه استماله برقته وحسن تركيبه وقال الامام فخر الدين هو في عرف الشرع كل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجرى مجرى التمويه والخداع قال تعالى يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى واذا أطلق ذم فاعله (والطلاسم   والنيرنجيات) بكسر النون واسكان التحتية وفتح الراء فنون ساكنة فجيم فتحتية فألف ففوقية قال المجد النيرنج بالكسر أخذ كالسحر وليس به (فكلها محال) باطل (وضلالة) زوال عن الحق (عند أولى الالباب) العقول (ولا يقدح في هذا نزول عيسى ابن مريم عليه السلام بعده لانه اذا نزل من السماء كان على دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (ومنهاجه) طريقه في شرعه فهو واحد من أمته (مع) أنه لا يرد هذا أصلا اذ (أن المراد أنه آخر من نبئ) وأرسل فلا يضر وجود واحد بعده أو أكثر ممن نبئ أو أرسل قبله (قال ابن حبان من ذهب الى ان النبوة مكتسبة لا تنقطع أو الى أن الولى أفضل من النبى فهو زنديق يجب قتله) لتكذيب القرآن وخاتم النبيين (والله أعلم

* النوع الرابع في التنويه به) أى التعظيم ورفعة شأنه (صلى الله عليه وسلم) بذكره (في الكتب السالفة كالتوراة والانجيل بأنه صاحب الرسالة والتبجيل) متعلق بقوله في التنويه أى رفع ذكره بأنه صاحب ١ وهذا أظهر من كونه بدلا منه (قال الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) باسمه وصفته بحيث لا يشكون أنه هو ولذا عدل عن يجدون اسمه أو وصفه مكتوبا فتضمن ذلك اخباره تعالى بذكره في الكتابين قبل وجوده تعظيما له وحثا على اتباعه اذا وجد روى أبو نعيم في الحلية عن وهب بن منبه قال كان في بنى اسرائيل رجل عصى الله مائتى سنة ثم مات فأخذوه فألقوه على مزبلة فأوحى الله الى موسى أن أخرج فصل عليه قال يا رب بنو اسرائيل يشهدون أنه عصاك مائتى سنة فأوحى الله اليه هكذا كان الا انه كان كلما نشر التوراة ونظر الى اسم محمد صلى الله عليه وسلم قبله ووضعه على عينيه وصلى عليه فشكرت له ذلك وغفرت له وزوجته سبعين حوراء (وهذا يدل على انه لو لم يكن مكتوبا لكان ذكر هذا الكلام ٢ من أعظم المنفرات) لهم عن اتباعه (والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله) بل في الزيادة (و) لا فيما (ينفر الناس عن قبول مقاله) فكيف بأرجح الخلق عقلا (فلما قال لهم عليه السلام هذا) المذكور من كتابة اسمه ووصفه بالنبى الامى (دل على أن ذلك النعت) أى الوصف الذى وصفهم به نفسه (كان مذكورا في التوراة والانجيل وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته لكن أهل

---

١ قوله وهذا أظهر من كونه بدلا منه ظاهره انه بدل من قوله في التنويه ولا يخفى ما فيه بل هو بدل من قوله به ثم ان احتمال البدلية هو الاظهر عكس ما قال لانه يلزم على ما استظهره تعلق حرفى جر متحدى اللفظ والمعنى بعامل واحد تأمل اه مصححه

٢ قوله من أعظم المنفرات والعاقل الخ هنا سقط وجد في نسخة من المتن ونصها (من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله لان الاصرار على الكذب والبهتان من أعظم المنفرات والعاقل الخ اه

واتقوا الله لعلكم تفلحون * صبر روى أبو داود في كتاب المراسيل من حديث قيس بن رافع القيسي رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماذا في الأمرين من الشفاء الصبر والثفاء وفي السنن لابى داود من حديث أم سلمة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفى أبو سلمة وقد جعلت على صبرا فقال ماذا يا أم سلمة
بياض بالاصل
فقلت انما هو صبر يا رسول الله ليس فيه طيب قال انه يشب الوجه فلا تجعليه الا بالليل ونهى عنه بالنهار الصبر كثير المنافع لاسيما الهندى منه ينقى الفضول الصفراوية التى في الدماغ وأعصاب البصر واذا طلى على الجبهة والصدغ بدهن الورد نفع من الصداع وينفع من قروح الأنف والفم ويسهل السوداء والماليخوليا والصبر الفارسى يذكى العقل ويمد الفؤاد وينقى الفضول الصفراوية والبلغمية من المعدة اذا شرب منه ملعقتان بماء ويرد الشهوة الباطلة والفاسدة واذا شرب في البرد خيف أن يسهل دما * صوم الصوم جنة من أدواء الروح والقلب والبدن منافعه تفوت الاحصاء وله تأثير عجيب في حفظ الصحة واذابة الفضلات وحبس النفس عن تناول مؤذياتها

الكتاب كما قال الله تعالى يكتمون الحق) نعت محمد صلى الله عليه وسلم (وهم يعلمون) أنه الحق
(ويحرفون) يبدلون (الكلام) الذي في التوراة من نعت محمد وغيره (عن مواضعه) التي وضعه الله
عليها (والا فهم قاتلهم الله قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم كما عرفوا أبناءهم) كما قال تعالى الذين
آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه لقد عرفته صلى الله
عليه وسلم حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي لمحمد أشد (ووجدوه عندهم مكتوبا في التوراة والانجيل
لكن حرفوهما وبدلوهما) عطف تفسير (ليطفئوا نور الله بأفواههم) بأفواههم (ويأبى الله الا أن يتم
نوره) يظهره (ولو كره الكافرون) ذلك (فدلائل نبوته نبينا في كتابيهما بعد تحريفهما طافحة)
أي ظاهرة مالئة لكتابيهما من طفح الاناء امتلأ (وأعلام شرائعه ورسالته فيهما لائحة) فالباقي
بعد التحريف كاف في بيان صدقه واظهار رسالته عليه السلام (وكيف يغني عنهم انكارهم
وهذا اسم النبي بالسريانية) كما جزم به عياض وغيره (مشفح) بضم الميم وشين معجمة وفاء
شديدة مفتوحتين ثم حاء مهملة مرفوع في النسخ الصحيحة وفي كثيرها مشفحا بالنصب على الحال
أي حال كونه مشفحا أو بتقدير يرى مشفحا لكن قال الدلجي مشفح ممنوع الصرف للعلمية والعجمة
وبالفاء جزم ابن دحية وقال انه بوزن محمد ومعناه وروي كما قال المصنف بالقاف وبه جزم الشمني
والدلجي وقال القاف مفتوحة أو مكسورة واقتصر الحجازي على الفتح فقال مشقح كمعظم قال الحافظ
البرهان لا أعرف صحته ولا معناه أي سواء كان بالفاء أو بالقاف وقال الدلجي لا أعرف له معنى ولعل
مرادهما لا يعرفان هل معناه شافع أو صاحب الحوض أو اللواء أو نحو ذلك فلا ينافي قول عياض وابن
دحية وغيرهما وتبعهم المصنف بقوله (فمشفح محمد بغير شك) أي معناه محمد وهو ثابت في كتبهم بهذا
الوصف (واعتباره) أي دليله (انهم يقولون شفحا لاها اذا أرادوا أن يقولوا الحمد لله واذا كان الحمد) أي
معناه في لغتهم (شفحا فمشفح محمد) وقد يقال لا يلزم من التعبير عن الحمد لله بشفحا لاها أن مشفح اسم
لمحمد لجواز أن يراد به اسم آخر كمحمود أو ممدوح ونحوه الا أن يقال وجه الملازمة انه اذا ثبت أن الحمد
معناه الشفح كان مصدرا واسم المفعول المأخوذ من الحمد مصدرا هو محمد فيكون مشفح بمعنى محمد (ولان
الصفات التي أقروا بها) أي بورودها في كتبهم (هي وفاق) أي مطابقة (لاحواله وزمانه ومخرجه
ومبعثه وشريعته صلى الله عليه وسلم) فان أنكروا انه هو (فليدلونا على من هذه الصفات له) قائمة به
٢ فالعطف على مقدر وحيث عجزوا وثبت المطلوب أن من قامت به هذه الصفات هو النبي صلى الله
عليه وسلم ولزمتهم الحجة (ومن خرجت له الامم) أي جاءت له طائعة مذعنة (من بين يديه) وقوله
(وانقادت له واستجابت) أجابت (لدعوته) بيان للمراد به (ومن صاحب الجمل الذي هلكت بابل) بلد
في سواد العراق ينسب اليه السحر والخمر (وأصنامها به اذ) وفي نسخة على أنا (لولم نأتهم هذه الانباء)
الاخبار (والقصص من كتبهم) وجواب لو قوله (لم يك فيما أودع الله عز وجل القرآن دليل على ذلك)
وفي نسخ ألم يك بهمزة الاستفهام الانكاري وعليها فجواب لو محذوف أي لا يضرنا ذلك أو كنا في غنية
عنه لكن حذف الهمزة أولى لان ذكرها لا يحصل المقصود من الزامهم الحجة وقد يقال بل يحصله
بضميمة قوله (وفي تركهم جحد ذلك وانكاره) بالنصب (وهو يقرعهم) يثربهم ويوبخهم (به
دليل على اعترافهم له فانه يقول الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في
التوراة والانجيل) باسمه وصفته (ويقول حكاية عن المسيح) واذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل

٢ قوله فالعطف على مقدر لعل الانسب بسياقه أن يقول فالفاء واقعة في جواب شرط مقدر تأمل اه

ولاسيما اذا كان باعتدال وتصدق في أفضل أوقاته شرعا وحاجة البدن اليه طبعا ثم ان فيه من اراحة القوى والاعضاء ما يحفظ عليها قواها وفيه خاصية تقتضي ايثاره وهي تفريحه للقلب عاجلا وآجلا وهو أنفع شئ لاصحاب الامزجة الباردة والرطبة وله تأثير عظيم في حفظ صحتهم وهو يدخل في الادوية الروحانية والطبيعية واذا راعى الصائم فيه ما ينبغي مراعاته طبعا وشرعا عظم انتفاع قلبه وبدنه به وحبس عنه المواد الغريبة الفاسدة التي هو مستعد لها وازال المواد الرديئة الحاصلة بحسب كماله ونقصانه ويحفظ الصائم مما ينبغي أن يتحفظ منه وقيامه بمقصود الصوم وسره وعلته الغائية فان القصد منه أمر آخر وراء ترك الطعام والشراب وباعتبار ذلك الامر اختص من بين الاعمال بانه لله سبحانه ولما كان وقاية وجنة بين العبد وبين ما يؤذي قلبه وبدنه عاجلا وآجلا قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون فأحد مقصودي الصيام الجنة والوقاية وهي حمية عظيمة النفع والمقصود الآخر اجتماع القلب والهم على الله تعالى وتوفير قوى النفس على محابه وطاعته وقد تقدم

(أني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا) في حال تصديقي لما تقدمني من التوراة وبتذكيري) برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) والعامل في الحالين مافي الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذهو صلة للرسول فلا يعمل قاله البيضاوي (ويقول يا أهل الكتاب لم تلبسون) تخلطون (الحق بالباطل) بالتحريف والتزوير (وتكتمون الحق) أي ذوات النبي صلى الله عليه وسلم (وأنتم تعلمون) انه حق (ويقول الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) أي محمدا عليه السلام (كما يعرفون أبناءهم) بنعته في كتبهم قال ابن سلام بل معرفتي لمحمد أشد (وكانوا يقولون لمخالفيهم عند القتال هذا نبي قد أظل) أي قرب (مولده ويذكرون من صفته ما يجدون في كتابهم) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ان يهود كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء وداود بن سلمة يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وتخبرونا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو الذي كنا نذكر لكم فأنزل الله ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة) وجواب لما الاولى دل عليه جواب الثانية (ويحتمل انهم كانوا يظنون انه من بني اسرائيل فلما بعثه الله من العرب من نسل اسمعيل عظم) شق (ذلك عليهم وأظهروا التكذيب) بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده (فلعنة الله على الكافرين) أي عليهم وأتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فاللام للعهد ويجوز انها للجنس ويدخلون فيه دخولا أوليا لان الكلام فيهم (وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى اتباعه وتصديقه فكيف يجوز أن يحتج بباطل من الحجج ثم يحيل ذلك على ما عندهم وما في أيديهم ويقول من علامة نبوتي وصدقي انكم تجدوني عندكم مكتوبا) باسمي وصفتي (وهم لا يجدونه كما ذكر في كتبهم (أوليس ذلك مما يزيدهم عنه بعدا استفهام انكاري وقد كان غنيا) عن (أن يدعوهم بما ينفرهم) عن اتباعه (و) عن (أن يستميلهم بما يوحشهم وقد أسلم من علمائهم كعبد الله بن سلام) بالتخفيف الاسرائيلي أبي يوسف حليف بني الخزرج قيل كان اسمه الحصين فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله له أحاديث وفضل مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين (وتميم) بن أوس بن خارجة (الداري) أبي رقية بقاف مصغر صحابي مشهور سكن بيت المقدس بعد عثمان مات سنة أربعين (وكعب) بن مانع الحميري المعروف بكعب الاحبار كان يهوديا من أحبارهم من أهل اليمن وأدرك الزمن النبوي قيل وأسلم فيه وقيل في خلافة أبي بكر وقيل عمر وهو الراجح وسكن الشام ومات في خلافة عثمان وقد زاد على المائة وفي نسخة وكم أسلم ومعناها التكثير لكن الثلاثة الذين ذكرهم قليل فالمراد ان المسلمين من علمائهم كثير لكن ليسوا من أضراب ابن سلام فلم يذكرهم واقتصر على عظمائهم (وقد وقفوا منه على مثل هذه الدعاوي) واعترفوا بثبوتها في كتبهم (وقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق) والطبراني وأبو نعيم في الدلائل كلهم (من طريق محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام) صدوق من السادسة ومنهم من زاد بين حمزة ويوسف محمدا روى له ابن ماجه (عن أبيه) حمزة بن يوسف ويقال ان يوسف جده واسم أبيه محمد مقبول من السابعة روى له ابن ماجه كما في التقريب (عن جده) يوسف بن عبد الله بن سلام الاسرائيلي المدني أبي يعقوب صحابي صغير وقد ذكره العجلي في ثقات التابعين وقوله (عبد الله بن سلام انه) يقتضي أن المراد جده الاعلى فيكون منقطعا لانه لم يدركه وفي رواية الطبراني وأبي نعيم عن أبيه ان عبد الله بن سلام وهو منقطع أيضا

ضب ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنه لما قدم اليه وامتنع من أكله أحرام هو فقال لا ولكن لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه وأكل بين يديه وعلى مائدته وهو ينظر وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أحله ولا أحرمه وهو حار يابس يقوي شهوة الجماع واذا دق ووضع على موضع الشوكة اجتذبها

* ضفدع قال الامام أحمد الضفدع لا يحل في الدواء نهى رسول الله بياض بالاصل صلى الله عليه وسلم عن قتلها يريد الحديث الذي رواه في مسنده من حديث عثمان بن عبد الرحمن رضي الله عنه أن طبيبا ذكر ضفدعا في دواء عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاه عن قتلها قال صاحب القانون من أكل من دم الضفدع أو جرمه ورم بدنه وكمد لونه وقذف المني حتى يموت ولذلك ترك الاطباء استعماله خوفا من ضرره وهي نوعان مائية وترابية والترابية تقتل آكلها *(حرف الطاء)* طيب ثبت عن

(لما سمع بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خرج فلقيه) ولابي نعيم والطبراني انه قال لاحبار يهود اني أردت أن أحدث بمسجد أبينا ابراهيم عهدا فانطلق الى رسول الله وهو بمكة فوافاه بمنى والناس حوله فقام مع الناس (فقال له النبي صلى الله عليه وسلم) لما نظر اليه (أنت) عبدالله (بن سلام عالم أهل يثرب) فهو من معجزاته حيث أخبره بذلك بمجرد رؤيته له (قال نعم قال صلى الله عليه وسلم ادن فدنا منه كما في الطبراني وأبي نعيم فقال (ناشدتك بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجد صفتي في كتاب الله) التوراة وفي رواية أنشدك بالله أما تجدوني في التوراة رسول الله (قال انسب ربك يا محمد) وفي رواية أنعت لنا ربك (فارتج) بالبناء للمفعول مخففا أي لم ينطق (النبي صلى الله عليه وسلم) بجواب ويقال ارتج بهمزة وصل وتثقيل الجيم وبعضهم يمنعها وربما قيل ارتتج وزان اقتتل بالبناء للمفعول أيضا كما في المصباح وفي رواية فارتعد صلى الله عليه وسلم حتى خر مغشيا عليه (فقال له جبريل قل هو الله أحد) خبر ثان (الله الصمد) المقصود في الحوائج على الدوام أو الذي لا جوف له كما للطبراني عن بريدة وبه قال كثير من المفسرين قال ابن عطية كأنه بمعنى المصمت وقال الشعبي هو الذي لا يأكل ولا يشرب وفي هذا التفسير كله نظر لان الجسم في غاية البعد عن صفات الله تعالى فما الذي تعطينا هذه العبارات قال والصمد في كلام العرب السيد الذي يصمد اليه في الامور ويستقل بها وأنشدوا

ألا بكر الناعي بخير بني أسد * بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وبهذا تفسر هذه الآية لان الله موجد الموجودات واليه يصمد وبه قوامها ولا غنى بنفسه الا هو تبارك وتعالى انتهى (لم يلد) لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه (ولم يولد) لانه لا يفتقر الى شئ ولا يسبقه عدم (ولم يكن له كفوا أحد) مكافئا ومماثلا وله متعلق بكفوا قدم عليه لانه محط القصد بالنفي وأخر أحد وهو اسم يكن عن خبرها رعاية للفاصلة (فقال له ابن سلام أشهد أنك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان) كلها بابطال باطلها ونسخ حقها وفي رواية الطبراني وأبي نعيم فقال ابن سلام أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ثم انصرف الى المدينة وكتم اسلامه وقضيته هذا انه أسلم بمكة قبل الهجرة لكن هذا حديث ضعيف متكلم فيه معارض بما في البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر أتاه ابن سلام وقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي فسأله وأجابه النبي صلى الله عليه وسلم عن مسائله فقال أشهد أنك رسول الله الحديث وفيه قد علمت اليهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فسلهم عني قبل أن يعلموا باسلامي وأنه سألهم عنه فاعترفوا بما قال فلما قال لهم اني أسلمت كذبوه وقالوا فيه ما ليس فيه ومن ثم لم يعرج الحافظ على رواية ابن عساكر ومن معه هذه بل جزم في الفتح والاصابة بأنه أسلم أول ما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وغلط من قال أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعامين وقد أخرج أحمد وأصحاب السنن عن عبد الله بن سلام قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس لقدومه فكنت فيمن انجفل فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب فسمعته يقول أفشوا السلام وأطعموا الطعام الحديث ومحال على من أسلم قبل ذلك أن يشك بعد ذلك وأنه يسأله امتحانا ليعلم أهو نبي أم لا وقد اختلف في أن سورة الاخلاص مكية أو مدنية وأخرج الترمذي والحاكم وابن خزيمة عن أبي بن كعب ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فأنزل الله قل هو الله أحد الى آخرها وأخرج الطبراني وابن جرير مثله من حديث جابر فاستدل به على انها مكية وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ان اليهود جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم منهم كعب بن الاشرف وحيي بن أخطب فقالوا يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك فأنزل الله قل هو الله أحد وروى ابن جرير عن

وكان صلى الله عليه وسلم يكثر التطيب وتشتد عليه الرائحة الكريهة وتشق عليه والطيب غذاء الروح التي هي مطية القوى والقوى تتضاعف وتزيد بالطيب كما تزيد بالغذاء والشراب والدعة والسرور ومعاشرة الاحبة وحدوث الامور المحبوبة وغيبة من تسر غيبته ويثقل على الروح مشاهدته كالثقلاء والبغضاء فان معاشرتهم توهن القوى وتجلب الهم والغم وهي للروح بمنزلة الحمى للبدن وبمنزلة الرائحة الكريهة ولهذا كان مما حبب الله سبحانه الصحابة بنهيهم عن التخلق بهذا الخلق في معاشرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأذيه بذلك فقال اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق والمقصود أن الطيب كان من أحب الاشياء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وله تأثير في حفظ الصحة ودفع كثير من الآلام وأسبابها

بسبب قوة الطبيعة به * ما ورد في أحاديث موضوعة لا يصح منها شئ مثل حديث من أكل الطين فقد أعان على قتل نفسه ومثل

قتادة وابن المنذر عن سعيد بن جبير مثله فاستدل بهذا على انها مدنية ولابن جرير عن أبي العالية قال قال قتادة الاحزاب أنسب لنا ربك فأتاه جبريل بهذه السورة قال في اللباب وهذا يبين المراد بالمشركين في حديث أبي فتكون السورة مدنية كما دل عليه حديث ابن عباس وينتفي التعارض بين الحديثين لكن روى أبو الشيخ في العظمة عن أنس أتت يهود خيبر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم خلق الله الملائكة من نور الحجاب وآدم من حمأ مسنون وابليس من لهب النار والسماء من دخان والارض من زبد الماء فأخبرنا عن ربك فلم يجبهم فأتاه جبريل بهذه السورة قل هو الله أحد انتهى نعم بقية الحديث ثابتة عن ابن سلام علقها البخاري تلو حديث ابن عمرو الآتي وأخرجها الدارمي ويعقوب بن سفيان والطبراني وهي قوله (واني لأجد صفتك في كتاب الله) يعني التوراة ففي رواية الجماعة عنه انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا) على أمتك بما يفعلون لهم وعليهم مقبولا عند الله (ومبشرا) لمن أجابك بالثواب (ونذيرا) مخوفا لمن عصاك بالعذاب (أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل) أي على الله لقناعته باليسير من الرزق واعتماده على الله في السر والجهر والصبر على انتظار الفرج والاخذ بمحاسن الاخلاق واليقين بتمام وعد الله فتوكل على الله فسماه الله المتوكل (ليس بفظ) سيئ الخلق جاف وفيه التفات من الخطاب الى الغيبة اذ لو جرى على نسق الاول لقال لست بفظ (ولا غليظ) قاسي القلب (ولا سخاب) بسين مهملة وخاء معجمة ثقيلة لغة أثبتها الفراء وغيره وبالصاد أشهر من السين بل ضعفها الخليل أي لا يرفع صوته على الناس لسوء خلقه ولا يكثر الصياح عليهم (في الاسواق) بل يلين جانبه ويرفق بهم وفيه ذم أهل السوق الذين يكونون بالصفة المذمومة من صخب ولغط وزيادة مدحة لما يبيعونه وذم لما يشترونه والايمان الحانثة ولذا كانت شر البقاع لما يغلب على أهلها من هذه الاحوال المذمومة وقيد بالاسواق والمراد نفيه عنه مطلقا لانه اذا انتفى في المحل المعتاد فيه انتفى في غيره بالطريق الاولى وهو أبلغ وأفصح من الاطلاق لانه نفي بدليل نحو قوله * لا ترى الضب بها ينجحر * فهو من نفي المقيد دون قيده (ولا يجزي بالسيئة مثلها) اي السيئة (ولكن يعفو ويصفح) يعرض ما لم تنتهك حرمات الله (ولن يقبضه) يميته (الله حتى يقيم به الملة العوجاء) ملة ابراهيم فانها اعوجت في الفترة فزيدت ونقصت وغيرت عن استقامتها وأميلت بعد قوامها ومازالت كذلك حتى أقامها صلى الله عليه وسلم بنفي الشرك واثبات التوحيد كما قال (حتى يقولوا لا اله الا الله) أي ومحمد رسول الله فالمراد كلمة التوحيد هكذا فسر شراح الحديث قاطبة الملة العوجاء بملة ابراهيم وكذا ابن الاثير في النهاية قائلا ان العرب كانوا يزعمون أنهم على ملته وأبعد من قال انها الملة التي رآها خارجة عن الحق فازال اعوجاجها وان لم تنتسب الى ابراهيم كملة اليهود والنصارى فانهم حرفوا وبدلوا ولم يتركوا ما انسخ من شرعهم فجاهدهم حتى اهتدى من اهتدى وقتل من قتل (ويفتح به) بالنبي وفي رواية البخاري بها أي بكلمة التوحيد (أعينا عميا) بضم العين وسكون الميم صفة لاعين اي عن الحق (وآذانا صما) عن استماع الحق (وقلوبا غلفا) بضم المعجمة وسكون اللام صفة قلوبا جمع أغلف أي مغطى ومغشي (وقوله ليس بفظ ولا غليظ موافق لقوله تعالى فيما) زائدة أي فبـ(رحمة من الله لنت لهم) اي سهلت اخلاقك حيث خالفوك (ولو كنت فظا غليظ القلب) جافيا فاغلظت لهم (لانفضوا) تفرقوا (من حولك ولا يعارض) هذا (قوله) تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين (واغلظ عليهم لان النفي محمول على طبعه الكريم الذي جبل عليه والامر محمول على المعالجة) لنفسه على خلاف ما طبع عليه (أو النفي بالنسبة الى المؤمنين والامر بالنسبة الى الكفار والمنافقين كما هو

حديث يا حميراء لا تأكلي الطين فإنه يعصم البطن ويصفر اللون ويذهب بهاء الوجه وكل حديث في الطين فانه لا يصح ولا أصل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه ردي مؤذ يسد مجاري العروق وهو بارد يابس قوي التجفيف ويمنع استطلاق البطن ويوجب نفث الدم وقروح الفم * طلع قال تعالى وطلح منضود قال أكثر المفسرين هو الموز والمنضود هو الذي قد نضد بعضه على بعض كالمشط وقيل الطلح الشجر ذو الشوك نضد مكان كل شوكة ثمرة فثمره قد نضد بعضه الى بعض فهو مثل الموز وهذا القول أصح ويكون من ذكر الموز من السلف أراد التمثيل لا التخصيص والله أعلم وهو حار رطب أجوده النضيج الحلو ينفع من خشونة الصدر والرئة والسعال وقروح الكليتين والمثانة ويدر البول ويزيد في المني ويحرك الشهوة للجماع ويلين البطن ويؤكل قبل الطعام ويضر المعدة ويزيد في الصفراء والبلغم ودفع ضرره بالسكر أو العسل * طلع قال تعالى والنخل باسقات لها طلع نضيد وقال تعالى ونخل طلعها هضيم طلع النخل ما يبدو من ثمرته في أول ظهوره وقشره يسمى الكفرى والنضيد المنضود الذي قد نضد بعضه على بعض وانما يقال

مصرح به في نفس الآية) ذكر الجوابين الحافظ والثاني كما قاله شيخنا أظهر لموافقة الآية وان كان الاول من حيث عمومه شاملا لعصاة المؤمنين اذا فعلوا منكرا ولا سيما اذا ظهر منهم التصميم عليه (وقلوبا غلفا أي مغشاة مغطاة واحدها أغلف ومنه غلاف السيف وغيره) والمعنى ان قلوبهم كانت محجوبة عن الهداية فأزال صلى الله عليه وسلم حجابها وكشف غطاءها (وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن أم الدرداء أو امرأة أبي الدرداء) شك من الراوي في اللفظ الذي قاله شيخه وان اتحد المعنى ولأبي الدرداء زوجتان تكنى كل منهما بذلك احداهما الكبرى واسمها خيرة بنت أبي حدود صحابية من فضلاء النساء وعقلائهن وذوات الرأي منهن مع العبادة والنسك ماتت قبل زوجها بالشام في خلافة عثمان والثانية الصغرى اسمها هجيمة أو جهيمة ثقة فقيهة ماتت سنة احدى وثمانين وهي التي روى لها أصحاب الكتب الستة لا صحبة لها ولا رؤية وذكر في الاصابة للكبرى حديثين سمعتهما من النبي صلى الله عليه وسلم وكل منهما يحتمل انها التي (قالت قلت لكعب) بن مانع الحميري المعروف بكعب الأحبار (كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال كنا نجده موصوفا فيها محمد رسول الله) كما في القرآن (اسمه المتوكل) الذي يكل أمره الى الله فاذا أمره بشيء نهض بلا جزع وفي التنزيل وتوكل على الله وتوكل على الحي الذي لا يموت (ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق) التي هي محل السخب وارتفاع الاصوات ففي غيرها أولى (وأعطى المفاتيح ليبصر الله به أعينا عورا) وهو الفاقد احدى عينيه ولكون الفتح والابصار مجازا عن الهداية عبر تارة بعميا وأخرى بعور ا جمع أعور صفة أعينا (ويسمع به آذانا صما) عن سماع الحق (ويقيم به ألسنة معوجة) جمع لسان (حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وحده لا شريك له) أي وأن محمدا رسول الله ففيه اكتفاء نحو سرابيل تقيكم الحر أي والبرد (يعين المظلوم) على الظالم (ويمنعه من أن يستضعف) بأن ينصره بحيث يصير فيه قوة تحمله على أن يدفع عن نفسه (وفي البخاري) في البيوع ثم في تفسير الفتح (عن عطاء بن يسار) الهلالي أبي محمد المدني مولى ميمونة ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة مات سنة أربع وتسعين وقيل بعدها روى له الستة (قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصي) الصحابي ابن الصحابي رضي الله عنهما (فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي في التوراة بدليل الجواب فان السؤال يعاد في الجواب صراحة أو ضمنا وهو من القواعد الاصولية (قال) عبد الله (أجل) بفتح الهمزة والجيم وباللام حرف جواب كنعم فيكون تصديقا للمخبر واعلاما للمستخبر ووعدا للطالب فيقع بعد نحو قام زيد ونحو أقام زيد واضرب زيدا فيكون بعد الخبر وبعد الاستفهام والطلب وقيل يختص بالخبر وهو قول الزمخشري وابن مالك وقيد المالقي الخبر بالمثبت والطلب بغير النهي وفي القاموس أجل كنعم الا انه أحسن منه في التصديق ونعم أحسن منه في الاستفهام وهذا قاله الاخفش كما في المغني وغيره قال الطيبي أجل في الحديث جوابا للامر على تأويل قرأت التوراة هل وجدت صفة رسول الله فيها فأخبرني قال أجل (والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن) أكده بمؤكدات الحلف بالله والجملة الاسمية ودخول ان عليها ودخول لام التأكيد على الخبر وانما سأله عما في التوراة لانه كان يحفظها وقد روى البزار من حديث ابن لهيعة عن وهب أن عبد الله بن عمرو بن العاصي رأى في المنام في احدى يديه عسلا وفي الاخرى سمنا وهو يلعقهما فلما أصبح ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له يقرأ الكتابين التوراة والقرآن فكان يقرؤهما فالنهي عن قراءتها ليس على اطلاقه لوقوعه في الزمن النبوي لكثير من الصحابة بلا انكار فهو مقيد بمن لم يميز المنسوخ والمحرف منها ويضيع وقته في الاشتغال بها عما غيره فلا يمنع بل قد يطلب لالزامهم فيما أنكروه منها وقد أخرج الدارمي ويعقوب بن سفيان في تاريخه والطبراني عن عطاء بن

له نضيد مادام في كفراه فاذا انفتح فليس بنضيد وأما النضيم فهو المنضم بعضه الى بعض فهو كالنضيد أيضا وذلك قد يكون قبل تشقق الكفرى عنه والطلع نوعان ذكر وأنثى والتلقيح هو أن يؤخذ من الذكر وهو مثل دقيق الحنطة فيجعل في الانثى وهو التأثير فيكون ذلك بمنزلة اللقاح بين الذكر والانثى وقد روى مسلم في صحيحه عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في نخل فرأى قوما يلقحون فقال ما يصنع هؤلاء قالوا يأخذون من الذكر فيجعلونه في الانثى قال ما أظن ذلك يغني شيأ فبلغهم فتركوه فلم يصلح فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما هو ظن فان كان يغني شيأ فاصنعوه فانما أنا بشر مثلكم وان الظن يخطئ ويصيب ولكن ما قلت لكم عن الله عز وجل فلن أكذب على الله انتهى طلع النخل ينفع من الباه ويزيد في المباضعة ودقيق طلعه اذا تحملت به المرأة قبل الجماع أعان على الحبل اعانة بالغة وهو في البرودة واليبوسة في الدرجة الثانية يقوي المعدة ويجففها ويسكن ثائرة الدم مع غلظة وبطء هضم ولا يحتمله الا أصحاب الامزجة الحارة ومن أكثر منه فانه ينبغي أن يأخذ عليه شيأ

يسار عن ابن سلام مثله وعلقه البخاري قال الحافظ ولا مانع أن يكون عطاء حمله عن كل منهما فقد أخرجه ابن سعد عن زيد بن أسلم قال بلغنا أن عبد الله بن سلام كان يقول انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن (يا أيها النبي) بدل من بعض أو بيان له (انا أرسلناك شاهدا) لامتك المؤمنين بتصديقهم وعلى الكافرين بتكذيبهم وانتصاب شاهدا على الحال المقدر من الكاف أو ١ من الفاعل أي مقدرا أو مقدرين شهادتك على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم أي مقبولا عند الله لهم وعليهم أو شاهدا للرسل قبله بالبلاغ (ومبشرا) للمؤمنين (ونذيرا) للكافرين أو مبشرا للمطيعين بالجنة ونذيرا للعصاة بالنار (وحرزا) بكسر المهملة واسكان الراء ثم زاي أي حصنا (للأميين) أي للعرب لان أكثرهم لا يقرؤن ولا يكتبون يتحصنون به عن غوائل الدهر أو سطوة العجم وتغلبهم فخصهم لذلك أو لارساله بين أظهرهم أو لشرفهم أو من مطلق العذاب ما دام فيهم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم أو من عذاب الاستئصال فلا يرد أن دعوته عامة وجعله نفسه حرزا مبالغة لحفظه لهم في الدارين (أنت عبدي) الكامل في العبودية (ورسولي) فقدم العبودية لشرفها فان له بها مزيد اختصاص ولذا اقتصر عليها في الاسراء وانزال الكتاب وليست بالمعنى العام الذي يتصف به كل مخلوق بل بالخاص الذي رضيه له حتى أطلعه على حظائر قدسه وجعله رسولا مبلغا عنه وكفاه جميع مؤناته فقال أليس الله بكاف عبده فان الملك لا يرضى بوقوف عبده بباب غيره واحتياجه لسواه واهانة أحد له فانه هو الذي يؤدبه كما قال أدبني ربي فأحسن تأديبي فلذا قال (سميتك المتوكل) دون جعلتك أو وصفتك المنادى بشدة توكله الذي صيره علما له ففيه اشعار بشدة توكله السارى في أمته صلى الله عليه وسلم وخطابه بما في التوراة خطاب للحاضر في العلم وبالماضي في أرسلناك لتحققه أو حكاية لما يقال في المستقبل أو لاستحضار الآتي وعبر بما يعبر به عنه في الآتي (ليس بفظ) سيئ الخلق جاف (ولا غليظ) قاسي القلب بل ملته سمحة ولا ينافيه وقوع الغلظة اللائقة أو الواجبة أحيانا لانها الا انما في حسن الخلق أو المراد نفيهما بحسب الخلقة أو في غير محلهما وقول النسوة لعمر أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس القصد به التفضيل بل أصل الفعل أو من قبيل العسل أحلى من الخل أي غلظتك يا عمر أشد من رقته صلى الله عليه وسلم واختاره في المصابيح ثم يحتمل أن تكون هذه آية أخرى في التوراة لبيان صفته وأن تكون حالا من المتوكل أو من الكاف في سميتك ففيه التفات من الخطاب الى الغيبة حتى لا يواجهه بمثله وان كان منفيا (ولا سخاب) بشد الخاء بعد السين ويقال بالصاد وهو أفصح وادعى بعض انه روى بهما أي لا يرفع صوته على الناس لسوء خلقه ولا يكثر الصياح عليهم (في الاسواق) بل يلين جانبه ويرفق بهم وهو من نفي المقيد بدون قيده ففيه دخوله صلى الله عليه وسلم الاسواق تواضعا وتركا لعادة الجبارين من الملوك وردا لقول الكفرة ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ويحتمل انه من نفي القيد والمقيد معا كما قال الطيبي المراد نفي السخابية وكونه في الاسواق انتهى على معنى نفي اعتياد دخوله في الاسواق كأرباب الدنيا بل انما يدخلها لحاجة فلا يشكل ما قاله بأنه خلاف الواقع والمبالغة للنسبة كخياط أو بذي سخب كما في وما ربك بظلام في أحد الوجوه أو على بابها الثبوت أصل السخب له في محله كخطبة وتلبية ونحوهما (ولا يدفع) هكذا الرواية في البخاري في المحلين فنسخة ولا يجزي تصحيف (بالسيئة السيئة) هو كقوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن السيئة وخلقه القرآن وقد قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ولذا قال (ولكن يعفو)

١ قوله من الفاعل الخ لعل الاولى حذفه والاقتصار على الاول لعدم المطابقة حينئذ بين الحال وصاحبها كما لا يخفى اهـ مصححه

من الجوارشات الحارة وهو يعقل الطبع ويقوي الاحشاء والجمار يجري مجراه وكذلك البلح والبسر والاكثار منه يضر بالمعدة والصدر وربما أورث القوانج واصلاحه بالسمن أو بما تقدم ذكره

(حرف العين)

عنب في الغيلانيات من حديث حبيب بن يسار عن ابن عباس رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل العنب خرطا قال أبو جعفر العقيلي لا أصل لهذا الحديث * قلت وفيه داود بن عبد الجبار أبو سليم الكوفي قال يحيى بن معين كان يكذب ويذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يحب العنب والبطيخ وقد ذكر الله سبحانه العنب في ستة مواضع من كتابه في جملة نعمه التي أنعم بها على عباده في هذه الدار وفي الجنة وهو من أفضل الفواكه وأكثرها منافع وهو يؤكل رطبا ويابسا وأخضر ويانعا وهو فاكهة مع الفواكه وقوت مع الاقوات وأدم مع الادام ودواء مع الادوية وشراب مع الاشربة وطبعه طبع الحبات الحرارة والرطوبة وجيده الكبار المائي والابيض أحمد من الاسود اذا تساويا في الحلاوة والمتروك بعد قطفه يومين أو ثلاثة أحمد من المقطوف

يمحو ويزيل السيئة من ظاهره وخاطره (ويغفر) يستر السيئة ولا يلزم منه ازالتها أو يعفو تارة ويستر أخرى فلا يفضح فيقول في خطبته ما بال أقوام يفعلون كذا أو هما متساويان فالثاني تأكيد ونقل القرطبي عن بعضهم ان الغفر ستر لا يقع معه عقاب ولا عتاب والعفو انما يكون بعد عقاب أو عتاب فان استعمل في غيره فهو مجاز وفي نسخة ويصفح (ولن يقبضه) يميته (الله) وأصله أخذ المال واستيفاؤه أطلق على الموت بتشبيه الحياة والروح بالمال كما قيل

اذا كان رأس المال عمرك فاحترس * عليه من الانفاق في غير واجب

أو هو من استعمال المقيد في المطلق ثم شاع حتى صار حقيقة فيه (حتى يقيم به الملة العوجاء) ملة ابراهيم التي غيرتها العرب عن استقامتها لانهم ذرية اسمعيل بن ابراهيم وكانوا يزعمون انهم على ملته الحنيفية والحنيف من يوحد الله تعالى ويعبده لان الحنف في اللغة الاستقامة قاله ابن الاثير (بأن يقولوا) أي أهلها (لا اله الا الله) اقتصر عليها وجعلها اقامة الملة لان العوج الواقع عموده الشرك وعبادة الاصنام يستقيم بها أو انهم يأتون بكلمة التوحيد التي هي عبارة عن لا اله الا الله محمد رسول الله لان الكلمتين صارتا كالكلمة الواحدة أو اكتفاء كسرابيل تقيكم الحر (ويفتح به) أي بالنبي كذا وقع بتذكير الضمير هنا تبعا للشفاء مع عزوكليهما للبخاري والذي فيه في الموضعين بها أي كلمة التوحيد (أعينا عميا) بضم فسكون وفي رواية القابسي أعين عمي بالاضافة ولا تنافي بين هذا وبين قوله وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم لانه دل ايلاء الفاعل المعنوي حرف النفي على ان الكلام في الفاعل وذلك انه تعالى نزله لحرصه على ايمانهم منزلة من يدعي استقلاله بالهداية فقال له أنت لست بمستقل بها بل انك لتهدي الى صراط مستقيم باذن الله وتيسيره وعلى هذا فيفتح معطوف على يقيم أي يقيم الله بواسطته الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح بواسطة هذه الكلمة أعينا عميا (وآذانا صما وقلوبا غلفا) بضم وسكون وفي رواية أبي ذر ويفتح بها أعين عمي وآذان صم وقلوب غلف بضم أوله مبني للمفعول ورفع أعين وآذان وقلوب على النيابة (وعند) محمد (بن اسحق) بن يسار بدل قوله ولا سخاب (ولا صخب) بكسر الخاء صفة مشبهة تفيد المبالغة باعتبار افادة الثبوت هكذا في عدة نسخ صحيحة موافقة لما عند ابن اسحق والشفاء عنه فلا عبرة بنسخ ولا صخاب (في الاسواق) وعنده زيادة هي (ولا متزين) بزاي منقوطة من الزينة وروي بدال من الدين وروي متزي بلا نون من الزي والهيئة (بالفحش) القبيح وزنا ومعنى فعلا كان أو قولا أي لا يتجمل أو لا يتدين أو لا يتلبس به ولا يرد ان ظاهره يوهم انه قد يأتي به غير متجاوز أو غير متزين به لانه لا مفهوم له لجريه على عادة أرباب الفحش في المباهاة به أو هو استعارة تهكمية أو التزين بمعنى الاتصاف تجريدا أو المراد لا يرى الفحش زينة فهي مكنية وهذا من آياته لانه نشأ بين قوم يتزينون بالفواحش كالقتل والزنا والطواف عراة فأتى بما يخالف عادتهم (ولا قوال) فعال صيغة مبالغة أي كثير القول (للخنا) بمعجمة ونون مقصور قبيح الكلام وهذا مع ما قبله يفيد أنه لا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم شئ منه قليل ولا كثير لان الفحش بمعناه أو فعال للنسبة كتمار أي ليس بذي قول للخنا ولما ذكر صفات التخلية بقوله ليس بفظ الى هنا ذكر صفات التحلية بطريق وعد من لا يخلف وعده مستأنفا المقصد أعلى مما قبله ولذا لم يعطفه أو في جواب سؤال هو فما تفعل به بعد ان صنته عن النقائص فقال (اسدده) أوفقه للسداد وهو الصواب والقصد من القول والعمل (بكل جميل) حسن صورة كان أو معنى يليق به (وأهب) بفتحتين أعطى (له كل خلق) بضمتين وتسكن اللام السجية والطبيعة (كريم) عزيز نفيس (ثم اجعل) مضارع المتكلم وهو الله (السكينة) بالفتح والتخفيف الوقار والطمأنينة وفيها لغة بالكسر والتشديد يحكاها في المشارق وبها قرئ شاذا (لباسه) أي ما يظهر عليه من الخشوع والتثبت فشبه المعقول بالمحسوس تقريبا للفهم ومبدأ هذا الوقار

في يومه فانه منفخ مطلق للبطن والمعلق حتى يقشر وقشره جيد للغذاء مقو للبدن وغذاؤه كغذاء التين والزبيب واذا ألقي عجم العنب كان أكثر تليينا للطبيعة والاكثار منه مصدع للرأس ودفع مضرته بالرمان المز ومنفعة العنب يسهل الطبع ويسمن ويغذو جيده غذاء حسنا وهو أحد الفواكه الثلاث التي هي ملوك الفواكه هو والرطب والتين * عسل قد تقدم ذكر منافعه قال ابن جريج قال الزهري عليك بالعسل فانه جيد للحفظ وأجوده أصفاه وأبيضه وألينه حدة وأصدقه حلاوة وما يؤخذ من الجبال والشجر له فضل على ما يؤخذ من الخلايا وهو بحسب مرعى نحله * عجوة في الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر وفي سنن النسائي وابن ماجه من حديث جابر وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم العجوة من الجنة وهي شفاء من السم والكمأة من المن وماؤها شفاء للعين وقد قيل ان هذا في عجوة المدينة وهي أحد أصناف التمر بها ومن أنفع تمر الحجاز على الاطلاق وهو صنف كريم ملذذ متين للجسم والقوة من

يلوح للقلب في مراقبته فلذا قال تعالى أنزل السكينة في قلوب المؤمنين فلكل وجهة (و) اجعل (البر) الطاعة والاحسان أى زيادته والخير والرحمة (شعاره) لباسه الذى يلى جسده سمى به لانه لابس شعره وبدنه ويقابله الدثار وهو ما يتغطى به ولما كانت السكينة ظاهرة فيه صلى الله عليه وسلم فى سائر أحواله ويراها كل أحد برا وفاجرا جعلها لباسا والبر والخير والرحمة وان لازمه أيضا وعم أحواله انما يقف عليه المؤمنون ببصائرهم جعله شعارا فانظر حسن موقعه مع ما قبله وما بعده أيضا وهو (والتقوى ضميره) لان الضمير ما يضمر فى القلب وينوى فى الخاطر بحيث لا ينسى فتأمل كيف انتقل من الظاهر للخفى ثم الاخفى مع ما فيه من شبه اللف والنشر مع الامور السلبية والتقوى ما يقى العذاب فى الآخرة ولها مراتب أولها التبرى عن الكفر والثانى التنزه عن كل ما يؤثم والثالث التنزه عما يشغل السر عن الله وبهذا علم التئامها مع الضمير (والحكمة) كل كلام جامع لما يرشد الى الحق فيشمل المواعظ والامثال لانتفاع الناس بها وتطلق على القرآن والعلوم الشرعية والقضاء بالعدل وبه فسر ادع الى سبيل ربك بالحكمة (معقوله) مصدر او اسم مفعول فالمراد انها تعقله وادراكه أو ما يعقله كله حكم ومواعظ وعلوم نافعة لانه لا ينطق عن الهوى (و) اجعل (الصدق والوفاء طبيعته) أى ان الله جبله انه لا ينطق بغير ما وافق الواقع واذا عاقد أحدا أو وعد لا يخلفه (والعفو والمعروف) ما يعرفه ويألفه العقلاء وللذاقيل المعروف كاسمه (خلقه) وفى المصباح المعروف الخير والرفق والاحسان ومنه قولهم من كان آمرا بالمعروف فليأمر بالمعروف أى من أمر بخير فليأمر برفق (والعدل) القصد فى الامر ضد الجور (سيرته) طريقته الحميدة وفى التنزيل ان الله يأمر بالعدل والاحسان قال ابن عطية العدل فعل كل مفروض من العقائد والعبادة واداء الامانات والانصاف والاحسان فعل المندوب وفى البغوى العدل بين العبد وربه ايثار حقه على حظ نفسه واجتناب الزواجر وامتثال الاوامر وبينه وبين نفسه منعها عما فيه هلاكها والتصبر وبينه وبين غيره بذل النصيحة وترك الخيانة وانصافهم من نفسه والصبر على أذاهم وجعل العدل سيرته صلى الله عليه وسلم لا ينافى ان يكون الاحسان سيرته فى محل يليق به ولا ان يكون العفو طبيعة له أيضا لمصلحة تليق بالمقام (والحق شريعته) بنصبهما عطف على مفعول اجعل كما هو فى نسخ الشفاء الصحيحة المقروأة لا برفعهما الاقتضاء تعريف الطرفين الحصر فيفهم ان شرائع غيره باطلة وليس كذلك وان وجه بأن المراد الحق الكامل الذى لا ينسخ أو فى زمانه لا غيره النسخها بشريعته وبغير ذلك لان هذا انما يحتاج اليه لو ثبت رواية (والهدى امامه) بكسر الهمزة كما ضبطه الحافظ البرهان أى مقتداه ومتبعه وهو كناية عن ملازمته له وعدم انفكاكه عنه ويجوز ان يراد بالامام الطريق كما قيل فى قوله وانهما لبامام مبين وضبطه بعضهم بفتح الهمز بمعنى قدام فالمراد بطريق الكناية انه ملاحظ له كما يقال فى ضده انه ظهرى وخلف ظهرى والهدى الدلالة بلطف ولذا اختصت بالخير وقيل تعريفه للعهد أى هدى الانبياء لقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أى ما اتفقوا عليه من التوحيد والاصول لا الفروع (والاسلام ملته) بنصبهما على الصحيح أى انه اسم لملته أى دينه خاصة دون الامم على أحد القولين وعلى الآخر بالعموم لكل دين حق فالمراد الكامل ليكون من خصائصه التى تميز بها عن غيره وكماله بنسخ غيره وكونه سمحا بين اللين والشدة وغير ذلك وفى التنزيل هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا (و) اجعل (أحمد اسمه) وبه سماه فى الكتب قبل وجوده ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ولما ذكر صفاته الموصوف بها فى نفسه ذكر صفاته التى لوحظ فيها غيره جوابا لسؤال هل تنفع بهذا الطاهر المطهر الكامل فى نفسه غيره فقال (أهدى) بفتح الهمزة مضارع هدى (به) بسببه أو هديه (بعد الضلالة) بمعنى الضلال سلوك

ألين التمر وأطيبه وألذه وقد تقدم ذكر التمر وطبعه ومنافعه فى حرف التاء والكلام على دفع العجوة للسم والسحر فلا حاجة لاعادته وعنبر تقدم فى الصحيحين من حديث جابر فى قصة أبى عبيدة وأكلهم من العنبر شهرا وانهم تزودوا من لحمه وشائق الى المدينة وأرسلوا منه الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو أحد ما يدل على ان اباحة ما فى البحر لا يختص بالسمك وعلى أن ميتته حلال واعترض على ذلك بأن البحر ألقاه حيا ثم جزر عنه الماء فمات وهذا حلال فان موته بسبب مفارقته للماء وهذا لا يصح فانهم انما وجدوه ميتا بالساحل ولم يشاهدوه قد خرج عنه حيا ثم جزر عنه الماء وأيضا فلو كان حيا لما ألقاه البحر الى ساحله فانه من المعلوم ان البحر انما يقذف الى ساحله الميت من حيواناته لا الحى منها وأيضا فلو قدر احتمال ما ذكروه لم يجز أن يكون شرطا فى الاباحة فانه لا يباح الشئ مع الشك فى سبب اباحته ولهذا منع النبى صلى الله عليه وسلم من أكل الصيد اذا وجده الصائد غريقا فى الماء للشك فى سبب موته هل هو الآلة أم الماء وأما العنبر الذى هو أحد أنواع الطيب فهو من أفخر أنواعه بعد المسك

غير

غير الطريق الموصلة وقيل انما فصله لعلو رتبة الهداية سواء كانت الايصال أو الدلالة الموصلة وفيه تقوية لمدحه السابق والمراد الهداية الى ما به النجاة والى ما به يكمل الناجي فلذا قال (وأعلم) بضم الهمزة وشد اللام كما في المقتفى (به بعد الجهالة) بفتح الجيم مصدر كالجهل ضد العلم وهو الاعتقاد الذي لا يطابق الواقع (وأرفع به بعد الخمالة) بفتح الخاء المعجمة والميم أي الخفاء وادعى بعض انه لا يقال خمالة بل خمولة وفي الصحاح الخامل الساقط الذي لا نباهة له وقد خمل يخمل خمولا وفي الجمهرة رجل خامل الذكر بين الخمول والخمولة وهو ضد النبيه والنابه وفي القاموس خمل ذكره وصوته خمولا خفي وأخمله الله فهو خامل ساقط لا نباهة له جمعه خمل محركة وأجيب بأن ثبوت الخمالة في هذا الحديث الصحيح شاهد لصحتها وان كانت على غير قياس أو لمشاكلة الضلالة والازدواج معها والمراد برفعه جعل الدين والتوحيد بعد ما ترك في الفترة لغلبة الجهل مشهورا شائعا فهو مجاز كقوله ورفعنا لك ذكرك (وأسمى) روي بضم الهمزة وفتح السين والتشديد وبه ضبطه في المقتفى وروي بضم الهمزة وسكون السين (به) بسببه (بعد النكرة) بضم فسكون وبفتح فكسر خلاف المعرفة وتطلق بمعنى المجهول أي اعرف الناس بسببه أو بما أوحيه اليه الناس المجهولين أو أعرفهم ما جهلوه من التوحيد وأعرف الناس ما لم يعرفوه من الانبياء وقصصهم والاولى التعميم كما قيل (وأكثر) بضم الهمزة وسكون الكاف وكسر المثلثة مخففة وبفتح الكاف وشد المثلثة يتعدى بالهمزة والتضعيف (به بعد القلة) أي أكثر به الارزاق مطلقا أو على من اتبعه أو أكثر أمته بعد قلتها أو بعد عدمها لورود القلة بمعنى العدم لكنه بعيد هنا أو المراد قواعد الملة بعد اعوجاجها فأعاد منها ما انتقص بكلمة التوحيد وهو تكلف مستغنى عنه لتقدم معناه (وأغنى) أعطى الغنى (به بعد العيلة) بفتح فسكون الفقر أي ما كانوا عليه في الابتداء ففتح لهم الفتوحات والممالك وأحل لهم الغنائم (وأجمع به) الناس (بعد الفرقة) الافتراق وتنافر القلوب والعداوة المؤدية للحروب وترك الديار كما كان بين الاوس والخزرج من الحروب قبل الاسلام فلما جاء الله به ألف بين قلوبهم وسل احقادهم وضغائنهم وصيرهم اخوة (وأؤلف) أجمع (به بين قلوب مختلفة) وذلك يستلزم التأليف بين الذوات وكونه بسبب المصطفى لانه السبب الظاهري والمؤلف الحقيقي هو الله فلا ينافي اسناد التأليف اليه سبحانه في قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا (وأهواء) جمع هوى وهو ميل النفس لما تحبه وتشتهيه (متشتتة) متفرقة أي اجعل مهويهم واحدا ممدوحا وان غلب اطلاقه على المذموم كما قال ولئن اتبعت أهواءهم (وأمم) جمع أمة فرقة من الناس (متفرقة) بتقديم التاء على الفاء من التفرق وبتقديم الفاء على التاء من الافتراق روايتان يعني ان كل أمة كانت على دين واعتقاد وطريقة فمنهم من يعبد الاصنام ومنهم من يعبد الكواكب ومنهم يهودي ونصراني ومنهم غير ذلك فنسخ الله بشرعه صلى الله عليه وسلم جميع الشرائع وجعل الدين دينا واحدا قيما من حاد عنه هلك وشقي في الدارين وان حمل قوله وأجمع به بعد الفرقة على جميع العقائد والملل على التوحيد او الاعم كان ما بعده عطف تفسير له (وأجعل أمته) الذين أجابوه (خير أمة أخرجت) أوجدت وخلقت أو أخرجت من العدم (للناس) وفي التنزيل كنتم خير أمة الآية أي انه تعالى قضى بذلك وقدره أزلا وفي عالم الذر وقيل المراد كنتم مذكورين في الامم الذين قبلكم موصوفين بذلك لخيرية نبيكم ودينكم أو لما بينه بقوله تامرون الخ ومر الكلام فيه (وأخرج البيهقي عن ابن عباس قال قدم الجارود) بن المعلى ويقال ابن عمرو بن المعلى العبدي أبو المنذر ويقال أبو غياث بمعجمة ومثلثة على الاصح ويقال بمهملة وموحدة اسمه بشر بن حنش بمهملة ونون مفتوحتين ثم معجمة وقيل مطرف وقيل غير ذلك لقب الجارود لانه غزا بكر بن وائل فاستأصلهم قال الشاعر

وأخطأ من قدمه على المسك وجعله سيد أنواع الطيب وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في المسك هو أطيب الطيب ويأتي ان شاء الله تعالى ذكر الخصائص والمنافع التي خص بها المسك حتى انه طيب الجنة والكثبان التي هي مقاعد الصديقين هنالك من مسك لا من عنبر والذي غر هذا القائل أنه لا يدخله التغير على طول الزمان فهو كالذهب وهذا لا يدل على أنه أفضل من المسك فانه بهذه الخاصية الواحدة لا يقاوم ما في المسك من الخواص بعد فضروبه كثيرة وألوانه مختلفة فمنه الابيض والاشهب والاحمر والاصفر والاخضر والازرق والاسود وذو الالوان وأجوده الاشهب ثم الازرق ثم الاصفر واردؤه الاسود وقد اختلف الناس في عنصره فقالت طائفة هو نبات ينبت في قعر البحر فيبتلعه بعض دوابه فاذا ثملت منه قذفته رجيعا فيقذفه البحر الى ساحله وقيل طل ينزل من السماء في جزائر البحر فتلقيه الامواج الى الساحل وقيل روث دابة بحرية تشبه البقرة وقيل بل هو جثاء من جثاء البحر أي زبد وقال صاحب القانون هو فيما يظن ينبع من عين في البحر والذي يقال انه زبد البحر أو روث دابة بعيد انتهى ومزاجه

حار يابس مقو للقلب والدماغ والحواس وأعضاء البدن نافع من الفالج واللقوة والامراض البلغمية

فدسناهم بالخيل من كل جانب * كما جرد الجارود بكر بن وائل

وحكى ابن السكن ان سبب تلقيبه بذلك ان ابل عبد القيس ٢ جربت وبقيت للجارود بقية من ابله فتوجه بها الى قديد بن سنان وهم أخواله فجربت ابل أخواله فقال الناس جردهم بشر فلقب الجارود (فأسلم) قال ابن اسحق وكان نصرانيا وحسن اسلامه وكان صلبا على دينه قال في الاصابة قدم الجارود سنة عشر في وفد عبد القيس الاخير وسر النبي صلى الله عليه وسلم باسلامه وروى الطبراني عن أنس لما قدم الجارود وافدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح به وقربه وأدناه وروى الطبراني أيضا عن الجارود قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ان لى دينا فلى ان تركت ديني ودخلت في دينك ان لا يعذبني الله قال نعم (وقال) الجارود (والذى بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الانجيل ولقد بشر بك ابن البتول) عيسى ابن مريم وقتل الجارود بأرض فارس بعقبة الطير فصار يقال لها عقبة الجارود وذلك سنة احدى وعشرين في خلافة عمر وقيل قتل بنهاوند مع النعمان بن مقرن وقيل بقي الى خلافة عثمان قال أبو عمر من محاسن شعره

شهدت بأن الله حق وسامحى * ثبات فؤادى بالشهادة والنهض

فأبلغ رسول الله عنى رسالة * بانى حنيف حيث كنت من الارض

فان لا تكن دارى بثرب فيكم * فانى بكم عند الاقامة والخفض

واجعل نفسى عند كل ملمة * لكم جنة من دون عرضكم عرضى

وابنه المنذر كان من رؤساء عبد القيس بالبصرة مدحه الاعشى وغيره وحفيده الحكم هو الذى يقول فيه الاعشى

ياحكم بن المنذر بن الجارود * سرادق المجد عليك ممدود

أنت الجواد ابن الجواد المحمود * نبت فى الجود وفى بيت الجود

والعود قد ينبت فى أصل العود

قال وكان الحجاج يحسد الحكم على هذه الابيات (وأخرج ابن سعد قال لما أمر ابراهيم الخليل باخراج هاجر) بالهاء ويقال بالالف والجيم من أرض الشام حين غارت منها سارة زوجه (حمل على البراق فكان لا يمر ابراهيم بأرض عذبة) أى عذب ماؤها (سهلة) لينة يمكن زرعها (الاقال أنزل) بصيغة المضارع وحذف همزة الاستفهام أى أأنزل (ههنا ياجبريل فيقول لا) ولم يزل كذلك (حتى أتى مكة) فالغاية للقدر (فقال جبريل انزل يا ابراهيم قال حيث لاضرع) بفتح الضاد وسكون الراء وهو لذات الظلف كالثدى للمرأة (ولا زرع) قال ذلك تعجبا من أمره له بنزوله فى موضع قفر أى كيف أنزل فى أرض لا أنيس بها ولا ما يتأتى به المعيشة (قال) جبريل (نعم ههنا يخرج النبى الذى من ذرية ابنك) اسمعيل (الذى تتم به الكلمة العليا) وهى كلمة الله وفى ذلك تسلية له وترغيب بنزول تلك الارض (وفى التوراة مما اختاروه) أى العلماء (بعد الحذف والتحريف والتبديل) الواقع من اليهود يحرفون الكلم عن مواضعه (مما ذكره) العلامة محمد (بن ظفر) بفتح الظاء المعجمة والفاء (فى) كتاب (البشر) بكسر ففتح بخير البشر بفتحتين (وابن قتيبة فى) كتاب (أعلام النبوة تجلى) ظهر (الله من سينا) بالقصر جبل بالشام كذا فى القاموس (وأشرق) بالقاف (من ساعير) قال ابن ظفر كناية

---

٢ قوله جربت وقوله فجربت كذا فى النسخ والمناسب لقوله جردهم بشر جردت فجردت وعبارة القاموس والجرد بالتحريك عيب معروف فى الدواب أو هو بالذال والجارود المشؤم ولقب بشر ابن عمرو العبدى الصحابى لانه فر بابله الجرد الى اخواله ففشا الداء فى ابلهم فأهلكها اهـ

وأوجاع المعدة الباردة والرياح الغليظة ومن السدد اذا شرب أو طلى به من خارج واذا تبخر به نفع من الزكام والصداع والشقيقة الباردة * عود العود الهندى نوعان * أحدهما يستعمل فى الادوية وهو الكست ويقال له القسط وسيأتى فى حرف القاف * الثانى يستعمل فى الطيب ويقال له الالوة وقد روى مسلم فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما انه كان يستجمر بالالوة غير مطراة وبكافور يطرح معها ويقول هكذا كان يستجمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عنه فى صفة نعيم أهل الجنة مجامرهم الالوة والمجامر جمع مجمر وهو ما يتجمر به من عود وغيره وهو أنواع أجودها الهندى ثم الصينى ثم القمارى ثم المندلى وأجوده الاسود والازرق الصلب الرزين الدسم وأقله جودة ماخف وطفا على الماء ويقال انه شجر يقطع ويدفن فى الارض سنة فتأكل الارض منه مالا ينفع ويبقى عود الطيب لا تعمل فيه الارض شيأ ويتعفن منه قشره ومالا طيب فيه وهو حار يابس فى الثالثة يفتح السدد ويكسر الرياح ويذهب بفضل الرطوبة ويقوى الاحشاء

من

عن ظهور وأنوار كلامه (واستعلن من جبال فاران) بفاء فألف فراء فألف فنون قال ابن ظفر أي
ظهر أمره وكتابه وتوحيده وحمده وما شرعه وسواه من الاذان والتلبية (فسيناء هو الجبل الذي كلم الله
فيه موسى) واصطفاه وأرسله (وساعير هو الجبل الذي كلم الله فيه عيسى) بمعنى أنزل عليه الانجيل
ونبأه فيه كما يأتي عن ابن قتيبة لا انه كلمه فيه ككلامه لموسى في الجبل كما توهمه هذا الكلام وعبارة
البشر وساعير جبل بالشام منه ظهرت نبوة المسيح واليه يشير قوله (فظهرت فيه نبوته وجبال فاران)
الاضافة من اضافة الكل الى الجزء كأن هذه الجبال اشتهرت بذلك والا فلا معنى للاضافة هنا مع ان
فاران أحدها (وهو اسم عبراني) بكسر العين المهملة نسبة الى العبرانية وهي لغة اليهود (وليست
ألفه الاولى) التالية للفاء (همزة هي جبال بني هاشم التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث)
بفتح التحتية والفوقية والحاء المهملة والنون الثقيلة ثم مثلثة يتعبد الليالي ذوات العدد (في
أحدها وفيه فاتحة الوحي) ابتداء انزاله عليه فهو جبل حراء (وهو أحد ثلاثة جبال أحدها أبو قبيس)
بضم القاف وفتح الباء (والمقابل له قعيقعان) بقافين بعد كل عين مهملة وبعد الاولى تحتية آخره
نون بعد ألف بصيغة التصغير جبل يشرف على الحرم من جهة الغرب (الى بطن الوادي والثالث
الشرقي فاران) المعروف بحراء (ومنفتحه) بميم فنون ففاء ففوقية فمهملة فهاء أي المحل الذي يصعد
منه اليه ويهبط (الذي يلي قعيقعان الى بطن الوادي وهو شعب بني هاشم وفيه مولده صلى الله عليه
وسلم على أحد الاقوال) والثاني بردم بني جمح بمكة والثالث بزقاق المدكك بمكة والرابع وهو شاذ أنه ولد
بعسفان والصحيح الذي عليه الجمهور انه ولد بمكة واختلف في عين المحل على الاقوال الثلاثة (قال
ابن قتيبة وليس بهذا غموض) بمعجمتين أوله وآخره أي خفاء (لان تجلي الله من سيناء انزاله التوراة على
موسى بطور سيناء) قال في الانوار جبل موسى بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين
ولا يخلو أن يكون الطور اسما للجبل وسيناء اسم بقعة أضيف اليها أو المركب منهما علم له كامرئ القيس
ومنع صرفه للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء
بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور (ويجب أن يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح الانجيل
وكان المسيح يسكن من ساعير أرض الخليل) ابراهيم (بقرية تدعى) تسمى (ناصرة) وبها ولد على ما في
البشر (باسمها تسمى من اتبعه نصارى) جمع نصران كندامى جمع ندمان (فكما وجب أن يكون
اشراقه من ساعير انزاله على المسيح) الانجيل والنبوة (فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال
فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وهي جبال مكة) الثلاثة المتقدمة (وليس بين المسلمين
وأهل الكتاب في ذلك اختلاف في ان فاران هي مكة) بدل من قوله في ذلك لبيان اسم الاشارة
لكن هذا يخالف ما قدمه ان فاران ليس مكة بل جبل من جبالها الا ان يقال هو اسم للجبل وسميت
مكة باسمه لقربها منه وفي البشر وفاران هي مكة لا يخالف في ذلك أحد من أهل الكتاب وفي
التوراة وربي أي اسمعيل في برية فاران فمكة هي منشأ اسمعيل وحيث ربي وفي جبال فاران أوحى
الله الى محمد صلى الله عليه وسلم (وان ادعى) عن معاند (انها غير مكة قلنا أليس في التوراة ان الله
أسكن هاجر واسمعيل فاران) فان قالوا بلى طلبنا منهم تعيين ذلك المحل (وقلنا) لهم (دلونا على
الموضع الذي استعلن الله) أي أظهر النبوة (منه واسمه فاران والنبي الذي أنزل عليه كتاب
بعد المسيح) ابن مريم (أوليس استعلن وعلن بمعنى واحد) وسين الاول للتأكيد (وهو
ما ظهر وانكشف فهل تعلمون دينا ظهر ظهور الاسلام وفشا في مشارق الارض ومغاربها
فشوه) أي انتشر واتسع وبهذا فاز ظهر (وفي التوراة أيضا ما ذكره ابن ظفر) في الصنف

برد المثانة قال ابن سمحون العود ضروب كثيرة يجمعها اسم الالوة ويستعمل من داخل وخارج ويتبخر به مفردا ومع غيره وفي الخلط للكافور به عند التجمير معنى طي وهو اصلاح كل منهما بالآخر وفي التجمير مراعاة جوهر الهواء واصلاحه فانه أحد الاشياء الستة الضرورية التي في صلاحها اصلاح الابدان * عدس قد ورد فيه أحاديث كلها باطلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل شيأ منها كحديث انه قدس فيه سبعون نبيا وحديث انه يرق القلب ويغزر الدمعة وانه مأكول الصالحين وأرفع شئ جاء فيه وأصحه انه شهوة اليهود التي قدموها على المن والسلوى وهو قرين الثوم والبصل في الذكر وطبعه طبع المؤنث بارد يابس وفيه قوتان متضادتان احداهما يعقل الطبيعة والاخرى يطلقها وقشره حار يابس في الثالثة حريف مطلق للبطن وترياقه في قشره ولهذا كان صحاحه أنفع من مطحونه وأخف على المعدة وأقل ضررا فان لبه بطئ الهضم لبرودته ويبوسته وهو مولد السوداء ويضر بالماليخوليا ضررا بينا ويضر بالاعصاب والبصر

الذي لا ينكر أهل الكتاب مجيئه في التوراة (خطابا لموسى والمراد به) أي الخطاب (الذين اختارهم) موسى ممن لم يعبد العجل (لميقات ربه) بأمره أي للوقت الذي وعده باتيانهم فيه ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل (الذين أخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة قال ابن عباس لانهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل قال وهم غير الذين سألوا الرؤية وأخذتهم الصاعقة (خصوصا ثم) خاطب (بني اسرائيل عموما والله ربك يقيم نبيا من اخوتك فاستمع له) مما يخاطبه قومه تعنتا كما قال تعالى اخبارا عنهم وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية أي هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة أو يوحي الينا أنك رسوله أو تأتينا آية حجة على صدقه والاول استكبار والثاني جحود كما في الانوار فهو تسلية لموسى عليه السلام (كالذي سمعت ربك في حوريث) بحاء مهملة أوله وفوقية آخره قال في القاموس موضع ولا نظير لها أي لهذه الكلمة (يوم الاجتماع حين قلت لا أعود أسمع صوت الله ربي لئلا أموت فقال الله تعالى نعم ما قالوا وسأقيم لهم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلامي في فمه لهم كل شئ أمرته) وفي نسخة آمره (به وأيما رجل لم يطع من تكلم باسمي فاني أنتقم منه) وجوز شيخنا في التقرير أن يكون هذا من باب واذ أخذ الله ميثاق النبيين أي استمع له اذا وجدوا أنت حي كسماعك لربك وهذا بعيد جدا ولذا لم يذكره في الشرح (قال) ابن ظفر (وفي هذا الكلام أدلة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم) من ثلاثة أوجه بينها فقال (فقوله) لفظه منها قوله (نبيا من اخوتهم وموسى وقومه من بني اسحق واخوتهم من بني اسمعيل ولو كان هذا النبي الموعود به من بني اسحاق لكان من أنفسهم لا من اخوتهم) كما قال عز وجل اخبارا بدعوة ابراهيم لولد اسمعيل ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وكما قال سبحانه مخاطبا للعرب لقد جاءكم رسول من أنفسكم هذا تركه المصنف من كلام ابن ظفر (وأما) لفظه ومنها (قوله نبيا مثلك وقد قال في التوراة لا يقوم في بني اسرائيل أحد مثل موسى) من أنفسهم فلا ينافي انه قام فيهم مثل موسى بل أجل وهو محمد عليه السلام لعموم دعوته لانه من بني اسمعيل اخوتهم لا من أنفسهم فلا خلف بين هذا وقول التوراة السابق وسأقيم لهم نبيا مثلك (وفي ترجمة أخرى مثل موسى لا يقوم في بني اسرائيل أبدا) من أنفسهم (فذهبت اليهود الى أن هذا النبي الموعود به هو يوشع بن نون وذلك باطل لان يوشع لم يكن كفؤا لموسى عليه السلام بل كان خادما له في حياته ومؤكدا لدعوته) وداعيا اليها (بعد وفاته فتعين أن يكون المراد به محمدا صلى الله عليه وسلم فانه كفؤ موسى لانه يماثله في نصب الدعوة والتحدي بالمعجزة وشرع الاحكام) أي اظهارها والمجيء بها وان كان أصلها من الله (واجراء النسخ على الشرائع السالفة و) منها (قوله تعالى أجعل كلامي في فمه فانه واضح في ان المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم لان معناه أوحي اليه بكلامي فينطق به على نحو) زائدة ولم تقع في ابن ظفر انما قال على (ما سمعه ولا أنزل عليه صحفا ولا ألواحا) كما أنزلت عليك يا موسى (لانه أي لا يحسن أن يقرأ المكتوب) مدة حياته وبقية كلام ابن ظفر وقوله أيما رجل لم يطع من تكلم باسمي فاني أنتقم منه دليل على كذب اليهود في قولهم ان الله أمرنا بمعصية كل نبي دعانا الى دين يتضمن نسخا لبعض ما شرعه موسى هكذا مع قطعنا أنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه فان أهل الكتابين عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم كما عرفوا أبناءهم ووجدوه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وانما يذكر ما أظهروه ووضعوا التفسير له بما حكيناه عن تراجمهم بلفظهم الذي اختاروه وأثبتوه في كتبهم ليكون ذلك أقطع لعذرهم وأحسم لروغانهم وقد صح انه صلى الله عليه وسلم أتى اليهود فقال اخرجوا الى أعلمكم فأخرجوا اليه عبد الله بن صوريا الاعور فقال له صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي أطعم أسباطكم المن والسلوى وظلل عليهم الغمام أتعلم انى رسول الله فقال ابن صوريا اللهم نعم وان القوم ليعرفون من هذا ما أعرف وان نعتك لبين عندهم ولكن القوم حسدوك لانك عربي قال فاسلم قال انى أكره خلاف

وهو غليظ الدم وينبغي ان يتجنبه أصحاب السوداء واكثارهم منه يولد لهم أدواء رديئة كالوسواس والجذام وحمى الربع ويقلل ضرره السلق والاسفاناخ واكثار الدهن وأرداً ما أكل بالمكسود ٧ وليتجنب خلط الحلاوة به فانه يورث سددا كبدية وادمانه يظلم البصر لشدة تجفيفه ويعسر البول ويوجب الاورام الباردة والرياح الغليظة وأجوده الابيض السمين السريع النضاج وأما ما يظنه الجهال أنه كان سماط الخليل الذي يقدمه لاضيافه فكذب مفترى وانما حكى الله عنه الضيافة بالشوى وهو العجل الحنيذ وذكر البيهقي عن اسحق قال سئل ابن المبارك عن الحديث الذي جاء في العدس انه قدس على لسان سبعين نبيا فقال ولا على لسان نبي واحد وانه لمؤذ منفخ من حدثكم به قالوا سلم بن سالم فقال عمن قالوا عنك قال وعني أيضا

(حرف الغين)

غيث مذكور في القرآن في عدة مواضع وهو لذيذ الاسم على السمع والمسمى على الروح والبدن تبتهج الاسماع بذكره والقلوب بوروده وماؤه أفضل المياه وألطفها وأنفعها وأعظمها بركة ولاسيما اذا كان من سحاب راعد واجتمع في مستنقعات الجبال

قومي وعدي ان يسلموا فاسلم انتهى (وفي الانجيل مما ذكره ابن طغربك) بضم الطاء المهملة وسكون المعجمة وضم الراء وفتح الموحدة ثم كاف علم مركب من طغرو بك الامام العلامة المحدث سيف الدين عمر بن أيوب الحميري التركماني الدمشقي الحنفي (في) كتاب (الدر المنتظم) في مولد النبي صلى الله عليه وسلم (قال يوحنا في انجيله) أضافه اليه لان عيسى لم تظهر دعوته في عصره وانما أخذ الانجيل عنه أربعة من الحواريين متى ويوحنا وقيسر ولوقا فتكلم كل واحد من هؤلاء بعبارة لملائمة الذين تبعوا دعاءهم ولذا اختلفت الاناجيل الاربعة اختلافا شديدا قاله في المنتقى (عن المسيح انه قال أنا أطلب لكم من الاب ان يعطيكم فارقليط) قال المصنف في المقصد الثاني وأما البارقليط والفارقليط بالموحدة وبالفاء بدلها وفتح الراء والقاف وبسكون الراء مع فتح القاف وبفتح الراء مع سكون القاف وبكسر الراء وسكون القاف غير منصرف للعلمية والعجمة (آخر يثبت معكم الى الابد) آخر الدهر ببقاء دينه الى القيامة (روح الحق) أضافه اليه ليميز روحه عن سائر المخلوقات بما خصه الله به من الكمالات (الذي لن يطيق العالم ان يقتلوه) وان أراد بعضهم ذلك (وهو عند ابن طغر) في البشر (بلفظ) ومما ترجموه في الانجيل أن عيسى قال (ان أحببتموني فاحفظوا وصيتي وانا أطلب الى أبي) أي ربي كما يأتي (فيعطيكم فارقليط آخر يكون معكم الدهر كله) ببقاء شرعه الى انقضاء الدهر (قال) ابن ظفر (فهذا تصريح بأن الله سيبعث اليهم من يقوم مقامه) أي عيسى (وينوب عنه في تبليغ رسالة ربه وسياسة خلقه منابه وتكون شريعته باقية مخلدة أبدا) الى يوم القيامة كما هو مفاد قوله الدهر كله (فهل هذا الا محمد صلى الله عليه وسلم) صاحب النبوة الخاتمة (انتهى ولم يذكر فصول) أي أنواع المسائل التي ذكر فيها (الفارقليط كما أفاده ابن طغر بك سوى يوحنا دون غيره من نقلة الانجيل) ومن حفظ حجة (وقد اختلف النصارى في تفسير الفارقليط) قال ابن ظفر والذي صح عندي من ذلك عنهم انه الحكيم الذي يعرف السر (فقيل هو الحامد وقيل هو المخلص) بشد اللام اسم فاعل (فان وافقناهم على انه المخلص أفضى بنا الامر الى أن المخلص رسول يأتي لخلاص العالم) من الهلاك باخراجهم من الكفر الى الايمان (وذلك من غرضنا لان كل نبي مخلص لامته من الكفر ويشهد له قول المسيح في الانجيل اني جئت لخلاص العالم فاذا ثبت ان المسيح هو الذي وصف نفسه بأنه مخلص العالم وهو الذي سأل الاب أن يعطيهم فارقليط آخر ففي مقتضى اللفظ ما يدل على انه قد تقدم فارقليط أول حتى يأتي فارقليط آخر) وهو محمد صلى الله عليه وسلم (وان) بكسر فسكون شرطية (تنزلنا معهم) ووافقناهم (على القول بأنه الحامد) وجواب الشرط هو (فأي لفظ أقرب الى أحمد ومحمد من هذا) الذي هو الحامد (قال ابن ظفر) محمد في البشر (وفي الانجيل مما ترجموه ما يدل على ان الفارقليط الرسول فانه قال ان هذا الكلام الذي يسمعونه ليس هو لي بل الاب) أي الرب (الذي أرسلني بهذا الكلام لكم) لفظ ابن ظفر كلمكم بهذا وأنا معكم (وأما البارقليط روح القدس الذي يرسله أبي باسمي فهو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم) بالتثقيل (كل ما قلته لكم) لفظه جميع ما أقول لكم فهذا يفهم منه أن الفارقليط الرسول (فهل بعد هذا بيان أليس هذا صريحا في أن الفارقليط رسول يرسله الله تعالى وهو روح القدس وهو يصدق) بشد الدال المكسورة (بالمسيح ويظهر اسمه انه رسول حق من الله) وعبده (وليس باله) كما زعموا وافضلوا (وهو يعلم الخلق كل شيء ويذكرهم كل ما) أي شيء (قاله) لهم (المسيح عليه السلام وكل ما أمرهم به) المسيح (من توحيد الله) بنحو قوله اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار (فهل جاء بهذا الا محمد صلى الله عليه وسلم) (وأما قوله أبي فهذه اللفظة مبدلة محرفة و) مع ذلك (ليست منكرة الاستعمال عند أهل الكتابين) يقولها المتكلم (اشارة الى

وهو أرطب من سائر المياه لأنه لم تطل مدته على الارض فيكتسب من يبوستها ولم يخالطه جوهر يابس ولذلك يتغير ويتعفن سريعا للطافته وسرعة انفعاله وهل الغيث الربيعي ألطف من الشتوي أو بالعكس فيه قولان قال من رجح الغيث الشتوي حرارة الشمس تكون حينئذ أقل فلا يجتذب من ماء البحر الا ألطفه والجو صاف وهو خال من الابخرة الدخانية والغبار المخالط للماء وكل هذا يوجب لطفه وصفاءه وخلوه من مخالط وقال من رجح الربيعي الحرارة توجب تحلل الابخرة الغليظة وتوجب رقة الهواء ولطافته فيخف بذلك الماء وتقل أجزاؤه الارضية وتصادف وقت حياة النبات والاشجار وطيب الهواء وذكر الشافعي رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصابنا مطر فحسر عنه وقال انه حديث عهد بربه وقد تقدم في هديه في الاستسقاء ذكر استمطاره صلى الله عليه وسلم وتبركه بماء الغيث عند أول مجيئه

(حرف الفاء)

فاتحة الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني والشفاء التام والدواء النافع والرقية التامة ومفتاح الغنى

الرب سبحانه وتعالى لانها عندهم لفظة تعظيم يخاطب بها المتعلم معلمه الذى يستمد منه العلم) وهو شيخه (ومن المشهور مخاطبة النصارى عظماء دينهم بالآباء الروحانية) بضم الراء (ولم تزل بنو اسرائيل) يعقوب (وبنو) أخيه (عيصو) بكسر العين المهملة واسكان الياء ومهملة (يقولون نحن أبناء الله بسوء فهمهم عن الله تعالى) زاد ابن ظفر واختلال بصائرهم فى التلقى عن أنبيائه وقد قرأت فى التوراة مما أساؤا الترجمة عنه فنظر الرب وسخط حين أغضبه بنوه وبناته وقال سأعرض بوجهى عنهم وأنظر الى ما يصير عاقبتهم لانهم خلف أعوج أبناء ليس لهم ايمان (وأما قوله يرسله أبى باسمى فهو اشارة الى شهادة المصطفى له) لعيسى (بالصدق والرسالة وما تضمنه القرآن من مدحه) وتنزيهه (عما افترى فى أمره) لفظ ابن ظفر عما افتراه فى أمره اليهود وعبارة المصنف أشمل (وفى ترجمة أخرى للانجيل انه قال البارقليط اذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه) واستأنف قوله (ما) أى الذى (يسمع) من ربه بواسطة الوحى فى أغلب الاحوال هو الذى (يكلمهم به ويسوسهم) يدبرهم ويقوم بأمرهم (بالحق ويخبرهم بالحوادث) والغيوب التى كانت وتكون الى يوم القيامة (وهو عند ابن ظفر بلفظ فاذا جاء روح الحق ليس ينطق من عنده) بجر الظرف بمن (بل يتكلم بكل ما يسمع) أى يسمعه (من الله) بالوحى (ويخبرهم بما يأتى وهو يمجدنى لانه يأخذ مما هو لى ويخبركم فقوله ليس ينطق من عنده) مبتدأ وعطف عليه قوله (وفى الرواية الاخرى) التى فوق هذه (ولا يقول من تلقاء نفسه بل يتكلم بكل ما يسمع من الله الذى أرسله وهذا كما قال تعالى) فى القرآن (فى صفته صلى الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى) هوى نفسه (ان هو الا وحى يوحى) جملة معترضة لبيان ان ما فى الانجيل موافق للقرآن وعطف على المبتدأ اضافة قال (وقوله وهو يمجدنى) وحذف الخبر وهو دليل على ان المقول فيه ذلك هو محمد صلى الله عليه وسلم وحال هذا الخبر المقدر بقوله (فلم يمجده حق تمجيده الا) بمعنى غير (محمد صلى الله عليه وسلم لانه وصفه بأنه رسول الله وبرأه وبرأ أمه) مريم (عليهما السلام بما ناسب اليهما وأمر أمته بذلك قال ابن ظفر) محمد فى البشر (فمن ذا الذى وبخ العلماء على كتمان الحق وتحريف الكلم عن مواضعه وبيع الدين بالثمن البخس) من عرض الدنيا وانتصابهم أربابا من دون الله (ومن ذا الذى أنذر بالحوادث وأخبر بالغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم) فوقعت كما قال وما لم يقع لابد من وقوعه كما قال (ولله در أبى محمد عبد الله الشقراطسى حيث قال فى قصيدته) اللامية المشهورة

(توراة موسى أتت عنه فصدقها * انجيل عيسى بحق غير مفتعل
أخبار أحبار تلك الكتب قد وردت * عما رأوا ورووا فى الاعصر الاول

ويعجبنى قول العارف الربانى أبى عبد الله بن النعمان حيث قال

هذا النبى محمد جاءت له * توراة موسى للانام تبشر
وكذاك انجيل المسيح موافق * ذكر الاحمد معرب ومذكر

ويرحم الله ابن جابر مجدا حيث قال

لمبعثه فى كل جيل علامة * على ما جلته الكتب من أمره الجلى
فجاء به انجيل عيسى بآخر * كما قد مضت توراة موسى بأول)

والابيات الستة غنية عن الشرح وقد اعترض على المصنف وغيره ممن أكثر النقل عن التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب المنسوخة فالاشتغال بها ينافى الغرض من نسخها وقد حرم الفقهاء قراءتها والنظر فيها وأنها محرفة فمبدلة ثم اختلفوا هل التحريف بالزيادة والنقص أو بتأويلها وتفسيرها بغير المراد منها وأجيب بأنه لا مانع من قراءتها للعارف الفطن لمعرفة النبى صلى الله عليه وسلم فيها

تنزيلها على دائه وعرف وجه الاستشفاء والتداوى بها والسر الذى لاجله كانت كذلك ولما وقع بعض الصحابة على ذلك رقى بها اللديغ فبرأ لوقته فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وما أدراك انها رقية ومن ساعده التوفيق وأعين بنور البصيرة حتى وقف على أسرار هذه السورة وما اشتملت عليه من التوحيد ومعرفة الذات والاسماء والصفات والافعال واثبات الشرع والقدر والمعاد وتجريد توحيد الربوبية والالهية وكمال التوكل والتفويض الى من له الامر كله وله الحمد كله وبيده الخير كله واليه يرجع الامر كله والافتقار اليه فى طلب الهداية التى هى أصل سعادة الدارين وعلم ارتباط معانيها بجلب مصالحهما ودفع مفاسدهما وأن العاقبة المطلقة التامة والنعمة الكاملة منوطة بها موقوفة على التحقق بها أغنته عن كثير من الادوية والرقى واستفتح بها من الخير أبوابه ودفع بها من الشر أسبابه وهذا أمر يحتاج استحداث فطرة أخرى وعقل آخر وايمان آخر وتالله لا تجد مقالة فاسدة ولا بدعة باطلة الا وفاتحة الكتاب

ولا لزامهم

متضمنة لردها وإبطالها بأقرب طريق وأصحها وأوضحها ولا تجد بابا من أبواب المعارف الالهية وأعمال القلوب وأدويتها من عللها وأسقامها الا وفي فاتحة الكتاب مفتاحه وموضع الدلالة عليه ولا منزلا من منازل السائرين الى رب العالمين الا وبدايته ونهايته فيها ولعمر الله ان شأنها لاعظم من ذلك وهي فوق ذلك وما تحقق عبد بها واعتصم بها وعقل عمن تكلم بها وأنزلها شفاء تاما وعصمة بالغة ونورا مبينا وفهمها وفهم لوازمها كما ينبغي ووقع في بدعة ولا شرك ولا أصابه مرض من أمراض القلوب الا لماما غير مستقر هذا وانها المفتاح الاعظم لكنوز الارض كما انها المفتاح لكنوز الجنة ولكن ليس كل واحد يحسن الفتح بهذا المفتاح ولو أن طلاب الكنوز وقفوا على سر هذه السورة وتحققوا بمعانيها وركبوا لهذا المفتاح أسنانا وأحسنوا الفتح به لوصلوا الى تناول الكنوز من غير معاوق ولا ممانع ولم نقل هذا مجازفة ولا استعارة بل حقيقة ولكن لله تعالى حكمة بالغة في اخفاء هذا السر عن نفوس أكثر العالمين كما له حكمة بالغة في اخفاء كنوز الارض عنهم والكنوز المحجوبة قد استخدم عليها أرواح خبيثة شيطانية تحول

ولالزامهم بما أنكروه وكيف يحرم لمثل هذا وقد قال تعالى قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ووقع في أحاديث النقل عنها وقال التجاني في شرح الشفا اذا وجد فيها ما يقوم النظر على عدم تبديله وأفاد النظر فيه مقصدا شرعيا فلا يبعد أن يباح النظر فيه والاشتغال به (وفي الدلائل للبيهقي عن) شيخه (الحاكم) أبي عبد الله المشهور (بسند لا بأس به عن أبي امامة الباهلي) صدي بالتصغير ابن عجلان الصحابي المشهور سكن الشام ومات بها سنة ست وثمانين (عن هشام بن العاصي الاموي) بضم الهمزة نسبة الى أمية على القياس وبفتحها على خلافه وهو الاشهر عندهم تقدم مرارا (قال بعثت أنا ورجل آخر) من قريش كما في نفس رواية البيهقي أي في زمن الصديق (الى هرقل) بكسر الهاء واسكان الراء وفتح القاف على المشهور (صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فذكر الحديث) وهو فنزلنا على جبلة فدعوناه الى الاسلام فاذا عليه ثياب سود فسألناه عن ذلك قال حلفت ان لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام فقلنا له والله لنأخذن مجلسك هذا ولنأخذن ملك الملك الاعظم أخبرنا بهذا نبينا قال لستم بهم ثم ذكر قصة دخولهم على هرقل (وانه أرسل اليهم ليلا) واستخلى بهم (قال فدخلنا عليه فدعا بشيء كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب ففتح واستخرج) أي أخرج (حريرة سوداء فنشرها فاذا فيها صورة حمراء واذا رجل) أي واذا تلك الصورة صورة رجل (ضخم العينين عظيم الاليتين لم أر مثل طول عنقه واذا له ضفيرتان) بالضاد المعجمة خصلتان من الشعر (أحسن ما خلق الله تعالى قال أتعرفون هذا قلنا لا قال هذا آدم عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة سوداء واذا فيها صورة بيضاء فاذا رجل أحمر العينين ضخم الهامة) عظيم الرأس (حسن اللحية فقال أتعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام ثم فتح بابا آخر وأخرج حريرة فاذا فيها صورة بيضاء واذا فيها والله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتعرفون هذا) أسقط من رواية البيهقي فبكينا و(قلنا نعم محمد رسول الله ونبينا والله انه) أي هرقل (قام قائما ثم جلس) تعظيما لصورته (وقال انه لهو وقلنا نعم انه لهو كأنك تنظر اليه فأمسك ساعة) مدة من الزمن (ينظر اليها ثم قال أما) بالفتح والتخفيف (والله انه لآخر البيوت ولكن عجلته لكم لانظر ما عندكم) من العلم بنبيكم (الحديث وفيه ذكر صور الانبياء ابراهيم وموسى وعيسى وسليمان وغيرهم قال فقلنا له من أين لك هذه الصور فقال ان آدم سأل ربه أن يريه الانبياء من ولده فأنزل عليه صورهم) اجابة لسؤاله (فكان في خزانة آدم) أي ذلك المنزل من صورهم مع صورة آدم (عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها الى دانيال) النبي عليه السلام ثم تنقلت الى ان وصلت الى هرقل وفي بقية خبر البيهقي ثم قال هرقل لو طابت نفسي بالخروج من ملكي لوددت اني كنت عبدا لاميركم حتى أموت قال فلما رجعنا حدثنا أبا بكر فبكى ثم قال لو أراد الله به خير الفعل ثم قال أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم واليهود يعرفون نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الاصابة وقد تقدم في ترجمة عدي بن كعب نحو هذه القصة لكن فيها انه هشام بن العاصي السهمي فالله أعلم وقال فيما تقدم لا أعرف نسب عدي بن كعب روى المعافي في الجليس عن عبادة بن الصامت قال بعثني أبو بكر ومعي عمرو بن العاصي وأخوه هشام بن العاصي وعدي بن كعب ونعيم بن عبد الله الى ملك الروم فدخلنا على جبلة فذكر قصة طويلة نحو ورقتين واسناده ضعيف وقد أخرجها البيهقي عن هشام بن العاصي الاموي (وفي زبور داود عليه السلام من مزمور) مفرد مزامير كمزمار أربعة وأربعين) أي المتمم لها وهي ما كان يتغنى به من الزبور وضروب الدعاء (فاضت النعمة من شفتيك من أجل هذا باركك) أي جعلك (الله) مباركا وفي ابن ظفر عن الزبور مخاطبا المصطفى لتنزيله منزلة الموجود لتحققه عنده فاضت الرحمة على شفتيك من أجل ذلك أبارك

عليك الى الابد (تقلد) أمر (أيها الجبار) من أسمائه صلى الله عليه وسلم لجبره الخلق على الحق وصرفهم
عن الكفر أو لاصلاحه أمته بالهداية والتعليم أو لقهر أعدائه أو لعلو منزلته على الخلق وعظيم خطره
ونفى تعالى عنه جبرية التكبر فقال وما أنت عليهم بجبار (سيفك) أى اجعل حمائله على عاتقك
واجعله كالقلادة وفيه اشارة الى انه سيؤمر بالجهاد (فان شرائعك) جمع شريعة (وسنتك) كذا فى النسخ
والذى قدمه المصنف فى الاسماء ومثله فى الشفاء وابن ظفر وابن دحية فان ناموسك وشرائعك والمراد
بالناموس الوحى النازل عليك ويحتمل ان شرائع عطف تفسير ولذا وحد الخبر فى قوله (مقرونة بهيبة
يمينك) أى بالخوف من سيفك فكنى عنه بذلك أو تجوز باليمين عما فيه (وسهامك مسنونة وجميع
الامم يخرون تحتك) بالمعجمة من الخرور وهو السقوط أى يخضعون ويذلون لك (فهذا المزمور
ينوه) يرفع (بمحمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة التى فاضت من شفتيه هو القول الذى يقوله وهو الكتاب
الذى أنزل عليه) أى القرآن (والسنة التى سنها) اذ لا ينطق عن الهوى (وفى قوله تقلد سيفك أيها
الجبار دلالة على انه النبى العربى اذ ليس يتقلد السيف أمة من الامم الا العرب وكلهم يتقلدونها على
عواتقهم) بخلاف غيرهم فيجعلونها فى أوساطهم (وفى قوله فان شرائعك وسنتك نص صريح على انه
صاحب شريعة وسنة وأنها تقوم بسيفه) قهرا على من خالف (والجبار الذى يجبر الخلق بالسيف على
الحق) وهو التوحيد (ويصرفهم عن الكفر) وهو ما خالف الايمان والتوحيد (جبرا) عليهم كما قال
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله (وعن وهب بن منبه) بضم الميم وفتح النون وكسر الموحدة
الثقيلة ابن كامل اليمانى أبى عبد الله الأبنارى بفتح الهمزة وسكون الباء بعدها نون تابعى ثقة رواه
له الشيخان وغيرهما مات سنة بضع عشرة ومائة (قال قرأت فى بعض الكتب القديمة قال الله تبارك
وتعالى وعزتى وجلالى لأنزلن على جبال العرب) أهل مكة وما حولها (نورا يملأ ما بين المشرق
والمغرب ولأخرجن من ولد اسمعيل) بن ابراهيم (نبيا) رسولا (عربيا أميا) لا يقرأ ولا يكتب (يؤمن
به عدد نجوم السماء ونبات الارض كلهم يؤمن بى ربا وبه رسولا ويكفرون بملل) بالامين جمع ملة
(آبائهم ويفرون منها) من الفرار أى يهربون (قال موسى) بن عمران عليه السلام (سبحانك)
تنزيها لك عما لا يليق بك (وتقدست أسماؤك ولقد كرمت) فضلت (هذا النبى وشرفته) على من سواه
(قال الله يا موسى انى أنتقم من عدوه) الكفار (فى الدنيا) بالقتل والاسر والاجلاء والقحط والسنين
وغير ذلك (و) فى (الآخرة) بالعذاب المخلد (وأظهر دعوته على كل دعوة) وسلطانه ومن اتبعه على البر
والبحر وأخرج لهم من كنوز الارض هذا تركه المصنف من البشر قبل قوله (وأذل من خالف شريعته)
ولو كان له سلطان فهو أبدا ذليل خائف من سطوة الاسلام وعزه (وبالعدل) الانصاف (زينته
وللقسط) أى العدل (أخرجته) فلا يحكم ولا يأمر الا به (وعزتى لاستنقذن به أمما من النار فتحت
الدنيا بابراهيم وختمتها بمحمد) مثل كتابه الذى يجىء به فاعقلوا يا بنى اسرائيل كمثل السقاء
المملوء لبنا يمخض فيخرج زبدا بكتابه أختم الكتب وبشريعته أختم الشرائع هذا أسقطه المصنف
من كتاب البشر قبل قوله (فمن أدركه ولم يؤمن) يصدق (به) باطنا (ولم يدخل فى شريعته)
ظاهرا (فهو من الله برىء ذكره ابن ظفر) فى البشر (وغيره) وبقيته اجعل أمته يبنون
فى مشارق الارض ومغاربها مساجد اذا ذكر اسمى فيها ذكر اسم ذلك النبى معى لا يزول ذكره
من الدنيا حتى تزول

*(النوع الخامس فى آيات تتضمن أقسامه تعالى على تحقيق رسالته) ثبوتها (وثبوت
ما أوحى اليه) مستفاد من سابقه لانه متى تحققت رسالته قطع بصدقه فى كل ما يقول وقد أخبر بأن

الأرواح علوية شريفة غالبة لها بحال الايمانى مع ما منه أسلحة لا تقوم لها بين الانس وبينها لا تقهرها الشياطين وأكثر نفوس الناس ليست بهذه المثابة فلا يقاوم تلك الارواح ولا يقهرها ولا ينال من سابها شيأ فان من قتل قتيلا فله سلبه * فاغية هى نور الحناء وهى من أطيب الرياحين وقد روى البيهقى فى كتابه شعب الايمان من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه رضى الله عنه يرفعه سيد الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغية وروى فيه أيضا عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كان أحب الرياحين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاغية والله أعلم بحال هذين الحديثين فلا نشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا نعلم صحته وهى معتدلة فى الحر واليبس فيها بعض القبض واذا وضعت بين طى ثياب الصوف حفظتها من السوس وتدخل فى مراهم الفالج والتمدد ودهنها يحلل الاعضاء ويلين العصب * فضة ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خاتمه من فضة وفصه منه وكانت قبيعة سيفه فضة ولم يصح عنه فى المنع من لباس الفضة والتحلى بها شىء البتة كما صح عنه المنع من الشرب فى آنيتها وباب الآنية أضيق من باب

القرآن من الله فيكون حقا لكنه أراد التنبيه على انه أقسم عليه بخصوصه اعتناء بشأنه وسئل ما معنى القسم منه سبحانه مع ان القصد به تحقيق الخبر وتوكيده فان كان لاجل المؤمن فهو مصدق بمجرد الاخبار بلا قسم وان كان للكافر فلا يفيد فيه وأجيب بأن القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتها القسم اذا أرادت توكيد أمر وأجاب القشيري بأن الله أقسم لكمال الحجة وتوكيدها لان الحاكم يفصل اما بالشهادة واما بالقسم فذكر الله تعالى في كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة فقال شهد الله الآية وقال قل اى وربى انه لحق (من آياته) القرآن وهو الظاهر من استدلاله عليه بقوله الآتي انه لقرآن كريم ويحتمل ما هو أعم ودليله والنجم الى قوله ان هو الا وحى (وعلو) أى ارتفاع (رتبته) منزلته (الرفيعة) العلية الشريفة فهو من الوصف بالمساوى حسنه اختلاف اللفظ وهو سائغ شائع كقوله تعالى صلوات من ربهم ورحمة (ومكانته) أى مرتبته المعنوية وهى الرفعة فهو عطف تفسير والمكان معروف اذا زيدت فيه الهاء أريد به المرتبة المعنوية كالمنزل والمنزلة (وهذا النوع أعزك الله) جملة معترضة دعائية (لخصت أكثره من كتاب أقسام القرآن للامام العلامة ابن القيم) محمد بن أبى بكر (مع زيادات من فرائد) أى نفائس (الفوائد) وغرائبها وهى الجواهر النفيسة فهى من اضافة الصفة للموصوف أى الفوائد النفيسة كالجواهر أو حقيقية * واذا أردت ذلك (فاعلم ان الله تعالى أقسم بأمور على أمور وانما أقسم بنفسه) أى بالالفاظ الدالة على ذاته (الموصوفة بصفاته) وذلك فى سبعة مواضع من القرآن قل اى وربى انه لحق وقوله قل بلى وربى فوربك لنحشرنهم فوربك لنسألنهم فلا وربك لا يؤمنون فورب السماء والارض انه لحق فلا أقسم برب المشارق والمغارب والباقى كله أقسم بمخلوقاته كما قال (و) أقسم (بآياته المستلزمة لذاته وصفاته) لدلالة الآيات على الصانع وأورد كيف أقسم بالخلق وقد ورد النهى عن القسم بغير الله أجيب بان المراد بنحو قوله والقلم ورب القلم وكذا الباقى وبأن العرب كانت تعظم هذه الاشياء أو تقسم بها فنزل القرآن على ما تعرفه وبأن الاقسام انما يكون بما يعظمه المقسم ويجله وهو فوقه والله تعالى ليس فوقه شئ فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لانها تدل على بارئ وصانع (وأقسامه ببعض مخلوقاته دليل على انه) أى ذلك البعض (من عظيم آياته) من اضافة الصفة للموصوف قال ابن القيم والقسم اما على جملة خبرية وهو الغالب كقوله فورب السماء والارض انه لحق واما على جملة طلبية كقوله فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون مع ان هذا القسم قد يراد به تحقيق المقسم عليه فيكون من باب الخبر وقد يراد به تحقيق المقسم به والمقسم عليه ويراد بالمقسم توكيده وتحقيقه (ثم تعالى تارة يذكر جواب القسم وهو الغالب وتارة يحذفه وتارة يقسم على ان القرآن حق وتارة على ان الرسول حق وتارة على ان الجزاء والوعد) بالخير (والوعيد) بالشر (حق فالاول) وهو أن القرآن حق (كقوله تعالى فلا أقسم) بزيادة لا (بمواقع النجوم) بمساقطها لغروبها (وانه) أى القسم بها (لقسم لو تعلمون عظيم) أى لو كنتم من ذوى العلم لعلمتم عظم هذا القسم (انه) أى المتلو عليكم (لقرآن كريم) كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة فى اصلاح المعاش والمعاد أو حسن مرضى فى جنسه (فى كتاب) مكتوب (مكنون) مصون وهو المصحف (لا يمسه) خبر بمعنى النهى (الا المطهرون) أى الذين طهروا أنفسهم من الاحداث ويأتى بسط هذا (والثانى كقوله تعالى يس والقرآن الحكيم) المحكم بعجيب النظم وبديع المعانى (انك لمن المرسلين على صراط مستقيم) أى طريق الانبياء قبلك التوحيد والهدى والتأكيد بالقسم وغيره رد لقول الكفار لست مرسلا (والثالث كقوله والذاريات) الرياح تذرو التراب وغيره (ذروا الى قوله وان الدين) الجزاء بعد الحساب (لواقع) لا محالة (وهذه الامور الثلاثة) القرآن والرسول والمعاد المعبر عنه أولا

اللباس والتحلي ولهذا يباح للنساء لباسا وحلية ما يحرم عليهن استعماله آنية فلا يلزم من تحريم الآنية تحريم اللباس والحلية وفى السنن عنه وأما الفضة فالعبوا بها لعبا فالمنع يحتاج الى دليل يبينه اما نص أو اجماع فان ثبت أحدهما والا ففى القلب من تحريم ذلك على الرجال شئ والنبى صلى الله عليه وسلم أمسك بيده ذهبا وبالاخرى حريرا وقال هذان حرام على ذكور أمتى وحل لاناثهم والفضة سر من أسرار الله فى الارض وطلسم الحاجات واحسان أهل الدنيا بينهم وصاحبها مرموق بالعيون بينهم معظم فى النفوس مصدر فى المجالس لا تغلق دونه الابواب ولا تمل مجالسته ولا معاشرته ولا يستثقل مكانه تشير الاصابع اليه وتعقد العيون نطاقها عليه ان قال سمع قوله وان شفع قبلت شفاعته وان شهد زكيت شهادته وان خطب فكفؤ لا يعاب وان كان ذا شيبة بيضاء فهى أجل عليه من حلية الشباب وهى من الادوية المفرحة النافعة من الهم والغم والحزن وضعف القلب وخفقانه وتدخل فى المعاجين الكبار وتجتذب بخاصيتها ما يتولد فى القلب من الاخلاط الفاسدة خصوصا اذا أضيفت الى العسل المصفى والزعفران ومزاجها الى اليبوسة والبرودة

ويتولد عنهما من الحرارة والرطوبة ما يتولد والجنان التي أعدها الله عز وجل لأوليائه يوم يلقونه أربع

بالجزاء والوعد والوعيد (متلازمة فتى ثبت ان الرسول حق ثبت ان القرآن حق) لان الرسول أخبر بأنه من عند الله ومحال على الرسول الكذب (وثبت المعاد) الرجوع يوم القيامة الذي أخبر به (ومتى ثبت ان القرآن حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به ومتى ثبت ان الوعد والوعيد حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به) لاستحالة تخلف صدقه مع حقيتهما (وفي هذا النوع خمسة فصول)

(الفصل الاول في قسمه تعالى على ماخصه به من الخلق العظيم وحباه) بوحدة أعطاه بلا أجر فلم يحتج الى أن يقول به ولا الى تبيينه وأما قوله (من الفضل العميم) فبيان لما المستفادة من العطف (قال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون) قال ابن عطية معناه يكتبون سطورا فان أراد الملائكة فهو كتب الاعمال وما يوزن به وان أراد بني آدم فهي الكتب المنزلة والعلوم وما جرى مجراها (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) أي انتفى الجنون عنك بسبب انعام ربك عليك بالنبوة وغيرها وهذا رد لقولهم انه مجنون (وان لك لاجرا) ثوابا (غير ممنون) منقطع (وانك لعلى خلق عظيم) أتى بعلى اشارة لاستعلائه عليه لكونه مجبولا عليه بغير تكلف (ن من أسماء الحروف كالم والمص وق واختلف فيها فقيل هي أسماء القرآن) قاله مجاهد رواه ابن جرير وقتادة ورواه عبد بن حميد أي ان فاتحة كل سورة ابتدأت بنحو هذه الاحرف اسم للقرآن بتمامه ولذا أخبر عنها بالكتاب في قوله المر كتاب أنزلناه والقرآن في قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين (وقيل أسماء للسور) وهو قول أكثر المتكلمين واختيار الخليل وسيبويه قاله الامام الرازي وقد نقض هذا القول بأمور أحسنها ان أسماء السور توقيفية ولم يرد مرفوعا ولا موقوفا عن أحد من الصحابة ولا التابعين ان هذه أسماء للسور فوجب الغاء هذا القول ونقضه الرازي بأنها لو كانت أسماء لها لوجب اشتهارها بها وقد اشتهرت بغيرها كسورة البقرة وآل عمران (وقيل أسماء الله) قاله ابن عباس أخرجه ابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي باسناد صحيح (ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق) اخرجه ابن ماجه في تفسيره عن فاطمة بنت علي بن أبي طالب انها سمعته يقول يا كهيعص اغفر لي (كما قيل) ان قول علي ذلك يدل على انها أسماء الله (ولعله أراد يا منزلهما) كما قال البيضاوي فلا يدل على ذلك قال السيوطي يرده ما أخرجه ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس في قوله كهيعص ان معناه يا من يجير ولا يجار عليه ومثله ما أخرجه عن أشهب قال سألت مالكا أينبغي لاحد أن يسمى بيس قال لا يقول الله يس والقرآن الحكيم يقول هذا اسمي تسميت به وكذا حديث ان أبيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون (وقيل انه سر) أي أمر خفي (استأثر الله بعلمه) أخرجه أبو الشيخ وابن المنذر عن داود بن أبي هند قال كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور فقال يا داود ان لكل كتاب سرا وان سر هذا القرآن فواتحه فدعها وسل عما بدا لك (وقد روى عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة) فحكاه الثعلبي وغيره عن أبي بكر وعلي وكثير وحكاه السمرقندي عن عمر وعثمان وابن مسعود ونقله الرازي عن ابن عباس (ما يقرب منه) وحكاه القرطبي عن الثوري والربيع بن خيثمة وابن الانباري وأبي حاتم وجماعة من المحدثين واختاره ومال اليه الرازي (ولعلهم أرادوا انها أسرار بين الله ورسوله لم يقصد بها افهام غيره) لانه أمر انفرد بعلمه تعالى كما قد يقتضيه لفظ استأثر (اذ يبعد الخطاب من الله) لرسوله (بما لا يفيد) وهذه عبارة البيضاوي في أول البقرة وما ترجاه جزم به العلم السخاوي فقال المروي عن الصدر الاول في التهجي انها أسرار بين الله وبين نبيه صلوات الله عليه وقد يجري بين المحترمين كلمات معميات تشير الى سر بينهما وتفيد تحريض الحاضرين على استماع ما بعد ذلك وهذا معنى على قول السلف حروف التهجي ابتلاء لتصديق المؤمنين وتكذيب الكافرين

جنتان من ذهب وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال الذي يشرب في آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافهما فانها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة فقيل علة التحريم تضييق النقود فانها اذا اتخذت أواني فاتت الحكمة التي وضعت لاجلها من قيام مصالح بني آدم وقيل العلة الفخر والخيلاء وقيل العلة كسر قلوب الفقراء والمساكين اذا رأوها وعاينوها وهذه العلل فيها ما فيها فان التعليل بتضييق النقود يمنع من التحلي بها وجعلها سبائك ونحوها مما ليس بآنية ولا نقد والفخر والخيلاء حرام بأي شيء كان وكسر قلوب المساكين لا ضابط له فان قلوبهم تنكسر بالدور الواسعة والحدائق المعجبة والمراكب الفارهة والملابس الفاخرة والاطعمة اللذيذة وغير ذلك من المباحات وكل هذه علل منتقضة اذ توجد العلة ويتخلف معلولها فالصواب ان العلة

هذا وهى اعلام توقظ من رقدة الغفلة بنصح التعليم وتنشط فى القاء السمع على شهود القلب للتعظيم انتهى (وهل المراد بقوله هنا ن اسم الحوت) أو غيره فيه خلاف فحذف عديل هل لعلمه من قوله الآتى وقيل المراد الدواة (و) على القول بأنه الحوت (هل المراد به الجنس) يعنى أى حوت كان (أو اليهموت وهو الذى عليه الارض) وبهذا علم سقوط دعوى زيادة هل الثانية (وقيل المراد به الدواة) علله البيضاوى بأن بعض الحيتان يستخرج منه شئ أشد سوادا من الحبر يكتب به (وهو مروى عن ابن عباس) وقتادة والضحاك قال ابن عطية فهذا اما أن يكون لغة لبعض العرب أو تكون لفظة أعجمية عربت وقال الشاعر

اذا ما الشوق برح بى اليهم * ألقت النون بالدمع السجوم

فمن قال انه اسم الحوت جعل القلم الذى خلقه الله وأمره بكتب الكائنات وجعل ضمير يسطرون للملائكة ومن قال اسم للدواة جعل القلم هذا المتعارف بين الناس ونص ذلك ابن عباس وجعل الضمير فى يسطرون للناس (ويكون هذا اقسما بالدواة والقلم) الذى يكتب به (فان المنفعة بهما بسبب الكتابة عظيمة فان التفاهم تارة يحصل بالنطق وتارة بالكتابة) وفى ابن عطية فجاء القسم على هذا بمجموع أمر الكتاب الذى هو قوام للعلوم والمعارف وأمور الدنيا والآخرة فان القلم أخو اللسان وفطنة الفطنة ونعمة من الله عامة انتهى (قيل ان نون) بالفتح بلا تنوين اسم ان أو بالسكون على الحكاية وقرئ ن بالفتح والكسر كص (لوح من نور تكتب فيه الملائكة ما يأمرهم به الله رواه معاوية بن قرة) بضم القاف وشد الراء ابن اياس بن هلال المزنى أبو اياس البصرى التابعى الثقة من رجال الجميع مات سنة ثلاث عشرة ومائة وهو ابن ست وسبعين سنة (مرفوعا) مرسلا (و) على المروى عن ابن عباس ان المراد به الدواة فقد (أقسم تعالى بالكتاب) أى بمجموع أمر الكتاب كما مر عن ابن عطية وهو الدواة (وآلته) أى الكتاب بمعنى المكتوب (هو القلم) وأبعد من قال أى فى قوله حم والكتاب المبين وفى قوله يس والقرآن الحكيم لان بقية السياق ترده وأقواه قوله على تنزيه نبيه بقوله ما أنت (الذى هو أحد آياته) هذا لا يظهر على قوله السابق بالدواة والقلم الخ نعم هو ظاهر على انه الذى خط فى اللوح لكن قد علمت ان ابن عطية انما فرعه على أن ن اسم للحوت وان من قال اسم للدواة جعل القلم هذا المتعارف (وأول مخلوقاته) فى أحد القولين والاصح ان العرش خلق قبله كما مر (الذى جرى به قدره وشرعه وكتب به الوحى) أى بالقلم لا بالمعنى السابق الذى كتب به الوحى بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ففيه استخدام ويحتمل رجوعه اليه بالمعنى الاول على ضرب من المجاز بأن يراد بالوحى الموحى أى كتب به الموحى ويؤيد الاستخدام قوله (وقيد به الدين) أى حفظه بكتابة ما يدل عليه (وأثبت به الشريعة وحفظت به العلوم وقامت به مصالح العباد فى المعاش) والمعاد فان هذه كلها صفات للقلم الذى يخط به الناس لاسيما قوله (وأقام به فى الناس أبلغ خطيب) بكتابة ما حصل للخطيب به الرفعة على غيره واتصافه بقوله (وأفصحه وأنفعه لهم وأنصحه وواعظا تشفى مواعظه القلوب من السقم) وبالجملة فقد لفق المصنف بين القولين فى القلم (وطبيبا يبرئ) بضم التحتية وبالهمز من أبرأه الله من المرض (باريه) أى الذى يبرى القلم للكتابة به والياء أصلية أو منقلبة عن واو لان فى المصباح بريت القلم بريا من باب رمى فهو مبرى وبروته لغة (من أنواع الالم) أى المرض وذكر صلة قوله وأقسم (على تنزيه نبيه ورسوله محمد المحمود) الممدوح (فى كل أقواله وأفعاله) وهو من أسمائه صلى الله عليه وسلم (عما غمصته) بفتح العين المعجمة وكسر الميم وفتحها وفتح الصاد مهملة ومعجمة احتقرته وعابته (أعداؤه الكفرة) وقال ابن حبيب فى غريب الموطأ الغمض بضاد معجمة تصغير النعمة وتحقيرها وبصاد مهملة اذا صغر

والله أعلم ما يكسب أستعمالها القلب من الهيأة والحالة المنافية للعبودية منافاة ظاهرة ولهذا علل النبى صلى الله عليه وسلم بأنها للكفار فى الدنيا اذ ليس لهم نصيب من العبودية التى ينالون بها فى الآخرة فلا يصلح استعمالها لعبيد الله فى الدنيا وانما يستعملها من خرج عن عبوديته ورضى بالدنيا وعاجلها من الآخرة

(حرف القاف)

قرآن قال الله تعالى وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين والصحيح ان ههنا لبيان الجنس لا للتبعيض وقال تعالى ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الادواء القلبية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به واذا أحسن العليل التداوى به ووضعه على دائه بصدق وايمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه لم يقاومه الداء أبدا وكيف تقاوم الادواء كلام رب الارض والسماء الذى لو نزل على الجبال لصدعها أو على الارض لقطعها فما من مرض من أمراض القلوب والابدان الاوفى القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه لمن رزقه الله فهما فى كتابه وقد تقدم فى أول الكلام على الطب بيان ارشاد القرآن العظيم الى أصوله

الناس وازدرى بهم واستحسن هذا الفرق بعدان قال انهما سواء (وتكذيبهم اه) بالجر عطف على ماأى نزهه عن تكذيبهم له وهو واقع (بقوله تعالى ماأنت بنعمت ربك بمجنون) لان معنى الآية بسبب انه تعالى أنعم عليك بكمال العقل والمعرفة فأفادت تنزيهه عن الكذب وان تكذيبهم له كلا تكذيب لعدم الاعتداد به مع قيام الدليل على خلافه (وكيف يرمى بالجنون) استفهام انكارى وهو ان يكون مابعد أداته غير واقع ومدعيه كاذبا (من أتى بما عجزت العقلاء قاطبة) أى جميعا (عن معارضته وكلت) أعيت وعجزت (عن مماثلته وعرفهم عن الحق) سبحانه (بما لا تهتدى اليه عقولهم بحيث اذعنت) انقادت (له عقول العقلاء) ولم تستعص عليه (وخضعت) ذلت (له ألباب) جمع لب بزنة قفل واقفال (الالباء) جمع لبيب بزنة اشحاء وشحيح أى عقول وأصحاب العقول الراجحة (وتلاشت) أى خست حتى صارت بمنزلة العدم (فى جنب ماجاء به بحيث لم يسعها الا التسليم والانقياد والاذعان) عطف خاص على عام لانه انقياد بلا استعصاء بخلاف مطلق الانقياد فقد يكون معه استعصاء (طائعة مختارة فهو الذى يكمل) بشد الميم المكسورة (عقولها ٢ تكمل الطفل برضاع الثدى ثم) بعدان نزهه وبرأه (أخبر تعالى عن كمال شريعة نبيه فى دنياه وآخرته) لفظ الشفاء ثم أعلمه سبحانه بماله عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه العدولا يمن به عليه (فقال) بالفاء لتفرعه على ماقبله من الاخبار أو تفصيل له فى الجملة (وان لك لاجرا غير ممنون) وعطفه أولا بثم اشارة الى بعدما بين الامرين تعنبه السريع الانقطاع ونعيمه الدائم الواقع فى مقابلة تكذيبهم له والاجر المضاف على عمله وصبره على طعنهم ورميهم بما لا يليق ففيه تسلية له صلى الله عليه وسلم كأنه قيل لا تحزن فقد تبين كذبهم بداهة فلا نقص يعود عليك مما قالوه فلك نعيم مؤبد فى مقابلته و لصبر على الشدائد والمقاساة فى التبليغ ففيه تثبيت وتخصيص (أى ثوابا) تفسير لاجرا (غير منقطع بل هو دائم) تفسير لقوله غير ممنون وفى ابن عطية اختلف فى معنى ممنون فأكثر المفسرين انه الواهن المنقطع وقيل ضعيف وقيل غير ممنون عليك أى لا يكدره من به وقال مجاهد معناه غير مضر ولا محسوب أى بغير حساب انتهى (ونكر الاجر للتعظيم أى أجرا عظيما لا يدركه الوصف ولا يناله التعبير) المتعارف للناس أى يقصر عن أدائه لكثرته وأتى بتأكيدات أربع للاهتمام والتقرير والانكار وزيادته فأكد المجموع بالمجموع أوهى موزعة على ماذكر وان لم يكن صلى الله عليه وسلم منكرا الا انه قد راعى حال السامع كما فى التعريض (ثم أثنى عليه) مدحه (بما منحه) أعطاه من مواهبه السنية (فقال وانك لعلى خلق عظيم) مؤكدا بان مع القسم واللام واسمية الجملة تتميما للتعظيم (وهذه من أعظم آيات نبوته ورسالته ولقد سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان) أحسن الناس خلقا كان (خلقه القرآن) يرضى لرضاه ويغضب لغضبه لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ثم قالت اقرأ قد أفلح المؤمنون الى العشر فقرأ السائل فقالت هكذا كان خلقه صلى الله عليه وسلم أخرجه ابن أبى شيبة وغيره مطولا ورواه أحمد ومسلم وأبو داود منها بلفظ كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه (ومن ثم قال ابن عباس وغيره) تفسيرا لقوله على خلق (أى على دين عظيم وسمى الدين خلقا لان الخلق) الحسن (هيئة مركبة من علوم صادقة وارادات زاكية) صالحة نامية (وأعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل الانصاف (والحكمة) وهى تحقيق العلم واتقان العمل وتطلق على أمور (والمصلحة) التى يقتضيها (وأقوال مطابقة للحق) لا كذب فيها أصلا (تصدر تلك الاقوال والاعمال عن تلك العلوم والارادات فتكتسب النفس بها اخلاقا حسنة هى أزكى) أنمى (الاخلاق وأشرفها وأفضلها) عطف تفسير وهذا

---

٢ قوله تكمل الطفل فى نسخة المتن كما يكمل الطفل اه

و مجامعه التى هى حفظ الصحة والحمية واستفراغ المؤذى والاستدلال بذلك على سائر أفراد هذه الانواع وأما الادوية القلبية فانه يذكرها مفصلة ويذكر أسباب أدوائها وعلاجها قال أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله ومن لم يكفه فلا كفاه الله * قثاء فى السنن من حديث عبد الله بن جعفر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل القثاء بالرطب ورواه الترمذى وغيره القثاء بارد رطب فى الدرجة الثانية مطفئ لحرارة المعدة الملتهبة بطىء الفساد فيها نافع من وجع المثانة ورائحته تنفع من الغشى وبزره يدر البول وورقه اذا اتخذ ضمادا نفع من عضة الكلب وهو بطىء الانحدار عن المعدة وبرده مضر ببعضها فينبغى أن يستعمل معه مايصلحه ويكسر برودته ورطوبته كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكله بالرطب فاذا أكل بتمر أو زبيب أو عسل عدله * قسط وكست بمعنى واحد وفى الصحيحين من حديث أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم خير ماتداويتم به الحجامة والقسط البحرى وفى المسند من حديث أم قيس عن النبى صلى الله عليه وسلم عليكم بهذا العود الهندى فان فيه سبعة أشفية

كله

كه بيان للمراد بالخلق الحسن فى استعمالهم وهى آثار تترتب عليه اذ الخلق الطبيعة وهذه الكمالات ليست نفس الطبيعة وتكون حسنة وقبيحة قال ابن الاثير الخلق بضم اللام وسكونها الدين والطبع والسجية وحقيقته انه لصورة الانسان الباطنة وهى نفسه وأوصافه ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولها أوصاف حسنة وقبيحة والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة (وهذه) الاخلاق الحميدة (كانت أخلاقه صلى الله عليه وسلم المقتبسة) أى المأخوذة (من القرآن فكان كلامه مطابقا للقرآن تفصيلا وتبيينا) تفسيرى (وعلومه علوم القرآن و) كانت (ارادته وأعماله ما أوجبه) طلبه طلبا جازما (وندبه) طلبه طلبا غير جازم (اليه القرآن واعراضه وتركه لما منع القرآن) منه (ورغبته فيما رغب فيه وزهده فيما زهد فيه وكراهته فيما كرهه) بخفة الراء ليناسب قوله بعد أحبه (فيه ومحبته فيما أحبه وسعيه فى تنفيذ أوامره فترجمت أم المؤمنين عائشة لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول وحسن) فعل ماض عطف على فترجمت (تعبيرها) أو هو بضم الحاء وسكون السين والجر عطف على لكمال والاول أظهر (عن هذا كله بقولها كان خلقه القرآن وفهم السائل عنها هذا المعنى فاكتفى به واشتفى) من داء الجهل يعنى انه زال ما كان عنده من التوقف الحامل على السؤال حتى كأنه برئ من دائه ومر مزيد لشرح هذا فى الفصل الثانى من المقصد الثالث (ولما وصفه تعالى بأنه على خلق عظيم قال) مسليا له عما قالوه فى حقه بما وعده من عقابهم وتوعدهم (فستبصر ويبصرون) قال أبو عثمان المازنى هنا تم الكلام واستأنف قوله (بأيكم المفتون) وقال الاخفش بل هو عامل فى الجملة المستفهم عنها فى معناها أى أيكم الذى فتن بالجنون والباء زائدة قاله قتادة وأبو عبيدة معمر وقال الحسن والضحاك المفتون بمعنى الفتنة فالمعنى بأيكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول أى العقل وقيل المعنى بأى الفريقين منكم الجنون أبفريق المؤمنين أو بفريق الكافرين أى فى أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهذا معنى قول الاخفش المعنى بأيكم فتنة المفتون قال ابن عطية وهذا قول حسن قليل التكلف (أى فسترى يا محمد ويرى المشركون كيف عاقبة أمرك فانك تصير معظما فى القلوب ويصيرون اذلاء) جمع ذليل (مغلوبين وتستولى عليهم بالقتل والنهب) تفسير لقوله فستبصر ويبصرون

* (الفصل الثانى فى قسمه تعالى على ما أنعم به عليه) * الاظهر على انعامه كما عبر به قريبا لان ما فعله الله مع رسوله هو حقيقة الانعام وما قام به صلى الله عليه وسلم هو المنعم به الا ان يقال انه من حيث صدوره عن الله تعالى فيساوى ما بعده (وأظهره من قدره العلى لديه) عنده (* قال الله والضحى والليل اذا سجى) معناه سكن واستقر ليلا تاما وقيل معناه أقبل وقيل أدبر وأقبل والاول أصح يقال بحر ساج أى ساكن ومنه قول الاعشى

وما ذنبنا أن جاش بحر ابن عمكم * وبحرك ساج لا يوارى الدعامصا

وطرف ساج اذا كان ساكنا غير مضطرب النظر قاله ابن عطية والمراد سكون الاصوات أو أصحابه (ما ودعك) قرأ الجمهور بشد الدال من التوديع وقرأ عروة بن الزبير وابنه هشام بتخفيف الدال بمعنى تركك وكذا قرأ مقاتل وابن أبى عيلة وفى الحديث لينتهين قوم عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين أخرجه مسلم وغيره ولينتهين (١) بضم الياء التحتية وفتح

(١) قوله بضم الياء الخ لا يخفى ما فى هذا الضبط وعدم ملاءمته للتعليل بقوله ليدل فالصواب أنه لينتهين بفتح المثناة التحتية والفوقية وكسر الهاء مبنيا على الفتح لانه مسند الى ظاهر وهو قوم فتنبه اه مصححه

منها ذات الجنب القسط * ضربان أحدهما الابيض الذى يقال له البحرى والآخر الهندى وهو أشدهما حرا والابيض ألينهما ومنافعهما كثيرة جدا وهما حاران يابسان فى الثالثة ينشفان البلغم قاطعان للزكام واذا شربا نفعا من ضعف الكبد والمعدة ومن بردهما ومن حمى الدور والربع وقطعا وجع الجنب ونفعا من السموم واذا طلى به الوجه معجونا بالماء والعسل قلع الكلف وقال جالينوس ينفع من الكزاز ووجع الجنبين ويقتل حب القرع وقد خفى على جهال الاطباء نفعه من وجع ذات الجنب فانكروه ولو ظفر هذا الجاهل بهذا النقل عن جالينوس نزله منزلة النص كيف وقد نص كثير من الاطباء المتقدمين على ان القسط يصلح للنوع البلغمى من ذات الجنب ذكره الخطابى عن محمد بن الجهم وقد تقدم ان طب الاطباء بالنسبة الى طب الانبياء أقل من نسبة طب الطرقية والعجائز الى طب الاطباء وان بين ما يلقى بالوحى وبين ما يلقى بالتجربة والقياس من الفرق أعظم ما بين القدم والفرم ولو أن هؤلاء الجهال وجدوا دواء منصوصا عن بعض اليهود والنصارى والمشركين من الاطباء لتلقوه بالقبول والتسليم

الفوقية والهاء ليدل على واو الضمير المحذوفة اذ أصله لينتهون وفي الحديث أيضا شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره وقال الشاعر

فكان ماقدموا لانفسهم * أعظم نفعا من الذي ودعوا

فلا عبرة بزعم النحاة ان العرب أماتت ماضي يدع ومصدره واسم الفاعل استغناء بترك لوروده عن سيد الفصحاء قراءة وحديثا بالماضي ومصدرا في الحديث الصحيح وفي شعر العرب وماهذا سبيله يجوز القول بقلة استعماله ولا يجوز القول بالاماتة وقال الطيبي يحمل كلام النحاة على قلة استعماله مع صحته قياسا لكن قال السيوطي روى الطبراني الحديث باسناد حسن بلفظ لينتهين أقوام يسمعون النداء يوم الجمعة لا يأتونها أو ليطبعن الله على قلوبهم فعلم ان الرواية الاولى من تغيير الرواة لا من لفظ النبوة اه فان سلم له ذلك فكيف يصنع في القراءة والبيت العربي مع ان أصل هذا الكلام التابع فيه لابي حيان مردود بأنه يرفع الوثوق بالحديث أصلا اذ كل لفظة يحتمل انها من تغيير الرواة فالوجه الجمع بان يكون صلى الله عليه وسلم نطق باللفظين ويؤيده اختلاف المخرج (ربك وماقلى) أي ما أبغضك (السورة) بالنصب بتقدير اقرأ أو اذكر (أقسم الله تعالى على انعامه على رسوله صلى الله عليه وسلم واكرامه له) أي توقيره واللطف به (واعطائه مايرضيه) في الدارين (وذلك متضمن لتصديقه له) في دعواه الرسالة (فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه في الآخرة فهو قسم على النبوة والمعاد) جميعا من قوله والآخرة خير بناء على ان المراد بها القيامة قال ابن عطية يحتمل ان يريد الدنيا والآخرة وهذا تأويل ابن اسحق وغيره ويحتمل أن يريد حالته في الدنيا قبل نزول السورة وبعدها فوعده الله على هذا التأويل بالنصر والظهور انتهى وقيل أحوالك الآتية خير من السابقة في الدارين (وأقسم الله تعالى بآيتين عظيمتين من آياته) كما قال ومن آياته الليل والنهار (دالتين على ربوبيته ووحدانيته وحكمته ورحمته) بيان لكونهما من الآيات (وهما الليل) بقوله والليل اذا سجى (والنهار) بقوله والضحى فقسره بقول قتادة الضحى هنا النهار كله وأيد بقوله أن يأتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا وهو مجاز اذ الضحى ارتفاع الضوء وكماله وبه فسر مجاهد فخصه لان النهار يقوى فيه أو كلم الله موسى فيه وألقى السحرة سجدا (وفسر بعضهم كما حكاه الامام فخر الدين الضحى بوجهه صلى الله عليه وسلم والليل بشعره) وعليه فمعنى اذا سجى اشتد سواده وظهر بزوال الغبار نحو السفر عنه ففيه استعارة (وقال) الرازي (ولا استبعاد فيه) لان وجهه صلى الله عليه وسلم كان شديد النور بحيث يقع نوره على الجدر اذا قابلها وكأن الشمس تجري في وجهه وكان شعره شديد السواد فلا يبعد اطلاق الضحى والليل عليهما لكن حيث كان ذلك مجازا احتاج الى قرينة تصرف معناهما عن الحقيقة الا أن يقال ان قائل ذلك استند الى قرينة حالية وقت نزول الآية (وتأمل مطابقة هذا القسم فيه وهو نور الضحى) مشعر بأنه أثره لشدة ضوئه فهو اشارة للقول الآخر (الذي يوافي) يأتي (بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو نور الوحي الذي وافاه) أي أتاه (بعد احتباسه عنه) مدة خمسة عشر يوما قال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى أرجف أهل مكة وقالوا قد قلاه ربه وتركه قاله ابن عباس عند ابن اسحق وقال مجاهد اثنا عشر وقال التيمي ٢ وابن عطية انما أبطأ عليه ثلاثة أيام وقيل أربعة وقيل أربعين (حتى قال أعداؤه) المشركون (ودع محمدا ربه) والصحيح في سبب نزولها ما في الصحيحين وغيرهما عن جندب بن عبد الله قال اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك الا قد تركك فأنزل الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وماقلى

٢ قوله ابن عطية وفي نسخة وابن عقبة اه

كان أنفع له وأوفق ممن لم يعتده بل وبما لم ينتفع به من لم يعتده وكلام فضلاء الاطباء وان كان مطلقا فهو بحسب الامزجة والازمنة والاماكن والعوائد واذا كان التقييد بذلك لا يقدح في كلامهم ومعارفهم فكيف يقدح في كلام الصادق المصدوق ولكن نفوس البشر مركبة على الجهل والظلم الا من أيده الله بروح الايمان ونور بصيرته بنور الهدى * قصب السكر جاء في بعض ألفاظ السنة الصحيحة في الحوض ماؤه أحلى من السكر ولا أعرف السكر في الحديث الا في هذا الموضع والسكر حادث لم يتكلم فيه متقدمو الاطباء ولا كانوا يعرفونه ولا يصفونه في الاشربة وانما يعرفون العسل ويدخلونه في الادوية وقصب السكر حار رطب ينفع من السعال ويجلو الرطوبة والمثانة وقصبة الرئة وهو أشد تليينا من السكر وفيه معونة على القيء ويدر البول ويزيد في الباه قال عفان بن مسلم الصفار من مص قصب السكر بعد طعامه لم يزل يومه أجمع في سرور انتهى وهو ينفع من خشونة الصدر

وهذه المرأة هي العوراء بنت حرب امرأة أبي لهب رواه الحاكم برجال ثقات عن زيد بن أرقم وفي الصحيح أيضا عن جندب قالت امرأة يارسول الله ما أرى صاحبك الا أبطأ عنك فنزلت ما ودعك ربك وما قلى قال الحافظ هي زوجته خديجة كما في المستدرك وغيره فخاطبته كل واحدة منهما بما يليق بها والعوراء قالته شماتة وخديجة توجعا وقصة ابطاء الوحي بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب نزول الآية غريب بل شاذ مردود بما في الصحيح وتقدم لهذا مزيد تقرير ا (فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه) فهذه مناسبة بين القسم والمقسم عليه (وأيضا) مناسبة أخرى (فان الذي اقتضته رحمته) الذي امتن بها في قوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه (ان لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمدا) الى يوم القيامة (بل هداهم بضوء النهار الى مصالحهم ومعايشهم) كما قال ولتبتغوا من فضله (لا يتركهم في ظلمة الغي والجهل بل يهديهم بنور الوحي والنبوة الى مصالح دنياهم وأخراهم فتأمل حسن ارتباط القسم بالمقسم عليه) بكل من المناسبتين (وتأمل هذه الجزالة) العظمة والحسن (والرونق) الحسن فهو مساو لحسنه اختلاف اللفظ ولذا قال (الذي على هذه الالفاظ) اقتصارا على وصف الرونق المساوي لما قبله معنى حتى كأنهما اسم واحد (والجلالة) العظمة (التي في معانيها) لكثرتها مع وجازة لفظها (ونفي سبحانه أن يكون ودع نبيه) أي قطعه قطع المودع وقرئ بالتخفيف أي تركك كما في الانوار (أو قلاه) أبغضه (فالتوديع الترك) لعله بيان المراد من الآية اذ الترك معنى الوداع مخففا وأما بالتثقيل فتشييع المسافر كما في اللغة ولذا غاير البيضاوي في تفسير القراءتين كما رأيت لكن في النسيم الوداع له معنيان في اللغة الترك وتشييع المسافر وكلهم فسروه بالترك ولما رأوا صيغة التفعيل تفيد زيادة المعنى والمبالغة فيه تقتضي الانقطاع التام قالوا المبالغة في النفي لا في المنفي أو النفي القيد والمقيد ويجوز أن يفسر بتشييع المسافر على طريق الاستعارة ففيه ايماء الى ان الله تعالى لم يتركه أصلا فانه معه أينما كان وانما الترك لو تصور من جانبه ظاهر مع دلالته بهذا المعنى على الرجوع والتوديع انما يكون لمن يحب ويرجى عوده واليه أشار الجرجاني بقوله

اذا رأيت الوداع فاصبر * ولا يهمنك البعاد
وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عادوا

فقوله وما قلى مؤكد له وهذا لم أر من ذكره مع غاية لطفه (والقلى) بكسر القاف والقصر وقد يمد (البغض) مصدر قلى بوزن رمى (أي ما تركك منذ اعتنى بك) وهو من أول أمره تفسير ما ودعك (وما أبغضك منذ أحبك) تفسير للقلا وفي الشفاء أي ما تركك وما أبغضك وقيل ما أهملك بعد ان اصطفاك وزعم شارحه ان المشهور الثاني واختار الاول لمناسبته لما قبله والاهمال عدم التقيد مع الترك فهو ترك مخصوص (وحذف الكاف من قلى اكتفاء بكاف ودعك) فهو اختصار للعلم به (ولان رؤس الآي بالياء فأوجب اتفاق الفواصل حذفها) ولئلا يخاطبه بالبغض وان كان منفيا أو ليطعمه وأصحابه وأمته واستحسن (وهذا يعم كل أحواله وان كل حالة يرقيه اليها هي خير له مما قبلها) اذ كأنه قيل ما ودعك لبغض وسترى منزلتك ففيه افادة الترقي في الاحوال في الدنيا (كما ان الدار الآخرة هي خير له مما قبلها) كما قال وللآخرة خير لك من الاولى واللام للابتداء مؤكدة أو جواب قسم ففيه تعظيم آخر أي كما أعطاك في الدنيا يعطيك في الآخرة مما هو أعلى وأكثر فلا تبال بما قالوه فهو وعد فيه تسلية بعد ما نفى عنه ما يكره فهو تحلية بعد تخلية (ثم وعده) بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى (بما تقر) بفتح القاف الفوقية (به عينه) أي تسكن وبتحتية أوله وشد القاف مكسورة ونصب عينه يقال قرت العين وأقر الله العين قال في فتح الباري قرة العين يعبر بها عن

والحلق اذا شوى ويولد رياحا دفعها بان يقشر ويغسل بماء حار والسكر حار رطب على الاصح وقيل بارد وأجوده الابيض الشفاف والطبرزد وعتيقه ألطف من من جديده واذا طبخ ونزعت رغوته سكن العطش والسعال وهو يضر المعدة التي تتولد فيها الصفراء لاستحالته اليها ودفع ضرره بماء الليمون أو النارنج أو الرمان اللفان وبعض الناس يفضله على العسل لقلة حرارته ولينه وهذا تحامل منه على العسل فان منافع العسل أضعاف منافع السكر وقد جعله الله شفاء ودواء واداما وحلاوة وأين نفع السكر من منافع العسل من تقوية المعدة وتليين الطبع واحداد البصر وجلاء ظلمته ودفع الخوانيق بالغرغرة به وابرائه من الفالج واللقوة ومن جميع العلل الباردة التي تحدث في جميع البدن من الرطوبات فيجذبها من قعر البدن ومن جميع البدن وحفظ صحته وتسمينه وتسخينه والزيادة في الباه والتحليل والجلاء وفتح أفواه العروق وتنقية المعا واحدار الدود ومنع التخم وغيره من العفن والادم النافع وموافقته من غلب عليه البلغم والمشايخ وأهل الامزجة الباردة وبالجملة فلا

المسرة ورؤية ما يحبه الانسان ويوافقه لان عينه قرت أي سكنت حركاتها عن التلفت لحصول غرضها فلا تتشوف لشئ آخر فكأنه مأخوذ من القرار وقيل معناه أنام الله عينك وهو يرجع الى هذا وقيل بل هو مأخوذ من القر وهو البرد أي ان عينه باردة لسروره ولذا قيل دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ومن ثم قيل في ضده أسخن الله عينه (وتفرح) بفتح الراء مع فتح أوله فوقية وبضمه تحتية مع كسر الراء (به نفسه) يسرها ويرضيها والفرح لذة القلب بنيل ما يشتهي ويتعدى بالهمزة والتضعيف (ويشرح به صدره) يوسعه ويملؤه نورا (وهو أن يعطيه فيرضى وهذا يعم ما يعطيه من القرآن) النازل عليه بعد هذه الآية (والهدى والنصر) العون والتقوية (والظفر بأعدائه) يقال ظفر بعدوه وأظفرته به وأظفرته عليه بمعنى وأصله الفوز والفلاح (يوم بدر) بقتل سبعين وأسر سبعين (وفتح مكة) وحل القتال له فيها ساعة من نهار وصار أعظم أهلها عليه أحوجهم اليه (ودخول الناس في الدين) دين الله (أفواجا) جماعات بعد ما كان يدخل فيه واحدا بعد واحد وذلك بعد فتح مكة جاءه العرب من اقطار الارض طائعين (والغلبة على بني قريظة) بقتل رجالهم وسبي ذريتهم ونسائهم (والنضير) باجلائهم وجعلها خالصة له (وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب) وفي غيرها كبعث زيد والامراء الى موتة من أرض الشام وبعث أسامة ابنه بعد ذلك الى محل قتل أبيه فخرج بعد الوفاة النبوية فنصره الله وقتل قاتل أبيه فاقتصر على العرب لكثرتها فيها (وما فتح على خلفائه الراشدين في اقطار الارض من المدائن) ففتح في أيام الصديق بصرى ودمشق وبلاد حوران وما والاها ثم في أيام عمر البلاد الشامية كلها ومصر واكثر اقليم فارس وكسر كسرى وفر الى أقصى مملكته وفر هرقل الى القسطنطينية ثم في زمن عثمان مدائن العراق وخراسان والاهواز وبلاد المغرب كلها ومن المشرق الى أقصى بلاد الصين وقتل كسرى ومزق ملكه بالكلية ثم امتدت الفتوحات بعده الى الروم وغيرها ولم تزل تجدد الى الآن ولله الحمد وقد فتح صلى الله عليه وسلم المدينة بالقرآن وخيبر ومكة والبحرين وسائر جزيرة العرب وارض اليمن بكمالها وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام وهاداه هرقل والمقوقس وملوك عمان والنجاشي الذي ملك بعد اصحمة (وما قذف في قلوب اعدائه من الرعب) مسيرة شهر من كل جهة لانه لم يكن بينه وبين اعدائه أكثر من شهر (ونشر الدعوة) تفرقها وعمومها للخلق (ورفع ذكره) فلا يذكر الله الا ويذكر معه صلى الله عليه وسلم (واعلاء كلمته) على كل كلام فهذا كله مما أعطاه له في الدنيا (وما يعطيه بعد مماته) من الرحمات النازلات على قبره والرضوان الذي لا يتناهى لدوام ترقياته ومضاعفة اعماله فيه فانه حي يصلي في قبره بأذان واقامة وله ثواب اعمال أمته مضاعفا (وما يعطيه في موقف القيامة من الشفاعة) أي جنسها فيشمل الشفاعات الخاصة به كلها (والمقام المحمود) هو مقام الشفاعة العظمى الذي يحمده فيه الاولون والآخرون أو كل مقام يتضمن كرامة محمودة وعلى هذا يكون بمعنى ما قبله (وما يعطيه في الجنة من الوسيلة) أعلى منزلة في الجنة فقوله (والدرجة الرفيعة) عطف تفسير (والكوثر) نهر في الجنة أعطانيه ربي كما صح عنه صلى الله عليه وسلم فلا معدل عنه (قال ابن عباس) في تفسير هذه الآية (يعطيه في الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابها المسك وفيها ما يليق بها) من الازواج والخدم رواه ابن جرير وغيره ومثله لا يقال الا عن توقيف فهو في حكم المرفوع وهذا تفصيل بعض ما أعطاه (وبالجملة فقد دلت هذه الآية على انه تعالى يعطيه عليه الصلاة والسلام كل ما يرضيه) مما لا يعلمه على الحقيقة الا هو (وأما ما يفتريه) بفاء من الافتراء أي الكذب أو بالغين المعجمة وبعد الراء موحدة من الغرور وهذا أولى وان كان ظاهر سياقه الاول (الجهال من انه لا يرضى وواحد من أمته في النار) روى الديلمي في الفردوس عن علي

شيء أنفع منه للبدن وفي العلاج وعجز الادوية وحفظ قواها وتقوية المعدة الى أضعاف هذه المنافع فاين للسكر مثل هذه المنافع والخصائص أو قريب منها

(حرف الكاف)

كتاب للحمى قال المروزي بلغ أبا عبد الله اني حممت فكتب لي من الحمى رقعة فيها بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله محمد رسول الله قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل أشف صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك اله الحق آمين قال المروزي وقرأ على أبي عبد الله وأنا أسمع أبو المنذر عمرو بن مجمع حدثنا يونس بن حبان قال سألت أبا جعفر محمد ابن علي ان أعلق التعويذ فقال ان كان من كتاب الله أو كلام عن نبي الله فعلقه واستشف به ما استطعت قلت أكتب هذه من حمى الربع باسم الله وبالله ومحمد رسول الله الى آخره قال أي نعم وذكر أحمد عن عائشة رضي الله عنها وغيرها انهم سهلوا في ذلك قال حرب ولم يشدد فيه أحمد بن حنبل قال أحمد وكان ابن مسعود يكرهه كراهة شديدة جدا وقال أحمد

قال

قال لما نزلت قال صلى الله عليه وسلم اذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار وأخرجه أبو نعيم في الحلية موقوفا على علي قال في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ليس في القرآن أرجى منها ولا يرضى صلى الله عليه وسلم ان يدخل أحد من أمته النار وقوله ولا يرضى موقوف لفظا مرفوع حكما اذ لا مدخل للرأي فيه (أو لا يرضى ان يدخل أحد من أمته النار) كما روى عن علي موقوفا وحكمه الرفع كما علم (فهو من غرور الشيطان) أي خداعه (لهم ولعبه بهم) حيث حملهم على الافتراء أو على الغرور بما لم يفهموا معناه (فانه صلوات الله عليه يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى) اذ رضاه تابع لرضاه (وهو سبحانه وتعالى يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة) المسلمين (ثم يحد) بضم الحاء (لرسوله صلى الله عليه وسلم حدا) أي يقدر له جماعة ويميزهم عن غيرهم (يشفع فيهم كما يأتي ان شاء الله تعالى في المقصد الاخير) فلا يدع أحدا منهم ولا يزيد على من أذن له في الشفاعة فيه (ورسوله عليه السلام أعرف به وبحقه من ان يقول لا أرضى أن تدخل أحدا من أمتي النار أو تدعه فيها) هذا ظاهر جدا في انه أراد أنه من الافتراء الكذب لا الغرور (بل ربه تبارك وتعالى يأذن له فيشفع فيمن شاء الله ان يشفع فيه ولا يشفع في غير من أذن له ورضيه) ومقام الرضا بما يريده الله والتسليم مقام عظيم للسالكين فكيف لا يكون لسيد المرسلين وقد رد العلامة الشريف الصفوي في شرح الشفاء وتبعه في النسيم على المصنف التابع لابن القيم بانه جراءة وسوء أدب والوجه توجيه الحديث لوروده بطرق وان ضعفت ولا يبعد أن يكون عذاب العصاة غير مرضي لله تعالى فلا يرضى به رسوله أيضا لان رضاه على وفق رضا ربه والرضا بالمقضي قد يكون مذموما فاذا لم يرض بعصيانهم ودخولهم النار بعدم رضا ربه به يدخلهم الله الجنة ولو بالآخرة للوعد به والرضا بفعل الله انما يجب من حيث انه فعل المولى الحكيم لا من حيث هو في ذاته والمنفي في الحديث الثاني فهو لا يرضى بدخول أحد من أمته النار من حيث هو في ذاته لا من حيث انه مراد الله فلا اشكال أو الرضا مجاز عن ترك الطلب أي لا أترك طلب العفو وواحد من أمتي في النار ولا يلزم منه عدم الرضا حقيقة وكم طلب صلى الله عليه وسلم لامته أمورا وهو في مقام الرضا دائما واذا وعد بالرضا فلا بد من ادخالهم الجنة لا ترك الطلب فافهمه فانه دقيق فلا ينبغي ان يجترئ أحد على ابطال الروايات بأوهام الشبهات وهذا محصل ما في شرح المواقف من أن للكفر نسبة الى الله باعتبار فاعليته له وايجاده ونسبة الى العبد باعتبار محليته واتصافه به وانكاره باعتبار النسبة الثانية والرضا باعتبار النسبة الاولى وقال بعض الشراح يجوز أن المراد نفي الرضا بالدخول على وجه الخلود وانما قال ان يدخل دون أن يخلد قصد الارادة نفي الرضا بالخلود على نهج المبالغة والاستدلال أو أن المراد ولا يرضى أن يعصي الله أحد من أمته فعبر بالمسبب عن السبب الا أن السياق يأباه انتهى أو لا يرضى دخولهم النار دخولا يشتد عليهم العذاب بل يكون خفيفا لا تسود وجوههم ولا تزرق أعينهم كما وردت به الاحاديث فهو تعذيب كتأديب الحشمة بل قال صلى الله عليه وسلم انما حر جهنم على أمتي كحر الحمام أخرجه الطبراني برجال ثقات عن الصديق وللدارقطني في الافراد عن ابن عباس رفعه ان حظ أمتي من النار طول بلائها تحت التراب وفي تفسير السبكي أطلقت الامة وجوب الرضا بالقضاء وشاع على ألسنة العلماء والعوام وورد مرفوعا يقول الله من لم يرض بقضائي فليطلب ربا سواي وفي شامل امام الحرمين لم يثبت عندنا وجوب الرضا بالقضاء فان الانسان اذا اعترته الآلام واكتنفته الاسقام لا يجب عليه في الدين ان يطمئن اليها ويرضى بها ولا عليه ان يكرهها ويبدي قلقا منها يقول لا ينطوي على اعتراض قال والخبر من الآحاد لا تقوم به الحجة في القطعيات ثم يعارضه استعاذة النبي صلى الله عليه وسلم من قضاء السوء انتهى (ثم ذكره) بشد الكاف أي جعله (سبحانه) متذكرا (بنعمه

وقد سئل عن التمائم تعلق بعد نزول البلاء قال أرجو أن لا يكون به بأس قال الخلال وحدثنا عبد الله بن أحمد قال رأيت أبي يكتب التعويذ للذي يفزع وللحمى بعد وقوع البلاء * كتاب لعسر الولادة قال الخلال حدثني عبد الله بن أحمد قال رأيت أبي يكتب للمرأة اذا عسر عليها ولادتها في جام أبيض أو شئ نظيف يكتب حديث ابن عباس رضي الله عنه لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها قال الخلال أنبأنا أبو بكر المروزي ان أبا عبد الله جاءه رجل فقال يا أبا عبد الله تكتب لامرأة قد عسر عليها ولدها منذ يومين فقال قل له يجئ بجام واسع وزعفران ورأيته يكتب لغير واحد ويذكر عن عكرمة عن ابن عباس قال مر عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم على بقرة قد اعترض ولدها في بطنها فقالت يا كلمة الله ادع الله لي أن يخلصني مما أنا فيه فقال يا خالق النفس من النفس ويا مخلص النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس خلصها قال فرمت بولدها فاذا هي قائمة تشمه قال فاذا عسر على

عليـه) أى ذكره بتفصـيلها أو تفضـيلها بالضاد وان كان ذاكر الهـا وكيف ينسى مثله وقد قام حتى تورمت قدماه وقال أفلا أكون عبدا شكورا وقال بعض الشراح المراد اعلامه بمـا أنعم به عليه أو لاشتغاله بتذكير النعم العظيمة المتجددة أو النعم كلها على الاجمال قد يغفل عن تفصيلها أو التذكير بمعنى الوعظ لئلا يغفل نحو فذكر بالقرآن (من ابوائه) الى عمه أبى طالب حتى كان عنده أعز من بنيه (بعـد يتمه) بموت أبيه وأمه حبلى به على الصحيـح وقيل بعد أن ولد بقليل (فقال ألم يجدك) من الوجود بمعنى العـلم (يتيما) مفـعوله الثـانى أو المصادفة ويتيما حال (فآوى) بالمد وقرئ بالقصر بمعنى رحم تقول أويت فلانا أى رحمته قاله ابن عطية وقيل معنى الآية أواه الله الى نفسه ولم يحوجه لحمـاية أحـد وابوائه وهو بمعنى قول جعفر الصادق يتم صلى الله عليه وسلم لئلا يكون عليه حق لمخلوق (وذهب بعضـهم الى أن معنى اليتيم) عـديم النظير (من قولهـم درة يتيمة) أى لا نظير له وتسـمى فريدة أيضا لانفرادها عن نظائرها (أى ألم يجدك واحدا فى أرض قريش) بل فى جميـع الخلق (عديم النظير فآواك اليه) لانتفاء من يكافئك أو يدانيـك بحيث تركن اليه قال التجانى وهـذا قول ضـعيف حكاه صاحب المشرع الروى وجعله فى الكشاف من بدع التفاسير (واغناك بعد الفقر) قال ابن عطية قال مجاهد معناه بمـا أعطاك من الرزق وقيل فقيرا اليه فأغناك به والجمهور على انه فقر المـال والمعنى فيه صلى الله عليه وسلم انه أغناه بالقناعة والصبر وحببا اليه وقيل بالكفاف لتصرفه فى مال خديجة ولم يكن كثير المـال ورفعه الله عن ذلك وقال ليس الغنى عن كثرة العرض ولـكنه غنى النفس (ثم أمره سبحانه وتعالى ان يقابل هذه النعم الثلاث) التى لم يشر المصنف الى وسطاها لانه سيتكلم ١ عليه فى ازالة الشبهات (بمـا يليـق بها من الشـكر فنهاه ان يقهر اليتيم) بقوله فأما اليتيم فلا تقهر فى مقابلة ألم يجـدك يتيما فآوى (وان ينهر السائل) بقوله واما السـائل فلا تنهر معناه ان يرده ردا جميـلا اما بعطاء أو بقول حسن (وان يكتم النعمة بل يحدث بها فان من شـكر النعمة التحدث بها) وباظهار الملابس والمطاعم والمراكب ونحوها فلذا أتى بمن التبعيضية وفى ابن عطية قوله وأما السائل فلا تنهر بازاء أى مقابل ووجدك ضالا فهـدى على قول أبى الدرداء والحسن وغـيرهما ان الـسائل هنا السائل عن العلم والدين وبازاء قوله ووجـدك عائلا فأغنى قوله وأما بنعمة ربك فحدث ومن قال السائل هو سائل المـال المحتاج جعلها بازاء ووجـدك فأغنى وجعل وأما بنعـمة ربك فحدث بازاء ووجـدك ضالا فهدى (وقيـل المراد بالنعـمة النبوة والتحدث) ٢ بالجر عطفا على النعمة أى والمراد بالتحـدث (بها تبليغها) للناس وهذا قول مجاهـد والـكلبى وقال آخرون بل هو عام فى جميع النعم وكان بعض الصـالحين يقول لقـد أعطانى الله كذا وصليت البارحة كذا وذكرت الله كذا فقيل له مثلك لا يقول هذا فقال ان الله يقول وأما بنعمة ربك فحدث وأنتم تقولون لا تحدث وقال صلى الله عليه وسلم التحدث بالنعمة شكر وقال من أسديت اليه يدا فذكرها فقد شكرها ومن سترها فقد كفرها ذكره ابن عطية

(الفصل الثالث فى قسمه تعالى على تصديقه عليه الصلاة والسلام فيما أتى به من وحيـه) مصـدر بمعنى اسم المفعول فقوله (وكتابه) خاص على عام (وتنزيهه عن الهوى فى خطابه) أى نطقه (قال الله تعـالى والنجم اذا هوى) أقسم الله تعـالى بهذا المخلوق تشريفا له وتنبيها للاعتبار به حتى تؤل العـبرة الى معرفة الله تعالى وقيـل المعنى ورب النجم وفيه قلق مع لفظ الآية (ماضـل صاحبكم وماغوى)

---

١ قوله عليه هكذا فى النسخ والمناسب عليها كما لا يخفى اه مصححه

٢ قوله بالجر عطفا الخ يلزم عليه عطف معمولين على معمولين لعاملين مختلفين والعاطف واحد وفى جوازه خلاف تأمل اه مصححه

المرأة ولدها فاكتبه لها وكلما تقدم من الرقى فان كتابته نافعة ورخص جماعة من السلف فى كتابة بعض القرآن وشربه وجعل ذلك من الشـفاء الذى جعل الله فيـه * كتاب آخر لذلك يكتب فى اناء نظيف اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت واذا الارض مـدت وألقت مافيهـا وتخـلت وتشرب منـه الحامل ويرش على بطنها * كتاب للـرعاف كان شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يكتب على جبهته وقيل يا أرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر وسمعته يقول كتبتها لغير واحد فـبرأ فقال ولا يجـوز كتابتها بدم الراعف كما يفـعله الجهال فان الدم نجس فـلا يجوز ان يكتب به كلام الله تعالى * كتاب آخر له خرج موسى عليه الـسـلام برداء فوجـد شعيبا فشده بردائه يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الـكتاب * كتاب آخر للحزاز يكتب عليـــه فاصابها اعصار فيـه نار فاحترقت بحول الله وقوته * كتاب آخر له عنـد اصفرار الشمس يكتب عليه ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لـكم والله غفور رحيم * كتاب آخر للحمى المثلثة يكتب على ثلاث ورقات لطـاف بسم الله فرت بسم الله مرت بسم الله قلت ويأخذ كل يوم ورقة ويجعلها فى فمه ويبتلعها بماء * كتاب والضلال

والضلال يكون بلا قصد والغي كأنه شيء يكتسبه ويريده (وما ينطق) صاحبكم (عن الهوى) أى بهواه وشهوته وقيل ما ينطق القرآن المنزل عن هوى وشهوة ونسب النطق اليه من حيث انه يفهم منه الامور كما قال تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وأسند النطق اليه وان لم يتقدم له ذكر لدلالة المعنى عليه ذكره ابن عطية (أقسم تعالى بالنجم على تنزيه رسوله و براءته مما نسبه اليه أعداؤه الكفار (من الضلال والغي) فنفى عنه ان يكون ضل في هذه السبيل التى أسلكه اياها قال الرازى والنسفي أكثر المفسرين لا فرق بين الضلال والغي و بعضهم قال الضلال فى مقابلة الهدى والغي فى مقابلة الرشد قال تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا وتحقيق الفرق ان الضلال أعم استعمالا فى الوضع تقول ضل بعيرى و رحلى ولا تقول غوى والمراد من الضلال ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا مستقيما والغواية ان لا يكون الى المقصد طريق مستقيم و يدل عليه انه يقال للمؤمن الذى ليس على طريق السداد سفيه غير رشيد ولا يقال ضال فالضال كالكافر والغاوى كالفاسق وكأنه تعالى قال ما ضل أى ما كفر ولا أقل من ذلك فما فسق و يؤيده فان آنستم منهم رشدا الآية اذ يقال الضلال كالعدم والغواية كالوجود الفاسد فى الدرجة والمرتبة و يحتمل ان معنى ما ضل ما جن فان المجنون ضال وعلى هذا فهو كقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون وقيل معنى ما غوى ما خاب لما طلب قال

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

أى من خاب فى طلبه لامه الناس فيجوز أن هذا اخبار عما بعد الوحى وان يكون اخبارا عن أحواله على التعميم أى كان أبدا موحدا لله تعالى وهو الصحيح (واختلف المفسرون فى المراد بالنجم بأقاويل معروفة) جمع أقوال جمع قول فهو جمع الجمع عبر به للدلالة على كثرتها ٢ والباء متعلقة بالمفسرين أو بمقدر من جنسه لانه يقال فسره بكذا فيتعدى بالباء وهو وان كان بعيدا أظهر من تقدير اختلافا مصحوبا بأقاويل (منها النجم على ظاهره) سمى الكوكب نجما لطلوعه وكل طالع نجم يقال نجم السن والقرن والنبت اذا طلع قاله ابن عادل والقرطبي وزاد ونجم فلان ببلد كذا اذا خرج على السلطان (وتكون أل لتعريف العهد فى قول) والمعهود الثريا أو غيرها كما يأتى (ولتعريف الجنس فى آخر وهى النجوم التى يهتدى بها) فى ظلمات البر والبحر والى هذا ذهب أبو عبيدة قائلا بأنه من اطلاق الواحد على الجمع ونقله ابن عطية والماوردى عن الحسن ونقله غيرهما عن مجاهد وبه رد قول ابن جرير هذا التأويل له وجه ولكن لا أعلم احدا من أهل التأويل قاله (فقيل الثريا) بالمثلثة تفريع على أن أل للعهد (اذا سقطت وغابت) تفسير لهوى وهويها مغيبها (وهو مروى عن ابن عباس فى رواية على ابن أبى طلحة) سالم مولى بنى العباس سكن حمص وأرسل عن ابن عباس ولم يره صدوق قد يخطئ مات سنة ثلاث وأربعين ومائة (وعطية) بن سعد العوفى الكوفى صدوق يخطئ كثيرا وكان شيعيا مدلسا مات سنة احدى عشرة ومائة (والعرب اذا أطلقت النجم تريد بها الثريا) قال الشاعر

طلع النجم عشاء * فابتغى الراعى الكساء

وفى الحديث ما طلع نجم قط وفى الارض من العاهة شيء الا ارتفع رواه أحمد وأراد الثريا واختار هذا القول ابن جرير والزمخشرى وقال السمين انه الصحيح لان هذا صار علما بالغلبة وقال عمر بن أبى ربيعة

أحسن النجم فى السماء الثريا * والثريا فى الارض زين النساء

٢ قوله والباء متعلقة الخ لعل الاظهر أنها متعلقة باختلف وتجعل للتصوير أو بمعنى على فتأمل اه مصححه

آخر لعرق النسا بسم الله الرحمن الرحيم اللهم رب كل شيء ومليك كل شيء وخالق كل شيء أنت خلقتنى وأنت خلقت النساء فلا تسلطه على بأذى ولا تسلطنى عليه بقطع واشفنى شفاء لا يغادر سقما لا شافى الا أنت * كتاب العرق الضارب روى الترمذى فى جامعه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم من الحمى ومن الاوجاع كلها ان يقولوا بسم الله الكبير أعوذ بالله العظيم من شر عرق نعار ومن شر حر النار * كتاب لوجع الضرس يكتب على الخد الذى يلى الوجع بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وان شاء كتب وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم * كتاب للخراج يكتب عليه ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا * الكمأة ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين أخرجاه فى الصحيحين قال ابن الاعرابى الكمأة جمع واحده كم وهذا خلاف قياس العربية فان ما بينه و بين واحده التاء فالواحد منه بالتاء واذا حذفت

(وعن ابن عباس فى رواية عكرمة) بن عبدالله البربرى أراد (النجوم التى ترمى بها الشياطين اذا سقطت فى آثارها) لان الهوى السقوط من علو قاله الراغب (عند استراق السمع) وهذا قول الحسن البصرى وهو تفريع على أن أل جنسية (وعن السدى) بضم السين وشد الدال المهملتين اسمعيل بن عبد الرحمن الكوفى صدوق يهم مات سنة سبع وعشرين ومائة (الزهرة) بزنة رطبة نجم فى السماء الثالثة وكذا قال سفيان الثورى على أن أل عهدية (وعن الحسن) البصرى (أيضا النجوم اذا سقطت يوم القيامة) فهو بمعنى قوله واذا الكواكب انتثرت على انها جنسية وقيل المراد الشعرى على أنها عهدية (وقيل المراد به النبت الذى لا ساق له) ومنه والنجم والشجر يسجدان (وهوى أى سقط على الارض) وهذا قول الاخفش (وقيل القرآن رواه الكلبى) محمد بن السائب (عن ابن عباس لانه نزل نجوما) أى أجزاء مقدرة فى أوقات قاله ابن عطية وفى ابن القيم أربع آيات وثلاث آيات والسورة (على رسول الله صلى الله عليه وسلم) فى ثلاث وعشرين سنة أو عشرين بالغاء مدة الفترة (وهو قول مجاهد ومقاتل والضحاك) وهوى بمعنى نزل وفى هذا القول بعد وتحامل على اللغة قاله ابن عطية (وقال جعفر) الصادق لصدقه فى مقاله (بن محمد) الباقر لبقره العلم (ابن على) زين العابدين (بن الحسين) السبط (هو محمد صلى الله عليه وسلم اذا هوى أى نزل من السماء ليلة المعراج) قال النعمانى ويعجبنى هذا التفسير لملاءمته من وجوه فانه صلى الله عليه وسلم نجم هداية خصوصا لما هدى اليه من فرض الصلاة تلك الليلة وقد علمت منزلة الصلاة من الدين ومنها انه أضاء فى السماء والارض ومنها التشبيه بسرعة السير ومنها أنه كان ليلا وهو وقت ظهور النجم فهو لا يخفى على ذى بصر وأما أرباب البصائر فلا يمترون كالصديق رضى الله عنه وعن جعفر أيضا أنه قلب محمد صلى الله عليه وسلم كما فى الشفاء أى لاشراقه بالانوار الالهية وهو منبعها ومنبع الهداية وان كان فيه خفاء وأبعد منه انه الصحابة لحديث أصحابى كالنجوم حكاه التجانى وهو يهم موتهم (وأظهر الاقوال كما قاله ابن القيم أنها النجوم التى ترمى بها الشياطين) لانها تبعد الشياطين عن أهل السماء والانبياء يبعدون الشياطين عن أهل الارض فناسب أن يقسم برجمها عند البعثة (ويكون سبحانه قد أقسم بهذه الآية الظاهرة المشاهدة) بالبصر (التى نصبها الله تعالى آية وحفظا للوحى من استراق الشياطين) السمع فيزيدون فيه فيكون مازادوه باطلا (على أن ما أتى به رسوله حق وصدق لا سبيل للشيطان ولا طريق له اليه) عطف مساو (بل قد حرس بالنجم اذا هوى رصدا) أى رصدا له (بين يدى الوحى) يمنعهم عن استماعه (وحرساله) منهم عطف تفسير لرصدا (وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه فى غاية الظهور) لان المقسم به هو النجم الذى قصد بسقوطه حفظ الوحى والمقسم عليه هو نفس الوحى (وفى المقسم به دليل على المقسم عليه) فان النجوم التى ترمى بها الشياطين آيات من آيات الله يحفظ بها دينه ووحيه وآياته المنزلة على رسوله بها ظهر دينه وشرعه وأسماؤه وصفاته وجعلت هذه النجوم المشاهدة حرسا لهذه النجوم الهاوية هذا أسقط من ابن القيم قبل قوله مبينا لخفاء ماعدا القول الذى استظهره (وليس بالبين تسمية القرآن عند نزوله بالنجم اذا هوى ولا تسمية نزوله هويا) بضم الهاء وفتحها (ولا عهد فى القرآن بذلك) أى تسميته بالنجم (فيحمل) بالنصب (هذا اللفظ عليه) بل قال ابن عطية انه تحامل على اللغة مع بعده (وليس بالبين) أيضا (تخصيص هذا القسم بالثريا وحدها اذا غابت) لانه تخصيص بلا مخصص لكن فيه أن العرب اذا أطلقت النجم تعنى الثريا والقرآن وأراد بلغتهم فهو وجه التخصيص (وليس بالبين أيضا القسم بالنجوم عند انتثارها) تساقطها متفرقة (يوم القيامة بل هذا مما يقسم الرب عليه) لانه (ويدل عليه بآياته فلا يجعله نفسه دليلا لعدم ظهوره للمخاطبين ولا سيما منكر والبعث فانه تعالى انما يستدل بما لا يمكن جحده ولا المكابرة فيه) فيذكر الدليل لمن هو

كان للجمع وهل هو جمع أو اسم على قولين مشهورين قالوا ولم يخرج عن هذا الاحرف فان كمأة وكم وخبأة وخبء وقال غير ابن الاعرابى بل هى على القياس الكمأة للواحد والكم للكثير وقال غيرهما الكمأة تكون واحدا وجمعا واحتج أصحاب القول الاول بانهم قد جمعوا كما على أكمؤ قال الشاعر

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا
ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

وهذا يدل على ان كم مفرد وكمأة جمع والكمأة تكون فى الارض من غير أن تزرع وسميت كمأة لاستتارها ومنه كمأ الشهادة اذا سترها وأخفاها والكمأ مخفية تحت الارض لا ورق لها ولا ساق ومادتها من جوهر أرضى بخارى محتقن فى الارض نحو سطحها يحتقن ببرد الشتاء وتنميه أمطار الربيع فيتولد ويندفع نحو سطح الارض متجسدا ولذلك يقال لها جدرى الارض تشبيها بالجدرى فى صورته ومادته لان مادته رطوبة دموية فتندفع عند سن الترعرع فى الغالب وفى ابتداء استيلاء الحرارة ونماء القوة وهى مما يوجد فى الربيع وتؤكل نيأ ومطبوخا وتسميها العرب نبات الرعد لانها تكثر بكثرته وتنفطر عنها الارض وهى من أطعمة أهل

بصدد الانكار قال ابن كثير وهذا القول له اتجاه (ثم انه بين المقسم به والمقسم عليه من المناسبة ما لا يخفى) كلام مستأنف غرضه به توجيه الاقوال التى أسلفها وان استظهر واحدا منها واستبعد غيره (فان قلنا ان المراد النجوم التى للاهتداء فالمناسبة ظاهرة) لانه يهتدى بها فى معرفة الطرقات وغيرها و بالمصطفى من ظلمات الجهل ومعرفة الحق من الباطل فأقسم بها لما بينهما من المناسبة والمشابهة قاله الرازى (وان قلنا ان المراد الثريا فلانه أظهر النجوم عند الرائى لانه) لكونه له علامة (لا يشتبه بغيره فى السماء وهو ظاهر لكل أحد والنبى صلى الله عليه وسلم تميز عن الكل بما منح) أى أعطى (من الآيات البينات) فأقسم به (ولان الثريا اذا ظهرت من) جهة (المشرق) وقت الفجر (حان) أى قرب (ادراك الثمار) أى طيبها واذا ظهرت من المغرب قرب أوان الخريف فتقل الامراض معناه انها تظهر بعيد الغروب بحيث يكون ابتداء ظهورها بين المغرب والعشاء وتستمر ظاهرة الى الفجر (والنبى صلى الله عليه وسلم لما ظهر قل الشرك والامراض القلبية) وأدركت الثمار الحكمية والحكمية هذا بقية المناسبة التى أبداها الامام الرازى (وان قلنا ان المراد بها القرآن فهو استدلال بمعجزته صلى الله عليه وسلم على صدقه وبراءته وأنه ما ضل ولا غوى) زاد الرازى فهو كقوله يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين (وان قلنا المراد به النبات فالنبات به نبات القوى الجسمانية) أى المتعلقة بالجسم بكسر الجيم وهو كل شخص مدرك وقال أبو زيد الجسم الجسد (و) به (صلاحها والقوى العقلية) وهى الصفة التى يميز بها الانسان الحسن من القبيح (أولى) أحق (بالصلاح وذلك بالرسل وايضاح السبل) وبعد أن أبدى الرازى هذه المناسبات قال ومن هذا يظهر أن المختار هو النجوم التى فى السماء لانه أظهر عند السامع وقوله اذا هوى دال عليه ثم بعده القرآن لما فيه من الظهور ثم الثريا (وتأمل كيف قال الله تعالى ما ضل صاحبكم ولم يقل محمد تأكيد الاقامة الحجة عليهم بأنه صاحبهم) الذى نشأ بين ظهرانيهم (وهم أعلم الخلق به وبحاله وأقواله وأعماله وأنهم لا يعرفونه بكذب ولا غى ولا ضلال ولا ينقمون) بكسر القاف وفتحها لا يعيبون (عليه أمرا واحدا قط وقد نبه تعالى على هذا المعنى بقوله عز وجل) أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين (أم لم يعرفوا رسولهم) بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم والاستفهام للتقرير بالحق من صدق النبي ومجىء الرسل للامم الماضية ومعرفة رسولهم بما ذكر فهم له منكرون دعواه لاحدى هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشئ قطعا أو ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع أو الشخص أو بحسب ما يدل عليه أقصى ما يمكن فلم يوجد (ثم نزه نطق رسوله صلى الله عليه وسلم عن أن يصدر عن هوى) بالقصر المحبة فى الاصل ثم أطلق على ميل النفس وانحرافها نحو الشئ ثم استعمل فى ميل مذموم نحو اتبع هواه قال الرازى وأحسن ما يقال فى تفسيره أنه المحبة لكن من النفس الامارة وحروفه تدل على الدنو والنزول والسقوط ومنه الهاوية فالنفس اذا كانت دنية وتركت المعالى وتعلقت بالسفاسف فقد هوت فاختص الهوى بالنفس الامارة بالسوء وقال الشعبي انما سمى هوى لانه يهوى بصاحبه (فقال تعالى وما ينطق عن الهوى) وهذا ترتيب فى غاية الحسن عبر أولا بالماضى وهنا بالآتى أى ما ضل حين اعتزلكم وما تعبدون وما غوى حين اختلى بنفسه وما ينطق عن الهوى الآن حين أرسل اليكم وجعل شاهدا عليكم فلم يكن أولا ضالا غاويا وصار الآن منقذا من الضلال ومرشدا وهاديا (ولم يقل وما ينطق بالهوى لان نفى نطقه عن الهوى أبلغ) من نفى نطقه به (فانه يتضمن أن نطقه لا يصدر عن هوى واذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به فيتضمن هو) أى نفى صدوره عن الهوى (الامرين) بالنصب مفعول (نفى الهوى) بالنصب أيضا

البوادى وتكثر بأرض العرب وأجودها ما كانت أرضها رملة قليلة الماء وهى أصناف منها صنف قتال يضرب لونه الى الحمرة يحدث لاجله الاختناق وهى باردة رطبة فى الدرجة الثالثة رديئة للمعدة بطيئة الهضم واذا أدمنت أورثت القولنج والسكتة والفالج ووجع المعدة وعسر البول والرطبة أقل ضررا من اليابسة ومن أكلها فليدفنها فى الطين المرطب ويصلقها بالماء والملح والصعتر ويأكلها بالزيت والتوابل الحارة لان جوهرها أرضى غليظ وغذاؤها ردىء لكن فيها جوهر مائى لطيف يدل على خفتها والاكتحال بها نافع من ظلمة البصر والرمد الحار وقد اعترف فضلاء الاطباء بان ماءها يجلو العين وممن ذكره المسيحى وصاحب القانون وغيرهما وقوله صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن فيه قولان * أحدهما ان المن الذى أنزل على بنى اسرائيل لم يكن هذا الحلو فقط بل أشياء كثيرة من الله عليهم بها من النبات الذى يوجد عفوا من غير صنعة ولا علاج ولا حرث فان المن مصدر بمعنى المفعول أى ممنون به فكل ما رزقه الله العبد عفوا بغير كسب منه ولا علاج فهو من من الله تعالى لانه لم يشبه كسب العبد ولم يكدره تعب العمل

بدل مفصل من مجمل أو الرفع بتقدير وهما نفي ٢ ولا يصح جره بدلا من الامرين لانهما منفيان لا نفيان (عن مصدر النطق ونفيه عن النطق نفسه فنطقه بالحق ومصدره) أي محله الذي يصدر عنه هو (الهدى والرشاد لا الغي والضلال) فعن على بابها قال النحاس وهو أولى أي ما يخرج نطقه عن رأيه بدليل ان هو الخ وقيل بمعنى الباء أي ما ينطق بالهوى وما يتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا انه تقول القرآن من تلقاء نفسه قال ابن القيم نفى الله عن رسوله الضلال المنافي للهدى والغي المنافي للرشاد ففي ضمن هذا النفي الشهادة له صلى الله عليه وسلم بأنه على الهدى والرشد فالهدى في علمه والرشد في عمله وهذان الاصلان هما غاية كمال العبد وبهما سعادته وصلاحه الى أن قال فالناس أقسام ضال في علمه غاو في قصده وعمله وهؤلاء شرار الخلق وهم مخالفو الرسل ومهتدى في عمله وهؤلاء هم الامة العصبية ومن تشبه بهم وهو حال كل من عرف الحق ولم يعمل به وضال في علمه ولكن قصده الخير وهو لا يشعر ومهتد في علمه راشد في قصده وهم ورثة الانبياء وان كانوا أقل عددا فهم الاكثر ون عند الله قدرا وصفوته من خلقه (ثم قال تعالى ان هو الا وحي يوحى) قال الرازي هذا تكملة للبيان لانه لما قيل وما ينطق عن الهوى كأن قائلا قال فعماذا ينطق أعن الدليل والاجتهاد فقال لا انما ينطق عن الله بالوحي وهذا أبلغ مما لو قيل هو وحي يوحى وكلمة ان استعملت مكان ما للنفي كما استعملت ما للشرط مكان ان (فأعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل أي ما نطقه الا وحي يوحى) صفة لنفي المجاز أي هو وحي حقيقة لا مجرد تسمية كقولك هذا قول يقال قاله في اللباب (وهذا أحسن من جعل الضمير عائدا على القرآن) ووجه الاحسنية بقوله (فان نطقه بالقرآن والسنة وان كليهما وحي يوحى) أي لافادته أن السنة من الوحي بخلاف عوده على القرآن فلا يفيد ذلك (قال الله تعالى وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وهما القرآن والسنة) تفسير الحكمة في أحد الاقوال ومنه أخذ منع اجتهاده وأجيب بأنه اذا اجتهد وافق الواقع ولا يقع منه خطأ أو يقر عليه وينبه على أنه حق فصار بمنزلة الوحي (وذكر الاوزاعي) عبد الرحمن بن عمرو الفقيه الثقة الجليل المتوفى سنة سبع وخمسين ومائة (عن حسان بن عطية) المحاربي مولاهم الدمشقي ثقة فقيه عابد مات بعد العشرين ومائة (قال كان جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه اياها) أخرجه الدارمي باسناد صحيح عنه وهو مرسل لان حسان بن عطية من صغار التابعين وله شواهد كثيرة منها ما أخرجه أحمد عن أبي أمامة رفعه ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي مثل الحيين ربيعة ومضر فقال رجل يا رسول الله وما ربيعة من مضر فقال انما أقول ما أقول واسناده حسن وروى أبو داود وابن حبان مرفوعا الا اني أوتيت الكتاب وما يعدله فرب شبعان على أريكته يحدث بحديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ما كان فيه من حلال استحللناه وما كان فيه من حرام حرمناه ألا وان ما حرمه رسول الله مثل ما حرم الله (ثم أخبر تعالى عن وصف من علمه الوحي والقرآن بما يعلم) بضم الياء وكسر اللام (أنه مضاد لاوصاف الشياطين معلمي الضلال والغواية) بفتح الغين وفي لغة بكسرها على ما في المصباح ونفاها في القاموس (فقال علمه) أي صاحبكم (شديد القوى وهو جبريل أي قواه العلمية والعملية كلها شديدة ولا شك أن مدح المعلم مدح للمتعلم فلو قال علمه جبريل ولم يصفه لم يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم به فضيلة ظاهرة) وأيضا فقيه

٢ قوله ولا يصح جره بدلا الخ فيه أن لفظ الامرين منصوب على المفعولية ليتضمن فلا يتأتى الجر وما ذكره من التعليل غير ظاهر اذ الامران نفيان لا منفيان كما يدل على ذلك البدل المفصل لاجمال المبدل منه على أن هذا التعليل على فرض صحته وارد على النصب الذي نص عليه فكان الاولى حذف قوله ولا يصح الجر الخ لانه يرد عليه ما ذكرنا فتأمل اه مصححه

فهو من محض وان كانت سائر نعمه منا منه على عبده فخص منها ما لا كسب له فيه ولا صنع باسم المن فانه من بلا واسطة العبد وجعل سبحانه قوتهم بالتيه الكمأة وهي تقوم مقام الخبز وجعل أدمهم السلوى وهو يقوم مقام اللحم وجعل حلواهم الطل الذي ينزل على الاشجار يقوم لهم مقام الحلوى فكمل عيشهم وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن الذي أنزله الله على بني اسرائيل فجعلها من جملته وفردا من أفراده والترنجبين الذي يسقط على الاشجار نوع من المن ثم غلب استعمال المن عليه عرفا حادثا * والقول الثاني انه شبه الكمأة بالمن المنزل من السماء لانه يجمع من غير تعب ولا كلفة ولا زرع بذر ولا سقي فان قلت فان كان هذا شأن الكمأة فما بال هذا الضرر فيها ومن أين أتاها ذلك فاعلم أن الله سبحانه أتقن كل شئ صنعه وأحسن كل شئ خلقه فهو عند مبدأ خلقه برئ من الآفات والعلل تام المنفعة لما هيئ وخلق وانما تعرض له الآفات بعد ذلك بأمور أخر من مجاورة أو امتزاج واختلاط أو أسباب أخر تقتضي فساده فلو ترك على خلقته الاصلية من غير تعلق أسباب الفساد بها لم يفسد ومن له معرفة بأحوال العالم ومبدئه يعرف أن جميع الفساد في جوه

الوثوق

لوثوق بقول جبريل لان قوة الادراك شرط في الوثوق بقول القائل وكذا قوة الحفظ والامانة فقال ذلك
ليجمع هذه الشروط (وهذا نظير قوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين كما سيأتي البحث فيه ان شاء
الله تعالى) قريبا (ثم أخبر سبحانه وتعالى عن تصديق فؤاده) صلى الله عليه وسلم (لما رآه) أبصرته
(عيناه وأن القلب) المعبر عنه بالفؤاد (صدق العين وليس كمن رأى شيئا على خلاف ماهو به فكذب
فؤاده بصره بل مارآه ببصره صدقه الفؤاد وعلم انه كذلك وفي حديث الاسراء مزيد لما ذكرته هنا
والله الموفق والمعين) لاغيره (وقال تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار) بدون ياء لجميع القراء الا يعقوب
فأثبتها (الكنس الى قوله وماهو) أي القرآن (بقول شيطان رجيم) مرجوم بالكواكب واللعنة
وغير ذلك نفي لقول قريش ان محمدا كاهن (أي لاأقسم اذ الامر أوضح من أن يحتاج الى قسم) فلا
ليست بزائدة عند كثير من المفسرين لان الاصل عدم الزيادة (أو فأقسم ولا مزيدة للتأكيد) والتقوية
(وهذا قول أكثر المفسرين) وهو أنسب بالمقام بمساعدة الفصل (بدليل قوله تعالى وانه لقسم
لو تعلمون عظيم) اذ الآيتان في بيان شأن القرآن فهما متوافقتان في المعنى (قال الزمخشري والوجه)
أي المتجه (أن يقال هي للنفي) لا زائدة (أي انه لايقسم بالشيء الا اعظاما له فكأنه بادخال حرف النفي
يقول ان اعظامي باقسامي به كلا اعظام) ولما أوهم اللفظ ماليس بمراد دفعه بقوله (يعني انه يستأهل)
أي يستحق (فوق ذلك) وفي ابن عطية لا ما زائدة واما رد لقول قريش ساحر كاهن ونحوه وتكذيبهم
نبوته صلى الله عليه وسلم ثم ابتدأ ما بعده (أقسم سبحانه وتعالى بالنجوم في أحوالها الثلاثة من
طلوعها) المفهوم من الخنس لانها الكواكب التي تظهر ليلا (وجريانها) في سيرها بقوله الجوار
(وغروبها) المفهوم من قوله الكنس أي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس
الوحش اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من أغصان الشجر كما في الانوار وفي ابن عطية جمهور المفسرين
أن الجوار الدراري السبعة الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والزهرة والمشتري وقال علي
ابن أبي طالب المراد الخمسة دون الشمس والقمر وذلك لان هذه الخمسة تخنس في جريانها أي تتقهقر
وترجع فيما ترى العين وهي جوار في السماء وهي تكنس في ابراجها أي تستتر وقال علي أيضا
والحسن وقتادة المراد النجوم كلها لانها تخنس وتكنس بالنهار حتى تختفي وقال ابن مسعود والنخعي
وجابر بن زيد وجماعة المراد بالخنس الجوار الكنس بقر الوحش لانها تفعل هذه الافعال في كناسها
وهي المواضع التي تأوي اليها من الشجر والغيران ونحوه وقال ابن عباس والحسن أيضا والضحاك
هي الظباء وذهب هؤلاء في الخنس الى انه صفة لازمة لانه يلزمها الخنس وكذا في بقر الوحش أيضا
انتهى (وبانصرام الليل) أي ذهابه المفهوم من قوله اذا عسعس (وباقبال النهار عقيبه) بالياء لغة في
عقب (من غير فصل) المفهوم من قوله والصبح اذا تنفس قال ابن عطية عسعس الليل في اللغة اذا
كان غير مستحكم الظلام فقال الحسن ذلك وقت اقباله وبه وقع القسم وقال زيد بن أسلم وابن عباس
وعلي ومجاهد وقتادة ذلك عند ادباره وبه وقع القسم ويرجح هذا قوله بعد والصبح اذا تنفس
فكأنهما حالان ويشهد له قول علقمة

حتى اذا الصبح لها تنفسا * وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقال المبرد أقسم باقبال الليل وادباره معا قال الخليل يقال عسعس الليل وسعسع اذا أقبل وأدبر وتنفس
الصبح استطار واتسع ضوؤه وقال علوان بن قيس

وليل دجوجي تنفس فجره * لهم بعدما خالوه لن يتنفسا

(فذكر سبحانه حالة ضعف هذا) أي الليل (وادباره) من حيث انه لا يهتدى فيه الى المصالح الدنيوية

للرسل تحدث لهم من الفساد العام والخاص مايجلب عليهم من الآلام والامراض والاسقام والطواعين والقحوط والجدوب وسلب بركات الارض وثمارها ونباتها وسلب منافعها أو نقصانها أمورا متتابعة يتلو بعضها بعضا فان لم يتسع علمك لهذا فاكتف بقوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ونزل هذه الآية على أحوال العالم وطابق بين الواقع وبينها وأنت ترى كيف تحدث الآفات والعلل كل وقت في الثمار والزرع والحيوان وكيف يحدث من تلك الآفات آفات أخر متلازمة بعضها آخذ برقاب بعض وكلما أحدث الناس ظلما وفجورا أحدث لهم ربهم تبارك وتعالى من الآفات والعلل في أغذيتهم وفواكههم وأهويتهم ومياههم وأبدانهم وخلقهم وصورهم وأشكالهم وأخلاقهم من النقص والآفات ماهو موجب أعمالهم وظلمهم وفجورهم ولقد كانت
الحبوب من الحنطة وغيرها أكبر مما هي اليوم كما كانت البركة فيها أعظم وقد روى الامام أحمد باسناده انه وجد في خزائن بعض بني

وليس محلا للسعي والتردد (وحالة قوة هذا) أي الصبح (واقباله بطرد ظلمة الليل بنفسه فكلما تنفس) أي زاد نوره (هرب الليل وأدبر بين يديه) وفي تنفسه قولان أحدهما أن في اقبال الصبح روحا ونسيما فجعل ذلك نفسا على المجاز الثاني انه شبه الليل بالمكروب المحزون فاذا جعل له التنفس وجد راحة فكأنه تخلص من الحزن فعبر عنه بالتنفس فهو استعارة لطيفة كما في الخازن (وذلك من آياته ودلائل ربوبيته) ولذا أقسم به (ان القرآن قول) معمول أقسم تفسير للضمير في انه لقول (رسول كريم) وقول بمعنى مقول ورسول بمعنى مرسل قال ابن عطية وكريم صفة تقتضي ٢ وقع المرام (وهو هنا جبريل) عند جمهور المتأولين وقال آخرون هو محمد صلى الله عليه وسلم في الآية كلها والاول أصح (لانه ذكر صفته قطعا بعد ذلك بما يغنيه به) على وجه لا يحتمل أن المراد غيره (وأما الرسول الكريم في سورة الحاقة فهو محمد صلى الله عليه وسلم) لا جبريل لانه قال وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن والمشركون ما كانوا يصفون جبريل بالشعر والكهانة على ما يأتي (فأضافه) أي القول (الى الرسول الملكي تارة والى البشري أخرى واضافته اليهما) غير حقيقية بل (اضافة تبليغ لا اضافة انشاء من عندهما) ولفظ الرسول يدل على ذلك فان الرسول هو الذي يبلغ كلام من أرسله فهذا صريح في انه كلام من أرسل جبريل ومحمدا صلى الله عليه وسلم فجبريل تلقاه عن الله) تلقيا روحانيا بضم الراء لا يكيف (ومحمد صلى الله عليه وسلم تلقاه عن جبريل وقد وصف الله تعالى رسوله الملكي في هذه السورة) أي التكوير (بأنه كريم يعطي أفضل العطايا وهي العلم والمعرفة والهدى والبر والارشاد وهذا غاية الكرم) نهايته التي ما بعدها غاية (وذي قوة كما قال في النجم علمه) أي صاحبكم (شديد القوى) العلمية والعملية (فيمتنع بقوته الشياطين أن يدنوا منه) أي من القول بأن يريدوا منع جبريل من ايصاله الى الرسول أو منع الرسول من تبليغه للخلق (أو يزيدوا فيه أو ينقصوا منه) شيأ ولو قل بل اذا رآه الشيطان هرب منه ولم يقربه (وروى) مما يدل على قوته (انه رفع قريات) بفتح الراء جمع تصحيح لقرية بسكون الراء قياسا لان ما كان اسما يجمع على فعلات بالفتح كجفنة وجفنات وما كان صفة يجمع بالسكون كصعبة وصعبات والمتبادر من المصباح انهما اسم لانه قال القرية كل مكان اتصلت به الابنية واتخذ قرارا ويقع على المدن وغيرها والجمع قرى على غير قياس أي جمع التكسير والتصحيح قريات (قوم لوط على قوادم جناحه) وهي أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح الواحدة قادمة كما في القاموس (حتى سمع أهل السماء نباح كلابها) بضم النون أصواتها (وأصوات بنيها) وصياح ديكتها ثم قلبها عليهم روى ابن عساكر عن معاوية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما أحسن ما أثنى عليك ربك ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ما كانت قوتك وما كانت أمانتك قال أما قوتي فاني بعثت الى مدائن قوم لوط وهي أربع مدائن وفي كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذراري فحملتهامن الارض السفلى حتى سمع أهل السماء أصوات الدجاج ونباح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن وأما أمانتي فلم أومر بشئ فعدوته الى غيره وقال محمد بن السائب الكلبي من قوة جبريل انه اقتلع مدائن قوم لوط من الماء الاسود فحملها على جناحه حتى رفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها ومن قوته أيضا انه أبصر ابليس يكلم عيسى ابن مريم على بعض عقاب الارض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة ألقاه باقصى جبل الهند ومن قوته أيضا صيحته بثمود في عددهم وكثرتهم فأصبحوا جاثمين خامدين ومن قوته أيضا هبوطه من السماء على الانبياء

٢ قوله وقع المرام هكذا في النسخ ولعله محرف عن رفع أو دفع المذام تأمل اه مصححه

مسنده على أثر حديث رواه وأكثر هذه الامراض والآفات العامة بقية عذاب عذبت به الامم السالفة ثم بقيت منها بقية مرصدة لمن بقيت عليه بقية من أعمالهم حكما قسطا وقضاء عدلا وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا بقوله في الطاعون انه بقية رجز أو عذاب أرسل على بني اسرائيل وكذلك سلط الله سبحانه وتعالى الريح على قوم سبع ليال وثمانية أيام ثم أبقى في العالم منها بقية في تلك الايام أو في نظيرها عظة وعبرة وقد جعل الله سبحانه أعمال البر والفاجر مقتضيات لآثارها في هذا العالم اقتضاء لا بد منه فجعل منع الاحسان والزكاة والصدقة سببا لمنع الغيث من السماء والقحط والجدب وجعل ظلم المساكين والبخس في المكاييل والموازين وتعدي القوى على الضعيف سببا لجور الملوك والولاة الذين لا يرحمون ان استرحموا ولا يعطفون ان استعطفوا وهم في الحقيقة أعمال الرعايا ظهرت في صور ولاتهم فان الله سبحانه بحكمته وعدله يظهر للناس أعمالهم في قوالب وصور تناسبها فتارة بقحط

وصعوبة

وصعوده في أسرع من طرفة عين (ذي قوة عند ذي العرش مكين) اختلف في تعلق عند ذي العرش فقيل متعلق بما قبله وقيل متعلق بمكين (أي متمكن المنزلة) أي عظيم مبجل رفيع المقدار عنده (وهذه العندية عندية الاكرام والتشريف والتعظيم) لاستحالة الحقيقة في الله تعالى (مطاع في ملائكة الله تعالى المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون الى رأيه ثم) بفتح المثلثة وشد الميم اسم اشارة للمكان بمعنى هنالك أي في السماء كما دل عليه قوله عند ذي العرش واشارة البعيد والمقام ونحوه قول الكشاف مطاع عند ذي العرش في ملائكته ويجوز تعلقه بقوله (أمين) أو بهما (على وحي الله ورسالته) وخصه بذلك لان المقام يقتضيه وهو مؤتمن عليه وعلى غيره ولذا فسر بمقبول القول مصدق فيما يقول (فقد عصمه الله من الخيانة والزلل فهذه خمس صفات) بناء على ان العندية والمكان ليسا صفتين حقيقيتين فلم يعدهما هنا ولحظ الزمخشري ان كلا منهما دال على صفة كمال فعدها سبعا وتبعه المصنف في موضعين تقدما وعدها الرازي ستة فجعل قوله عند ذي العرش متعلقا بقوله ذي قوة (تتضمن تزكية سند القرآن وأنه سماع محمد صلى الله عليه وسلم من جبريل وسماع جبريل من رب العالمين فناهيك بهذا السند علوا وجلالة فقد تولى الله تزكيته بنفسه) أي ذاته وفي اطلاق النفس على الله تعالى مقال (ثم نزه رسوله البشري وزكاه مما يقول فيه أعداؤه) الكفرة (فقال وما صاحبكم بمجنون وهذا أمر يعلمونه ولا يشكون فيه وان قالوا بألسنتهم خلافه) استكبارا وعنادا (فهم يعلمون) تحقيقا (انهم كاذبون) وانما حملهم عليه البغي والعناد (ثم أخبر عن رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه الصلاة والسلام) بقوله ولقد رآه بالأفق المبين قال ابن عطية ضمير رآه لجبريل وهذه الرؤية كانت بعد أمر غار حراء حين رآه على كرسي بين السماء والارض وقيل هي رؤيته عند سدرة المنتهى في الاسراء وسمى ذلك الموضع أفقا تجوزا وقد كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رؤية ثالثة بالمدينة وليست هذه ووصفه بالمبين لانه روى انه كان في المشرق من حيث تطلع الشمس قاله قتادة وأيضا فكل أفق فهو في غاية البيان (وهذا يتضمن انه ملك موجود في الخارج يرى بالعيان) بكسر العين (ويدرك بالبصر خلافا لقوم حقيقته عندهم انه خيال موجود في الاذهان لا في العيان وهذا مما خالفوا فيه جميع الرسل واتباعهم وخرجوا به عن جميع الملل ولهذا كان تقرير) اثبات وبيان (رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل أهم من تقريره لرؤيته ربه تبارك وتعالى فان رؤيته عليه الصلاة والسلام لجبريل هي أصل الايمان لا يتم الا باعتقادها ومن أنكرها كفر قطعا) لجحده ما انبني عليه الايمان (وأما رؤيته لربه تعالى فغايتها أن تكون مسئلة نزاع) خلاف بين العلماء من الصحابة فمن بعدهم (لا يكفر جاحدها بالاتفاق وقد صرح جماعة من الصحابة بأنه لم يره فنحن الى تقرير) اثبات (رؤيته لجبريل أحوج منا الى تقرير رؤيته لربه تعالى وان كانت رؤية الرب سبحانه وتعالى أعظم من رؤية جبريل فان النبوة لا تتوقف عليها ألبتة) بقطع الهمزة وقد ضعف أيضا كون ضمير رآه لله تعالى بأنه قول غريب لم ينقل عن أحد ممن يعتمد عليه ويأباه كل الاباء قوله بالأفق المبين سواء كان نواحي السماء أو حيث تطلع الشمس اذ لم يقل أحد انه رأى ربه بالأفق وأجيب بان رؤيته بالأفق كاستوى على العرش والمراد بالأفق الذي فوق السماء السابعة أو المراد به المنزلة العالية كما أشار اليه الامام الرازي [٢] وقولهم لم يقل به أحد يرده انه روى عن ابن مسعود (ثم نزه سبحانه وتعالى رسوليه كليهما صلى الله عليهما وسلم أحدهما بطريق النطق والثاني بطريق اللزوم) اذ يلزم من نفيه عن أحدهما مع نفيه عن الآخر لانه تلقاه

---

[٢] قوله وقولهم لم يقل به احد أي فيما تقدم قريبا في قوله بانه قول غريب لم ينقل عن أحد ممن يعتمد عليه الا انه ذكر ذلك هنا بالمعنى فتنبه اه مصححه

وجذب وتارة بعدو وتارة بولاة جائرين وتارة بأمراض عامة وتارة بهموم والآلام وغموم تحضرها نفوسهم لا ينفكون عنها وتارة بمنع بركات السماء والارض عنهم وتارة بتسليط الشياطين عليهم تؤزهم الى أسباب العذاب أزا لتحق عليهم الكلمة وليصير كل منهم الى ما خلق له والعاقل يسير بصيرته بين أقطار العالم فيشاهده وينظر مواقع عدل الله وحكمته وحينئذ يتبين له ان الرسل واتباعهم خاصة على سبيل النجاة وسائر الخلق على سبيل الهلاك سائرون الى دار البوار صائرون والله بالغ أمره لا معقب لحكمه ولا راد لأمره وبالله التوفيق

(فصل وقوله صلى الله عليه وسلم) في الكمأة وماؤها شفاء للعين فيه ثلاثة أقوال * أحدها ان ماءها يخلط في الادوية التي يعالج بها العين لا أنه يستعمل وحده ذكره أبو عبيد * الثاني أنه يستعمل بحتا بعد شيها واستقطار مائها لان النار تلطفه وتنضجه وتذيب فضلاته ورطوبته المؤذية وتبقى المنافع * الثالث ان المراد بمائها الماء الذي يحدث به من المطر وهو أول قطر ينزل الى الارض فتكون الاضافة اضافة اقتران لا اضافة جزء ذكره ابن الجوزي وهو أبعد الوجوه وأضعفها وقيل ان استعمل ماؤها لتبريد ما في العين فماؤها مجرد اشفاء وان

منه أو عنه (عما يضاد) يخالف (مقصود الرسالة من الكتمان الذي هو الضنة) بكسر المعجمة وشد النون (والبخل) تفسير (والتبديل والتغيير الذي يوجب التهمة فقال وما هو على الغيب بضنين) أي ما غاب عن الحس الذي أخبر به وما هو وسائر الانبياء على اخبار الغيب فيشمل الذات والصفات والقرآن ويستدل به على غيره أو المراد ما غاب عن علمكم فيشمل اخباره عن المشاهد والغائب (فان الرسالة لا يتم مقصودها الا بأمرين اداءها من غير كتمان وأداؤها على وجهها من غير زيادة ولا نقصان) اذ لو فرض زيادة أو نقص أو كتم ما حصل المقصود (والقراءتان كالآيتين فتضمنت احداهما وهي قراءة الضاد) قراءة نافع وعاصم وحمزة وابن عامر (تنزهه عن البخل فان الضنين البخيل يقال ضننت به أضن) بفتح الضاد (بوزن بخلت به أبخل ومعناه) عطف على بوزن فبابه فرح زاد المصباح وفي لغة من باب ضرب (وقال ابن عباس ليس ببخيل بما أنزل الله) بل يبلغه (وقال مجاهد لا يضن عليهم بما يعلم) وهو قريب من تفسير ابن عباس أو أعم ان خص ما أنزل بالقرآن (وأجمع المفسرون على أن الغيب ههنا القرآن بالوحي قال الفراء) يحيى بن زياد بن عبد الله الاسدي أبو زكريا الكوفي نزيل بغداد النحوي المشهور مات سنة سبع ومائتين قيل له الفراء لانه كان يفري الكلام وهو صدوق في الحديث علق عنه البخاري (يقول تعالى يأتيه غيب من السماء وهو منفوس) أي مرغوب (فيه فلا يضن) بفتح الضاد وتكسر لا يبخل به (عليكم وهذا معنى حسن جدا فان عادة النفوس الشح بالشئ النفيس ولا سيما عمن لا يعرف قدره ومع هذا فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يبخل عليكم بالوحي الذي هو أنفس شئ وأجله وقال أبو علي) الحسن بن أحمد (الفارسي) الامام المشهور المتوفى سنة سبع وسبعين وثلثمائة (المعنى يأتيه الغيب فيبينه ويخبر به ويظهره ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده ويخفيه حتى يأخذ عليه حلوانا) بضم فسكون عطاء اسم من حلوته أحلوه (وأما قراءة من قرأ بظنين بالظاء) كأبي عمرو والكسائي وابن كثير (فمعناه المتهم يقال ظننت زيدا بمعنى اتهمته) فيتعدى الى مفعول واحد (وليس هو من الظن الذي هو الشعور والادراك فان ذلك يتعدى الى مفعولين) كظننت زيدا قائما (والمعنى وما هذا الرسول على القرآن بمتهم) فالنفي فيه كالنفي في لاريب فيه (بل هو أمين فيه لا يزيد فيه ولا ينقص منه وهذا يدل على ان الضمير فيه) أي قوله هو (يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم لانه قد تقدم وصف الرسول الملكي) جبريل (بالامانة ثم قال وما صاحبكم بمجنون) يعني محمدا باجماع (ثم قال وما هو أي وما صاحبكم بمتهم ولا بخيل) على القراءتين ورجح أبو عبيدة قراءة الظاء مشالة بأن قريشا لم تبخل محمدا صلى الله عليه وسلم وانما كذبته (فنفى سبحانه عن رسوله صلى الله عليه وسلم ذلك كله وزكى سند القرآن أعظم تزكية) فلا يطلب بعد تزكية الله تزكية لانها أعظمها (والله يقول الحق) ما له حقيقة عينية مطابقة له (وهو يهدي السبيل) سبيل الحق (وقال تعالى فلا أقسم بما تبصرون) تشاهدون بالبصر (وما لا تبصرون) المغيبات (انه لقول رسول كريم أقسم تعالى) تصريح بان لا زائدة للتأكيد وقيل نافية أي لا أقسم بذلك وان كان يستحق أن يقسم به لوضوح الامر عن الاحتياج الى قسم واستغنائه عن التحقيق بالقسم وقيل فلا رد لما تقدم من أقوال الكفار واستأنف أقسم وقرأ الحسن فلاقسم بلام القسم (بالاشياء ما يبصر منها وما لا يبصر وهذا أعم قسم وقع في القرآن فانه يعم العلويات والسفليات والدنيا والآخرة وما يرى وما لا يرى) دخل فيه الخالق وصفاته تعالى كما في الخازن وغيره (ويدخل في ذلك الملائكة كلهم والجن والانس والعرش والكرسي واللوح والقلم وكل مخلوق) وحيث شمل ذلك كله فالحمل عليه أولى من الحمل على بعضه فقيل الدنيا والآخرة أو ما على ظهر الارض وبطنها أو الاجساد والارواح أو الانس والجن أو الخلق والخالق

كان لغير ذلك فركب مع غيره وقال الغافقي ماء الكمأة أصلح الادوية للعين اذا عجن به الاثمد واكتحل به ويقوي أجفانها ويزيد الروح الباصرة قوة وحدة ويدفع عنها نزول النوازل * كباث في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجني الكباث فقال عليكم بالاسود منه فانه أطيبه الكباث بفتح الكاف والباء الموحدة المخففة والثاء المثلثة ثمر الاراك وهو بأرض الحجاز وطبعه حار يابس ومنافعه كمنافع الاراك يقوي المعدة ويجيد الهضم ويجلو البلغم وينفع من أوجاع الظهر وكثير من الادواء قال ابن جلجل اذا شرب طحينه أدر البول ونقى المثانة وقال ابن رضوان يقوي المعدة ويمسك الطبيعة * كتم روى البخاري في صحيحه عن عثمان بن عبد الله ابن موهب قال دخلنا على أم سلمة رضي الله عنها فأخرجت الينا شعرا من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مخضوب بالحناء والكتم وفي السنن الاربعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه اختضب بالحناء والكتم

أو

أو النجم الظاهرة والباطنة أو ما أظهره الله من مكنون غيبه واللوح والقلم وجميع خلقه وما لا تبصرون ما استأثر بعلمه فلم يطلع عليه أحدا من خلقه (وذلك كله من آيات قدرته وربوبيته ففي ضمن هذا القسم أن كل ما يرى وما لا يرى آية ودليل على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم) قد يتوقف فيه بأن كثيرا من المخلوقات ليس فيه دلالة على ذلك كذات السماء مثلا اللهم الا أن يقال الاقسام بها دليل عظمتها وكمالها ففيها دلالة على صدق المصطفى من حيث الاخبار عن الله أنه انما خلق السموات وغيرها لأجله صلى الله عليه وسلم أو أن الاقسام بكل واحدة منها من حيث تعلق الاقسام به يثبت صدقه فيما جاء به (وأن ما جاء به هو من عند الله تعالى وهو كلامه تعالى لا كلام شاعر ولا مجنون ولا كاهن) كما زعموا (وأنه حق ثابت كما أن سائر الموجودات ما يرى منها وما لا يرى حق كما قال) أي ونظير ذلك قوله (تعالى فورب السماء والارض انه) أي ما توعدونه (لحق مثل ما أنكم تنطقون) برفع مثل صفة وما زائدة وبفتح اللام مركبة مع ما المعنى مثل نطقكم في حقيته أي معلوميته عندكم ضرورة صدوره عنكم فوجه التنظير بهذه الآية أنه أقسم برب السماء والارض على أن ما توعدونه حق كما أن نطقكم الذي تأتون به حق لا تشكون فيه (فكأنه سبحانه وتعالى يقول انه) أي القرآن الذي رجع اليه ضمير انه لقول رسول كريم (حق كما أن ما تشاهدونه من الخلق وما لا تشاهدونه حق موجود) فلا وجه للانكار (ويكفي الانسان من) كذا في بعض النسخ الصحيحة من التي للبدل وهو الصواب الواقع في أصله ابن القيم وفي غالب النسخ مع ولا معنى لها اذ المعنى بدل (جميع ما يبصره وما لا يبصره نفسه) كما قال تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون أي وفي أنفسكم أيضا آيات من مبدأ خلقكم الى منتهاه وما في تركيب خلقكم من العجائب أفلا تبصرون ذلك فتستدلون به على صانعه وقدرته (ومبدأ خلقه ونشأته وما يشاهده من أحواله ظاهرا أو باطنا) اذ ما في العالم شئ الا وفي الانسان له نظير تدل ذاته على ما انفرد به من الهيآت النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة كما في البيضاوي (ففي ذلك أبين دلالة على وحدانية الرب) كذا في نسخ صحيحة متعددة وهو الذي في أصله ابن القيم خلاف ما في بعضها أبين دلالة الرب فانه خطأ نشأ عن سقط (وثبوت صفاته وصدق ما أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم ومن لم يباشر قلبه ذلك حقيقة لم تخالط بشاشة الايمان) أي طلاقة الوجه والتلطف بالضعفاء وحسن السيرة مع المؤمنين (قلبه) من اضافة المسبب الى السبب أي لم تخالط البشاشة الناشئة عن الايمان قلبه أو شبه الايمان بانسان حسن الاخلاق كامل التودد والصداقة لاخوانه وأثبت له ما هو من خواصه وهو البشاشة تخييلا (ثم) بعد أن أثبت بالقسم أنه قول رسول كريم ونفى عنه أقوال الكفرة بقوله وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين (أقام سبحانه البرهان) الدليل (القاطع على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وأنه لم يتقول عليه فيما قاله) بقوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين قال الكشاف سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة أقاويل تحقيرا لها كأنها جمع أفعولة من القول كالاضاحيك (وأنه لو تقول عليه وافترى) عطف تفسير (لما أقره ولعاجله بالاهلاك) أي عجل اهلاكه (فان كمال علمه وقدرته وحكمته يأبى ان يقر من تقول عليه) ما لم يقل (وافترى عليه وأضل عباده واستباح دماء من كذبه وحريمهم) نساءهم (وأموالهم فكيف يليق بأحكم الحاكمين وأقدر القادرين أن يقر على ذلك) لا فهو استفهام بمعنى النفي (بل) اضراب انتقالي لا ابطالي (كيف يليق به أن يؤيده وينصره ويعليه ويظهره ويظفره بهم) أي المكذبين له (يسفك دماءهم ويستبيح

وفي سنن أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مر على النبي صلى الله عليه وسلم رجل قد خضب بالحناء فقال ما أحسن هذا فمر آخر قد خضب بالحناء والكتم فقال هذا أحسن من هذا فمر آخر قد خضب بالصفرة فقال هذا أحسن من هذا كله قال الغافقي الكتم نبت ينبت بالسهول ورقه قريب من ورق الزيتون يعلو فوق القامة وله ثمر قدر حب الفلفل في داخله نوى اذا رضخ اسود واذا استخرجت عصارة ورقه وشرب منها قدر أوقية قيأ قيأ شديدا وينفع من عضة الكلب وأصله اذا طبخ بالماء كان منه مدادا يكتب به وقال الكندي بزر الكتم اذا اكتحل به حلل الماء النازل في العين وأبرأها وقد ظن بعض الناس أن الكتم هو الوسمة وهي ورق النيل وهذا وهم فان الوسمة غير الكتم قال صاحب الصحاح الكتم بالتحريك نبت يخلط بالوسمة يختضب به قيل والوسمة نبات له ورق طويل يضرب بلونه الى الزرقة أكبر من ورق الخلاف يشبه ورق اللوبيا وأكبر منه يؤتى به من الحجاز واليمن فان قيل قد ثبت في الصحيح عن أنس رضي الله عنه أنه قال لم يختضب النبي صلى الله عليه وسلم قيل قد أجاب أحمد بن حنبل عن هذا وقال قد شهد به غير

أموالهم وأولادهم ونساءهم قائلا ان الله أمرنى بذلك وأباحه لى) استفهام بمعنى النفى أيضا أى لا يكون ذلك (بل) للاضراب الانتقالى أيضا (كيف يليق به أن يصدقه بأنواع التصديق كلها فيصدقه باقراره) على ما فعله فيهم من سفك دمهم وغيره (وبالآيات) المعجزات (المستلزمة لصدقه ثم يصدقه بأنواعها كلها على اختلافها فكل آية) علامة ومعجزة (على انفرادها مصدقة له ثم يقيم الدلالة القاطعة على ان هذا قوله وكلامه فيشهد له باقراره وفعله وقوله فمن أعظم المحال وأبطل الباطل وأبين البهتان) أى افتراء الكذب (ان يجوز على أحكم الحاكمين ان يفعل ذلك) ففى ذلك كله أبين الدلالة على صدقه صلى الله عليه وسلم (والمراد بالرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم) فى قول جماعة من أهل التفسير (كما قدمته) فى الآية التى قبل هذه وأضيف اليه لانه بلغه وقال جماعة منهم هو جبريل والاول أصح (لانه لما قال انه لقول رسول كريم ذكر بعده انه ليس بقول شاعر ولا كاهن والمشركون ما كانوا يصفون جبريل عليه السلام بالشعر والكهانة) وأجيب بأنه يصح ارادة جبريل من حيث ان المشركين كانوا يصفون القول نفسه بانه شعر وكهانة وان لم يلحظوا قائله قيل ذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكير مع نفى الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن الشعر لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته الكهانة فتتوقف على تذكر أحواله صلى الله عليه وسلم ومعانى القرآن النافية لطريقة الكهنة ومعانى أقوالهم وأنت خبير بان ذلك أيضا مما يتوقف على قائل قطعا كذا فى بعض التفاسير والله أعلم (ومن ذلك قوله تعالى فلا أقسم) قيل لا زائدة والمعنى فأقسم وزيادتها فى بعض المواضع معروفة نحو لئلا يعلم أهل الكتاب فهى مؤكدة تعطى فى القسم مبالغة ما وهى كاستفتاح كلام مشبهة فى القسم الا فى سائر الكلام القسم وغيره ومنه قوله * فلا وأبى أعدائها لا اخوانها * المعنى وأبى أعدائها وله نظائر وقرأ الحسن فلأقسم بلا ألف أى فلأنا أقسم وقال سعيد بن جبير وبعض النحاة نافية كأنه قال لا صحة لما يقوله الكفرة ثم ابتدأ أقسم (بمواقع) بالجمع قراءة الجمهور وقرأ عمر وابن مسعود وابن عباس وأهل الكوفة وحمزة والكسائى بموقع بالافراد مرادا به الجمع ونظيره كثير ومنه ان أنكر الاصوات لصوت الحمير جمع من حيث ان لكل حمار صوتا مختصا وأفرد من حيث ان الاصوات كلها نوع (النجوم) قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهم هى نجوم القرآن التى نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لانه نزل فى ليلة القدر الى سماء الدنيا وقيل الى البيت المعمور جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك على المصطفى نجوما مقطعة فى عشرين سنة قال ابن عطية ويؤيده عود الضمير فى انه الى القرآن فانه لم يتقدم ذكره الا على هذا التأويل ومن قال بغيره قال الضمير عائد على القرآن وان لم يتقدم ذكره لشهرة الامر ووضوح الحق كقوله حتى توارت وكل من عليها وقال جمهور المفسرين النجوم هنا الكواكب المعروفة واختلف فى مواقعها فقال مجاهد وأبو عبيدة مواقعها عند غروبها وطلوعها وقال قتادة مواضعها من السماء وقيل مواضعها عند الانقضاض اثر الجن وقال الحسن مواقعها عند الانكدار يوم القيامة انتهى وهو ظاهر فى أن الاضافة على بابها وأن الاقسام بها وبمواقعها لا بذواتها وتجويز انه من اضافة الصفة للموصوف أى بالنجوم حين سقوطها خلاف الاصل وظاهر اللفظ وكلام المفسرين (وانه لقسم) تأكيد للامر وتقييد من المقسم به لا اعتراض بل معنى قصد التتميم به وانما الاعتراض (لو تعلمون) وقيل انه اعتراض وان لو تعلمون اعتراض فى اعتراض والتحرير ما ذكرناه قاله ابن عطية (عظيم) أى لو كنتم تعلمون أى من ذوى العلم لعلمتم عظم هذا القسم (انه) أى المتلو عليكم (لقرآن كريم) هو الذى وقع القسم عليه ووصفه بالكرم اثباتا لصفة المدح له ودفعا للصفات الحطيطة عنه (فى كتاب) مكتوب (مكنون) مصون (لا يمسه الا المطهرون) تنزيل من رب العالمين واختلف فى الكتاب بعد الاتفاق على أن

المكنون

أنس رضى الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم أنه خضب وليس من شهد بمنزلة من لم يشهد فأحمد أثبت خضاب النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة من المحدثين ومالك أنكره فان قيل فقد ثبت فى صحيح مسلم النهى عن الخضاب بالسواد فى شأن أبى قحافة لما أتى به ورأسه ولحيته كالثغامة بياضا فقال غيروا هذا الشيب وجنبوه السواد والكتم يسود الشعر فالجواب من وجهين * أحدهما ان النهى عن التسويد البحت فأما اذا أضيف الى الحناء شئ آخر كالكتم ونحوه فلا بأس به فان الكتم والحناء يجعل الشعر بين الاحمر والاسود بخلاف الوسمة فانها تجعله أسود فاحما وهذا أصح الجوابين * الجواب الثانى ان الخضاب بالسواد المنهى عنه خضاب التدليس كخضاب شعر الجارية والمرأة الكبيرة تغر الزوج والسيد بذلك وخضاب الشيخ يغر المرأة بذلك فانه من الغش والخداع فأما اذا لم يتضمن تدليسا ولا خداعا فقد صح عن الحسن والحسين رضى الله عنهما أنهما كانا يخضبان بالسواد ذكر ذلك ابن جرير عنهما فى كتاب تهذيب الآثار وذكره عن عثمان بن عفان وعبد الله بن جعفر

المكنون المصون كما قال ابن عطية (فقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ قال ابن القيم والصحيح انه الكتاب الذى بأيدى الملائكة وهو المذكور فى قوله) كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره (فى صحف) خبر ثان لانها وما قبله اعتراض (مكرمة) عند الله (مرفوعة) فى السماء (مطهرة) منزهة عن مس الشياطين (بأيدى سفرة) كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ (كرام بررة) مطيعين لله وهم الملائكة (قال) مالك) الامام (أحسن ما سمعت فى هذه) الآية فى كتاب مكنون (أنها مثل الذى فى) سورة عبس استدلال لما صححه (قال) ابن القيم (ومن المفسرين من قال ان المراد ان المصحف لا يمسه الا طاهر) من الحدث (والاول أرجح) عند غيره يعنى اللوح المحفوظ اذ هو الاول فى كلامه ولا يخالفه قوله فى الثانى انه الصحيح لانه عند نفسه ويؤيد ذلك قول ابن القيم الخامس أى من التراجيح أن وصفه بكونه مكنونا نظير وصفه بكونه محفوظا فقوله لقرآن كريم فى كتاب مكنون كقوله بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ (لان الآية سيقت تنزيه القرآن أن تتنزل به الشياطين وأن محله لا تصل اليه كما قال تعالى وما تنزلت به) بالقرآن (الشياطين وما ينبغى) يصلح (لهم) أن ينزلوا به (وما يستطيعون) ذلك والقرآن يفسر بعضه بعضا فترجح كون المراد ما بأيدى الملائكة (وأيضا فان قوله لا يمسه بالرفع فهذا خبر لفظا ومعنى ولو كان نهيا لكان مفتوحا ومن حمل الآية على النهى احتاج الى صرف الخبر عن ظاهره الى معنى النهى) فقال انه خبر بمعنى النهى وضمة السين ضمة اعراب وقيل هو نهى وضمة السين ضمة بناء لا اعراب (والاصل فى الخبر والنهى حمل كل منهما على حقيقته وليس ههنا موجب يوجب صرف الكلام عن الخبر الى النهى) بل الموجب موجود وهو اجتماع النفى والاثبات (انتهى) ما أراد نقله من كلام ابن القيم حال كونه (ملخصا) بمعنى محذوفا منه ما لم يرد نقله والا فهو قد ذكر كلاما طويلا من جملته عشرة أوجه فى ترجيح انه الذى بأيدى الملائكة منها الوجهان المذكوران فى المصنف (وهذا الذى قاله ابن القيم قد تمسك به جماعة منهم داود بن على) بن خلف الحافظ المجتهد أبو سليمان الاصفهانى البغدادى فقيه أهل الظاهر ولد سنة اثنتين ومائتين وأخذ عن اسحق وأبى ثور وسمع القعنبى وحدث عنه ابنه محمد وزكريا الساجى وصنف التصانيف وكان بصيرا بالحديث صحيحه وسقيمه اماما ورعا ناسكا زاهدا كان فى مجلسه أربعمائة طيلسان مات فى رمضان سنة ثمانين ومائتين (بأنه يجوز مس المصحف للحدث) لان الآية لم ترد فيه انما وردت فى اللوح أو الذى بأيدى الملائكة لكن ولو قلنا بذلك لا دلالة فيها على جواز مس المصحف للحدث اذ هو مسكوت عنه (وأجاب ابن الرفعة فى الكفاية) شرح التنبيه للشيخ أبى اسحق الشيرازى كتاب واسع كبير (عن أدلتهم المزخرفة) أى المزينة بما روجها (فقال ما نصه القرآن لا يصح مسه) وانما يمكن مس النقوش الدالة عليه (فعلم أن المراد به الكتاب الذى هو أقرب المذكورين) وهما القرآن الكريم والكتاب المكنون (ولا يتوجه النهى الى اللوح المحفوظ) ولا الى صحف الملائكة (لانه غير منزل ومسه غير ممكن ولا يمكن أن يكون المراد بالمطهرون الملائكة لانه قد نفى) بقوله لا يمسه (وأثبت) بقوله الا المطهرون (وكأنه قال يمسه المطهرون ولا يمسه غير المطهرين والسماء ليس فيها غير مطهر بالاجماع) فحمله على الملائكة يلزم منه انقسامهم لمطهر وغيره وهو خلاف الاجماع (فعلم) بذلك (انه أراد بالمطهرين الآدميين) وتعين انه أراد بكتاب المصحف (ويبين ذلك) ويزيده وضوحا (ما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال فى كتاب عمرو) بفتح العين (ابن حزم) بن زيد بن لوذان الانصارى يكنى أبا الضحاك شهد الخندق وما بعدها واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على نجران وروى عنه كتابا كتبه له فيه الفرائض والزكاة والديات وغير ذلك وعنه ابنه محمد وجماعة قال أبو نعيم مات فى خلافة عمر وكذا قال ابراهيم بن المنذر ويقال

وسعد بن أبى وقاص وعقبة بن عامر والمغيرة بن شعبة وجرير بن عبد الله وعمرو بن العاص رضى الله عنهم أجمعين وحكاه عن جماعة من التابعين منهم عمرو بن عثمان وعلى بن عبد الله بن عباس وأبو سلمة بن عبد الرحمن وعبد الرحمن ابن الاسود وموسى بن طلحة والزهرى وأيوب واسمعيل بن معديكرب رضى الله عنهم أجمعين وحكاه ابن الجوزى عن محارب بن دثار ويزيد وابن جريج وأبى يوسف وأبى اسحق وابن أبى ليلى وزياد بن علاقة وغيلان بن جامع ونافع بن جبير وعمرو بن على المقدمى والقاسم بن سلام رضى الله عنهم أجمعين * كرم شجرة العنب وهى الحبلة ويكره تسميتها كرما لما روى مسلم فى صحيحه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يقولن أحدكم للعنب الكرم الكرم الرجل المسلم وفى رواية انما الكرم قلب المؤمن وفى أخرى لا تقولوا الكرم وقولوا العنب والحبلة وفى هذا معنيان * أحدهما ان العرب كانت تسمى شجرة العنب الكرم لكثرة منافعها وخيرها فكره النبى صلى الله عليه وسلم تسميتها باسم يهيج النفوس على محبتها ومحبة ما يتخذ منها من المسكر وهو أم الخبائث

بعد الخمسين قال فى الاصابة وهو أشبه بالصواب ففى مسند أبى يعلى برجال ثقات انه كلم معاوية فى أمر بيعته ليزيد بكلام قوى وفى الطبرانى وغيره انه روى لمعاوية ولعمرو بن العاصى حديث يقتل عمارا الفئة الباغية (المروى فى الدارقطنى وغيره) كأبى داود والنسائى وابن حبان والدارمى (ولا تمس القرآن الا وأنت على طهر) فهذا نص صريح فى المطلوب وان احتملت الآية (ثم قال) ابن الرفعة (فان قيل قد قال الواحدى ان أكثر أهل التفسير على أن المراد اللوح المحفوظ وأن المطهرين الملائكة ثم لو صح ما قلتم) ان المراد المصحف والمطهرون بنو آدم (لم يكن فيها دليل) على حرمة مسه للحدث (لان قوله لا يمسه بضم السين ليس نهيا عن المراد ولو كان نهيا لكان بفتح السين فهو اذا خبر) لا دلالة فيه على الحرمة (قلنا أما قول أكثر المفسرين فهو معارض بقول الباقين والمرجع الى الدليل) وهو انما دل على أن المراد المصحف فلا نظر الى كثرة القائلين بخلافه (وأما كون المراد بالآية الخبر فجوابه أنا نقول اللفظ لفظ الخبر ومعناه النهى) وهو أبلغ فى النهى من النهى الصريح (وهو كثير فى القرآن) وكذا السنة (قال الله تعالى لا تضار والدة بولدها) بسببه بأن تكره على ارضاعه اذا امتنعت فلفظه خبر ومعناه النهى (والمطلقات يتربصن) اذ معناه لتتربص المطلقات ولا تبادر بالنكاح قبل انقضاء الاقراء (انتهى) كلام ابن الرفعة (وأجاب العلامة البساطى) قاضى القضاة المالكية شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان شيخ الاسلام ولد سنة ستين وسبعمائة وبرز فى الفنون ودرس فى الشيخونية وغيرها وصنف تصانيف ومات فى رمضان سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة (فى شرحه لمختصر الشيخ خليل) بن اسحق العلم الشهير فى الآفاق (بأن يمسه مجزوم وضم السين لاجل الضمير كما صرح به جماعة وقالوا انه مذهب البصريين ومنهم) أى الجماعة (ابن الحاجب فى شافيته انتهى) كلام البساطى (وقد ذكر هذا العلامة شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود الحلبى الشهير بالسمين) صاحب اعراب القرآن وله أيضا تفسير كبير تقدم بعض ترجمته (مع زيادة ايضاح وفوائد فقال فى لا هذه) فى لا يمسه (وجهان) الاول أنها نافية (الثانى أنها ناهية والفعل بعدها مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر ذلك) الجزم (فيه كقوله تعالى لم يمسسهم سوء) حيث ظهر الجزم فيه بفك الادغام (ولكنه أدغم) فى لا يمسه (ولما أدغم حرك آخره بالضم لاجل هاء ضمير المذكر الغائب ولم يحفظ سيبويه فى هذا الا الضم وفى الحديث) الذى أخرجه الشيخان وغيرهما عن الصعب بن جثامة الليثى انه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابواء أو بودان فرده عليه فلما رأى ما فى وجهه قال (انا) بكسر الهمزة (لم نرده عليك) لعلة من العلل (الا أنا) بفتح الهمزة (حرم) بضم الحاء والراء أى محرمون زاد فى رواية النسائى لا نأكل الصيد قال المصنف نرده بفتح الدال رواية المحدثين وذكره ثعلب فى الفصيح لكن قال المحققون من النحاة انه غلط والصواب ضم الدال كآخر المضاعف من كل مضاعف مجزوم اتصل به ضمير المذكر مراعاة للواو التى توجبها ضمة الهاء بعدها لخفاء الهاء فكان ما قبلها ولى الواو ولا يكون ما قبل الواو الا مضموما كما فتحوها مع المؤنث نحو ردها مراعاة للالف وجوز الكسر أيضا وهو أضعفها ففيها ثلاثة أوجه وللحموى والكشميهنى لم نردده بفك الادغام فالدال الاولى مضمومة والثانية مجزومة وهو واضح انتهى (وان كان القياس جواز فتحه تخفيفا) وبه جاءت الرواية فهى صحيحة للتخفيف وليست بغلط (قال) السمين (وبهذا الذى ذكرته يظهر فساد رد من رد بأنه لو كان نهيا لكان يقال لا يمسه بالفتح لانه خفى عليه جواز ضم ما قبل الهاء فى هذا النحو) أى ما فى هذا ونحوه من آخر كل مضاعف مجزوم اتصل به ضمير المذكر (لا سيما على رأى سيبويه فانه لا يجيز غيره) بقى ان ابن عطية قال

فكره أن تسمى أصله بأحسن الاسماء وأجمعها للخير * والثانى أنه من باب قوله ليس الشديد بالصرعة وليس المسكين بالطواف أى انكم تسمون شجرة العنب كرما لكثرة منافعه وقلب المؤمن أو الرجل المسلم أولى بهذا الاسم منه فان المؤمن خير كله ونفع فهو من باب التنبيه والتعريف لما فى قلب المؤمن من الخير والجود والايمان والنور والهدى والتقوى والصفات التى يستحق بها هذا الاسم أكثر من استحقاق الحبلة له وبعد فقوة الحبلة باردة يابسة وورقها وعلائقها وعرموشها مبرد فى آخر الدرجة الاولى واذا دقت وضمد بها من الصداع سكنته من الاورام الحارة والتهاب المعدة وعصارة قضبانه اذا شربت سكنت القىء وعقلت البطن وكذلك اذا مضغت قلوبها الرطبة وعصارة ورقها تنفع من قروح الامعاء ونفث الدم وقيئه ووجع المعدة ودمع شجره الذى يحمل على القضبان كالصمغ اذا شربت أخرجت الحصاة واذا لطخ بها أبرأت القوبى والجرب المتقرح وغيره وينبغى غسل العضو قبل استعمالها بالماء والنطرون واذا تمسح بها مع الزيت حلقت الشعر ورماد قضبانه اذا تضمد به مع الخل ودهن

القول

القول بان لايسمه نهى قول فيه ضعف لانه اذا كان خبرا فهو فى موضع الصفة وقوله تنزيل صفة أيضا فاذا جعلناه نهيا جاء بمعنى أجنبي معترض بين الصفات وذلك لايحسن فى وصف الكلام فتدبر وفى مصحف ابن مسعود لايمسه وهو مما يقوى ما رجحته من الخبر الذى معناه حقه وقدره أن لايمسه الا طاهر انتهى وأجاب شيخنا المماذكرته له بأن تضعيفه بماذكر انما هو فى سياق قصد به كله معنى واحد أما اذا قصد به معنيان أو أكثر فلا يضر ماقاله (والله أعلم) بما أراد

* (الفصل الرابع فى قسمه تعالى على تحقيق) أى اثبات (رسالته) صلى الله عليه وسلم (قال الله تعالى يس) أمال حمزة والكسائى الياء غير مفرطين والجمهور يفتحونها ونافع وسط فى ذلك (والقرآن الحكيم) المحكم فعيل بمعنى مفعل أى أحكم فى مواعظه وأوامره ونواهيه ويحتمل انه بناء فاعل أى ذى الحكمة أو الحكيم صاحبه * (اعلم أن كل سورة بدأ الله تعالى فيها بحروف التهجى كان فى أوائلها الذكر) كقوله ص والقرآن ذى الذكر وينبغى أن المراد به مايعم لفظه وما تضمن معناه نحو الم أحسب الناس أن يتركوا والم غلبت الروم ونحوهما (أو الكتاب) الم ذلك الكتاب (أو القرآن) أوهما الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين (الا) سورة (ن) فليس فى أوائلها ذلك صريحا لكن تقدم من جملة الاقوال ان معنى يسطرون يكتبون القرآن وغيره فعليه تكون ن كغيرها (ثم ان فى ذكر هذه الحروف فى أوائل السور أمورا تدل على انها غير خالية عن الحكمة لكن علم الانسان لا يصل اليها الا ان كشف الله له سر ذلك) بأن يطلعه عليه وهذا بناء على انه أريد بها ما خفى لا ما استأثر الله بعلمه اذ لا يطلع عليه أحدا (واختلف المفسرون فى معنى يس على أقوال أحدها انه يا انسان بلغة طيئ) لانهم يقولون يا ايسان بمعنى يا انسان ويجمعونه على اياسين فهذا منه وقالت فرقة قوله يا حرف نداء والسين مقامة مقام انسان انتزع منه حرف فاقيم مقامه قاله ابن عطية (وهو قول ابن عباس) عند ابن أبى حاتم والثعلبى (والحسن) البصرى (وعكرمة) البربرى (والضحاك وسعيد بن جبير وقيل بلغة الحبشة) حكى عن ابن عباس أيضا ومقاتل (وقيل بلغة كلب وحكى الكلبى) محمد بن السائب (أنها بالسريانية قال الامام فخر الدين) الرازى (وتقريره) اى هذا القول ان معناه يا انسان بأى لغة مماذكر (هو ان تصغير انسان أنيسين وكأنه حذف الصدر وأخذ العجز) لكثرة النداء به (وقال يس وعلى هذا) أى يا انسان بسائر ما قيل فيه (فيكون الخطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم) ويؤيده حديث لى عند ربى عشرة أسماء وعد منها طه ويس (ويدل عليه قوله تعالى انك لمن المرسلين) لانه خطاب له صلى الله عليه وسلم بلا نزاع فيقوى قول يس كذلك وتبع الزمخشرى الامام على هذا (وتعقبه أبو حيان بأن الذى نقل عن العرب فى تصغير انسان أنيسيان بياء) بعد السين و(بعدها ألف فدل على ان أصله انسيان لان التصغير يرد الاشياء الى أصولها) فيعرف به كما يعرف بالجمع (ولا نعلم انهم قالوا فى تصغيره أنيسين وعلى تقدير انه يصغر كذلك) ورود اعن العرب (فلا يجوز ذلك الا ان يبنى على الضم لانه منادى مقبل عليه) فكان قياسه ضم النون وقرأه الجمهور بسكون النون واظهارها وان كانت النون الساكنة تخفى مع الحروف وانما هى مع الانفصال وحق هذه الحروف المقطعة أن تظهر وقرأ عاصم وابن عامر بخلاف عنهما يس والقرآن بادغام النون فى الواو وقرئ بنصب النون وبضمها (ومع ذلك) وجه ثالث (فلا يجوز لانه تحقير ويمتنع ذلك فى حق النبوة انتهى) كلام أبى حيان واعتراضه الاول معارض بنقل الرازى وتبعه الزمخشرى والبيضاوى والمثبت مقدم على النافى ولا يرد بقوله المنقول عن العرب لانه باعتبار علمه وجواب الثانى أنه ينوى ضمه كما فى الاسماء المبنية على الكسر كسيبويه فنطق به بالسكون مع انه منادى نظرا الى انه لما كان بصورة الحرف أبقى على ما يلفظ

الورد والسداب نفع من الورم العارض فى الطحال وقوة دهن زهرة الكرم قابضة شبيهة بقوة دهن الورد ومنافعها كثيرة قريبة من منافع النخلة * كرفس روى فى حديث لايصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أكله ثم نام عليه نام ونكهته طيبة وينام آمنا من وجع الاضراس والاسنان وهذا باطل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن البستانى منه يطيب النكهة جدا واذا علق أصله فى الرقبة نفع من وجع الاسنان وهو حار يابس وقيل رطب مفتح لسدد الكبد والطحال وورقه رطبا ينفع المعدة والكبد الباردة ويدر البول والطمث ويفتت الحصاة وحبه أقوى فى ذلك ويهيج الباه وينفع من البخر قال الرازى وينبغى أن يجتنب أكله اذا خيف من لدغ العقارب * كراث فيه حديث لايصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو باطل موضوع من أكل الكراث ثم نام عليه نام آمنا من ريح البواسير واعتزله الملك لنتن نكهته حتى يصبح وهو نوعان نبطى وشامى فالنبطى البقل الذى يوضع على المائدة والشامى الذى له رؤس وهو حار يابس مصدع واذا طبخ وأكل أو شرب ماؤه نفع من

به الحرف (قال الشيخ شهاب الدين السمين وهذا الاعتراض الاخير) الثالث (صحيح) فقد نصوا على أن التصغير لا يدخل فى الاسماء المعظمة شرعا كأسماء الله تعالى وأنبيائه لايهامه التحقير وان جاء للتعظيم فى قوله دويهية لانه انما جاء فيما يجوز تصغيره تلطفا منهم كما قيل

ماقلت حبيبى من التحقير ❊ بل يعذب اسم الشئ بالتصغير

وأجاب شيخنا عنه بأن التصغير يراد لغير التحقير كالشفقة والمحبة فيحمل اللفظ عليه سيما مع وجود القرينة الدالة على ذلك وقد يرد بأنه انما ورد لغيره فيما يجوز تصغيره الا أن يقال المنع انما هو اذا وقع من غير الله أما منه بقصد الملاطفة ونحوها فلا يمتنع لكن يرد بأنه ليس نص منه تعالى على ذلك انما هو على هذا التفسير وليس بمتعين خصوصا والمذهب المنصور فى أسماء الحروف التى فى أوائل السور أنها مما استأثر الله بعلمه (ولذلك يحكى ان) عبد الله بن مسلم (بن قتيبة) الدينورى (لما قال فى المهيمن) بكسر الميم الثانية وفتحها أى المراقب (انه مصغر من مؤمن والاصل مؤيمن فأبدلت الهمزة هاء) ١ كراهة اجتماع همزتين فى كلمة لان أصله مؤأمن وقلبت الاولى هاء لاتحاد مخرجهما (قيل له هذا يقرب من الكفر) لان أسماء الله وما فى معناها من الاسماء العظيمة لا يناسبها التصغير لانه ينافى التعظيم (فليتق الله قائله انتهى) ومع ذلك فهو تكلف لاحاجة اليه مع سماع أبنية يلتحق بها والياء أصلية لا مبدلة (وقيل معنى يس يا محمد) لانه وضع له ابتداء أو بواسطة (قاله ابن الحنفية) محمد ابن على بن أبى طالب الهاشمى أبو القاسم المدنى ثقة روى له الجميع اشتهر بأمه مات بعد الثمانين (والضحاك) بن مزاحم (وقيل يا رجل قاله أبو العالية) رفيع بن مهران التابعى (وقيل هو اسم من أسماء القرآن قاله قتادة) وقيل من أسماء السور وهما من الاقوال المشتركة فى أوائل جميع السور (وعن أبى بكر الوراق) محمود بن الحسن (يا سيد البشر وعن جعفر الصادق) اصدقه فى مقاله ابن محمد ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (انه أراد يا سيد مخاطبة للنبى صلى الله عليه وسلم) بفتح الطاء منصوب بدل مما قبله أو مصدر فعل مقدر أى خاطبه به مخاطبة مخصوصة به قيل فعلى هذا فهو اكتفاء ببعض الكلمة عن باقيها وهو مذهب للعرب حكاه سيبويه وغيره يقولون الاتا بمعنى تفعل فيقول بلى فا أى أفعل فيكتفون عن الكلمة ببعض حروفها وفى الحديث كفى بالسيف شا أى شاهدا وقال التجانى التحقيق أنهم يكتفون ببعض حروف الكلمة معبرين باسم بعض حروفها كقولهم قلت لها قفى فقالت ق أى وقفت فيحتمل يس ان يكون عبر عنه ٢ باسمين من أسماء حروفه لا بمسماه كما قال الرازى وان كانت العرب قد تكتفى ببعض الكلمة كقوله ❊ كانت منا ها بأرض لا يبلغها ❊ أى منا ياها وقوله ❊ دروس المنا بمتالع فأبان ❊ أى المنازل ونظائره كثيرة وفى بديع الاكتفاء للنواجى قال علماء البديع الاكتفاء أن يدل بموجود الكلام على محذوفه وهذا الحد صادق على نحو واسأل القرية على أحد القولين فيه ثم قسمه الى الاكتفاء بكلمة نحو سرابيل تقيكم الحر اى والبرد والى الاكتفاء ببعض الكلمة وهذا الثانى مما اخترعه المتأخرون من أهل البديع وأكثر منه الشعراء المتأخرون والتزموا فيه التورية كقول الدمامينى

يقول مصاحبى والروض زاه ❊ وقد بسط الربيع بساط زهر

---

١ قوله كراهة اجتماع الخ ظاهره انه علة لابدال الهمزة هاء مع ان مؤيمن لم يجتمع فيه همزتان نعم الاصل مؤأمن كما قال الا ان الاولى حذفت كما حذفت فى مؤكرم فصار مكرم تأمل اه مصححه

٢ قوله باسمين الخ هكذا فى النسخ ولعل الاظهر باسم وهو سين واما يا فهى حرف النداء كما يدل على ذلك سابق الكلام ولاحقه تأمل اه مصححه

البواسير الباردة وان سحق بزره وعجن بقطران وبخرت به الاضراس التى فيها الدود نثرها وأخرجها ويسكن الوجع العارض فيها واذا دخنت المقعدة ببزره خفت البواسير هذا كله فى الكراث النبطى وفيه مع ذلك فساد الاسنان واللثة ويصدع ويرى أحلاما رديئة ويظلم البصر وينتن النكهة وفيه ادرار للبول والطمث وتحريك الباه وهو بطىء الهضم

❊(حرف اللام)❊

لحم قال الله تعالى وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون وقال ولحم طير مما يشتهون وفى سنن ابن ماجه من حديث أبى الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم ومن حديث بريدة يرفعه خير الادام فى الدنيا والآخرة اللحم وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام والثريد الخبز واللحم قال الشاعر

اذا ما الخبز تأدمه بلحم ❊ فذاك أمانة الله الثريد

وقال الزهرى أكل اللحم يزيد سبعين قوة وقال محمد بن واسع اللحم يزيد فى البصر ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه كلوا اللحم فانه يصفى اللون ويخمص البطن

تعال نباكر الروض المفدى * وقم نسعى الى روض ونسر   أى نسرين

وقول الحافظ ابن حجر

دع يا عذول رقى الملام فنسرى * عنى الحبيب فنيت دام له البقا

والطرف مذ فقد الرقاد بكى دما * يحكى الغمام فليس يهدى بالرقا   أى الرقاد

واستشكل بأنه لا يجوز الترخيم فى غير المنادى لمخالفة القياس فكيف يعد محسنا مع اخلاله بالفصاحة فلا يخرج القرآن عليه وان كان فيه تورية الالهم الاان يقولوا انه مقيس مغتفر فى الشعر وما فى القرآن ليس منه بل من ذكر حرف من كلمة ايماء الى بقيتها الامن الترخيم وهو ما أشار اليه المفسرون (وفيه من مزيد تمجيده) اعزازه وتشريفه (وتعظيمه) اجلاله (ما لا يخفى) لوصفه بالسيادة المفيدة للعموم فى المقام الخطابى فيفيد تفوقه على من سواه لانه صلى الله عليه وسلم واسطة كل خير (و) روى ابن جرير (عن طلحة عن ابن عباس انه) أى يس (قسم) بمعنى مقسم به أو جعله قسما لتضمنه له أو مبالغة (أقسم الله به وهو من أسمائه) أى الله تعالى (وعن كعب) بن مانع المعروف بكعب الاحبار يس قسم (أقسم الله به قبل ان يخلق السموات والارض بألفى عام) أى بمقدار ألفى عام اذ قبل خلقهما لا أعوام لان الزمان مقدار حركة الفلك أو المراد مجرد الكثرة أو عدم النهاية مجازا أو باعتبار ان الفلك الاعظم وهو العرش مخلوق قبلهما لقوله تعالى وكان عرشه على الماء ونظر فى هذا بان مجرد تقدم العرش لا يقتضى تقدم الزمان بالمعنى المتعارف واستشكل أيضا بان كلام الله قديم فلا قبلية فيه ولا بعدية وخلقهما محدث وأجيب بأن المراد ابرازه فى اللوح المحفوظ المكتوب فيه جميع الكائنات أو أنه أطلع عليه ملائكته قبلهما بهذا المقدار وهو مناسب هنا لافادة اظهار [1] علم قدره فى الملأ الأعلى ومثل هذا ورد كثيرا فى الحديث فتضعيف ما هنا بمجرد الايراد وانه ان صح ترك علمه الى الله اذ مثله لا يقال بالرأى لا يسمع فالتضعيف انما هو من جهة الاسناد (يا محمد انك لمن المرسلين) بيان للمخاطب وليس تفسيرا ليس لانه لا يناسب ان الله أقسم به ولذا ذكر جواب القسم توضيحا لمراده وليس مراده انه جواب مقدر للقسم بيس حتى يلزم عليه اجتماع قسمين من غير عطف على جواب وقد أباه النحاة كما فى الكشاف وقال ان العرب تكرهه (ثم قال) والقرآن الحكيم (انك لمن المرسلين) وهو رد على الكفار حيث قالوا) للنبى صلى الله عليه وسلم (لست مرسلا فأقسم الله باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده) بكسر ان لتقدير القول والحكاية بالمعنى أى قائلا انه ولذا لم يقل انك (وعلى طريق مستقيم من ايمانه) بيان للطريق وأن المراد بها التوحيد أوهى تعليلية وزاد الواو اشارة الى انه خبر ثان مقصود مقسم عليه لا متعلق بالمرسلين أى من أرسل على هذه الطريقة فالقسم على أمرين كما قال قبله [2] ان الارسال على أمرين رسالته والشهادة بهدايته لا على أمر واحد هو أنه صلى الله عليه وسلم رسول مهدى على طريقة مستقيمة لا حال كما قيل لانه قريب من هذا وان كان جعله قيدا ينافى القصد لان هذا أوضح وأتم فى المدح (أى طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق) بفتح همزة أى وسكون الياء مخففة تفسير للطريق المستقيم وهذا أعم من الايمان فهو تفسير ثان وشد الياء على أن معناه طريق وأى طريق لانه لا اعوجاج ولا عدول الخ تفسير لعدم الاعوجاج مخالف للرواية والظاهر وان جاز (قال النقاش) الحافظ أبو بكر محمد بن الحسن بن أحمد الموصلى البغدادى المقرى المفسر ضعيف فى الحديث وحاله فى القرآآت أمثل وأتنى

---

[1] قوله علم قدره هكذا فى النسخ ولعله عظم قدره تأمل اه مصححه

[2] قوله ان الارسال الخ لعل صوابه الاقسام ولينظر فى أى محل قال ذلك تأمل اه مصححه

ويحسن الخلق وقال نافع كان ابن عمر اذا كان رمضان لم يفته اللحم واذا سافر لم يفته اللحم ويذكر عن على رضى الله عنه من تركه أربعين ليلة ساء خلقه وأما حديث عائشة رضى الله عنها الذى رواه أبو داود مرفوعا لا تقطعوا اللحم بالسكين فانه من صنيع الاعاجم وانهشوه نهشا فانه أهنى وأمرى فرده الامام أحمد بما صح عنه صلى الله عليه وسلم من قطعه بالسكين فى حديثين وقد تقدما واللحم أجناس يختلف باختلاف أصوله وطبائعه فنذكر حكم كل جنس وطبعه ومنفعته ومضرته * لحم الضأن حار فى الثانية رطب فى الاولى جيده الحولى يولد الدم المحمود القوى لمن جاد هضمه يصلح لاصحاب الامزجة الباردة والمعتدلة ولاهل الرياضات التامة فى المواضع والفصول الباردة نافع لاصحاب المرة السوداء يقوى الذهن والحفظ ولحم الهرم والعجيف ردىء وكذلك لحم النعاج وأجوده لحم الذكر الاسود منه فانه أخف وألذ وأنفع والخصى أنفع وأجود والاحمر من الحيوان السمين أخف وأجود غذاء والجذع من المعز أقل تغذية ويطفو فى المعدة وأفضل اللحم عائذه بالعظم والايمن أخف وأجود من الايسر والمقدم أفضل من المؤخر وكان أحب الشاة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمها

عليه أبو عمرو الداني وزعم الجعبري أن المضعف له غالط وتقدم قبل هذا بعض ترجمته (لم يقسم الله تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة) أي بسببها أو الباء بمعنى على (في كتابه الا له صلى الله عليه وسلم) كما في هذه الآية وان دلت على أن غيره مرسل أيضا لكن المقسم عليه بالقصد الذاتي رسالته عليه الصلاة والسلام ولم يقل رسول أو مرسل وهو أخصر لتثبيت رسالته وانه عريق فيها على نهج قوله كانت من القانتين لان فلانا من العلماء أبلغ من العالم أي لم يذكر هذا القسم في القرآن لغيره تشريفا له صلى الله عليه وسلم وتعظيما ولشدة انكار قومه لرسالته فلذا أكد بتأكيدات

*(الفصل الخامس في قسمه تعالى) بمعنى الاقسام وهو الاتيان بالقسم ويكون بمعنى المقسم به والمراد الاول (بمدة حياته) صلى الله عليه وسلم فيه تسمح اذ القسم انما وقع بنفس الحياة ولا يصح أن تكون الاضافة بيانية لان المدة ليست نفس الحياة وأجاب شيخنا بأنه من اضافة الصفة للموصوف أي بحياته القائمة به في الزمن الذي كان فيه أو ببقائه حقيقة أو حكما فشمل هذا الزمن (وعصره وبلده) قدم العصر لان المواهب الحاصلة وأنواع الاهتداء انما نشأت عن عصره لا عن خصوص البلد ولان زيادة تشريف البلد انما حصلت في عصره فالاعتناء به أهم وأخره في الترتيب رعاية لترتيب المصحف اذ سورة البلد مقدمة على العصر فزعم بعض أن الصواب تقديم البلد على العصر لتقدمه عليه في الترتيب ساقط وأيضا الواو لا تقتضي ترتيبا ولا شرفا فلا يقال في مثله الصواب بل ولا الانسب (قال الله تعالى لعمرك انهم) أي قوم لوط (لفي سكرتهم) غفلتهم وغلبة الهوى والشهوة عليهم حتى صاروا سكارى لا يميزون الخطأ من الصواب (يعمهون) يتحيرون لعمى بصائرهم (العمر) بالفتح (والعمر) بالضم (واحد ولكنه في القسم يفتح) أي يلزم الفتح والاحسن لو عبر به (لكثرة الاستعمال) علة للفتح أي بمعنى أن الكثرة تطلب لها التخفيف والفتح خفيف فخصوه بالقسم وان استعمل في غيره قليلا والضم أكثر (فاذا أقسموا قالوا لعمرك) لأفعلن ومنه الآية وقوله (القسم) خبر مبتدا محذوف أي هو القسم أو منصوب بجعله مقدرا وليس من جملة اليمين والاظهر لو استغنى عنه بقوله (قال النحويون ارتفع قوله لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى قسمي) فسد جواب القسم مسد الخبر (فحذف الخبر لان في الكلام دليلا عليه) لسد جواب القسم مسده (وباب القسم يحذف منه الفعل نحو تالله لأفعلن والمعنى أحلف بالله فتحذف أحلف لعلم المخاطب بأنك حالف) من ذكر القسم (قال الزجاجي) بفتح الزاي وشد الجيم أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق صاحب الجمل والامالي وغير ذلك مات بطبرية سنة تسع وثلاثين وقيل سنة أربعين وثلثمائة نسبة الى شيخه الزجاج ابراهيم بن محمد البغدادي (من قال لعمر الله كأنه حلف ببقاء الله فيحذف أحلف) جواب سؤال حاصله الحلف بالعمر ظاهر في غيره تعالى لان الحياة القائمة به صفة لها غاية يعبر عنها بالعمر وأما هو سبحانه فهو حي أزلا وأبدا لا يقال في مدة حياته انها مقدرة بمدة حلف بها فأجاب بصرف العمر في حقه تعالى للبقاء وهو صفة له لا نهاية لها (ومن ثم قال المالكية والحنفية تنعقد بها اليمين لان بقاء الله من صفات ذاته) الثمانية المنظومة في قوله

حياة وعلم قدرة وارادة * وسمع وأبصار كلام مع البقا

(وعن مالك) رواية (لا يعجبني الحلف بذلك) لظاهر حديث من كان حالفا فليحلف بالله (وقال الامام الشافعي واسحق) بن راهويه (لا يكون يمينا الا بالنية) لاستعمال الحياة في غيره كثيرا ورد بأنه مضاف لله تعالى وتعقب هذا شيخنا بأن صريح متن البهجة وشرحها أن صفاته تعالى تنعقد بها اليمين نوى بها اليمين أو أطلق (وعن أحمد) روايتان (كالمذهبين والراجح عند الشافعي) تنعقد ان نواها (واختلف فيمن المخاطب في الآية على قولين * أحدهما أن الملائكة قالت للوط عليه السلام لما

وكل ماعلا منه سوى الرأس كان أخف وأجود مما سفل وأعطى الفرزدق رجلا يشتري له لحما وقال له خذ المقدم وإياك والرأس والبطن فان الداء فيهما ولحم العنق جيد لذيذ سريع الهضم خفيف ولحم الذراع أخف اللحم وألذه وألطفه وأبعده من الاذى وأسرعه انهضاما وفي الصحيحين أنه كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحم الظهر كثير الغذاء يولد دما محمودا وفي سنن ابن ماجه مرفوعا أطيب اللحم لحم الظهر

(فصل) لحم المعز قليل الحرارة يابس وخلطه المتولد منه ليس بفاضل وليس بجيد الهضم ولا محمود الغذاء ولحم التيس رديء مطلقا شديد اليبس عسر الانهضام مولد للخلط السوداوي قال الجاحظ قال لي فاضل من الاطباء يا أبا عثمان اياك ولحم المعز فانه يورث الغم ويحرك السوداء ويورث النسيان ويفسد الدم وهو والله يخبل الاولاد وقال بعض الاطباء انما المذموم منه المسن ولا سيما للمسنين ولا رداءة فيه لمن اعتاده وجالينوس جعل الحولي منه من الاغذية المعتدلة المعدلة للكيموس المحمود وإناثه أنفع من ذكوره وقد روى النسائي في سننه عن النبي صلى الله عليه وسلم أحسنوا الى الماعز وأميطوا عنها

وعظ) ذكر وخوف (قومه وقال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين) ما تريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون أي يتحيرون) لعمى بصائرهم والعمه في البصيرة والعمى في البصر (فكيف يعقلون قولك ويلتفتون الى نصيحتك) وقدم الكشاف ذا القول لانه المناسب عنده للسياق (* والثاني أن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه تعالى أقسم بحياته) وقدمه البيضاوي وقال عياض اتفق عليه أهل التفسير ومراده أهله الذين هم أهله وهم مفسر والسلف قال ابن القيم أكثر المفسرين عن السلف والخلف بل لا يعرف في السلف فيه نزاع أن هذا قسم من الله بحياة رسوله عليه الصلاة والسلام وهذا من أعظم فضائله أن يقسم الرب بحياته وهذه مزية لا تعرف لغيره ولم يوفق الزمخشري لذلك فصرف القسم الى انه بحياة لوط وأنه من قول الملائكة له فقال هو على ارادة القول أي قالت الملائكة للوط لعمرك انهم لفي سكرتهم وليس في اللفظ ما يدل على واحد من الامرين بل ظاهر اللفظ وسياقه انما يدل على ما فهمه السلف الطيب لا أهل التعطيل والاعتزال انتهى فما أوهمه المصنف من تساوي القولين مخالف لكلام أصله الآن يقال لما رأى قوله وليس في اللفظ الخ اقتصر على مجرد حكايتهما بلا ترجيح لكن قد علم اضراب أصله بقوله بل ظاهر اللفظ الخ وعليه فقيل ضمير انهم لقريش والجملة اعتراض كما في البيضاوي وقال التجاني انه بعيد لانقطاع الآية به عما بعدها وما قبلها (وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه) أي منزلة وقدر (عريض) مجاز بمعنى عظيم كدعاء عريض قال البيضاوي أي كبير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو أبلغ من الطول لانه أطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله (قال ابن عباس ما خلق) أوجد (الله وما ذرأ وما برأ) بالهمز فيهما وذكرهما للتأكيد لانهما بمعنى وقد يفرق بينهما بالاعتبار بأن يكون ذرأ من الذرية وبرأ بمعنى صور أي لم يوجد (نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم) أشرف منه ذاتا ونسبا وصورة ومثل هذه العبارة تفيد عدم المساواة عرفا (وما سمعت الله أقسم) أي ما علمت من اطلاق السبب على مسببه وقيل انه هنا من النواسخ الداخلة على المبتدأ والخبر على أن المفعول الاول مصدر والخبر المضاف الى المبتدأ واليه ذهب الرضي وغيره في فعل السماع الداخل على الذوات كسمعت زيدا يقول كذا بشرط كون الخبر مما يسمع والتقدير ما سمعت أقسام الله (بحياة أحد) والجملة مبينة للقدر لكن فيه أنهم شرطوا كون السماع بلا واسطة (غيره) بالجر صفة أحد او بدل منه وبالنصب على الاستثناء قيل وهو أحسن للصراحة في أنه أقسم بالنبي ولم يقسم بغيره بخلاف الخفض فانما يفيد أنه لم يقسم بغيره وليس فيه انه أقسم به ولا وجه له فانه يفيدهما على الوجهين بقرينة السياق وتلاوة الآية (قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون يقول وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا) وفي الشفاء معناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك (انهم لفي سكرتهم يعمهون رواه) محمد (بن جرير) الحافظ الشهير (ومراده بقوله سمعت الله سمعت كلامه المتلو في الكتب المنزلة) وعلى لسان نبيه (ورواه البغوي في تفسيره) من طريق أبي الجوزاء عن ابن عباس (بلفظ وما أقسم الله بحياة أحد الا بحياته صلى الله عليه وسلم وما أقسم بحياة أحد غيره) أتى به مع استفادته مما قبله لاشتماله على النفي والاستثناء فكأنه قال أقسم بحياته لا بحياة غيره لان دلالته على النفي بالمفهوم وبعض الائمة كالحنفية يجعله مسكوتا عنه فنفى ذلك بالتصريح به (وذلك يدل على انه اكرم خلق الله على الله) وذلك باجماع والكرم صفة جامعة لكل خير وان خصه العرف الطارئ الآن بالجود فليس بمراد هنا وحده (وعلى هذا فيكون قسمه تعالى بحياة محمد صلى الله عليه وسلم كلاما معترضا في قصة لوط) تسلية للمصطفى عن أذية قومه له وهو واضح بجعل ضمير انهم لقريش اما على أنه لقوم لوط فلا يظهر جعله اعتراضا اذ هو من جملة

الأذى فانها من دواب الجنة وفي ثبوت هذا الحديث نظر وحكم الاطباء عليه بالمضرة حكم جزئي ليس بكلي عام وهو بحسب المعدة الضعيفة والامزجة الضعيفة التي لم تعتده واعتادت المأكولات اللطيفة وهؤلاء أهل الرفاهية من أهل المدن وهم القليلون من الناس * لحم الجدي قريب الى الاعتدال خاصة ما دام رضيعا ولم يكن قريب العهد بالولادة وهو أسرع هضما لما فيه من قوة اللبن ملين للطبع موافق لاكثر الناس في أكثر الاحوال وهو ألطف من لحم الجمل والدم المتولد عنه معتدل * لحم البقر بارد يابس عسر الانهضام بطيء الانحدار يولد دما سوداويا لا يصلح الا لاهل الكد والتعب الشديد ويورث ادمانه الامراض السوداوية كالبهق والجرب والقوبى والجذام وداء الفيل والسرطان والوسواس وحمى الربع وكثير من الاورام وهذا لمن لم يعتده أو لم يدفع ضرره بالفلفل والثوم والدارصيني والزنجبيل ونحوه وذكره أقل برودة وأنثاه أقل يبسا ولحم العجل ولا سيما السمين من أعدل الاغذية وأطيبها وألذها وأحمدها وهو حار رطب واذا انهضم غذى غذاء قويا * لحم الفرس ثبت في الصحيح عن أسماء رضي الله عنها قالت نحرنا فرسا فأكلناه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه أذن في لحوم الخيل ونهى عن لحوم الحمر أخرجاه في الصحيحين ولا يثبت

ما يتعلق بقوم لوط نعم لا يمنع ذلك أن القسم بحياة المصطفى فغايته انه تأكيد لحيرة قوم لوط وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية أو لتشبيه الماضي بالحال (وقال القرطبي واذا أقسم الله بحياة نبيه فانما أراد بيان التصريح لنا انه يجوز لنا أن نحلف بحياته) ولا دلالة فيه على ذلك فانما المراد التعظيم والله تعالى له أن يقسم بما شاء والشمس وضحاها والضحى والليل والمقرر في مذهب القرطبي قولان مشهوران فذهب الاكثرون الى حرمة الحلف بالنبي والكعبة وكل معظم شرعا وشهره بهرام في شامله والاقلون الى كراهة الحلف بذلك وشهره التاج الفاكهاني وحجة كل قوله صلى الله عليه وسلم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت رواه الشيخان ومحل الخلاف اذا كان الحالف صادقا والا حرم اتفاقا بل ربما يكون بالنبي كفرا (وقد قال الامام أحمد بن حنبل فيمن أقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم تنعقد يمينه وتجب الكفارة بالحنث) ومذهب مالك والشافعي والجمهور لا تنعقد ولا كفارة (واحتج أحمد بكونه صلى الله عليه وسلم أحد ركني الشهادة) ولا حجة فيه اذ لا يلزم من ذلك انعقاد اليمين به بل ولا جواز الحلف به لا سيما مع النهي الصريح عنه صلى الله عليه وسلم (قال) أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بابن (ابن خويز منداد) بضم الخاء وكسر الزاي وفتح الميم وسكون النون والدال بينهما ألف ويقال خواز منداد تفقه على الابهري وله كتاب كبير في الخلاف وكتاب في أصول الفقه وكتاب في أحكام القرآن وعنده شواذ عن مالك وله اختيارات مخالفة للمذهب ولم يكن بالجيد النظر ولا قوي الفقه قال الباجي لم أسمع له في علماء العراق ذكرا وكان يجانب الكلام وينافر أهله حتى يؤدي ذلك الى منافرة المتكلمين من أهل السنة ويحكم على جميعهم بأنهم من أهل الاهواء قاله في الديباج (واستدل من جوز الحلف به عليه الصلاة والسلام بان أيمان المسلمين جرت من عهده صلى الله عليه وسلم أن يحلفوا به) وهذا بفرض تسليمه لا دلالة فيه على الجواز اذ المختلف فيه لا يجب انكاره (حتى ان أهل المدينة الى يومنا هذا ٢ اذا جاء) من يريد التحليف (صاحبه) الذي يريد تحليفه (وقال له احلف) لي (بحق صاحب هذا القبر أو بحق ساكن هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم) كان ذلك عنده غاية في تغليظ اليمين (وقال تعالى لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد) من اقامة الظاهر مقام المضمر فلم يقل به استعظاما لحلوله فيه (الآية) أتلها (أقسم تعالى بالبلد الامين) فلا زائدة لافادة التأكيد والتحسين وان كان حذفها لا يغير أصل المعنى فاندفع قول الامام الرازي انه مانع من الانتظام وموهم جعل الاثبات نفيا ويلزمه عدم الاعتماد على القرآن مع ان لا تأتي زائدة مع القسم كثيرا وقد تزاد في غيره أيضا وقد ذهب بعض المفسرين والنحاة الى انه لا يطلق على مثله زائد بل يقال صلة تأدبا وهو حسن ويحتمل كلام المصنف انه جل لا على انها واقعة جواب قسم مقدر أي والله لانا أقسم ويؤيده القراءة الشاذة لاقسم بلام الابتداء (وهو مكة أم القرى وهو بلده عليه الصلاة والسلام وقيده بحلوله فيه اظهارا لمزيد فضله) فالمعنى أقسم به والحال انك مقيم به لشرفك وعظمتك عندي (واشعارا بان شرف المكان بشرف أهله) وفيه ايماء الى أن القسم بقوله وهذا البلد الامين لكونه فيه فلا تنافي بين الآيتين فاذا كان فيه فهو حقيق بالاقسام به كما قيل

وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا

(قاله البيضاوي) غير مقتصر عليه بل حكى بعده ما يأتي للمصنف لكنه لم ينقله عنه لوجوده في كلام من تقدمه (ثم أقسم بالوالد وما ولد) آثر ما على من لمعنى التعجب كقوله والله أعلم بما وضعت أولان كثيرا من النحاة جوزوه أولتأويله بالمبهم أي الولد الكامل الذي لا يدرك كنه ذاته أولا على ارادته فيما قصد به

٢ قوله اذا جاء صاحبه الخ في بعض نسخ المتن اذا خاصم صاحبه الخ اهـ

عنه حديث المقدام بن معديكرب رضي الله عنه أنه نهى عنه قاله أبو داود وغيره من أهل الحديث واقترانه بالبغال والحمير في القرآن لا يدل على ان حكم لحمه حكم لحومها بوجه من الوجوه كما لا يدل على ان حكمها في السهم في الغنيمة حكم الفرس والله سبحانه يقرن في الذكر بين المتماثلات تارة وبين المختلفات وبين المتضادات وليس في قوله لتركبوها ما يمنع من أكلها كما ليس فيه ما يمنع من غير الركوب من وجوه الانتفاع وانما نص على أجل منافعها وهو الركوب والحديثان في حلها صحيحان لا معارض لهما وبعد فلحمها حار يابس غليظ سوداوي مضر لا يصلح للابدان اللطيفة * لحم الجمل فرق ما بين الرافضة وأهل السنة كما انه أحد الفروق بين اليهود وأهل الاسلام فاليهود والرافضة تذمه ولا تأكله وقد علم بالاضطرار من دين الاسلام حله وطالما أكله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حضرا وسفرا ولحم الفصيل منه من ألذ اللحوم وأطيبها وأقواها غذاء وهو لمن اعتاده بمنزلة لحم الضان لا يضرهم البتة ولا يولد لهم داء وانما ذمه بعض الاطباء بالنسبة الى

المعنى الوصفي كالمولود هنا نظرا لصفته فإنها ليست من جنس العقلاء قال في حواشي الكشاف التفرقة بين من وما إنما هي إذا أريد الذات وأما إذا أريد الوصف فيجوز ذهابا إلى الوصف وقد خفي هذا على بعض الافاضل (وهو فيما قيل ابراهيم واسمعيل وما ولد محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا تتضمن السورة الاقسام به في موضعين) أحدهما في البلد التي هي محله فإن القسم بمكانه قسم به صلى الله عليه وسلم أبلغ من القسم بذاته وحياته والثاني قوله وما ولد وزعم أنه لما أقسم بوالده وهو في أصله فكأنه أقسم به في غاية البعد اللهم الا أن يقال لما قصد تعظيمه بالقسم بوالده كأنه أقسم بصفة من صفاته وهي شرف حسبه (وقيل المراد به) أي بوالد (آدم و) بما ولد (ذريته وهو قول الجمهور من المفسرين) فما ولد عام شامل لجميع أولاده لا يختص بفرد منهم فالقسم على هذا بنوع الانسان (وانما أقسم تعالى بهم) وان كان فيهم فسقة وكفار للتعليل المذكورة بقوله (لانهم أعجب خلق الله على وجه الارض) اذ خلقهم في أحسن تقويم (لما فيهم من البيان) النطق المبين عن المقاصد (والنظر) الاستدلال (واستخراج العلوم وفيهم الانبياء) أريد بهم ما يشمل المرسلين (والدعاة) جمع داع كالعلماء والاولياء والصلحاء فالكل يدعون (الى الله تعالى والانصار لدينه) بالسيف والحجة (وكل ما في الارض من مخلوق خلق لاجلهم) كما قال تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا (وعلى هذا فقد تضمن القسم أصل المكان وأصل السكان) آدم خصه لشرفه وكونه أصلهم (فمرجع البلاد الى مكة) لانها أمها (ومرجع العباد الى آدم) لانه أصلهم ولو قال ومرجع غير بني آدم اليهم وفسر أصل السكان بآدم وذريته كان أوفق بتفسير الولد والوالد بأنهما آدم وذريته ثم ظاهر هذا التفسير ولو كان فيهم فسقة وكفار من حيث تعليله بما ذكر ولا ضير فيه وفي الخازن أقسم بآدم وبالانبياء والصالحين من ذريته لان الكافر وان كان في ذريته فلا حرمة له حتى يقسم به انتهى وفيه نظر لان الاقسام لم يلاحظ فيه الحرمة فقط بل كونه أعجب الخلق على الارض كيف وقد قال ابن عباس الوالد والولد هنا على العموم فهي أسماء جنس يدخل فيها جميع الحيوان وقال ابن عباس وابن جبير وعكرمة والد معناه كل من ولد وانسل وما ولد لم يبق منه الا العاقر الذي لم يلد البتة وقيل المراد نوح وجميع ولده وقيل ابراهيم وجميع ولده حكى ذلك ابن عطية وغيره وقيل الوالد محمد صلى الله عليه وسلم لحديث انما أنا لكم بمنزلة الوالد والولد أمته أو ذريته (وقوله) تعالى (وأنت حل هو من الحلول) الاقامة (ضد الظعن) أي الارتحال وهو أحد مصادر حل وفي الاخبار به المذاهب الثلاثة اما أن يؤول بالمشتق أو بتقدير مضاف أي ذو حل أو مبالغة كزيد عدل وفي القاموس حل المكان وبه يحل ويحل حلا وحلولا وحلا محركة نادر نزل به (فيتضمن أقسامه تعالى ببلده المشتمل على عبده ورسوله فهو خير البقاع) حتى المدينة أو الا المدينة الخلاف الشهير (واشتمل على خير العباد) بالاجماع (فقد جعل الله تعالى بيته) الكعبة (هدى للناس ونبيه صلى الله عليه وسلم اماما) قدوة (وهاديا لهم) الى صراط مستقيم (وذلك من أعظم نعمه واحسانه الى خلقه) وفي الشفاء قيل لا أقسم به اذا لم تكن فيه أي بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة أي أقسم به وأنت به يا محمد حلال أو حل لك ما فعلته فيه على التفسيرين (وقيل المعنى وأنت مستحل قتلك واخراجك من هذا البلد الامين الذي يأمن فيه الطير والوحش) تفسير الامين فهو اسناد مجازي كعيشة راضية (وقد استحل فيه قومك حرمتك) وفيه تثبيت له وتعجيب مما جرى عليه واشارة الى علة عدم القسم فسقط الاعتراض بأن الحال يقتضي عدم القسم بعد الخروج فيتنافيان وهذا كما قال ابن عطية يتجه على انه قسم وعلى نفيه أي لا أقسم ببلد أنت ساكنه على أذى هؤلاء وكفرهم (وهذا مروي) عند الثعلبي وغيره (عن شرحبيل) بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون المهملة (ابن سعد) المدني مولى

أهل الرياضة من أهل الحضر الذين لم يعتادوه فإن فيه حرارة ويبسا وتوليد السوداء وهو عسر الانهضام وفيه قوة غير محمودة لاجلها أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالوضوء من أكله في حديثين صحيحين لا معارض لهما ولا يصح تأويلهما بغسل اليد لانه خلاف المعهود من الوضوء في كلامه صلى الله عليه وسلم لتفريقه بينه وبين لحم الغنم فخير بين الوضوء وتركه منها وحتم الوضوء من لحوم الابل ولو حمل الوضوء على غسل اليد فقط لحمل على ذلك في قوله من مس فرجه فليتوضأ وأيضا فان آكلها قد لا يباشر أكلها بيده بان يوضع في فمه فان كان وضوءه غسل يده فهو عبث وحمل لكلام الشارع على غير معهوده وعرفه ولا يصح معارضته بحديث كان آخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار لعدة أوجه * أحدها ان هذا عام والامر بالوضوء منها خاص * الثاني ان الجهة مختلفة فالامر بالوضوء منها بجهة كونها لحم ابل سواء كان نيا أو مطبوخا أو قديدا ولا تأثير للنار في الوضوء وأما ترك الوضوء مما مست النار ففيه بيان ان مس النار ليس بسبب للوضوء فأين أحدهما من الآخر هذا فيه اثبات سبب الوضوء وهو

الانصار تابعى صدوق اختلط بآخره مات سنة ثلاث وعشرين ومائة وقد قارب المائة روى له أبو داود وابن ماجه (وعن قتادة) بن دعامة الاكمه المفسر التابعى (وأنت حل أى لست بآثم) بالبلد لان حل له معان ضد الحرمة والاقامة بالمكان والاسم منهما حل بالكسر وحلال بمعنى جائز ومقيم (وحلال لك أن تقتل بمكة من شئت وذلك أن الله تعالى) وعده بأنه (يفتح عليه مكة وأهلها) أى ويعطيه أهلها (وما فتحت على أحد قبله فاحل ما شاء وحرم ما شاء فقتل) أى أمر بقتل (ابن خطل) بفتح المعجمة والمهملة هلال أو عبد الله (وهو متعلق بأستار الكعبة و) قتل (غيره) كما تقدم فى فتح مكة (وحرم دار أبى سفيان) صخر بن حرب أى جعل لها حرمة بأن أعطى الامان من دخلها بقوله من دخل دار أبى سفيان فهو آمن أو حرم قتل من دخلها وعلى هذا ففى الآية تسلية له صلى الله عليه وسلم أى ان أخرجوك منها فستعود لها وتفعل فيها ما تريد وتثبيت ووعد بالنصر والاول على انه قسم والثانى على انتفائه أو كل منهما جار على التفسيرين وقيل المعنى وأنت حلال أى غير محرم بها اشارة الى دخولها يوم الفتح حلالا (فان قلت هذه السورة مكية) عند جمهور المفسرين وبالغ النسفى فحكى عليه الاتفاق وينقضه قول ابن عطية وقال قوم هى مدنية (وأنت حل بهذا البلد اخبار عن الحال و) عن (الواقعة) بالجر عطفا ويحتمل الرفع أى والحال الواقعة (التى ذكرت فى آخر مدة هجرته الى المدينة فكيف الجمع بين الامرين) المتنافيين بحسب الظاهر (أجيب بانه قد يكون اللفظ للحال والمعنى) بالحال (مستقبل كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون) أى ستموت ويموتون فلا شماتة بالموت فأطلق الحال وأراد الاستقبال لكن استشكل هذا بأنه يلزمه اختلاف زمنى الحال وعاملها الا أن يقال الجملة معترضة لا حالية فتضمن وعدا فيه مبالغة بتنزيل المستقبل المحقق منزلة الحال لا الماضى كما يدل له قول عياض أو حل لك ما فعلت فيه (وعلى كل حال فهذا متضمن للقسم ببلد رسول الله صلى الله عليه وسلم) بجعل لا زائدة (ولا يخفى ما فيه من زيادة التعظيم) حيث أقسم ببلده بقيد كونه فيه دفعا للتوهم أن المكان أشرف أو ان شرفه مكتسب منه (وقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم) وأقره عليه (بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان أقسم بحياتك دون سائر الانبياء) فى قوله لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون وهذا ان صح دليل لقول الجمهور انه قسم بالمصطفى لا بلوط لان عمر قاله للنبى صلى الله عليه وسلم وأقره عليه فهو نص فى محل النزاع (ولقد بلغ من فضيلتك عنده أن أقسم بتراب قدميك فقال لا أقسم بهذا البلد) ففيه اشارة الى ان هذا القسم أدخل فى تعظيمه من القسم بذاته وبحياته قال عياض فى الشفاء والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة وقال الواسطى أى يحلف بهذا البلد الذى شرفته بمكانك فيه حيا وبركتك ميتا يعنى المدينة والاول أصح لان السورة مكية وما بعده يصححه قوله حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء فى تفسير قوله وهذا البلد الامين قال أمنها الله لمقامه فيها وكونه بها فان كونه أمان حيث كان انتهى لكن تعقبه الدلجى وغيره بأن القائل لا يسلم ان السورة مكية والبلد عنده فى الموضعين المدينة والاشارة فيهما لها وحل بمعنى حال مقيم فكيف يقام عليه الدليل بما لا يسلمه (وقال تعالى والعصر ان الانسان) اسم جنس (لفى خسر) نقصان وسوء حال وذلك بين غاية البيان فى الكافر لانه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وأما المؤمن وان كان فى خسر فى دنياه فى هرمه وما يقاسيه من شقاء هذه الدار فذلك معفو عنه فى جنب فلاحه فى الآخرة وربحه الذى لا يفنى ومن كان فى مدة عمره فى التوصى بالحق والصبر والعمل بحسب الوصاة فلا خسر معه وقد جمع له الخير كله وقرأ على والعصر ونوائب الدهر ان الانسان وفى مصحف عبد الله والعصر لقد خلقنا الانسان وعن على لفى خسر وانه فيه الى آخر الدهر الا الذين وقرأ عاصم والاعرج لفى خسر بضم السين وقرأ سلام أبو المنذر والعصر بكسر الصاد والصبر بكسر

كونه لحم ابل وهذا فيه نفى لسبب الوضوء وهو كونه ممسوس النار فلا تعارض بينهما بوجه * الثالث ان هذا ليس فيه حكاية لفظ عام عن صاحب الشرع وانما هو اخبار عن واقعة فعل فى أمرين أحدهما متقدم على الآخر كما جاء ذلك مبينا فى نفس الحديث انهم قربوا الى النبى صلى الله عليه وسلم لحما فاكل ثم حضرت الصلاة فتوضأ فصلى ثم قربوا اليه فاكل ثم صلى ولم يتوضأ فكان آخر الامرين منه ترك الوضوء مما مست النار هكذا جاء الحديث فاختصره الراوى لمكان الاستدلال فاين فى هذا ما يصلح لنسخ الامر بالوضوء منه حتى لو كان لفظا عاما متأخرا مقاوما لم يصلح للنسخ ووجب تقديم الخاص عليه وهذا فى غاية الظهور * لحم الضب تقدم الحديث فى حله ولحمه حار يابس يقوى شهوة الجماع * لحم الغزال الغزال أصلح الصيد وأحمده لحما وهو حار يابس وقيل معتدل جدا نافع للابدان المعتدلة الصحيحة وجيده الخشف * لحم الظبى حار يابس فى الاولى مجفف للبدن صالح للابدان الرطبة قال صاحب القانون وأفضل لحوم الوحش لحم الظبى مع ميله الى السوداوية * لحم الارنب ثبت فى الصحيحين عن أنس بن مالك

بكسر الباء وهذا لا يجوز الا فى الوقف على نقل الحركة وعن أبى عمرو بالصبر بكسر الباء اشماما وهذا أيضا لا يكون الا فى الوقف قاله ابن عطية رحمه الله (اختلف فى تفسير العصر على أقوال فقيل) عن ابن عباس (هو الدهر) يقال فيه عصر وعصر بضم العين والصاد قال امرؤ القيس وهل يعمن من كان فى العصر الخالى (لانه مشتمل على الاعاجيب) المختلفة (لانه يحصل فيه السراء) بالفتح والمد الخير والفضل (والضراء) بفتح المعجمة والمد نقيض السراء (والصحة) فى البدن حالة طبيعية تجرى أفعاله معها على المجرى الطبيعى واستعيرت للمعانى كصحة الصلاة اذا أسقطت القضاء وصح العقد اذا ترتب عليه أثره وصح اذا طابق الواقع (والسقم) بضم فسكون مصدر سقم كقرب وبفتحتين مصدر سقم كفرح طال مرضه (وغير ذلك وقيل

ذكر العصر) مبنى للمجهول اشارة الى قول آخر فى العصر أى قال بعضهم المراد بالعصر هنا هو (الذى بعضيه) أى انقضائه (ينقضى عمرك) أيها الانسان (فاذا لم يكن فى مقابلته كسب) للطاعات (صار ذلك عين الخسران ولله در القائل

انا لنفرح بالايام نقطعها * وكل يوم مضى نقص من الاجل)

يعنى انه لا فرح بانقضاء الايام حقيقة وان كانت فى شدة لانها نقص من أجل الانسان وقال قتادة العصر العشى وقال أبى بن كعب سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن العصر فقال أقسم ربك بآخر النهار وقيل اليوم والليلة ومنه قول حميد

ولن يلبث العصران يوم وليلة * اذا طلبا أن يدركا ما تيمما

أى قصدا وقيل بكرة وعشية وهما الابردان وقال مقاتل العصر الصلاة الوسطى أقسم بها حكاه ابن عطية (وفى تفسير الامام فخر الدين الرازى والبيضاوى وغيرهما انه تعالى أقسم بزمان الرسول صلى الله عليه وسلم) وهذا الموافق للترجمة أنه أقسم بمدة حياته وعصره وبلده (قال الامام الرازى واحتجوا له) أى لهذا القول (بقوله صلى الله عليه وسلم انما مثلكم ومثل من كان قبلكم) من اليهود والنصارى والمثل فى الاصل بمعنى النظير ثم استعمل لكل حال أو قصة أو صفة لها شأن وفيها غرابة لارادة زيادة التوضيح والتقرير فانه أوقع فى القلب وأقمع للخصم ليرى المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولذا أكثر الله فى كتابه الامثال وفشت فى كلام الانبياء والمعنى مثلكم مع نبيكم ومثل من قبلكم مع أنبيائهم (مثل رجل استأجر أجراء) بضم الهمزة وفتح الراء جمع أجير وفى رواية كرجل استأجر عمالا جمع عامل (فقال من يعمل من الفجر الى الظهر بقيراط) زاد فى رواية قيراط فذكره مرتين ليدل على تقسيم القراريط على جميعهم لان العرب اذا أرادت تقسيم الشئ على متعدد كررته كما يقال أقسم هذا المال على بنى فلان درهما درهما كما فى الفتح (فعملت اليهود ثم قال من يعمل من الظهر الى العصر بقيراط) قيراط بالتكرير أيضا كما فى رواية وهو نصف دانق والمراد هنا النصيب (فعملت النصارى ثم قال من يعمل من العصر الى المغرب بقيراطين فعملتم) أيتها الامة المحمدية (فغضبت اليهود والنصارى) أى الكفار منهم (وقالوا نحن أكثر عملا) لان الوقت من الفجر الى الظهر أكثر من وقت العصر الى الغروب وتمسك به بعض الحنفية على أن وقت العصر من مصير ظل كل شئ مثليه لانه لو كان من مصير مثله لكان مساويا لوقت الظهر وقد قالوا نحن أكثر عملا فدل على انه دون وقت الظهر وأجيب بمنع المساواة وذلك معروف عند علماء هذا الفن أن مدة بين الظهر والعصر أطول من مدة بين العصر والمغرب وما نقله بعض الحنابلة من الاجماع على أن وقت العصر ربع النهار محمول على التقريب اذا فرعنا على أن وقت العصر مصير الظل مثله كما قال الجمهور وأما على قول الحنفية فالذى من الظهر الى العصر أطول قطعا وعلى التنزل

قال أنفجنا أرنبا فسعوا فى طلبها فأخذتها فبعث أبو طلحة بوركها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله

* لحم الارنب معتدل الى الحرارة واليبوسة وأطيبها وركها وأحمد ما أكل لحمها مشويا وهو يعقل البطن ويدر البول ويفتت الحصى وأكل رؤسها ينفع من الرعشة * لحم حمار الوحش ثبت فى الصحيحين من حديث أبى قتادة رضى الله عنه أنهم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض عمره وانه صاد حمار وحش فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بأكله وكانوا محرمين ولم يكن أبو قتادة محرما وفى سنن ابن ماجه عن جابر قال أكلنا زمن خيبر الخيل وحمير الوحش لحمه حار يابس كثير التغذية مولد دما غليظا سوداويا الا ان شحمه نافع مع دهن القسط لوجع الضرس والريح الغليظة المرخية للكلى وشحمه جيد للكلف طلاء وبالجملة فلحوم الوحش كلها تولد دما غليظا سوداويا وأحمده الغزال وبعده الارنب * لحوم الاجنة غير محمودة لاحتقان الدم فيها وليست بحرام لقوله صلى الله عليه وسلم ذكاة الجنين ذكاة أمه

بياض بالاصل

ومنع أهل العراق من أكله الا أن يدركه حيا فيذكيه وأولوا الحديث على أن المراد به أن ذكاته كذكاة أمه قالوا فهو حجة على

لا يلزم من التمثيل والتشبيه التسوية من كل جهة وبأن الخبر اذا ورد في معنى مقصود لا يؤخذ منه المعارضة لما ورد في ذلك المعنى بعينه مقصودا في أمر آخر وبانه ليس في الخبر نص على أن كلا من الطائفتين أكثر عملا لصدق ان كلهم مجتمعين أكثر عملا من المسلمين وباحتمال انه أطلق ذلك تغليبا وباحتمال أن ذلك قول اليهود خاصة فيندفع الاعتراض من أصله كما جزم به بعضهم وتكون نسبة ذلك للجميع في الظاهر غير مرادة بل هو عموم أريد به الخصوص وبانه لا يلزم من كونهم أكثر عملا أن يكونوا أكثر زمنا لاحتمال أن عمل زمنهم أشق ويؤيده قوله تعالى ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ومما يؤيده أن المراد كثرة العمل وقلته لا بالنسبة الى طول الزمن وقصره اتفاق أهل الاخبار على أن المدة التي بين عيسى ونبينا دون المدة التي بين نبينا وقيام الساعة لان جمهور أهل الاخبار قالوا مدة الفترة بين عيسى ونبينا ستمائة سنة وثبت ذلك في البخاري عن سلمان وقيل انها دون ذلك حتى قال بعضهم انها مائة وخمس وعشرون سنة ومدة المسلمين بالمشاهدة أكثر من ذلك فلو تمسكنا بان المراد التمثيل بطول الزمانين وقصرهما للزم أن وقت العصر أطول من وقت الظهر ولا قائل به فدل على ان المراد كثرة العمل وقلته كما قاله في الفتح (وأقل أجرا فقال الله تعالى وهل نقصتكم من أجركم) الذي شرطه لكم شيأ وفي رواية هل ظلمتكم من حقكم (شيأ قالوا لا) لم تنقصنا شيأ وانما لم يكن ظلما لانه تعالى شرط معهم شرطا وقبلوا أن يعملوا به (قال فذلك فضلي أوتيه من أشاء) من عبادي قال الطيبي ما ذكر من المقاولة والمكالمة لعله تخييل وتصوير ولم يكن حقيقة لانه لم يكن ثمة هذه الامة اللهم الا أن يحمل ذلك على حصوله عند اخراج الذر فيكون حقيقة قال صلى الله عليه وسلم (فكنتم أقل عملا وأكثر أجرا) ممن كان قبلكم (رواه البخاري) من حديث ابن عمر في الصلاة والاجارة وفضل القرآن وفي ذكر بني اسرائيل وفي التوحيد بألفاظ متقاربة ليس في محل منها هذا اللفظ وانما هو لفظ مسلم وأخرجه البخاري بنحوه من حديث أبي موسى لكن ظاهر سياقهما انهما قضيتان وحاول بعضهم الجمع بينهما فتعسف كما في الفتح (قالوا فهذا الحديث دل على ان العصر هو عصره صلى الله عليه وسلم الذي هو فيه فيكون على هذا أقسم الله تعالى بزمانه في هذه الآية وبمكانه في قوله تعالى وأنت حل بهذا البلد) سواء قلنا انه مكة أو المدينة اذ كل مكانه (وبعمره في قوله لعمرك الآية [2] وذلك كله كالظرف له فاذا وجب) ثبت وحق (تعظيم الظرف) بالاقسام به (فكيف حال المظروف) استفهام تعجيب (قال) الرازي (ووجه القسم كأنه تعالى قال ما أعظم خسرانهم اذا أعرضوا عنك انتهى) كلام الرازي وهو وجيه

(* النوع السادس في وصفه تعالى له عليه الصلاة والسلام بالنور والسراج) المصباح جمعه سرج ككتاب وكتب (المنير) وصف به للتأكيد أو لان بعض السرج لا يضيء اذا رق فتيله وقل زيته وقد قيل ثلاثة تضني رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر اليها من يجيء (اعلم أن الله تعالى قد وصف رسوله صلى الله عليه وسلم بالنور) أي أخبر عنه بأنه نور (في قوله تعالى قد جاءكم) الخطاب لاهل الكتاب في قوله يا أهل الكتاب وهو شامل للتوراة والانجيل وكانوا يخفون ما فيهما من صفات النبي صلى الله عليه وسلم (من الله نور) هو محمد صلى الله عليه وسلم (وكتاب مبين) قرآن بين ظاهر (وقيل المراد بالنور (القرآن) وعليه فالعطف للتفسير وقوله يهدي به الله في موقعه وعلى الاول أفرده مع تغايرهما وعطفهما بالواو لرجوعه لهما معا باعتبار المذكور أو لانهما معا كالشيء الواحد وهداية أحدهما عين هداية الآخر فان خلقه القرآن وما أفاده المصنف من ترجيح الاول هو الصحيح فقد اقتصر عليه الجلال وقد التزم الاقتصار على أرجح الاقوال وبه جزم عياض في محل وساوى بينهما

[2] قوله وذلك كله يوجد قبله في بعض نسخ المتن ما نصه فكأنه قال وعصرك وبلدك وعمرك وذلك الخ اه

التحريم وهذا فاسد فان أول الحديث انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله نذبح الشاة فنجد في بطنها جنينا أفنأكله فقال كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة أمه وأيضا فالقياس يقتضي حله فانه ما دام حملا فهو جزء من أجزاء الام فذكاتها ذكاة لجميع أجزائها وهذا هو الذي أشار اليه صاحب الشرع بقوله ذكاته ذكاة أمه كما يكون ذكاتها ذكاة سائر أجزائها فلو لم تأت عنه السنة الصريحة بأكله لكان القياس الصحيح يقتضي حله * لحم القديد في السنن من حديث بلال رضي الله عنه قال ذبحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة ونحن مسافرون فقال أصلح لحمها فلم أزل أطعمه منه الى المدينة * القديد أنفع من المكسود ويقوي الابدان ويحدث حكة ودفع ضرره بالابازير الباردة الرطبة ويصلح الامزجة الحارة والمكسود حار يابس مجفف جيده من السمين الرطب يضر بالقولنج ودفع مضرته طبخه باللبن والدهن ويصلح للمزاج الحار الرطب

(فصل) في لحوم الطير قال الله تعالى ولحم طير مما يشتهون وفي مسند البزار وغيره مرفوعا انك لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر مشويا

في

فى آخر وتبعه المصنف فى الاسماء الشريفة وفسر النور أيضا بالاسلام (وصفه عليه الصلاة والسلام أيضا بالسراج المنير فى قوله تعالى يا أيها النبى انا ارسلناك شاهدا) على من أرسلت اليهم (ومبشرا) من صدقك بالجنة (ونذيرا) منذرا من كذبك بالنار (وداعيا الى الله) الى طاعته (باذنه) أى أمره فهو على ظاهره لان أمره اذن له أو المراد به الارادة فانه كثيرا ما يتجوز به عنها وعن الامر كما فى مجاز القرآن لابن عبد السلام وفسر أيضا بتوفيقه وتيسيره (وسراجا منيرا) يستضاء به من ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر (والمراد كونه هاديا مبينا كالسراج يرى الطريق) أى يكون سببا فى اراءتها فالاسناد مجازى (ويبين الهدى والرشاد) الصلاح وهو خلاف الغى والضلال وهو اصابة الصواب (فبيانه أقوى وأتم وأنفع من نور الشمس) لانه يفرق بين الحق والباطل والشمس انما يتبين بها ما يدرك بحاسة البصر من الالوان ونحوها فيه وتفريع على قوله يبين الهدى (واذا كان كذلك وجب ان تكون نفسه القدسية أعظم فى النورانية من الشمس فكما أن الشمس فى عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيده من غيرها فكذا نفس النبى صلى الله عليه وسلم تفيد الانوار العقلية لسائر) أى لجميع (الانفس البشرية) ولم يقل ولا تستفيد من غيرها كما قال فى الشمس لانه صلى الله عليه وسلم يستفيد الوحى من جبريل ولذا وقع تشبيهه بالسراج لانه فى غاية الوضوح والبلاغة لانه يستضىء من الوحى ويضىء الناس بما أراهم به ففيه من البلاغة ما ليس فى قوله شمسا وقمرا قال القاضى أبو بكر بن العربى قال علماؤنا سمى سراجا لان السراج الواحد يؤخذ منه السرج الكثيرة ولا ينقص من ضوئه شئ وكذلك سرج الطاعات أخذت من سراجه صلى الله عليه وسلم ولم ينقص من أجره شئ (وكذلك وصف الله تعالى الشمس بأنها سراج حيث قال وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) وفى قراءة سرجا بالجمع أى نيرات وخص القمر منها بالذكر لنوع فضيلة (وكما وصف الله تعالى رسوله بأنه نور وصف نفسه المقدسة بذلك فقال الله نور السموات والارض) قال ابن عباس وغيره أى هادى أهلهما قال الرازى فى شرح الاسماء وهو حسن الا أن تفسيره به فى الاسماء التسعة والتسعين لا يجوز لانه يصير محض تكرار وأجيب بجواز أن الهادى أعم كما قالوه فى الرؤف الرحيم أو يعتبر به هداية بالغة الى حد لا يتناهى فتحصل به المغايرة فى الجملة كالرحمن الرحيم فلا وجه لقوله لا يجوز لان له نظائر فى الاسماء وفى حواشى الكشاف معنى نور السموات والارض هادى العالمين مبين ما يهتدون به ويتخلصون من ظلمات الكفر والضلال بوحى منزل ونبى مرسل (فليس فيهما الا الله ونوره المقدس) أى المراد به (هو سر الوجود) أى ايجاده العالم (والحياة والجمال والكمال) وفى الانوار أصل الظهور هو الوجود كما ان أصل الخفاء هو العدم والله موجود بذاته موجد لما عداه (وهو الذى أشرق على العالم) كله وهو ما سوى الله لكن وقع ذلك الاشراق على وجوه متنوعة (فأشرق على العوالم) بكسر اللام جمع عالم (الروحانية) بضم الراء فهو من عطف المفصل على المجمل نحو توضأ فغسل وجهه (وهم الملائكة فصارت سرجا) بضمتين (منيرة يستمد) بفتح أوله (منها من دونها) فاعل (بوجود الله ثم سرى النور الى عالم النفوس الانسانية ثم طرحته النفوس على صفحات الجسوم) أى جوانبها جمع جسم (فليس فى الوجود الا نور الله السارى الى الشئ منه بقدر قبوله وسع استعداده ورحب تلقيه) بضم الراء وفتحها وعطفه على ما قبله كالمسبب على السبب فالاستعداد هو الاسباب التى يكون اجتماعها فيه سببا لحصول المعرفة وقبول ما يلقى اليه ورحب التلقى قوة قبوله لما يلقى اليه وحسن استماعه له (والنور فى الاصل) عند الحكماء لا اللغة فانه الضوء وأصله من نار ينور اذا نفر ومنه نوار للظبية وبه سميت المرأة فوضع للضوء لانتشاره أو لازالته الظلام فكأنه ينفر منه (كيفية) أى صفة لكن لفظ كيفية لم يسمع من العرب كما صرح به

بين ديك ومنه حلال ومنه حرام فالحرام ذو المخلب كالصقر والبازى والشاهين وما يأكل الجيف كالنسر والرخم والابلق العقعق والغراب الابقع والاسود الكبير وما نهى عن قتله كالهدهد والصرد وما أمر بقتله كالحدأة والغراب والحلال أصناف كثيرة منه الدجاج ففى الصحيحين من حديث أبى موسى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أكل لحم الدجاج وهو حار رطب فى الاولى خفيف على المعدة سريع الهضم جيد الخلط يزيد فى الدماغ والمنى ويصفى الصوت ويحسن اللون ويقوى العقل ويولد دما جيدا وهو مائل الى الرطوبة ويقال ان مداومة أكله تورث النقرس ولا يثبت ذلك ولحم الديك أسخن مزاجا وأقل رطوبة والعتيق منه دواء ينفع القولنج والربو والرياح الغليظة اذا طبخ بماء القرطم والشبت وخصيها محمود الغذاء سريع الانهضام والفراريج سريعة الهضم ملينة للطبع والدم المتولد منها دم لطيف جدا * لحم الدراج حار يابس فى الثانية خفيف لطيف سريع الانهضام مولد للدم المعتدل والاكثار منه يحد البصر * لحم الحجل والقبج يولد الدم الجيد سريع الانهضام * لحم الاوز حار يابس ردىء الغذاء

اذا اعتيد وليس بكثير الفضول *لحم البطاح رطب كثير الفضول عسر الانهضام غير موافق

أهل اللغة (يدركها الباصر أولا و) يدرك (بواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين الشمس والقمر على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما) وبعضهم زعم أنه اجرام صغار تنفصل من المضىء وتتصل بالمستضىء (وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله) لاستحالته اذ هو عرض أو جسم وكلاهما محال عليه (الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم) فمعنى الله نور أي ذو نور (أو بمعنى منور السموات والارض) فهو من اطلاق المصدر وارادة اسم الفاعل (فانه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار وبالملائكة والانبياء) وذلك مأخوذ (من قولهم للرئيس الفائق في التدبير) وهو فعل الامر عن فكر وروية (نور القوم لانهم يهتدون به في الامور ويؤيد هذا التأويل قراءة على ابن أبي طالب وزيد بن علي) بن الحسين بن علي (وغيرهما نور فعلا ماضيا) مفتوح النون والواو مشددة (والارض بالنصب) مفعول وادعى الغزالي أنه حقيقة لان النور معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره وهو ميل لقول الاشراقيين قال شارح حكمة الاشراق الله نور السموات والارض لا بمعنى منورهما على ما يقوله بعض المفسرين هربا من اطلاق اسم النور عليه بل بمعنى انه محض النور البحت وأن سائر الانوار تشرق من نوره كذا قال (وقوله تعالى مثل نوره أي مثل هداه سبحانه وتعالى) وفسره البيضاوي بالصفة العجيبة (واضاف النور الى السموات والارض اما دلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض واما الارادة أهل السموات والارض) واضاف النور اليهم لاجل (انهم يستضيئون به) والاضافة تجيء لادنى ملابسة

(وعن مقاتل أي مثل الايمان في قلب محمد صلى الله عليه وسلم كمشكاة) كوة غير نافذة والكوة بفتح الكاف وضمها اسم ما لا ينفذ قيل معربة من الحبشية وقيل هي القنديل وقيل موضع الفتيلة منه وقيل معلاقه (فيها مصباح) قنديل أو الفتيلة مأخوذ من الصباح أو الصباحة (فالمشكاة نظير صدر) كذا في جميع النسخ والاولى صلب (عبد الله والزجاجة) مثلثة الزاي والضم أعرفها وأفصحها (نظير جسد محمد صلى الله عليه وسلم والمصباح نظير الايمان والنبوة في قلب محمد صلى الله عليه وسلم وعن غيره) أي غير مقاتل (المشكاة نظير ابراهيم والزجاجة نظير اسمعيل عليهما السلام والمصباح جسد محمد صلى الله عليه وسلم والشجرة النبوة والرسالة) التي يتوقد منها المصباح ونحوه قول من قال المشكاة أبدان آبائه والزجاجة أصلابهم والمصباح نوره المستودع فيهم (وعن أبي سعيد الخراز) ابراهيم وقيل أحمد بن عيسى البغدادي قال الخطيب كان أحد المشهورين بالورع والمراقبة وحسن الرعاية وحدث بشر اصحب السقطي وذا النون وغيرهما قال الجنيد لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد لهلكنا أقام كذا كذا سنة ما فاته ذكر الحق تعالى بين الخرزتين وقال السلمي الخراز امام القوم في كل فن من علومهم وأحسنهم كلهم ما خلا الجنيد فانه الامام لذلك فان جماعة يقولون الخراز قمر الصوفية فأفاد أن أمثلهم مطلقا الجنيد فهو الشمس والخراز القمر مات سنة سبع وسبعين ومائتين وقيل غير ذلك (المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعل الله في قلب محمد صلى الله عليه وسلم وعن كعب) بن مانع بفوقية المعروف بكعب الاحبار (وابن جبير) سعيد أحد الاعلام (النور الثاني هنا) في قوله مثل نوره (محمد صلى الله عليه وسلم) بطريق المجاز والاول هو الله أضيف لجميع مخلوقاته للتعميم والثاني مضاف لله تعالى للتشريف والتعظيم والثالث في قوله يهدي الله لنوره من يشاء اضافته كلجين الماء أتى به بيانا للتشبيه الذي بنيت عليه الاستعارة فالمعنى أنه نور عم نوره جميع مخلوقاته وخص نبيه صلى الله عليه وسلم بأوفر اسم منه قسما باسمه والبسه حليه كما ألبسه الرأفة والرحمة (وعن سهل بن عبد الله)

للمعدة *لحم الحبارى في السنن من حديث موبه بن عمر بن سفينة عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال أكلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لحم حبارى وهو حار يابس عسر الانهضام نافع لاصحاب الرياضة والتعب *لحم الكركي يابس خفيف وفي حره وبرده خلاف يولد دما سوداويا ويصلح لاصحاب الكد والتعب وينبغي أن يترك بعد ذبحه يوما أو يومين ثم يؤكل *لحم

بياض بالاصل

العصافير والقنابر روى النسائي في سننه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من انسان يقتل عصفورا فما فوقه بغير حقه الا سأله عز وجل قيل يا رسول الله وما حقه قال تذبحه فتأكله ولا تقطع رأسه وترمي به وفي سننه أيضا عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قتل عصفورا عبثا عج الى الله يقول يا رب ان فلانا قتلني عبثا ولم يقتلني لمنفعة ولحمه حار يابس عاقل للطبيعة يزيد في الباه ومرقه يلين الطبع وينفع المفاصل واذا أكلت ادمغتها بالزنجبيل

ابن يونس بن عيسى التستري بفوقيتين أولهما مضمومة وفتح الثانية بينهما مهملة ساكنة مدينة معروفة الصالح المشهور الذي لم يسمع الدهر بمثله علما وورعا وله كرامات مات سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقيل غير ذلك (مثل نور نبوة محمد اذ كان مستودعا) بفتح الدال (في الاصلاب) أي أصلاب آبائه وضمير كان راجع لنور أو لمحمد نفسه ورجح بأنه كان في صلب آبائه لا نوره وورد بأن نوره كان ظاهرا في جباههم من آدم لابيه عبد الله كالقمر ليلة البدر والمستودع في الاصلاب مادة جسمه والنور تابع لتلك المادة (كمشكاة صفتها كذا وكذا) كناية عن قوله فيها مصباح الخ فانها استعملت كذلك أي صفة نوره كصفة نور مشكاة فيها مصباح (وأراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره) والمشكاة جسده الشريف (أي كأنه) أي صدره الشريف (كوكب دري) أي مضيء بضم الدال وكسرها وفتحها مع الهمزة وبدونها مشدد الياء قيل انه منسوب الى الدر لحسنه وصفائه (لما فيه) أي الصدر (من الايمان والحكمة) وجعل ذلك في الصدر بواسطة القلب ولا يبعد عود الضمير للقلب والحكمة العلم النافع وقيل المراد بها هنا النبوة كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة (توقد) المصباح بالماضي وفي قراءة بمضارع أوقد مبنيا للمفعول بالتحتانية وفي أخرى بالفوقانية أي الزجاجة (من شجرة مباركة أي من نور ابراهيم) لان النسب شبيه بالشجرة وابراهيم جده صلى الله عليه وسلم وهو دعوته (وضرب المثل) وهو كلام شبه مضربه بمورده وضربه ذكره كذلك يعني [2] نباته (بالشجرة المباركة) على استعارة التمثيلية لانه شبه ظهور نبوته المتصلة بأبيه ابراهيم وشبه المتصل به بمصباح أضاء بزيت من شجرة مباركة واقتصر على أجزاء التمثيل لظهور ما فيه وفائدة التمثيل كما في الكشاف ابراز المعقول في هيئة المحسوس ليتضح ويرسخ في الاذهان ولذا كثر في الاحاديث والكتب الالهية (وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء) ولو لم تمسسه نار (أي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين) مضارع بان أي اتضح (للناس قبل كلامه) أي تكليمه ودعواه النبوة وتحديه كهذا الزيت والكلام يأتي مصدرا بمعنى التكليم كقوله فان كلامها شفاء لما بيا أو المراد ما يتكلم به فيقدر مضاف أي قبل ايراد كلامه الذي يتكلم به وقيل أن يوحى اليه (حكى هذا الاخير) من قوله وعن سهل (القاضي أبو الفضل) عياض (اليحصبي) بفتح التحتية وسكون المهملة وتثليث الصاد المهملة نسبة الى يحصب بن مالك أبي قبيلة باليمن (والفخر الرازي لكنه) أي الرازي انما حكاه (عن كعب الاحبار) لا عن سهل بن عبد الله فان صح النقلان فيكونان معا قالاه وفي شرح الشفاء للتجاني انه تأويل بعيد عن ظاهر القرآن والصحيح ما عليه جمهور المفسرين أنه تعالى ضرب هذا مثلا لنوره وتمثالا لقصور أفهام الخلق اذ لولاه ما عرف الله قال وما أشبه هذا بتأويل الفضل قول الفرزدق

أخذنا بأطراف السماء عليكم * لنا قراها والنجوم الطوالع

لما سأله الرشيد عنه فقال أراد بالقمرين ابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم عليهما وبالنجوم الطوالع أنت وآبائك فقال له الرشيد أحسنت انتهى (وعن الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة) العلم النافع (قبل الوحي) به اليه (قال عبد الله بن رواحة) الخزرجي الامير الشهيد بمؤتة

(لو لم تكن فيه آيات مبينة * كانت بديهته تنبيك بالخبر)

وقال نفطويه يكاد زيتها يضيء هذا مثل ضربه الله لنبيه يقول يكاد نظره يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا كما قال ابن رواحة وذكر هذا البيت (لكن التفسير الاول في هذه الآية هو المختار لانه تعالى ذكر قبل هذه الآية ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) بفتح الياء وكسرها في هذه السورة بين فيها

[2] قوله نباته هكذا في بعض النسخ وفي بعضها ثباته بالمثلثة ولعل صوابه بيانه اه

والبصل هيجت شهوة الجماع وخلطها غير محمود * لحم الحمام حار رطب وحشيه أقل رطوبة وفراخه أرطب خاصية وما ربي في الدور وناهضه أخف لحما وأحمد غذاء ولحم ذكورها شفاء من الاسترخاء والخدر والسكتة والرعشة وكذلك شم رائحة أنفاسها وأكل فراخها معين على النساء وهو جيد للكلى يزيد في الدم وقد روي فيها حديث باطل لا أصل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا شكى اليه الوحدة فقال اتخذ زوجا من الحمام وأجود من هذا الحديث أنه صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يتبع حمامة فقال شيطانا يتبع شيطانة وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه في خطبته يأمر بقتل الكلاب وذبح الحمام * لحم القطا يابس يولد السوداء ويحبس الطبع وهو من شر الغذاء الا انه ينفع من الاستسقاء * لحم السماني حار يابس ينفع المفاصل ويضر بالكبد الحار ودفع مضرته بالخل والكسفرة وينبغي أن يجتنب من لحوم الطير ما كان في الآجام والمواضع العفنة ولحوم الطير كلها أسرع انهضاما من المواشي وأسرعها انهضاما وأقلها غذاء هي الرقاب والاجنحة وأدمغتها أجود من أدمغة المواشي * الجراد في الصحيحين عن عبد الله ابن أبي أوفى قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات نأكل الجراد وفي المسند عنه أحلت لنا

ما ذكر أو بينته (فاذا كان المراد بقوله مثل نوره أي مثل هداه كان مطابقا لما قبله) بخلافه على ما بعده من التفاسير فلا يطابق ما قبله ونحن في غنية عن ذلك فقد سماه الله نورا في قوله قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وسماه سراجا منيرا في آية الاحزاب كما أشار الى ذلك عياض بذكره الآيتين بعد آية النور وبعض تلك التفاسير والله أعلم

*(النوع السابع في) ذكر (آيات تتضمن) أي تدل لا التضمن المنطقي (وجوب طاعته) أي الانقياد له بامتثال أوامره واجتناب نواهيه فطاعة اسم مصدر أطاعه اذا انقاد له فيما أمر به قولا أو فعلا اذا كان الامر بصيغة افعل وأما مادة أمر فتحتمل الوجوب والندب فتكون طاعته في المندوب مندوبة فوجوبه على هذا الانقياد الى أمره ولو مندوبا والعمل به فقوله (واتباع سنته) بالجر عطفا على طاعته والنصب على وجوب من عطف الخاص على العام (قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله) قال عطاء باتباع الكتاب والسنة رواه ابن أبي حاتم وقدم طاعة الله تمهيدا لوجوب طاعة رسوله واشارة الى ان طاعته تعالى بطاعة رسوله وهما شيء واحد ولذا أفرد الضمير في قوله ولا تولوا عنه (وقال وأطيعوا الله والرسول) أتبع الوعيد بقوله واتقوا النار التي أعدت للكافرين بالوعد بقوله (لعلكم ترحمون) ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في أمثال ذلك دليل على عزة المطلوب وان العبد دائر بين الرجاء والخوف (وقال تعالى قل أطيعوا الله والرسول) فيما يأمركم به من التوحيد (فان تولوا) أعرضوا عن الطاعات (فان الله لا يحب الكافرين) من اقامة الظاهر مقام المضمر أي لا يحبهم بمعنى انه يعاقبهم (قال القاضي عياض فجعل طاعته طاعة) رسوله تشبيه بليغ وجعل عينه ادعاء فلا ينافي الآية لان الشرط والجزاء متغايران نظرا الى نفس الامر ولكل مقام مقال والاولى تأخير هذا عن الآية لانها التي صرح فيها بأن طاعته طاعته ولفظ عياض وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (وقرن طاعته بطاعته) في قوله أطيعوا الله ورسوله ونحوه مما أمر فيه بطاعة الله ورسوله معا (ووعد على ذلك بجزيل) أي عظيم أو كثير (الثواب) بنحو قوله لعلكم ترحمون (وأوعد على مخالفته بسوء العقاب) أي أشده (وقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع) روي انه عليه الصلاة والسلام قال من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم فنزلت كذا في الكشاف قال الحافظ ولي الدين العراقي في حواشيه لم أقف عليه هكذا ونقله السيوطي عن البيضاوي ولم يزد عليه (يعني من أطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا) علة غائية أي وغايته أمر الرسول كونه مبلغا (الى الخلق أحكام الله) لانه لا ينطق عن الهوى فلا مفهوم لهذه العبارة (فهو في الحقيقة ما أطاع الا الله) أي هو مبلغ حقيقة والآمر هو الله كما في الكشاف قال الطيبي هذا التعليل يفيده لفظ الرسول لانه من وضع المظهر موضع المضمر للاشعار بعلية ايجاب الطاعة له ويدل عليه السياق وهو قوله ومن تولى الآية وكان مقتضى الظاهر ومن تولى فقد عصى الله في مقابلة قوله فقد أطاع الله فوضع ذلك موضعه ليدل على المبالغة (وذلك) المذكور من الطاعة (في الحقيقة لا يكون الا بتوفيق الله) اذ لو أخذله ما أطاع رسوله (ومن تولى) أعرض عن طاعته فلا يهمنك (فما أرسلناك عليهم حفيظا) حافظا لاعمالهم بل نذيرا والينا امرهم فنجازيهم وهذا قبل الامر بالقتال كما في الجلال فأشار الى ان جواب الشرط محذوف والمذكور دليل عليه وهذا أحد وجهين الثاني انه المذكور باعتبار ما دل عليه (فان من أعماه الله عن الرشد وأضله عن الطريق) المستقيم (فان أحدا من خلق الله لا يقدر على ارشاده) جواب الشرط وجملة الشرط وجوابه علة لكونه ما جعل عليهم حفيظا في أعمالهم بحيث يلجئهم للطاعة ويمنعهم عن

ميتتان ودمان الحوت والجراد والكبد والطحال يروى مرفوعا وموقوفا عن ابن عمر رضي الله عنه وهو حار يابس قليل الغذاء وادامة أكله تورث الهزال واذا تبخر به نفع من تقطير البول وعسره وخصوصا النساء ويتبخر به للبواسير وسمانه يشوى ويؤكل للسع العقرب وهو ضار لاصحاب الصرع رديء الخلط وفي اباحة ميتته بلا سبب قولان ولا خلاف في اباحة ميتته اذا مات بسبب كالكبس والتحريق ونحوه فالجمهور على حله وحرمه مالك

(فصل) وينبغي أن لا يداوم أكل اللحم فانه يورث الامراض الدموية والامتلائية والحميات الحادة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اياكم واللحم فان له ضراوة كضراوة الخمر وان الله يبغض أهل البيت اللحمي ذكره مالك في الموطأ عنه وقال بقراط لا تجعلوا أجوافكم مقبرة للحيوان

(فصل) لبن قال الله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين وقال في الجنة فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وفي السنن مرفوعا من أطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيرا منه ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه

العصيان

العصيان وأشار الى تحقق ذلك وعدم احتمال خلافه بالتأكيد بأن (وهذه الآية من أقوى الادلة على أن الرسول معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي كل ما يبلغه عن الله لانه لو أخطأ في شيء منها) وأقر عليه فأمر به أو نهى عنه ولم يكن كذلك في نفس الامر (لم تكن طاعته طاعة لله) بل مخالف لامره أو نهيه (وأيضا وجب أن يكون معصوما في جميع أحواله لانه تعالى أمر بمتابعته) الانسب ان يقول باتباعه ليطابق دليله (في قوله واتبعوه) لكنه أشار الى ان المفاعلة قد ترد لاصل الفعل فقال (والمتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير) ومنه المتابعة في علوم الحديث (فثبت ان الانقياد له في جميع أقواله وأفعاله) وجودا أو عدما (الا ما خصه الدليل) به (طاعة له) بالآية منطوقا ومفهوما لان مفهوم من يطع الرسول من عصاه فقد عصى الله (وانقياد لحكم الله تعالى) عطف تفسير

(وقال تعالى ومن يطع الله والرسول) فيما أمر به (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين) أفاضل أصحاب الانبياء لمبالغتهم في الصدق والتصديق (والشهداء) القتلى في سبيل الله (والصالحين) غير من ذكر (الآية) أي وحسن أولئك رفيقا أي رفقاء في الجنة بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم وان كان مقرهم في درجات عالية بالنسبة الى غيرهم قال البيضاوي قسمهم أربعة أقسام باعتبار منازلهم في العلم والعمل وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم صديقون صعدت نفوسهم تارة الى مراقي النظر في الحجج والآيات وأخرى الى معارج القدس بالرياضة والتصفية حتى اطلعوا على ما لم يطلع عليه غيرهم ثم شهداء بذلوا نفوسهم في اعلاء كلمة الله واظهار الحق ثم صالحون صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته انتهى (وهذا عام في المطيعين لله تعالى من أصحاب الرسول ومن بعدهم وعام في المعية في هذه الدار) الدنيا لعموم اللفظ (وان فاتت فيها معية الابدان) وذلك فيمن آمن في زمنه صلى الله عليه وسلم ولم يره ومن آمن بعده الى يوم القيامة بقيد الطاعة (وقد ذكروا في سبب نزول هذه الآية ان ثوبان) بفتح المثلثة والموحدة ابن بجدد بضم الموحدة وسكون الجيم وضم الدال المهملة الاولى وقيل ابن جحدر بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة (مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال في الاصابة يقال انه من العرب من حكم ابن سعد بن حمير وقيل من السراة اشتراه ثم أعتقه فخدمه الى أن مات ثم تحول الى الرملة ثم حمص ومات بها سنة أربع وخمسين قاله ابن سعد وغيره وروى ابن السكن عن يوسف بن عبد الحميد حدثني ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لاهله فقلت أنا من أهل البيت فقال في الثالثة نعم ما لم تقم على باب سدة أو تأتي أميرا فتسأله وروى أبو داود عن أبي العالية عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتكفل لي ان لا يسأل الناس وأتكفل له بالجنة فقال ثوبان أنا وكان لا يسأل أحدا شيئا (كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه) ولذا لزمه حضرا وسفرا (فأتاه يوما وقد تغير وجهه ٢ ونحل جسمه) بفتح الحاء وفي لغة بكسرها وأخرى بضمها مبنيا للفاعل فهو لازم أي قام بجسمه المرض ويعدى بالهمزة فيقال أنحله المرض وفي القاموس نحل كمنع وعلم ونصر وكرم نحولا ذهب من مرض أو سفر (فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي وجع) حصل به نحولي وتغير وجهي (غير أني اذا لم أرك اشتقت) ضمنه معنى طلب فعداه بنفسه والا فاشتاق انما يتعدى بحرف الجر وبالتضعيف على ان المنقول في غيره عن ثوبان اشتقت اليك (واستوحشت وحشة عظيمة حتى ألقاك فذكرت الآخرة) أي فكرت في أمرها (بحيث) الذي في غيره فخفت (لا أراك هناك) لانه ظهر لي بالفكر اما عدم رؤيتك بالمرة أو قلتها (لاني ان دخلت الجنة فأنت تكون

---

٢ قوله ونحل جسمه في نسخة المتن زيادة وعرف الحزن في وجهه اه

فانى لاأعلم مايجزى من الطعام والشراب الا اللبن * اللبن وان كان بسيطا في الحس الا انه مركب في أصل الخلقة تركيبا طبيعيا من جواهر ثلاثة الجبنية والسمنية والمائية فالجبنية باردة رطبة مغذية للبدن والسمنية معتدلة الحرارة والرطوبة ملائمة للبدن الانساني الصحيح كثيرة المنافع بياض بالاصل والمائية حارة رطبة مطلقة للطبيعة مرطبة للبدن واللبن على الاطلاق أبرد وأرطب من المعتدل وقيل قوته عند حلبه الحرارة والرطوبة وقيل معتدل في الحرارة والبرودة وأجود ما يكون اللبن حين يحلب ثم لا يزال تنقص جودته على مر الساعات فيكون حين يحلب أقل برودة وأكثر رطوبة والحامض بالعكس ويختار اللبن بعد الولادة بأربعين يوما وأجوده ما اشتد بياضه وطاب ريحه ولذ طعمه وكان فيه حلاوة يسيرة ودسومة معتدلة واعتدل قوامه في الرقة والغلظ وحلب من حيوان فتي صحيح معتدل اللحم محمود المرعى والمشرب وهو محمود يولد دما جيدا ويرطب البدن اليابس ويغذو غذاء حسنا وينفع من الوسواس والغم والامراض السوداوية واذا شرب مع العسل نقى القروح الباطنية

فى درجات النبيين) فتتعذر رؤيتى لك أو تقل (وان أنا لم أدخل الجنة فحينئذ لا أراك أبدا فنزلت هذه الآية) قال الشيخ ولى الدين هذا ذكره الثعلبى فى تفسيره بلا اسناد ولا راو وحكاه الواحدى فى اسباب النزول عن الكلبى وروى الطبرانى فى معجمه الصغير عن عائشة وابن مردويه عن ابن عباس والبيهقى عن الشعبى وابن جرير عن سعيد بن جبير كل منهم يحكى عن رجل فذكر مثل قصة ثوبان ونزول الآية فيه انتهى فان ثبت فالرجل المبهم ثوبان وذكر ابن ظفر عن مقاتل بن سليمان ان المبهم عبد الله بن زيد ابن عبد ربه الانصارى فان ثبتا فلعلهما معا ذكرا ذلك والعلم لله (وذكر) أى روى (ابن أبى حاتم) الحافظ ابن الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن ادريس الرازى (عن أبى الضحى) مسلم بن صبيح بالتصغير الهمدانى الكوفى العطار مشهور بكنيته تابعى ثقة فاضل من رجال الجميع مات سنة مائة (عن مسروق) ابن الاجدع بن مالك الهمدانى الوداعى أبى عائشة الكوفى ثقة فقيه عابد مخضرم مات سنة اثنتين ويقال سنة ثلاث وستين من رجال الجميع قال (قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما ينبغى لنا أن نفارقك) اعتذارا عن كثرة ملازمتهم له المقتضية للالالة (فانك لو قد) بفتح فسكون (مت) بضم الميم كما ضبطه بعض العلماء الموثوق بهم وتجويز ضم القاف وشد الدال مكسورة وسكون الميم أى قدمت علينا أى سبقتنا تحاشيا عن خطابه بلفظ مت أدبا وأنه أولى خلاف المتبادر (لرفعت فوقنا ولم نرك فنزل الله) ومن يطع الله والرسول (الآية) وفى هذا ان قائلى ذلك جمع كثير لقوله أصحاب محمد (وذكر) بالبناء للفاعل أى ابن أبى حاتم أيضا بسنده (عن عكرمة) مولى ابن عباس (مرسلا قال أتى فتى) أى (صغير السن) رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله ان لنا منك نظرة فى الدنيا) أى انا نراك ونتمتع برؤيتك فيها وعبر بالوحدة لقصر المدة (ويوم القيامة لا نراك لانك فى الجنة فى الدرجات العلى فانزل الله هذه الآية) وللطبرانى وابن مردويه بسند لا بأس به عن عائشة قالت جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انك لأحب الى من نفسى وانك لاحب الى من ولدى وانى لاكون فى البيت فاذكرك فما أصبر حتى آتى فأنظر اليك واذا ذكرت موتى وموتك عرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وانى اذا دخلت الجنة خشيت ان لا اراك فلم يرد عليه النبى صلى الله عليه وسلم شيأ حتى نزل جبريل بهذه الآية ومن يطع الله والرسول (فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت معى فى الجنة) ان شاء الله كما هو بقية رواية عكرمة وأخرج ابن جرير نحوه من مرسل سعيد بن المسيب ومسروق والربيع وقتادة والسدى (وفيها أيضا روايات اخر) بنحوها (ستأتى ان شاء الله تعالى فى مقصد محبته عليه الصلاة والسلام) وهو السابع التالى لهذا (لكن قال المحققون لا تنكر صحة هذه الروايات الا ان سبب نزول هذه الآية يجب ان يكون شيأ أعظم من ذلك) أى انه لا ينحصر فى تسلية المحبين له والتخفيف عنهم بل يشمل ذلك وغيره (وهو الحث على الطاعة والترغيب فيها فانا نعلم ان خصوص السبب لا يقدح فى عموم اللفظ) أى لا يكون قاصرا عليه خلافا لزاعمه (فهذه الآية عامة فى حق جميع المكلفين) خصهم لوقوع الثواب بعد الامر المستفاد من قوله من يطع اذ الاطاعة فرع الامر او النهى وكلاهما خاص بالمكلف اذ لا خطاب يتعلق بفعل غيره وصحة عبادة الصبى واثابته عليها الا امره بها بل ليعتادها فلا يتركها ان شاء الله ذلك (وهو) أى الامر الاعظم (ان كل من أطاع الله واطاع الرسول فقد فاز) ظفر (بالدرجات العالية والمراتب) المنازل (الشريفة عنده تعالى ثم ان ظاهر قوله تعالى ومن يطع الله والرسول انه يكتفى بالطاعة الواحدة لان اللفظ الدال على الصفة يكفى فى جانب الثبوت حصول ذلك المسمى مرة واحدة) فاذا قيل صل مثلا برئ من عهدة الطلب بصلاة واحدة لان الامر بالشئ لا يقتضى فورا ولا تكرارا وخرج بالثبوت النهى فامتثاله انما يحصل بترك جميع المنهيات (لكن لا بدان

من الأخلاط العفنة وشربه مع السكر يحسن اللون جدا والحليب يتدارك ضرر الجماع ويوافق الصدر والرئة جيد لاصحاب السل ردىء للرأس والمعدة والكبد والطحال والاكثار منه مضر بالاسنان واللثة ولذلك ينبغى ان يتمضمض بعده بالماء وفى الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم شرب لبنا ثم دعا بماء فتمضمض وقال ان له دسما وهو ردىء للمحمومين وأصحاب الصداع مؤذ للدماغ والرأس الضعيف والمداومة عليه تحدث ظلمة البصر والغشاء ووجع المفاصل وشدة الكبد والنفخ فى المعدة والاحشاء واصلاحه بالعسل والزنجبيل المربى ونحوه وهذا كله لمن لم يعتده * لبن الضأن أغلظ الالبان وأرطبها وفيه من الدسومة والزهومة ما ليس فى لبن الماعز والبقر يولد فضولا بلغميا ويحدث فى الجلد بياضا اذا أدمن استعماله ولذلك ينبغى ان يشاب هذا اللبن بالماء ليكون ما نال البدن منه أقل وتسكينه للعطش أسرع وتبريده أكثر * لبن المعز لطيف معتدل مطلق للبطن مرطب للبدن اليابس نافع من قروح الحلق والسعال اليابس ونفث الدم واللبن المطلق أنفع المشروبات للبدن

يحمل على غير ظاهره وأن تحمل الطاعة على فعل جميع المأمورات وترك جميع المنهيات اذلوحمل ثناه على الطاعة الواحدة لدخل فيه الكفار والفساق لانهم قد يأتون بالطاعة الواحدة) وذلك غير مراد فوجب حمله على غير ظاهره (قال الرازى) الامام فخر الدين (قد ثبت فى أصول الفقه ان الحكم المذكور وعقب الصفة) كقوله هنافأ ولئك مع الذين الخ بعد قوله ومن يطع (مشعر بكون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف واذا) أى حيث (ثبت هذا) وتقرر فى الاصول (فنقول قوله من يطع الله أى فى كونه الها وطاعة الله فى كونه الهاهى معرفته) بالآية الدالة عليه (والاقرار) الاعتراف (بجلاله) عظمته (وعزته) غلبته (وكبريائه) عظمته قال تعالى وله الكبرياء فى السموات والارض (وصمديته) احتياج الخلق اليه على الدوام (فصارت هذه الآية تنبيها) أى منبهة (على أمرين عظيمين من أحوال المعاد فالاول ان منشأ جميع السعادات يوم القيامة اشراق الروح بأنوار معرفة الله) المؤدية الى الايمان به وطاعة أمره (فكل من كانت هذه الانوار فى قلبه أكثر وصفاؤها أقوى كان الى السعادة أقرب والى الفوز بالنجاة أوصل) أكثر وصولا (والثانى ان الله تعالى ذكر فى الآية السابقة) على هذه الآية (وعد) مصدر (أهل الطاعة بالاجر العظيم والثواب الجسيم) وفى نسخة الجزيل بقوله ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا واذا لآتيناهم الآية (ثم ذكر فى هذه الآية وعدهم بكونهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وليس المراد بكون من أطاع الله وأطاع الرسول مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين كون الكل فى درجة واحدة لان هذا يقتضى التسوية فى الدرجة بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز) بدلالة النصوص الكثيرة فالمراد كونهم فى الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا أرادوا الرؤية والتلاقى قدروا على ذلك) اذ لو عجزوا عنه لتحسروا ولا حسرة فى الجنة (فهذا هو المراد من هذه المعية) لا المساواة فى المنزلة (وقد ثبت وصح) أتى به ليبين ان مراده بالثبوت الصحة للخلاف فى علوم الحديث هل لفظ ثبت يختص بالصحيح أو يشمل الحسن قال السيوطى

وهل يخص بالصحيح الثابت * أو يشمل الحسن نزاع ثابت

وزعم أن الثبوت لا يستلزم الصحة لجواز أنه مع ثبوته ضعيف أو حسن عقلى لم يقله أحد (عنه صلى الله عليه وسلم انه قال) كما أخرجه الشيخان من حديث أنس وابن مسعود وأبى موسى جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال كيف تقول فى رجل أحب قوما ولما يلحق بهم فقال صلى الله عليه وسلم (المرء مع من أحب) زاد الترمذى من حديث أنس وله ما اكتسب وفى لفظ قال رجل يا رسول الله متى قيام الساعة قال انها قائمة فما أعددت لها قال ما أعددت لها من كثير الا أنى أحب الله ورسوله قال فأنت مع من أحببت ولك ما اكتسبت قال أنس فما فرح المسلمون بشئ بعد الاسلام ما فرحوا به فقيل المراد من أحب قوما باخلاص فهو فى زمرتهم وان لم يعمل عملهم لثبوت التقارب مع قلوبهم وقيل بشرط عمله بمثل أعمالهم لحديث من أحب قوما على أعمالهم حشر معهم يوم القيامة وروى العسكرى عن الحسن لا تغتر يا ابن آدم بقوله أنت مع من أحببت فمن أحب قوما اتبع آثارهم واعلم انك لن تلحق بالاخيار حتى تتبع آثارهم وحتى تأخذ بهديهم وتقتدى بسنتهم وتصبح وتمسى على مناهجهم حرصا على ان تكون منهم وقال ابن العربى يريد صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب فى الدنيا والآخرة فى الدنيا بالطاعة والادب الشرعى وفى الآخرة بالمعاينة والقرب الشهودى فمن لم يتحقق بهذا وادعى المحبة فهو كاذب (وثبت أيضا) فى البخارى عن

الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى ليلة أسرى به بقدح من خمر وقدح من لبن فنظر اليهما ثم أخذ اللبن فقال جبرائيل عليه السلام الحمد لله الذى هداك للفطرة لو أخذت الخمر غوت أمتك والحامض منه بطىء الاستمراء خام الخلط والمعدة الحارة تهضمه وتنتفع به * لبن البقر يغذو البدن ويخصبه ويطلق البطن باعتدال وهو من أعدل الالبان وأفضلها بين لبن الضأن ولبن المعز فى الرقة والغلظ والدسم وفى السنن من حديث عبد الله بن مسعود يرفعه عليكم بألبان البقر فانها ترم من كل الشجر * لبن الابل تقدم ذكره فى أول الفصل وذكر منافعه فلا حاجة لاعادته * لبان هو الكندر وقد ورد فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم بخروا بيوتكم باللبان والصعتر ولا يصح عنه ولكن يروى عن على أنه قال لرجل شكا اليه النسيان عليك باللبان فانه يشجع القلب ويذهب بالنسيان ويذكر عن ابن عباس بياض بالاصل رضى الله عنهما ان شربه

مع السكر على الريق جيد للبول والنسيان ويذكر عن أنس رضى الله عنه انه شكا اليه رجل النسيان فقال عليك بالكندر وانقعه

أنس (أنه) صلى الله عليه وسلم (قال) حين رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة (ان بالمدينة أقواما ماسرتم مسيرا ولا نزلتم منزلا) وفي رواية ولا قطعتم واديا (الا وهم معكم) بالقلوب والنيات قالوا يارسول الله وهم بالمدينة قال وهم بالمدينة (حبسهم العذر) عن الغزو معكم (فالمعية والصحبة الحقيقية انما هي بالسر والروح) وفي شرحه للبخاري بالسير بالروح (لا بمجرد البدن فهي بالقلب لا بالقالب) ونية المؤمن خير من عمله فتأمل هؤلاء كيف بلغت بهم نيتهم مبلغ أولئك العاملين بأبدانهم وهم على فرشهم في بيوتهم فالمسابقة الى الله تعالى والى الدرجات العوالي بالنيات والهمم لا بمجرد الاعمال (ولهذا كان النجاشي) بفتح النون والجيم أصحمة ملك الحبشة (معه صلى الله عليه وسلم وهو من أقرب الناس اليه وهو) أي النجاشي (بين النصارى بأرض الحبشة وعبد الله بن أبي) ابن سلول رأس المنافقين (من أبعد الخلق عنه وهو معه بالمسجد) النبوي لكونه معه قالبا لا قلبا (وذلك ان العبد اذا اراد بقلبه أمرا من طاعة أو معصية أو) أراد أمرا من (شخص من الاشخاص فهو بارادته ومحبته معه لا يفارقه) اذ كل مهتم بشئ منجذب اليه بطبعه شاء أو أبى وكل امرئ يصبنوا الى مناسبه رضا أم سخط فالنفوس العلية تنجذب بذاتها وهمها وعملها الى أعلى والنفوس الدنية تنجذب بذاتها الى أسفل ومن أراد أن يعلم هل هو مع الرفيق الاعلى أو الاسفل فلينظر أين هو ومع من هو في هذا العالم فان الروح اذا فارقت البدن تكون مع الرفيق الذي كانت تنجذب اليه (فالارواح) العلية كلها (تكون يوم القيامة) وفي الدنيا (مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وبينها وبينهم من المسافة الزمانية بتأخر وجودها عن وجودهم (والمكانية) بطول المسافة (بعد عظيم) في الزمان والمكان ولا يكون ذلك مانعا من المعية في الدارين والله أعلم (وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) أي يثبكم (ويغفر لكم ذنوبكم) والله غفور رحيم (وهذه الآية الشريفة تسمى آية المحبة) بدليل أنه (قال بعض السلف) زعم أنه الحسن البصري لقوله قال أقوام على عهد نبينا والله يا محمد انا لنحب ربنا فأنزل الله الآية رواه ابن المنذر وليس فيه فأنزل آية المحبة فلا يصح انه المراد (ادعى قوم محبة الله) قيل هم وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله رواه ابن اسحق وابن جرير عن محمد بن جعفر بن الزبير وقيل هم اليهود لما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل قريش لما قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وبه جزم الجلال وروى ابن جرير وابن المنذر عن الحسن مرسلا أنهم أقوام زعموا على عهد نبينا أنهم يحبون الله فأمروا أن يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل (فأنزل الله آية المحبة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني) وقال يحببكم الله) بالجزم في جواب الطلب والراجح فيه أنه في جواب شرط مقدر تقديره هنا ان اتبعتموني يحببكم الله (اشارة الى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها) أي باتباع الرسول فان اتباعه علامة على حبه لله تعالى وثمرة محبة الله للعبد مغفرته له كما أفاده قوله (فدليلها وعلامتها اتباع الرسول وفائدتها وثمرتها محبة المرسل) بكسر السين أي الله تعالى نبيه ليبلغ الخلق (لكم) متعلق بمحبة (فما) مصدرية ظرفية (لم تحصل المتابعة) أي مدة انتفاء حصولها (فلا محبة لكم حاصلة) منكم لله (ومحبته لكم منتفية) أي لا يحبكم بمعنى لا يثيبكم (فجعل سبحانه اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام مشروطا بمحبتهم لله وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع بدون وجود تحقق شرطه) وهو اتباع الرسول (فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة) لانها مشروطة بمتابعة رسوله فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء المتابعة لرسوله وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم (فيستحيل حينئذ ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم) لاستحالة وجود المشروط بدون شرطه (ودل) جعله اتباع الرسول مشروطا لمحبتهم (على أن متابعة الرسول هي حب الله ورسوله وطاعة

من الليل فاذا أصبحت فخذ منه شربة على الريق فانه جيد للنسيان ولهذا سبب طبيعي ظاهر فان النسيان اذا كان لسوء مزاج بارد رطب يغلب على الدماغ فلا يحفظ ما ينطبع فيه نفع منه اللبان وأما اذا كان النسيان لغلبة شئ عارض أمكن زواله سريعا بالمرطبات والفرق بينهما ان اليبوسي يتبعه سهر وحفظ الامور الماضية دون الحالية والرطوبي بالعكس وقد يحدث النسيان أشياء بالخاصية كحجامة نقرة القفا وادمان أكل الكسفرة الرطبة والتفاح الحامض وكثرة الهم والغم والنظر في الماء الواقف والبول فيه والنظر الى المصلوب والاكثار من قراءة ألواح القبور والمشي بين جملين مقطورين والقاء القمل بالحياة وأكل سؤر الفار وأكثر هذا معروف بالتجربة والمقصود ان اللبان مسخن في الدرجة الثانية ومجفف في الاولى وفيه قبض يسير وهو كثير المنافع قليل المضار فمن منافعه ان ينفع من قذف الدم ونزفه ووجع المعدة واستطلاق البطن ويهضم الطعام ويطرد الرياح ويجلو قروح العين وينبت اللحم في سائر القروح ويقوي المعدة الضعيفة ويسخنها ويجفف البلغم وينشف رطوبات الصدر ويجلو ظلمة

أمره

أمره) أي علامة عليه أو جعلها نفس المحبة مبالغة (ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما) كما في الحديث (ولا يكون شيء أحب اليه من الله ورسوله) قال الطيبي فسر المتكلمون محبة العبد لله بأنها محبة طاعته أو ثوابه واحسانه وأما العارفون فقالوا العبد يحب الله لذاته وأما حب طاعته وثوابه فدرجة نازلة والقول الاول ضعيف وذلك لا يمكن ان يقال في كل شيء انه انما كان محبوبا لاجل معنى آخر فلابد من الانتهاء الى شيء يكون محبوبا بالذات فكما يعلم ان اللذة محبوبة لذاتها كذلك يعلم ان الكمال محبوب لذاته وأكمل الكمالات لله تعالى فيقتضي كونه محبوبا لذاته من ذاته قال صاحب الفرائد وهذا أبلغ أنواع الحب فعلى هذا حب العبد لله حقيقة بل المحبة الحقيقية مستحقة لله اذ كل ما يحب من المخلوقات فانما يحب لخصوص أثر من آثار وجوده وفي الاحياء الحب ميل الطبع الى الشيء المستلذ فان قوي سمي عشقا ولا يظن قصره على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بها ولا يتمثل في الخيال فلا يحب لانه صلى الله عليه وسلم سمى الصلاة قرة عين وجعلها أبلغ المحبوبات ومعلوم انه ليس للحواس الخمس فيها حظ والبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر والقلب أشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فيكون لا محالة لذة القلب بما يدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن ان تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه أقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لذة فلا ينكر اذن حب الله الا من قعد به القصور في درجة البهائم انتهى وأما محبة الله للتبعين فهي رضاه عنهم واثابتهم وكشف الحجب عن قلوبهم والتجاوز عما فرط منهم كما أشار اليه بقوله والله غفور رحيم وعبر عن ذلك بالمحبة استعارة أو مشاكلة لاستحالة المعنى الحقيقي عليه (ومتى كان عنده شيء أحب اليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه البتة ولا يهديه الله) واستدل على هذا بقوله (قال تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) أقرباؤكم وفي قراءة وعشيراتكم (وأموال اقترفتموها) اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) عدم نفاقها (ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله) فقعدتم لاجله عن الهجرة والجهاد (فتربصوا) انتظروا (حتى يأتي الله بأمره) تهديد لهم (والله لا يهدي القوم الفاسقين)

(فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء) غلب العقلاء على غيرهم وسمى من اقترن بالعاقل باسمه تجوزا لان أحدا انما يستعمل في العاقل (على طاعة الله ورسوله أو قول أحدهم على قول الله ورسوله أو مرضاة أحدهم على مرضاة الله ورسوله أو خوف أحدهم أو رجاءه والتوكل) الاعتماد (عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه أو معاملة أحدهم على معاملة الله ورسوله فهو ممن لبس الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وان قال بلسانه) انهما أحب (فهو كذب منه واخبار بما ليس هو عليه) عطف تفسير وفيه اشارة الى ان محبة غيرهما المنهي عنها هي المحبة الاختيارية دون الطبيعية فانها لا تدخل تحت التكليف (انتهى ملخصا من كتاب المدارج) أي مدارج السالكين لابن القيم الى منازل السائرين لشيخ الاسلام الانصاري الهروي (وسيأتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في مقصد محبته عليه الصلاة والسلام) فذكر الحديث وتكلم عليه مبسوطا هنالك (وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته) القرآن (واتبعوه لعلكم تهتدون) ترشدون (أي الى الصراط المستقيم) صراط الله (فجعل رجاء الاهتداء) من العباد لان صيغ الرجاء الواقعة في القرآن مصروفة الى العباد يعني ان المؤمن يرجو أنه من المهتدين (أثر) عقب (الامرين الايمان بالرسول واتباعه تنبيها على أن من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو في

البصر ويمنع القروح الخبيثة من الانتشار واذا مضغ وحده أو مع الصعتر الفارسي جلب البلغم ونفع من اعتقال اللسان ويزيد في الذهن ويذكيه وان بخر به ماء نفع من الوباء وطيب رائحة الهواء

(حرف الميم)

ماء مادة الحياة وسيد الشراب وأحد أركان العالم بل ركنه الاصلي فان السموات خلقت من بخاره والارض من زبده وقد جعل الله منه كل شيء حي وقد اختلف فيه هل يغذو أو ينفذ الغذاء فقط على قولين وقد تقدما وذكرنا القول الراجح ودليله وهو بارد رطب يقمع الحرارة ويحفظ على البدن رطوباته ويرد عليه بدل ما تحلل منه ويرقق الغذاء وينفذه في العروق وتعتبر جودة الماء من عشرة طرق أحدها من لونه بان يكون صافيا الثاني من رائحته بان لا يكون له رائحة البتة الثالث من طعمه بان يكون عذب الطعم حلوه كماء النيل والفرات الرابع من وزنه بان يكون خفيفا رقيق القوام الخامس من مجراه بان يكون طيب المجرى والمسلك السادس من منبعه بان يكون بعيد المنبع السابع من بروزه للشمس والريح بان لا يكون مختفيا تحت الارض فلا تتمكن الشمس والريح من قصارته الثامن من حركته بان يكون سريع الجري والحركة التاسع

بياض بالاصل

الضلالة فكل ما أتى به الرسول عليه الصلاة والسلام) من قول أو فعل أو غيرهما (يجب علينا اتباعه
الا ما خصه الدليل) به فلا يجب بل يحرم تارة كالزيادة على أربع وتارة يكره كالوصال
(وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا يعني القرآن) سماه نورا لانه باعجازه ظاهر بنفسه
مظهر لغيره بما فيه شرحه وبيانه فيستضاء به من ظلمات الجهل ويقتبس منه أنوار الهداية والفضل
(فالايمان به صلى الله عليه وسلم واجب متعين على كل أحد لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه)
لاستحالة وجود ايمان أو اسلام بدون ذلك شرعا (قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا)
أعددنا وهيأنا (للكافرين سعيرا) نارا شديدة (أي ومن لم يؤمن بالله ورسوله فهو من الكافرين وانا
أعتدنا للكافرين سعيرا) اشارة الى ان جواب الشرط محذوف والمذكور علة له لان الاعتاد لا يترتب على
عدم الايمان بهما بل الكفر وجزاؤه السعير (وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم الآية) روى الشيخان وأصحاب السنن عن عبد الله بن الزبير قال خاصم الزبير رجلا في
شراج الحرة فقال صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم أرسل الماء الى جارك فقال الانصاري يا رسول الله
ان كان ابن عمتك فتلون وجهه ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر ثم أرسل الماء
الى جارك واستوعى للزبير حقه وكان أشار اليهما بأمر لهما فيه سعة قال الزبير فما أحسب هذه الآية
الا نزلت في ذلك فلا وربك الخ (معناه فوربك كقوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين ولا مزيدة
لتأكيد معنى القسم كما في لئلا يعلم) أهل الكتاب أي ليعلم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد
أيضا في الاثبات كقوله لا أقسم بهذا البلد قاله في الكشاف قال التفتازاني ان قيل لم لا يجوز أن تكون
مزيدة لمظاهرة لا في لا يؤمنون ومعاونتها والتنبيه من أول الامر على أن المقسم به نفي فالجواب ان مجيئها
قبل القسم سواء كان الجواب نفيا أو اثباتا يدل على انها لتأكيد القسم لا لمظاهرة النفي في الجواب
وذلك لان الاصل اجراء المحتمل على المحقق والمشكوك على المقطوع واتحاد منهج اللفظ على اتحاد
منهج المعنى وترك التصرف في الحرف وبهذا يندفع اعتراض صاحب التقريب بجواز أن يكون
في النفي لمظاهرة النفي وفي المثبت لتأكيد معنى القسم وتجويزه انه في النفي لتأكيده وفي الاثبات
لتأكيده ليس على ما ينبغي انتهى (ولا يؤمنون جواب) للقسم (أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة
المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع أموره) لانه عبر بما شجر
وما من صيغ العموم (ويرضى بجميع ما حكم به) بقوله ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت
(وينقاد له ظاهرا وباطنا سواء كان الحكم بما يوافق أهواءهم أو يخالفها) هذا المقصود وذكر
الموافق للتعميم (كما ورد في الحديث) (والذي نفسي بيده) قسم كان صلى
الله عليه وسلم يقسم به كثيرا (لا يؤمن أحدكم) ايمانا كاملا ونفي اسم الشيء بمعنى الكمال مستفيض في
كلامهم فالمراد نفي بلوغ حقيقته ونهايته وخصوا بالخطاب لانهم الموجودون حينئذ والحكم عام (حتى
يكون هواه تبعا لما جئت به) الهوى بالقصر ما يهواه العبد ويحبه ويميل اليه فحقيقته شهوة النفس
وهو ميلها الى ملائمها ويستعمل في عرف الشرع في الميل الى خلاف الحق كقوله ولا تتبع الهوى فيضلك
(وهذا) الحديث (يدل على أن من لم يرض بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا) أصلا بل
كافر ان اعتقد بطلانه أو أنه ليس من الله أما ان اعتقد حقيته وتألم منه في نفسه لمشقته فمؤمن
ناقص (وعلى أنه لا بد من حصول الرضا بحكمه في القلب وذلك بأن يحصل الجزم والتيقن في
القلب بأن الذي يحكم به عليه الصلاة والسلام هو الحق والصدق فلا بد من الانقياد باطنا
وظاهرا) ذكر هذا وان تقدم معناه قريبا لانه شرح للحديث فمراده انه دل على ما دلت عليه

من كثرته بان يكون له كثرة يدفع الفضلات المخالطة له العاشر من مصبه بان يكون آخذا من الشمال الى
الجنوب أو من المغرب الى
المشرق واذا اعتبرت هذه
بياض بالاصل
الاوصاف لم تجدها بكمالها
الا في الانهار الاربعة
النيل والفرات وسيحون
وجيحون وفي الصحيحين
من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم سيحان وجيحان
والنيل والفرات كلها
من أنهار الجنة وتعتبر
خفة الماء من ثلاثة
أوجه * أحدها سرعة
قبوله للحر والبرد قال
أبقراط الماء الذي يسخن
سريعا ويبرد سريعا أخف
المياه * الثاني بالميزان
* الثالث ان تبل قطنتان
متساويتا الوزن بماءين
مختلفين ثم يجففا بالتمام
ثم توزنا فأيهما كانت أخف
فماؤها كذلك والماء وان
كان في الاصل باردا رطبا
فان قوته تنتقل وتتغير
بياض بالاصل
لاسباب عارضة توجب
انفعالها فان الماء
المكشوف للشمال
المستور عن الجهات
الاخر يكون باردا وفيه
يبس مكتسب من ريح
الشمال وكذلك الحكم
على سائر الجهات الاخر
والماء الذي ينبع من
المعادن يكون على طبيعة ذلك المعدن ويؤثر في البدن تأثيره والماء العذب نافع للمرضى والاصحاء

الآية

والبارد منه أنفع والفول لا ينبغي شربه على الريق ولا عقيب الجماع ولا الانتباه من النوم ولا عقيب الحمام

الآية (وسيأتي مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى في مقصد محبته عليه الصلاة والسلام) وهو السابع
(ثم ان ظاهر هذه الآية يدل على انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس) سواء كان جليا أو خفيا كما أجازه
الرازي وقيل المنع في الخفي لضعفه بخلاف الجلي (لانه يدل على انه يجب متابعة قوله وحكمه) بالخفض
(وأنه لا يجوز العدول عنه الى غيره وقوله ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا) ضيقا أو شكا (مما قضيت) به
(مشعر بذلك لانه متى خطر بقلبه قياس يقتضي ضد مدلول النص فهناك يحصل الحرج في النفس
فبين الله تعالى انه لا يكمل ايمانه الا بعد أن لا يلتفت الى ذلك الحرج ويسلم الى النص) ينقاد لحكمه
(تسليما كليا) من غير معارضة (قاله الامام فخر الدين) الرازي بعد ما كان يقول بالجواز (وجوز
غيره تخصيص الكتاب والسنة بالقياس) المستند الى نص خاص ولو خبر واحد سواء كان القياس جليا
أو خفيا على المختار (وبه صرح العلامة التاج) عبد الوهاب (بن) علي (السبكي في جمع الجوامع) في
مبحث التخصيص وأجاب شيخنا في التقرير عن استدلال الرازي بهذه الآية بأنا لا نسلم ان معارضته
بالقياس حرج كما ادعى وانما هو تردد في فهمه هل هو موافق أم لا

(* النوع الثامن فيما) موصول أو نكرة موصوف أي الآيات التي تتضمن أو في آيات (تتضمن)
أي تدل أو تستلزم لا خصوص دلالة التضمن الاصطلاحية (الادب) بحذف مضاف أي طلب الادب
(معه صلى الله عليه وسلم) في جميع الاقوال والافعال * (قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله) وجه تضمنها الادب ان النهي عن الشيء أمر بضده وهو طلب التأخر وهو أدب
روى البخاري عن ابن الزبير قدم ركب من تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر
القعقاع بن معبد وقال عمر بل أمر الاقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت الا خلافي فقال عمر ما أردت
خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
حتى انقضت الآية وروى ابن المنذر عن الحسن أن ناسا ذبحوا قبله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فأمرهم
أن يعيدوا ونزلت الآية وأخرج الطبراني عن عائشة ان ناسا كانوا يتقدمون الشهر فيصومون فنزلت
وأخرج ابن جرير عن قتادة قال ذكر لنا أن ناسا كانوا يقولون لو أنزل في كذا فنزلت ولا شك ان الاصح
الاول لانه مروي البخاري ويحتمل تعدد الاسباب وقد قال الرازي الاصح انه ارشاد عام يشمل الكل
ومنع مطلق يدخل فيه كل افتيات وتقدم واستبداد بالامر واقدام على فعل غير ضروري بلا مشاورة
(فمن الادب أن لا يتقدم بين يديه) أي عنده سواء كان تجاهه أو عن يمينه أو يساره أو خلفه (بأمر ولا
نهي ولا اذن ولا تصرف) ويداوم على ذلك (حتى يأمر هو وينهى ويأذن كما أمر الله بذلك في هذه الآية)
وظاهر هذا أنه من قدم لازما بمعنى تقدم وفي الانوار أي لا تقدموا أمرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى
كل ما لا يمكن أو ترك لان المقصود نفي التقدم رأسا أو لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدمهم
ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا وفي ابن عطية قال ابن زيد معنى لا تقدموا لا تمشوا بين يدي رسول الله
وكذلك بين يدي العلماء فانهم ورثة الانبياء هذا ظاهر في أن معناه التقدم الحسي (وهذا) النهي عن
التقدم (باق الى يوم القيامة لم ينسخ) سواء كان التقدم حقيقة أو حكما (فالتقدم بين يدي سنته) الواردة
عنه باسناد صحيح أو حسن ولا معارض راجح (بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته) لقوله تعالى وما
آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (لا فرق بينهما عند ذي عقل سليم) وقد علم ان التقدم أعم
من كونه حقيقة أو حكما فلا يرد أنه ينتهي بوفاته صلى الله عليه وسلم فيتعذر النسخ بوفاته الانقطاع
الوحي فلا يحسن بل لا يصح تفريعه على ما قبله (قال مجاهد) عند البخاري في تفسير لا تقدموا
(لا تفتاتوا) أي لا تسبقوا (بشيء على رسول الله صلى الله عليه وسلم) بل أمهلوا وامتنعوا عن العمل فيه

ولا عقيب أكل الفاكهة وقد تقدم وأما في الطعام فلا بأس به اذا اضطر اليه بل يتعين ولا يكثر منه بل يتمصصه مصا فانه لا يضره البتة بل يقوي المعدة وينهض الشهوة ويزيل العطش والماء الفاتر ينفخ ويفعل ضد ما ذكرناه وبائته أجود من طريه وقد تقدم والبارد ينفع من داخل أكثر من نفعه من خارج والحار بالعكس وينفع البارد من عفونة الدم وصعود الابخرة الى الرأس ويدفع العفونات ويوافق الامزجة والاسنان والازمان والاماكن الحارة ويضر كل حالة تحتاج الى نضج وتحليل كالزكام والاورام والشديد البرد منه يؤذي الاسنان والادمان عليه يحدث انفجار الدم والنزلات وأوجاع الصدر والبارد والحار بافراط ضاران للعصب ولاكثر الاعضاء لان أحدهما محلل والآخر مكثف والماء الحار يسكن لذع الاخلاط الحادة ويحلل وينضج ويخرج الفضول ويرطب ويسخن ويفسد الهضم شربه ويطفو بالطعام الى أعلى المعدة ويرخيها ولا يسرع في تسكين العطش ويذبل البدن ويؤدي الى أمراض رديئة ويضر في أكثر

بشئ (حتى يقضيه الله على لسانه) فاعم لوابه فالغاية لمقدر قال الزركشي الظاهر ان هذا التفسير على قراءة ابن عباس ويعقوب بفتح التاء والدال والاصل لا تتقدموا فحذف احدى التاءين قال الدماميني بل هو متأت على القراءة المشهورة أيضا فان قدم بمعنى تقدم قال الجوهري وقدم بين يديه أي تقدم (وقال الضحاك) أي (لا تقضوا أمرا دون رسول الله) أي دون أمره (صلى الله عليه وسلم) بل انتظروا أمره (وقال غيره لا تأمروا حتى يأمر ولا تنهوا حتى ينهى) فأمروا حينئذ بأمره ونهيه (وانظر أدب الصديق رضي الله عنه معه عليه الصلاة والسلام في الصلاة) أي فيما فعله فيها (أن تقدم بين يديه) ان مصدرية بفتح الهمزة وتقدير اللام أي لان تقدم علة لقوله (كيف تأخر) مقدم عليه أي انظر كيف تأخر لتقدمه الحاصل بين يديه أي في غيبته صلى الله عليه وسلم فقدم بعد احرام أبي بكر وفي نسخة اذ لكن اصلاحا ولا حاجة اليه فان بهذا التقدير كما روى مالك والشيخان من طريقه عن أبي حازم عن سهل بن سعد أنه صلى الله عليه وسلم ذهب الى بني عمرو بن عوف وحانت الصلاة فجاء المؤذن الى أبي بكر فقال أتصلي للناس فأقيم قال نعم فصلى أبو بكر فجاء رسول الله والناس في الصلاة فتخلص حتى وقف في الصف فصفق الناس وكان أبو بكر لا يلتفت في صلاته فلما أكثر الناس من التصفيق التفت أبو بكر فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار اليه أن امكث مكانك فرفع أبو بكر يديه وحمد الله على ما أمر به صلى الله عليه وسلم من ذلك ثم استأخر حتى استوى في الصف وتقدم صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس ثم انصرف فقال يا أبا بكر ما منعك ان تثبت اذ أمرتك (فقال) أبو بكر (ما كان لابن أبي قحافة) بضم القاف وخفة الحاء المهملة عثمان بن عامر أسلم في الفتح ومات سنة أربع عشرة في خلافة عمر وعبر بذلك دون ان يقول ما كان لي أو لابي بكر تحقيرا لنفسه (ان يتقدم) وفي رواية ان يصلي (بين يدي رسول الله) وفي رواية أن يؤم النبي (صلى الله عليه وسلم) ففيه ان من أكرم بكرامة تخير بين القبول والترك اذا فهم ان الامر ليس على اللزوم وكان القرينة التي بينت ذلك لابي بكر أنه صلى الله عليه وسلم شق الصفوف حتى انتهى اليه ففهم ان مراده ان يؤم الناس وأن أمره اياه بالاستمرار في الامامة من باب الاكرام والتنويه بقدره فسلك هو طريق الادب ولذا لم يرد صلى الله عليه وسلم اعتذاره (كيف أورثه مقامه والامامة الخلافة (بعده فكان) بمعنى صار (ذلك التأخر الى خلفه و) الحال انه (قد أومأ) أشار (اليه أن اثبت مكانك) وفي رواية فأشار اليه يأمره أن يصلي وأخرى فدفع في صدره ليتقدم فأبى (سعيا) خبر كان (الى قدام) أي كان في المعنى شرعا وعملا في طلب التقدم عند الله بسبب أدبه مع نبيه فنال (بكل خطوة الى وراء) فهو متعلق بمقدر (مراتب) مفعول المقدر (الى قدام تنقطع فيها أعناق المطى) ولا توصل اليها (ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا ترفع الاصوات فوق صوته) لانه يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام ومن خشي قلبه ارتجف وضعفت حركته الدافعة فلا يخرج منه الصوت بقوة ومن لم يخف بالعكس (كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم) اذا نطقتم (فوق صوت النبي) اذا نطق (ولا تجهروا له بالقول) اذا ناجيتموه (كجهر بعضكم لبعض) بل دون ذلك اجلالا له قال المصنف وليس المراد بنهي الصحابة عن ذلك أنهم كانوا مباشرين ما يلزم منه الاستخفاف والاستهانة فكيف وهم خير الناس بل المراد أن التصويت بحضرته مباين لتوقيره وتعزيره (قال الرازي أفاد انه ينبغي ان لا يتكلم المؤمن عنده صلى الله عليه وسلم كما يتكلم العبد عند سيده) بل يكون صوته دون صوته مع سيده (لان العبد داخل في قوله كجهر بعضكم لبعض لانه للعموم) فيشمل ذلك (فلا ينبغي ان يجهر المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم كما يجهر العبد للسيد والا كان قد جهر له كما يجهر بعضكم لبعض) فيدخل في النهي (قال ويؤيد ما ذكرناه قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم والسيد ليس أولى

الامراض على انه صالح للشيوخ وأصحاب الصرع والصداع البارد والرمد وأنفع ما استعمل من خارج ولا يصح في الماء المسخن بالشمس حديث ولا أثر ولا كرهه أحد من قدماء الاطباء ولا عابوه والشديد السخونة يذيب شحم الكلى وقد تقدم الكلام على ماء الامطار في حرف الغين * ماء الثلج والبرد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو في الاستفتاح وغيره اللهم اغسلني من خطاياي بماء الثلج والبرد الثلج له في نفسه كيفية حادة دخانية فماؤه كذلك وقد تقدم وجه الحكمة في طلب الغسل من الخطايا بمائهما لما يحتاج اليه القلب من التبريد والتصليب والتقوية ويستفاد من هذا أصل طب الابدان والقلوب ومعالجة أدوائها بضدها وماء البرد ألطف وألذ من ماء الثلج وأما ماء الجمد وهو الجليد فبحسب أصله والثلج يكتسب كيفية الجبال والارض التي يسقط عليها في الجودة والرداءة وينبغي تجنب شرب الماء المثلوج عقيب الحمام والجماع والرياضة والطعام الحار ولاصحاب السعال ووجع الصدر وضعف الكبد وأصحاب الامزجة الباردة * ماء الآبار والقناة مياه الآبار

عند

عند عبده من نفسه حتى لو كانا في مخمصة) مجاعة (و وجد العبد ما لو يأكله لمات لا يجب عليه بذله لسيده و يجب البذل للنبي صلى الله عليه وسلم ولو علم العبد أن بموته ينجو سيده لا يلزمه أن يلقي نفسه في التهلكة) أي الهلاك لا (لسيده (و يجب لانجاء النبي صلى الله عليه وسلم) على كل أحد (فكما أن العضو الرئيس أولى بالرعاية من غيره) بفاء الاستئناف وعلل الاولوية بقوله (لان عند خلل القلب مثلا لا يبقى لليدين والرجلين استقامة) حذف المشبه أي كذلك تجب رعايته صلى الله عليه وسلم وفداؤه على المؤمنين بأنفسهم اذ لولم يدفع الهلاك عنه وقدم غيره لهلك ذلك الغير وأشار الى هذا المعنى بفاء التعليل فقال (فلو حفظ الانسان نفسه وترك النبي صلى الله عليه وسلم لهلك هو أيضا) ويحتمل أن الفاء زائدة والمعنى ان رعايته وتقديمه على النفس مشبه بالعضو الرئيس في رعايته وتقديمه على بقية الاعضاء (بخلاف العبد والسيد انتهى) كلام الرازي (اذا كان رفع الاصوات فوق صوته موجبا لحبوط الاعمال) أي فسادها وهدرها مصدر لحبط من باب فرح وفي لغة من باب ضرب وبها قرئ شاذا كما قال تعالى أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون أي خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين (فما الظن برفع الآراء) جمع رأي (ونتائج الافكار) ما يظهر لها تشبيها بنتائج الحيوان وهو ما يلده (على سنته وما جاء به) (واعلم ان في الرفع والجهر استخفافا) بحسب الصورة (قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة) والا فالرفع والجهر لا يلزمهما الاستخفاف (وروى أن أبا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله لا أكلمك الا كأخي) أي أي صاحب (السرار) بكسر السين مصدر ساره أي الكلام الخفي الذي يراد كتمه وفي البخاري عن ابن أبي مليكة كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم الآية قال ابن الزبير فكان عمر لا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر (وقد روى أن عمر كان اذا حدثه حدثه كأخي السرار ما كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم حديثه بعد) نزول (هذه الآية حتى يستفهمه) وفي الاعتصام من البخاري فكان عمر بعد ذلك اذا حدثه بحديث حدثه كأخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه ففي تعبيره بروى في هذا شئ وفيهما وفي غيرهما نزل ان الذين يغضون الآية (وقد روى) فيما أسنده القاضي عياض من طريق أبي الحسن علي بن فهر اي مؤلف فضائل مالك بسنده (ان أبا جعفر) المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس (أمير المؤمنين) ثاني الخلفاء من بني العباس ولي الخلافة اثنتين وعشرين سنة وكان محدثا فقيها بليغا حافظا للقرآن والسنة جماعا للاموال فلذا لقب أبا الدوانيق مات سنة ثمان وخمسين ومائة بقرب مكة محرما بالحج وله ثلاث وستون سنة (ناظر) مفاعلة من النظر بمعنى الفكر لان كلا منهما ينظر في كلام من يجادله (مالكا) الامام في مسئلة فرفع صوته (في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم) ولم يذكر وا ما ناظره فيه لانه لا يترتب عليه فائدة هنا (فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية) روى ابن جرير عن قتادة قال كانوا يجهرون له بالكلام و يرفعون أصواتهم فنزلت (ومدح قوما) كالعمرين و ثابت بن قيس وغيرهم (فقال ان الذين يغضون أصواتهم الآية وذم قوما) أي بني تميم (فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) أي حجرات نسائه بأن أتوها حجرة حجرة فنادوه أو تفرقوا عليها متطلبين له لانهم لم يعلموه بأيها مناداة الاعراب بغلظة وجفاء أكثرهم لا يعقلون محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم اذ العقل يقتضي حسن الادب وفيه تسلية وتلميح بالصفح عنهم (الآية وان حرمته ميتا كحرمته حيا) اذ هو

عن الهواء و ينبغي أن لا يشرب على الفور حتى يصمد للهواء و تأتي عليه ليلة و أردؤه ما كانت مجاريه من رصاص أو كانت بئره معطلة ولا سيما اذا كانت ترابها رديئة فهذا الماء وبيء وخيم *ماء زمزم سيد المياه وأشرفها وأجلها قدرا وأحبها الى النفوس وأغلاها ثمنا وأنفسها عند الناس وهو هزمة جبرائيل وسقيا اسمعيل وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لابي ذر وقد أقام بين الكعبة وأستارها أربعين ما بين يوم وليلة وليس له طعام غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم انها طعام طعم وزاد غير مسلم باسناده وشفاء سقم وفي سنن ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ماء زمزم لما شرب له وقد ضعف هذا الحديث طائفة بعبد الله بن المؤمل راويه عن محمد بن المنكدر وقد روينا عن عبد الله بن المبارك انه لما حج أتى زمزم فقال اللهم ان ابن الموالي حدثنا عن محمد

بياض بالاصل

ابن المنكدر عن جابر رضي الله عنه عن نبيك صلى الله عليه وسلم أنه قال ماء زمزم لما

حي في قبره فيجب أن يراعى بعده ما كان له في حياته (فاستكان) خضع وذل (لها) لهذه المقالة والموعظة وفي نسخة له أي لمالك أي لقوله (أبو جعفر) المنصور لوضوح استدلاله (ومن الادب معه ان لا يجعل دعاؤه كدعاء بعضنا بعضا قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) بأن تنادوه باسمه بل قولوا يا نبي الله يا رسول الله بلين وتواضع وخفض صوت روى أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم فأنزل الله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فقالوا يا نبي الله يا رسول الله (وفيه قولان للمفسرين أحدهما الا تدعوه) وفي نسخة تدعونه على انه خبر بمعنى النهي (باسمه كما يدعو) ينادي (بعضكم بعضا بل قولوا يا نبي الله يا رسول الله) وهذا ما دل عليه سبب النزول المذكور (مع التوقير) الاجلال (والتواضع) وخفض الصوت لآية الحجرات (فعلى هذا) القول (المصدر مضاف الى المفعول أي دعاءكم الرسول) أي نداءكم له (والثاني ان المعنى لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضا ان شاء أجاب وان شاء ترك بل اذا دعاكم لم يكن لكم بد) فراق ومحالة (من اجابته ولم يسعكم التخلف عنه ألبتة) بقطع الهمزة (فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة) أي الرجوع عن تمام ما ندب اليه لقوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم (فعلى هذا المصدر) في دعاء الرسول (مضاف الى الفاعل أي دعاءه اياكم) ولو في الصلاة (وقد تقدم في الخصائص من المقصد الرابع من مذهب الشافعي) وهو المعتمد في مذهب مالك (أن الصلاة لا تبطل باجابته صلى الله عليه وسلم) وقال جماعة تجب الاجابة وتبطل الصلاة (ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم انهم اذا كانوا معه على أمر جامع من خطبة أو جهاد أو رباط) وفي الاكليل قال ابن أبي مليكة الآية في الجهاد والجمعة والعيدين وقال عطاء أمر عام وقال مقاتل طاعة يجتمعون عليها أخرجها ابن أبي حاتم (لم يذهب أحد مذهبا في حاجة) عرضت (له حتى يستأذنه كما قال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) ففيه وجوب استئذانه قبل الانصراف عنه في كل أمر يجتمعون عليه قال الحسن وغيره صلى الله عليه وسلم من الائمة مثله في ذلك لما فيه من أدب الدين وأدب النفس قال ابن الفرس ولا خلاف في الغزو انه يستأذن امامه اذا كان له عذر يدعوه الى الانصراف واختلف في صلاة الجمعة اذا كان له عذر كالرعاف وغيره وقيل يلزمه الاستئذان سواء كان أمامه الامير أم غيره أخذا من الآية (فاذا كان هذا مذهبا) أي سببا يقصد (مقيدا لحاجة عارضة لم يوسع لهم فيه الا باذنه فكيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين أصوله وفروعه ودقيقه) قليله (وجليله) كثيره (هل يشرع الذهاب اليه بدون استئذانه فاسئلوا أهل الذكر) العلماء (ان كنتم لا تعلمون) ذلك فانهم يعلمونه (ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم أن لا يستشكل قوله) الثابت عنه بلا معارض راجح بقوله أيضا ونحوه (بل تستشكل الآراء بقوله ولا يعارض نصه بقياس) لانه فاسد الاعتبار مع وجود النص (بل تهدر) تطرح (الاقيسة وتلقى) عطف تفسير لتهدر (لنصوصه ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال) أي ظن (مخالف يسميه أصحابه معقولا نعم هو مجهول وعن الصواب معزول) أي مصروف الى غيره (ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد) بل يقبل ثم تارة يعمل به وتارة لا لقيام دليل غيره على عدم العمل به (فكل هذا من قلة الادب معه صلى الله عليه وسلم وهو عين الجرأة) بزنة غرفة وضخامة أي الهجوم بلا توقف وذلك مذموم (ورأس الادب معه صلى الله عليه وسلم كمال التسليم له والانقياد) الاذعان (لامره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن يحمله خيال) ظن (باطل يسميه صاحبه معقولا أو يسميه شبهة أو شكا أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالات) أوساخ (اذهانهم) جمع ذهن وهو الذكاء والفطنة كما في المصباح (فيوحد التحكيم) أي يجب على كل أحد أن يجعل الحاكم هو النبي صلى الله عليه وسلم

شرب له فاني أشربه لظمأ يوم القيامة وابن أبي الموالي ثقة فالحديث اذا حسن وقد صححه بعضهم وجعله بعضهم موضوعا وكلا القولين فيه مجازفة وقد جربت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أمورا عجيبة واستشفيت به من عدة أمراض فبرأت باذن الله وشاهدت من يتغذى به الايام ذوات العدد قريبا من نصف الشهر أو أكثر ولا يجد جوعا ويطوف مع الناس كأحدهم وأخبرني انه ربما بقي عليه أربعين يوما وكان له قوة يجامع بها أهله ويصوم ويطوف مرارا * ماء النيل أحد أنهار الجنة أصله من وراء جبال القمر في أقصى بلاد الحبشة من أمطار تجتمع هناك وسيول يمد بعضها بعضا فيسوقه الله تعالى الى الأرض الجرز التي لا نبات لها فيخرج به زرعا تأكل منه الانعام والانام ولما كانت الارض التي يسوقه اليها ابليزا صلبة ان أمطرت مطر العادة لم تروولم تتهيأ للنبات وان أمطرت فوق العادة ضرت المساكن والساكن وعطلت المعايش والمصالح فأمطر البلاد البعيدة ثم ساق تلك الامطار الى هذه الارض في نهر عظيم وجعل سبحانه زيادته في أوقات معلومة على قدر ري البلاد وكفايتها فاذا أروى البلاد وعمها أذن

(والتسليم والانقياد والاذعان) من أذعن انقاد فهو عطف مساو (كما وحد المرسل) بكسر السين وهو الله سبحانه (بالعبادة) فجعله مستحقها دون غيره (والخضوع والذل) عطف تفسير (والانابة) والرجوع (والتوكل) عليه في جميع الامور (فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله الا بهما توحيد المرسل) وهو الله عز وجل (وتوحيد متابعة الرسول فلا يتحاكم الى غيره) بالعدول عنه وطلب الحكم من غيره (ولا يرضى بحكم غيره انتهى ملخصا من المدارج) للعلامة ابن القيم (والقرآن مملوء بالآيات المرشدة الى الادب معه صلى الله عليه وسلم فليراجع) وفيما ذكر كفاية

*(النوع التاسع في آيات تتضمن رده تعالى بنفسه المقدسة) أطلق النفس عليه تبعا لقول امام الحرمين انه الصحيح وقيل انما يجوز للمشاكلة نحو تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ورد بقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة وخبر أنت كما أثنيت على نفسك وتقدير كتب ربكم بنفوسكم ولا تحصى نفسي بعيد (على عدوه) يحتمل أن يريد المفرد وعمومه من الاضافة اذ استغراق المفرد أشمل عند أهل البيان ويحتمل أن يريد الجمع فان لفظ عدو يقع لغة على الواحد المذكر والمؤنث والمجموع (صلى الله عليه وسلم ترفيعا) مفعول لاجله وتضعيفه للمبالغة اذ هو متعد بدونه (لشأنه) أمره وخطبه (قال تعالى ن والقلم وما يسطرون) أي الملائكة ومر الكلام فيه مبسوطا (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) أي انتفى عنك الجنون بسبب انعامه عليك بالنبوة وغيرها (لما) حين (قال المشركون يا أيها الذي نزل عليه الذكر) القرآن في زعمه (انك لمجنون) أي لتقول قولهم بدعواك انه نزل عليك لا الجنون الحقيقي للقطع بعدمه فلا يريدونه لئلا يكذب من قاله (أجاب تعالى) الاولى فأجاب بالفاء اذ الجملة الاولى كافية وكأنه تركها لانه بيان لتعظيمه بأنه أجاب (عنه عدوه بنفسه من غير واسطة) وتوطئة لقوله (وهكذا سنة الاحباب) أي عادتهم (فان الحبيب اذا سمع من سب حبيبه تولى بنفسه جوابه) وفرع على هذا قوله (فههنا تولى الحق سبحانه جوابهم بنفسه منتصرا له لان نصرته تعالى) التي تولاها بنفسه (له أتم من نصرته) عليه الصلاة والسلام لنفسه كقتال العدو وان كان لله أو المعنى لو فعل وروى ابن أبي حاتم عن وهيب بن الورد قال يقول الله تعالى ابن آدم اذا ظلمت فاصبر وارض بنصري فان نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن وهيب قال بلغني انه مكتوب في التوراة فذكره (وأرفع لمنزلته) مقداره العلي (ورده) تعالى على عدوه بتكذيبهم (أبلغ من رده) لنفسه صلى الله عليه وسلم باقامة الحجة وان كانت ليست لنفسه بل لله المراد لو كان له رد ونصرة كما مر (وأثبت) أعظم وأقوى ثباتا (في ديوان مجده) شرفه من أن يثبته هو بنفسه فما أمضاه الله لا نقض له فاستعار لمجده ديوانا يثبت فيه فاذا أثبته الله كان أتم وأكبر ثباتا وهكذا هو باق الى الابد (فأقسم تعالى بما أقسم به من عظيم آياته) أجمله ليأتي على الخلاف السابق في تفسيره (على تنزيه رسوله وحبيبه وخليله مما غمصته) بفتح الغين المعجمة والميم وبكسر الميم أيضا وصاد مهملة أي احتقرته وعابته (أعداؤه الكفرة به وتكذيبهم له بقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون) بدل من قوله من عظيم آياته بدل بعض من كل أو متعلق بتنزيه (وسيعلم اعداؤه المكذبون له أيهم المفتون) فيه اشارة الى ان الباء زائدة وهو أحد وجوه سبقت (هو أو هم) واقتصر على الاعداء مع ان الآية فستبصر ويبصرون لان القصد اخباره بأنهم سيعلمون ذلك وأما ذكره عليه السلام فيها فلانه ادعى للقبول في مقام المحاجة نحو وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين وقول حسان أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما فداء
(وقد علموا هم والعقلاء) من غيرهم (ذلك) أي انهم المفتونون لا هو (في الدنيا) متعلق بعلموا (ويزداد علمهم به في البرزخ) القبر (وينكشف ويظهر كل الظهور في الآخرة بحيث تتساوى الخلق

سبحانه بتناقصه وهبوطه اتم المصلحة بالتمكن من الزرع واجتمع في هذا الماء الامور العشرة التي تقدم ذكرها وكان من ألطف المياه وأخفها وأعذبها وأحلاها * ماء البحر ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقد جعله الله سبحانه ملحا أجاجا مرا زعاقا لتمام مصالح من هو على وجه الارض من الآدميين والبهائم فانه دائم راكد كثير الحيوان وهو يموت فيه كثيرا ولا يقبر فلو كان حلوا لانتن من اقامته وموت حيوانه فيه وأجاف وكان الهواء المحيط بالعالم يكتسب منه ذلك وينتن ويجيف فيفسد العالم فاقتضت حكمة الرب سبحانه وتعالى ان جعله كالملاحة التي لو ألقي فيه جيف العالم كلها وانتانه وأمواته لم تغيره شيأ ولا يتغير على مكثه من حين خلق والى أن يطوي الله العالم فهذا هو السبب الغائي الموجب لملوحته وأما الفاعلي فكون أرضه سبخة مالحة وبعد فالاغتسال به نافع من آفات عديدة في ظاهر الجلد وشربه مضر بداخله وخارجه فانه يطلق البطن ويهزل ويحدث حكة وجربا ونفخا وعطشا ومن اضطر الى شربه فله طرق من العلاج يدفع به مضرته منها أن يجعل في قدر ويجعل فوق القدر

كاهم في العلم به وقال تعالى) عطف على بقوله ما أنت من عطف الفعل على اسم يشبه الفعل وهو المصدر والمعنى بقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون وبقوله (وما صاحبكم بمجنون) فقال فلا أقسم بالخنس الخ (ولما رأى العاصي بن وائل السهمي) أحد المستهزئين الميت على كفره (النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو) أي العاصي (يدخل فالتقيا عند باب بني سهم) بطن من قريش (وتحدثا وأناس من صناديد) جمع صنديد وهو السيد الشجاع أو الحليم أو الجواد أو الشريف كما في القاموس (قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاصي قالوا له من ذا الذي كنت تحدث) بحذف احدى التاءين (معه قال ذلك الابتر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة) وهو القاسم أول من مات من ولده أو عبد الله روايتان (فرد الله تعالى عليه وتولى جوابه بقوله ان شانئك هو الابتر أي عدوك ومبغضك هو الذليل الحقير) الذي لا عقب له ولا حسن ذكر وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك فيها ما لا يدخل تحت الوصف ولا يرد أن العاصي أعقب عمرا وهشاما لانهما لما أسلما انقطع عقبه منهما فصارا من اتباع المصطفى وازواجه أمهاتهما (ولما قالوا) أي الذين كفروا على جهة التعجب لبعض هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد (أفترى) بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل (على الله كذبا) في ذلك (أم به جنة) جنون تخيل ذلك به (قال الله تعالى) ردا عليهم (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) المشتملة على البعث والعذاب (في العذاب والضلال البعيد) من الحق في الدنيا قال البيضاوي رد الله عليهم ترديدهم وأثبت لهم ما هو أفظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب (ولما قالوا ٢ لست مرسلا أجاب الله تعالى عنه) بالاقسام (فقال يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين) ومرت مباحث ذلك ولم يجعل الجواب من بقية الآية وهي قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب أي على صدقي لعدم صراحتها في الرد (ولما قالوا أئنا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين (لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) أي لاجل قول محمد (رد الله تعالى عليهم فقال بل جاء بالحق وصدق المرسلين) الجائين به وهو لا اله الا الله (فصدقه ثم ذكر وعيد خصمائه فقال انكم لذائقو العذاب الاليم) وما تجزون الا ما كنتم تعملون (ولما قالوا) ما حكى الله عنهم بقوله (أم يقولون) هو (شاعر نتربص به ريب المنون) حوادث الدهر فيهلك كغيره من الشعراء وقيل المنون الموت (رد الله عليهم بقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي) يسهل (له) الشعر (ان هو) أي الذي أتى به (الا ذكر) عظة (وقرآن مبين) مظهر للاحكام وغيرها وذكر وعيدهم بقوله لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين (ولما حكى الله عنهم قولهم ان هذا الا افك) كذب (افتراه) محمد (وأعانه عليه قوم آخرون) من أهل الكتاب (سماهم الله تعالى كاذبين بقوله فقد جاؤا ظلما وزورا) كفرا وكذبا أي بهما (وقال) راد القولهم أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا (قل أنزله الذي يعلم السر) الغيب (في السموات والارض) انه كان حليما غفورا (ولما قالوا يلقيه اليه الشيطان قال الله تعالى) لهم (وما تنزلت به الشياطين) كما زعم المشركون انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة (وما ينبغي) يصلح (لهم) أن ينزلوا به (وما يستطيعون) ذلك انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون أي محجوبون بالشهب (ولما تلا عليهم نبأ) خبر (الاولين قال النضر بن الحرث) الكافر المقتول بعد بدر المشتري لهو الحديث (لو نشاء لقلنا مثل هذا) لانه كان يأتي الحيرة يتجر فيشتري كتب اخبار الاعاجم ويحدث بها أهل مكة ويقول ان محمدا يحدثكم احاديث عاد وثمود وأنا أحدثكم

---

٢ قوله لست مرسلا أجاب الخ في بعض نسخ المتن بعد قوله مرسلا زيادة قوله يعني اليهود اهـ

قصبات وعليها صوف جديد منفوش ويوقد تحت القدر حتى يرتفع بخارها الى الصوف فاذا كثر عصره ولا يزال يفعل ذلك حتى يجتمع له ما يريد فيحصل في الصوف من البخار ما عذب ويبقى في القدر الزعاق ومنها أن يحفر على شاطئه حفرة واسعة يرشح ماؤه اليها ثم الى جانبها قريبا منها أخرى ترشح هي اليها ثم ثالثة الى أن يعذب الماء واذا ألجأته الضرورة الى شرب الماء الكدر فعلاجه أن يلقي فيه نوى المشمش أو قطعة من خشب الساج أو جمرا ملتهبا يطفأ فيه أو طينا أرمنيا أو سويق حنطة فان كدرته ترسب الى أسفل * مسك ثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أطيب الطيب المسك وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها كنت أطيب النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يحرم ويوم النحر وقبل أن يطوف بالبيت بطيب فيه مسك المسك ملك أنواع الطيب وأشرفها وأطيبها وهو الذي يضرب به الامثال ويشبه به غيره ولا يشبه بغيره وهو كثبان الجنة وهو حار يابس في الثانية يسر النفس ويقويها ويقوي الاعضاء الباطنة جميعها شربا وشما والظاهرة اذا وضع عليها

حديث

حديث فارس والروم فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن (ان) ما (هذا) القرآن (الا أساطير) أكاذيب (الاولين قال الله تعالى تكذيبا لهم قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) في الفصاحة والبلاغة (لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) أي معينا (ولما قال الوليد بن المغيرة) المخزومي الميت على كفره (ان) ما (هذا) القرآن (الا سحر يؤثر) ينقل عن السحرة (ان هذا الا قول البشر) كما قالوا انما يعلمه بشر (قال الله تعالى كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا) هو (ساحر أو مجنون تسلية له عليه الصلاة والسلام) لان المعنى مثل تكذيبهم لك بقولهم انك ساحر أو مجنون تكذيب الامم قبلهم لرسلهم بقولهم ذلك (ولما قالوا ان محمدا قلاه ربه) أبغضه (فرد) بالفاء في جواب لما لغة قليلة (الله عليهم بقوله ما ودعك ربك وما قلى) ما أبغضك (ولما قالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز) أي من السماء ينفقه ولا يحتاج الى المشي في الاسواق لطلب المعاش (أو تكون له جنة يأكل منها) أي من ثمارها فيكتفي بها (قال الله تعالى وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) فأنت مثلهم في ذلك وقد قيل لهم كما قيل لك وكسرت ان لان المستثنى محذوف أي الا رسلا انهم أو جملة انهم حالية اكتفي فيها بالضمير (ولما حسدته اعداء الله اليهود على كثرة النكاح والزوجات) لانه صفة كمال لا يقدرون عليها وعبروا عن هذا (وقالوا ماهمته الا النكاح) لايهام الاعتراض والتوبيخ خلاف ما أبطنوه من الحسد الذي هو تمني زوال نعمة المحسود (رد الله عليهم عن رسوله ونافح) بالفاء والحاء المهملة أي منع ودافع (عنه فقال أم يحسدون الناس) أي محمدا صلى الله عليه وسلم (على ما آتاهم الله من فضله) من النبوة وكثرة النساء أي يتمنون زواله عنه ويقولون لو كان نبيا لاشتغل عن النساء (فقد آتينا آل ابراهيم) جد محمد صلى الله عليه وسلم كموسى وداود وسليمان (الكتاب والحكمة) النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) فكان لداود تسع وتسعون امرأة ولسليمان ألف ما بين حرة الى سرية (ولما استبعدوا أن يبعث الله رسولا من البشر بقولهم الذي حكاه الله عنهم وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا) أي قولهم منكرين (أبعث الله بشرا رسولا وجهلوا أن التجانس يورث التوانس) فيمكن مخاطبته والفهم عنه (وان التخالف) في الجنس (يورث التباين) فلا يمكن ذلك فمن حكمة الله جعل الرسول بشرا لا ملكا (قال الله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) يحتمل انه حال من رسولا وانه مفعول وكذلك بشرا والاول أوفق (أي لو كانوا ملائكة لوجب أن يكون رسولهم من الملائكة لكن لما كان أهل الارض من البشر وجب ان يكون رسولهم من البشر) لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي معه وأما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس قاله البيضاوي وفي الشفاء أي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه أو من خصه الله واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل وفي الآية الاخرى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون أي جعلناه على صورة رجل ليتمكنوا من رؤيته اذ لا قدرة للبشر على رؤية الملك (فما أجل هذه الكرامة) أي الاكرام من الله لنبيه حيث كان هو الراد عنه لا الامر الخارق للعادة (وقد كان الانبياء انما يدافعون عن أنفسهم ويردون على أعدائهم كقول نوح عليه السلام) وادا القولهم له انا لنراك في ضلال مبين قال (يا قوم ليس بي ضلالة) هي أعم من الضلال فنفيها أبلغ من نفيه (وقول هود) دفعا لقولهم انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال (يا قوم ليس بي سفاهة) جهالة (واشباه ذلك) من دفعهم عن أنفسهم

بياض العين وينشف رطوبتها ويفش الرياح منها ومن جميع الاعضاء ويبطل عمل السموم وينفع من نهش الافاعي ومنافعه كثيرة جدا وهو أقوى المفرحات * مرزنجوش ورد فيه حديث لا نعلم صحته عليكم بالمرزنجوش فانه جيد للخشام والخشام الزكام وهو حار يابس في الثانية ينفع شمه من الصداع البارد والكائن عن البلغم والسوداء والزكام والرياح الغليظة ويفتح السدد الحادثة في الرأس والمنخرين ويحلل أكثر الاورام الباردة فينفع من أكثر الاورام والاوجاع الباردة الرطبة واذا احتمل أدر الطمث وأعان على الحبل واذا دق ورقه اليابس وكمد به أذهب آثار الدم العارض تحت العين واذا ضمد به مع الخل نفع لسعة العقرب ودهنه نافع لوجع الظهر والركبتين ويذهب بالاعياء ومن أدمن شمه لم ينزل في عينيه الماء واذا سعط بمائه مع دهن اللوز المر فتح سدد المنخرين ونفع من الريح العارضة فيها وفي الرأس * ملح روى

ابن ماجه في سننه من حديث أنس يرفعه سيد ادامكم الملح وسيد الشيء هو الذي يصلحه ويقوم عليه وغالب الادام انما يصلح بالملح وفي

*(النوع العاشر في ازالة الشبهات) جمع شبهة وهي ما يرى دليلا وليست بدليل لفساد القياس أو لغير ذلك (عن آيات وردت في حقه عليه الصلاة والسلام متشابهات) محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال أو مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر أو دل القاطع على أن ظاهرها غير مراد ولم يدل على المراد وتطلق المتشابهات أيضا على ما استأثر الله بعلمه وليس بمرادهنا (قال الله تعالى ووجدك ضالا فهدى) أي منها هذه الآية لان القواطع دلت على ان ظاهرها ليس بمراد وأفاد هذا بنقل الاجماع بقوله (اعلم انه قد اتفق العلماء على انه صلى الله عليه وسلم ماضل لحظة) واحدة (قط) بأن ظن بالله ما هو محال عليه (وهل هو) أي الضلال المفهوم من قوله ماضل (جائز عقلا على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قبل النبوة قالت المعتزلة هو غير جائز عقلا لما فيه) أي تجويز تلبسهم به وظهوره عليهم (من التنفير) عن اتباعهم بعد الوحي واجابتهم للايمان والطاعة ولا يخفى ان هذه علة باردة فالتنفير فعل المنفر وأي فعل في تجويز العقل فالتجويزات العقلية لا يلزم منها شئ البتة فالعقل يجوز انقلاب البحر دما والحجر ذهبا ونحو ذلك قرره شيخنا (وعند أصحابنا) أهل السنة (انه جائز في العقول) وهو أبلغ في اتباعهم لانه حيث جاز عقلا ولم يقع علم انهم مصطفون عند الله صادقون فيما أخبروا به عنه (ثم يكرم الله من أراده بالنبوة) بالعصمة من ابتدائه الى منتهاه فحذف صلة يكرم ولذا عدل عن أن يقول ثم يكرمهم (الا أن الدليل السمعي قام على أن هذا الجائز لم يقع) لنبي من الانبياء أصلا (قال الله تعالى ماضل صاحبكم وما غوى قاله الامام فخر الدين) الرازي ويقال عليه الآية في حق نبينا فكيف صح جعلها دليلا على جميع الانبياء اذ لا يلزم من نفي ذلك عنه نفيه عنهم ثم هي انما سيقت في مقام نفي ما نسبه المشركون اليه وكان بعد النبوة والجواب أما الاول فالعلة في نفي الضلال العصمة لاكرام الله تعالى له بالنبوة وهذه العلة يشاركه فيها جميع الانبياء فالآية نص فيه وقياس في باقيهم وأما الثاني فالافعال بمنزلة النكرات والنكرة تعم فكأنه قال ما صدر منه ضلال لا قبل النبوة ولا بعدها (وقال الامام أبو الفضل) عياض (اليحصبي) العلم الشهير (في الشفاء) وأما عصمتهم من هذا الشئ قبل النبوة فللناس فيه خلاف (والصواب) أي القول الموافق للواقع وللادلة الدالة على ان خلافه خطأ من قائله (أنهم معصومون) محفوظون مصونون (قبل النبوة من الجهل بالله تعالى) أي بوجود ذاته (وصفاته) فلا يجهلون شيأ منها (و) معصومون أيضا من (التشكيك) لانفسهم (في شئ من ذلك) وفي نسخة أو التشكيك بالعطف بأو الفاصلة أي لا يقع في نفسهم شك في الذات ولا في صفة من صفاتها لان فطرتهم جبلت على التوحيد والايمان واما قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فالمراد به ما لا يعلم الا بالوحي كوجوب الصلاة ونحوه من فروع الشريعة (وقد تعاضدت) أي تقوت مأخوذ من العضد وهو ما بين المرفق الى الكتف ولكون عمل الانسان واعتماده بذلك قيل عضدته بمعنى قويته قاله الراغب وقال التلمساني أي قوى بعضها بعضا تفاعل من اثنين لقيام كل واحد من الاخبار مع صاحبه حتى حصلت القوة التامة بذلك (الاخبار والآثار) بمعنى وقيل الخبر المرفوع والاثر قول الصحابي ومن دونه والمراد بها ما اشتهر من أحوالهم وصفاتهم المأثورة المعروفة عند كل أحد (عن الانبياء) كلهم والمرسلين بأسرهم وليس المراد أنه نقل عنهم بل عرف عنهم وفي حقهم فلم يصب من قدر وعن غيرهم (بتنزيههم) أي تبرئتهم (عن هذه النقيصة) بصاد مهملة أي الصفة المنقصة لمن اتصف بها (منذ ولدوا) الى آخر عمرهم (ونشأتهم) بالجر عطف على تنزيههم أي وبنشأتهم أي ابتداء خلقهم لا زمن شبابهم كما توهم (على التوحيد) وهو عدم الشرك (والايمان) بالله وبكل ما يجب الايمان به (بل) للانتقال على سبيل الترقي (على اشراق) أي شدة ظهور (أنوار المعارف) في أحوالهم وأقوالهم أي معرفة ذات الله وصفاته

مسند البزار مرفوعا سيوشك أن تكونوا في الناس مثل الملح في الطعام ولا يصلح الطعام الا بالملح وذكر البغوي في تفسيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعا ان الله أنزل أربع بركات من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والملح والموقوف أشبه الملح يصلح أجسام الناس وأطعمتهم ويصلح كل شئ يخالطه حتى الذهب والفضة وذلك أن فيه قوة تزيد الذهب صفرة والفضة بياضا وفيه جلاء وتحليل واذهاب للرطوبات الغليظة وتنشيف لها وتقوية للابدان ومنع من عفونتها وفسادها ونفع من الجرب المتقرح واذا اكتحل به قلع اللحم الزائد من العين ومحق الظفرة والاندراني أبلغ في ذلك ويمنع القروح الخبيثة من الانتشار ويحدر البراز واذا دلك به بطون أصحاب الاستسقاء نفعهم وينقي الاسنان ويدفع عنها العفونة ويشد اللثة ويقويها ومنافعه كثيرة

(حرف النون)

نخل مذكور في القرآن في غير موضع وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أتي بجمار نخلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل المسلم لا يسقط ورقها أخبروني ما هي

وكل ما يتعلق به (ونفحات) جمع نفحة وهي الروائح الطيبة التي تفوح (ألطاف السعادة) أي كونهم سعداء الدارين فشبه ما يلوح منهم من أماراتها برائحة طيب يعبق فيملأ الكون (ولم ينقل أحد من أهل الاخبار) عن أحد غيره (ان أحدا نبئ) بهمز آخره أي صيره الله نبيا (واصطفى) أي اصطفاه الله واختاره (ممن عرف بكفر واشراك) عطف خاص على عام (قبل ذلك) أي نبوته واصطفائه (ومستند) اسم مفعول أي ما يستند اليه ويعلم به (هذا الباب) أي باب معرفة أحوال الانبياء (النقل) عن الاخبار والآثار ويؤيده العقل الدال على انه تعالى لا يختار من خلقه لنبوته الا من كان كذلك فليس المراد الحصر وقد عقبه عياض بما يدل على موافقة العقل للنقل ثم قال بعد كلام طويل في الاجوبة عن آيات وأحاديث ليس المراد ظاهرها (وقد استبان) أي تبين والسين للتأكيد لا الطلب ولان ما يثبت من شأنه ان يناقش فيه (بما قررناه) الباء للسببية فاذا تأملته بان لك (ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته) بأن ينفي وجود ذاته أو يتردد فيه أو ينفي شيأ من صفاته أو يعتقد شيأ منها على خلاف حقيقته وكذا سائر الانبياء (أو) استبان لك عصمته من (كونه) أي وجوده وخلقه كسائر الانبياء (على حالة تنافي العلم بشئ من ذلك) أي ذاته وصفاته (كله جملة) فلا يجهل شيأ من ذلك أصلا لا سيما (بعد النبوة عقلا) وشرعا لاقتضائه بحيازته جميع الشرف والكمال لانه تعالى لا يصطفي الا من هو كذلك (واجماعا) من كل المسلمين (وقبلها سمعا ونقلا) في الاحاديث الصحيحة والجمع بينهما للتوكيد والمنصوبات تمييز (ولا بشئ) عطف على قوله بشئ قبله أي ولا كونه على حالة تنافي العلم بشئ (مما قرره من أمور الشرع) الذي أمر بتبليغه (وأداه) أوصله وبلغه (عن ربه من الوحي قطعا) مقطوعا به متيقنا بلا خلاف (عقلا وشرعا) لانه مناف لارساله به وأمره بتبليغه فكيف يجوز عليه جهل شئ منه فالانبياء معصومون من ذلك لدلالة المعجزات على علمهم بصدقهم فيما بلغوه عن الله والا كان افتراء على الله وهو باطل عقلا وشرعا (وعصمته) بالجر عطف على عصمته الاولى (عن الكذب) لمنافاة المعجزة له (وخلف القول) لثلا يتهم في تبليغه (منذ نبأه الله وأرسله) فلم يصدر عنه شئ منه وهو مستحيل (قصدا) بأن يقول ما يخالف ما أرسل به اختيارا (أو غير قصدا) فلا يقع ذلك منه سهوا ونسيانا واليه ذهب أبو اسحق الاسفرايني وجوزه الباقلاني لعدم منافاته للمعجزة لانه لا يقر عليه (واستحالة ذلك) الكذب والخلف (عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا) وفي نسخة أو قبل قوله نظرا وهي أحسن لان المعنى ان استحالة ذلك شرعا واجماعا مما دل عليه النظر والدليل العقلي (وتنزيهه) أي تبرئته (عنه قبل النبوة قطعا) لتواتره فكان يسمى الامين لانه مأمون قولا وفعلا (وتنزيهه عن الكبائر اجماعا) لرفعة قدره عنها (وعن الصغائر تحقيقا) اثباتا بالدلائل المفيدة لذلك فالتحقيق اثبات المسئلة بدليلها أو أمرا محققا والتجويز بعضهم لها لم يقل اجماعا أو قصدا بقرينة قوله (وعن استدامة السهو والغفلة) عطف تفسير لبعد ساحة التبليغ عنها فان وقع نبه عليه بسرعة ولله در القائل

ياسائلي عن رسول الله كيف سها * والسهو من كل قلب غافل لاهي
قد غاب عن كل شئ سره فسها * عما سوى الله فالتعظيم لله

(و) عن (استمرار الغلط والنسيان عليه) حفظا له بايقاظ قلبه وتنبيهه (فيما شرعه للامة) لان استمراره مناف لتشريعه له (وعصمته) بالجر ويجوز رفعه مخبره كائنة (في كل حالاته من رضا وغضب وجد) بكسر الجيم ضد الهزل (ومزح) فان مزح لا يقول الا حقا (ما يجب لك) بدل من قوله ما هو الحق ويجوز أن ما للتأكيد القلة في الحالات الاربع ويجب مستأنف ولفظ الشفاء فيجب عليك (ان تتلقاه) أي تأخذه وتعلمه (باليمين) أي بالقبول واليمن والبركة لانه يؤخذ بها ما ينتفع

فوقع الناس في شجر البوادي فوقع في نفسي أنها النخلة فأردت أن أقول هي النخلة ثم نظرت فاذا أنا أصغر القوم سنا فسكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة فذكرت ذلك لعمر فقال لان تكون قلتها أحب الي من كذا وكذا في هذا الحديث القاء العالم المسائل على أصحابه وتمرينهم واختبار ما عندهم وفيه ضرب الامثال والتشبيه وفيه ما كان عليه الصحابة من الحياء من أكابرهم واجلالهم وامساكهم عن الكلام بين أيديهم وفيه فرح الرجل باصابة ولده وتوفيقه للصواب وفيه أنه لا يكره للولدان يجيب بما عرف بحضرة أبيه وان لم يعرفه الاب وليس في ذلك اساءة أدب عليه وفيه ما تضمنه تشبيه المسلم بالنخلة وكثرة خيرها ودوام ظلها وطيب ثمرها ووجوده على الدوام وثمرها يؤكل رطبا ويابسا وبلحا ويانعا وهو غذاء ودواء وقوت وحلوى وشراب وفاكهة وجذوعها للبناء والآلات والاواني ويتخذ من خوصها الحصر والمكاتل والاواني والمراوح وغير ذلك ومن ليفها الحبال والحشايا وغيرها ثم آخر شئ نواها علف للابل ويدخل في الادوية والاكحال ثم جمال ثمرتها ونباتها وحسن هيأتها وبهجة منظرها وحسن نضد ثمرها وصنعته

به لسهولة العمل بها عادة والعرب تقول لما يتمدح به أخذه باليمين قال الشماخ

إذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

(وتشد عليه يد الضنين) البخيل وزنا ومعنى من الضنة وهى شدة البخل أى تحرص على حفظ ما ذكر من تنزيه قدره عما ذكر كحرص البخيل على ما فى يده لشدة بخله وخوفه من ذهابه وفيه مع اليمين مراعاة النظير وفسر بالقوة ولا يناسب هنا (فان من يجهل ما يجب للنبى صلى الله عليه وسلم) اعتقاده (أو يجوز أو يستحيل عليه) أى يمتنع فى حقه شرعا وعقلا وعادة (ولا يعرف صور أحكامه) أى الحكم المتصور فى حقه من وجوب وجواز وحرمة (لا يأمن أن يعتقد فى بعضها خلاف ما هى عليه) فيقع فيما لا يجوز اعتقاده (ولا ينزهه عما لا يجوز أن يضاف) أى ينسب (إليه) ويوصف به (فيهلك) أى يقع فى أمر هو سبب هلاكه فى الدارين (من حيث لا يدرى) لجهله (ويسقط فى هوة) بضم الهاء وشد الواو وهو العميق كالبئر (الدرك) بفتحتين وقد تسكن الراء ما ينزل به إلى (الأسفل) من دركات المنازل (من النار) أى نار جهنم فالتعريف للعهد وهى هنا مجاز عن محلها أو يستعمل كثيرا بهذا المعنى وهو عبارة عن عقابه أشد العقاب فى الآخرة بسبب ما ذكر ولذا علله بقوله (إذ ظن الباطل به) أى ما لا يصح فى حقه (واعتقاده) على طريق الجزم (ما لا يجوز عليه) شرعا وعقلا (يحل) بضم الياء وكسر الحاء وشد اللام وفاعله ضمير ما ذكر من الظن والاعتقاد أى يحل (صاحبه) أى ذلك الاعتقاد (دار البوار) بفتح الموحدة الهلاك يعنى جهنم وهو من أسمائها أى يجعله حالا فيها وضبط البرهان يحل بفتح أوله وضم ثانيه وصاحبه فاعل وهو جائز أيضا وطالب الرواية فى مثل هذا عناء بلا طائل فنطق عياض بأحد الضبطين لا يمنع الثانى فهو كلام لا حديث يمنع بغير ما روى به قال فى الشفاء ولهذا احتاط على الرجلين اللذين رأياه ليلا فى المسجد مع صفية فقال لهما إنها صفية ثم قال إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيأ فتهلكا ثم قال بعد طول جوز جماعة من السلف وغيرهم من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين الصغائر على الأنبياء وذهب طائفة إلى الوقف وذهب المحققون من الفقهاء والمتكلمين إلى عصمتهم منها كالكبائر ثم قال بعد كلام قليل ما حكاه المصنف بقوله (وقد استدل بعض الأئمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير إلى امتثال أفعالهم) أى فعل مثلها اقتداء بهم فلو وقع ذلك منهم أو جاز فعله الناس وظنوه شرعا فلذا عصموا منها لأن ذنب العظيم عظيم وإن قل (واتباع آثارهم وسيرتهم مطلقا) سواء كانت ضرورية أم جبلية كالقيام والقعود والأكل والشرب فإنا نتأسى بهم فيه وإن كان مباحا لأن الأصل فى أفعالهم أنها حسنة شرعية فيتبعون فى كل ما صدر منهم لأن الأصل أرجح من الظاهر (وجمهور الفقهاء على ذلك) أى اتباع آثارهم مطلقا إن لم يعلم أنه خصوصية لهم (من أصحاب) أى كبار مذهب (مالك والشافعى وأبى حنيفة من غير التزام) قيام (قرينة) تدل على أنه فعله للتشريع والاقتداء به فيه (بل) يقتدى بفعله (مطلقا) من غير التزام قرينة المشروعية (عند بعضهم وإن اختلفوا) بعد القول (فى حكم ذلك) فذهب كثير من الفقهاء والمحدثين وأكثر الشافعية إلى استحباب اتباعه فى الأمور الجبلية كغيرها وذهب جماعة إلى أنه مباح أحسن من غيره وحكى أبو الفرج وابن خويزمنداد عن مالك الوجوب وبه قال أكثر أصحابنا وأكثر أهل العراق وابن سريج والاصطخرى وابن خيران من الشافعية هذا ملخص ما حذفه المصنف من الشفاء قبل قوله (فلو جوزنا عليهم) فعل (الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم فى أفعالهم) مطلقا كما أمرنا به (إذ ليس كل فعل من أفعاله) كغيره منهم (يتميز مقصده) أى ما قصده به (من القربة) بأن يكون واجبا أو مندوبا (والإباحة) بأن لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب

وبهجته ومسرة النفوس عند رؤيته فرؤيتها مذكرة لفاطرها وخالقها وبديع صنعته وكمال قدرته وتمام حكمته ولا شئ أشبه بها من الرجل المؤمن إذ هو خير كله ونفع ظاهر وباطن وهى الشجرة التى حن جذعها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فارقه شوقا إلى قربه وسماع كلامه وهى التى نزلت تحتها مريم لما ولدت عيسى وقد ورد فى حديث فى إسناده نظر أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذى خلق منه آدم وقد اختلف الناس فى تفضيلها على الحبلة أو بالعكس على قولين وقد قرن الله بينهما فى كتابه فى غير موضع وما أقرب أحدهما من صاحبه وإن كان كل واحد منهما فى محل سلطانه ومنبته والأرض التى توافقه أفضل وأنفع

* نرجس فيه حديث لا يصح عليكم بشم النرجس فإن فى القلب حبة الجنون والجذام والبرص لا يقطعها إلا شم النرجس وهو حار يابس فى الثانية وأصله يدمل القروح الغائرة إلى العصب وله قوة غسالة جالية جابذة وإذا طبخ وشرب ماؤه أو أكل مسلوقا هيج القيء وجذب الرطوبة من قعر المعدة وإذا طبخ مع الكرسنة والعسل نقى أوساخ

أو مدح أو ذم (والحظر) بالمشالة أى المنع شرعا لكونه محرما أو مكروها أو خلاف الاولى فقوله (والمعصية) تفسير أو يخص المعصية بالحرام والحظر بخلاف الاولى والمكروه (انتهى) مانقله عن عياض وقال عقبه ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية لاسيما على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا وما كان ينبغى للمصنف حذف هذا لانه من جملة الدليل وما كان يزيده الكتاب (واختلف فى تفسير هذه الآية على وجوه كثيرة أحدها أى وجدك ضالا عن معالم النبوة) أى مظانها وهى ما أنزل عليه من القرآن وغيره وما ظهر عليه من الآيات فالمعالم جمع معلم مظنة الشئ وما يستدل به عليه كما فى القاموس وزاد المصنف معالم الشفاء لعله اشارة الى أن النبوة نفسها الاخبار بها كأن قيل له أنت نبى أو وجد ما يدل على اتصافه بالنبوة من غير وحى بشرع لا يفيده هداية وانما يفيدها الآثار الآتية من الشرع التى يعمل بها وان لم يؤمر بتبليغها قرره شيخنا (وهو مروى عن ابن عباس والحسن) البصرى (والضحاك وشهر بن حوشب) وقال به ابن جرير لان الضلال لغة العدول عن الاستقامة وضده الهداية فكل عدول ضلال سواء كان عمدا أم لا فمعناه غير مهتد لما سبق لك من النبوة فهداك اليها كقوله فعلتها اذا وأنا من الضالين (ويؤيده قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان أى ما كنت تدرى قبل الوحى أن تقرأ القرآن) أى لا تعرف قراءته ولا دراسته (ولا كيف تدعوا الخلق الى الايمان) قيل وهذا فى غاية البعد لانه تقدير بلا قرينة تدل عليه ووجه بأن تعريف الايمان عهدى والمراد ايمان أمته أى لا تدرى كيف يؤمن قومك وبأى طريق يدخلون فى الايمان وبعده لا يخفى (قاله السمرقندى) الامام أبو الليث الحنفى (وقال بكر) بن العلاء (القاضى) القشيرى المالكى (ولا الايمان الذى هو الفرائض والاحكام) الشرعية التى كلف بها علما وعملا (فقد كان عليه الصلاة والسلام قبل) أى قبل النبوة (مؤمنا بتوحيده) أى بانه منفرد بالالوهية لا شريك له (ثم نزلت الفرائض التى لم يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف) أى بسبب ما كلف به من الفرائض (ايمانا وسيأتى آخر هذا النوع مزيد لذلك ان شاء الله) فانه ذكر هنا للتأكيد (الثانى من معنى قوله تعالى ضالا ما روى مرفوعا مما ذكره الامام فخر الدين الرازى) مما يفيد أنه على حقيقته فانه يقال ضل الرجل الطريق وضل عنه زال عنه فلم يهتد اليه فهو ضال وذلك (أنه عليه الصلاة والسلام قال ضللت) بفتح اللام من باب ضرب لغة نجد وهى الفصحى وبها جاء القرآن فى قوله قل ان ضللت فانما أضل على نفسى وفى لغة لاهل العالية من باب تعب أى تهت وغبت (عن جدى عبد المطلب) وأصل الضلال الغيبة ومنه قيل للحيوان الضائع ضالة (وأنا صبى حتى كاد) قارب (الجوع يقتلنى فهدانى الله) وردنى اليه وفى سيرة ابن اسحق زعموا ان أمه السعدية لما قدمت به مكة ضل منها فى الناس فأتت جده فأخبرته فقام عند الكعبة فدعا الله ان يرده فوجده ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش فأتيا به الى عبد المطلب فأخذه على عنقه وطاف وعوذه ودعا له ثم أرسله الى آمنة ويروى ان عبد المطلب تصدق بألف ناقة كوماء وخمسين رطلا من ذهب وجهز حليمة أفضل الجهاز (الثالث يقال ضل الماء فى اللبن اذا صار مغمورا) من تقديم الدليل على المدلول واذا كان كذلك (فمعنى الآية كنت مغمورا بين الكفار بمكة فقواك الله حتى أظهرت دينه الرابع ان العرب تسمى الشجرة الفريدة فى الفلاة) الارض لا ماء فيها والجمع فلا مثل حصا وحصاة وجمع الجمع أفلاء مثل سبب وأسباب (ضالة كأنه تعالى يقول كانت تلك البلاد) مكة وما حولها (كالمفازة) الموضع المهلك مأخوذ من فوز بالتشديد اذا مات لانها مظنة الموت وقيل من فاز اذا نجا وسلم سميت به تفاؤلا بالسلامة (ليس فيها شجرة تحمل ثمر الايمان بالله تعالى ومعرفته الا أنت فأنت شجرة فريدة فى مفازة الجهل) ولم يذكر الجوهرى وأتباعه هذا وما قبله من معانى ضل

الفروج وفجر الدبيلات العسرة النضج وزهره معتدل الحرارة لطيف ينفع الزكام البارد وفيه تحليل قوى ويفتح سدد الدماغ والمنخرين وينفع من الصداع الرطب والسوداوى ويصدع الرؤس الحارة والحرق منه اذا شق بصله صليبا وغرس صار مضاعفا ومن أدمن شمه فى الشتاء أمن من البرسام فى الصيف وينفع من أوجاع الرأس الكائنة من البلغم والمرة السوداء وفيه من العطرية ما يقوى القلب والدماغ وينفع من كثير من أمراضها وقال صاحب التيسير شمه يذهب بصرع الصبيان * نورة روى ابن ماجه من حديث أم سلمة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا طلى بدأ بعورته فطلاها بالنورة وسائر جسده وقد ورد فيها عدة أحاديث هذا أمثلها وقد قيل ان أول من دخل الحمام وصنعت له النورة سليمان بن داود وأصلها كلس جزآن وزرنيخ جزء يخلطان بالماء ويتركان فى الشمس أو الحمام بقدر ما تنضج وتشتد زرقته ثم يطلى به ويجلس ساعة ريثما يعمل ولا يمس بماء ثم يغسل ويطلى مكانها بالحناء لاذهاب ناريتها * نبق ذكر أبو نعيم

لكن اللغة واسعة (الخامس قد يخاطب السيد والمراد قومه) لاستحالة وصف السيد بذلك الوصف أو باستعمال اسمه في اسم قومه مجازا (أي وجد قومك ضالين فهداهم بك وبشرعك) عطف تفسير لقوله بك المعبر به عن ذاته وأسند الهداية اليها مبالغة في مدحه حتى كأن ذاته نور يهتدى به بمجرد رؤيته صلى الله عليه وسلم وجعله شرعه لظهوره على يديه ومجيئه به (السادس) ضالا (أي محبا لمعرفتي) فهداك بأنوار الهداية والعناية (وهو مروي عن) أبي العباس أحمد (بن عطاء) الادمي بفتحتين الصوفي له لسان في فهم القرآن يختص به ولما كان هذا خلاف المشهور راغة بينه ابن عطاء نفسه بقوله (والضال المحب كما قال تعالى) عن اخوة يوسف خطابا لابيهم (انك لفي ضلالك القديم أي محبتك القديمة) ليوسف لا تنساه وهذا منقول عن قتادة وسفيان فلا يضر عدم وجوده في الصحاح واتباعه فاللغة واسعة (ولم يريدوا هنا) في هذه الآية ضلاله (في الدين) بأن يعتقدوا اخطأه في دينه باعتقاده خلافه أو اصراره على ما ينافيه (اذ لو قالوا ذلك في نبي الله) يعقوب (لكفروا) بنسبته الى ما لا يجوز عليه وتحقيره لكن عدم ارادة ذلك لا يستلزم حمله على المحبة لجواز أن يريدوا التي تحيرك عما يوصلك الى العلم بحال يوسف أو نحو ذلك وفي الانوار لفي ذهابك عن الصواب قديما بالافراط في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه (السابع أي وجدك ناسيا فذكرك وذلك ليلة المعراج نسي ما يجب أن يقال بسبب الهيبة) من الله تعالى (فهداه الله تعالى الى كيفية) أي صفة (الثناء) الذي فضل به الانبياء (حتى قال لا أحصي ثناء) أي لا أستوعب ولا أبلغ الواجب في الثناء (عليك) أنت كما أثنيت على نفسك (الثامن أي وجدك بين أهل الضلال فعصمك) عن الانتظام في سلكهم والتلبس بشئ من ضلالهم كعبادة الاصنام (من ذلك) أي الضلال وموافقة أهله فيه (وهداك للايمان) به ومعرفته اذ جعله فطرة لك وأودع فيك ما يرشدك له بعقلك السليم ثم أرشدك له بالوحي (والى ارشادهم) افعال من الرشد ضد الغي وهو قريب من الهداية كما قاله الراغب وأفاد بقوله فعصمك انه من قبل الشرع ولم يستفد هذا من الخامس فبهذا غايره ولا يرد أن قوله فيه فهداهم بشرعك يفيد عصمته لاستحالة ان يهديهم مع موافقتهم لان شرعه متأخر فقد كان بينهم قبله أربعين سنة ثم هذا التأويل مروي عن السدي وغير واحد كما قال عياض فالضلال بمعناه المشهور وليس متصفا به ولكونه بين أهله أطلق عليه مجاز العلاقة المجاورة (التاسع أي وجدك متحيرا) واقعا في الحيرة (في بيان ما أنزل اليك) من القرآن (فهداك لبيانه) باظهاره وبيان ما خص من معانيه في حال تبليغه لامته (كقوله وأنزلنا اليك الذكر) القرآن لما فيه من التذكير والمواعظ (لتبين للناس ما نزل اليهم) مما خفي عليهم فالضلال التحير فيما شق عليه في ابتداء أمره (وهذا مروي عن الجنيد) أبي القاسم بن محمد النهاوندي شيخ المشايخ العلم المشهور رحمه الله (العاشر عن علي أمير المؤمنين) أنه صلى الله عليه وسلم قال ما هممت بفتح الميم الاولى بابه نصر وهو أول العزم (بشئ مما كان أهل الجاهلية يعملون) ضمنه معنى يتمسكون فعداه (به) أو الباء زائدة في المفعول (غير مرتين كل ذلك يحول) يحجز ويمنع (الله بيني وبين ما أريد) من ذلك (ثم ما هممت بعدهما بشئ حتى أكرمني الله برسالته) وبين المرتين فقال (قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى غنما بأعلى مكة) لبعض قريش أود (لو حفظت لي غنمي) فلو للتمني ما لها جواب أو محذوف أي لكان ذلك جميلا منك (حتى أدخل مكة) وصريحه انه رعاها قبل البعثة ويؤيده حديث أبي هريرة عند البخاري مرفوعا ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم فقال أصحابه وأنت قال كنت أرعاها على قراريط لاهل مكة وفي رواية ابن ماجه كنت أرعاها لاهل مكة بالقراريط قال المصنف كغيره

في كتابه الطب النبوي مرفوعا ان آدم لما أهبط الى الارض كان أول شئ أكل من ثمارها النبق وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم النبق في الحديث المتفق على صحته انه رأى سدرة المنتهى ليلة أسري به واذا نبقها مثل قلال هجر والنبق ثمر شجر السدر يعقل الطبيعة وينفع من الاسهال ويدبغ المعدة ويسكن الصفراء ويغذو البدن ويشهي الطعام ويولد بلغما وينفع الذرب الصفراوي وهو بطيء الهضم وسويقه يقوي الحشا وهو يصلح الامزجة الصفراوية وتدفع مضرته بالشهد واختلف فيه هل هو رطب أو يابس على قولين والصحيح أن رطبه بارد رطب ويابسه بارد يابس

(حرف الهاء)

هندباء ورد فيه ثلاثة أحاديث لا تصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هي مرفوعة أحدها كلوا الهندباء ولا تنفضوه فانه ليس يوم من الايام الا وقطرات من الجنة تقطر عليه الثاني من أكل الهندبا ثم نام عليه لم يحل فيه سم ولا سحر الثالث ما من ورقة من ورق الهندبا الا وعليها قطرة من الجنة وبعد فهي مستحيلة المزاج منقلبة بانقلاب فصول السنة فهي في الشتاء باردة رطبة وفي الصيف حارة يابسة

والحكمة في الهامهم ذلك قبل النبوة ليحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم انتهى فزعم ان رعيهم لها انما كان بعد البعثة هو وتمسكه لذلك بالحديث المذكور أعجب منشؤه عدم الوقوف على شيء (فأسمر بها) بضم الميم أي أتحدث قال المجد وسمر سمرا وسموا والمسم والسمر محركة الليل وحديثه وفي خطبته اذا ذكر المصدر فالفعل بزنة كتب (كما يسمر) بفتح أوله وضم الميم يتحدث (الشباب فخرجت حتى أتيت أول دار من دور مكة سمعت عزفا) بمهملة وزاي وفاء بزنة فلس أي لعبا من باب التجريد استعمل العزف في مطلق اللعب من استعمال المطلق في مقيده فعلق به قوله (بالدفوف) جمع دف آلات يضرب بها والا فالعزف اللعب بالدف بضم الدال وفتحها (والمزامير) جمع مزمار بكسر الميم (فجلست أنظر اليهم فضرب الله على أذني) أي بعث عليهما النوم (فنمت) فلم أسمع شيأ (فما أيقظني الامس الشمس) أي حرها (ثم قلت ليلة أخرى مثل ذلك فضرب الله على أذني فما أيقظني الامس الشمس) فلم أسمع شيأ (ثم ماهممت بعدهما بسوء حتى أكرمني الله برسالته) فكأنه عبر بضالا عن هذا الهم مرتين وأنه هداه بصرفه عن ذلك بالقاء النوم عليه اشارة الى عنايته به من صغره ومنعه من سماع لغط الجاهلية ولعبهم وغنائهم وان لم يكن ذلك حينئذ ضلالا لانه صانه من قبل البعثة عما يخالف الشرع وقيل معناه وجدك ضالا لم تعرف أحدا بالنبوة حتى أظهرك الله فهدى بك السعداء وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة وقيل وجدك قائما بأعباء الرسالة وتبليغها فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد وجدك ضالا عن محبتي لك في الازل أي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقيل ناسيا فهداك كقول موسى وأنا من الضالين وقوله تعالى أن تضل احداهما أي تنسى وقرأ الحسن بن علي ووجدك ضال فهدى أي اهتدى بك حكاها في الشفا ثم قال لا أعلم أحدا من المفسرين قال فيها ضالا عن الايمان وقد قال ابن عباس لم يكن له ضلالة معصية انتهى وفي الكشاف من قال انه كان على أمر قومه أربعين سنة ان أراد خلوه عن الامور السمعية فنعم وان أراد على كفرهم ودينهم فمعاذ الله فانه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء معصومون قبل النبوة وبعدها عن الكبائر والصغائر البتة فما بالك بالكفر والجهل بالله ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء وكفى نقيصة عند الكفار أن يسبق منه كفر انتهى (وأما قوله تعالى) قسيم لمقدر أول النوع أي منها ما ذكره بقوله قال الله (ووضعنا) حططنا (عنك وزرك الذي أنقض) أثقل (ظهرك فقد احتج بها جماعة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين) أي علماء الكلام الباحثين عن العقائد سموا بذلك لان مسئلة كلام الله من أجل مباحثه أو لكثرة دور الكلام فيه بين السلف (المجوزين) بلا واو في نسخ وهي ظاهرة وفي نسخة بالواو أي كأكثر الاصوليين (للصغائر على الانبياء عليهم الصلاة والسلام) حيث أبقوها على ظاهرها أن الوزر هو الاثم (وبظواهر كثيرة من القرآن والحديث) أتى بظواهر اشارة الى انها ليست بحجة في الباطن (ان التزموا ظواهرها) بأن قالوا بلزوم اعتقاد الظاهر منها (أفضت بهم) أوصلتهم (كما قال القاضي عياض الى تجويز الكبائر) عليهم عمدا (وخرق الاجماع) أي مخالفة ما أجمع عليه الناس من قولهم خرق المفازة اذا قطعها فأريد به لازمه وهو المجاوزة (وما لا يقول به مسلم) أي أفضت بهم الى رأي لم يقله أحد من المسلمين لان الآيات والاحاديث التي احتجوا بها كما تشمل الصغيرة تشمل الكبيرة من حيث انها اثم وذنب وتشمل كل ما أجمع على انه لا يقع منهم مع انهم لا يقولون بجواز وقوع الكبيرة منهم عمدا اذ لم يقله الا الحشوية ولا عبرة بهم ولا بجواز خرق الاجماع وأما سهوا فأجازه بعضهم واختلف في أن امتناعه سمعي أو عقلي كما مر (فكيف) يسوغ لهم الاحتجاج بتلك الظواهر (وكل ما احتجوا به منها مما اختلف المفسرون في معناه) فطرقته الاحتمالات فسقطت به الدلالات (وتقابلت) تخالفت

وهي قابضة مبردة جيدة للمعدة واذا طبخت وأكلت تحل عقلات البطن وخاصة البري منها فهي أجود للمعدة وأشد قبضا وتنفع من ضعفها واذا ضمد بها سكنت الالتهاب العارض في المعدة وتنفع من النقرس ومن أورام العين الحارة واذا تضمد بورقها وأصولها نفعت من لسع العقرب وهي تقوي المعدة وتفتح السدد العارضة في الكبد وتنفع من أوجاعها حارها وباردها وتفتح سدد الطحال والعروق والاحشاء وتنقي مجاري الكلى وأنفعها للكبد أمرها وماؤها المعتصر ينفع من اليرقان السددي ولاسيما اذا خلط به ماء الرازيانج الرطب واذا دق ورقها ووضع على الاورام الحارة بردها وحللها ويحلو ما في المعدة ويطفئ حرارة الدم والصفراء وأصلح ما أكلت غير مغسولة ولا منقوضة لانها متى غسلت أو نقضت فارقتها قوتها وفيها مع ذلك قوة ترياقية تنفع من جميع السموم واذا اكتحل بمائها نفع من العشا ويدخل ورقها في الترياق وينفع من لدغ العقرب ويقاوم أكثر السموم واذا اعتصر ماؤها وصب عليه الزيت خلص من الادوية القتالة كلها واذا اعتصر أصلها وشرب ماؤه نفع من

وتعارضت (الاحتمالات في مقتضاه) من تجويز وقوع ما خرج به عن صلاحيته للحجة (وجاءت أقاويل) جمع أقوال جمع قول فهو جمع الجمع (فيها للسلف بخلاف ما التزموه في ذلك) الذي استدلوا به (فاذا لم يكن مذهبهم) في تجويزها عليهم (اجماعا) أي مجمعا عليه لكثرة من خالفهم (وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما) لاحادثا بعد انعقاد الاجماع حتى يكون خلافا لا يعتد به (وقامت الدلائل على خطأ قولهم) بتجويزها عليهم (وصحة غيره) في عدم الجواز (وجب تركه والمصير الى ما صح) من عدم التجويز اذ العبرة بالادلة لا بكثرة القائلين (انتهى) كلام عياض متعه الله برؤيته في الرياض (وقد اختلف في هذه الآية فقال أهل اللغة الاصل فيه ان الظهر اذا أثقله الحمل سمع له نقيض أي صوت كصوت المحامل والرحال) وكل ما حملته ثقيلا فانه ينتقض تحته قال عباس بن مرداس

وأنقض ظهري ما تطوقت منهم * وكنت عليهم مشفقا متحننا

قاله ابن عطية وصدر بقوله أي هزيلا من الثقل (وهذا مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقداره) أي من مقادير ما كلفه (وقيل المراد منه تخفيف اعباء) بالفتح اثقال (النبوة) جمع عبء بالكسر ويفتح الثقل من كل شئ تنزيلا للمعقول منزلة المحسوسات (التي يثقل الظهر القيام بأمرها) فهو مجاز عن اتعاب صاحبه بحيث يصير كالحامل على ظهره ما يثقل عليه بحيث تناله مشقة عظيمة من ذلك وفسر القيام بقوله (وحفظ موجباتها والمحافظة على حقوقها فسهل الله تعالى ذلك عليه وحط) تفسير لوضع (عنه ثقلها) بفتح القاف (بأن يسرها عليه حتى تيسرت له) وهذا اعزاه عياض للماوردي والسلمي (وقيل الوزر ما كان يكرهه من تغييرهم لسنة الخليل) الطريقة ابراهيم (وكان لا يقدر على منعهم الى ان قواه الله وقال له اتبع ملة ابراهيم) في التوحيد والدعوة برفق ونحو ذلك فالوزر على هذه الاقوال الثلاثة مجاز بمعنى الثقل (وقيل معناه عصمناك) أي منعناك وحفظناك (عن) ملابسة (الوزر الذي أنقض ظهرك لو كان ذلك الذنب حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا)

(ومن ذلك ما في الحديث انه عليه الصلاة والسلام حضر وليمة فيها دف ومزامير قبل البعثة) ليلة احدى المرتين السابقتين لقوله هناك غير مرتين (فضرب الله على أذنه) بالافراد على ارادة الجنس (فما أيقظه) نبهه (الاحر الشمس من الغدو قيل) معناه (ثقل شغل سرك) أي قلبك أو خواطر قلبك (وحيرتك) تحيرك في ابتداء أمرك (وطلب شريعتك) بالرفع أي طلبك من الله ما يثبت بالوحي لتعمل به (حتى شرعنا لك ذلك) بالوحي فاطمأن قلبك وذهبت حيرتك حكى معناه القشيري كما في الشفاء (وقيل معناه خففنا عنك ما حملت) أي كلفت حمل أثقاله من دعوة الخلق وتبليغ أمانة الرسالة التي لم تطق حملها الجبال (بحفظنا لما استحفظت) أي نحن حفظنا ما أمرناك بحفظه عليك مما عسر عليك القيام به وجعلنا لك قوة وصبرا صير أثقاله خفيفة (وحفظ عليك) أي منع عن الضياع منك فأديته على أتم وجه يمكن اداؤه به ودفع ما ورد عليه انه اذا خففها لم تنقض ظهره بقوله تبعا لعياض (ومعنى أنقض ظهره على هذا (أي كاد) أي قرب (ينقضه) أي يعييه ويثقله ولم ينقضه بالفعل ويجوز ابقاؤه على ظاهره وانه أنقضه بالفعل لكنه خفف عنه فكأنه لم ينقضه (قال القاضي عياض) مبينا وجه دفع ما ذكره لما تمسكوا به (فيكون المعنى) لوضعنا عنك الى آخره (على قول من جعل ذلك) الوضع مصروفا (لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم) خبر يكون (بأمور فعلها قبل نبوته) أي اعتناؤه ببيان الله حكمها حتى لا يكون عنده هم وغم (وحرمت عليه بعد النبوة) ولم يكن مكلفا بها قبلها (فعدها أوزارا) بعدما حرمت باعتبار ما بعد النبوة (وثقلت عليه وأشفق) خاف (منها) من المؤاخذة بها لشدة مراقبته وخشيته لله فمعنى وضعها على هذا اعلامه بعدم المؤاخذة بها وأنها ليست وزرا

لسع الافاعي ولسع العقرب ولسع الزنبور ولبن أصلها يجلو بياض العين *(حرف الواو)* ورس ذكر الترمذي في جامعه من حديث زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان ينعت الزيت والورس من ذات الجنب قال قتادة يلد به ويلد من الجانب الذي يشتكيه وروى ابن ماجه في سننه من حديث زيد بن أرقم أيضا قال نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذات الجنب ورسا وقسطا وزيتا يلد به وصح عن أم سلمة رضي الله عنها قالت كانت النفساء تقعد بعد نفاسها أربعين يوما وكانت احدانا تطلى الورس على وجهها من الكلف قال أبو حنيفة بياض بالاصل اللغوي الورس يزرع زرعا وليس ببري ولست أعرفه بغير أرض العرب ولا من أرض العرب بغير بلاد اليمن وقوته في الحرارة واليبوسة في أول الدرجة الثانية وأجوده الاحمر اللين القليل النخالة ينفع من الكلف والحكة والبثور الكائنة في سطح البدن اذا طلي به وله قوة قابضة صابغة واذا شرب نفع من الوضح ومقدار الشربة منه وزن درهم وهو في مزاجه ومنافعه قريب من منافع القسط البحري واذا لطخ به على البهق والحكة والبثور والسفعة نفع منها والثوب المصبوغ بالورس يقوي على الباه

عليه

عليه بخلافه لانه لم يكن مكلفا بتركها (وقيل انها ذنوب أمته صارت عليه كالوزر) بجعل المعقول كالمحسوس (فأمنه الله من عذابهم في العاجل بقوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ووعده الشفاعة في الآجل) بنحو قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل حططنا عنك ثقل أيام الجاهلية حكاه مكي (وأما قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ابن عباس) في ازالة الشبهة عن ظاهره المقتضي وقوع ذنوب من عليه يغفر ايهاما انه لا ذنب (أي انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب أن لو كان) أي وجد فهي تامة فهو على طريق الفرض تطمينا له فلم يرد انه وقع ذنب غفر بل لو فرض وقوعه وقع مغفورا وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر أن يقول وما أدري ما يفعل بي ولا بكم الآية سر بذلك الكفار فأنزل الله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (وقال بعضهم أراد غفران ما وقع) قبل النبوة مما لا يؤاخذ به لانه لا شرع يلتزم أحكامه ولا يصح أن المراد من الصغائر عند مجوزها لان السياق في دفع شبهة من جعل هذه الآية دليلا على وقوع الصغائر (وما لم يقع بفرض وقوعه (أي انك مغفور لك) في الحالين فغاير كلام ابن عباس لانه فرض وتقدير لا غير وهذا على تجويز الوقوع لكن ان وقع كان مغفورا فهو كغيره من الانبياء ان وقع منهم لم يؤاخذوا به قطعا بخلاف الامة فتحت المشيئة (وقيل المراد) بما تقدم (ما كان) وقع منه (عن سهو وغفلة و) المراد بما تأخر ما صدر عن (تأويل) أي بيان لمعنى يحتمله النص فيحمله عليه باجتهاده ثم تبين له ان الصواب أو الاولى خلافه لان التأويل بيان ما يؤول اليه فيناسب ما تأخر كما في شرح الشفاء فلا حاجة لجعل الواو بمعنى أو (حكاه الطبري) محمد بن جرير (واختاره القشيري) عبد الكريم بن هوازن ولعل المراد بغفران الثلاثة مع ان آحاد الامة لا يؤاخذ بها عدم المؤاخذة باللوم على سبب الغفلة والسهو والنسبة الى التقصير بسبب التأويل المبني على شبهة لو فرض وقوعها لخلاف غيره فيؤاخذ بذلك (وقيل ما تقدم لابيك آدم عليه السلام وما تأخر من ذنوب أمتك) فاللام للتعليل أي غفر لآدم لاجلك لما توسل بك ولكونك في صلبه ولامتك لدعائك ولانك رحمة لهم (حكاه السمرقندي والسلمي) بضم ففتح (عن أحمد (بن عطاء) لادمي وحكاه الثعلبي عن عطاء الخراساني قال السيوطي وهو ضعيف أما أولا فلان آدم نبي معصوم لا ينسب اليه ذنب البتة فهو تأويل يحتاج الى تأويل انتهى وتأويله بأن المراد بتقدير أنه ذنب أو سماه ذنبا مجازا وان كان في الحقيقة ليس بذنب من باب حسنات الابرار سيآت المقربين قال وأما ثانيا فلان نسبة ذنب الغير الى غير من صدر منه بكاف الخطاب لا يليق وأما ثالثا فلان ذنوب الامة كلها لم تغفر بل منهم من يغفر له ومنهم من لا يغفر له انتهى والجواب عن الثاني ان اللام في الآية للتعليل كما قلنا لا للتعدية وعن الثالث بأن من لا يغفر له يخفف عنه بالنسبة لما يؤاخذ به غيره على ذلك الذنب من بقية الامم فكأنه غفر له (وقيل المراد أمته) أي يغفر الله لامتك ما صدر و تصدر فالمراد بخطابه خطاب أمته واضافة الذنب له لادنى ملابسة لانه يسوءه ما يسوءهم وهو الشفيع لهم قال شيخنا والمراد بالمغفرة على هذا اما رفع العذاب عنهم مطلقا بالعفو فلا يعاقبهم على شئ أو بتخفيفه عنهم وذلك في حق من عذب للتطهير مما اقترفه وقال غيره المراد أن رحمة الله لهذه الامة أكثر من غيرها (وقيل المراد بالذنب ترك الاولى) وعد ذنبا لرفعة مقامه ونزاهته فلا يفعله كما لا يفعل الذنب الحقيقي نعم ان كان القصد من فعل خلاف الاولى أو المكروه بيان أنه جائز لا اثم فيه فعله وجوبا ان تعين طريقا للتعليم فيثاب عليه ثواب الواجب (كما قيل) قائله سعيد الخراز رواه عنه ابن عساكر في ترجمته (حسنات الابرار سيآت المقربين) لانه كلما ارتقى درجة عد ما قبلها سيئة (وترك الاولى ليس بذنب لان الاولى وما يقابله مشتركان في اباحة الفعل) وما أبيح ليس بذنب فأطلق عليه اسمه مجازا وفي التحفة أستغفرك

* وسمة هي ورق النيل وهي تسود الشعر وقد تقدم قريبا ذكر الخلاف في جواز الصبغ بالسواد ومن فعله

(حرف الياء)

يقطين وهو الدباء والقرع وان كان اليقطين أعم فانه في اللغة كل شجر لا تقوم على ساق كالبطيخ والقثاء والخيار قال الله تعالى وأنبتنا عليه شجرة من يقطين * فان قيل ما لا يقوم على ساق يسمى نجما لا شجرا والشجر ما له ساق قاله أهل اللغة فكيف قال شجرة من يقطين فالجواب ان الشجر اذا أطلق كان ما له ساق يقوم عليه واذا قيد بشئ تقيد به فالفرق بين المطلق والمقيد في الاسماء باب مهم عظيم النفع في الفهم ومراتب اللغة واليقطين المذكور في القرآن هو نبات الدباء وثمره يسمى الدباء والقرع وشجرة اليقطين وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك أن خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه قال أنس رضي الله عنه فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرب اليه خبزا من شعير ومرقا فيه دباء وقديد قال أنس فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي الصحفة فلم أزل أحب الدباء من ذلك اليوم وقال أبو طالوت دخلت على أنس بن مالك رضي الله عنه وهو يأكل القرع ويقول يا لك من شجرة

أطلب منك المغفرة أى ستر ما صدر منى من نقص ذنبا كان أو غير ذنب فهى لا تستدعى سبق ذنب خلافا لمن زعمه قال شيخنا فلا حاجة الى الاعتذار عن تسمية خلاف الاولى ذنبا تعلقت به المغفرة وفيه نظر لتصريح الآية بلفظ ذنب فحمله على خلاف الاولى يحتاج للاعتذار ولفظ أستغفرك ليس فيه من ذنبى فانما يتأتى ما قال لو قيل ليغفر لك فقط (وقال السبكى) فى تفسيره (قد تأملتها يعنى الآية) بذهنى (مع ما قبلها) وهو انا فتحنا لك فتحا مبينا (وما بعدها) وهو ويتم نعمته عليك الى قوله نصرا عزيزا (فوجدتها لا تحتمل الا وجها واحدا وهو تشريف النبى صلى الله عليه وسلم من غير ان يكون هناك ذنب) حاش لله (ولكنه أريد أن يستوعب فى الآية جميع أنواع النعم من الله على عباده الاخروية) صفة النعم (وجميع النعم الاخروية) اظهار فى مقام الاضمار ليتبين غاية البيان (شيآن سلبية وهى غفران الذنوب) أى من حيث هى وان لم يكن للمخاطب ذنب لانه لو لم يذكر غفرانها لكان فيه ترك استيعاب جميع أنواع النعم (وثبوتية وهى لا تتناهى أشار اليها) الى الثبوتية (بقوله ويتم نعمته عليك وجميع النعم الدنيوية شيآن دينية أشار اليها بقوله ويهديك صراطا) طريقا (مستقيما) يثبتك عليه وهو دين الاسلام (ودنيوية) وان كانت هنالك المقصود بها الدين هذا أسقطه من السبكى قبل قوله (وهى قوله وينصرك الله نصرا عزيزا) لا ذل معه وقدم الاخروية على الدنيوية وقدم فى الدنيوية الدينية على غيرها تقديما للاهم فالاهم هكذا فى تفسير السبكى قبل قوله (فانتظم بذلك تعظيم قدر النبى صلى الله عليه وسلم باتمام أنواع نعم الله تعالى عليه المتفرقة فى غيره) ثم يحتمل رجوع جوابه بآخرة الامر الى قول ابن عباس أن لو كان ضرورة الخطاب والاضافة فى الآية والاظهر أن مراد السبكى ان المعنى منعك من الذنب فلا تواقعه اذ الغفر الستر والغطاء وعلى هذا فلا حاجة الى تقدير أن لو كان وقد قال العلامة البرماوى فى شرح البخارى المعنى والله أعلم أى حال بينك وبين الذنوب فلا تأتيها لان الغفر الستر وهو اما بين العبد والذنب واما بين الذنب وبين عقوبته فاللائق بالانبياء الاول وبأممهم الثانى انتهى ونحوه قول بعض المحققين المغفرة هنا كناية عن العصمة فمعنى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ليعصمك فيما تقدم من عمرك وفيما تأخر منه قال السيوطى وهذا القول فى غاية الحسن وقد عد البلغاء من أساليب البلاغة فى القرآن أنه يكنى عن التخفيفات بلفظ المغفرة والعفو والتوبة كقوله تعالى عند نسخ قيام الليل علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر منه وعند نسخ تقديم الصدقة بين يدى النجوى فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم وعند نسخ تحريم الجماع ليلة الصيام فتاب عليكم وعفا عنكم (ولهذا جعل ذلك غاية للفتح المبين) وهو صلح الحديبية أو مكة نزلت مرجعه من الحديبية عدة له بفتحها وعبر عنه بالماضى لتحقق وقوعه أو فتح خيبر أو غير ذلك أقوال أرجحها عند قوم الاول وتقدم بسطه فى غزوة الحديبية (الذى عظمه وفخمه باسناده اليه تعالى بنون العظمة) بقوله انا فتحنا (وجعله خاصا بالنبى صلى الله عليه وسلم بقوله لك) كأنه قيل لا لغيرك وأشار بهذا الى جواب ان المغفرة ليست سببا للفتح اذ السبب ما يلزم من وجوده وجود غيره والمغفرة التى هى عدم المؤاخذة بالذنب لا تستدعى الفتح وحاصل الجواب ان اللام علة غائية أى ان الفتح لما فيه من مقاساة الاهوال مع الكفار جعل سببا للمغفرة واتماما للنعمة والنصر العزيز وفى البيضاوى علة للفتح من حيث انه تسبب عن الجهاد والسعى فى اعلاء الدين وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة من أيدى الظلمة (وقد سبق الى نحو هذا ابن عطية) لفظ السبكى وبعد ان وقعت على هذا المعنى وجدت ابن عطية قد وقع عليه فقال بعد أن حكى قول سفيان الثورى ما تقدم قبل النبوة

عن عائشة رضى الله عنها قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة اذا طبختم قدرا فأكثروا فيها من الدباء فانها تشد قلب الحزين * اليقطين بارد رطب يغذو غذاء يسيرا وهو سريع الانحدار ان لم يفسد قبل الهضم تولد منه خلط محمود ومن خاصيته انه يتولد منه خلط محمود مجانس لما يصحبه فان أكل بالخردل تولد منه خلط حريف وبالملح خلط مالح ومع القابض قابض وان طبخ بالسفرجل غذا البدن غذاء جيدا وهو لطيف مائى يغذو غذاء رطبا بلغميا وينفع المحرورين ولا يلائم المبرودين ومن الغالب عليهم البلغم وماؤه يقطع العطش ويذهب الصداع الحار اذا شرب أو غسل به الرأس وهو ملين للبطن كيف استعمل ولا يتداوى المحرورون بمثله ولا أعجل منه نفعا ومن منافعه انه اذا لطخ بعجين وشوى فى الفرن أو التنور واستخرج ماؤه وشرب ببعض الاشربة اللطيفة سكن حرارة الحمى الملتهبة وقطع العطش وغذا غذاء جيدا واذا شرب بترنجبين وسفرجل مربى أسهل صفراء محضة واذا طبخ

ومما

وماتأخر يريد كل شيء لم يعمله وهذا ضعيف (وانما المعنى التشريف بهذا الحكم) وهو استيعاب جميع أنواع النعم (ولم يكن) له (ذنوب البتة) وأجمع العلماء على عصمة الانبياء من الكبائر والصغائر التى هى رذائل وجوز بعضهم الصغائر التى ليست برذائل واختلفوا هل وقعت من محمد صلى الله عليه وسلم أو لم تقع وحكى الثعلبي عن عطاء الخراساني ما تقدم من ذنب آدم وحواء أى ببركتك وما تأخر من ذنوب أمتك بدعائك وقال بعضهم ما تقدم قوله يوم بدر اللهم ان تهلك هذه العصابة لم تعبد وما تأخر قوله يوم حنين لن تغلب اليوم من قلة وهذا كله معترض هذا كلام ابن عطية برمته قال السبكي وقد وفق فيما قال فقول المتن (ثم قال) أى السبكي لا ابن عطية كما توهم فانه خلاف الواقع اذ ابن عطية ليس فيه كما رأيت قوله (وعلى تقدير الجواز لا أشك ولا أرتاب أنه لم يكن يقع منه صلى الله عليه وسلم) والذى أوقعه فى هذا الوهم ان السبكي لما نقل قول ابن عطية اختلفوا هل وقع من محمد الخ عقبه بقوله قلت لا أشك فظن ان قلت من جملة نقله وليس كذلك بل زيادة فصلها بلفظ قلت (وكيف يتخيل خلاف ذلك) أسقط من قول السبكي وأحواله عليه السلام منقسمة الى قول وفعل أما القول فقال تعالى (وما ينطق عن الهوى) أى هوى نفسه (ان هو الا وحى يوحى وأما الفعل) قسيم قول السبكي أما القول وكانه أسقط من المصنف سهوا أو من ناسخه (فاجماع الصحابة على اتباعه والتأسى) الاقتداء (به فى كل ما) أى شئ (يفعله من قليل أو كثير أو صغير أو كبير لم يكن عندهم فى ذلك توقف ولا بحث حتى أعماله) مجرور بحتى (فى السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم أو لم يعلم) كابن عمر لما سأل بلالا هل صلى المصطفى لما دخل الكعبة ولما رآه يقضى الحاجة مستقبلا فأفتى بذلك وغير ذلك مما وقع له ولغيره (ومن تأمل أحوال الصحابة معه صلى الله عليه وسلم) وما عرفوه وشاهدوه منه فى جميع أحواله من أوله الى آخره (استحى من الله أن يخطر) بضم التحتية من أخطر ليكون من فعله (بباله خلاف ذلك) لا بفتحها من خطر لصدقه بخطوره دون فعله ومثله لا يؤاخذ به (انتهى) كلام السبكي وادابه قول الزمخشري معنى الآية جميع ما فرط منك وقال مقاتل ما كان فى الجاهلية وقال سفيان الثورى ما عملت فى الجاهلية وما لم تعمل وردهما السبكي بأنه صلى الله عليه وسلم ليست له جاهلية وقيل ما كان قبل النبوة ورده بأنه معصوم قبلها وبعدها وقيل ما تقدم حديث مارية وما تأخر امرأة زيد قال وهذا باطل فمن اعتقد أن فى قصتهما ذنبا فقد أخطأ وقيل غير ذلك مما زيف كله وللسيوطى فى ذلك وريقات سماها القول المحرر (وأما قوله تعالى يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) روى جرير عن الضحاك عن ابن عباس قال ان أهل مكة منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبى صلى الله عليه وسلم الى ان يرجع عن قوله على أن يعطوه شطر أموالهم وخوفه المنافقون واليهود وان لم يرجع قتلوه فأنزل الله يا أيها النبى اتق الله الآية (فلا مرية) لا شك فى صرفها عن ظاهرها وذلك (انه صلى الله عليه وسلم اتقى الخلق) بالنصوص القطعية والاجماع (والامر بالشئ لا يكون الا عند عدم اشتغال المأمور بالمأمور به اذ لا يصلح أن يقال للجالس اجلس ولا للساكت اسكت) فأمره بالتقوى أمر بتحصيل الحاصل وهو محال (ولا يجوز عليه أن لا يبلغ) ما أوحى اليه (ولا أن يخالف أمر ربه ولا أن يشرك ولا أن يطيع الكافرين والمنافقين) لا عقلا ولا نقلا (حاشاه الله من ذلك) وهذا كله تصوير للاشكال (و) الجواب انه (انما أمره الله بتقوى توجب استدامة الحضور) فى مقام المشاهدة والقرب اللائق بكماله فأمره باستدامة ذلك أمر بما لم يكن حاصلا وأجاب عياض بأنه ليس فى الآية انه أطاعهم والله سبحانه ينهاه عما شاء ويأمره بما شاء كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم وما كان طردهم وما كان من الظالمين انتهى وهو منع للاشكال من أصله وأن ابتناءه انما هو على عرف أمر الخلق

الفرع وشرب ماءه بشئ من عسل وشئ من نطرون أحدر بالغميا ومرة معا واذا دق وعمل منه ضمادة على اليافوخ نفع من الاورام الحارة فى الدماغ واذا عصرت جرادته وخلط ماؤها بدهن الورد وقطر منها فى الاذن نفعت من الاورام الحارة وجرادته نافعة من أورام العين الحارة ومن النقرس الحار وهو شديد النفع لاصحاب الامزجة الحارة والمحمومين ومتى صادف فى المعدة خلطا رديئا استحال الى طبيعته وفسد وولد فى البدن خلطا رديئا ودفع مضرته بالخل والمرى وبالجملة فهو من ألطف الاغذية وأسرعها انفعالا ويذكر عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر من أكله

(فصل) وقد رأيت ان أختم الكلام فى هذا الباب بفصل مختصر عظيم النفع فى المحاذر والوصايا الكلية النافعة ليتم منفعة الكتاب ورأيت لابن ماسويه فصلا فى كتاب المحاذير نقلته بلفظه قال من أكل البصل أربعين يوما وكلف فلا يلومن الا نفسه ومن افتصد فأكل مالحا فأصابه بهق أو جرب فلا يلومن الا نفسه ومن جمع فى معدته البيض والسمك فأصابه فالج أو لقوة فلا يلومن الا نفسه ومن دخل الحمام وهو ممتلئ فأصابه فالج فلا يلومن الا نفسه

وخطابهم والله تعالى ليس كذلك فله أن ينهى من لم يقع منه خلافه ويأمر بما لم يتصور من المأمور خلافه وهذا جواب حسن ويأتي في المتن بمعناه (وأجاب بعضهم عن هذا) الاشكال (أيضا بأنه صلى الله عليه وسلم كان يزداد علمه بالله تعالى ومرتبته) منزلته العلية (حتى كان) بالتشديد (حاله عليه الصلاة والسلام فيما مضى بالنسبة الى ما هو فيه) الآن مما تجدد (ترك للافضل) خبر كان (فكان له في كل ساعة تقوى تتجدد) فتورثه زيادة العلم وغيره من الكمالات فكان معنى اتق الله دم على طلب الازدياد من العلوم والكمالات (وقيل المراد دم) واظب على التقوى فانه يصح ان يقال للجالس اجلس ههنا الى أن آتيك وللساكت قد أصبت فاسكت تدم أي دم على ما أنت عليه) قال ابن عطية معناه دم على التقوى ومتى أمر آخر بشئ وهو متلبس به فانما معناه الدوام في المستقبل على مثل الحال المضية (وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته ويدل عليه قوله تعالى ان الله كان بما تعملون) بالتاء والياء (خبيرا ولم يقل بما تعمل) وعلى الاول فقال ابن عطية هو تسلية له صلى الله عليه وسلم أي لا عليك منهم ولا من ايمانهم والله عليم بمن يتبعك حكيم في هدى من شاء واضلال من شاء ثم أمره باتباع ما يوحى اليه وهو القرآن الحكيم والاقتصار على ذلك وفي قوله ان الله كان بما تعملون خبير اتوعد ما وقرأ أبو عمرو وحده تعملون بالتاء والتوعد على هذه القراءة للكافرين والمنافقين أبين (وأما قوله تعالى فلا تطع المكذبين) قال ابن عطية يريد قريشا لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لو عبدت آلهتنا وعظمتها لعبدنا الهك وعظمناه وودوا أن يداهنهم ويميل الى قولهم فيميلوا هم أيضا الى قوله ودينه والمداهنة الملاينة فيما لا يحل والمداراة الملاينة فيما يحل (فاعلم انه تعالى لما ذكر ما عليه الكفار في أمره صلى الله عليه وسلم ونسبته الى ما نسبوه اليه) من الجنون نافيا ذلك عنه بالقسم بقوله ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون (مع ما أنعم الله به عليه من الكمال) الظاهر لكل احد (في أمر الدين والخلق العظيم) بقوله وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم (أتبعه بما يقوى قلبه ويدعوه الى التشدد مع قومه) المكذبين بالدين (وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد) الذين معه من المسلمين (وكثرة الكفار فان هذه السورة من أوائل ما نزل فقال فلا تطع المكذبين) فنهاه وان كان لم يقع منه طاعة لهم تقوية لقلبه ليذهب عنه خوفهم المضعف للقلب فيظهر دين الله بلا خوف (والمراد رؤساء الكفار من أهل مكة وذلك انهم دعوه الى دينهم) على ان يميلوا الى دينه فلم يفعل (فنهاه الله أن يطيعهم وهذا من الله تهييج للتشديد في مخالفتهم) لان النهي عما لم يقع يقوى تصويبه والمداومة على عدمه (وأما قوله تعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك) من القصص فرضا (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب) التوراة (من قبلك) فانه ثابت عندهم يخبرونك بصدقه (الآية) اشارة الى ان الشبهة في تمامها أيضا وهو لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين (فاعلم ان المفسرين اختلفوا فيمن المخاطب بهذا فقال قوم المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم) ولا ضير فيه لانه شرط لم يقع نحو لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وعلى سبيل الفرض وهذا أحسن (وقال آخرون المخاطب به غيره فاما من قال بالاول فاختلفوا على وجوه الاول ان الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد به غيره) قال بكر بن العلاء الا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله وهو كان المكذب بلفظ اسم المفعول (كقوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) فطلقوهن لعدتهن فان المخاطب بذلك هو والمراد غيره لانه اذا طلق انما يطلقهن لعدتهن وقول البيضاوي خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام أمته فنداؤه كندائهم أو لان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا أردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه لا يخالفه لانه وان كان الحكم يعم لكنه لم يقصد بالخطاب لانه

ومن جمع في معدته اللبن والسمك فأصابه جذام أو برص أو نقرس فلا يلومن الا نفسه ومن جمع في معدته اللبن والنبيذ فأصابه برص أو نقرس فلا يلومن الا نفسه ومن احتلم فلم يغتسل حتى وطئ أهله فولدت مجنونا أو مخبلا فلا يلومن الا نفسه ومن أكل بيضا مسلوقا باردا وامتلأ منه فاصابه ربو فلا يلومن الا نفسه ومن جامع فلم يصبر حتى يفرغ فأصابه حصاة فلا يلومن الا نفسه ومن نظر في المرآة ليلا فاصابه لقوة أو أصابه داء فلا يلومن الا نفسه

(فصل) وقال ابن بختيشوع احذران تجمع البيض والسمك فانها يورثان القولنج والبواسير ووجع الاضراس وادامة أكل البيض يولد الكلف في الوجه أكل الملوحة والسمك المالح والافتصاد بعد الحمام يولد البهق والجرب ادامة أكل كلى الغنم يعقر المثانة الاغتسال بالماء البارد بعد أكل السمك الطري يولد الفالج وطء المرأة الحائض يولد الجذام الجماع من غير أن يهريق الماء عقيبه يولد الحصاة طول المكث في المخرج يولد الداء الدوى قال أبقراط الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع وقال استديموا الصحة بترك التكاسل عن التعب وبترك الامتلاء من

لا يفعله كما علم كيف وفيه واتقوا الله ربكم فيكون في حقه من تحصيل الحاصل ورد شيخنا كلام المصنف
لظاهر البيضاوي بأن المراد غيره بخصوصه فيصدق بما اذا كان المراد هو وغيره لانه مع غيره غيره
بخصوصه لا يليق لما علم (وكقوله لئن أشركت ليحبطن عملك) أي يفسد ويسقط عن الاعتبار ويبطل
من حبطت الدابة اذا أفرطت في المرعى حتى ماتت وانتفخت وجعل هذه الآية مشبها بها لانها أظهر في
التعليق بالمحال لان الخطاب فيها للرسل كانهم اذ أولها ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك وأفرد لان
المراد كل واحد منهم وهم مبرؤون عن الشرك فالمراد أممهم ممن يجوز عليه الشرك تعريضا وتهييجا
لحميتهم حتى ينتهوا عنه (وكقوله لعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله)
صفة لالهين أو صلة اتخذوني ومعنى دون المغايرة تنبيها على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن
عبده مع عبادتهما كأنما عبدهما ولم يعبده أو القصور فانهم لم يعتقدوا استحقاقهما للاستقلال بالعبادة
وانما زعموا انها توصل الى عبادة الله وكأنه قيل اتخذوني وأمي الهين متوصلين بنا الى عبادة الله قاله
البيضاوي ففي التنظير بهذه الآية شئ فانه لم يخاطب عيسى مريدا غيره بل توبيخ الكفرة لا خطابهم
خصوصا وذلك يوم القيامة (ومثل هذا معتاد) واقع كثيرا في القرآن وكلام العرب وهو باب واسع
يسمونه التعريض والتلويح وله نكات ومقاصد جليلة كحمله على الاذعان والقبول واطفاء نار
الغضب والحمية (فان السلطان اذا كان له أمير وكان تحت راية ذلك الامير جمع فأراد أن يأمر الرعية
بأمر مخصوص) به دون الامير (فانه لا يوجه خطابه اليهم بل يوجهه الى ذلك الامير ليكون ذلك أقوى
تأثيرا في قلوبهم) فيبادروا بفعل الامر (الثاني قال الفراء) لقب ليحيى بن زياد الكوفي نزيل بغداد
النحوي المشهور المتوفى سنة سبع ومائتين لانه كان يفري الكلام فريا (علم الله تعالى أن رسوله
صلى الله عليه وسلم غير شاك) قال عياض احذر ثبت الله قلبك أن يخطر ببالك ما ذكره بعض المفسرين
عن ابن عباس أو غيره من اثبات شك له فيما أوحي اليه وأنه من البشر فمثل هذا لا يجوز حمله عليه بل قد
قال ابن عباس وغيره لم يشك صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا (ولكن هذا كما يقول الرجل لولده
ان كنت ابني فبرني ولعبده ان كنت عبدي فأطعني) في التنظير بهذا نظر فانما يقول الرجل ذلك لولده
وعبده اذا استشعر منهما نوع تقصير في حقه والنبي صلى الله عليه وسلم لا تقصير عنده في حق الله تعالى
حتى يخاطبه بما يوهم لوما حاشاه من ذلك وقد يجاب بأن التنظير به من حيث انه يخاطب به مع علمه انه
لا شك عنده من غير ملاحظة لوم على تقصير وان كان هو عليه السلام ينسب التقصير لنفسه بنحو قوله
لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (الثالث أن يقال لضيق الصدر شاك) فالمعنى انه (يقول
ان ضقت ذرعا) صدرا (بما تعاني) تقاسي (من تعنتهم وأذاهم فاصبر واسأل الذين يقرؤون الكتاب
من قبلك كيف صبر الانبياء على أذى قومهم) وقد قال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل (وكيف كان
عاقبة أمرهم من النصر) على الكافرين (فالمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة
وأن القرآن مصدق لما) أي المعاني التي اشتمل عليها ما جاء في الكتب فضمير (فيه) راجع
لما وصح ذلك رعاية للفظ ما وان كان مدلولها متعددا (أو تهييج الرسول عليه الصلاة والسلام)
اثارته (وزيادة تثبيته) قال البيضاوي وفيه تنبيه على أن من خالطته شبهة في الدين ينبغي أن
يسارع الى حلها بالرجوع الى أهل العلم (أو يكون على سبيل الفرض والتقدير) أي ان
فرض وقدر وقوع ذلك منك (لامكان وقوع الشك له) لان هذه الشرطية غير ممكنة
(ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية والله لا أشك ولا أسأل) رواه ابن جرير عن

الطعام والشراب وقال بعض الحكماء من أراد الصحة فليجود الغذاء وليأكل على نقاء وليشرب على ظمأ
وليقلل من شرب الماء
ويتمدد بعد الغذاء
ويتمش بعد العشاء
ولا ينام حتى يعرض
نفسه على الخلاء
وليحذر دخول الحمام
عقيب الامتلاء ومرة في
الصيف خير من عشر في
الشتاء وأكل القديد
اليابس بالليل معين على
الفناء ومجامعة العجائز
تهرم أعمار الاحياء
وتسقم أبدان الاصحاء
ويروى هذا عن علي
كرم الله وجهه ولا يصح
عنه وانما بعضه من
كلام الحارث بن كلدة
طبيب العرب وكلام
غيره وقال الحرث من
سره البقاء والابقاء
فليباكر الغذاء وليعجل
العشاء وليخفف الرداء
وليقل غشيان النساء
وقال الحرث أربعة أشياء
تهدم البدن الجماع على
البطنة ودخول الحمام
على الامتلاء وأكل
القديد وجماع العجوز
ولما احتضر الحرث
اجتمع اليه الناس
فقالوا أمرنا بأمر ننتهي
اليه من بعدك فقال
لا تتزوجوا من النساء
الاشابة ولا تأكلوا من
الفاكهة الا في أوان
نضجها ولا يتعالجن
أحدكم ما احتمل بدنه الداء وعليكم بتنظيف المعدة في كل شهر فانها مذيبة للبلغم مهلكة

قتادة مرسلا لكن بدون قسم وقيل المراد قل للشاك ان كنت فى شك من دينى وفى السورة نفسها
ما يدل على هذا التأويل قوله تعالى قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى الآية وقيل هو تقرير
كقوله أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقد علم سبحانه انه لم يقل ذلك وقيل معناه
ما كنت فى شك فاسأل تزدد طمأنينة وعلما الى علمك ويقينا الى يقينك وقيل معناه ان كنت تشك
فيما شرفناك وأعطيناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك فى الكتب ونشر فضائلك وقيل المراد ان
كنت فى شك من اعتقاد غيرك فيما أنزلناه حكاه فى الشفاء (وأما الوجه الثانى وهو ان المخاطب غيره
صلى الله عليه وسلم فتقريره ان الناس كانوا فى زمانه فرقا ثلاثة) فريق منهم (المصدقون به و) فريق
منهم (المكذبون له و) فريق منهم (المتوقفون فى أمره الشاكون فيه) صفة كاشفة لمعنى المتوقفون
(فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال فان كنت فى شك أيها الانسان مما أنزلنا اليك من الهدى على
لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاسئل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته) فليس هو مخاطبا أصلا
(وهذا مثل قوله يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) حتى عصيته (ويا أيها الانسان انك كادح) جاهد
فى عملك الى لقاء ربك وهو الموت ومثل قوله (فاذا مس الانسان ضر) دعانا وفى نسخة واذا مس الانسان
ضر بالواو وهى آية قبل هذه فى سورة الزمر جواب شرطها دعا ربه منيبا اليه (فان المراد بالانسان هنا) فى
الآيات الثلاثة (الجنس لا انسان بعينه فكذا هنا) فى لئن أشركت ليحبطن عملك خطاب لكل من
يصح أن يحبط عمله وأن يشرك لا المخاطب بعينه (ولما ذكر الله تعالى لهم ما يزيل ذلك الشك عنهم
حذرهم من أن يلحقوا بالقسم الثانى وهم المكذبون فقال ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون
من الخاسرين) (وأما قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب
يعلمون أنه) أى القرآن (منزل من ربك) ملتبسا (بالحق) ونسب العلم لجميعهم لعلم أحبارهم به وتمكن
باقيهم من ذلك بأدنى تأمل (فلا تكونن من الممترين) الشاكين فيه أى من هذا النوع فهو أبلغ من
لا تمتر وحذف جواب أما للعلم به من السوابق واللواحق وهو فليس المراد أنه صلى الله عليه وسلم شك
فيما ذكر أول الآية وهى أفغير الله أبتغى حكما وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا بل المعنى (أى فى
انهم لا يعلمون ذلك) وصوابه اسقاط لا فالمعنى لا يستقيم على وجودها ولفظ الشفاء أى فى علمهم بأنك
رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه صلى الله عليه وسلم فيما ذكر فى أول الآية وفى الانوار
فلا تكونن من الممترين فى أنهم يعلمون ذلك أو فى انه منزل بجحود أكثرهم وكفرهم به فيكون من باب
التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين (أو يكون المراد قل لمن امترى يا محمد) متعلق بقل قدم عليه
متعلقه (لا تكونن من الممترين) فى ان القرآن نزل عليك من الله وأيدك بمعجزاته (فليس الخطاب
له و) انما المراد (أنه صلى الله عليه وسلم مخاطب به غيره) من الكفار قال عياض ويدل على قوله أول
الآية أفغير الله أبتغى حكما الآية (وقيل غير ذلك) فقيل الخطاب له والمراد غيره والقصد تقرير الكفار
بأنه حق وقيل الخطاب لكل أحد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغى لاحد أن
يمترى فيه (وأما قوله ولو شاء الله لجمعهم) أى جعل الناس كلهم مجتمعين متفقين (على الهدى)
بهدايتهم للعقائد المحقة واتباع الشريعة اللازمة فلا يضل أحد منهم عن الطريق المستقيم (فلا
تكونن من الجاهلين) فنهيه عن ذلك يوهم أنه لم يحط به وهو منزه عنه (فقال القاضى عياض لا يلتفت)
بالبناء للمجهول أى لا يتوجه التفات نظر (الى قول من قال) من المفسرين (لا تكونن ممن يجهل
ان الله تعالى لو شاء لجمعهم على الهدى) باسناد الجهل بمشيئة الله اليه (اذ فيه اثبات الجهل بصفة من
صفات الله تعالى) وهى قدرته وعلمه (وذلك لا يجوز على الانبياء) لعلمهم بالله وصفاته (والمقصود) أى

الملوك لطبيبه لعلك لاتبقى لى فصف لى صفة آخذها عنك فقال لاتنكح الاشابة ولاتأكل من اللحم الافتيا ولا تشرب الدواء الامن علة ولاتأكل الفاكهة الافى نضجها وأجد مضغ الطعام واذا أكلت نهارا فلا بأس ان تنام واذا أكلت ليلا فلا تنم حتى تمشى ولو خمسين خطوة ولا تأكلن حتى تجوع ولا تتكارهن على الجماع ولا تحبس البول وخذ من الحمام قبل ان يأخذ منك ولا تأكلن
بياض بالاصل
طعاما وفى معدتك طعام واياك أن تأكل ما يعجز أسنانك عن مضغه فتعجز معدتك عن هضمه وعليك فى كل أسبوع بقيئة تنقى جسمك ونعم الكنز الدم فى جسدك فلا تخرجه الا عند الحاجة اليه وعليك بدخول الحمام فانه يخرج من الاطباق مالا تصل الادوية الى اخراجه وقال الشافعى رحمه الله تعالى أربعة تقوى البدن أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان وأربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة أكل الحامض وأربعة تقوى البصر الجلوس

المعنى المراد (وعظمهم) أي الامة أي ارشادهم وتنبيهم على (أن لا يتشبهوا في أمورهم بسمات الجاهلين) أي لا يتصفوا بصفاتهم من عدم الصبر والحرص على سرعة المراد كما هو شأن الجهلة (وليس في الآية دليل على كونه على تلك الصفة التي نهاه الله على الكون عليها) وعليه فالخطاب له والمراد غيره (فأمره الله تعالى بالتزام الصبر على اعراض قومه) بقوله وان كان كبر عليك اعراضهم الآية المختومة بالنهي فالمراد بالامر ما يلزم النهي وقد أمر بالصبر صريحا في آيات كقوله فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل (ولا تحرج) من الحرج وهو ضيق الصدر (عند ذلك) أي عند اعراضهم عنه هكذا ضبطه شراح الشفاء ويقع محرفا في نسخ المصنف ولا يخرج عن ذلك من الخروج فمشى عليه الشارح فقال أي والتزام عدم خروجه عن ذلك (فيقارب) حاله (حال الجاهل بشدة التحسر) التأسف والندم بسبب اعراضهم (حكاه أبو بكر بن فورك) بضم الفاء العلامة الشهير تقدم غير مرة (وقيل معنى الخطاب لامته صلى الله عليه وسلم لا له) فهو تعريض (أي فلا تكونوا من الجاهلين) أي ممن اتصف بصفاتهم (حكاه أبو محمد) وفي نسخة أبو بكر وهي خطأ فكنيته أبو محمد (مكي) بالميم ابن أبي طالب تقدم أيضا (قال) مكي (ومثله في القرآن كثير) يخاطب المصطفى والمراد أمته (وكذلك قوله وان تطع أكثر من في الارض) وهم الكفار بموافقة ماهم عليه (يضلوك عن سبيل الله) مع انه علم انه لا يطيعهم (فالمراد غيره) وان كان الخطاب له فهو تعريض (كما قال تعالى) خطابا لغيره يا أيها الذين آمنوا (ان تطيعوا الذين كفروا) يردوكم على أعقابكم فهو يؤيد أن المراد بالخطاب في تلك الآية غيره لان القرآن يفسر بعضه (وقوله) تعالى (ان يشأ الله يختم) يربط (على قلبك) وقد علم انه لا يشاء ذلك فالمراد غيره والتنظير بهذه بناء على ان المراد الربط المذموم أما على أن المعنى يربط بالصبر على أذاهم وبالصبر على قولهم افتراه وغيره وقد فعل فليست مما الكلام فيه (ولئن أشركت ليحبطن عملك) وقد علم سبحانه أنه لا يشرك فالمراد غيره (وما أشبه ذلك) كقوله ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وقوله اذا لأذقناك ضعف الحياة وقوله لأخذنا منه باليمين (فالمراد غيره) تعريضا وايقاظا (وان هذه حال من أشرك) بالله لا حاله (والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا) فلابد من تأويله (هذا والله) سبحانه (ينهاه عما شاء) وان لم يمكن وقوعه منه (ويأمره بما شاء) وان استحال عليه تركه فحو اتق الله فله أن يعامل نبيه بما يمتنع أن يعامل به غيره (كما قال تعالى له ولا تطرد الذين يدعون ربهم) أي يعبدونه (بالغداة والعشي الآية وما) كان (طردهم عليه السلام) عن مجلسه (وما كان من الظالمين) أي ممن ظلمهم بطردهم لانه لم يقع منه ذلك روى ابن حبان والحاكم عن سعد ابن أبي وقاص قال لقد نزلت هذه الآية في ستة أنا وعبد الله بن مسعود وأربعة قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أطردهم فانا نستحي أن نكون تبعا لك كهؤلاء فوقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ولا تطرد الى قوله أليس الله بأعلم بالشاكرين وفي حديث ابن مسعود عند أحمد وغيره ان الاربعة خباب وصهيب وبلال وعمار وانما همّ بذلك رجاء اسلام قومهم مع أن ذلك لا يضر أصحابه لعلمه بأحوالهم ورضاهم بما يرضاه (وأما قوله تعالى) نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن (وان كنت من قبله لمن الغافلين فليس بمعنى قوله والذين هم عن آياتنا) أي دلائل وحدانيتنا (غافلون) تاركون النظر فيها لانه صلى الله عليه وسلم معصوم عن هذه الغفلة (وانما المعنى لمن الغافلين عن قصة يوسف عليه السلام) اذ لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط فلم تعلمها الا بوحينا) والغفلة عن مثل ذلك مما لا يعلم الا بالنقل لا نقص فيه وفي التعبير بالغفلة اشارة الى شدة استعداده للعلم بما لم يعلم حتى كأنه كان عالما به ونسيه روى ابن جرير عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله لو قصصت

قبالة الكعبة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف المجالس وأربعة توهن البصر النظر الى القذر والى المصلوب والى فرج المرأة والقعود مستدبر القبلة وأربعة تزيد في الجماع أكل العصافير والاطريفل والفستق والخروب وأربعة تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين ومجالسة العلماء وقال أفلاطون خمس يذبن البدن وربما قتلن قصر ذات اليد وفراق الاحبة وتجرع المغايظ ورد النصح وضحك ذوي الجهل بالعقلاء وقال طبيب المأمون عليك بخصال من حفظها فهو جدير ان لا يعتل الاعلة الموت لا تأكل طعاما وفي معدتك طعام واياك ان تأكل طعاما يتعب أضراسك في مضغه فتعجز معدتك عن هضمه واياك وكثرة الجماع فانه يقتبس نور الحياة واياك ومجامعة العجوز فانه يورث موت الفجأة واياك والفصد الا عند الحاجة اليه وعليك بالقيء في الصيف ومن جوامع كلمات أبقراط قوله كل كثير فهو معاد للطبيعة وقيل لجالينوس مالك لا تمرض فقال لاني لم أجمع بين طعامين رديئين ولم أدخل طعاما على طعام ولم أحبس في المعدة طعاما تأذيت به *(فصل)* وأربعة

علينا فأنزل الله نحن نقص عليك أحسن القصص وروى ابن مردويه عن ابن مسعود مثله (وأما قوله تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية) من الشيطان الرجيم مع عصمته من تسليطه عليه بإذاية أو وسوسة وان كانت ان الشرطية لا تقتضي الوقوع (فمعناه يستخفنك بغضب يحملك على ترك الاعراض عنهم) فهي راجعة لقوله قبلها وأعرض عن الجاهلين أي لا تكافئ السفهاء الذين أغضبوك بمثل أفعالهم وأعرض عنهم فهذه الآية كما قيل جامعة لمكارم الاخلاق ولذا قال له جبريل لما سأله عنها ان الله تعالى أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك فهذا من مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال لا من شئ تسببه فالغضب على الجاهل وجزاؤه بمثل فعله تأديباله لا بعد من نزغ الشيطان والاستعاذة مشروعة عند الغضب فليست الآية منسوخة بآية القتال كما قيل (والنزغ أدنى) أقل (حركة تكون) توجد (كما قاله الزجاج) وفي الانوار النزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته الناس اغراءهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه وقيل النزغ في الآية الافساد فأصل معناه الطعن ثم شاع استعماله في كل مفسد كقوله من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي أي أفسد ما بيني وبينهم وقيل معناه يغرينك ويحركنك والنزغ أدنى الوسوسة (فأمره الله انه متى يحرك عليه غضب على عدوه) لسوء ما وقع منه (أو رام الشيطان من اغرائه) بغين معجمة وراء أي ايقاعه (به) كحثه على قتله وقرأته بغين وزاي معجمتين تصحيف (وخواطر أدنى) أقل (وساوسه) جمع وسواس (مالم يجعل له سبيل اليه) لعصمته مفعول رام (أن يستعيذ به تعالى منه) فيقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا يطيعه ويفعل بنزغه (فيكفي أمره) بصرفه عنه (ويكون) ذلك (سبب تمام عصمته) لانها من مجرد الخاطر نهاية الحفظ والمنع اذ الخطور بالبال لا يصرفها (اذلم يسلط) الشيطان (عليه بأكثر من التعرض له) فضلا عن التمكن منه وايصال أذيته له (ولم يجعل له قدرة عليه) فيرجع خائبا خاسرا (وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك) بأن يتمثل بمثاله ويقول أنا ملك أرسلني الله اليك لحفظ الله تعالى له عنه (ويلبس) بزنة يخلط ومعناه (عليه) أمره لا يقع ذلك (لا في أول الرسالة) أي أول دعوة الخلق الى الله (ولا بعدها) الظاهر بعده أي بعد الاول وأسقط من عياض قوله والاعتماد في ذلك دليل المعجزة أي اعتماده في أن ذلك وحي دليل على انه معجزة له أو هو يعتمد على ما ظهر له من المعجزة كتسليم الحجر والشجر (بل لا يشك النبي) أي نبي كان نبينا وسائر الانبياء (ان ما يأتيه من الله هو الملك ورسوله) اليه (حقيقة) بلا شك (اما بعلم ضروري يخلقه الله له) بديهي لا يحتاج لدليل لعدم تردده فيه (أو ببرهان) دليل قطعي (يظهر لديه) مما يشاهده من الآيات كنطق الحجر وتسليم الشجر (كما قدمته في المقصد الاول عند) ذكر (البعثة) وكل ذلك (لتتم كلمة ربك) بتبليغ أحكامه ومواعيده (صدقا) في خبره له ومواعيده (وعدلا) ما حكم به من الاحكام التي بلغها وهما تمييزان محولان عن الفاعل أو حالان (لا مبدل لكلماته) أي لا يمكن تغييرها ولا تنسخ بعد ما بلغت غاية لا تقبل الزيادة عليها ولذا كانت شريعته صلى الله عليه وسلم آخر الشرائع وهذا تعليل لحفظه من تصور الشيطان بصورة ملك فيكون ما يلقيه تخليطا قابلا للتبديل ولذا عقبه بقوله (وأما قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) عطف عام على خاص فيفيد ان المراد بالارسال الايحاء وفائدة ذكره النبي غير الرسول لا سيما من لا أتباع له أن كل نبي يجب عليه اعلام غيره بأنه نبي لئلا يحتقر وحينئذ فيتطرق لسماع تلاوته ووعظه فيلقي الشيطان ذلك للتلبيس (الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية) فظاهره أن الشيطان يخلط عليهم الوحي عند التلاوة فيخالف ما قبله وأجيب عن ذلك بأجوبة (فأحسن ما قيل فيها ما عليه جمهور المفسرين) أي أكثرهم (ان التمني المراد به هنا التلاوة) كقول حسان

أشياء تمرض الجسم الكلام الكثير والنوم الكثير والاكل الكثير والجماع الكثير فالكلام الكثير يقلل مخ الدماغ ويضعفه ويعجل الشيب والنوم الكثير يصفر الوجه ويعمي القلب ويهيج العين ويكسل عن العمل ويولد الرطوبات في البدن والاكل الكثير يفسد فم المعدة ويضعف الجسم ويولد الرياح الغليظة والادواء العسرة والجماع الكثير يهد البدن ويضعف القوى ويجفف رطوبات البدن ويرخي العصب ويورث السدد ويعم ضرره جميع البدن ويخص الدماغ لكثرة ما يتحلل منه به من الروح النفساني واضعافه أكثر من اضعاف جميع المستفرغات ويستفرغ من جوهر الروح شيأ كثيرا وأنفع ما يكون اذا صادف شهوة صادقة من صورة جميلة حديثة السن حلالا مع سن الشبوبية وحرارة المزاج ورطوبته وبعد العهد به وخلاء القلب من الشواغل النفسانية ولم يفرط فيه ولم يقارنه ما ينبغي تركه معه من امتلاء مفرط أو خواء أو استفراغ أو رياضة تامة أو حر مفرط أو برد مفرط فاذا راعى فيه هذه الامور العشرة انتفع به جدا وأيها فقد حصل له من الضرر بحسبه وان فقدت كلها أو أكثرها فهو الهلاك المعجل

تمني

تمنى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

ومنه قوله تعالى ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني أي تلاوة وليس تمنى هنا تفعل من منى بمعنى قدر كقوله

لا تأمنن وان أمسيت في حرم * حتى تلاقي ما يمني لك الماني

أي ما قدره لك المقدر والتمني أمر يقدره المرء في نفسه والظاهر تفسير التلاوة بهذا القراءة تشمل المواعظ والحكم والاذكار والدعاء فان الشيطان كما يتسلط على قارئ القرآن يتسلط على الذاكر ونحوه وان كانت القصة انما كانت عند قراءته لسورة النجم التي هي سبب نزول وما أرسلنا الآية كذا قال الشارح ولا دخل في ذلك للاستظهار مع كون النص التمني والأمنية المفسر بالتلاوة فلا يقاس عليه غيره وتعليله بتسلط الشيطان على الذاكر ونحوه من حيث هو لا ينهض هنا كما لا يخفى (و) أن (القاء) فنصبه عطفا على التمني وخفضه على ضمير به أي والمراد بالقاء (الشيطان فيها) أي أمنيته أي متلوه (اشغاله) الذي في الشفاء شغله بزنة ضرب وهي الفصحى قال تعالى شغلتنا لكن في القاموس شغله كمنعه شغلا ويضم وأشغله لغة جيدة أو قليلة أو رديئة والمصدر مضاف للفاعل أي اشغال الشيطان التالي (بخواطر) أمور دنيويه تخطر على قلبه فتشغله عما تلاه (واذكار) بذال معجمة جمع ذكر بالكسر والضم أحاديث قلبية فيساوي نسخة وأفكار بالفاء (من أمور الدنيا) بيان لهما (للتالي) صفة الخواطر وأذكار أي كائنة وعارضة أو متعلق باشغال (حتى يدخل) الشيطان (عليه الوهم) بفهم غير المراد من المتلو (والنسيان) الواو بمعنى أو (فيما تلاه) بناء على جواز ذلك على الانبياء أما على الاصح من منعه فيقال حتى يدخل على افهام السامعين (أو يدخل) عطف على اشغال من عطف المصدر المؤول على المصدر الصريح فكأنه قيل القاؤه اشغاله أو ادخاله (غير ذلك) الوهم والنسيان (على افهام السامعين) وبين الغير بقوله (من التحريف) لما تلاه عليهم (وسوء التأويل) الناشئ عن تحريف ما سمعوه (ما يزيله الله) مفعول القاء (وينسخه) يحوله من الباطل الى الحق (ويكشف لبسه) يزيله ويبينه (ويحكم آياته) يحققها ويظهرها (قاله القاضي عياض) في الشفاء (وقد تقدم في المقصد الاول مزيد لذلك) بفرائد نفيسة (قال في الشفاء) بعد هذا بقليل (وأما قوله عليه الصلاة والسلام حين نام عن الصلاة يوم الوادي) لما عاد من خيبر أو من الحديبية أو بطريق تبوك روايات وقد اختلف هل كان النوم مرة أو مرتين ورجحه عياض وتبعه النووي ومر هذا مبسوطا في خيبر وغيرها (ان هذا واد به شيطان) لفظ الموطأ ولمسلم ان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان (فليس فيه) صريحا (ذكر تسلطه عليه) اذ لا يقدر على قرب سرادق حمايته وعصمته (ولا وسوسته له) لعصمته ونزاهته عن مثله (بل ان كان) ذكر في الحديث ما يوهم تسلطه عليه (بمقتضى ظاهره) قبل التأمل فيه فهو انتقال عن لفظ صريحا المقدر فكأنه قيل سلمنا انه ليس صريحا فهو ظاهر في ذلك والشبهة يكتفي في ايرادها بمقتضى الظاهر فدفع ذلك بأنه لا يصح الحمل هنا على مقتضى الظاهر لانه صلى الله عليه وسلم بين أن ذلك الظاهر ليس بمراد كما أفاده بقوله (فقد بين) كشف (عليه السلام أمر ذلك الشيطان بقوله) فيما رواه مالك عن زيد بن أسلم مرسلا (ان الشيطان أتى بلالا) وهو قائم يصلي نفلا بالسحر فاضجعه وفي حديث أبي قتادة في الصحيحين سرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فقال بعض القوم يا رسول الله لو عرست بنا فقال أخاف أن تناموا عن الصلاة فقال بلال أنا أوقظكم ونام رسول الله وأصحابه وفي مسلم فصلى بلال ما قدر له ثم استند الى راحلته وهو مقابل الفجر فغلبته عيناه وفي حديث زيد بن أسلم ووكل بلالا أن يوقظهم للصلاة فرقد بلال ورقدوا (فلم يزل يهديه) بضم التحتية وسكون الهاء وكسر الدال المخففة وياء ساكنة قال ابن عبد البر أهل الحديث يروون هذه

(فصل) والحمية المفرطة في الصحة كالتخليط في المرض والحمية المعتدلة نافعة وقال جالينوس لاصحابه اجتنبوا ثلاثا وعليكم بأربع ولا حاجة لكم الى طبيب اجتنبوا الغبار والدخان والنتن وعليكم بالدسم والطيب والحلوى والحمام ولا تأكلوا فوق شبعكم ولا تتخللوا بالباذروج والريحان ولا تأكلوا الجوز عند المساء ولا ينام من به زكمة على قفاه ولا يأكل من به غم حامضا ولا يسرع المشي من افتصد فانه يكون مخاطرة الموت ولا يتقيأ من تؤلمه عينه ولا تأكلوا في الصيف لحما كثيرا ولا ينم صاحب الحمى الباردة في الشمس ولا تقربوا الباذنجان العتيق البزر ومن شرب كل يوم في الشتاء قدحا من ماء حار أمن من الاعلال ومن دلك جسمه في الحمام بقشور الرمان أمن من الجرب والحكة ومن أكل خمس سوسنات مع قليل مصطكى رومي وعود نيء ومسك بقي طول عمره لا تضعف معدته ولا تفسد ومن أكل بزر البطيخ مع السكر نظف الحصا من معدته وزالت عنه حرقة البول

(فصل) أربعة تهدم البدن الهم والحزن والجوع والسهر وأربعة تفرح النظر الى الخضرة والى الماء الجاري والمحبوب والثمار وأربعة تظلم البصر المشي حافيا والتصبح

اللفظة بالاهمز وأصلها عند أهل اللغة الهمز وقال في المطالع هو بالهمز أي يسكنه وينومه من هدأت الصبي اذا وضعت يدك عليه لينام ورواه المهلب بلا همز على التسهيل ويقال أيضا يهدنه بنون وروى يهدهده من هدهدت الام ولدها لينام أي حركته (كما يهدي الصبي) الصغير في مهده (حتى نام) بلال وفي هذا تأنيس لبلال واعتذار عنه وانه ليس باختياره (فأعلم) النبي صلى الله عليه وسلم الناس بهذا القول ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة بكسر الكاف وفتح اللام والمد والهمز أي بحراسة الفجر وقد تبدل همزته كما في النهاية وغيرها وفي لغة بفتح الكاف واللام والقصر وضمن معنى المراقبة أي مراقبة طلوع الفجر ليوقظهم وقيل المراد كلاءة صلاة الفجر بتقدير مضاف وله وجه وجيه (هذا) المذكور ان ظاهره تسلط الشيطان وصرفه الى بلال (ان جعلنا قوله ان هذا واديه شيطان تنبيها) مفعول له (على سبب النوم عن الصلاة) وهو تنويم الموكل بحراسة الوقت (وأما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة به) مع ان الاصل في قضاء الفائتة بعذر المبادرة بفعلها وقد أمرهم بالارتحال (وهو دليل) أي مدلول أي ما يستفاد من (مساق) بفتح الميم مصدر بمعنى سياق كما في النسيم أو بمعنى سوق كما في الانوار (حديث زيد بن أسلم) في الموطأ قال عرس صلى الله عليه وسلم ليلة بطريق مكة ووكل بلالا أن يوقظهم للصلاة فرقد بلال ورقدوا حتى استيقظوا وقد طلعت عليهم الشمس فاستيقظ القوم وقد فزعوا فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادي وقال ان هذا واديه شيطان فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادي ثم أمرهم أن ينزلوا ويتوضؤوا وأمر بلالا أن يؤذن بالصلاة أو يقيم فصلى بالناس الحديث وعلى ما يفيده سياقه هذا (فلا اعتراض به في هذا الباب) المعقود في أن الشيطان لا تسلط له على الانبياء (لبيانه) أي حديث زيد ووضوح دلالته على ماذكر (وارتفاع اشكاله) أي زواله أصلا حتى استغنى عن الجواب لعدم احتماله ما يخالفه (قال عياض) بعد هذا بكثير (وأما قوله تعالى عبس) كلح وجهه (وتولى) أعرض عنه (أن جاءه الاعمى الآيات) التي آخرها فأنت عنه تلهى التي استدل بها المجوزون والصغائر على الانبياء لما يشعر به ظاهرها من وقوع شئ عوتب عليه (فليس فيها اثبات ذنب له عليه الصلاة والسلام) ولا تجويزه عليه (بل اعلام الله تعالى له) صلى الله عليه وسلم (بأن ذلك المتصدى) اسم مفعول نائبه (له) أي أقبل عليه وتوجه له وأصله مقابلة الشئ كما يقابله الصدى وهو الصوت الراجع اليه من جبل ونحوه كما قاله الراغب وفي التعبير به نكتة وهي أن كلام هؤلاء لا عبرة به كما قال المتنبي

أنا الطائر المحكي وغيري هو الصدى * (ممن لا يتزكى) أي لا يسلم فيطهر من دنس الشرك أي باعتبار ما في نفس الامر أو قرائن الاحوال الدالة على فرط عناده وبعده عن الحق وبدل للاول قوله اعلام الله وقوله (وأن الصواب والاولى كان لو كشف له حال الرجلين) ابن أم مكتوم ومن كان عنده من المشركين واقتصر على الاقل والا فالكفرة كانوا جماعة أو المتكلم معه منهم واحد وحالهما عدم تزكي الكافر وانتفاع الاعمى (لاختار الاقبال على الاعمى) دون غيره روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن ابن أم مكتوم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت وأخرج الترمذي والحاكم عن عائشة قالت أنزل عبس وتولى في ابن أم مكتوم الاعمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله أرشدني وعند رسول الله رجل من عظماء المشركين فجعل يعرض عنه ويقبل على الآخر فيقول أترى بما أقول بأسا فيقول لا فنزلت عبس وتولى أن جاءه الاعمى وروى أبو يعلى مثله عن أنس وفي ابن عطية قيل الرجل الوليد بن المغيرة وقيل عتبة وقيل شيبة وقيل العباس

لبس الثوب الناعم ودخول الحمام المعتدل وأكل الطعام الحلو والدسم وشم الروائح الطيبة وأربعة تيبس الوجه وتذهب ماءه وبهجته وطلاقته الكذب والوقاحة وكثرة السؤال عن غير علم وكثرة الفجور وأربعة تزيد في ماء الوجه وبهجته المروءة والوفاء والكرم والتقوى وأربعة تجلب البغضاء والمقت الكبر والحسد والكذب والنميمة وأربعة تجلب الرزق قيام الليل وكثرة الاستغفار بالاسحار وتعاهد الصدقة والذكر أول النهار وآخره وأربعة تمنع الرزق نوم الصبيحة وقلة الصلاة والكسل والخيانة وأربعة تضر بالفهم والذهن ادمان أكل الحامض والفواكه والنوم على القفا والهم والغم وأربعة تزيد في الفهم فراغ القلب وقلة التملي من الطعام والشراب وحسن تدبير الغذاء بالاشياء الحلوة والدسمة واخراج الفضلات المثقلة للبدن ومما يضر بالعقل ادمان أكل البصل والباقلا والزيتون والباذنجان وكثرة الجماع الواحدة والافكار والسكر وكثرة الضحك والغم قال بعض أهل النظر قطعت في ثلاث مجالس فلم أجد

وقيل أمية وقيل أبي بن خلف وقال ابن عباس كان في جمع منهم عتبة والعباس وأبو جهل انتهى وعلى أن العباس فيهم لا ينافي انه تزكى لان المعنى لا يتزكى في وقت الاعراض عن الاعمى وانما تزكى العباس بعد بكثير (وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما) بكسر اللام والتخفيف أو فتحها والتشديد (فعل) من العبوس والاعراض (وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه) فهو فعل حسن وأمر لازم له (واستئلافا) استمالة (له) للكافر رجاء اسلامه (كما شرعه الله له) وفرضه بالتبليغ ولين الجانب لمن يدعوه ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (لا معصية ولا مخالفة له) أي لما شرعه بذكر هذا بعد قوله أولا فليس فيه اثبات ذنب تنبيها على أنه ليس مباحا فقط بل طاعة واجبة (وما قصه الله تعالى عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين) بالرفع عطف على اعلام أي تضعيف (أمر الكافر عنده) وأنه لا قدر له يعتد به (والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك أن لا يزكى) وفي القاء الكلام له بدون الخطاب اكرام له صلى الله عليه وسلم عن أن يواجه بالعتب لا مبالغة في العتب لان فيه بعض اعراض كما زعم ابن عطية (أي ليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالاسلام أي لا يبلغن بك الحرص على اسلامهم) لانه كان شديد الحرص على اسلام قريش واسماعهم لما جبله الله عليه من الرأفة والرحمة (أن تعرض عمن أسلم بالاشتغال بدعوتهم) الى الاسلام (ان) ما (عليك الا البلاغ) وقد فعلت وأما قوله وما يدريك لعله يزكى فضميره لابن أم مكتوم وقيل للكافر أي اذا طمعت في أن يزكى بالاسلام أو يذكر فتنفعه أي تقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن ورجح الاول بأن ما في القرآن من يدريك فهو مما أعلمه الله به وما فيه من ادراك مما لم يعلمه به وأيضا فالكافر لم يسبق له ذكر صريح زاد عياض وقيل المراد عبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله أبو تمام انتهى وتعقب بأنه قول في غاية الضعف بعيد من السياق مخالف لقول المفسرين انه النبي صلى الله عليه وسلم وزاد المصنف على الشفاء قوله (وقد كان ابن أم مكتوم يستحق التأديب والزجر) بحسب ظاهر الحال اذ في قطع كلامه ايذاء له (لانه وان فقد بصره كان يسمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأولئك الكفار) الذين كان يدعوهم الى الله (وكان يعرف بواسطة استماع تلك الكلمات شدة اهتمامه عليه السلام بشأنهم فكان اقدامه على قطع كلامه عليه السلام بعد سماعه ايذاء له عليه السلام وذلك معصية عظيمة) واعتذر عنه بأن شدة حرصه على طلب ما ينفعه من النبي صلى الله عليه وسلم واشتغاله به صرفه عن معرفة أنه كان مشغولا بتأليف الكفار (فثبت أن فعل ابن أم مكتوم كان ذنبا ومعصية وأن الذي فعله الرسول صلى الله عليه وسلم كان هو الواجب المتعين) اذ هو مأمور بالابلاغ والدعوة برفق (وقد كان عليه الصلاة والسلام مأذونا له في تأديب أصحابه لكن ابن أم مكتوم بسبب عماه استحق مزيد الرفق به) فذكره الله في كتابه بلفظ الاعمى وأنه جاءه يسعى أي يمشي مع عجزه اشارة لذلك وللصفح عنه وذكر من فضله أنه يخشى أي الله تعالى وأنه يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى وروى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا رآه بعد ذلك قال مرحبا بمن عاتبني فيه ربي وبسط له رداءه واستخلفه على المدينة مرارا قال أنس رأيته يوم القادسية ومعه راية سوداء وعليه درع قيل استشهد بها وقيل بل شهدها ورجع فمات بالمدينة ولم يسمع له بذكر بعد عمر ومر بعض شيء من مناقبه في غير موضع رضي الله عنه (وأما قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم) في التخلف عن الغزو (الآية فروى ابن أبي حاتم عن مسعر) بكسر الميم وسكون السين وفتح العين المهملتين (عن عون) بالنون ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي الزاهد الفقيه الثقة المتوفى في حدود الستين بعد المائة (قال هل سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا بدأ بالعفو قبل المعاتبة) الصورية لما أتى ان الخطاب به يدل على التعظيم ثم لا ينافيه قوله الآتي لم يعدها أهل العلم

لذلك علة الا أني أكثرت من أكل الباذنجان في أحد تلك الأيام ومن الزيتون في الآخر ومن الباقلا في الثالث

(فصل) قد أتينا على جملة نافعة من أجزاء الطب العلمي لعل الناظر فيها لا يظفر بكثير منها الا في هذا الكتاب وأريناك قرب ما بينها وبين الشريعة وان الطب النبوي نسبة طب الطبائعيين اليه أقل من نسبة طب العجائز الى طبهم والامر فوق ما ذكرناه وأعظم مما وصفناه بكثير ولكن فيما ذكرناه تنبيه باليسير على ما وراءه ومن لم يرزقه الله بصيرة على التفصيل فليعلم ما بين القوة المؤيدة بالوحي من عند الله والعلوم التي رزقها الله الانبياء والعقول والبصائر التي منحهم الله اياها وبين ما عند غيرهم ولعل قائلا يقول ما لهذا الرسول صلى الله عليه وسلم وما لهذا الباب وذكر قوى الادوية وقوانين العلاج وتدبير أمر الصحة وهذا من تقصير هذا القائل في فهم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فان هذا وأضعافه وأضعاف أضعافه من فهم بعض ما جاء به وارشاده اليه ودلالته عليه وحسن الفهم عن الله ورسوله من من الله به على من يشاء من عباده فقد أوجدناك أصول الطب الثلاثة في القرآن وكيف تنكر أن تكون شريعة المبعوث بصلاح

معاتبة لانهم لما رأوه في غاية الملاطفة ولم يظهر منه لوم لم يعدوه معاتبة لان شأنها أن تكون على جهة لوم من المعاتب ولذا قال لم يعدوه ولم ينسب اليهم نفي المعاتبة من أصلها (وكذا قال مورق) بضم الميم وفتح الواو وكسر الراء الثقيلة وقاف (العجلي) أبو المعتمر البصري تابعي ثقة عابد مات سنة اثنتين ومائة نسبة الى عجل بن بكر بن وائل (وغيره وقال قتادة عاتبه الله تعالى كما تسمعون) في براءة (ثم أنزل الذي في سورة النور فرخص له في ان يأذن لهم ان شاء فقال تعالى فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) أمرهم (فأذن لمن شئت منهم) بالانصراف (ففوض الامر الى رأيه عليه الصلاة والسلام) لكن انما يتم هذا ان كان التفويض سابقا على الاذن أما ان كان بعده كما يشعر به تعبيره بثم فلا يظهر ذلك (وقال عمرو) بفتح العين (ابن ميمون) بن مهران الجزري ثقة فاضل من رواة الجماعة مات سنة سبع وأربعين ومائة (اثنتان فعلهما النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشئ) أي لم يبين له فيهما شئ لا بطلب فعل ولا ترك (اذنه للمنافقين) في التخلف عن الغزو (وأخذه الفداء من الاسرى) ببدر (فعاتبه الله كما تسمعون) في القرآن (وأما قول بعضهم ان هذه الآية تدل على انه وقع من الرسول ذنب لانه تعالى قال عفا الله عنك لم أذنت لهم والعفو يستدعي سالفة) بلام وفاء أي سابقة (ذنب) هذا قول من يجهل لغة العرب كما يأتي (وقول الآخر) ممن يجوز الصغائر عليهم قوله تعالى (لم أذنت لهم استفهام بمعنى الانكار) والانكار يقتضي ذلك (فاعلم انا لا نسلم أن قوله تعالى عفا الله عنك يوجب ذنبا) اذ لم يتقدم فيه نهي من الله حتى يكون ذنبا ولا عده الله عليه معصية ولفظ عفا لا يقتضي ذلك ولا يستلزمه (ولم لا يقال ان ذلك يدل على مبالغة الله تعالى في توقيره وتعظيمه) تفسير (كما يقول الرجل لغيره اذا كان عظيما عنده عفا الله عنك ما صنعت في أمري) آتيا بالعفو قبل الاستفهام حتى لا يبدأ به خطابه تعظيما (ورضي الله عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله ألا) بفتح الهمزة اداة استفتاح (عرفت حقي فلا يكون غرضه من هذا الكلام الا زيادة التعظيم والتبجيل) تحاشيا عن جعل الاستفهام أول كلامه للمعظم عنده (وليس عفا هنا) في الآية (بمعنى غفر) أي ستر وترك المؤاخذة (بل) بمعنى لم يلزمك شيأ في الاذن (كما قال صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم) زكاة في خيل ورقيق (قط أي لم يلزمكم ذلك) فليس معناه اسقاط ما كان واجبا ولا ترك عقوبة هنا وهذا الحديث رواه أبو داود والترمذي والنسائي عن علي مرفوعا بلفظ قد عفوت لكم عن زكاة الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة الحديث بطوله فنازع بعضهم عياضا متبوع المصنف بأنه لم يقف عليه بلفظ عفا الله لكم وتعقب بأن عياضا من الحفاظ وقف عليه ومثله لا يقرع له العصا (ونحوه) أي ما ذكره (للقشيري) بلفظه من قوله وليس عفا بمعناه من أول قوله فاعلم ولفظه عند عياض ومعنى عفا الله عنك لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي انها تكرمة وقال مكي هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك وحكى السمرقندي أن معناه عافاك الله (قال) القشيري (وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لا يعرف كلام العرب) فيقف على معانيه الواردة في لغتهم كعدم اللزوم الوارد في كلام أفصح العرب وأصل معنى العفو الترك وعليه تدور معانيه (ومعنى عفا الله عنك أي لم يلزمك ذنبا وأما الجواب عن الثاني فيقال) على طريق التنزل مع الخصم (اما ان يكون صدر من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب أم لا فان قلنا امتنع على هذا التقدير ان يكون قوله لم أذنت لهم انكارا عليه) اذ من لم يذنب لا ينكر عليه فعله (وان قلنا انه صدر عنه ذنب وحاشاه الله من ذلك) أي نزهه (فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل أن يتوجه الانكار عليه) اذ بعد العفو كأنه لم يقع منه (فثبت انه على جميع التقادير) أي التقديرين المذكورين بناء على أن الجمع ما زاد على الواحد (يمتنع

الدنيا والآخرة مشتملة على صلاح الابدان كاشتمالها على صلاح القلوب وأنها مرشدة الى حفظ صحتها ودفع آفاتها بطرق كلية قد وكل تفصيلها الى العقل الصحيح والفطرة السليمة بطريق القياس والتنبيه والايماء كما هو في كثير من مسائل فروع الفقه ولا تكن ممن اذا جهل شيأ عاداه ولو رزق العبد تضلعا من كتاب الله وسنة رسوله وفهما تاما في النصوص ولوازمها استغنى بذلك عن كل كلام سواه ولاستنبط جميع العلوم الصحيحة منه فمدار العلوم كلها على معرفة الله وأمره وخلقه وذلك مسلم الى الرسل صلوات الله عليهم وسلامه فهم أعلم الخلق بالله وأمره وخلقه وحكمته في خلقه وأمره وطب أتباعهم أصح وأنفع من طب غيرهم وطب أتباع خاتمهم وسيدهم وامامهم محمد ابن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أكمل الطب وأصحه وأنفعه ولا يعرف هذا الا من عرف طب الناس سواهم وطبهم ثم وازن بينهما فحينئذ يظهر له التفاوت وهم أصح الامم عقولا وفطرا وأعظمهم علما وأقربهم في كل شئ الى الحق لانهم خيرة الله في الامم كما رسولهم خيرته من الرسل والعلم الذي وهبهم اياه والحلم

أن يقال ان قوله لم أذنت لهم يدل على كون الرسول مذنبا) كما ادعى ذلك البعض (وهذا جواب شاف) من هذا الداء العضال وهو نسبة ذنب الى أفضل الخلق (كاف) في دفع شبهة الخصم (قاطع) لها أصلا لما فيه من التنزل معه (وعند هذا يحمل قوله لم أذنت لهم على ترك الاولى والاكمل) فقط لا على الانكار (بل لم يعد هذا أهل العلم) أي أحد منهم (معاتبة) بفعل خلاف الاولى (وغلطوا من ذهب الى ذلك) من المفسرين (فقال نفطويه) بنون ففاء فطاء مضمومة فواو ساكنة فياء مفتوحة عند أصحاب الحديث لانهم لا يحبون ويه وعند الادباء بفتح الطاء والواو وسكون الياء وهو لقب لابراهيم بن محمد الازدي النحوي لدناءة منظره مات سنة ثلاث وعشرين وقيل أربع وعشرين وثلثمائة (ذهب ناس الى أن النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه) الله (من ذلك) أي برأه ونزهه وأصل معناه جعله في حشى أي جانب (بل كان مخيرا) في الاذن وتركه وقد كان له أن يفعل ما شاء فيما لم ينزل فيه شيء فكيف وقد قال الله تعالى له فأذن لمن شئت منهم هكذا في كلام نفطويه أي فتعليق الامر بالمشيئة صريح في انه مخير (فلما أذن لهم أعلمه الله) بما لم يطلع عليه (انه لو لم يأذن لهم لقعدوا) ولو أمروا بخلاف القعود (لنفاقهم) وهم يدعون بالاستئذان انه لو لم يأذن ما تخلفوا فاذا ظهر كذبهم وانكشف مغطاهم لزم شق العصا وما يترتب عليه فكان ما فعله أولى وأصوب (و) أعلمه (انه لا حرج) لا وزر ولا اثم (عليه في الاذن لهم) بقوله عفا الله عنك حيث لم يلزمك أن لا تأذن حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين أي لو صبرت لتبين لك أمرهم فهو اشارة الى كمال الرفق به صلى الله عليه وسلم وأنه لم يقع منه تقصير يقتضي العتاب ولا خطأ في الاجتهاد ولا ارتكاب خلاف الاولى وما أحلى قول ابن المنير في تفسيره عفا الله عنك دعامة في الكلام يقصد بها ملاطفة المخاطب وهو عادة العرب في التلطف بتقديم الدعاء لاستدعاء الاصغاء أو خير معناه لا عهدة عليك فهو تخصيص وتمييز لا أن الاذن ذنب يتعلق به العفو لان في تحمله ومسامحته لهم مع أذاهم حملا للمشقة على نفسه واسقاطا للحظوظ فهو عتب عليه بلطف لا ملامة فيه أي قد بلغت في الامتثال والاحتمال الغاية وزدت ما أجحف بك في محبة الله وطاعته والرفق بالبر والفاجر وأين هذا من التخطئة التي بزغ بها الزمخشري عرق العجمة لاساءة الادب على المصطفى وأراد بعضهم أن يصلح فأفسد فقال بدأ بالعفو قبل العتب ولو عكس انقطع نياط قلبه وكله ذهول عن عتب الحبيب في حيفه على نفسه وهو تخفيف لا تعنيف ومدح لا قدح وهذا كما قيل له اذ جهد وجد في العبادة ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى فلعلك باخع نفسك (وأما قوله تعالى في أسارى بدر ما كان لنبي أن تكون) بالتاء والياء (له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا) حطامها بأخذ الفداء (والله يريد الآخرة) أي ثوابها بالقتل (الى قوله عظيم فروى مسلم في أفراده) عن البخاري فهو من الثالثة من مراتب الصحيح (من حديث عمر بن الخطاب قال لما هزم الله المشركين يوم بدر وقتل منهم سبعون وأسر سبعون) مثله في حديث البراء عند البخاري وابن عباس عند مسلم ووافقهم آخرون وبه جزم ابن هشام محتجا له بقوله قد أصبتم مثليها لاتفاق علماء التفسير على أن الخطاب لاهل أحد واصابتهم مثليها يوم بدر وان اتفق أهل السير على أن القتلى خمسون يزيدون قليلا أو ينقصون وعدهم ابن اسحق خمسين وزاد الواقدي ثلاثة أو أربعة وابن هشام زيادة على ستين لانه لا يلزم من عدم معرفة أسماء من قتل على التعيين أن يكونوا جميع القتلى (استشار النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعليا) وفي رواية أحمد عن أنس فقال ان الله قد مكنكم منهم وانما هم اخوانكم بالامس (فقال أبو بكر يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان واني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه منهم قوة) أي مقويا (لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله) للاسلام (فيكونوا لنا عضدا)

والحكمة أم لا يداثيهم فيه غيرهم وقد روى الامام أحمد في مسنده من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله فظهر أثر كرامتها على الله سبحانه في علومهم وعقولهم وأحلامهم وفطرهم وهم الذين عرضت عليهم علوم الامم قبلهم وعقولهم وأعمالهم ودرجاتهم فازدادوا بذلك علما وحلما وعقولا الى ما أفاض الله سبحانه عليهم من علمه وحلمه ولذلك كانت الطبيعة الدموية لهم والصفراوية لليهود والبلغمية للنصارى ولذلك غلب على النصارى البلادة وقلة الفهم والفطنة وغلب على اليهود الحزن والهم والغم والصغار وغلب على المسلمين العقل والشجاعة والفهم والنجدة والفرح والسرور وهذه أسرار وحقائق انما يعرف مقدارها من حسن فهمه ولطف ذهنه وغزر علمه وعرف ما عند الناس وبالله التوفيق

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في أقضيته وأحكامه) وليس الغرض من ذلك ذكر التشريع العام وان كانت أقضيته الخاصة تشريعا عاما وانما

ناصرين فحاصله انه رأى عدم القتل استبقاء للقرابة ولرجاء اسلامهم مع أخذ الفدية مراعاة للجيش ليقووا على الكفار (فقال صلى الله عليه وسلم ماترى ياابن الخطاب قال قلت والله ما أرى مارأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنني من فلان قريب لعمر) (فأضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل) أخيه شقيقه (فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه) يعني العباس (فيضرب عنقه) أي يقتله (حتى يعلم الله انه ليس في قلوبنا هوادة) بفتح الهاء والواو فألف فدال مهملة فهاء ميل ورجوع (للمشركين) زاد في رواية هؤلاء أئمة الكفر وصناديد قريش وأئمتهم وقادتهم فاضرب أعناقهم ما أرى أن تكون لك أسرى فانما نحن رعايا مؤلفون (فهوى) بكسر الواو أحب (ماهوى أبو بكر ولم يهو ماقلت) لما جبل عليه من الرأفة والرحمة في حال ايذائهم له فكيف في حال قدرته عليهم ولم يذكر رأيا عن علي لانه لم يظهر له مصلحة حتى يذكرها أولانه لما رأى ان المصطفى هوى قول أبي بكر رآه انه الصواب فسكت عليه (فأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واذاه وقاعد وأبو بكر الصديق وهما يبكيان فقلت يارسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك) لان عمر ما تغير رأيه (فان وجدت بكاء) أي سببا له بحيث تطاوعني عيني في نزول الدمع (بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت) أي تشبهت بالباكين موافقة لكما وان لم يسل دمع (فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبك للذي عرض) ضمنه معنى نزل فعداه بعلى في قوله (على أصحابك من الفداء لقد عرض على عذابكم) أي اظهر لي يقال عرض له أمر اذا ظهر (أدنى) أقرب (من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه فأنزل الله تعالى) وفي حديث ابن مسعود عند أحمد والترمذي فنزل القرآن بقول عمر (ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض الى قوله عظيم) وفي حديث أنس عند أحمد فأنزل الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم فقال صلى الله عليه وسلم ان كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ولو نزل العذاب ما أفلت منه الا ابن الخطاب (وقوله حتى يثخن في الارض أي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولى أهله) على البلاد وقيل معنى يثخن يتمكن في الارض وما كان نبي للكون وجاء بمعنى لا يليق ولا ينبغي ان يأتي به وبه فسر المستدل بالآية على الصغائر وقدرده بقوله (وليس في هذا الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ماخص به) اكراماله (وفضل به من بين سائر) باقي (الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكأنه عز وجل قال ما كان هذا) أي لم يقع (لنبي غيرك كما قال عليه الصلاة والسلام أحلت لى الغنائم) وفي رواية المغانم (ولم تحل لنبي قبلي) قيل ليس في الآية دليل على ماقال المصنف بخلاف الحديث ورد بأن الفداء في معنى الغنائم لانه مال مأخوذ من الكفرة فذكر الحديث اشارة الى انه يؤيد هذا التأويل وفي المسائل الاربعين للرازي العتاب وقع هنا على ترك الاولى لان الافضل في ذلك الوقت الاثخان وترك الفداء قطعا للاطماع ولولا انه خلاف الاولى ما فوضه صلى الله عليه وسلم لاصحابه وفي حواشيه للقرافي الصواب انه فوض الاجتهاد في أمر الاسرى له ففوضه لاصحابه فرأى عمر القتل وكان هو المصلحة وهو من احدى موافقاته واجتهاد الصحابة لم يؤد للمصلحة فخلص عمر ولم يؤاخذ النبي صلى الله عليه وسلم لبذل جهده في اجتهاده فله الاجر ولذا قال عرض على عذابكم دون عذابي لخروجه عن موجبه ببذل جهده والى هذا ذهب فحول العلماء جمعا بين ظاهر الآية وما يجب لمقامه صلى الله عليه وسلم من العصمة (وأما قوله تعالى تريدون عرض الدنيا) الوارد بحسب الظاهر على اخباره ان الغنائم خصوصية له اذلو كان كذلك ماعوتبوا على أخذ الفداء بقوله تريدون

الغرض ذكر هديه في الاحكام ونذكر مع ذلك قضايا من أحكامه الكلية

(فصل ثبت عنه صلى [بياض بالاصل] الله عليه وسلم) من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه حبس في تهمة قال أحمد وعلي بن المديني هذا اسناد صحيح وذكر ابن زياد عنه صلى الله عليه وسلم في أحكامه أنه صلى الله عليه وسلم سجن رجلا أعتق شركا له في عبد فوجب عليه استتمام عتقه حتى باع غنيمة له

(فصل في حكمه فيمن قتل عبده) روى الاوزاعي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلا قتل عبده متعمدا فجلده النبي صلى الله عليه وسلم مائة جلدة ونفاه سنة وأمره أن يعتق رقبة ولم يقده به وروى الامام أحمد من حديث الحسن عن سمرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم من قتل عبده قتلناه فان هذا كان محفوظا وقد سمعه منه الحسن كان قتله تعزيرا الى الامام بحسب ما يراه من المصلحة وأمر رجلا بملازمة غريمه كما ذكر أبو داود عن النضر بن شميل عن الهرماس بن حبيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم

عرض الدنيا والله يريد الآخرة (فقيل) في الجواب (المراد بالخطاب من أراد ذلك منهم) أي الصحابة (وتجرد) خلص وتمحض (غرضه) بمعجمتين أي قصده (لعرض) بمهملة فمعجمة (الدنيا وحده) أي منفردا عن قصد ثواب الآخرة وهو مؤكد لما قبله (والاستكثار منها) بأخذ ما يناله (وليس المراد بهذا) الخطاب (النبي صلى الله عليه وسلم) لشرف نفسه عن النظر لها (ولا علية) بكسر العين واسكان اللام وخفة الياء أي معظم (أصحابه) كأبي بكر وان أشار بالفداء فلرجاء الاسلام والتقوى على الكفار ومراعاة القرابة كما مر (بل) اضراب انتقالي (قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب) بفتحتين ما يسلب أي يؤخذ من القتلى من لباس ونحوه (وجمع الغنائم عن القتال) متعلق باشتغل (حتى خشي عمر أن يعطف) يرجع (عليهم العدو) كارا (ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق) تقدم على هذه القصة باحلال الغنائم والاسرى لكم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم (فاختلف المفسرون في معنى هذه الآية) فان أردت بيان معناه (فقيل معناه) كما نقله الطبري عن محمد بن علي بن الحسين (لولا انه سبق مني أن لا أعذب أحدا الا بعد النهي لعذبتكم) على ما أخذتم من الفداء اذ لو كان منهيا عنه محرما لاستحق بمخالفته العذاب فالمراد بالكتاب حكم الله الذي كتبه وقدره (فهذا) التفسير (ينفي) يمنع (أن يكون أمر الاسرى) أي فداؤهم (معصية) لعدم النهي عنه (وقيل) المعنى (لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق) المراد في قوله لولا كتاب من الله سبق (فاستوجبتم به الصفح) عدم المؤاخذة (لعوقبتم على) أخذ (الغنائم) وما في حكمها من الفداء قال عياض (ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بأن يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن أحلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى) أي تجاوز ما نهي عنه فالكتاب على هذا القرآن وسبقه تقدمه أزلا أو لتقدم ما نزل (وقيل لولا أنه سبق في اللوح المحفوظ) المكتوب فيه جميع ما هو كائن (انها) أي الغنائم (حلال لكم) الانتفاع بها والتصرف فيها (لعوقبتم) على أخذها (وهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما أحل له لم يعص) فلا دليل فيها على تجويز الصغائر على الانبياء وأصرح من ذلك ما (قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) أي انتفعوا به لا خصوص الاكل وذكره لكثرته وغلبته واستدل به الاكثر على أن الامر الوارد بعد الحظر للاباحة (وقيل بل كان عليه الصلاة والسلام قد خير في ذلك) أخذ الفداء والقتل فلما أخذ قيل كان الاولى خلافه (و) يدل على أنه خير أنه (قد روي) عن الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم باسناد صحيح فما كان ينبغي تعبيره بروي (عن علي قال جاء جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر) أي زمنه (فقال خير أصحابك في الاسارى ان شاؤا القتل) قتلوا (وان شاؤا الفداء) فليفدوا (على ان يقتل منهم في العام المقبل) التالي لهذا العام أي ان الله قدر عليهم ان أخذوا الفداء يقتل من الصحابة (مثلهم) سبعين (فقالوا) نختار (الفداء ويقتل منا) مثلهم رغبة في الشهادة وعند ابن سعد من مرسل قتادة فقالوا بل نفاديهم فنقوى به عليهم ويدخل القابل منا الجنة سبعون ففادوهم (وهذا دليل على انهم لم يفعلوا الا ما أذن لهم فيه) فلا ذنب ولا معصية (لكن بعضهم مال الى أضعف الوجهين) وهو الفداء باجتهاده وهو جائز بحضرته عليه الصلاة والسلام (مما كان الاصلح) للاسلام (غيره من الاثخان والقتل) الذي هو أعز الوجهين بيان لغيره (فعوتبوا على ذلك) أي اختيار غير الاصلح (وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم) وهو عمر (فكلهم غير عصاة ولا مذنبين) لان كلا منهم اختار ما أدى اليه اجتهاده ظانا ان الخير فيه قال عياض والى نحو هذا أشار الطبري وقوله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه الا عمر اشارة الى ان هذا من تصويب رأيه ورأي من أخذ بمأخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه

بغريم لي فقال لي الزمه ثم قال لي يا أخا بني سهم ما تريد ان تفعل باسيرك

و روى أبو عبيد رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم أمر بقتل القاتل وصبر الصابر قال أبو عبيد أي بحبسه للموت حتى يموت وذكر عبد الرزاق في مصنفه عن علي كرم الله وجهه يحبس الممسك في السجن حتى يموت

(فصل في حكمه في المحاربين) حكم بقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم كما سملوا عين الراعي وتركهم حتى ماتوا جوعا وعطشا كما فعلوا بالراعي

(فصل في حكمه بين القاتل وولي المقتول) ثبت في صحيح مسلم عنه ان رجلا ادعى على آخر أنه قتل أخاه فاعترف فقال دونك صاحبك فلما ولى قال ان قتله فهو مثله فرجع فقال انما أخذته بامرك فقال صلى الله عليه وسلم أما تريد أن تبوء باثمك واثم صاحبك فقال بلى فخلى سبيله وفي قوله فهو مثله قولان * أحدهما ان القاتل اذا قيد منه سقط ما عليه فصار هو والمستقيد بمنزلة واحدة وهو لم يقل أنه بمنزلته قبل القتل وانما قال ان قتله فهو مثله وهذا يقتضي المماثلة بعد قتله فلا اشكال في الحديث وانما فيه التعريض للحق بترك القود والعفو * والثاني أنه ان كان لم يرد قتل أخيه فقتله به فهو متعمد مثله

وأن هذه القصة لو استوجبت عذابا النجا عمر وعينه لانه أول من أشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم ذلك لحله لهم فيما سبق وقال الداودي الخبر بهذا لم يثبت ولو ثبت لما جاز أن يظن أنه صلى الله عليه وسلم يحكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر فيه اليه وقد نزهه الله عن ذلك هكذا في الشفاء قبل قوله (وقال القاضي بكر) بن محمد (بن العلاء) بن محمد البصري ثم المصري أحد كبار المالكية والمحدثين له تصانيف جليلة تقدمت ترجمته (أخبر الله تعالى نبيه في هذه الآية ان تأويله وافق ما كتب له من احلال الغنائم والفداء) وكيف لا يكون الفداء حلالهم قبل ذلك (وقد كان صلى الله عليه وسلم قبل هذا) أي غزوة بدر (فادى في سريه عبد الله بن جحش) الاسدي ابن عمته عليه الصلاة والسلام أميمة أحد السابقين الاولين استشهد بأحد (التي قتل فيها) عمرو (بن الحضرمي) بسهم رماه به واقد بن عبد الله وذلك أنه عليه الصلاة والسلام بعث عبد الله في سريه يعترض عير قريش فنزلوا بطن نخلة وقتل ابن الحضرمي وأسر الحكم وعثمان بن عبد الله (بالحكم بن كيسان) متعلق بفادى لا بقتل وكان الاولى حذف الباء وأسره المقداد بن الاسود فأراد ابن جحش قتله فقال المقداد دعه تقدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن اسلامه واستشهد ببئر معونة (وصاحبه) عثمان بن عبد الله ذهب حين فدى الى مكة فمات بها كافرا (فما عتب الله ذلك عليهم) فلو كان ممنوعا العتب (وذلك قبل بدر بأزيد من عام) هذا سهو لان السريه كانت في رجب وقيل في جمادى الآخرة وبدر في رمضان كلاهما في ثانية الهجرة فبينهما أقل من ثلاثة أشهر وقد تعقبوا الشفاء متبوع المصنف بهذا ومثله لا يخفى عليهما ولكن الكمال لله (فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الاسرى كان على تأويل) باجتهاد منه ومن أصحابه (وبصيرة) جريا (على ما تقدم قبل) أي قبل ذلك الفعل (مثله فلم ينكره الله عليه لكن الله تعالى أراد) بقوله ما كان لنبي الخ (لعظم أمر بدر) بكسرها شوكة المشركين وارعاب قلوبهم فلو زادوا ذلك بقتل الاسرى كان أقوى (وكثرة أسرارها) جمع أسير (والله أعلم) بما أراد جملة معترضة (اظهار نعمته) مفعول أراد أي ظهورها على المسلمين (وتأكيد منته) عليهم (بتعريفهم ما كتب في اللوح المحفوظ) على أحد الوجوه السابقة قريبا في المراد بالكتاب (من حل ذلك) لهم (لا على وجه عتاب) أي لوم بل لبيان النعمة (أو انكار) عليهم (أو تذنيب) أي نسبتهم لذنب في فعلهم (قال القاضي عياض رحمه الله تعالى) في الشفاء من أول قوله وليس في هذا الزام ذنب الى هنا وهو وجيه خلافا لقول بعض شراحه انه تكلف لا ينبغي ارتكابه والحق انه عتاب من الله وفي فتح الباري اختلف السلف في أي الرأيين كان أصوب فقال بعضهم كان رأي أبي بكر لانه وافق ما قدر الله في نفس الامر ولما استقر عليه الامر ولدخول كثير منهم في الاسلام اما بنفسه واما بذريته التي ولدت له بعد الوقعة ولانه وافق غلبة الرحمة على الغضب كما ثبت ذلك عن الله تعالى في حق من كتب له الرحمة وأما من رجح الرأي الآخر فتمسك بما وقع من العتاب على أخذ الفداء وهو ظاهر لكن الجواب عنه انه لا يدفع حجة الرجحان عن الاول بل ورد للاشارة الى ذم من آثر شيأ من الدنيا على الآخرة ولو قل (وأما قوله تعالى ولولا أن ثبتناك) على الحق بالعصمة (لقد كدت) قاربت (تركن) تميل (اليهم شيأ) ركونا (قليلا) لشدة احتيالهم والحاحهم وهو صريح في أنه صلى الله عليه وسلم ما ركن ولا قارب (اذا لاذقناك ضعف) عذاب (الحياة وضعف) عذاب (الممات) أي مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة (الآية) ثم لا تجد لك علينا نصيرا اما نعا منه أخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال خرج أمية ابن خلف وأبو جهل ورجال من قريش فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد تعال

اذكان القاتل متعديا بالجناية ما روى الامام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قتل رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفعه الى ولي المقتول فقال القاتل يا رسول الله ما أردت قتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للولي أما انه اذا كان صادقا ثم قتلته دخلت النار فخلى سبيله وفي كتاب ابن حبيب في هذا الحديث زيادة وهي قال النبي صلى الله عليه وسلم عمد يد وخطأ قلب

(فصل) في حكمه بالقود على من قتل جارية وأنه يفعل به كما فعل ثبت في الصحيحين أن يهود يارض رأس جارية بين حجرين على أوضاح لها أي حلي فاخذ فاعترف فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرض رأسه بين حجرين وفي هذا الحديث دليل على قتل الرجل بالمرأة وعلى أن الجاني يفعل به كما فعل وان القتل غيلة لا يشترط فيه اذن الولي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدفعه الى أوليائها ولم يقل ان شئتم فاقتلوه وان شئتم فاعفوا عنه بل قتله حتما هذا مذهب مالك واختيار شيخ

فتمسح بآلهتنا وندخل معك فى دينك وكان يحب اسلام قومه فرق لهم فأنزل الله وان كادوا ليفتنونك الى قوله نصيرا قال السيوطى هذا أصح ما ورد فى سبب نزولها وهو واسناد جيد وله شاهد أخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير قال كان صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر فقالوا لا ندعك تستلم حتى تلم بآلهتنا فقال صلى الله عليه وسلم وما على لو فعلت والله يعلم منى خلافه فنزلت (فالمعنى لولا أن ثبتناك لقاربت) تفسير لكدت (أن تميل الى اتباع مرادهم) تفسير لتركن من الركون الذى هو أدنى ميل على ما قال المفتى وعليه فقوله شيأ قليلا لا كالصفة الكاشفة لمعنى تركن (لكن أدركتك عصمتنا فمنعت أن تقرب فضلا عن أن تركن) وبيان المعنى حصل الجواب عن الآية وانها من الآيات المادحة للمصطفى لا انها من المتشابهات (وهو صريح فى انه صلى الله عليه وسلم ما هم باجابتهم) أى قريش لما طلبوه منه من التمسح بآلهتهم والالمام بها على الاصح فى سبب نزولها وبه استدل من قال هذه الآيات مكية ومن قال انها مدنية استدل بما رواه ابن مردويه عن ابن عباس ان ثقيفا قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم أجلنا سنة حتى يهدى لآلهتنا فاذا قبضنا ما يهدى لها أحرزناه ثم أسلمنا فهم أن يؤجلهم فنزلت واسناده ضعيف وذكر الثعلبى بلا اسناد عن ابن عباس انها نزلت فى ثقيف قالوا لا ندخل فى أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نحنى فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وتحرم وادينا كمكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله أمرنى قال الولى العراقى لم أقف له على اسناد (مع قوة الداعى اليها) لشدة احتيالهم وقوة خدعهم وكونه فى مقام التلطف بهم والحرص على ايمانهم (فالعصمة بتوفيق الله وحفظه) عن مقاربة ذلك (ولو قاربت لاذقناك ضعف) عذاب (الحياة وضعف) عذاب (الممات) تفسير لقوله اذا لاذقناك (أى ضعف ما يعذب به فى الدارين) الدنيا والآخرة (بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ) أى ذنب (الخطير الشريف (أخطر) أعظم من غيره لانه لشرفه حقه أن لا يقرب مما يلام عليه بل يصون نفسه عن الهفوات وان صغرت (وقد أعاذه الله تعالى) أى عصمه (من الركون الى أعدائه) أى أعداء الله (بذرة من قلبه) أى بشئ قليل صغير جدا كالذرة فضلا عما فوقها (ومما يعزى للحريرى مما يؤيد ذلك) أى أن كادهنا بمعنى قرب (قوله) ملغزا

(أنحوى هذا العصر ماهى لفظة * جرت فى لسانى جرهم وثمود)

جرهم بضم الجيم حى من اليمن وثمود قوم صالح وخصهما زيادة فى التعمية

(اذا استعملت فى صورة الجحد أثبتت * وان أثبتت قامت مقام جحود)

وفسر الاول وهو النفى المثبت بنحو ذبحوها وما كادوا يفعلون لغلاء ثمن البقرة (وقد فعلوا) بنص فذبحوها (الثانى وهو الثبوت المنفى بنحو قوله تعالى لقد كدت تركن اليهم قالوا) أى العلماء كلهم (وهو صلى الله عليه وسلم ثبت قلبه ولم يركن) بنص قوله ثبتناك وأيده بذلك وان كان ضعيفا لاشتهاره كما فى شرح الكافية والمغنى وقالا ان من زعم لم يصب بل حكم كاد حكم سائر الافعال فمعناها منفى اذا صحبها حرف نفى وثابت اذا لم يصحبها فاذا قيل كاد زيد يبكى معناه قارب البكاء فمقاربة البكاء ثابتة واذا قيل لم يكد يبكى فمعناه لم يقارب البكاء فمقاربته منفية ونفسه منتف انتفاؤه بعدمن انتفائه عند ثبوت المقاربة (واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل) أى افترى سمى تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة أقاويل تحقيرا لها كأنها جمع أفعولة من القول كالاضاحيك (لاخذنا منه باليمين) بالقوة والقدرة (ثم لقطعنا منه الوتين) نياط القلب وهو عرق متصل به اذا انقطع مات صاحبه (فالمعنى لو افترى علينا بشئ من عند نفسه) كما زعم الكفار بنحو ان هذا الا افك افتراه (لاخذنا) لنلنا (منه) عقابا (باليمين

يقتل بالسيف

(فصل فى حكمه صلى الله عليه وسلم فيمن ضرب امرأة حاملا فطرحها) فى الصحيحين ان امرأتين من هذيل رمت احداهما الاخرى بحجر فقتلتها وما فى بطنها فقضى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة عبد أو وليدة فى الجنين وجعل دية المقتولة على عصبة القاتلة هكذا فى الصحيحين وفى النسائى فقضى فى حملها بغرة وأن تقتل بها وكذلك قال غيره أيضا انه قتلها مكانها والصحيح أنها لم يقتلها لما تقدم وقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فى جنين امرأة من بنى لحيان بغرة عبد أو وليدة ثم ان المرأة التى قضى عليها بالغرة توفيت فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ميراثها لبنيها وزوجها وان العقل على عصبتها وفى هذا الحكم ان شبه العمد لا يوجب القود وان العاقلة تحمل الغرة تبعا للدية وان العاقلة هم العصبة وان زوج القاتلة لا يدخل معهم وان أولادها أيضا ليسوا من العاقلة *(فصل فى حكمه صلى الله عليه وسلم بالقسامة

وقطعنا نياط قلبه وأهلكناه وقد أعاذه الله تعالى من التقول عليه) أفلا تعقلون انه تنزيل من رب العالمين فالآية من جملة مدحه اذ فيها القسم على تصديقه بجميع الموجودات وأنه لا يمكنه الافتراء عليه (فان قلت لا مرية) لا شك (انه يعفى للمحب) اسم مفعول المحبوب أو اسم فاعل أى لمن أحب غيره ولا شك انه عليه السلام محب الله ومحبوب له (ولصاحب المحاسن والاحسان العظيم ما لا يعفى لغيره ويسامح بما لا يسامح به غيره كما قال الشاعر

واذا الحبيب أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع)

وفى القرآن اشارة اليه وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم (ولا شك ان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الحبيب الاعظم) من كل حبيب (ذو المحاسن والاحسان الاكبر) الفائق على كل محسن (فما هذه العقوبة المضاعفة) بقوله اذا لأذقناك ضعف الحياة الخ (والتهديد الشديد) فى قوله لأخذنا منه الخ (الوارد) كل منهما (ان وقع منه ما يكره) بكسر الهمزة وسكون النون شرط (وكم من راكن الى أعدائه) أى الله تعالى حقيقة فضلا عن مقاربته (ومتقول) بكسر الواو اسم فاعل كاذب (عليه تعالى من قبل) جهة (نفسه لم يعبأ) لم يبال (به كأرباب البدع ونحوهم) من الخوارج وغيرهم (فالجواب أنه لا تنافى بين الامرين فان من كملت عليه نعمة الله واختصه منها بما لم يختص به غيره وأعطاه منها ما لم يعط غيره فحباه) بموحدة (بالانعام وخصه بمزيد القرب) المعنوى (والاكرام) وهذا بمعنى ما قبله فهو اطناب (اقتضت حاله من حفظ مرتبة القرب والولاية والاختصاص ان يراعى مرتبته) فيباعد نفسه (من أدنى) أقل (تشويش وقاطع) عن الله (فلشدة الاعتناء به ومزيد تقريبه واتخاذه لنفسه واصطفائه) اختياره (على غيره تكون حقوق وليه وسيده عليه أتم ونعمه عليه أكمل وأعم) من غيره (فالمطلوب منه فوق المطلوب من غيره فهو اذا غفل) بفتح الفاء كنصر وفى لغة بكسرها (أو أخل بمقتضى مرتبته منزلته السنية (نبه بما لم ينبه عليه البعيد مع كونه يسامح بما لم يسامح به ذلك البعيد أيضا فيجتمع فى حقه الامران) عظم ما يصدر منه لمنافاته لمرتبته والمسامحة لمحبته وشدة نصحه لمحبوبه (واذا أردت معرفة اجتماعهما وعدم تناقضهما فالواقع فى عرف الآدميين (شاهد بذلك فان الملك) السلطان (يسامح خاصته وأولياءه) الموالين له والمعاضدين (بما لم يسامح به من ليس فى منزلتهم ويؤاخذ بما لم يؤاخذ به غيرهم) ممن دونهم (وأنت اذا كان لك عبدان أو ولدان أحدهما أحب اليك من الآخر وأقرب الى قلبك وأعز عليك عاملته بهذين الامرين) المسامحة والمؤاخذة (واجتمع فى حقه المعاملتان بحسب قربه منك وحبك له وعزته عليك فاذا نظرت الى اكمال احسانك اليه واتمام نعمك عليه) بمعنى حسنه اختلاف اللفظ (اقتضت) تلك الحالة التى هى النظر لكمال الاحسان (معاملته بما لا يعامل به من دونه من التنبيه وعدم الاهمال) بيان لما (واذا نظرت الى محبته لك وطاعته وخدمته وكمال عبوديته ونصحه) لك فى أمورك (وهبت له وسامحته وعفوت عنه بما لا تفعله مع غيره فالمعاملتان بحسب ما بينك وبينه وقد ظهر اعتبار هذا المعنى) العرفى (فى الشرع حيث جعل حد من أنعم عليه بالتزويج اذا تعداه الى الزنا الرجم) لان الذى مع المزنى بها امع زوجته (وحد من لم يعطه هذه النعمة الجلد) لانه معذور بالنسبة للمتزوج فكفى جلده فى عقوبته (وكذلك ضاعف الحد على الحر الذى قد ملكه نفسه وأتم نعمته عليه ولم يجعله مملوكا لغيره وجعل حد العبد المنقوص بالرق الذى لم يحصل له هذه النعمة نصف ذلك) كما قال فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب (فسبحان من بهرت) بفتح الموحدة والهاء غلبت وظهرت (حكمته فى خلقه) وما أحسن قول القائل (فلله سر تحت كل لطيفة *) أى رفق بالعبد

فيمن لم يعرف قاتله) * ثبت فى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم حكم بها بين الانصار واليهود وقال لمحويصة ومحيصة وعبد الرحمن أتحلفون وتستحقون دم صاحبكم وقال البخارى وتستحقون قاتلكم أو صاحبكم فقالوا أمر لم نشهده ولم نره فقال فتبرئكم يهود بايمان خمسين فقالوا كيف نقبل ايمان قوم كفار فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده وفى لفظ يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته اليه واختلف لفظ الاحاديث الصحيحة فى محل الدية ففى بعضها أنه صلى الله عليه وسلم وداه من عنده وفى بعضها وداه من ابل الصدقة وفى سنن أبى داود أنه صلى الله عليه وسلم ألقى ديته على اليهود لانه وجد بينهم وفى مصنف عبد الرزاق أنه صلى الله عليه وسلم بدأ باليهود فأبوا أن يحلفوا فرد القسامة على الانصار فأبوا أن يحلفوا فجعل عقله على يهود وفى سنن النسائى فجعل عقله على اليهود وأعانهم ببعضها وقد تضمنت هذه الحكومة أمورا منها الحكم بالقسامة وانها من دين الله وشرعه ومنها القتل بها لقوله فيدفع برمته اليه وقوله فى لفظ آخر وتستحقون دم صاحبكم فظاهر القرآن والسنة القتل بايمان الزوج

لا

لا يعلمه الا هو سبحانه (فأخو البصائر) الناظر بعين البصيرة (غائص) أي غارق في المعاني والافكار التي يتوصل بها الى معرفة كماله عز وجل (يتعقل) أي يستعمل عقله فيما يوصل اليه (اه) هذا الجواب (ملخصا) حال (وأما قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب) القرآن (ولا الايمان) مع ما مر أنه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وصفاته قبل النبوة (فقيل معناه ما كنت تدري الايمان على التفصيل الذي شرع في القرآن) فلا ينافي انه كان يدريه اجمالا (وقال أبو العالية) رفيع ابن مهران التابعي الكبير (هو بمعنى الدعوة الى الايمان) فيكون على حذف مضاف (لانه كان قبل الوحي لا يقدر أن يدعو) الناس (الى الايمان بالله تعالى) فلا ينافي علمه بأنه اله واحد (وقيل معناه انه ما كان يعرف الايمان حين كان في المهد وقبل البلوغ) فلا ينافي عرفانه بعد ذلك ببصيرته (حكاه الماوردي) علي بن حبيب القاضي أبو الحسن البغدادي البصري نسب أبوه لعمل الورد أو بيعه والقياس الوردي صاحب التصانيف الجليلة مات سنة خمسين وأربعمائة عن ست وثمانين سنة (والواحدي) أبو الحسن علي المفسر تلميذ الثعلبي (والقشيري) الامام المشهور صاحب الرسالة (وقيل انه من باب حذف المضاف أي ما كنت تدري أهل الايمان أي من الذي يؤمن أبو طالب) عبد مناف (أو العباس أو غيرهما) فلا ينافي انه مؤمن بالله وصفاته وقد يدل له بقية الآية ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا (وقيل المراد به) أي الايمان (شرائع الايمان ومعالمه) أي ما يدل عليه فهو على حذف مضاف أيضا (وكلها ايمان وقد سمى الله الصلاة ايمانا بقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم أي صلاتكم الى بيت المقدس) مدة (فيكون اللفظ عاما) وهو مطلق التصديق (والمراد الخصوص) وهو الشرائع والمعالم (كما قاله ابن قتيبة) عبد الله بن مسلم (وابن خزيمة) محمد امام الائمة قال بكر القاضي فكان صلى الله عليه وسلم مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا قال عياض وهذا أحسن وجوهه (وقد اشتهر في) كتب (الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان يوحد الله ويبغض الاوثان) كما في قصة بحيرا الراهب لما استحلفه باللات والعزى وهو صبي فقال صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيأ قط بغضهما فقال بحيرا فبالله الا ما أخبرتني عما أسألك فقال سل عما بدا لك (ويحج ويعتمر) مخالفا للمشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان من توفيق الله له يقف بعرفة لانه موقف ابراهيم (وروى أبو نعيم وابن عساكر عن علي انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط) صنما متخذا من حجارة أو خشب أو غيرهما وقيل الصنم المتخذ من الجواهر المعدنية التي تذوب والوثن المتخذ من حجر أو خشب (قال لا) لم أعبده قط (قيل فهل شربت خمرا) قط (قال لا) ما شربته (وما زلت أعرف ان الذي هم عليه) من عبادة الاوثان (كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الايمان وقد ورد أن العرب لم يزالوا على بقايا من دين اسمعيل كحج البيت والختان والغسل من الجنابة) وقد حلف أبو سفيان بعد وقعة بدر لا يغسل رأسه من جنابة حتى يغزو محمدا (وكان عليه الصلاة والسلام لا يقرب) بفتح الراء وضمها (الاوثان) أي لا يدنو منها (ويعيبها) بفتح الياء (و) الحال انه حينئذ (لا يعرف شرائع الله التي شرعها العباده على لسانه فذلك قوله ما كنت تدري ما الكتاب ٢ ولا الايمان) هو بمعنى ما قدمه أعاده لزيادة قوله (ولم يرد الايمان الذي هو الاقرار بالله لان آباءه الذين ماتوا على الشرك كانوا يؤمنون بالله ويحجون مع شركهم) وقد كانوا في الفترة فهم لا يعذبون اذ لا يجب فيها ايمان

٢ قوله ولا الايمان في نسخة المتن بعده وعن عائشة كانت قريش ومن دان دينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل الحرم رواه الشيخان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف بعرفات دونهم توفيقا من الله رواه البيهقي وأبو نعيم من حديث جبير بن مطعم وقد ورد الخ اه

وأيمان الأولياء في القسامة وهو مذهب أهل المدينة وأما أهل العراق فلا يقتلون في واحد منهما وأحمد يقتل في القسامة دون اللعان والشافعي رحمه الله عكسه ومنها انه يبدأ بياض بالاصل بأيمان المدعين في القسامة بخلاف غيرها من الدعاوى ومنها ان أهل الذمة اذا منعوا حقا عليهم انتقض عهدهم لقوله صلى الله عليه وسلم اما أن تدوه واما أن تأذنوا بحرب ومنها ان المدعى عليه اذا بعد عن مجلس الحكم كتب اليه ولم يشخصه ومنها جواز العمل والحكم بكتاب القاضي وان لم يشهد عليه ومنها القضاء على الغائب ومنها انه لا يكتفى في القسامة بأقل من خمسين اذا وجدوا ومنها الحكم على أهل الذمة بحكم الاسلام وان لم يتحاكموا الينا اذا كان الحكم بينهم وبين المسلمين ومنها وهو الذي أشكل على كثير من الناس اعطاؤه الدية من ابل الصدقة وقد ظن بعض الناس ان ذلك من سهم الغارمين وهذا لا يصح فان غارم أهل الذمة لا يعطى الزكاة وظن بعضهم ان ذلك مما فضل من الصدقة عن أهلها فللامام أن يصرفه في المصالح وهذا أقرب من الاول وأقرب منه انه صلى الله عليه وسلم وداه من عنده واقترض الدية من ابل الصدقة ويدل عليه فوداه من عنده وأقرب من هذا كله أن يقال لما تحملها

ولا يمنع كفر على الصحيح قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ومفهومه ان منهم من مات على الايمان ورجح الرازي وغيره انه لم يكن في آبائه شرك ومر بسط ذلك في أول الكتاب (انتهى) هذا المقصد (والله أعلم) وله الحمد على ما أنعم ونسأله اتمام الاحسان بالاتمام وان يجعله خالصا له بجاه المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام

(المقصد السابع)

في) بيان (وجوب محبته و) بيان وجوب (اتباع سنته) طريقته التي كان عليها وهي شاملة للواجب والمستحب والمباح ومعنى وجوب اتباعها اعتقاد حقية ما دلت عليه وان مباحا وأنه عن الله وأما مباشرة الفعل فتختلف بالوجوب والندب والاباحة والحرمة والكراهة ولا يشكل بان المستحب يجب بالنذر فيخالف سنته لانه صلى الله عليه وسلم أمر بالوفاء به كالقرآن فهو من سنته (و) بيان وجوب (الاهتداء بهديه وطريقته) بان يقتدى به فيما ودعنه وافق غيره من بقية الانبياء كالتوحيد أو خالفهم كالاحكام الناسخة لشرائع من قبله (وفرض محبة آله وصحبه) عبر بفرض وفيما قبله بوجوب تفننا وذكره اهتماما بهم لئلا يتساهل في محبتهم لعدم بلوغهم رتبته ولا يصح حمله على مذهب الفارقين بين الواجب والفرض لان المقام يأباه اذ يصير المعنى محبة المصطفى بدليل ظني ومحبة آله وصحبه بدليل قطعي (وقرابته وعترته) بكسر العين واسكان الفوقية عطف خاص على عام أو مساو للقرابة قال ابن الاعرابي العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه ولا تعرف العرب من العترة غير هذا ويقال رهطه الادنون ويقال أقرباؤه فهذا الاخير صريح في انه عطف مساو والقولان قبله خاص على عام (وحكم الصلاة والتسليم عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه) أي عنده والجمع بينهما اطناب أو الاول لطلب زيادة العلوم والمعارف الباطنة والثاني لطلب الاخلاق الكريمة الظاهرة أو الاول ضد النقص والثاني علو المجد وهو ميل الى ترادفهما وسؤال الزيادة لا يشعر بسبق نقص لقبول الكامل زيادة الترقي في غايات الكمال فاندفع زعم جمع امتناع الدعاء له عقب نحو ختم القرآن باللهم اجعل ذلك زيادة في شرفه على ان جميع أعمال أمته يتضاعف له نظيرها لانه السبب فيها أضعافا مضاعفة لا تحصى فهي زيادة في شرفه وان يسئل له ذلك فسؤاله تصريح بالمعلوم كما في التحفة (وفيه ثلاثة فصول *

الاول في وجوب محبته واتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته صلى الله عليه وسلم * اعلم أن المحبة) اللام عوض عن المضاف اليه أي محبة المصطفى وبدأ ببيانها لان الحكم على الشيء فرع تصوره فاعتقاد وجوبها انما يكون بعد تصورها (كما قال صاحب المدارج) أي مدارج السالكين اسم لشرح ابن القيم على كتاب منازل السائرين لشيخ الاسلام عبد الله بن محمد بن علي الانصاري من ولد أبي أيوب الصحابي المؤلف الواعظ ستين سنة للناس الميت سنة احدى وثمانين وأربعمائة عن ست وثمانين سنة (هي المنزلة) الرتبة العلية (التي يتنافس فيها المتنافسون) أي يتسابقون اليها ويتزاحمون عليها بان يطلبها كل واحد ويود أنه يبلغ فيها مرتبة لا يبلغها غيره وفي القاموس نافس فيه رغب على وجه المباراة في الكرم كتنافس (واليها يشخص العاملون) أي يرفعون أبصارهم مجتهدين في تحصيلها والمراد أنهم يجتهدون في الاعمال ويخلصون فيها ليناولوا بها تلك المرتبة السنية وعبر عن ذلك بشخوص البصر لما جرت به العادة ان من طلب غائبا عنه وانتظره كثر تلفته ونظره الى الجهة التي يأتي منها (والى علمها) أي معرفتها (شمر السابقون) اجتهدوا في معرفتها والوصول اليها (وعليها تفانى) بفاء ونون (المحبون) أي تغالبوا في فنائهم فيها فكل يريد أن يغلب غيره فيها بأن تزيد محبته على محبة غيره (وبروح نسيمها) بفتح الراء بمعنى الراحة كأنه شبه المحبة من حيث اللذة وانبساط النفس بها بريح

لاصلاح ذات البين ولعل هذا مراد من قال انه قضاها من سهم الغارمين وهو صلى الله عليه وسلم لم يأخذ منها لنفسه شيأ فان الصدقة لا تحل له ولكن جرى اعطاء الدية منها مجرى اعطائها من الغرم لاصلاح ذات البين والله أعلم فان قيل فكيف تصنعون بقوله فجعل عقله على اليهود فيقال هذا مجمل لم يحفظ راويه كيفية جعله عليهم فانه صلى الله عليه وسلم لما كتب اليهم ان يدوا القتيل أو يأذنوا بحرب كان هذا كالالزام لهم بالدية ولكن الذي حفظ انهم أنكروا ان يكونوا قتلوا وحلفوا على ذلك وان رسول الله صلى الله عليه وسلم وداه من عنده حفظوا زيادة على ذلك فهم أولى بالتقديم فان قيل فكيف تصنعون برواية النسائي انه قسمها على اليهود وأعانهم ببعضها قيل هذا ليس بمحفوظ قطعا فان الدية لا تلزم المدعى عليهم بمجرد دعوى أولياء القتيل بل لا بد من اقرار أو بينة أو ايمان المدعين ولم يوجد هنا شيء من ذلك وقد عرض النبي صلى الله عليه وسلم ايمان القسامة على المدعين فابوا ان يحلفوا فكيف

طيبة هاب بتحييها النفوس وأثبت لها النسيم تخييلا والروح بمعنى الراحة ترشيحا (تروح) بالتثقيل (العابدون) أي وصل اليهم رائحة منها اطمأنت بها نفوسهم واستلذوا بها وارتاحوا (فهي قوت القلوب) أي هي للقلوب كالقوت من حيث انها تحييها وتتقوى كما يقوى البدن بالقوت وهو ما يقوم به من الطعام جمعه أقوات (وغذاء) بكسر الغين وذال معجمتين (الارواح) جمع روح بالضم يذكر ويؤنث تشبيه بليغ كسابقه أو كل منهما استعارة نحو زيد أسد وأضاف القوت للقلوب لانها من البدن وهو ينتفع بما يؤكل والغذاء للارواح لانها لا تنتفع بما يؤكل وانما تنتفع بالاذكار ونحوها (وقرة) بضم القاف (العيون) أي سرورها بالمحبة وسكونها عن الالتفات الى غيرها (وهي الحياة التي من حرمها فهو جملة الاموات) لانه لا يجد لذتها كالاموات ولا عائدتها (والنور الذي من فقده ففي بحار الظلمات) أي فهو كالمنغمر فيها بحيث لا يهتدي الى شئ ينفعه (والشفاء) بالمد قال ابن الجوزي في كتابه نزهة البيان الشفاء اسم للنفس يزيل عنها الاذى ويستعمل في القرآن على ثلاثة أوجه الفرح كقوله ويشف صدور قوم مؤمنين أي يسرهم والعافية كقوله واذا مرضت فهو يشفين والبيان كقوله وشفاء لما في الصدور (الذي من عدمه) بكسر الدال فقده (حلت بقلبه جميع الاسقام) الامراض الطويلة (واللذة التي من لم يظفر) يفز (بها فعيشه كله هموم) أحزان جمع هم (وآلام) جمع ألم (وهي روح الايمان) تشبيه بليغ أي له كالروح للابدان (و) روح (الاعمال والمقامات والاحوال التي متى خلت) تلك الاربعة (منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه) فهو بيان لوجه الشبه في الاربع ويحتمل انه بيان لقوله وهي روح الحياة الى هنا (تحمل اثقال) أحمال (السائرين الى بلد لم يكونوا الا بشق الانفس) بجهدها (بالغيه) واصلين اليه على غيرها وأخر بالغيه لرعاية السجع (وتوصلهم الى منازل لم يكونوا بدونها أبدا واصليها) جملة مفسرة لما قبلها (وتبوؤهم) تسكنهم (من مقاعد الصدق) مجالس الحق التي لا لغو فيها ولا تأثيم (الى مقامات) منازل رفيعة في الجنة (لم يكونوا لولا هي داخليها) وفيه تلميح لمعنى ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق والتقوى بالايمان لا تكون الا مع محبة الرسول (وهي مطايا القوم) جمع مطية فعيلة بمعنى مفعولة البعير ذكرا أو أنثى سمي بذلك لانه يركب مطاه أي ظهره والمطا بزنة عصا الظهر (التي سراهم) بضم السين جمع سرية بوزن مدية ومدى قال أبو زيد ويكون السرى أول الليل وأوسطه وآخره (في ظهورها دائما الى الحبيب) وقد استعملت العرب سرى في المعاني تشبيها لها بالاجسام مجازا واتساعا ومنه والليل اذا يسر المعنى اذا يمضي وقال البغوي اذا سار وذهب وقال جرير

سرت الهموم فبتن غير نيام * وأخو الهموم يروم كل مرام

(وطريقهم الاقوم الذي يبلغهم الى منازلهم الاولى) التي كانوا بها في صلب آدم وهي الجنة (من قريب) بدون عذاب قبل دخولها للجنة وقال شيخنا الاولى أي التي قدر أزلا حصولها لهم لكن بأعمال يصلون بها اليها فهي سابقة أزلا على وجود أصحابها ثم بعد ظهورهم في الخارج وفقهم الله ببركة المحبة الى فعل تلك الاعمال فوصلوا اليها في زمن قليل لا يحصل عادة في مثله ما قدر عليه من العمل بل ولا ما يقاربه وهو تكلف مستغنى عنه (تالله لقد ذهب أهلها) المحبة (بشرف الدنيا والآخرة) وعلله بقوله (اذ لهم من معية محبوبهم) المشار لها بقوله أنت مع من أحببت (أوفر نصيب) لشموله الدارين وان لم يدركه في الدنيا أو كان بينهم مسافة بعيدة كما تقدم بسطه في المتن (وقد قدر الله يوم قدر مقادير الخلائق) قبل خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة (بمشيئته وحكمته البالغة) التامة (أن المرء مع من أحب) كما أخبر المحبوب صلى عليه علام الغيوب (فيالها) بفتح اللام (من نعمة على المحبين سابغة) بغين معجمة طويلة متسعة ثم يحتمل انه مستغاث به وانه مستغاث له لان اللام الداخلة على المستغاث

بعضهم ببعض فهلكوا ذكر الامام أحمد والبزار وغيرهما ان قوما احتفروا بئرا باليمن فسقط فيها رجل فتعلق بآخر والثاني بالثالث والثالث بالرابع فسقطوا جميعا فماتوا فارتفع أولياؤهم الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال اجمعوا من حفر البئر من الناس وقضى للاول بربع الدية لانه هلك فوقه ثلاثة والثاني بثلثها لانه هلك فوقه اثنان والثالث بنصفها لانه هلك فوقه واحد والرابع بالدية تامة فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العام القابل فقصوا عليه القصة فقال هو ما قضى بينكم هكذا سياق البزار وسياق أحمد نحوه وقال انهم أبوا ان يتراضوا بقضاء علي كرم الله وجهه فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عند مقام ابراهيم عليه السلام فقصوا عليه القصة فاجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل الدية على قبائل الذين ازدحموا

(فصل في حكمه صلى الله عليه وسلم) فيمن تزوج امرأة أبيه روى الامام أحمد والنسائي وغيرهما عن البراء رضي الله عنه قال لقيت

له يجب فتحها ان كان ضميرا كما هنا فان كان اسما ظاهرا وجب كسرها والداخلة على المستغاث به يجب فتحها مطلقا (لقد سبق القوم المحبين) مفعول (السعادة) فاعل سبق فهيأت لهم أنواع النعيم وفى نسخة لقد سبق القوم السعاة جمع ساع أى الماشين بسرعة فالقوم فاعل (وهم على ظهور الفرش) بضمتين جمع فراش فعال بمعنى مفعول (نائمون) والجملة حالية (ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم فى سيرهم واقفون) أى انهم فازوا بالسعادة والتقرب الى الله بحب المصطفى وان لم يكن لهم كثير عمل فأشبهوا من حيث قلة العمل من وقف فى سيره بحبس دابته مثلا ومع ذلك حصل ما تمناه وأنشد لغيره

(من لى بمثل سيرك المذلل * تمشى رويدا وتجى فى الاول)

أى من يتكفل لى بسير مثل سيرك السهل (أجابوا مؤذن الشوق) أى المعلم به والداعى له (اذ نادى بهم حى على الفلاح) أى هلم الى الفوز والنجاة أو البقاء فى الجنة أى أقبلوا الى سبب الفلاح والبقاء (فى الجنة و بذلوا أنفسهم) أعطوها (فى طلب الوصول الى محبوبهم) وجرد البذل عن بعض معناه فاستعمله فى مطلق الاعطاء فلذا قال (وكان بذلهم بالرضا والسماح) مراعاة للسجع أو دفعا لتوهم انه مجرد الاعطاء والا فهو لغة الاعطاء بسماحة وطيب نفس (وواصلوا اليه السير بالادلاج) بالكسر بزنة الاكرام أى بسير الليل كله (والغدو) أى الذهاب وقت الغدوة وهى ما بين الفجر والشمس أو منه الى الزوال (والرواح) من الزوال الى الغروب والمعنى واصلوا سيرهم اليه ليلا ونهارا (ولقد حمدوا على الوصول مسراهم) عند وصولهم الى محبوبهم حيث ترتب على سيرهم ما قصدوه بلا تعب ومشقة (وانما يحمد القوم السرى عند الصباح) لوصولهم الى منازلهم المترتب على سراهم (وقد اختلفوا فى تعريف المحبة) بعبارات كثيرة مختلفة (وعباراتهم وان كثرت) الواو للحال لان الواقع انها كثيرة فى نفسها فلا يصح انها غائية أو هى غائية بالنظر للواقف عليها الا فى نفس الامر أى سواء كانت قليلة أو كثيرة للواقف عليها وان كثرت فى الواقع (فليست فى الحقيقة ترجع الى اختلاف مقال) فى معناها بحيث يعتقد كل واحد فى معناها غير ما اعتقده الآخر ومقال مصدر قال (وانما هى) عبارات منشؤها (اختلاف أحوال) قامت بالمحبين فكل عبر بما يليق بالمعنى الذى قام به

عباراتنا شتى وحسنك واحد * وكل الى ذاك الجمال يشير

(وأكثرها) اى العبارات (يرجع الى) بيان (ثمراتها) وهى ما يترتب على المحبة من الفوائد سماها ثمرات لمشابهتها لها فى الانتفاع بها وترتبها عليها (دون حقيقتها) لاتحادها (وقد قال بعض المحققين حقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات) لهم (التى لا تحد وانما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه) كلذة المجامع لا يمكن التعبير عن حقيقتها بعبارة (وهكذا يقول صاحب مدارج السالكين) ابن القيم (تبعا لغيره والمحبة لا تحد بحد أوضح منها) أى لا تعرف بحد يفيد أكثر مما يفيده لفظ المحبة لانها علقة تقوم بالمحب يدركها من نفسه ولا يمكن أن يوصل خصوص ما قام به الى غيره بحيث يكشف له حقيقة ما عنده وغايته أن يخبر بأنه يحب كذا محبة قوية لا يمكنه التخلف عنه وليس هذا عين ما قام به وقريب من هذا قولهم الحسن يدرك ولا يوصف أى لا يبين بعبارة تحقق معناه عند المخاطب (فالحدود لا تزيدها الا خفاء) لعدم بيانها حقيقة الماهية (وجفاء) بالجيم والمد ويقصر أى بعدا مأخوذ من جفا السرج عن الفرس رفعه كالجفاء (فحدها وجودها) وذلك الوجود لا يمكن بيان حقيقته للغير (ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة) فلا معنى لحدها بأخفى منها (وانما يتكلم الناس فى أسبابها وموجباتها) بكسر الجيم عطف تفسير (وعلاماتها) الدالة عليها (وشواهدها) التى تشهد بقيامها بالمحب (وثمراتها) فوائدها (وأحكامها) التى تبنى عليها (فحدودهم) جمع حد وهو التعريف بذاتيات المعرف كتعريف

وآخذ ماله وذكر ابن أبى خيثمة فى تاريخه من حديث معاوية بن قرة عن أبيه عن جده رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى رجل عرس بامرأة أبيه فضرب عنقه وخمس ماله قال يحيى بن معين هذا حديث صحيح وفى سنن ابن ماجه من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقع على ذات محرم فاقتلوه وذكر الجوزجانى أنه رفع الى الحجاج رجل اغتصب أخته على نفسها فقال احبسوه وسلوا من ههنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوا عبد الله بن مطرف رضى الله عنه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تخطى حرم المؤمنين خطوا وسطه بالسيف وقد نص أحمد فى رواية اسمعيل بن سعيد فى رجل تزوج امرأة أبيه أو بذات محرم فقال يقتل ويدخل ماله فى بيت المال وهذا القول هو الصحيح وهو مقتضى حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الشافعى ومالك وأبو حنيفة حده حد الزانى ثم قال أبو حنيفة ان وطئها بعقد عزر ولا حد عليه وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضاؤه أحق وأولى

الانسان بالحيوان الناطق (و رسومهم) جمع رسم وهو التعريف بخاصة من خواصه كتعريفه بالضاحك والمراد بهما هنا شيء واحد وهو التعريف بالاثر (دارت على هذه السنة) بنون أي الطريقة وبفوقية أي السنة المذكورة فهي ألفاظ متقاربة (وتنوعت بهم العبارات وكثرت الاشارات بحسب الادراك) أي وصول كل الى المعنى الذي تصوره من لفظ المحبة (والمقام) المكان المورد فيه الكلام الذي يريد التعبير به (والحال) زمن ايراد ذلك الكلام فالفرق بينهما اعتباري وحقيقته صفة الشئ تذكر وتؤنث فيقال حال حسنة وحسن (وقد وضعوا لمعناها) أي لمعنى المحبة وهو الحب وجعل الحب معنى لها لاشتماله على زيادة والا فالحب والمحبة لغة معناهما واحد وهو الوداد (حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة) أحدهما (الحاء التي هي من أقصى الحلق و) الثاني (الباء الشفهية التي هي نهايته) أي نهاية الصوت وفي نسخة نهاية بلا ضمير أي للمخارج (فللحاء الابتداء) لانها مبدأ الصوت المشتمل على الحروف وان كان مخرجها أقصى الحلق (وللباء الانتهاء) والحاصل كما قال شيخنا أنهم جعلوا آخر الحلق مما يلي الصدر أقصى باعتبار وضع الانسان لان كل شئ له نهايتان فأيتهما افرضتها أوله كان مقابلها آخره هذا فيما وضع على الامتداد كالبساط وأما ما وضع على الانتصاب فأعلاه أوله وأسفله آخره ولذا كان أول المخارج الشفتين وأولهما مما يلي البشرة التي هي ظاهر الجلد وآخرها الحلق وأوله مما يلي اللسان وآخره مما يلي الصدر والصوت لما كان مبدؤه من الرئة يخرج منها ثم يمر على الحلق جعل أول المخارج بهذا الاعتبار وأقصى الحلق وآخرها الشفتين (وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداءها منه) بأن يرى المحب من المحبوب ما يدعو الى ميله اليه فيتعلق به بحيث لا يصير عنده سواه (وانتهاءها اليه) اذ هو غاية المطلوب (وأعطوا الحب) الذي هو المصدر (حركة الضم التي هي أشد الحركات وأقواها) عطف مساو (مطابقة) مفعول لاجله أي لمطابقته (لشدة حركة مسماه وقوتها وأعطوا الحب وهو المحبوب حركة الكسر لخفتها من الضمة وخفة المحبوب) خفة (ذكره على قلوبهم وألسنتهم فتأمل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين الالفاظ والمعاني تطلعك على قدر) أي شرف (هذه اللغة) العربية وتميزها على غيرها (وأن لها شأنا ليس لسائر اللغات وهذه بعض رسوم وحدود قيلت في المحبة بحسب آثارها) علاماتها التي بها يهتدى اليها (وشواهدها) أي ما يشهد بها ويدل عليها حتى كأنها شهدت به وأثبتته (والكلام على ما يحتاج الى الكلام عليه منها فمنها موافقة الحبيب في المشهد والمغيب) أي في حالتي شهوده أي حضوره ومغيبه (وهذا موجبها) بفتح الجيم (ومقتضاها) مساوله في المعنى أي انهما أثر المحبة ومسبب عنها (ومنها محو المحب لصفاته) بحيث لا يبقى له صفة (واثبات المحب لذاته) بدون صفة فالمحو في أصل اصطلاحهم رفع أوصاف العادة قال ابن عطاء محو أوصافهم ويثبت أسرارهم ويقابل المحو الاثبات وهو اقامة أحكام العادة (وهذا من الفناء في المحبة) وهو أن تمحى صفات المحب وتفنى) تزول وتضمحل (في صفات محبوبه وذاته وهذا يستدعي بيانا أتم من هذا لايدركه الا من أفناه وارد المحبة عنه) أي الفناء (وأخذه) أي أخذ الوارد الفناء (منه) ويسمونه فناء الفناء وهو الفناء عن شهود هذا الفناء بحيث يفنى عن كل ما سوى محبوبه وحينئذ يدرك ذلك بالوجدان لا بالعبارة (ومنها استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من محبوبك) كما قيل

قليل منك يكفيني ولكن * قليلك لا يقال له قليل

(وهو لابي يزيد) بياء قبل الزاي اسمه طيفور بطاء مهملة وتحتية وفاء ابن عيسى البسطامي نادرة زمانه حالا وانفاسا وورعا وعلما وزهدا وتوفي مات سنة احدى وستين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة (وهو أيضا من احكامها وموجباتها) بفتح الجيم (وشواهدها) الدالة عليها (والمحب الصادق لو بذل

أبي خيثمة وابن السكن وغيرهما من حديث ثابت عن أنس رضي الله عنه ان ابن عم مارية كان يتهم بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه اذهب فان وجدته عند مارية فاضرب عنقه فأتاه علي فاذا هو في بركة يتبرد فيها فقال له علي أخرج فناوله يده فاخرجه فاذا هو مجبوب ليس له ذكر فكف عنه علي كرم الله وجهه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انه مجبوب ماله ذكر وفي لفظ آخر أنه وجده في نخلة يجمع تمرا وهو ملفوف بخرقة فلما رأى السيف ارتعد وسقطت الخرقة فاذا هو مجبوب لاذكر له وقد أشكل هذا القضاء على كثير من الناس فطعن بعضهم في الحديث ولكن ليس في اسناده من يتعلق عليه وتأوله بعضهم على أنه صلى الله عليه وسلم لم يرد حقيقة القتل انما أراد تخويفه ليزدجر عن مجيئه اليها قال وهذا كما قال سليمان للمرأتين اللتين اختصمتا اليه في الولد علي بالسكين حتى أشق الولد بينهما ولم يرد أن يفعل ذلك بل قصد استعلام الامر من هذا القول ولذلك كان من تراجم الائمة على هذا الحديث باب الحاكم يوهم خلاف الحق

المحبوبه بجميع مايقدر عليه لاستقله) اعتقده قليلا (ولو ناله من محبوبه أيسر شئ لاستكثره واستعظمه)
عده واعتقده كثيرا عظيما (ومنها استكثار القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك وهو
قريب من الاول) أي ماقبله فهو أول نسي والا فهو ثالث (لكنه مخصوص بما من المحب) في
الحالين بخلاف ماقبله فمنه ومن المحبوب فافترقا (ومنها معانقة الطاعة) أي التزام المحب طاعة محبوبه
بحيث يفعل كل ما أمره به أو فهم انه يريده وان لم يأمره (ومباينة المخالفة) بأن لايخالفه في شئ أراده منه
ولا يفعل شيأ نهاه عنه وهذا المعنى لازم لالتزام الطاعة فذكره ايضاح (وهو لسهل بن عبد الله)
التستري الولي الذي لم يسمح الدهر بمثله له كرامات وتصانيف مات سنة ثلاث وثمانين ومائتين عن
ثلاث وثمانين سنة (وهو أيضا حكم المحبة وموجبها) لاحد لها حقيقي (ومنها أن تهب كلك لمن أحببت
فلا يبقى لك منك شئ) وعليه أنشد

تملك بعض حبك كل قلبي * فان ترد الزيادة هات قلبا

(وهو لسيدنا أبي عبد الله) محمد بن أحمد بن ابراهيم (القرشي) من أعيان مشايخ المغرب ومصر لقي نحو
ستمائة شيخ وجد واجتهد وأخذ عنه كثيرون منهم البوني وله كرامات كثيرة مات ببيت المقدس سنة
تسع وتسعين وخمسمائة وقيل غير ذلك ودفن به ثم دفن بجانبه ابن رسلان وجربت استجابة الدعاء
بين قبريهما (وهو أيضا من موجبات المحبة وأحكامها) لا تعريف لها (والمراد أن تهب ارادتك
وعزماتك) بفتح الزاي جمع عزمة وهي الاجتهاد في الشئ والمحافظة عليه (وافعالك ونفسك ومالك
ووقتك لمن تحبه) والوقت عندهم عبارة عن حال في زمان الحال لا تعلق فيه بالماضي ولا الاستقبال
فيقال فلان وقته كذا أي حاله كذا ولذا قالوا الوقت ما أنت فيه ان كنت بالدنيا فوقتك الدنيا وان كنت
بالعقبى فوقتك العقبى وان كنت بالسرور فوقتك السرور وان كنت بالحزن فوقتك الحزن فعنوا
بذلك أن وقت الانسان هو حاله الغالبة عليه (وتجعلها) أي المذكورات (حبسا) بضمتين
وتسكن الباء لغة وقفا (في مرضاته) أي مقصورة على رضاه لا تتعداه الى غيره (ومحابه) ما يحبه
هو (ولا تأخذ منها لنفسك الا ما أعطاكه فتأخذه منه له) لانه لم يبق لك منك شئ فأخذك ما أعطاك
انما هو له (ومنها أن تمحو من القلب ماسوى المحبوب) حتى نفسك وذلك عندما ينسى أوصاف
نفسه في ذكر محاسن حبه كما قيل

شاهدته وذهلت عن غيره * مني عليه فذا المثنى مفرد

(وكمال المحبة يقتضي ذلك فانه مادامت في القلب بقية لغيره ومسكن لغيره فالمحبة مدخولة) أي مشوبة
بغيرها ومتى كانت كذلك لم تكن حقيقية (ومنها أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك وهو للشبلي) أبي
بكر دلف بن جحدر وقيل اسمه جعفر بن يونس وقيل غير ذلك صحب الجنيد والنساج وطبقتهما وصار
أوحد وقته علما وحالا وتفقه على مذهب مالك وكتب حديثا كثيرا ثم شغلته العبادة عن الرواية مات
سنة أربع وثلاثين وثلثمائة عن سبع وثمانين سنة ودفن بمقبرة الخيزران ببغداد (ومراده احتقارك
لنفسك واستصغارها أن يكون مثلك يحبه) لجلالته فيغار عليه من أن ينسب له الشئ الحقير (ومنها
غض طرف المحب عما سوى المحبوب غيرة) مفعول له (وعن المحبوب هيبة) أي لاجل الغيرة والهيبة
(وهذا يحتاج الى ايضاح أما الاول فظاهر وأما الثاني فان غض طرف القلب عن المحبوب مع كمال محبته
كالمستحيل) اذ أصل معنى المحبة ميل القلب فكيف يصرفه عنه (ولكن عند استيلاء سلطان المحبة يقع
مثل هذا) بدون اختيار كأنه لا يدري ما هو عليه (وذلك من علامات المحبة المقارنة للهيبة والتعظيم)
للمحبوب (ومنها ميلك الى الشئ) الذي تحبه (بكليتك) بجملتك (ثم ايثارك له على نفسك وروحك

ومالك

ليتوصل به الى معرفة الحق فأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرف الصحابة براءته وبراءة مارية وعلم أنه اذا أتاه السيف كشف عن حقيقة حاله فجاء الامر كما قدره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحسن من هذا أن يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر عليا رضي الله عنه بقتله تعزيرا لاقدامه وجرأته على خلوته بأم ولده فلما تبين لعلي حقيقة الحال وانه بريء من الريبة كف عن قتله واستغنى عن القتل بتبيين الحال والتعزير بالقتل ليس بلازم كالحد بل هو تابع للمصلحة دائر معها وجودا وعدما

*(فصل في قضائه صلى الله عليه وسلم) في القتيل يوجد بين قريتين روى الامام أحمد وابن أبي شيبة من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال وجد قتيل بين قريتين فأمر النبي صلى الله عليه وسلم فذرع ما بينهما فوجد الى أحدهما أقرب فكأني أنظر الى شبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقاه الى أقربهما وفي مصنف عبد الرزاق قال عمر بن العزيز قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا في القتيل فيوجد بين ظهراني ديار قوم ان الايمان على المدعى عليهم فان نكلوا حلف المدعون واستحقوا فان نكل الفريقان كانت

ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه) وهذا بمعنى ما سبق عن القرشي لكن غرض المصنف بيان العبارات وان رجع بعضها الى بعض (قال الجنيد) أبو القاسم بن محمد البغدادي شيخ الطريقة العلم الشهير (سمعت الحرث) بن أسد البصري (المحاسبي) قيل له ذلك لكثرة محاسبته لنفسه أو لانه كان له حصي يعدها ويحسبها حال الذكر أو لغير ذلك صحب الشافعي وقيل بل عاصره وكان عابدا زاهدا راسخا في الاصول والفقه والحديث والتصوف والكلام صنف نحو مائتي مؤلف ومات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين (يقول ذلك) المذكور في معنى المحبة (ومنها) المحبة (سكر لا يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه) لانه عند الطائفة عبارة عن غيبة بوارد قوي والغيبة عدم الاحساس وذلك اذا كوشف بنعت الجمال سكر وطرب وهام قلبه (ثم السكر الذي يحصل عند المشاهدة) للمحبوب (لا يوصف) بل يجل عن الوصف (وأنشد بعضهم)

فأسكر القوم دور الكاس بينهم * لكن سكري نشا من رؤية الساقي

فالصادق المحبة لا يتوقف سكره على كاس ولا غيرها بل بمجرد رؤية الحبيب يسكر سكرا يجل عن الوصف (ومنها سفر القلب) أي توجهه (في طلب المحبوب ولهج لسانه بذكره على الدوام) بحيث لا يفتر عنه (أما سفر القلب في طلبه فهو الشوق الى لقائه) فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وما أحسن قوله

واني لاهوى الحشر اذ قيل انني * وعفراء يوم الحشر (١) نلتقيان

وأحلى قول الآخر

ان كان يحلو لديك ظلمي * فزد من الهجر في عذابي
عسى يطيل الوقوف بيني * وبينك الله في الحساب

(وأما لهج اللسان بذكره فلا ريب أن من أحب شيأ أكثر من ذكره) وهو لفظ حديث رواه أبو نعيم ثم الديلمي من طريق مقاتل بن حيان عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم من أحب شيأ أكثر من ذكره (ومنها) المحبة (الميل الى ما يوافق الانسان) المحب وتكون موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه منه أمرا محبوبا (كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة وغير ذلك) كالاطعمة والاشربة اللذيذة والروائح الطيبة والملابس الفاخرة (من الملاذ التي لا يخلو كل طبع سليم) من غلظ الطبع وفساد الحواس كالمريض يجد الحلو مر الفساد ذوقه فلا يرد نقضا (عن الميل اليها لموافقتها له) طبعا (أو لاستلذاذه) أي وجود لذته وهي ادراك الملائم من حيث هو ملائم والالم ضده والمراد بالملائم للشئ كماله اللائق به كالتكيف بالحلاوة للذائق ونحوه من المحسوسات وكتعقل الاشياء على ما هي عليه بالقوة العاقلة وقيد الحيثية لان الشئ قد يكون ملائما من وجه دون آخر فاللذة حسية واليها أشار بقوله (كحب الصورة الجميلة) وعقلية وبينها بقوله (بادراكه بحاسته) بعد الوصول اليه لا قبله بمجرد تخيله بحاسة عقله وقلبه معاني لطيفة شريفة كحب الصالحين والعلماء وأهل المعروف كما في الشفاء وفيه تسمح على رأي الحكماء لان المدرك عندهم القوى الباطنة في الدماغ لا العقل المدرك للكليات لكن لما لم يثبتها أهل الشرع تسمح فيها (أو يكون حبه لذلك لموافقته له) أي لملاءمته وموافقة طبعه (من جهة احسانه) انعامه وبذله وجوده (اليه) وفي نسخة له أي لاجل ذلك فقوله (وانعامه عليه) عطف تفسير (فقد جبلت) خلقت وطبعت (القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها كما رواه أبو نعيم في) كتاب (الحلية وأبو الشيخ وغيرهما) كابن حبان في روضة العقلاء والخطيب في تاريخ بغداد وآخرين عن ابن مسعود موقوفا وأخرجه ابن عدي والبيهقي وابن الجوزي عنه مرفوعا قال السخاوي وهو باطل موقوفا ومرفوعا وقول ابن

(١) قوله نلتقيان هكذا هذا البيت في النسخ ولا يخفى انه انما يقال نلتقي ولعله تلتقيان بالمثناة الفوقية أو التحتية ويكون فيه التفات عن التكلم الى الخطاب أو الغيبة تأمل اه مصححه

الدية نصفها على المدعى عليهم ويبطل النصف اذا لم يحلفوا وقد نص الامام أحمد في رواية المروزي على القول بمثل رواية أبي سعيد فقال قلت لابي عبد الله القوم اذا أعطوا الشئ فتبينوا أنه ظلم فيه قوم فقال ترد عليهم ان عرف القوم قلت فان لم يعرفوا قال يفرق على مساكين الموضع فقلت فما الحجة في أن يفرق على مساكين ذلك الموضع فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل الدية على أهل المكان يعني القرية التي وجد فيها القتيل فأراه قال كما ان عليهم الدية هكذا يفرق فيهم يعني اذا ظلم قوم منهم ولم يعرفوا فهذا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قد قضى بموجب هذا الحديث وجعل الدية على أهل المكان الذي وجد فيه القتيل واحتج به أحمد وجعل هذا أصلا في تفريق المال الذي ظلم فيه أهل ذلك المكان عليهم اذا لم يعرفوا بأعيانهم وأما الاثر الآخر فمرسل لا تقوم بمثله حجة ولو صح تعين القول بمثله ولم تجز مخالفته ولا يخالف باب الدعاوى ولا باب القسامة فانه ليس فيهم لوث ظاهر يوجب تقديم المدعين فيقدم المدعى عليهم في اليمين فاذا نكلوا قوي جانب المدعي من وجهين أحدهما وجود القتيل بين ظهرانيهم والثاني نكولهم عن براءة ساحتهم

كلاهما أورث ذلك شبهة مركبة من نكول كل واحد منهما فلم ينهض ذلك سببا لايجاب كمال الدية عليهم اذا لم يحلف غرماؤهم ولا اسقاطها عنهم بالكلية حيث لم يحلفوا فجعلت الدية نصفين ووجب نصفها على المدعى عليهم لثبوت الشبهة في حقهم بترك اليمين ولم يجب عليهم بكمالها لان خصومهم لم يحلفوا فلما كان اللوث متركبا من يمين المدعين ونكول المدعى عليهم ولم يتم سقط ما يقابل بل ايمان المدعين وهو النصف ووجب ما يقابل نكول المدعى عليهم وهو النصف وهذا من أحسن الاحكام وأعدلها وبالله التوفيق

(فصل في قضائه صلى الله عليه وسلم بتأخير القصاص من الجرح حتى يندمل) ذكر عبد الرزاق في مصنفه وغيره من حديث ابن جريج عن عمرو بن شعيب رضي الله عنه قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجل طعن آخر بقرن في رجله فقال يا رسول الله أقدني فقال حتى يبرأ جراحك

عدي والبيهقي الموقوف معروف فيه تأمل ففي سندهما من أبهم بالكذب والوضع بسياق أجل الاعمش عن مثله وهو أنه لما ولي الحسن بن عمارة مظالم الكوفة فقال الاعمش ظالم ولي مظالم فبلغ الحسن فبعث اليه بأثواب ونفقة فقال الاعمش مثل هذا ولي علينا يرحم صغيرنا ويجود على فقيرنا ويوقر كبيرنا فقال له رجل ماهذا قولك بالامس فقال حدثني خيثمة عن ابن مسعود فذكره موقوفا وأخرجه القضاعي مرفوعا من جهة ابن عائشة عن محمد بن عبد الرحمن القرشي قال كنت عند الاعمش فقيل ان الحسن ولي المظالم فقال الاعمش ياعجبا من ظالم ولي المظالم ما للحائك بن الحائك والمظالم فأتيت الحسن فأخبرته فقال علي بمنديل وأثواب فوجه بها اليه فبكرت الى الاعمش من الغد فأجريت ذكره فقال بخ بخ هذا الحسن بن عمارة ولي العمل وما زانه فقلت بالامس تقول ما قلت واليوم تقول هذا فقال دع عنك هذا حدثني خيثمة عن ابن مسعود مرفوعا به فقد كان رحمه الله زاهدا ناسكا تاركا للدنيا حتى وصفه القائل بقوله ما رأيت الاغنياء والسلاطين عند أحد أحقر عنده منهم مع فقره وحاجته وقال آخر انه فقير صبور مجانب للسلطان ورع عالم بالقرآن انتهى وفي تذكرة ابن عبد الهادي قال مهنأ سألت أحمد ويحيى عن هذا الحديث فقالا ليس له أصل وهو موضوع (واذا كان الانسان يحب منحه) أي اعطاه (في دنياه) أي حياته في الدنيا (مرة أو مرتين معروفا) أي شيأ حسنا (فانيا منقطعا) أي زائلا في زمن قليل (أو استنقذه) نجاه (من مهلكة) أمر مهلك (أو مضرة) بفتح الميم والضاد أمر يضره ويؤذيه (لاتدوم) مدة ذلك (فما بالك بمن منحه منحا لا تبيد) بكسر الموحدة واسكان التحتية لاتذهب وتنفد (ولا تزول) عطف تفسير من نعيم الخلد في الجنة (ووقاه) بالتشديد والتخفيف صانه (من العذاب الاليم) عذاب النار (مالا يفنى ولا يحول) عنه الى غيره فهذا أحق أن يحب من كل شئ يحب حتى من نفسه وماله وأهله (واذا كان المحب يحب غيره على) أي لاجل (ما فيه من صورة جميلة وسيرة حميدة) كملك وقاض وان كان بعيد الدار عنه ولم يره (فكيف بهذا النبي الكريم والرسول العظيم) الذي لا أكرم ولا أعظم منه (الجامع لمحاسن الاخلاق والتكريم المانح) المعطي (لنا جوامع المكارم والفضل العميم فقد أخرجنا الله به من ظلمات الكفر الى نور الايمان) بالاضافة البيانية فيهما أو من اضافة الاعم الى الاخص (وخلصنا به من نار الجهل الى جنات المعارف والايقان فهو السبب لبقائنا مهجنا) بضم ففتح (البقاء الابدي) الدائم (في النعيم السرمدي) المتواصل الذي لا ينقطع (فأي احسان أجل قدرا) رتبة (وأعظم خطرا) بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة أي قدرا أو شرفا غاير بينهما تفننا (من احسانه الينا) معاشر المؤمنين وخصهم لانهم هم المنتفعون به وان كان احسانه عاما وأي للتعظيم والتفخيم كما يقال عندي رجل أي رجل أي رجل كامل الرجولية (فلا منة وحياته) قسمي (لاحد بعد الله كما له علينا ولا فضل لبشر) ولا الملك (كفضله لدينا) عندنا وقيد بالبشر لانه المشاهد فضله (فكيف ننهض) نقوم بسرعة (ببعض شكره) على ما أولانا (أو) كيف (نقوم من واجب حقه بمعشار عشره فقد منحنا الله به منح الدنيا والآخرة وأسبغ) أوسع وأتم (علينا) بسببه (نعمه) أي الله (باطنة) وهي المعرفة وغيرها (وظاهرة) حسن الصورة وتسوية الاعضاء (فاستحق صلى الله عليه وسلم أن يكون حظه) نصيبه (من محبتنا له أوفى) أتم (وأزكى) أطهر (من محبتنا لانفسنا وأولادنا وأهلينا وأموالنا والناس أجمعين) عطف عام على خاص وهو كثير (بل) انتقال (لو كان في كل منبت) محل نبات (شعرة منا محبة تامة له صلوات الله وسلامه عليه لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا وقد روى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن) ايمانا كاملا (أحدكم) خطاب للحاضرين عام فيهم وفي غيرهم بقياسهم عليهم بطريق المساواة بجامع العلة أو تنزيلا لهم منزلة المخاطبين وتوجه الكلام

فأبى الرجل الا أن يستقيد فأقاده النبي صلى الله عليه وسلم فصح المستقاد منه

تجاملهم مجازا من باب الاستعارة التمثيلية ويؤيده عمومه رواية مسلم لا يؤمن الرجل وفي رواية الاصيلي
لا يؤمن أحد وزعم أن في مسلم لا يؤمن عبد وابن حبان لا يبلغ عبد حقيقة الايمان غلط فانما فيهما ذلك في
حديث حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه (حتى أكون أحب) أفعل بمعنى مفعول وهو مع كثرته على
خلاف القياس وفصل بينه وبين معموله بقوله (اليه) لان الممتنع الفصل باجنبي قاله الحافظ وقال
المصنف لانه يتوسع في الظرف ما لا يتوسع في غيره (من والده) أي أبيه قال الحافظ وهل تدخل الام في
لفظ والده ان أريد به من له الولد فيعم أو اكتفى بذكر أحدهما كما يكتفى عن أحد الضدين بالآخر ويكون
ما ذكر على سبيل التمثيل والمراد الاعزة كأنه قال أحب اليه من أعزته (وولده) ذكرا أو أنثى (رواه
البخاري) من حديث أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي
نفسي بيده لا يؤمن فذكره وهو عن أبي هريرة من أفراد البخاري ورواه هو ومسلم من حديث أنس
(وقدم الوالد للاكثرية لان كل أحد له والد من غير عكس) أو نظرا الى جانب التعظيم أو لسبقه بالزمان
قاله المصنف (وفي رواية النسائي) لحديث أنس (تقديم الولد على الوالد وذلك لمزيد الشفقة) ونطق صلى
الله عليه وسلم عند كل من أبي هريرة وأنس بما رواه عنه فلا خلف وليس أحدهما بالمعنى لاختلاف المخرج
وأفاد الحافظ أن الروايات لم تختلف في حديث أبي هريرة (وزاد في رواية عبد العزيز بن صهيب) بضم
المهملة وفتح الهاء وسكون التحتية وموحدة البناني بضم الموحدة نسبة الى بنانة بطن من قريش
التابعي كأبيه (عن أنس) عند البخاري ومسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده
(والناس أجمعين) دخل في عمومه النفس على الظاهر وقيل اضافة المحبة اليه تقتضي خروجه منهم وهو
بعيد وقد نص على النفس في حديث عبد الله بن هشام كما يأتي انتهى ووجه بعده أن اللفظ عام وما ذكر
ليس من المخصصات وحينئذ فلا يخرج (وفي صحيح) محمد (بن خزيمة) المعروف بامام الائمة من طريق
عبد العزيز بن صهيب عن أنس مرفوعا لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه (من أهله وماله بدل والده
وولده) وكذا لمسلم من طريق ابن علية والاسماعيلي من طريق عبد الوارث بن سعيد كلاهما عن
عبد العزيز عن أنس بلفظ لا يؤمن الرجل قال الحافظ وهو أشمل من جهة وأحدكم أشمل من جهة
وأشمل منهما رواية الاصيلي لا يؤمن أحد (وذكر الوالد والولد أدخل في المعنى) أي أنسب بالمعنى الذي
الكلام فيه (لانهما أعز على العاقل من الاهل والمال بل ربما يكونان أعز من نفسه ولهذا لم يذكر النفس
في حديث أبي هريرة) بل قال من والده وولده فقط (وذكر الناس بعد الوالد والولد) في حديث أنس عند
الشيخين كما علم (من عطف العام على الخاص) وهو كثير كما في الفتح فمحبة الوالد محبة اجلال ومحبة الولد
رحمة وشفقة والناس محبة احسان وقد ينتهي المحب في المحبة الى أن يؤثر هوى المحبوب على هوى نفسه
فضلا عن ولده بل يحب أعداء نفسه لمشابهتهم محبوبه قال

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم * اذ صار حظي منك حظي منهم

(قال الخطابي والمراد بالمحبة هنا حب الاختيار) الذي يقتضي العقل ايثاره وان خالف الطبع كمحبة
المريض الدواء (لا حب الطبع) الذي لا يدخل تحت اختيار فانه لا يؤاخذ به لعدم دخوله تحت استطاعته
(وقال النووي فيه تلميح الى قضية النفس الامارة) المائلة بطبعها الى الشهوات وتهيم بها وتستعمل
القوى والجوارح في أثرها كل الاوقات (والمطمئنة) بذكر الله فان النفس تترقى في الاسباب والمسببات
الى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغني به عن غيره أو الى الحق بحيث لا يريبها شك والآمنة
التي لا يستفزها خوف ولا حزن قاله البيضاوي (فان من رجح جانب المطمئنة كان حبه للنبي صلى الله
عليه وسلم راجحا) حتى على نفسه (ومن رجح جانب الامارة كان حبه بالعكس) أي مرجوحا (وفي كلام

وعرج المستقيد فقال عرجت وبرئ صاحبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألم آمرك أن لا تستقيد حتى
يبرأ جرحك فعصيتني فأبعدك الله وبطل عرجك ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان به جرح بعد الرجل الذي عرج أن لا يستقاد منه حتى يبرأ جراح صاحبه فالجرح على ما بلغ حتى يبرأ فما كان من عرج أو شلل فلا قود فيه وهو عقل ومن استقاد جرحا فأصيب المستقاد منه فعقل ما فضل من ديته على جرح صاحبه له * قلت الحديث في مسند الامام أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده متصل أن رجلا طعن رجلا بقرن في ركبته فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقدني فقال حتى تبرأ ثم جاء اليه فقال أقدني فأقاده ثم جاء اليه فقال يا رسول الله عرجت فقال قد نهيتك فعصيتني فأبعدك الله وبطل عرجك ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتص من جرح حتى يبرأ صاحبه وفي سنن الدارقطني عن جابر رضي الله عنه أن رجلا جرح فأراد أن يستقيد فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستقاد من الجارح حتى يبرأ المجروح وقد تضمنت هذه
الحكومة انه لا يجوز الاقتصاص من الجرح حتى يستقر أمره اما باندمال أو بسراية مستقرة وان سراية الجناية مضمونة بالقود وجواز

القاضي عياض) اشارة الى (أن ذلك شرط في صحة الايمان لانه حمل المحبة على معنى التعظيم والاجلال) باعتقاد عظمته و جلاله صلى الله عليه وسلم وحمله على ذلك يلزم منه التنقيص عند ضد التعظيم وهو كفر فلذا قال شرط في صحة الايمان (وتعقبه صاحب المفهم) أبو العباس أحمد بن محمد القرطبي مرت ترجمته في شرح مسلم (بأن ذلك ليس مرادا هنا لان اعتقاد الاعظمية ليس مستلزما للمحبة اذ قد يجد الانسان اعظام شئ مع خلوه من محبته) بأن لا يحبه ولا يبغضه أو يعظمه مع بغضه يعني فكما لا يلزم من الاعظمية المحبة لا يلزم من ضدها البغضاء قال شيخناه وكذلك عقلا وأما بحسب العرف فالعادة قاضية بأن من اعتقد عظمة انسان أحبه (قال) صاحب المفهم (فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك الميل لم يكمل ايمانه) فقط لا انه كافر (والى ذلك يومئ قول عمر بن الخطاب في الحديث الذي رواه البخاري في) كتاب (الايمان والنذور من صحيحه (من حديث عبد الله بن هشام) بن زهرة بن عثمان التيمي صحابي صغير مات في خلافة معاوية وأبوه صحابي (ان عمر بن الخطاب قال للنبي لانت يارسول الله) لفظه عن عبد الله بن هشام قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر يارسول الله والله لانت (أحب الى) بشد الياء واللام لتأكيد القسم (من كل شئ) في الدنيا وغيرها (الا) من (نفسي التي بين جنبي) بشد الياء مثنى لان بين لا تضاف الا لمتعدد وهذا كناية عن السر الذي قامت به الحياة وأضافه الى الجنبين لجري العادة بسلب الحياة بسلب ما بينهما وهو القلب وما يتعلق به من سائر الاعضاء الرئيسة (فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه فقال عمر) مؤكدا بالقسم تحقيقا لخلوص طويته في قوله (والذي أنزل عليك الكتاب) أوحى اليك القرآن (لانت أحب الى من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن) عرفت فنطقت بكمال الايمان فهو متعلق بمقدر وهو مبني على الفتح وأل فيه لازمة وهو الزمان الحاضر وصرح بقوله (يا عمر) اشارة الى وصوله لرتبة علية تخصه بالنسبة لبعض من عداه أي لا تكفيك الرتبة الاولى ولا يليق بعلوه مثلك الاقتصار عليها (فهذه المحبة ليست باعتقاد الاعظمية فقط فانها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك قطعا) بدليل قوله أحب الى من كل شئ (وفي رواية فقال النبي صلى الله عليه وسلم) لعمر (لا) يكمل ايمانك (والذي نفسي بيده) أي بقدرته أو هو من المتشابه المفوض علمه لله وهو أسلم واقسم تأكيدا وفيه جواز الحلف على الامر المبهم للتوكيد وان لم يكن هناك محلف (حتى أكون أحب اليك من نفسك) فقال له عمر فانه الآن والله لانت أحب الى من نفسي فقال صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر هذا بقية هذه الرواية في البخاري (قال بعض الزهاد تقدير الكلام) في قوله لا حتى أكون (لا تصدق في حبي حتى تؤثر رضاي على هواك وان كان فيه الهلاك) بالجهاد أو اماتة النفس (وأما وقوف عمر في أول أمره واستثناؤه نفسه فلان حب الانسان نفسه طبع) لا يسلم منه الا من ملك نفسه وجاهدها (وحب غيره اختيار بتوسط الاسباب) المؤدية الى ذلك (وانما أراد عليه الصلاة والسلام منه حب الاختيار اذ لا سبيل الى قلب الطباع) أي لا طريق الى تحويلها عما هي عليه (وتغييرها عما جبلت عليه) لانه لا يدخل تحت الاستطاعة فليس مكلفا به ولا مؤاخذا بعدمه (وعلى هذا فجواب عمر كان أولا بحسب الطبع) الذي جبل عليه الانسان من ترجيح نفسه وتقديمها (ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن النبي صلى الله عليه وسلم أحب اليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والآخرة فأخبره بما اقتضاه الاختيار) الناشئ من التفكر (فلذلك حصل الجواب بقوله) صلى الله عليه وسلم (الآن يا عمر أي الآن عرفت فنطقت بما يجب) وحال عمر أنه لا يفعل غير ما وجب عليه لانه منهي عنه اذ الامر بالشئ الموجب له نهي عن ضده (واذا كان هذا شأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله في محبتنا له ووجوب تقديمها على

القصاص في الضربة بالعصا او القرن ونحوهما ولا ناسخ لهذه الحكومة ولا معارض لها والذي نسخ بها تعجيل القصاص قبل الاندمال لا نفس القصاص فتأمله وان المجني عليه اذا بادر واقتص من الجاني ثم سرت الجناية الى عضو من أعضائه أو الى نفسه بعد القصاص فالسراية هدر وانه يكتفي بالقصاص وحده دون تعزير الجاني وحبسه قال عطاء الجروح قصاص وليس للامام أن يضربه ولا يسجنه انما هو القصاص وما كان ربك نسيا ولو شاء لامر بالضرب والسجن وقال مالك يقتص منه بحق الآدمي ويعاقب لجرأته والجمهور يقولون القصاص يغني عن العقوبة الزائدة فهي كالحد اذا أقيم على المحدود لم يحتج معه الى عقوبة أخرى والمعاصي ثلاثة أنواع نوع عليه حد مقدر فلا يجمع بينه وبين التعزير ونوع لا حد فيه ولا كفارة فهذا يردع فيه بالتعزير ونوع فيه كفارة ولا حد فيه كالوطء في الاحرام والصيام فهل يجمع فيه بين الكفارة والتعزير على قولين للعلماء وهما وجهان لاصحاب أحمد والقصاص يجري مجرى الحد فلا يجمع بينه وبين التعزير

* (فصل في قضائه صلى الله عليه وسلم بالقصاص في كسر السن) * في الصحيحين من حديث أنس أن

أنفسنا وأولادنا ووالدينا والناس أجمعين فما الظن) استفهام تعظيم أى أى ظن تظنه أى لا تظن الا أعظم ظن (بمحبة الله تعالى ووجوب تقديمها على محبة ما سواه) والى هذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبى أخرجه الترمذى والحاكم وصححاه عن ابن عباس (ومحبة الله تعالى تختص عن محبة غيره فى قدرها وصفتها و) فى (افراده سبحانه وتعالى بها فان الواجب له من ذلك أن يكون أحب الى العبد من ولده ووالده بل من سمعه وبصره ونفسه التى بين جنبيه فيكون الهه الحق ومعبوده أحب اليه من ذلك كله) ولا انفكاك لاحد عن الاحتياج اليه (والشئ قد يحب من وجه دون وجه) كحب العالم لعلمه وكراهته لبخله مثلا (وقد يحب لغيره وليس شئ يحب لذاته من كل وجه الا الله تعالى وحده) قال ابن عطاء الله مامن وقت ولحظة الا وهو مورد عليك فيهما نعما يجب حبه وشكره عليها اداؤها فى فات حق وقت لا يمكن قضاؤه أبدا اذ مامن وقت الا وله عليك فيه حق جديد وهو الشكر وأمر أكيد وهو الاستغفار والتجرد وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها (ولا تصلح الالوهية) أى العبادة (الاله والتأله) أى التعبد (هو المحبة والطاعة والخضوع) والغرض من هذه الجملة بعدما تقدم التنبيه على استحقاقه الكمال المطلق فلا يشاركه أحد فى شئ من صفاته الا فى مجرد الاسم ان اتفق ذلك ولما كان هذا نتيجة الاسباب المحصلة لمحبة الله تعالى كما قال بعد ان هذا ثمرة المعرفة عطفه بالواو فى قوله ولا تصلح ولم يقل اذ المقتضية للعلة لما قبله غائية أو غير غائية لان ذلك يقتضى سبق معرفة العلة الغائية أو غيرها على الاسباب المحصلة (ومن علامات الحب المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض) بفتح الياء وكسر الراء أى يظهر ويبرز (الانسان على نفسه أن لو خير بين فقد غرض من اغراضه أو فقد رؤية النبى صلى الله عليه وسلم أن لو كانت ممكنة) أى سهلة فى نفسها بحيث يتمكن منها اذا أرادها فليس المراد بالامكان ما قابل الاستحالة (فان كان فقدها أن لو كانت ممكنة أشد عليه من فقد غرض من أغراضه فقد اتصف بالاحبية المذكورة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لا) يكن ذلك أشد (فلا) يتصف بالاحبية المذكورة وهذا ذكره الحافظ وزاد وليس ذلك محصورا فى الوجود والفقد بل يأتى مثله فى نصرة سنته والذب فى شريعته وقمع مخالفيها ويدخل فيه باب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قال وفى هذا الحديث ايماء الى فضيلة التفكر فان الاحبية المذكورة تعرف به وذلك أن محبوب الانسان اما نفسه واما غيرها أما نفسه فهو أن يريد دوام بقائها سالمة من الآفات هذا هو حقيقة المطلوب وأما غيره فاذا حقق الامر فيه فانما هو بسبب تحصيل نفع ما على وجوهه المختلفة حالا ومآلا فاذا تأمل النفع الحاصل له من جهة رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بالمباشرة واما بالسبب علم انه سبب بقاء نفسه البقاء الابدى فى النعيم السرمدى وعلم أن نفعه بذلك أعظم من جميع وجوه الانتفاعات فاستحق لذلك أن يكون حظه من محبته أوفر من غيره لان النفع الذى يثير المحبة حاصل منه أكثر من غيره ولكن الناس يتفاوتون فى ذلك بحسب استحضار ذلك والغفلة عنه (قال القرطبى) أبو العباس فى المفهم (كل من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شئ من تلك المحبة الراجحة غير أنهم متفاوتون) فيها بحسب الاستحضار والغفلة (فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الاوفى ومنهم من أخذ بالحظ الادنى كمن كان مستغرقا فى الشهوات محجوبا بالغفلات فى أكثر الاوقات لكن الكثير منهم اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم اشتاق الى رؤيته) والشوق انجذاب النفس فى الغيبة فهو أخص من المحبة لانها تكون فى الحضور والغيبة (بحيث يؤثرها على أهله وماله وولده ويبذل نفسه) يعطيها بسهولة ويلقيها (فى الامور الخطيرة) بمعجمة فمهملة الشاقة الصعبة (ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه) ولا شك (وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره

ابنة النضر أخت الربيع لطمت جارية فكسرت سنها فاختصموا الى النبى صلى الله عليه وسلم فأمر بالقصاص فقالت أم الربيع يارسول الله أيقتص من فلانة لا والله لا يقتص منها فقال النبى صلى الله عليه وسلم سبحان الله ياأم الربيع كتاب الله القصاص فقالت لا والله لا يقتص منها أبدا فعفا القوم وقبلوا الدية فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله من لو أقسم على الله لابره

(فصل فى قضائه صلى الله عليه وسلم) فيمن عض يد رجل فانتزع يده من فيه فسقطت ثنية العاض باهدارها ثبت فى الصحيحين أن رجلا عض يد رجل فنزع يده من فيه فوقعت ثناياه فاختصموا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يعض أحدكم أخاه كما يعض الفحل لا دية لك وقد تضمنت هذه الحكومة أن من خلص نفسه من يد ظالم له فتلفت نفس الظالم أو شئ من أطرافه أو ماله بذلك فهو هدر غير مضمون

(فصل فى قضائه صلى الله عليه وسلم) فيمن أطلع فى بيت رجل بغير اذنه فخذفه بحصاة أو عود ففقأ عينه فلا شئ عليه ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو أن امرأ أطلع عليك

و) يؤثر (رؤيته مواضع آثاره على جميع ماذكر) فيذهب الى ذلك بدون مراعاة المذكور (لما وقر) ثبت (في قلوبهم من محبته غير أن ذلك سريع الزوال لتوالى الغفلات انتهى) كلام القرطبي (ملخصا فكل مسلم) كائن وثابت (في قلبه محبة الله ورسوله) اذ (لا يدخل الاسلام الا بها ولكن الناس متفاوتون في محبته صلى الله عليه وسلم بحسب استحضار ما وصل اليهم من جهته من وجوه النفع الشامل لخير الدارين) وهو أعظم من جميع وجوه الانتفاعات (و) بحسب (الغفلة عن ذلك الاستحضار (ولا شك أن حظ الصحابة رضى الله عنهم في هذا المعنى أتم لان هذا ثمرة المعرفة وهم بها أعلم) من غيرهم والله الموفق هذا وقد نقل المصنف بعد نحو كراس كلام سهل الذى نقله الشارح هنا عن الشفاء (وقد روى ابن اسحق) محمد امام المغازى في السيرة (كما حكاه في الشفاء ان امرأة من الانصار) لم تسم ولفظ ابن اسحق حدثنى عبد الواحد ابن أبى عون عن اسمعيل بن محمد بن سعد ابن أبى وقاص قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار وقد (قتل أبوها وأخوها وزوجها) شهداء (يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت) لما نعوا لها (ما فعل رسول الله) هكذا في أكثر النسخ وهو الموجود في الشفاء وابن اسحق رسول بلا باء وليس المراد السؤال عن فعله حقيقة وانما المراد السؤال عن سلامته وحياته وعبرت بذلك تأدبا لان الفعل يستلزم الحياة فأريد لازمه وفي بعض نسخ المصنف برسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالباء (قالوا) فعل (خيرا) المراد انه بخير ولذا قالوا (هو بحمد الله كما تحبين) أى سالم منصور مظفر (قالت أرونيه) بالجمع وهو ما رأيته في ابن اسحق وفي نسخة أرنيه بالافراد خطابا لمن سألته (حتى أنظر اليه) فان الخبر ليس كالعيان قال في الرواية فأشير لها اليه (فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك) أى بعد سلامتك ورؤيتك (جلل) بفتح الجيم واللام (تعنى صغيرة) وفي النهاية وغيرها أى هين حقير والمعنى متقارب وفي سيرة ابن هشام الجلل من القليل والكثير وهو هنا من القليل كقول امرئ القيس

لقتل بنى أسد ربهم * ألا كل شئ سواه جلل

ومن الكثير قول الحرث بن وعلة قال

ولئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهنن عظمى

(ورواه البيهقى في دلائله) النبوية من طريق ابن اسحق (وذكر صاحب البيان بلفظ لما قيل يوم أحد قتل محمد عليه الصلاة والسلام وكثرت الصوارخ) الصائحون (بالمدينة) من هول هذا الخبر (خرجت امرأة من الانصار فاستقبلت) ضمنه معنى اشتغلت فعداه بالباء في قوله (بأخيها وأبيها وابنها وزوجها) فزاد ابنها على الرواية السابقة (فلا تدرى بأيهم استقبلت وكلما مرت بواحد منهم صريعا قالت من هذا قالوا أخوك وأبوك وزوجك وابنك قالت فما فعل النبى صلى الله عليه وسلم) أى ما الذى قام به (فيقولون أمامك حتى ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول أفديك (بابى أنت وأمى يا رسول الله لا أبالى) لا أكترث ولا أهتم (اذ سلمت) أنت من القتل (من عطب) بكسر الطاء أى هلك (وكذا رواه ابن أبى الدنيا) عبد الله بن محمد الحافظ الشهير (بنحوه مختصر وقال عمرو بن العاصى) بالياء وحذفها (ما كان أحد أحب الى من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ولا أجل في عينى منه وما كنت أطيق ان أملأ عينى منه اجلالا له حتى لو قيل لى صفه ما استطعت ان أصفه أخرجه مسلم في حديث طويل (وقال على بن أبى طالب) وقد سئل كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا) بضم الهمزة وكسرها مع فتح الميم وكسرها جمع أمهة لغة في أم لكنها تختص ببنى آدم قال

بغير اذن فخذفه بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح وفي لفظ فيهما من أطلع في بيت قوم بغير اذنهم ففقؤا عينه فلا دية له ولا قصاص وفيهما أن رجلا أطلع في حجرة من حجر النبى صلى الله عليه وسلم فقام اليه بمشقص وجعل يختله ليطعنه فذهب الى القول بهذه الحكومة والى التى قبلها فقهاء الحديث منهم الامام أحمد والشافعى رحمهما الله ولم يقل بها أبو حنيفة ومالك

(فصل وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم) ان الحامل اذا قتلت عمدا لا تقتل حتى تضع ما في بطنها وحتى يكفل ولدها ذكره ابن ماجه في سننه وقضى أن لا يقتل الوالد بالولد ذكره النسائى وأحمد وقضى ان المؤمنين تتكافأ دماؤهم ولا يقتل مؤمن بكافر وقضى ان من قتل له قتيل فاهله بين خيرتين اما ان يقتلوا أو يأخذوا العقل وقضى ان في دية الاصابع من اليدين والرجلين في كل واحدة عشرا من الابل وقضى في الاسنان في كل سن بخمس من الابل وانها كلها سواء وقضى في المواضح بخمس خمس وقضى في العين السادة لمكانها اذا طمست بثلث ديتها وفي اليد الشلاء اذا قطعت بثلث ديتها وفي السن السوداء اذا نزعت بثلث ديتها

*أمهتي

* أمهتى خنـدف والياس أبى * ويقال فى البهائم أمات (و) أحب (من الماء البارد على الظمأ) بقصره أفصح من مده أى شدة العطش خصه لانه حال محبة الماء وشدة الرغبة فيه وأعاد الجار لانه نوع آخر مما يحب ولشـدة نفعه (و) روى البيهقى عن عروة قال (لما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنـة) بن معاوية بن عبيد بن معاوية بن عامر بن بياضة الانصارى البياضى شهد بدرا وأحدا (بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وتشديد النون) وقد تسكن المثلثة وتخفف النون وهاء تأنيث اسم والده من قولهم دثن الطائر اذا طار حول وكره ولم يسقط عليه أو من دثن اذا اتخذ عشا وكان قـد أسر يوم الرجيع مع خبيب ابن عدى فاشترى صفوان بن أميـة زيدا أو غيره خبيبا وذلك فى ذى القعدة سنة ثلاث فحبساه بمكة حتى خرجت الاشـهر الحرم فخرجوا بهـما (من الحرم) تعظيما له لانهم كانوا لا يقتلون فيـه واجتمع هو وخبيب فى الطريق [2] فتواصوا بالصبر والثبات على ما يلحقهما من المكاره (ليقتلوه) بالتنعيم (قال له أبو سفيان بن حرب) وهو يومئذ مشرك (أنشدك) بفتح الهمزة وضم الشين أسألك (بالله يا زيد أتحب ان محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وانك فى أهلك فقال زيد) مؤكـدا بالقسم (والله ما أحب ان محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيـه) مقيم (تصيبه شوكة) أى أقل شئ من الاذى فضـلا عما قلتم (وانى جالس فى أهلى) سالم من الاذى (فقال أبو سفيان ما رأيت أحدا من الناس) ما نافية لا تعجبية وان كان مراده التعجب من شدة حبهم له (يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا) مفعول المصدر وهو حب ثم قتله نسطاس مولى صفوان وأسلما بعد رضى الله عنهما وفى رواية انهم ناشدوا بذلك خبيبا فقال والله ما أحب ان يفدينى بشوكة فى قدمه ولا خلف فقد يكونون قالوه لخبيب وقاله أبو سـفيان لزيد ومر بسـط القصة فى المغازى (و روى) عند الطبرانى فى الصغير عن عائشـة وابن مردويه عن ابن عباس (مما ذكره القاضى عياض ان رجـلا) ثوبان أو عبـد الله بن زيد على ما يأتى (أتى النبى صلى الله عليه وسـلم فقال يا رسول الله لانت) اللام فى جواب قسم مقـدر (أحب الى من أهـلى ومالى وانى لاذكرك) أى أتذكرك فى ذهنى وأتصورك أو أذكر اسـمك وصـفاتك فهو من الذكر بالـكسر أو الضم (فما أصـبر) أى لا أستطيع الصبر عنك أى عن رؤيتك لشـدة حبى لك (حتى أجىء فأنظر اليـك) فيطمئن قلبى وتقر عينى برؤيتك (وانى ذكرت موتى وموتك) أى مكانى ومكانك بعـد الموت (فعرفت) تحققت (انك اذا دخلت الجنة) بعد الموت (رفعت) الى الدرجات العلا (مع النبيين) صلوات الله عليهم أجمعين (وان دخلتها) أنا بضم التاء (لا أراك) بعد الدخول لانك فى مقام لا يصل اليه غيرك وعبر فى جانبه صلى الله عليه وسلم باذا لتحقق دخوله الجنة ورفعته فيها وفى جانبه هو بان لعدم جزمه فى نفسه بذلك (فأنزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول) بامتثال أمره ونهيـه ويلزمه محبته له أيضا ولم تذكر لتحققها الذكر الرجـل لها والعلم بخلوصه فيهـا (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) بنعيم الجنة وعالى مراتبها ففيه تبشـير له بمرافقـة أكرم خلق الله وأقربهم وأرفعهـم منزلة (من النبيين والصديقين والشـهداء والصالحين) بيان للمنعم عليهم بما أخفى لهم من قرة أعين (وحسن أولئك) تعجب أى ما أحسنهم (رفيقا) تمييز ولم يجمع لوقوعه على الواحد وغيره أو لارادة كل واحـد منهم (فدعا به) طلب حضوره (فقرأها عليه) جوابا له وتبشـيرا والمراد بالمعية والمرافقة كونه فى الجنة يستمتع فيها برؤيتهم وزيادتهم والحضور معهم متى شاء لا التسوية فى المنزلة (قال) عياض (وفى حديث آخر كان رجل عند النبى صلى الله عليه وسـلم) أى ملازما لمجلسه (ينظر اليه) أى يديم النظر الى وجهه الوجيه (لا يطرف) بفتح الياء وسكون الطاء وكسر الراء المهملتين

---

(2) قوله فتواصوا هكذا فى النسخ ولعل صوابه لتواصيا كما لا يخفى ويؤيده قوله بعده يلحقهـما بضمير التثنية اهـ مصححه

وقضى فى الانف اذا جدع كله بالدية كاملة واذا جدعت أرنبته بنصفها وفى اليد بنصف الدية وقضى فى المأمومة بثلث الدية وفى الجائفة بثلثها وفى المنقلة بخمسة عشر من الابل وقضى فى اللسان بالدية وفى الشفتين بالدية وفى البيضـتين بالدية وفى الذكر بالدية وفى الصلب بالدية وفى العينـين بالدية وفى احداهما بنصـفها وفى الرجل الواحدة بنصف الدية وفى اليـد بنصف الدية وقضى ان الرجل يقتـل بالمرأة وقضى ان دية الخطأ على العاقـلة مائة من الابل واختلفت الرواية عنـه فى أسنانها ففى السنن الاربعة عنه من حـديث عمـرو بن شعيب عن أبيه عن جده ثـلاثون بنت مخاض وثلاثون بنت لبـون وثلاثون حقة وعشر ابن لبـون ذكر قال الخطابى ولا أعلم أحدا من الفقهاء قال بهذا وفيها أيضا من حديث ابن مسعود انها أخماس عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبـون وعشرون ابن مخاض وعشرون حقـة وعشرون جذعة وقضى فى العمد اذا رضوا بالدية ثلاثين حقـة وثلاثين جذعة وأربعين خلفـة وما صولحوا عليـه فهو لهم فـذهب أحمد وأبو حنيفة الى القول بحديث ابن مسعود رضى الله عنهما وجعل الشافعى ومالك بدل ابن مخاض ابن لبون وليس فى واحد من الحديثين

وفاء أي لا يصرف طرفه عن النظر اليه أو لا يطبق أحد جفنيه على الآخر و يغض بصره وظاهر قول بعضهم أي لا يغض بصره مطرقا راميا ببصره الى الارض انه من أطرق بضم أوله وقاف وهو صحيح أيضا قال بعضهم لكني لا أعرف هل هو رواية أو تحرف عليه أو تسامح في تفسيره (فقال) له صلى الله عليه وسلم (ما بالك) أي ما شأنك حتى تحد النظر وتديمه كالمبهوت (قال) أفديك (بأبي أنت وأمي أتمتع من النظر) لفظ الشفاء بالنظر (اليك) أي أتلذذ بادامة نظري في وجهك ما دام ممكنا في الدنيا لا انتفع به وأتزود منه (فاذا كان) وجد (يوم القيامة رفعك الله) الى الدرجات العالية في الجنة (بتفضيله) لك على جميع خلقه والباء للسببية (فأنزل الله الآية) المذكورة (وذكره البغوي) محيي السنة الحسين بن مسعود أحد الحفاظ (في تفسيره) بلا عزو (بلفظ نزلت أي الآية في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) اشتراه وأعتقه فلازمه حضرا وسفرا وخدمه حتى مات فتحول الى الرملة ثم حمص فمات بها سنة أربع وخمسين (وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه) وعند الثعلبي تغير وجهه ونحل جسمه يعرف الحزن في وجهه (فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض) مطلق علة (ولا وجع) أي مرض مؤلم ويقع أيضا على كل مرض ولا يراد هنا للمغايرة (غير اني اذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة) أي حصل لي انقطاع و بعد قلب عن الود وعدم استئناس (حتى ألقاك) فتزول وحشتي (ثم ذكرت الآخرة) أي فكرت في أمرها (فأخاف أن لا أراك لانك ترفع مع النبيين) في أعلى الدرجات (واني ان دخلت الجنة في منزلة أدنى من منزلتك) فتقل رؤيتي لك بدليل قوله (وان لم أدخل الجنة لا أراك أبدا فنزلت هذه الآية) المذكورة (وكذا ذكره الواحدي في) كتاب (أسباب النزول وعزاه الكلبي) محمد بن السائب (عن ثوبان) الصحابي المذكور وذكره شيخه الثعلبي في تفسيره بلا اسناد ولا راو (وقال قتادة) كما أسنده ابن جرير (قال بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون الحال في الجنة وأنت في الدرجات العلا ونحن أسفل منك فكيف نراك فأنزل الله الآية) المذكورة (وذكره ابن ظفر) محمد (في ينبوع الحياة) اسم تفسيره وأسنده البيهقي (بلفظ ان عامر) بالنصب وان رسم بصورة الرفع بلا ألف على لغة ربيعة أو حذفت الالف للتخفيف كقوله * ولا ذاكر الله الا قليلا * ولا يختص ذلك بالضرورة خلافا لزاعمه وفي نسخة بالالف ولعلها اصطلاح والا فالنسخ القديمة بدونها وكذا في نسخة الشيخ الجارحي تلميذ المصنف وعليها خط المؤلف (الشعبي) التابعي فهو مرسل (قال ان رجلا من الانصار) فهو غير ثوبان لانه ليس من الانصار ويأتي انه ابن زيد (أتى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له والله لأنت يا رسول الله أحب الي من نفسي ومالي وولدي وأهلي ولولا اني آتيك فأراك لرأيت أن أموت أو قال أن سوف أموت) شك من الراوي (و بكى الانصاري فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبكاك قال بكيت) لاجل (أن ذكرت انك تموت) بالتاء أنت (ونموت) بالنون أوله نحن (وترفع) أنت (مع النبيين ونكون نحن ان دخلنا الجنة دونك) فتتعذر أو تقل رؤيتنا لك (فلم يحر) بفتح التحتية وضم الحاء المهملة و بالراء من حار اذا رجع و بضم الياء وكسر الحاء من أحار الجواب رده (النبي صلى الله عليه وسلم اليه بمعنى) ومقتضى قوله (أي لم يرجع اليه) انه بالضبط الاول اذ هو تفسير ليحر (يقول) تفسير لقوله بمعنى (فأنزل الله الآية قال) ابن ظفر (وذكر مقاتل بن سليمان مثل هذا وقال هو) أي الرجل الانصاري (عبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصاري) الخزرجي (الذي رأى الاذان) مات سنة اثنتين وثلاثين وقيل استشهد بأحد (وذكر) ابن ظفر (أيضا ان عبد الله بن زيد هذا كان يعمل في جنة) بستان (له فأتاه ابنه فأخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي فقال اللهم أذهب بصري حتى لا أرى بعد حبيبي محمد أحدا فكف بصره) عمي وفي الحديث ان منكم معشر الانصار من لو أقسم على الله لا بره وفي

وفرضها النبي صلى الله عليه وسلم على أهل الابل مائة وعلى أهل البقر مائتي بقرة وعلى أهل الشاء ألفي شاة وعلى أهل الحلل مائتي حلة وقال عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم جعلها ثمانمائة دينار وثمانية آلاف درهم وذكر أهل السنن الاربعة من حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا قتل فجعل النبي صلى الله عليه وسلم ديته اثني عشر ألفا وثبت عن عمر أنه خطب فقال ان الابل قد غلت ففرضها على أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الورق اثني عشر ألفا وعلى أهل البقر مائتي بقرة وعلى أهل الشاء ألفي شاة وعلى أهل الحلل مائتي حلة وترك دية أهل الذمة فلم يرفعها فيما رفع من الدية وقد روى أهل السنن الاربعة عنه صلى الله عليه وسلم دية المعاهد نصف دية الحر ولفظ ابن ماجه قضى ان عقل أهل الكتابين نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى واختلف الفقهاء في ذلك فقال مالك ديتهم نصف دية المسلمين في الخطأ والعمد وقال الشافعي رحمه الله ثلثها في الخطأ والعمد وقال أبو حنيفة بل كدية المسلم في الخطأ والعمد وقال الامام أحمد مثل دية المسلم في العمد

تفسير القرطبي انه صلى الله عليه وسلم لما قرأ الآية على الرجل دعا الله أن يعميه حتى لا يرى أحدا غيره في الدنيا فعمي مكانه وتقدم مزيد لهذا في النوع السابع من المقصد السادس ويأتي له ان شاء الله تعالى مزيد في المقصد العاشر (واعلم انه لا يجتمع في القلب حبان فان المحبة الصادقة) أي الخالصة التي لا يشوبها رياء ولا مداهنة ويعرف بالقرائن والاحوال ووصفها بذلك تنزيلا لدلالتها على صدق صاحبها منزلته ووصف غير العاقل بالصدق وهو الاخبار بما يطابق الواقع كثير في كلامهم ومنه صدق القتال اذا قوي واشتد (تقتضي توحيد المحبوب) أي جعله واحدا بحيث لا تتعلق محبته بغيره فاذا تعلق قلب انسان بمحبة شخصين لم تكن محبته لواحد منهما صادقة فان أراد صدقها (فليختر المرء لنفسه احدى المحبتين) المتعلقتين بالشخصين بالاقتصار على محبة واحد منهما (فانهما لا يجتمعان في القلب والانسان عبد محبوبه منقاد اليه مسلم له جميع أموره فيصير معه كعبد عامل بمقتضى العبودية من انقياده الى سيده ظاهرا او باطنا وحرصه على طاعته وفعل مراده وان لم يأمره (كانما كان كما قيل) قائله ابن الفارض (أنت القتيل بأي من أحببته *) لاستيلاء الحب عليك فتفنى في حبه بالانقياد له فتصير كالميت الذي لا قدرة له على فعل شيء فكأن المحبوب أزال شعور المحب لاستفراغه في هواه (فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي) أي من تعده صافيا في الدين بحيث يحملك على ملازمة الطاعة سرا واعلانا وليس المراد من تختار لانه يصير في غاية الركة كأنه قال اختر من تختار (ولبعض الحكماء كما ان الغمد) بكسر الغين المعجمة (لا يتسع لعضبين) بفتح المهملة واسكان المعجمة تثنية عضب وهو السيف القاطع تسمية بالمصدر فهو أخص من مطلق السيف (فكذلك القلب لا يتسع لمحبتين ولذلك لازم اقبالك على من تهواه اعراضك عن كل شيء سواه فمن داهن في المحبة) أي أظهر خلاف ما يبطن (أوداجي) بأن داري والمراد بها الاخذ للشيء والتوصل اليه بحيلة (فقد عرض لمدى) بضم الميم جمع مدية السكين (الغيرة أوداجا) جمع ودج أي العروق المكتنفة ثغرة البحر يمينا وشمالا والمعنى من لم يخلص المحبة عرض نفسه لاسباب الهلاك الناشئة من غيرته على حبه لعدم وصوله لمراده منه فيصاب بأسباب قاتلة كالمدى في شدة تأثيرها في البدن (فمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام بل تقديمه في الحب على الانفس والآباء والابناء لا يتم الايمان الا بها) أي لا يوجد ولا يكمل فاستعمله بمعنى الوجود فيما قبل الاضراب وبمعنى الكمال فيما بعده (اذ محبته من محبة الله تعالى) الواجبة لذاته كما مر (وقد حكي عن أبي سعيد) ابراهيم وقيل أحمد بن عيسى البغدادي (الخراز) بالخاء المعجمة وشد الراء فألف فزاي منقوطة نسبة الى خرز جلود القرب ونحوها من أئمة القوم وجلة المشايخ قيل وهو أول من تكلم في علمي الفناء والبقاء وقيل فيه قمر الصوفية صحب السري وذا النون المصري وبشر الحافي وغيرهم قال الجنيد لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد لهلكنا أقام كذا وكذا سنة ما فاته ذكر الله بين الخرزتين مات سنة سبع وسبعين وقيل سنة ست وثمانين ومائتين ومرت ترجمته أيضا (مما ذكره القشيري) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن الامام العلامة المفسر المحدث الولي الذي ما رأى الراؤن مثله مر بعض ترجمته (في رسالته انه) أي أبا سعيد (قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله اعذرني) بكسر الهمزة وسكون العين وكسر الذال المعجمة وهمزته همزة وصل من عذر كضرب وبفتح الهمزة وكسر الذال وهمزته همزة قطع من أعذر وهما لغتان سوى بينهما المجد ولم نر ضم الهمزة والذال والمعنى أقبل عذري فلا تؤاخذني بتقصيري وارفع اللوم عني (فان محبة الله شغلتني عن محبتك فقال لي يا مبارك) اسم مفعول من البركة وهي الزيادة والتنمية هذا أصله لغة ثم استعمل عرفا في قليل الفطنة فيحتمل انه المراد هنا دفعا لتوهمه ان محبة الله تنافي محبته ويعد المشتغل بها مقصرا في حبه عليه الصلاة والسلام مع انها عينها كما قال (من أحب الله فقد أحبني) لاني الداعي

وعنه في الخطأ روايتان احداهما نصف الدية وهي ظاهر مذهبه والثانية ثلثها فاخذ مالك بظاهر حديث عمرو بن شعيب وأخذ الشافعي بأن عمر جعل ديته أربعة آلاف وهي ثلث دية المسلم وأخذ أحمد بحديث عمرو الا انه في العمد ضعف الدية عقوبة لاجل سقوط القصاص وهكذا عنده من سقط عنه القصاص ضعفت عليه الدية عقوبة نص عليه توفيقا وأخذ أبو حنيفة بما هو أصله من جريان القصاص بينهما فتتساوى ديتهما وقضى صلى الله عليه وسلم ان عقل المرأة مثل عقل الرجل الى الثلث من ديتها ذكره النسائي فتصير على النصف من ديته وقضى بالدية على العاقلة وبرأ منها الزوج وولد المرأة القاتلة وقضى في المكاتب أنه اذا قتل يودى بقدر ما أدى من كتابته دية الحر وما بقي فدية المملوك قلت يعني قيمته وقضى بهذا القضاء علي بن أبي طالب وابراهيم النخعي ويذكر رواية عن أحمد وقال عمر اذا أدى شطر كتابته كان غريما ولا يرجع رقيقا وبه قضى عبد الملك بن مروان وقال ابن مسعود اذا أدى الثلث وقال عطاء اذا أدى ثلاثة أرباع الكتابة فهو غريم والمقصود ان هذا القضاء النبوي لم تجمع الامة على تركه ولم يعلم

الى الله الموصل اليه (وقيل ان ذلك وقع لامرأة من الانصار معه صلى الله عليه وسلم يقظة) فان ثبت فلا منافاة كما لا يخفى (ولابن أبي المجد) العارف بالله تعالى (سيدى ابراهيم الدسوقى) الشريف الحسيني وقد ذكر نسبه في اللواقح فقال ابراهيم بن أبي المجد بن قريش بن محمد بن أبي النجا بن زين العابدين بن عبد الخالق بن محمد بن أبي الطيب بن عبد الله الكاتم ابن عبد الخالق بن أبي القاسم بن جعفر الزكى بن على بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على الزاهد بن زين العابدين على بن الحسين بن على ابن أبي طالب الهاشمى تفقه على مذهب الشافعى ثم اقتفى آثار الصوفية وجلس في مرتبة الشيخوخة وحمل الراية البيضاء وعاش ثلاثا وأربعين سنة ولم يغفل قط عن المجاهدة للنفس والهوى والشيطان حتى مات سنة ست وسبعين وستمائة (ألا يا محب المصطفى زد صبابة *) بفتح الصاد شوقا أو رقته وحرارته أو رقة هوى (وضمخ) بمعجمتين بينهما ميم لطخ (لسان الذكر) لله تعالى الذى تستعمله (منك بطيبه) بالثناء عليه وتعظيمه صلى الله عليه وسلم (ولا تعبان) أي لاتهتم ولا تبال (بالمبطلين) الزاعمين ان ذلك يشغل عن الله تعالى (فانما * علامة حب الله حب حبيبه) وزعمهم باطل كيف وقد قال أحبونى لحب الله (وكذلك كل حب في الله ولله كما في الصحيحين) البخارى في الايمان والادب ومسلم في الايمان عن أبي قلابة (عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث) مبتدأ خبره جملة (من كن) أى حصلن (فيه) فهى تامة (وجد) أى أصاب ولذا اكتفى بمفعول واحد أعنى (حلاوة الايمان) وجاز الابتداء بالنكرة لان التنوين عوض عن المضاف اليه أى ثلاث خصال أو لانه صفة موصوف محذوف وهو مبتدأ حقيقة أى خصال ثلاث أو لان الجملة الشرطية صفته والخبر (ان يكون الله ورسوله أحب) بالنصب خبر يكون (اليه مما سواهما) ولم يثن أحب ليطابق خبر كان اسمها لان أفعل التفضيل اذا وصل بمن فهو مفرد مذكر دائما ولا تجوز المطابقة لمن هوله (وأن يحب المرء) حال كونه (لا يحبه الا الله تعالى) وللنسائى من رواية طلق بن حبيب عن أنس وأن يحب في الله ويبغض في الله قال يحيى بن معاذ حقيقة الحب في الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء نقله الحافظ (وأن يكره أن يعود) أى العود (في الكفر كما يكره أن يقذف) بضم أوله وفتح ثالثه أى مثل كراهة القذف (في النار) زاد البخارى من وجه آخر بعد أن أنقذه الله منه قال الحافظ والانقاذ أعم من ان يكون بالعصمة منه ابتداء بأن يولد على الاسلام ويستمر أو بالاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان وعلى الاول فيحمل قوله يعود على معنى الصيرورة بخلاف الثانى فالعود فيه على ظاهره وفي رواية قتادة عن أنس عند مسلم والبخارى في الادب وحتى أن يقذف في النار أحب اليه من ان يرجع الى الكفر بعد أن أنقذه الله منه وهى أبلغ من هذه الرواية لانه سوى فيها بين الامرين وهنا جعل الوقوع في نار الدنيا أولى من الكفر الذى أنقذه الله بالخروج منه من نار الاخرى فان قيل لم عدى العود بفى ولم يعده بالى فالجواب انه ضمنه معنى الاستقرار كأنه قال يستقر فيه ومثله قوله تعالى وما كان لنا أن نعود فيها انتهى وزعم العينى انه تعسف وانما فى هنا بمعنى الى كقوله تعالى أو لتعودن في ملتنا أى لتصيرن الى ملتنا ومنعه شيخنا في قراءة البخارى بأنه لا تعسف فكل من الطريقين مسلوك وذلك لان الفعل اذا عدى بحرف لا يتعدى به جاز تأويل الفعل بما يتعدى به كتأويل يؤمنون بالغيب بيعترفون وتأويل الحرف مع بقاء الفعل على حقيقته كالمثال الذى ذكره بل قال بعضهم التأويل في الفعل أولى (فعلق ذوق الايمان بالرضا بالله ربا) بقوله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا الحديث الآتى قريبا وطعم الايمان بمعنى حلاوة الايمان لان الثلاثة لا توجد الا ممن صح ايمانه وانشرح صدره قاله عياض (وعلق) في هذا الحديث (وجدان حلاوته بما هو موقوف عليه ولا يتم الا به وهو كونه سبحانه أحب الاشياء الى العبد هو) تعالى

نسخه وأما حديث المكاتب عبد ما بقي عليه درهم فلا معارضة بينه وبين هذا القضاء فانه في الرق بعد ولا تحصل حريته التامة الا بالاداء

* (فصل في قضائه صلى الله عليه وسلم) * على من أقر بالزنا ثبت في صحيح البخارى ومسلم ان رجلا من أسلم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاعترف بالزنا فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم حتى شهد على نفسه أربع مرات فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبك جنون قال لا قال أحصنت قال نعم فامر به فرجم في المصلى فلما أذلقته الحجارة فر فادرك فرجم حتى مات فقال له النبي صلى الله عليه وسلم خيرا وصلى عليه وفي لفظ لهما أنه قال له أحق ما بلغنى عنك قال وما بلغك عنى قال بلغنى انك وقعت بجارية بنى فلان فقال نعم فشهد على نفسه أربع شهادات ثم دعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبك جنون قال لا قال أحصنت قال نعم ثم أمر به فرجم وفي لفظ لهما فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبي صلى الله عليه وسلم قال أبك جنون قال لا قال أحصنت قال نعم قال اذهبوا به فارجموه وفي لفظ للبخارى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت قال لا يا رسول الله قال

أنكتها لا يكني قال نعم فعند ذلك أمر برجمه ولفظ لأبي داود أنه شهد على نفسه أربع مرات كل ذلك يعرض

(ورسوله) عليه السلام (فمن رضي بالله وبما رضيه الله له عبدا) يعني أتاه جبريل الثواب (ومعنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في الدين) فاستعمال الحلاوة فيه مجاز مرسل من ذكر الملزوم وإرادة اللازم (ويؤثر) لفظ الفتح وإيثار (ذلك على أعراض الدنيا ومحبة العبد لله تحصل) أي تتحقق وتوجد (بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك الرسول قاله النووي) يعني ان فعل الطاعة علامة على محبة العبد فليس عين المحبة بل هو مسبب عنها كما أشار اليه البيضاوي في ان كنتم تحبون الله (وقال غيره معناه أن من استكمل الإيمان علم ان حق الله ورسوله آكد عليه من حق والده وولده وجميع الناس لان الهدى من الضلالة والخلاص من النار انما كان بالله على لسان رسوله) فكأنه حمله على معنى الحديث قبله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين (وفي قوله عليه الصلاة والسلام حلاوة الإيمان) كما قال الحافظ (استعارة تخييلية فانه شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشئ حلو وأثبت له لازم ذلك الشئ وأضافه اليه) ولا يتعين هذا فيجوز أنه شبه اللذة الحاصلة من التلبس بالإيمان بحلاوة الحلو واستعار له اسمه فتكون استعارة تصريحية ويجوز أنه مجاز مرسل أطلق الحلاوة وأراد لازمها عند تناولها وهو اللذة (وفيه تلميح الى قضية المريض والصحيح لان المريض الصفراوي) الذي غلب خلط الصفراء على مزاجه (يجد طعم العسل مرا) لفساد مزاجه (والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه وكلما نقصت الصحة شيأ ما) قليلا (نقص ذوقه بقدر ذلك) زاد الحافظ فكانت هذه الاستعارة من أوضح ما يقوى به استدلال البخاري على الزيادة والنقص أي للإيمان وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة انما عبر بالحلاوة لان الله شبه الإيمان بالشجرة في قوله مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة فالكلمة هي كلمة الاخلاص والشجرة أصل الإيمان وأغصانها اتباع الامر واجتناب النهي وزهرتها ما يهم به المؤمن من الخير وثمرتها عمل الطاعات وحلاوة الثمرة جني الشجرة وغاية كماله تناهي نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها انتهى وقال البيضاوي المراد بالحب العقلي الذي هو ايثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه وان كان على خلاف هوى النفس كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه ويميل اليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله فاذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى الا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص آجل والعقل يقتضي رجحان جانب ذلك تمرن على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعا له ويتلذذ به التذاذا عقليا اذ الالتذاذ العقلي ادراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك وعبر الشارع عن هذه الحالة بالحلاوة لانها أظهر اللذائذ المحسوسة وانما جعل هذه الثلاثة عنوانا لكمال الإيمان لان المرء اذا تأمل ان المنعم بالذات هو الله وان لا مانح ولا مانع في الحقيقة سواه وان ما عداه وسائط وأن الرسول هو الذي يبين مراده اقتضى ذلك ان يتوجه بكليته نحوه فلا يحب الا ما يحب ولا يحب من يحب الا من أجله وأن يتيقن ان جملة ما وعد وأوعد حق يقينا يخيل اليه الموعود كالواقع فيحسب ان مجالس الذكر رياض الجنة وان العود في الكفر القاء في النار انتهى ملخصا وشاهد هذا الحديث من القرآن قوله تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم الى ان قال أحب اليكم من الله ورسوله ثم هدد على ذلك وتوعد بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره فان فيه اشارة الى التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل فالاول من الاول والثاني من الثاني انتهى كله من فتح الباري (وقال العارف ابن أبي جمرة) بجيم وراء (واختلف في الحلاوة المذكورة) في قوله حلاوة الإيمان (هل هي محسوسة أو معنوية فحملها قوم على المعنى) بمعنى ان من وجدت فيه جزم بالإيمان وانقاد الى أحكامه (وهم الفقهاء ومن شابههم) من أهل المعقولات (وحملها قوم على المحسوس وأبقوا اللفظ على ظاهره من غير أن يتأولوه وهم أهل الصفة) بضم الصاد وشد الفاء السادة الصوفية سموا بذلك لجريهم على نحو ما كان عليه أهل الصفة

عنه فأقبل في الخامسة قال أنكتها قال نعم قال حتى غاب ذلك منك في ذلك منها قال نعم قال كما يغيب الميل في المكحلة والرشا في البئر قال نعم قال فهل تدري ما الزنا قال نعم أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالا قال فما تريد بهذا القول قال أريد أن تطهرني قال فأمر به فرجم وفي السنن أنه لما وجد مس الحجارة قال يا قوم ردوني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قومي قتلوني وغروني من نفسي وأخبروني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير قاتلي وفي صحيح مسلم فجاءت الغامدية فقالت يا رسول الله اني قد زنيت فطهرني وانه ردها فلما كان من الغد قالت يا رسول الله لم تردني لعلك أن تردني كما رددت ماعزا فوالله اني لحبلى قال أما الآن فاذهبي حتى تلدي فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة قالت هذا قد ولدته قال اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي الى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها الى صدرها وأمر الناس فرجموها فأقبل خالد بن الوليد بحجر

وهي ظلة في مؤخر المسجد النبوي يأوي اليها المساكين من الانقطاع الى الله وعبادته والاعراض عن الدنيا (أو قال أهل الصوفة) للبسهم الصوف تقشفا واعراضا عما تنعم به الاغنياء (قال) ابن أبي جمرة (والصواب معهم في ذلك والله أعلم لان ماذهبوا اليه أبقوا به لفظ الحديث على ظاهره من غير تأويل) والاصل انه لا يعدل عن الحقيقة ماوجد اليها سبيل والمتبادر من هذا انها أمر يدرك حلاوته بالفم كما يدرك حلاوة السكر والعسل ونحوهما وهذا شئ لا يدركه الا من وصل الى ذلك المقام فلا يليق ادعاء انه غير مراد بل المراد ما يأتي انه أمر يجده القلب تكون نسبته اليه كذوق حلاوة الطعام الى الفم وذوق حلاوة الجماع الى اللذة لان الآتي كلام ابن القيم حملاله على المعنى اذ هو لم يذكر القول بأنها محسوسة فلا يرد اليه وكذا ما نقلناه آنفا من نفس كلام ابن أبي جمرة المصرح بأن التعبير باطلاق الحلاوة انما هو على وجه التشبيه أي يجد في قلبه حلاوة تشبه الحلاوة المأكولة بالفم انما هو تقرير للقول بأنها معنوية ومالنا وللتكلم فيما لا نعرفه ولا يمكننا تخيله

واذا لم تر الهلال فسلم * لاناس رأوه بالابصار

(قال ويشهد الى ماذهبوا اليه أحوال الصحابة والسلف الصالح) كالتابعين (وأهل المعاملات) وهي منازل عشرة ينزلها السائرون الى الحق عز اسمه وهي الرعاية والمراقبة والحرمة والاخلاص والتهذيب والاستقامة والتوكل والتفويض والثقة والتسليم سميت بالمعاملات لان العبد لا يصلح له معاملة الحق الا بأن يتحقق بهذه المقامات فالمعاملة عندهم عبارة عن توجه النفس الانساني الى باطنها الذي هو الروح الروحاني والسر الرباني واستمدادها منهما ما يزيل الحجب عنها ليحصل لها قبول المدد في المقابلة ازالة كل حجاب وهذا انما يصح لعبد يملك ناصية الزهد ثم الورع ثم الحزن فمن ملك ناصية هذه الثلاثة استحق أن يصير من أهل المعاملات وأهم ما عليه ان يتحقق بأعم مقاماتها وأهمه وهو الاخلاص اذ لا تصح المعاملة بدونه ثم المراقبة ثم التفويض قاله في الاعلام باشارات أهل الالهام (فانهم حكوا عنهم انهم وجدوا الحلاوة محسوسة فمن ذلك حديث بلال) بن رباح أحد السابقين الاولين (حين صنع به ما صنع في الرمضاء) بفتح الراء وسكون الميم وضاد معجمة والمد أرض اشتد وقع الشمس فيها سواء كان فيها رمل أو حصى أو غيرهما روى انهم كانوا يلصقون ظهره برمضاء البطحاء في الحر ولاحمد عن أبي ذر ان بلالا هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة (اكراها على الكفر وهو يقول احد أحد) مرفوع منون كذا أحفظه وكذا في أصلنا من ابن ماجه خبر مبتدا محذوف أي الله أحد كأنه يشير الى أنه لا يشرك بالله شيأ ويحتمل انه غير منون أي يا أحد قاله في النور (فمزج) خلط (مرارة العذاب) مشقته وألمه (بحلاوة الايمان وكذلك أيضا) وقع له ذلك (عند موته أهله يقولون) أي زوجته كما في الشفاء والمصنف في المقصد الاول ولفظه وهذا كما وقع له عند موته كانت امرأته تقول (واحرباه) روى بفتح الحاء والراء المهملتين والموحدة من الحرب بفتحتين وهو كما في النهاية نهب مال الانسان وتركه لا شئ له فكأنها تتفجع بها نهبت وسلبت وروى بفتح الحاء والزاي وبضم الحاء وسكون الزاي وروى واحوباه بحاء مفتوحة وواو ساكنة وموحدة من الحوب الاثم والمراد المبالغة في شدة جزعها وقلقها في المصيبة فهي تتفجع على نفسها أو من الحوبة بمعنى رقة القلب وهو تكلف (وهو يقول واطرباه) أي فرحاه والواو للندبة والالف والهاء مزيدة في آخره كأنه يستغيث بطربه ويدعوه في سكرات الموت لما تيقنه من الثواب وملاقاة الاحباب كما أشار اليه بقوله (غدا ألقى الاحبه محمدا وحزبه) أصحابه والمراد بغدا الزمان المستقبل بعد الموت (فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وهي حلاوة الايمان) أي من جملة حلاوته (ومنها حديث الصحابي الذي سرق فرسه

ثم رمى رأسها فانتضح الدم على وجهه فسبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت وفي صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فيمن زنى ولم يحصن بنفي عام واقامة الحد عليه وفي الصحيحين أن رجلا قال له أنشدك بالله الا قضيت بيننا بكتاب الله فقام خصمه وكان أفقه منه فقال صدق اقض بيننا بكتاب الله وائذن لي فقال قل قال ان ابني كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته فافتديت منه بمائة شاة وخادم واني سألت أهل العلم فأخبروني ان على ابني جلد مائة وتغريب عام وان على امرأة هذا الرجم فقال والذي نفسي بيده لاقضين بينكما بكتاب الله المائة والخادم ترد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام واغد يا أنيس على امرأة هذا فاسألها فان اعترفت فارجمها فاعترفت فرجمها وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب جلد مائة والرجم والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام فتضمنت هذه الاقضية رجم الثيب وانه لا يرجم حتى يقر أربع مرات وانه اذا أقر دون الاربع لم يلزم بتكميل نصاب الاقرار بل للامام ان يعرض

بليل وهو في الصلاة فرأى السارق حين أخذه فلم يقطع لذلك صلاته فقيل له في ذلك) أي ليم على عدم اتباع السارق وتخليصها منه (فقال ما كنت فيه ألذ من ذلك ولاذلك الا الحلاوة التي وجدها محسوسة في وقته ذلك) اذ لو كانت معقولة معنوية ما قدمها على ضياع فرسه (ومنها حديث الصحابيين اللذين جعلهما النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه من قبل العدو) أي من جهته (وقد أقبل) العدو (فرآهما فكبل) باللام بزنة ضرب والتشديد مبالغة (الجاسوس القوس) أي أوتره عبر عنه بالتكبيل مجاز التشبيه الايتار القوس بوضع القيد في رجل الاسير لمبالغته في ايتاره ليتمكن من قوة الرمي وفي نسخة فكبد بالدال أي جعل النشاب في وسط القوس (ورمى الصحابي فأصابه فبقي على صلاته ولم يقطعها ثم رماه ثانية فأصابه فلم يقطع لذلك صلاته ثم رماه ثالثة فأصابه فعند ذلك أيقظ صاحبه وقال لولا اني خفت على المسلمين ماقطعت صلاتي) أي ما اختصرتها الا انه لم يقطعها بالفعل (وماذلك) أي عدم قطعها واعتذاره (الا للشدة ما وجد فيها من الحلاوة حتى أذهبت عنه ما يجده من ألم السلاح قال ومثل ذلك حكى عن كثير من أهل المعاملات انتهى) كلام ابن أبي جمرة (وحديث هذين الصحابيين ذكره البخاري في صحيحه في باب من لم ير الوضوء الامن المخرجين) من كتاب الوضوء (بلفظ ويذكر عن جابر) بن عبد الله الصحابي ابن الصحابي (ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزوة ذات الرقاع فرمى) بضم الراء مبنيا للمفعول (رجل) هو عباد بن بشر (بسهم فنزفه الدم) بفتح الزاي والفاء أي خرج منه دم كثير حتى يضعف قاله الجوهري وفي أفعال ابن طريف يقال نزفه الدم وأنزفه اذا سال منه كثيرا حتى يضعفه فهو نزيف ومنزوف (فركع وسجد ومضى في صلاته) فلم يقطعها قال الحافظ أراد البخاري بهذا الحديث الرد على الحنفية في ان الدم السائل ينقض الوضوء فان قيل كيف مضى في صلاته مع وجود الدم في بدنه أو ثوبه واجتناب النجاسة فيها واجب أجاب الخطابي باحتمال ان الدم جرى من الجرح على سبيل الدفق بحيث لم يصب شيأ من ظاهر بدنه وثيابه وفيه بعد ويحتمل ان الدم أصاب الثوب فقط فنزعه عنه ولم يسل على جسمه الاقدر يسير معفو عنه ثم الحجة قائمة به على ان خروج الدم لا ينقض ولو لم يظهر الجواب عن كون الدم أصابه (وقد وصله ابن اسحق في المغازي) في غزوة ذات الرقاع (قال حدثني صدقة بن يسار) الجزري نزيل مكة مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة (عن عقيل بن جابر) ابن عبد الله الانصاري المدني مقبول (عن أبيه) جابر الصحابي (مطولا) قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع فأصبنا امرأة رجل من المشركين فلما قفل صلى الله عليه وسلم أتى زوجها وكان غائبا فحلف لا ينتهي حتى يصيب في أصحاب محمد دما فخرج يتبع أثره صلى الله عليه وسلم فنزل منزلا فقال من رجل يكلؤنا ليلتنا فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الانصار فقالا نحن يارسول الله قال فكونا في فم الشعب وكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا الى شعب من الوادي فقال الانصاري للمهاجري أي الليل تحب ان أكفيكه أوله أم آخره قال بل اكفني أوله فنام المهاجري وقام الانصاري يصلي وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف انه ربيئة القوم فرمى بسهم فوضعه فيه فنزعه ووضعه وثبت قائما ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه ووضعه وثبت قائما ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ثم أهب صاحبه فقال اجلس فقد أثبت فوثب فلما رآهما الرجل عرف انه قد نذرا به فهرب ولما رأى المهاجري ما بالانصاري من الدماء قال سبحان الله الا أهببتني أول ما رماك قال كنت في سورة أقرؤها فلم أحب ان أقطعها حتى أنفدها فلما تابع على الرمي ركعت فآذنتك وايم الله لولا ان أضيع ثغرا أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل ان أقطعها أو أنفدها (وأخرجه أحمد وأبو داود والدارقطني وصححه ابن خزيمة وابن

طلاقه وعتقه وايمانه ووصيته وجواز اقامة الحد في المصلى وهذا لا يناقض نهيه أن تقام الحدود في المساجد وان الحر المحصن اذا زنى بجارية فحده الرجم كما لو زنى بحرة وان الامام يستحب له أن يعرض للمقر بان لا يقر وانه يجب استفسار المقر في محل الاجمال لان اليد والفم والعين لما كان استمتاعها زنا استفسر عنه دفعا لاحتماله وان الامام له أن يصرح باسم الوطء الخاص به عند الحاجة اليه كالسؤال عن الفعل وان الحد لا يجب على جاهل بالتحريم لانه صلى الله عليه وسلم سأله عن حكم الزنا فقال أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من اهله حلالا وان الحد لا يقام على الحامل وانها اذا ولدت الصبي أمهلت حتى ترضعه وتفطمه وان المرأة يحفر لها دون الرجل وان الامام لا يجب عليه أن يبتدئ بالرجم وانه لا يجوز سب أهل المعاصي اذا تابوا وانه يصلى على من قتل في حد الزنا وان المقر اذا استقال في أثناء الحد وفر ترك ولم يتمم عليه الحد فقيل لانه رجوع

وقيل لانه توبة قبل تكميل الحد فلا يقام عليه كما لو تاب قبل الشروع فيه وهنا اختيار شيخنا

حبان والحاكم كلهم من طريق ابن اسحق) محمد امام المغازي (قال في فتح الباري وشيخه صدقة ثقة) روى له مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه (وعقيل بفتح العين) وكسر القاف وان كان مقبول الرواية (لكني لا أعرف راويا عنه غير صدقة) فيكون مجهول العين وهو مردود عند الاكثر (ولهذا لم يجزم به البخاري) بل أتى بصيغة التمريض بقوله يذكر على عادته فيما لم يصح عنده (أو لكونه اختصره) وهو مسوغ للتمريض (أو للاختلاف في ابن اسحق) فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه (وأخرجه البيهقي في الدلائل) النبوية (من وجه آخر وسمى أحدهما) أي الرجلين المبهمين في رواية ابن اسحق (عباد ابن بشر الانصاري) وهو الذي رمي بالسهام (و) سمى الرجل (الآخر عمار بن ياسر من المهاجرين و) سمى (السورة) التي كان يقرؤها عباد في صلاته (الكهف) فحصل بهذه الطريق تقوية لرواية ابن اسحق مع بيان المبهم في روايته من الرجلين والسورة (وانما قال أحب اليه مما سواهما ولم يقل ممن لم من يعقل ومن لا يعقل) لان ما موضوعة لهما بخلاف من فموضوعة للعاقل قال تعالى لله ما في السموات وما في الارض وقال تعالى ولله يسجد من في السموات ومن في الارض قال البيضاوي لما استعمل ما للعقلاء كما استعمل من لغيرهم كان استعماله حيث اجتمعا أولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء (وفي قوله أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما دليل على انه لا بأس بهذه التثنية) أي يجوز جمع الله ورسوله في ضمير واحد (وأما قوله صلى الله عليه وسلم للذي خطب) قال الحافظ برهان الدين في المقتفى لا أعرفه وقال بعض الحفاظ انه ثابت بن قيس وقال الطوفي هو عدي بن حاتم روى مسلم وأبو داود عن عدي بن حاتم ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم (فقال) من يطع الله ورسوله فقد رشد (ومن يعصهما) فقد غوى فقال صلى الله عليه وسلم (بئس الخطيب أنت) قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ورشد بفتح الشين المعجمة وكسرها كما قال المصنف على مسلم

(فليس من هذا لان المراد في الخطب الايضاح) واجتناب الرمز ولذا كان صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا لتفهم كما في الصحيح (وأما هنا فالمراد الايجاز) الاختصار (في اللفظ ليحفظ) اذ القليل يسهل حفظه وهذا صوبه النووي قائلا وهذا هو الفرق بين الحديثين حديث من يعصهما كان في خطبة وحديث مما سواهما كان في تعليم حكم فتقليل اللفظ فيه أولى لانه أقرب الى الحفظ (ويدل عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم حيث قاله في موضع آخر قال) كما رواه أبو دود عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب فقال في خطبته من يطع الله ورسوله فقد رشد (ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه) واعترض بأن هذا الحديث انما ورد أيضا في خطبة النكاح وأجيب بأن المقصود في خطبة النكاح أيضا الايجاز فلا نقض وثم أجوبة أخرى منها دعوى الترجيح فيكون خبر المنع أولى لانه عام والآخر يحتمل الخصوصية ولانه ناقل والآخر مبني على الاصل ولانه قول والآخر فعل ورد بأن احتمال التخصيص في القول أيضا حاصل بل ليس فيه صيغة عموم أصلا كذا في الفتح قبل قوله (وقيل انه من الخصائص فيمتنع من غير النبي صلى الله عليه وسلم ولا يمتنع منه لان غيره اذا جمع أوهم اطلاق التسوية) بينهما لانه لفظ واحد متصل لا سيما اذا لوحظ العدول عن العطف الدال على التفاوت والتبعية ولذا قال له قل ومن يعص الله ورسوله (بخلافه هو فان منصبه لا يتطرق اليه ايهام ذلك) لانه يعطي مقام الربوبية حقه (والى هذا مال ابن عبد السلام) الشيخ عز الدين زاد الحافظ ومنها دعوى التفرقة بوجه آخر هو أن كلامه صلى الله عليه وسلم هنا جملة واحدة فلا يحسن اقامة الظاهر فيها مقام المضمر وكلام الذي خطب جملتان فالاولى اقامة الظاهر فيهما (ومن محاسن الاجوبة في الجمع بين هذا الحديث وقصة الخطيب أن تثنية الضمير هنا للايماء الى ان المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين

الباطل باطل يجب رده وان الامام له ان يوكل في استيفاء الحدود وان الثيب لا يجمع عليه بين الجلد والرجم لانه صلى الله عليه وسلم لم يجلد ماعزا ولا الغامدية ولم يأمر أنيسا ان يجلد المرأة التي أرسله اليها وهذا قول الجمهور وحديث عبادة خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب جلد مائة والرجم منسوخ فان هذا كان في أول الامر عند نزول حد الزاني ثم رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما وهذا كان بعد حديث عبادة بياض بالاصل بلا شك وأما حديث جابر في السنن أن رجلا زنى فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم فجلد الحد ثم أقر انه محصن فأمر به فرجم فقد قال جابر في الحديث نفسه انه لم يعلم احصانه فجلد ثم علم باحصانه فرجم رواه أبو داود وفيه ان الجهل بالعقوبة لا يسقط الحد اذا كان عالما بالتحريم فان ماعزا لم يعلم ان عقوبته القتل ولم يسقط هذا الجهل الحد عنه وفيه انه يجوز للحاكم ان يحكم بالاقرار في مجلسه وان لم يسمعه معه شاهدان نص عليه أحمد فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل لانيس فان اعترفت بحضرة شاهدين

لا كل واحدة منهما فانها وحدها لاغية) متروكة لا اعتداد بها (اذا لم ترتبط بالأخرى فمن يدعى حب الله مثلا ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك) كعكسه (ويشير اليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فأوقع متابعته مكتنفة) بفتح النون اسم مفعول من اكتنفه القوم أحاطوا به (بين قطرى) تثنية قطر أى جانبى (محبة العباد لله ومحبة الله للعباد) والاضافة بيانية يعنى انه جعل المتابعة محاطا بها طرفان أحدهما محبة الله والآخر محبة رسوله وعليه فبين هنا بمعنى الباء لان بين طرف لا يظهر معناها الا باضافتها المتعدد (وأما أمر الخطيب بالافراد فلان كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية) بفتح الغين المعجمة اسم من غوى غيا من باب ضرب انهمك فى الجهل وهو خلاف الرشد (اذ العطف فى تقدير التكرير) والاستقلال لقيام الواو مقام تكرار العامل أو تقديره معها (والاصل استقلال كل من المعطوفين فى الحكم ويشير اليه قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فأعاد أطيعوا فى الرسول ولم يعده فى أولى الامر لانهم لا استقلال لهم فى الطاعة كاستقلال الرسول انتهى ملخصا من كلام البيضاوى والطيبى) كلاهما فى شرح المصابيح (كما حكاه فى فتح البارى) وزادوا هنا أجوبة أخرى فيها نظر منها ان المتكلم لا يدخل فى عموم خطابه ومنها ان له أن يجمع بخلاف غيره انتهى (وفى الصحيح) لمسلم من افراده عن العباس بن عبد المطلب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ذاق طعم الايمان) قال عياض أى عرف الله سبحانه واستحلى الايمان (من رضى بالله ربا) فالرضا دليل على هذه المعرفة قال الابى لانه تسبب عنها ووجود السبب يدل على وجود المسبب ثم الرضا يكون بمعنى القناعة وبمعنى الايثار وهو المراد لان الاول مشترك بين جميع الناس اذ من لم يقنع بالله ربا ليس من الاسلام فى شئ واستحلاء الايمان من صفة الخواص فانما يدل عليها ما هو من صفتهم فالمعنى عرف الله واستحلاء الايمان به من أثره فان قيل هذان هما الغاية فلو أريد لم يعبر عنهما بالذوق وهو مبدأ الفعل اذ لا يعبر عن غاية الشئ بمبدئه قلت الذوق انما هو مبدأ الفعل اذا استعمل فى المحسوسات كذوق الطعام أما اذا استعمل فى المعانى كما هنا فانما هو كناية عن كمال الادراك والرضا بالله يستلزم الرضا عنه انتهى وقال الراغب الذوق وجود الطعم فى الفم وأصله فيما يقل تناوله فاذا كثر يقال له الاكل واستعمل فى القرآن بمعنى الاصابة اما فى الرحمة نحو ولئن أذقنا الانسان منا رحمة واما فى العذاب نحو ليذوقوا العذاب وقال غيره ضرب الذوق مثلا لما ينالونه من الخير عند المصطفى (وبالاسلام دينا) بأن لم يسع فى غير طريقه قال الطيبى لا يخلو اما أن يراد به الانقياد كما فى حديث جبريل أو مجموع ما يعبر بالدين عنه كخبر بنى الاسلام على خمس ويؤيد الثانى اقترانه بالدين لانه جامع باتفاق وعلى التقديرين هو عطف عام على خاص وكذا قوله (وبمحمد رسولا) بأن لم يسلك الا ما يوافق شرعه ومن كان هذا نعته فقد وصلت حلاوة الايمان الى قلبه وذاق طعمه شبه الامر الحاصل الوجدانى من الرضا بالامور المذكورة بمطعوم يلتذ به ثم ذكر المشبه به وأراد المشبه ورشح بقوله ذاق فان قيل الرضا بالثالث مستلزم للاولين فلم ذكرهما قلنا للتصريح بأن الرضا بكل منها مقصود (ونبيا) كذا فى النسخ عطف لازم على ملزوم لان الرسالة مستلزمة للنبوة لكن ليس فى مسلم ونبيا ولم يتكلم شارحاه النووى والابى على انها رواية وقد نسبه السيوطى لاحمد ومسلم والترمذى بدون ونبيا فكانها دخلت على المصنف من حديث آخر (قال فى المدارج) لابن القيم (فأخبر أن للايمان طعما وأن القلب يذوقه كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب) أى بادراك لذة الايمان وسهولة ما بنى عليه من فعل الطاعات واجتناب المعاصى فعبر بالذوق عن الادراك وبالطعم عن السهولة واطمئنان النفس بما يقتضيه الايمان مجازا (وقد عبر النبى صلى الله عليه وسلم عن ادراك

فارجمها وان الحكم اذا كان حقا محضا لله لم يشترط الدعوى به عند الحاكم وان الحد اذا وجب على امرأة جاز للامام ان يبعث اليها من يقيمه عليها ولا يحضرها وترجم النسائى على ذلك صونا للنساء عن مجلس الحكم وان الامام والحاكم والمفتى يجوز له الحلف على ان هذا حكم الله عز وجل اذا تحقق ذلك وتيقنه بلا ريب وأنه يجوز التوكيل فى اقامة الحدود وفيه نظر فان هذا استنابة من النبى صلى الله عليه وسلم وتضمن تغريب المرأة كما يغرب الرجل لكن يغرب معها محرمها ان أمكن والا فلا وقال مالك لا تغريب على النساء لانهن عورة

(فصل فى حكمه صلى الله عليه وسلم) على أهل الكتاب فى الحدود بحكم الاسلام ثبت فى الصحيحين والمسانيد أن اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان رجلا منهم وامرأة زنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم قالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله ابن سلام كذبتم ان فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فقالوا صدق يا محمد ان فيها

حقيقة الايمان والاحسان وحصوله للقلب ومباشرته له بالذوق) متعلق بعبر (تارة بالطعم أخرى وبوجد) بفتح فسكون مصدر (الحلاوة تارة كما قال ذاق) طعم الايمان (وقال) فى الحديث الذى قبله (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان) ولذا قال الطيبى مجاز قوله ذاق طعم الايمان مجاز قوله وجد حلاوة الايمان وكذلك موقعه كوقعه لان من أحب أحدا يتحرى مراضيه ويؤثر رضاه على رضا نفسه (ولما نهاهم عن الوصال) فى الصوم (قالوا) مستفهمين (انك تواصل قال انى لست كهيئتكم انى أطعم وأسقى) بما يغذينى به ربى من معارفه وما يفيض على قلبى من لذة مناجاته وقرة عينى بقربه ونعيمه بحبه والشوق اليه المغنى ذلك عن غذاء الاجسام مدة

لها أحاديث من ذكراك تشغلها * عن الشراب ويلهيها عن الزاد

(وقد غلظ) أى قوى (حجاب من ظن أن هذا) الذى يطعمه ويسقاه حين الوصال (طعام وشراب حسى للفم) يؤتى له من الجنة لانه لم يدرك الامور على حقيقتها فعبر عن ذلك بالغلظ والحجاب مجازا (وسيأتى تحقيق الكلام فى هذا ان شاء الله تعالى فى الصوم من مقصد عباداته عليه الصلاة والسلام) وأن الجمهور على انه مجاز عن لازم الطعام والشراب وهو القوة كأنه قال أعطى قوة الطاعم الشارب (والمقصود) هنا (ان ذوق حلاوة الايمان أمر يجده القلب تكون نسبته اليه كذوق حلاوة الطعام الى الفم) فهو على التشبيه أى وجد فى فعله حلاوة تشبه الحلاوة المأكولة (وذوق حلاوة الجماع الى اللذة كما قال عليه الصلاة والسلام) لامرأة رفاعة لا (حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك وللايمان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد) أى ادراك (ولا تزول الشبه والشكوك الا اذا وصل العبد الى هذه الحال فيباشر الايمان قلبه حقيقة المباشرة فيذوق طعمه ويجد حلاوته) المعنوية المشابهة للحسية (وقال العارف الكبير تاج الدين) أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم (بن عطاء الله) نسبة الى جده الاعلى لشهرته به الجذامى الاسكندرانى الامام المتكلم على طريقة الشاذلى الجامع لانواع العلوم من تفسير وحديث ونحو وأصول وفقه على مذهب مالك وصحب فى التصوف الشيخ أبا العباس المرسى وكان أعجوبة زمانه فيه وأخذ عنه التقى السبكى واختصر تهذيب المدونة للبراذعى فى الفقه وألف التنوير والحكم وغير ذلك ومات بالمدرسة المنصورية من القاهرة فى ثالث جمادى الآخرة (٢) سنة تسع وسبعمائة ودفن بالقرافة ذكره السيوطى وابن فرحون فى طبقات المالكية وغيرهما ولا نزاع فى أنه مالكى وذكر ابن السبكى له فى طبقات الشافعية لقوله أراه كان شافعيا وليس كما ظن (فيه يعنى فى هذا الحديث اشارة الى أن القلوب السليمة من أمراض الغفلة والهوى) اضافة أعم الى أخص أو بيانية (تتنعم بملذوذات المعانى كما تتنعم بملذوذات الاطعمة) تشبيه بمطلق اللذة فلا ينافى ان لذتهم أقوى قال ابرهيم بن أدهم والله انا فى لذة لو علمها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف وقال الجنيد أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم وقال عتبة الغلام كابدت الصلاة عشرين سنة ثم استمتعت بها بقية عمرى (وانما ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا لانه ما رضى بالله ربا) أعاده مظهرا تلذذا بذكره

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

(استسلم له وانقاد لحكمه) عطف تفسير (والقى قياده) بكسر القاف (اليه) أى أطاعه وأذعن له فهى ألفاظ متقاربة (فوجد لذاذة) بالفتح بزنة سلامة مصدر لذ يلذ لذاذا ولذاذة بالفتح (العيش وراحة التفويض ولما رضى بالله ربا كان له الرضا من الله) جزاء من جنس العمل (واذا كان له الرضا من

(٢) قوله سنة تسع وسبعمائة فى بعض هوامش المتن نقلا عن المحشى سنة تسع وسبعين وسبعمائة فليراجع فى حسن المحاضرة أو غيره من المظان اه مصححه

الاحصان وان الذمى يحصن الذمية والى هذا ذهب أحمد والشافعى ومن لم يقل بذلك اختلفوا فى وجه هذا الحديث فقال مالك فى غير الموطأ لم يكن اليهود بأهل ذمة والذى فى صحيح البخارى انهم أهل ذمة ولا شك ان هذا كان بعد العهد الذى وقع بين النبى صلى الله عليه وسلم وبينهم ولم يكونوا اذ ذاك حربا كيف ذلك وقد تحاكموا اليه ورضوا بحكمه وفى بعض طرق الحديث انهم قالوا اذهبوا بنا الى هذا النبى فانه بعث بالتخفيف وفى بعض طرقه انهم دعوه الى بيت مدارسهم فأتاهم وحكم بينهم فهم كانوا أهل عهد وصلح بلا شك وقالت طائفة أخرى انما رجمهما بحكم التوراة قالوا وسياق القصة صريح فى ذلك وهذا مما لا يجدى عنهم شيأ البتة فانه حكم بينهم بالحق المحض فيجب اتباعه بكل حال فماذا بعد الحق الا الضلال وقالت طائفة رجمهما سياسة وهذا من أقبح الاقوال بل رجمهما بحكم الله الذى لا حكم سواه وتضمنت هذه الحكومة ان أهل الذمة اذا تحاكموا الينا لا نحكم بينهم الا بحكم الاسلام وتضمنت قبول شهادة أهل الذمة

الله أوجده الله حلاوة ذلك ليعلم مامن) بشد النون أنعم (به عليه وليعلم احسان الله عليه) فيزداد شكره فيزيد ثوابه (ولما سبقت لهذا العبد العناية) الحفظ (خرجت له العطايا من خزائن المنن) جمع منة (فلما واصلته أمداد الله) زياداته وأنواره (عوفى قلبه من الامراض والاسقام) الامراض المهلكة (فكان سليم الادراك فأدرك لذاذة الايمان وحلاوته لصحة ادراكه وسلامة ذوقه) عما يغير طعمه عليه (وقوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام دينا لانه اذا رضى بالاسلام دينا فقد رضى بما رضى به المولى) تبارك وتعالى كما قال ورضيت لكم الاسلام دينا (ولازم من رضى بمحمد نبيا أن يكون له وليا) مواليا (وأن يتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه زهدا فى الدنيا وخروجا عنها وصفحا عن الجناة) بضم الجيم جمع جان أى المذنبين ذنبا يؤاخذ به (وعفوا عمن أساء اليه الى غير ذلك من تحقيق المتابعة قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا فمن رضى بالله استسلم له وانقاد ومن رضى بالاسلام عمل له ومن رضى بمحمد صلى الله عليه وسلم) رسولا (تابعه) متابعة تامة (ولا يكون) لا يوجد (واحد منها الا بكلها اذ محال أن يرضى بالله ربا ولا يرضى بالاسلام دينا أو يرضى بالاسلام دينا ولا يرضى بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين لا خفاء فيه انتهى ملخصا) كلام ابن عطاء الله (واعلم ان محبة الله تعالى) كما نقله فى فتح البارى عن بعضهم (على قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التى تبعث على امتثال الاوامر) المفيدة للفرضية وأطلقها لان اطلاقها على غير الواجب مجاز كما حققه المحلى لا مشترك (والانتهاء عن المعاصى والرضى بما يقدره) أى بقدره ان حمل على التقدير الازلى أو يقدره حالا وما لا ان حمل على التعلق التنجيزى والصلوحى (فمن وقع فى معصية من فعل محرم أو ترك واجب) عبر عن الامرين المتقدمين بواحد وان تحته فردين اشارة الى تلازمهما وان اختلفا بحسب المفهوم وماصدقهما اذ الاول هو الفعل الذى طلبه الشارع طلبا جازما والثانى الفعل الذى نهى عنه نهيا جازما (فلتقصيره فى محبة الله حيث قدم هوى نفسه) حيثية تعليل فهو تعليل التعليل فان قيل يلزم عليه تعليل الشئ بنفسه لان المعنى ان الوقوع فى المعصية سببه فعلها الذى هو اتباع هوى نفسه فالجواب أنه دفع ذلك بقوله (والتقصير يكون مع الاسترسال فى المباحات والاستكثار منها) ووجه الدفع ان التقصير الذى هو سبب العصيان ليس ناشئا عن اتباع هوى نفسه الذى هو المعصية فقط اذ هواها لا يختص بالمعصية فيحمل على أمر مباح ليصح مغايرة السبب للمسبب (فيورث) ذلك الاسترسال والاستكثار (الغفلة) عما يحمله على امتثال الامر واجتناب النهى لغفلته عن الرغبة فى الثواب والخوف من العقاب (المقتضية للتوسع فى الرجاء) لرحمة الله كأن يقوم فى نفسه انه وان أكثر من الشبهات لا يناله مكروه (فيقدم) بذلك أى يجترئ (على المعصية) ويرجو المغفرة زاد فى الفتح أو تستمر الغفلة فيقع وهذا الثانى يسرع الى الاقلاع مع الندم واليه يشير حديث لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن (والندب أن يواظب على النوافل ويجتنب الوقوع فى الشبهات) وهى ما ليس بواضح الحل والحرمة مما تنازعته الادلة وتجاذبته المعانى والاسباب فبعضها يعضده دليل الحرام وبعضها يعضده دليل الحلال (والمتصف بذلك عموم الاوقات والاحوال نادر) زاد الحافظ وكذا محبة الرسول على قسمين كما تقدم ويزاد أن لا يتلقى شيأ من المأمورات والمنهيات الا من مشكاته ولا يسلك الا طريقته ويرضى بما شرعه حتى لا يجد فى نفسه حرجا مما قضى ويتخلق بأخلاقه فى الجود والايثار والحلم والتواضع وغيرها فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الايمان وتتفاوت مراتب المؤمنين بحسب ذلك انتهى (وفى البخارى) فى الرقائق (من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تعالى انه قال) لفظه حدثنى محمد بن عثمان بن كرامة ثنا خالد بن مخلد ثنا سليمان بن

بعضهم على بعض لان الزانيين لم يقرا ولم يشهد عليهما المسلمون فانهم لم يحضروا زناهما كيف وفى السنن فى هذه القصة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشهود فجاؤا أربعة فشهدوا أنهم رأوا ذكره فى فرجها مثل الميل فى المكحلة وفى بعض طرق هذا الحديث فجاء أربعة منهم وفى بعضها فقال لليهود ائتونى بأربعة منكم وتضمنت الاكتفاء بالرجم وان لا يجمع بينه وبين الجلد قال ابن عباس الرجم فى كتاب لا يغوص عليه الاغواص وهو قوله تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب واستنبطه غيره من قوله انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا قال الزهرى فى حديثه فبلغنا ان هذه الآية نزلت فيهم انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا كان النبى صلى الله عليه وسلم منهم

* (فصل فى قضائه صلى الله عليه وسلم) * فى الرجل يزنى بجارية امرأته فى المسند والسنن الاربعة من حديث قتادة عن حبيب بن سالم أن رجلا يقال له عبد الرحمن بن حنين وقع على جارية امرأته فرفع الى النعمان بن بشير وهو أمير على الكوفة فقال لاقضين فيك بقضية رسول الله صلى الله

بلال حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب و (ما تقرب الي عبدي) وللكشميهني
عبد بحذف الياء (بمثل أداء ما افترضته عليه) عينا أو كفاية وظاهره اختصاصه بما ابتدأ
الله فرضه وفي دخول ما أوجبه المكلف على نفسه نظر للتقييد بقوله افترضت الا أن يؤخذ من
جهة المعنى الاعم قاله الحافظ (وفي رواية بشيء أحب) بالفتح صفة لشيء فهو مفتوح في موضع
جر وبالرفع بتقدير هو أحب (الي من أداء ما افترضت عليه) أي تأديته لا المقابل للقضاء فقط بل
المراد فعل ما افترض عليه (ولا يزال) بلفظ المضارع وللحموي والمستملي وما زال (عبدي)
باضافة التشريف (يتقرب الي بالنوافل) مع الفرائض كالصلاة والصيام (حتى أحبه) بضم
أوله أي أرضى عنه (فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي
يبطش بها) بضم الطاء وكسرها وايثان وبهما قرئ أم لهم أيد يبطشون بها أي تأخذ بقوة
(ورجله التي يمشي بها) زاد في حديث عائشة عند أحمد والبيهقي في الزهد وفؤاده الذي يعقل به
ولسانه الذي يتكلم به وفي حديث أنس عند أبي يعلى وغيره ومن أحببته كنت له سمعا وبصرا
ويدا ومؤيدا وقوله (فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي) ليست هذه الجمل في رواية
البخاري (ولئن سألني) زاد في حديث عائشة عبدي (لأعطينه) ما سأل مما يعود بنفع عليه كصحة
وتوفيق الى طاعة (ولئن استعاذني) قال المصنف بالنون بعد الذال المعجمة في الفرع كأصله
وبالموحدة في غيرهما (لاعيذنه) مما يخاف وفي حديث أبي امامة عند الطبراني والبيهقي في الزهد
واذا استنصرني نصرته وفي حديث حذيفة عند الطبراني ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون
جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة وفيه ان العبد ولو بلغ أعلى الدرجات حتى يكون
محبوبا لله تعالى لا ينقطع عن الطلب من الله لما فيه من الخضوع واظهار العبودية (وما ترددت
عن) بمعنى في أو ضمن تردد معنى تأخر لانه لازمه (شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن)
تشبيه بليغ بحذف الاداة ولم يقل نفس عبدي للاستغناء بوصف الايمان أي ما أخرت وما توقفت
توقف المتردد في أمر أنا فاعله الا في قبض نفس المؤمن حتى يسهل عليه ويميل قلبه شوقا اليه لانخراطه
في سلك المقربين والتبوء في عليين أو ازالة كراهة الموت مما يبتلى به من نحو مرض وفقر فأخذه
المؤمن عن حب الحياة شيأ فشيأ بهذه الاسباب يشبه فعل المتردد فعبر به مجازا لان حقيقة التردد التحير
بأن يظهر له ما يقتضي الفعل وما يقتضي الترك فينشأ من ذلك الحيرة لمريد الفعل لتعارض مقتضاهما
عنده والله منزه عن ذلك كما يأتي (يكره الموت) لصعوبته وشدته ومرارته وشدة ائتلاف روحه لجسده
وتعلقها به ولعدم معرفته بما هو صائر اليه بعده (وأنا أكره مساءته) بفتح الميم والمهملة بعدها همزة
ففوقية أي أن أفعل به ما يحزنه والجملة في موضع التعليل للتردد وهو استئناف بياني كأنه جواب
سؤال قال الذهبي في الميزان حديث غريب جدا ولولا هيبة الجامع الصحيح لعدوه في منكرات خالد
ابن مخلد القطواني لغرابة لفظه ولانه مما تفرد به شريك وليس بالحافظ ولم يرو هذا المتن الا بهذا
الاسناد ولا أخرجه من عدا البخاري ولا أظنه في مسند أحمد قال الحافظ ليس في مسند أحمد جزما
واطلاق انه لم يرو الا بهذا الاسناد مردود وشريك شيخ شيخ خالد فيه مقال أيضا لكن للحديث
طرق يدل مجموعها على أن له أصلا فرواه أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا والبيهقي في الزهد من
طريق عبد الواحد بن ميمون عن عروة عن عائشة وذكر ابن حبان وابن عدي أن عبد الواحد
تفرد به وقد قال البخاري أنه منكر الحديث لكن أخرجه الطبراني من طريق يعقوب بن

فجلده مائة قال الترمذي في اسناد هذا الحديث اضطراب سمعت محمدا يعني البخاري يقول لم يسمع قتادة من حبيب ابن سالم هذا الحديث انما رواه عن خالد بن عرفطة وأبو البشر لم يسمعه أيضا من حبيب ابن سالم انما رواه عن خالد بن عرفطة وسألت محمدا عنه فقال أنا أتقي هذا الحديث وقال النسائي هو مضطرب وقال أبو حاتم الرازي خالد بن عرفطة مجهول وفي المسند والسنن عن قبيصة بن حريث عن سلمة بن المحبق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في رجل وقع على جارية امرأته ان كان استكرهها فهي حرة وعليه لسيدتها مثلها وان كانت طاوعته فهي له وعليه لسيدتها مثلها فاختلف الناس في القول بهذا الحكم فأخذ به أحمد في ظاهر مذهبه فان الحديث حسن وخالد بن عرفطة قد روى عنه ثقتان حبيب ابن سالم وأبو البشر ولم يعرف فيه قدح والجهالة ترتفع عنه برواية ثقتين والقياس
وقواعد الشريعة يقتضي القول بموجب هذه الحكومة فان احلال الزوجة شبهة

مجاهد عن عروة وقال لم يروه عن عروة الا يعقوب وعبد الواحد وأخرجه الاسماعيلي من حديث على والطبراني والبيهقي عن أبي امامة بسند ضعيف وأبو يعلى والبزار والطبراني عن أنس وفي سنده ضعف والطبراني عن حذيفة مختصرا وسنده حسن غريب وابن ماجه وأبو نعيم في الحلية عن معاذ بن جبل مختصرا وسنده ضعيف وأحمد في الزاهد وأبو نعيم في الحلية عن وهب بن منبه مقطوعا انتهى وهو أصل عظيم في السلوك الى الله تعالى والوصول الى معرفته ومحبته لان المفترض اما باطن وهو الايمان وظاهر وهو الاسلام أو مركب منهما وهو الاحسان المتضمن مقامات السالكين كالاخلاص والزهد والتوكل والمراقبة فقد جمع هذا الحديث الشريعة والحقيقة (ويستفاد من قوله وما تقرب الى عبدي بشئ) من الطاعات (أحب الى من أداء ما افترضته عليه أن اداء الفرائض أحب الاعمال الى الله تعالى) أى فعلها لا مقابل القضاء كما مر فالمراد اللغوى فشمل النذر أخذا للافتراض بالمعنى الاعم لان من نذر شيأ فرض الله عليه الوفاء به فلا ينافي قوله مما افترضته ومر أن الحافظ نظر فيه وأشار الى الجواب بنحو هذا (وعلى هذا المستفاد (فقد استشكل كون النوافل تنتج المحبة) لانه تعالى جعلها مرتبة على كثرة النوافل (ولا تنتجها الفرائض) لانه سبحانه جعلها أحب الاشياء اليه ولم يذكر سبب الاحبية فلم تترتب المحبة على اداء الفرائض (وأجيب بأن المراد من النوافل اذا كانت مع الفرائض مشتملة عليها ومكملة لها) لا مطلقا فانما انتجت المحبة من حيث الاشتمال والتكميل (ويؤيده ان في رواية أبي امامة) الباهلي عند الطبراني والبيهقي مرفوعا (أبن) بفتح الهمزة وكسرها (آدم انك لن تدرك ما عندي الا بأداء ما افترضته عليك) فلا يعتد بالنوافل بدون الفرائض قال ابن أبي جمرة انما سميت نافلة لانها تأتي زائدة على الفريضة فلو لم تؤد الفريضة لا تحصل ومن أداها ثم زاد النفل وأدامه محضت منه ارادة التقرب وقد جرت العادة بأن التقرب يكون غالبا بغير ما وجب على المتقرب كهدية وتحفة بخلاف ما يجب عليه أو يقتضى ما لزمه ومما يحقق ذلك أن جملة ما شرع له النفل جبره الفرض فالمراد من التقرب بالنفل أن يقع ممن أدى الفرض لا ممن أخل به قال بعض الاكابر من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور انتهى (أو يجاب بأن الاتيان بالنوافل لمحض المحبة لا لخوف العقاب على الترك) فاستحق محبة الله لكونه لا في مقابلة شئ (بخلاف الفرائض) ففعلها مانع من العقاب على تركها فهو في مقابلة عوض وان كانت أفضل (وقال الفاكهاني) عمر بن على بن سالم اللخمي المالكي الشهير بتاج الدين الفاكهاني الفقيه الفاضل المتفنن في الحديث والفقه والاصول والعربية والادب والدين المتين والصلاح العظيم والتخلق بأخلاق الاولياء وصحب منهم جماعة وحج غير مرة وولد بالاسكندرية سنة اربع وقيل سنة ست وخمسين وستمائة ومات بها سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وله مصنفات عديدة (معنى الحديث انه اذا أدى الفرائض ودام على اتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما) وبين الفاكهاني نفسه ذلك الغير فقال في شرح الاربعين من صلاة في الليل أو في النهار لا سيما التوابع للفروضات أو صيام أو صدقة أو حج تطوع أو جهاد غير متعين أو اصلاح بين اثنين أو جبر خاطر يتيم أو اغاثة مسلم أو تيسير على معسر أو فعل خير من حيث الجملة (أفضى به ذلك الى محبة الله تعالى اياه) أى أوصله لها فالباء زائدة للتوكيد (وقد استشكل أيضا كيف يكون البارى جل وعلا سمع العبد وبصره الخ) يعنى ويده ورجله مع ان السمع عرض اذ هو قوة منبثة في مقعر الصماخ والله تعالى ذات والذات لا تقوم في العرض بل العكس مع استحالة حلوله الحق تعالى في غيره فتضمن السؤال أمرين كما لا يخفى (وأجيب بأجوبة منها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت كسمعه وبصره في ايثاره أمرى فهو يحب طاعتى ويؤثر خدمتى كما يحب هذه الجوارح) فهو من التشبيه البليغ كزيد أسد (ومنها ان

توجب سقوط الحد ولا تسقط التعزير فكانت المائة تعزيرا فاذا لم تكن أحلتها كان زنا لا شبهة فيه ففيه الرجم فاى شئ في هذه الحكومة مما يخالف القياس وأما حديث سلمة بن المحبق فان صح تعين القول به ولم يعدل عنه ولكن قال النسائي لا يصح هذا الحديث قال أبو داود سمعت أحمد ابن حنبل يقول الذى رواه عن سلمة بن المحبق شيخ لا يعرف ولا يحدث عنه غير الحسن يعنى قبيصة بن حريث وقال البخارى في التاريخ قبيصة بن حريث سمع سلمة بن المحبق في حديثه نظر وقال ابن المنذر لا يثبت خبر سلمة بن المحبق وقال البيهقي وقبيصة بن حريث غير معروف وقال الخطابي هذا حديث منكر وقبيصة غير معروف والحجة لا تقوم بمثله وكان الحسن لا يبالى ان يروى الحديث ممن سمع وطائفة أخرى قبلت الحديث ثم اختلفوا فيه فقالت طائفة هو منسوخ وكان هذا قبل نزول الحدود وقالت طائفة بل وجهه أنه اذا استكرهها فقد أفسدها على سيدتها ولم تبق ممن تصلح لها ولحقها العار وهذا مثلة معنوية فهى كالمثلة الحسية أو أبلغ منها وهو قد تضمن أمرين اتلافها على سيدتها والمثلة المعنوية بها فألزمه غرامتها

المعنى ان كاينته) أي جلته لا الكلية المنطقية التي هي الحكم على جميع الافراد المقابلة للكلي وهو ما لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه والكل وهو ما كان ذا اجزاء (مشغولة في فلا يصغي بسمعه الا الى ما يرضيني ولا يرى ببصره الا ما أمرته به) ولا يبطش الا لمرضاتي ولا يمشي الا فيما يقربه الي (ومنها ان المعنى كنت له في النصرة) بضم النون الاعانة والتقوية (كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة) بيان للنصرة (على عدوه) وهذا أيضا على جهة التمثيل لكنه من جهة أخرى فغاير الاول (ومنها انه على حذف مضاف أي حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك) أي فلا يبصر الا الحلال (الخ) يعني وحافظ يده وحافظ رجله كذلك والدليل على المضاف الاستحالة (قاله) أي هذا الجواب الرابع (الفاكهاني) في شرح الاربعين ولم يذكر فيه سواه وسوى ما نقله بقوله (قال الفاكهاني (ويحتمل) في الحديث (معنى) فهو فاعل أو يحتمل الحديث معنى فهو نصب المفعولية والاول أظهر والخطب سهل (آخر أدق من الذي قبله وهو أن يكون) سمعه (بمعنى مسموعه لان المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان أملي بمعنى مأمولي) فأمل مصدر أمل يأمل من باب طلب واسم مفعوله مأمول واسم فاعله آمل وعبارة الفاكهاني قالوا أنت رجائي بمعنى مرجوي (والمعنى أنه لا يسمع الا ذكري) سماع تلذذ (ولا يتلذذ الا بتلاوة كتابي ولا يأنس الا بمناجاتي) في الصلاة وغيرها (ولا ينظر الا في عجائب ملكوتي ولا يمد يده الا فيما فيه رضاي) كمدها بالصدقة ونحوها وعبر هنا بالمد اشارة الى ان المراد مطلق حركة يده ٢ لا حقيقة المد في الحديث بالبطش لشرفه وهو الاخذ بقوة (ورجله كذلك) لا يسعى بها الا فيما فيه رضاي (وقال غيره) وهو الطوفي (اتفق العلماء ممن يعتد بقوله) بافراد الضمير على لفظ من وهو أكثر كقوله ومنهم من يؤمن به (على ان هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد) مصدر مضاف لمفعوله أي عن نصرة الله عبده (وتأييده واعانته حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الآلات التي يستعين بها) أي ان أفعاله لا توجد الا بارادته واقداره عليها الا انه بمنزلة الآلة الحقيقية (ولهذا وقع في رواية في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي قال) ذلك الغير (والاتحادية) نسبة الى الاتحاد وهو تصيير الذاتين ذاتا واحدة وهو محال لانه ان كانت عين كل واحدة منهما موجودة في حال الاتحاد فهما اثنتان لا واحدة وان عدمت واحدة فليس ذلك باتحاد بل عدم احداهما وان عدمتا كان عدم الاتحاد أظهر (زعموا انه على حقيقته وان الحق عين العبد) محتجين بمجيء جبريل في صورة دحية (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا) وللشيخ قطب الدين القسطلاني كتاب بديع في الرد عليهم (وقال الخطابي عبر بذلك عن سرعة اجابة الدعاء والنجح) بضم النون الظفر بالقصد (في الطلب وذلك أن مساعي الانسان) أي تصرفاته في أعماله (كلها انما تكون بهذه الجوارح المذكورة وعن أبي عثمان) سعيد بن اسمعيل النيسابوري (الحيري) بحاء مكسورة وراء مهملتين بينهما تحتية ساكنة نسبة الى الحيرة محلة بنيسابور غير المدينة المعروفة بالكوفة وأصله من الري وصحب قديما يحيى بن معاذ الرازي وشاه بن شجاع الكرماني ثم رحل الى نيسابور قاصدا أبا حفص الحداد فأخذ عنه طريقته وزوجه ابنته (أحد أئمة الطريق) قال أبو نعيم كان بالحلم متنطقا وللمريدين نصيحا مشفقا وقال الخطيب كان مجاب الدعوة وكان يقول من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى عليها نطق بالبدعة وان تطيعوه تهتدوا مات بنيسابور سنة ثمان وتسعين ومائتين وقيل غير ذلك (قال معناه كنت أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي كذا أسنده) أي رواه (عنه البيهقي في) كتاب (الزهد وحمله بعض أهل الزيغ) الضلال

٢ قوله لا حقيقة المد لعل صوابه لا حقيقة البطش المصرح به في الحديث اه

استحقت عليه بمطاوعتها وارادتها خرجت عن شبهة المثلة قالوا ولا بعد في تنزيل الاتلاف المعنوي منزلة الاتلاف الحسي اذ كلاهما يحول بين المالك وبين الانتفاع بملكه ولا ريب ان جارية الزوجة اذا صارت موطوءة لزوجها فانها لا تبقى لسيدتها كما كانت قبل الوطء فهذا الحكم من أحسن الاحكام وهو موافق للقياس الاصولي وبالجملة فالقول به مبني على قبول الحديث ولا تضر كثرة المخالفين له ولو كانوا أضعاف أضعافهم

(فصل ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم) انه قضى في اللواط بشيء لان هذا لم تكن تعرفه العرب ولم يرفع اليه صلى الله عليه وسلم ولكن ثبت عنه انه قال اقتلوا الفاعل والمفعول به رواه أهل السنن الاربعة واسناده صحيح وقال الترمذي حديث حسن وحكم به أبو بكر الصديق وكتب به الى خالد بعد مشاورة الصحابة وكان علي كرم الله وجهه أشدهم في ذلك وقال ابن القصار وشيخنا أجمعت الصحابة على قتله وانما اختلفوا في كيفية قتله فقال أبو بكر الصديق يرمى من شاهق وقال علي

والميل عن الحق الى الباطل (على ما يدعونه من ان العبد اذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى تصفى من الكدورات انه) تأكيد لقوله ان العبد أعاده لطول الفصل وهو وارد في الفصيح كقوله تعالى أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون والخبر قوله (يصير في معنى الحق تعالى الله عن ذلك وانه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد ان الله هو الذاكر لنفسه الموحد) بالحاء المهملة (لنفسه المحب وان هذه الاسباب والرسوم تصير عدما صرفا) وهذا ضلال مبين (وعلى الاوجه) السبعة السابقة (كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين بالوحدة المطلقة لقوله في بقية الحديث ولئن سألني زاد في رواية عبد الواحد ابن ميمون عن عروة عن عائشة (عبدي) فان كلا من سألني وعبدي نص في نفي الاتحاد والوحدة المطلقة (انتهى ملخصا وقال العلامة بن القيم) شمس الدين محمد بن أبي بكر (تضمن هذا الحديث الشريف الالهي) المنسوب الى الاله تعالى مما تلقاه المصطفى عنه بلا واسطة أو بها (الذي حرام) أي ممنوع فالحرمة لغة المنع ومنه وحرام على قرية (على غليظ الطبع) شديده في التباعد عن الحق وعدم الانقياد له (كثيف القلب) المراد هنا معنى ما قبله فهو مساوله حسنه اختلاف اللفظ فحرام خبر مقدم والمبتدأ (فهم معناه و) فهم (المراد به) فهو بالجر عطف على معناه وان اتحدا معنى كسابقه لاختلاف اللفظ وقوله (حصر) بالنصب مفعول تضمن (أسباب محبته) تعالى لعبده فالمصدر مضاف لفاعله (في أمرين أداء الفرائض والتقرب اليه بالنوافل) بدل من أمرين ولا يقرأ قوله والمراد بالرفع مبتدأ خبره حصر ويعترض عليه بأن الظاهر حذفه لان حصر مفعول تضمن اذ لا ملجئ لذلك فالكلام صحيح بجر المراد وهو الظاهر أو المتعين (و) تضمن أيضا (أن المحب لا يزال يكثر في النوافل حتى يصير محبوبا لله) فالسبب الثاني هو المحقق لصيرورة العبد محبوبا لله بحيث يكون سمعه الخ (فاذا صار محبوبا لله أوجبت) أثبتت (محبة الله له محبة أخرى منه) أي العبد (لله فوق المحبة الاولى) الحاصلة منه قبل (فشغلت هذه المحبة) الثانية (قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه) وهو الله عز وجل (وملكت) أي قصرت تلك المحبة (عليه) أي على المحبوب (روحه) أي المحب بحيث لا تجاوزه لتتعلق لغيره (ولم) الاولى فلم بالفاء (يبق فيه سعة لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه) بضم الحاء والرفع (ومثله) بفتحتين وصفه (الاعلى) العجيب الشأن كالقدرة العامة والحكمة التامة (مالكا لزمام قلبه) خبر أي صار ما ذكر مانعا لقلبه من التلفت الى غيره ففيه استعارة بالكناية وتخييلية تشبيه القلب بالبعير الممنوع من استرساله مع هواه استعارة بالكناية واثبات الزمام له تخييل (مستوليا على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق في محبته التي قد اجتمعت قوى محبته كلها له) فسمع محبه وبصره وغيرهما من بقية المعاني صارت حافظة للمحب مانعة من لحوق ضرر به مقويه له على مطلوبه من زيادة القرب ودوامه فكأنها مختصة به لا تتجاوزه الى غيره (ولا ريب) شك (ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان أبصر أبصر بمحبوبه وان مشى مشى به فهو في قلبه ونفسه وأنيسه وصاحبه) ويقرب من هذا جواب العارف الاستاذ على بن وفى بأن معنى كنت سمعه الخ أن ذلك الكون الشهودي مرتب على ذلك الشرط الذي هو حصول المحبة فمن حيث الترتب الشهودي جاز الحدوث المشار اليه بقوله كنت سمعه لا من حيث التقدير الوجودي وقال في الفتوحات لابن العربي المراد به انكشاف أمر لمن تقرب اليه تعالى بالنوافل لا انه لم يكن الحق تعالى سمعه قبل التقرب ثم كان تعالى عن ذلك وعن العوارض الطارئة وهذه من غرر المسائل الالهية نقلها في اليواقيت والجواهر (والباء هنا) في قوله فبي يسمع الخ (باء المصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها) لان الاصل في الصحبة اطلاقها على من حصل له رؤية ومجالسة وورائه شروط للاصوليين وتطلق مجازا على من تمذهب بمذهب امام كأصحاب الشافعي ولا يصح حملها هنا على شيء من ذلك (ولا تدرك

قتله وان اختلفوا في كيفيته وهذا موافق لحكمه صلى الله عليه وسلم فيمن وطئ ذات محرم لان الوطء في الموضعين لا يباح للواطئ بحال ولهذا جمع بينهما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما فانه روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ومن وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوه وروى أيضا عنه من وقع على ذات محرم فاقتلوه وفي حديثه أيضا بالاسناد من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه وهذا الحكم على وفق حكم الشارع فان المحرمات كلما تغلظت تغلظت عقوبتها ووطء من لا يباح بحال أعظم جرما من وطء من يباح في بعض الاحوال فيكون حده أغلظ وقد نص أحمد في أحد الروايتين عنه أن حكم من أتى بهيمة حكم اللواط سواء فيقتل بكل حال أو يكون حده حد الزاني واختلف السلف في ذلك فقال الحسن رضي الله عنه حده حد الزاني وقال أبو سلمة رضي الله عنه يقتل بكل حال وقال الشعبي والنخعي يعزر وبه أخذ الشافعي ومالك وأبو حنيفة وأحمد في رواية فان ابن عباس رضي الله عنه أفتى بذلك وهو راوي

بمجرد الاخبار عنها والعلم بها) لانها لانظير لها تصور به في الخارج فانما يدركهما من قامت به كالملاحة تدرك ولا توصف بعبارة تحصل حقيقتها وصورتها المخاطب (فالمسئلة حالية) أي حال من أحوال النفس يدركهما من قامت به (لا علمية محضة) أي ليست متعلقا العلم بحيث يصورها بما يميزها عن غيرها خارجا (قال) ابن القيم (ولما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه) جمع محب كمحاسن جمع حسن على غير قياس (حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه فقال ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه أي كما وافقني في مرادي بامتثال أوامري والتقرب الي بمحابي فأنا أوافقه في رغبته) فيما عندي (ورهبته) خوفه مني (فيما سألني ان أفعله به) عائد لرغبته (وفيما يستعيذني ان يناله) عائد لرهبته ففي وعده المحقق المؤكد بالقسم ايذان بأن من تقرب اليه بما لا يرد دعاءه وان الكمل يطلب منهم الدعاء وقال الشيخ أكمل الدين في شرح المشارق أقوى ما قاله الشراح بحسب الظاهر في هذا الحديث كنت سمعه فلا يسمع مالم يأذن الشرع بسماعه ولا يبصر مالم يأذن في النظر اليه ولا يبطش الا ما أذن ببطشه ولا يسعى الا فيما أذن بالسعي اليه وبحسب الباطن لا يزال العبد يتقرب الى الله بأنواع الطاعات وأصناف الرياضات ويترقى من مقام الى أعلى منه حتى يحبه الله فيجعل سلطان حبه غالبا عليه حتى يسلب عنه الاهتمام بكل شئ غير تقربه اليه فيصير منخلعا عن الشهوات ذاهلا عن اللذات مستغرقا بملاحظة جناب قدسه بحيث ما لاحظ شيأ الا لاحظ ربه ولا التفت الى شئ الا رأى ربه وهذا آخر درجات السالكين وأول درجات الواصلين فيكون بهذا الاعتبار سمعه وبصره وهذا نفس محجوب والذائق يقول العبد يتقرب الى الله بالنوافل حتى يكون الرب صفات عبده المذكورة لتحصل له المناسبة الصفتية بين المحب والمحبوب فانها لابد منها ولذا جعل السبب فيه أداء النوافل فان الله فاعل مختار ليس عليه ايجاب لاحد النوافل ليست بايجاب فكان ذلك مناسبة أخرى بين المحب والمحبوب وهذا يسمى قرب النوافل وثمة قرب الفرائض وهو أعظم من قرب النوافل انتهى (وقوي أمر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه وتعالى في اماتة عبده لانه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكره عبده ويكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضي أن لا يميته ولكن مصلحته في اماتته فتفصل بفعل المصلحة (فانه ما أماته الا ليحييه) الحياة الابدية (ولا أمرضه الا ليصحه) بضم التحتية وكسر الصاد أي يزيل مرضه بصونه من أهوال الآخرة وآلامها أو ليزيل عنه المكروهات الدنيوية ويثيبه وهذا أظهر (ولا أفقره الا ليغنيه ولا منعه الا ليعطيه ولم يخرجه من الجنة في صلب أبيه آدم الا ليعيده اليها على أحسن أحواله فهذا هو الحبيب على الحقيقة لا سواه انتهى) كلام ابن القيم (وقال الخطابي التردد في حق الله غير جائز) اذ لا يكون الا ممن لا يعلم العاقبة فيتعارض عنده مقتضى الفعل والترك فيتحير في أيهما أولى ليفعله والله لا يخفى عليه شئ فيستحيل التردد منه (والبداء) بفتح الموحدة والدال المهملة والمد ظهور مصلحة كانت خفيت (عليه في الامور غير سائغ) لانه محال ان يظهر له شئ كان عنه غائبا (ولكن له) أي الحديث (تأويلان أحدهما أن العبد قد يشرف على الهلاك في أيام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها أو يدفع) يزيل (عنه مكروهها فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد أمرا ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه) فليس من التردد الحقيقي في شئ (ولابد له من لقائه) أي الموت (اذا بلغ الكتاب) المكتوب من العمر (أجله) فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها (لان الله قد كتب الفناء على خلقه) كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (واستأثر بالبقاء لنفسه) فكل شئ هالك الا وجهه (والثاني أن يكون معناه ما رددت رسلي في شئ أنا فاعله كترديدي اياهم في قبض نفس عبدي المؤمن) فأطلق التردد وأراد لازمه وهو الترديد وأضاف تعالى

ففي السنن من حديث سهل بن سعد أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأقر عنده أنه زنى بامرأة سماها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المرأة فسألها عن ذلك فانكرت أن تكون زنت فجلده الحد وتركها فتضمنت هذه الحكومة أمرين ❊أحدهما وجوب الحد على الرجل وان كذبته المرأة خلافا لابي حنيفة وأبي يوسف أنه لا يحد ❊ الثاني انه لا يجب عليه حد القذف للمرأة وأما ما رواه أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأقر انه زنى بامرأة أربع مرات فجلده مائة جلدة وكان بكرا ثم سأله البينة على المرأة فقالت كذب والله يا رسول الله فجلد حد الفرية ثمانين فقال النسائي هذا حديث منكر انتهى وفي اسناده القاسم بن فياض الانباري الصغاني تكلم فيه غير واحد وقال ابن حبان بطل الاحتجاج به

❊(فصل)❊ وحكم في الامة اذا زنت ولم تحصن بالجلد وأما قوله تعالى في الاماء فاذا احصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب

ذلك

ذلك لنفسه لأن تردده عن أمره (كما في قصة موسى عليه السلام) في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعا في
أحاديث الأنبياء أرسل ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه فرجع الى ربه فقال أرسلتني الى عبد لا يريد
الموت فرد الله عليه عينه وقال ارجع فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده بكل شعرة سنة
قال ثم ماذا قال الموت قال فالآن الحديث (وما كان من لطمه عين ملك الموت) ففقأها كما في رواية مسلم
وكأن موسى ظنه آدميا تسور عليه منزله بغير اذنه ليوقع به مكروها ويحتمل انه علم انه ملك الموت
ودافعه عن نفسه باللطمة المذكورة والاول أولى ويؤيده انه جاء الى قبضه ولم يخيره وقد علم موسى انه
لا يقبض حتى يخير ولهذا لما خيره قال الآن وعند أحمد كان ملك الموت يأتي الناس عيانا (وتردده اليه
مرة بعد أخرى) أي ثانية بعد الاولى (قال) الخطابي (وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد
ولطفه به وشفقته عليه) ألفاظ متقاربة (وقال الكلاباذي) بفتح الكاف والموحدة فألف فذال معجمة
نسبة الى كلاباذ محلة كبيرة ببخارا الحافظ الامام أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن بن علي بن
رستم البخاري سمع الهيثم بن كليب الشاشي ومعه جعفر المستغفري قال الحاكم كان من الحفاظ حسن
المعرفة والفهم متقنا ثبتا لم يخلف مثله بما وراء النهر وحدث ببغداد في حياة الدارقطني وكان يثني عليه
ومات في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وثلثمائة عن خمس وثمانين سنة (ما حاصله انه عبر عن
صفة الفعل بصفة الذات يعني باعتبار متعلقها أي عن الترديد بالتردد وجعل متعلق الترديد اختلاف
أحوال العبد من ضعف ونصب) بفتحتين وبضمتين وبضمة أي داء وبلاء (الى أن تنتقل محبته في
الحياة الى محبته للموت فيقبض على ذلك) فسماه ترددا مجازا (قال وقد يحدث الله في قلب عبده من الرغبة
فيما عنده والشوق اليه والمحبة للقائه ما يشتاق معه الى الموت فضلا عن ازالة الكراهة عنه انتهى) وقال
الجنيد الكراهة هنا لما يلقى المؤمن من الموت وصعوبته وليس المعنى اني أكره له الموت لان الموت يورده
الى رحمة الله ومغفرته وقال غيره لما كانت مفارقة الروح للجسد لا تحصل الا بألم عظيم جدا والله تعالى
يكره أذى المؤمن أطلق على ذلك الكراهة ويحتمل أن تكون المساءة بالنسبة الى طول الحياة لانها
تؤدي الى أرذل العمر وتنكيس الخلق والرد الى أسفل سافلين وفي ذلك دلالة على شرف الاولياء ورفعة
منزلتهم حتى لو تأتى انه تعالى لا يذيقه الموت الذي حتمه على عباده لفعل ولهذا المعنى ورد لفظ التردد كما
ان العبد اذا كان له أمر لا بد له أن يفعله بحبيبه لكنه يؤلمه فان نظر الى ألمه كف عن الفعل وان نظر الى أنه
لا بد له منه لمنفعته أقدم عليه فعبر عن هذه الحالة في قلبه بالتردد فخاطب الله الخلق بذلك على حسب
ما يعرفونه ودلهم على شرف الولي عنده (وبالجملة فلا حياة) لذيذة محمودة (للقلب الا بمحبة الله ومحبة
رسوله ولا عيش) محمود (الا عيش المحبين الذين قرت أعينهم بحبيبهم وسكنت نفوسهم اليه واطمأنت
قلوبهم به واستأنسوا بقربه وتنعموا بحبه ففي القلب طاقة) أي اشتياق وتلهف واحتراق على عدم
وصوله الى مطلوبه شبه ذلك بطاقة مفتوحة يدخل منها ما يؤلم المحب في جسده وأنه (لا يسدها) أي يمنع
عنه ذلك الاحتراق والتلهف (الا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام
وحسرات) فهي حياة كلا حياة (قال صاحب المدارج) ابن القيم (ولن يصل العبد الى هذه المنزلة)
المرتبة (العلية والمرتبة السنية) مساو حسنه اختلاف اللفظ (حتى يعرف الله تعالى ويهتدي اليه
بطريق توصله اليه) وهي اتباع الكتاب والسنة (ويحرق ظلمات الطبع بأشعة) أي أنوار (البصيرة)
للقلب كالبصر للعين (فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فينجذب) يقبل (اليها بكليته) جملته
(ويزهد في التعلقات الفانية) كما في الحديث ازهد في الدنيا يحبك الله (ويدأب) يجهد ويتعب
نفسه (في تصحيح التوبة) المأمور بها في توبوا الى الله توبة نصوحا (والقيام بالمأمورات الظاهرة)

فهو نص في أن حدها بعد التزويج نصف حد الحرة من الجلد وأما قبل التزويج فأمر بجلدها وفي هذا الجلد
قولان * أحدهما انه
الحد ولكن يختلف
الحال قبل التزويج
وبعده فان للسيد اقامته
قبله وأما بعده فلا يقيمه
الا الامام * والقول الثاني
أن جلدها قبل الاحصان
تعزير لا حد ولا يبطل هذا
ما رواه مسلم في صحيحه
من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه يرفعه اذا
زنت أمة أحدكم
فليجلدها ولا يعيرها ثلاث
مرات فان عادت في الرابعة
فليجلدها وليبعها ولو
بضفير وفي لفظ فليضربها
بكتاب الله وفي صحيحه
أيضا من حديث علي
كرم الله وجهه انه قال
أيها الناس أقيموا على
أرقائكم الحد من أحصن
منهن ومن لم يحصن فان
أمة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم زنت فأمرني
أن أجلدها فاذا هي
حديثة عهد بنفاس
فخشيت ان أنا جلدتها
ان أقتلها فذكرت ذلك
لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال أحسنت فان
التعزير يدخل فيه لفظ
الحد في لسان الشارع كما
في قوله صلى الله عليه
وسلم لا يضرب فوق
عشرة أسواط الا في حد
من حدود الله تعالى
وقد ثبت التعزير بالزيادة على العشرة جنسا وقدرا في مواضع عديدة لم يثبت نسخها ولم تجمع الامة على خلافها وعلى كل حال فلا بد أن

كالصلاة (والباطنة) كالحب لله ولرسوله (وترك المنهيات الظاهرة) كالغيبة (والباطنة) كالحسد (ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطرة يكرهها الله) بل يتوب منها في الحال (ولا بخطرة فضول لا تنفعه) لانه اذا سامحه من ذلك انتقل الى ما فوقه وهكذا واذا فعل ما ذكر (فيصفو لذلك قلبه بذكر ومحبته والانابة) الرجوع (اليه ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه الى فضاء الخلوة بربه وذكره ربه كما قال

وأخرج من بين البيوت لعلني * أحدث عنك النفس بالسر خاليا)

فأراد الشاعر بالبيوت الطبع والنفس بدليل ترجيه لا البيوت الحقيقية اذ لا اعتداد بالخروج منها مع بقاء الطبع (فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق اليه فاذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعله امامه) الذي يقتدى به (وأستاذه) أي معلمه كلمة أعجمية لان السين والذال المعجمة لا يجتمعان في كلمة ومعناها الماهر بالشئ العظيم (ومعلمه وشيخه وقدوته) ألفاظ متقاربة (كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه) الدال عليه (فيطالع سيرته ومبادي) أوائل (أموره وكيفية نزول الوحي عليه ويعرف صفاته وأخلاقه وآدابه) رياضات نفسه ومحاسن أخلاقه (وحركاته وسكونه ويقظته ومنامه وعبادته ومعاشرته لاهله وأصحابه الى غير ذلك مما منحه) أعطاه وخصه (الله به مما ذكرت بعضه) فيما سبق (حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه فاذا رسخ في قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحي المنزل عليه من ربه بحيث اذا قرأ السورة شاهد قلبه ماذا أنزلت فيه وماذا أريد بها وحظه) نصيبه (المختص به منها من الصفات والاخلاق والافعال المذمومة فيجتهد في التخلص منها كما يجتهد في تحصيل الشفاء من المرض المخوف) بل أقوى للعاقل لان المرض كفارة وهذه موبقة (وللمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام علامات) دالة عليها (أعظمها الاقتداء به) اتباعه (واستعمال سنته) أي طريقته فعطف (وسلوك طريقته) تفسيري وكذا (والاهتداء بهديه وسيرته) ولا ضير في ذلك لان المقام اطناب وسنته شاملة للتأسي به في الاقتداء به في الشدائد والحروب وغيرهما وليس مخصوصا بالعبادات التي سنها (والوقوف عندما حد) أي قدر (لنا من أحكام شريعته) سميت الاحكام حدا لمنعها عن الاقدام على ما يخالفها من قول أو فعل أو عزم فالحد لغة المنع فاذا أمر أو نهى فقد منع من ضده (قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فجعل متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية) أي علامة (محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله تعالى اياه) وغفرانه وأشار بحسن الى ان مجرد الاتباع لا يكون علامة الا اذا كان على أكمل الوجوه بحيث يتحقق فيه معنى حديث لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه الخ (وقد قال الحكيم) الذي ينطق بالحكمة (وهو محمود) بن الحسن (الوراق كما أفاده) الحرث بن أسد (المحاسبي) بكسر السين لمحاسبته نفسه أو لغير ذلك مر ضبطه وبعض ترجمته قريبا جدا (في كتاب القصد والرجوع) أحد تصانيفه وهي نحو مائتين وقال غيره انه لمنصور الفقيه بليغ كان في أول الدولة العباسية (تعصي الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمري) أي حياتي (في القياس بديع) غريب عجيب مخالف لأنواع القياس (لو كان حبك صادقا لأطعته * ان المحب) بكسر الهمزة لانها تعليلية (لمن يحب مطيع) لا يعصيه أصلا ويقع في بعض النسخ بيت ثالث وهو هذا

في كل يوم يبتديك بنعمة * منه وأنت لشكر ذاك تضيع

بضم الفوقية من أضاع كذا اذا أهمله وأكثر النسخ كما في الشفا بدون هذا الثالث (وهذه المحبة تنشأ من مطالعة العبد) أي نظره (منة الله) نعمه التي أنعم بها (عليه) ومعرفة قدرها وأنها لا تكون الا منه (من نعمه الظاهرة والباطنة) بيان لمنة الله تعالى (فبقدر مطالعة ذلك تكون قوة المحبة ومن أعظم

يخالف حالها بعد الاحصان حالها قبله والا لم يكن للتقييد فائدة فاما أن يقال قبل الاحصان لا حد عليها والسنة الصحيحة تبطل ذلك واما ان يقال حدها قبل الاحصان حد الحرة وبعده نصفه وهذا باطل قطعا مخالف لقواعد الشرع وأصوله واما أن يقال جلدها قبل الاحصان تعزير وبعده حد وهذا أقوى واما أن يقال الافتراق بين الحالين في اقامة الحد لا في قدره وانه في احدى الحالتين للسيد وفي الاخرى للامام وهذا أقرب ما يقال وقد يقال ان تنصيصه على التنصيف بعد الاحصان لئلا يتوهم متوهم ان بالاحصان يزول التنصيف ويصير حدها حد الحرة كما ان الجلد عن البكر زال بالاحصان وانتقل الى الرجم فبقي على التنصيف في أكمل حالتيها وهي الاحصان تنبيها على أنه اذا اكتفى به فيها ففيما قبل الاحصان أولى وأحرى والله أعلم وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مريض زنى ولم يحتمل اقامة الحد بان يؤخذ له مائة شمراخ فيضرب بها ضربة واحدة

(فصل وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم) بحد القذف لما أنزل الله سبحانه براءة زوجته من السماء فجلد رجلين وامرأة وهما حسان بن ثابت ومسطح

مطالعة منة الله تعالى على عبده منة) تمييز (تأهله لمحبته ومعرفته ومتابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم وأصل هذا نور يقذفه الله تعالى فى قلب ذلك العبد فاذا دار ذلك النور أشرقت له ذاته فرأى فى نفسه) أمرا عظيما تقصر عنه العبارة (و) رأى فيـ(ـها أهلت له من الكمالات والمحاسن) ما لا يمكنه التعبير عنه فالمفعول محذوف فيهما (فعلت به همته وقويت عزيمته وانقشعت) انكشفت (عنه ظلمات نفسه وطبعه لان النور والظلمة لا يجتمعان) لا يدخل أحدهما على الآخر (الا ويطرح) يزيل ويذهب (أحدهما الآخر فوقعت الروح حينئذ بين الهيبة والانس الى الحبيب الاول) يتنازعه كل من الهيبة والانس ويحتمل تعلقه بوقعت وبين الهيبة والانس حال يعنى انه وقع بين أمرين متضادين فالهيبة تقتضى الفزع والخوف ممن يهابه والانس يقتضى انشراح النفس وانبساطها ممن تأنس به وأنشد لغيره

(نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل فى الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل)

نقل بالنون ومن الهوى متعلق به أى نقل فؤادك وعلقه بمن تهوى من كل ما تميل نفسك اليه فانك وان فعلت ذلك لا بد لك من الرجوع الى الحبيب الاول لمعرفة مقامه بالميل الى غيره (وبحسب) أى بقدر (هذا الاتباع توجب) بضم التاء وفتح الجيم وموحدة أى تحصل وتوجد (المحبة والمحبوبية معا ولا يتم الامر الا بهما فليس الشأن) الامر العظيم المرتب عليه سائر الكمالات (أن تحب الله) فقط (بل الشأن أن يحبك الله ولا يحبك الا اذا اتبعت حبيبه) صلى الله عليه وسلم (ظاهرا وباطنا وصدقته خبرا) أى فيما وصل اليك من اخباره (وأطعته أمرا) أى فيما أمر به (وأجبته دعوة) أى أجبت دعوته حيث دعاك (وآثرته طوعا) أى فضلت طاعته وقدمتها على كل شئ لان من فضل شيأ قدمه على غيره فلا يرد أن معنى الايثار التفضيل والمراد هنا التقديم كقوله ويؤثرون على أنفسهم لان التقديم لازم للتفضيل فاللفظ هنا مستعمل فيهما والانصار لما فضلوا المهاجرين قدموهم على أنفسهم غاية التعظيم حتى ان بعض من كان له زوجتان عرض احداهما على المهاجرى الذى واخى المصطفى بينه وبينه (وفنيت عن حكم غيره) فلم تجعل لنفسك وجودا ولا انقيادا له (بحكمه) فقصرت نفسك عليه (وعن محبة غيره من الخلق) بحبه (وعن طاعة غيره بطاعته) فى أوامره ونواهيه (وان لم تكن كذلك فلا تتعن) بفوقيتين وعين مفتوحات وشد النون أى لا تتعب نفسك فى أمر تتوهم به الوصول اليه (فلست على شئ) من المحبة المقتضية لاقباله عليك ورفعه اياك فى المحل الاعلى (وتأمل قوله تعالى فاتبعونى يحببكم الله أى الشأن) بالرفع بيان لحاصل المعنى (فى ان الله يحبكم لا فى انكم تحبونه وهذا لا ينالونه الا باتباع الحبيب) عليه الصلاة والسلام (وقال المحاسبى فى كتاب القصد والرجوع وعلامة محبة العبد لله عز وجل اتباع رضاة الله) أى رضاه (والتمسك بسنن) جمع سنة (رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ذاق العبد حلاوة الايمان ووجد طعمه) باتباع مرضاة الله والسنن (ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى وما والاه) مما فيه طاعة لله كالامر بالمعروف والنهى عن المنكر هذا ان أريد بالذكر ذكر اللسان (وأسرعت الجوارح الى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الايمان فى القلب كما يدخل حب الماء البارد الشديد برده فى اليوم الشديد الحر للظمآن الشديد العطش فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها بل تبقى الطاعات غذاء) بمعجمتين والمد (لقلبه) أى كالغذاء له (وسرورا له وقرة عين فى حقه وتنعيما لروحه يلتذ بها أعظم من اللذات الجثمانية) بضم الجيم ومثلثة نسبة الى الجثمان وهو الجثة وفى نسخة بالسين والجيم مكسورة أى أعظم من اللذات الحاصلة للشخص من تناوله ما يلتذ به (فلا يجد فى أوراد العبادة كلفة وفى الترمذى عن أنس مرفوعا) ولفظه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن أثاثة قال أبو جعفر النفيلي ويقولون المرأة حمنة بنت جحش وحكم فيمن بدل دينه بالقتل ولم يخص رجلا من امرأة وقتل الصديق امرأة ارتدت بعد اسلامها يقال لها أم قرفة وحكم فى شارب الخمر بضربه بالجريد والنعال وضربه أربعين وتبعه أبو بكر رضى الله عنه على الاربعين وفى مصنف عبد الرزاق أنه صلى الله عليه وسلم جلد فى الخمر ثمانين وقال ابن عباس رضى الله عنه لم يوقت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ وقال على كرم الله وجهه جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخمر أربعين وأبو بكر أربعين وكملها عمر رضى الله عنه ثمانين وكل سنة وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه أمر بقتله فى الرابعة أو الخامسة واختلف الناس فى ذلك فقيل هو منسوخ وناسخه لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث وقيل هو محكم ولا تعارض بين الخاص والعام ولا سيما اذا لم يعلم تأخر العام وقيل ناسخه حديث عبد الله بن حمار فانه أتى به مرارا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلده ولم يقتله وقيل قتله تعزير بحسب المصلحة فاذا أكثر منه ولم ينهه الحد واستهان به فللامام قتله تعزيرا لا حدا وقد صح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال ائتونى به فى الرابعة فعلى ان أقتله لكم وهو أحد

ان قدرت أن تمسي وتصبح ليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي (ومن أحيا سنتي) بالافراد على الأشهر وبالجمع (فقد أحبني) أي علم محبته لي أي أظهرها وعمل بها وحث عليها فشبه اظهارها بعد ترك الاخذ بها بالاحياء ثم اشتق منه الفعل فجرت الاستعارة في المصدر أصلية ثم سرت الى الفعل تبعا ولذا قالوا السنن كسفينة نوح اتباعها يدفع البلاء عن أهل الارض والسنة انما سنها لما علم في خلافها من الخطأ والزلل ولو لم يكن الا ان الله وملائكته وحملة عرشه يستغفرون لمتبعها لكفى فقد أحبني أي علم حبه لي (ومن أحبني كان معي في الجنة) لان المرء مع من أحب وفي رواية فقد أحياني ومن أحياني أي أظهر ذكري ورفع أمري فجعله بمنزلة الاحياء كما قيل

ويحسبه قد عاش آخر دهره * الى الحشر ان أبقى الجميل من الذكر

(وعن) أبي العباس أحمد بن محمد بن سهل (بن عطاء) الادمي بفتحتين تقدم (من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب) لله تعالى (في أوامره ونواهيه وأفعاله وأخلاقه وقال أبو اسحق) ابراهيم بن داود القصار (الرقي) بفتح الراء وشد القاف نسبة الى الرقة مدينة على طرف الفرات من كبار مشايخ الشام وصحب أكثر المشايخ بها وكان ملازما للفقر مجردا فيه محبا لاهله وقال حسبك من الدنيا شيآن صحبة فقير وحرمة ولي وقال الابصار قوية والبصائر ضعيفة وهو (من أقران الجنيد) وابن الجلاء الا انه عمر طويلا حتى مات سنة ست وعشرين وثلثمائة (علامة محبة الله ايثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم) المتابعة التامة (وعن غيره لا يظهر) وفي نسخة بالواو أي قال ما مر عن الرقي وزاد ولا يظهر (على أحد شيء من نور الايمان الا باتباع السنة ومجانبة البدعة فأما من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتلق العلم من مشكاة الرسول) أي الاحاديث الواردة عنه (عليه الصلاة والسلام) وعبر عنها بالمشكاة تشبيها لها بالكوة التي يصل النور منها الى انسان بيت اذا ورد عليه فيه انكشف ما كان خفيا عنه بسببه (بدعواه علما لدنيا أو تيه فهو من لدن الشيطان) أي من عنده (و) من عند (النفس وانما يعرف كون العلم لدنيا روحانيا بموافقته لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام عن ربه تعالى فالعلم اللدني) الآتي لصاحبه من عند غيره (نوعان) أحدهما (لدني رحماني) من عند الرحمن تبارك وتعالى سمي لدنيا لحصوله من الله لا من كسب العبد (و) ثانيهما (لدني شيطاني) من عنده لعنه الله (والمحك) بالكاف المميز لذلك (هو الوحي ولا وحي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم فما وافقه كان لدنيا رحمانيا وما لا فشيطانيا قال الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة قال ابن عربي يريد أنه نتيجة عن العمل عليهما وهما الشاهدان العدلان وفي نسخة المحل باللام أي الذي يتلقى منه العلم عن الله هو الوحي أي الكتاب والسنة فما تلقى عن غيرهما ولم يخرج على قواعدهما فهو من وسوسة الشيطان يجب صرفه حالا والحكم بأنه ليس من الله (وأما قصة موسى مع الخضر) وقوله تعالى وآتيناه من لدنا علما (فالتعلق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني الحاد وكفر يخرج عن الاسلام موجب لاراقة الدم) وهذا جواب سؤال هو لا يلزم أن ما أخذ من غير الوحي يكون من الشيطان لجواز انه علم غيبي من الله به على عبده فأوصله اليه من غير طريق الوحي بدليل قصة الخضر (و) الجواب (الفرق أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثا الى الخضر ولم يكن الخضر مأمورا بمتابعته و) دليل ذلك انه (لو كان مأمورا بها لوجب عليه أن يهاجر الى موسى ويكون معه) ولم يفعل لانه لم يؤمر بذلك (ولهذا قال له أنت موسى نبي بني اسرائيل قال نعم) فرسالته خاصة بهم (ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى جميع الثقلين فرسالته عامة للجن والانس في كل زمان ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من أتباعه) كما في الحديث (فمن ادعى انه مع محمد كالخضر مع موسى أو جوز ذلك لاحد من الامة فليجدد اسلامه) لكفره بهذه الدعوى (وليشهد شهادة الحق) أي يعتقد خلاف دعواه باطنا ويأتي بالشهادتين

وقبيصة بن ذؤيب رضي الله عنهم وحديث قبيصة فيه دلالة على أن القتل ليس بحد وانه منسوخ فانه قال فيه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل قد شرب فجلده ثم أتي به فجلده ثم أتي به فجلده ورفع القتل وكانت رخصة رواه أبو داود فان قيل فما تصنعون بالحديث المتفق عليه عن علي كرم الله وجهه انه قال ما كنت لأدي من أقمت عليه الحد الا شارب الخمر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسن فيه شيأ انما هو شيء قلناه نحن لفظ أبي داود ولفظهما فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يسنه قيل المراد بذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقدر فيه بقوله تقديرا لا يزاد عليه ولا ينقص كسائر الحدود والا فعلي رضي الله عنه قد شهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضرب فيها أربعين وقوله انما هو شيء قلناه نحن يعني التقدير بثمانين فان عمر رضي الله عنه جمع الصحابة رضي الله عنهم واستشارهم فأشاروا بثمانين فأمضاها ثم جلد علي كرم الله وجهه في خلافته أربعين وقال هذا أحب الي ومن تأمل الاحاديث

ظاهرا ليعود الى الاسلام (فانه مفارق لدين الاسلام بالكلية فضلا عن أن يكون من خاصة أولياء الله تعالى وانما هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوابه) في الضلال والاضلال (والعلم اللدنى الرحمانى هو ثمرة العبودية والمتابعة لهذا النبي الكريم عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم وبه يحصل الفهم فى الكتاب والسنة بأمر يختص به صاحبه كما قال على بن أبى طالب) أمير المؤمنين (وقد سئل) والسائل له أبو جحيفة كما فى الصحيح وقيس بن عباد بضم العين وخفة الموحدة والاشتر النخعى وحديثهما فى سنن النسائى (هل خصكم) أهل البيت النبوى أو الجمع للتعظيم (رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ دون الناس) من أسرار علم الوحى كما تزعم الشيعة (فقال لا الا فهما يؤتيه الله عبدا فى كتابه) القرآن من فحوى الكلام ويدركه من باطن المعانى التى هى غير الظاهر من نصه ومراتب الناس فى ذلك متفاوتة وفيه جواز استخراج العالم من القرآن بفهمه مالم يكن منقولا عن المفسرين اذا وافق أصول الشريعة (فهذا هو العلم اللدنى الحقيقى فاتباع هذا النبي الكريم حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس) جمع روضة وهى الموضع المعجب بالزهور جعل اتباعه كرياض مزهرة مثمرة للنفوس الالتذاذ بها كلذة رائى الرياض بها (ولذة الارواح وأنس المستوحشين ودليل المتحيرين ومن علامات محبته أن يرضى مدعيها) عبر به دون محب لانه اذا ثبت أنه محب لا يحتاج لعلامة (بما شرعه) صلى الله عليه وسلم أمرا ونهيا سماه شارعا لمجيئه على يده وتبليغه وان كان الشارع حقيقة هو الله تعالى وفى نسخة بما شرعه الله أى ماجاء به رسوله وبلغه لقوله بلغ ما أنزل اليك من ربك فمآلهما واحد لكن الاولى أنسب بما الكلام فيه (حتى لا يجد فى نفسه حرجا مما قضى) أى ضيقا أو شكا (قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون) لا مزيدة للتأكيد أو نفى لما تقدمها أى ليس كما زعموا انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وقيل لا الثانية زائدة والقسم معترض بين حرفى النفى (حتى يحكموك) أى يرجعوا لحكمك ويرضوا به (فيما شجر بينهم) من المشاجرة وهى المخاصمة وأصل معناه الاختلاط ومنه الشجر لتداخل أغصانه واختلاطها (ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت) ضيقا مما حكمت به أو من حكمك أو شكا من أجله فان الشاك فى ضيق من أمره (ويسلموا تسليما) أى ينقادوا لحكمك وأكده ليفيد الانقياد ظاهرا وباطنا (فسلب اسم الايمان عمن وجد فى صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له) بقوله لا يؤمنون (قال شيخ المحققين وامام العارفين) جمع عارف وهو من أشهده الحق نفسه وظهرت عليه الاحوال والمعرفة حاله هكذا ذكره الشيخ فالعالم عنده أعلى مقاما من العارف خلافا للاكثر فان العالم من أشهده الله ألوهيته ولم يظهر عليه حال والعلم حاله وقد قرر ذلك فى الفتوحات وكتاب مواقع النجوم وفى نسخ المعرفين وهى أبلغ لانه الدال على ما توصل الى ذلك فيلزم أن يكون عارفا وتلميحا بقول شيخه المرسى لأجعلنك سيد الطريقين (تاج الدين) أحمد بن محمد بن عبد الكريم (ابن عطاء الله الشاذلى) السكندرى ثم المصرى وبها مات سنة تسع وسبعمائة ودفن بالقرافة بقرب بنى الوفاء ومن نظمه

أعندك عن ليلى حديث محرر * لايراده يحيا الرميم وينشر

فعهدى بها العهد القديم واننى * على كل حال فى هواها مقصر

(أذاقنا الله حلاوة مشربه) فى كتاب التنوير فى اسقاط التدبير (فى هذه الآية دلالة على أن الايمان الحقيقى لا يحصل الا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا ويشتمل ذلك) المذكور (على حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم) مبتدأ (والانقياد) عطف كائن (على كل مؤمن فى كليهما) أى حكمى التكليف والتعريف (فأحكام التكليف

وأما أنه دل على أن الاربعين حد والاربعون الزائدة عليها تعزير اتفق عليه الصحابة رضى الله عنهم والقتل اما منسوخ واما أنه الى رأى الامام بحسب تهالك الناس فيها واستهانتهم بحدها فاذا رأى قتل واحد لينزجر الباقون فله ذلك وقد حلق فيها عمر رضى الله عنه وغرب وهذا من الاحكام المتعلقة بالائمة وبالله التوفيق

(فصل فى حكمه صلى الله عليه وسلم) فى السارق قطع سارقا فى مجن قيمته ثلاثة دراهم وقضى انه لا تقطع اليد فى أقل من ربع دينار وصح عنه أنه قال اقطعوا فى ربع دينار ولا تقطعوا فيما هو أدنى من ذلك ذكره الامام أحمد رحمه الله وقالت عائشة رضى الله عنها لم يكن تقطع يد السارق فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أدنى من ثمن المجن ترس أو جحفة وكان كل منهما ذا ثمن وصح عنه أنه قال لعن الله السارق يسرق الحبل فتقطع يده ويسرق البيضة فتقطع يده فقيل هذا حبل السفينة وبيضة الحديد وقيل بل كل حبل وبيضة وقيل هو اخبار بالواقع أى انه يسرق هذا فيكون سببا لقطع يده بتدرجه منه الى ما هو أكبر منه قال الاعمش كانوا يرون أنه بيض الحديد والحبل كانوا

الاوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العباد) أي مادل على الاحكام المستفادة منهما اذ الاوامر ليست هي الاحكام التي يأتي بها المكلف لانه انما يأتي بالمأمور (وأحكام التعريف هو ما أورده عليه من فهم المرادفتين من هذا أنه لايحصل لك حقيقة الايمان الا بالامرين الامتثال لامره والاستسلام لقهره) أي لما قهرك عليه وألزمك به من المطلوبات والمنهيات (ثم انه سبحانه لم يكتف بنفي الايمان عمن لم يحكم أو حكم ووجد الحرج في نفسه) بل بالغ في ذلك (حتى أقسم على ذلك) فهو غاية لقدر (بالربوبية الخاصة برسوله) أي المضافة اليه (صلى الله عليه وسلم) وجعلها خاصة به لان الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشئ الى كماله شيأ فشيأ وهي وان كانت شاملة لجميع العالمين لكن تربية الحق لحبيبه لا يوازيها تربيته لغيره لانه بلغه أعلى الكمالات التي لم يبلغها الاحد سواه (رأفة وعناية) اهتماما (وتخصيصا ورعاية لانه لم يقل فلا والرب انما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ففي ذلك تأكيد) لما أخبر به (بالقسم وتأكيد في القسم) نفسه باضافة ربوبيته اليه تعظيما له وتنويها لمقامه وانما أكد بذلك (علما منه) أي لعلمه (سبحانه بما في النفوس منطوية عليه من حب الغلبة ووجود النصرة) على غيرها (سواء كان الحق عليها أو لها وفي ذلك اظهار لعنايته برسوله صلى الله عليه وسلم اذ جعل حكمه حكمه وقضاءه قضاءه) عطف مساو للاشارة الى ان مدلول يحكموك وقضيت واحد (فأوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لامره) عطف تفسير قال في الشفاء يقال سلم واستسلم وأسلم اذا انقاد (ولم يقبل منهم الايمان بالهيته) أي بانه اله (حتى يذعنوا) ينقادوا (لاحكام رسوله صلى الله عليه وسلم لانه كما وصفه به ربه) تبارك وتعالى حيث قال أو قائلا (وما ينطق عن الهوى) اي هوى نفسه (ان) ما (هو الا وحي يوحى فحكمه حكم الله وقضاؤه قضاء الله كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) لانه المقصود ببيعته (وأكد ذلك بقوله يد الله فوق أيديهم) حال أو استئناف مؤكد له على سبيل التخييل قاله البيضاوي (وفي الآية اشارة أخرى الى تعظيم قدره وتفخيم أمره صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى وربك فأضاف نفسه) تعالى (اليه) عليه الصلاة والسلام (كما قال في الآية الاخرى كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا فأضاف الحق سبحانه نفسه) في الآيتين (الى محمد صلى الله عليه وسلم) فقال في الاولى وربك وفي الثانية ربك (وأضاف زكريا اليه) لانه بدل من عبده أو بيان له فكان المعنى ذكر رحمة ربك زكريا الذي هو عبده (ليعلم) بضم التحتية وسكون العين وكسر اللام الله (العباد فرق ما بين المنزلتين) منزلة نبينا ومنزلة زكريا فان في اضافة رب الى المصطفى غاية التعظيم (وتفاوت ما بين الرتبتين) عطف تفسير فالرتبة لغة المنزلة والمكانة (ثم انه تعالى لم يكتف بالتحكيم بالظاهر فيكونوا به مؤمنين بل اشترط فقدان الحرج وهو الضيق من نفوسهم في أحكامه صلى الله عليه وسلم سواء كان الحكم بما يوافق أهواءهم أو يخالفها) والثاني ظاهر وأما الاول فلانه لا يلزم من كون الحكم موافقا لهواه ان لا يشق عليه لما في الالزام به من مشقة التكليف المترتب على فعله أو تركه عقوبة الا العفو ويقرب ذلك أن الرجل قد يهوى زواج امرأة لكن يمنعه كثرة نفقتها مثلا فالزامه بتزوجها وان وافق هواه لكنه يشق عليه فاذا أخذها للامر نالهُ حرج في نفسه (وانما تضيق النفوس لفقدان الانوار ووجود الاغيار فعنه) أي عما ذكر من الامرين (يكون الحرج وهو الضيق والمؤمنون ليسوا كذلك اذ نور الايمان ملأ قلوبهم فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع الذي وسع علمه ورحمته كل شئ أو الغني الذي وسع غناه معاش عباده ورزقه كافة خلقه (العليم) لكل معلوم أو البالغ في العلم فعلمه شامل لجميع المعلومات محيط بها سابق على وجودها (ممدودة) أي مقواة في أنفسها (بوجود فضله العظيم) زيادة على اشراقها بأنوار قدسه مأخوذ من مد الجيش وأمده اذا زاده وقواه (مهيأة لواردات أحكامه) وهي ما يرد

يروى أن ما منه ما يساوي دراهم وحكم في امرأة كانت تستعير المتاع وتجحده بقطع يدها وقال أحمد رحمه الله بهذه الحكومة لامعارض لها وحكم صلى الله عليه وسلم باسقاط القطع عن المنتهب والمختلس والخائن والمراد بالخائن خائن الوديعة وأما جاحد العارية فيدخل في اسم السارق شرعا لان النبي صلى الله عليه وسلم لما كلموه في شأن المستعيرة الجاحدة قطعها وقال والذي نفسي بيده لو أن فاطمة رضي الله عنها بنت محمد سرقت لقطعت يدها فادخاله صلى الله عليه وسلم جاحد العارية في اسم السارق كادخاله سائر أنواع المسكر في اسم الخمر فتأمله وذلك تعريف للامة بمراد الله من كلامه وأسقط صلى الله عليه وسلم القطع عن سارق التمر والكثر وحكم أن من أصاب منه شيأ بفمه وهو محتاج فلاشئ عليه ومن خرج منه بشئ فعليه غرامة مثليه والعقوبة ومن سرق منه شيأ في جرينه وهو يبدره فعليه القطع اذا بلغ ثمن المجن فهذا قضاؤه الفصل وحكمه العدل وقضى في الشاة التي تؤخذ من مراتعها بثمنها مرتين وضرب نكال وما أخذ من عطنه ففيه القطع اذا بلغ ثمن المجن وقضى بقطع سارق رداء صفوان بن

على

على القلب من الخواطر المحمودة من غير عمل العبد وتطلق أيضا على كل ما يرد على القلب سواء كان وارد قبض أو بسط أو حزن أو فرح أو غير ذلك من المعاني قاله الكاشي (مفوضة له في نقضه وابرامه انتهى) كلام ابن عطاء الله (وقال سهل بن عبد الله) التستري (من لم ير) أي يعلم ويتيقن (ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم) بفتح الواو وكسرها نفوذ حكمه وسلطانه (عليه في جميع أحواله) بأن لا يخالفه في أمر من الامور (ويرى نفسه في ملكه) بكسر الميم حتى كأنه مملوكه (لم يذق حلاوة سنته لانه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم) أي لا يكمل ايمانه (حتى أكون أحب اليه من نفسه) فانه يدل على تلذذه بالاقتداء به وانما يلتذ بذلك اذا أحبه فان المحب لا يخالف محبوبه فيترك مراده لمراده وبهذا دل على الاحبية وطابقت العلة معلولها (وروينا عن السيد العارف بالله تعالى الكبير) محمد بن أحمد بن ابراهيم (أبي عبد الله القرشي) الاندلسي ثم المصري ثم المقدسي وبه توفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة والدعاء عند قبره مجاب ولقي نحو ستمائة شيخ وجد واجتهد وأخذ عنه كثيرون وله كرامات (انه قال حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت ولا يبقى لك منك شئ انتهى) وهو من ثمراتها وعلاماتها (فمن آثر هذا النبي الكريم على نفسه) بأن قدم ما فيه رضاه بامتثال أمره واجتناب نهيه مطمئنا بقبول ما جاء عنه زيادة على الايمان (كشف الله له عن حضرة قدسه) فصار يعبد الله كأنه يراه (ومن كان معه بلا اختيار) لشئ تميل اليه نفسه مخالف لما طلب منه (ظهرت له خفايا حقائق أسرار أنسه ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام نصر دينه بالقول والفعل) بمجاهدة الكفار لاعلاء كلمة الله (والذب) بمعجمة وموحدة المنع والطرد (عن شريعته) برد ما يخالفها ودفع الشبه الواردة عليها وتفسير أحاديثه وبيانها والانقياد لها (والتخلق بأخلاقه في الجود) فقد كان أجود الناس (والايثار) تقديم الغير عليه في أمور الدنيا (والحلم والصبر والتواضع) فقد بالغ في كل منها الغاية القصوى أفلا أقل من التخلق به في بعضها

ومتى تفعل الكثير من الخير اذا كنت تاركا لاقله

(وغيرها مما ذكرته في اخلاقه العظيمة وتقدم في كلام العارف ابن عطاء الله مزيد لذلك قريبا) جدا فوق هذا (فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الايمان ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين وآثر ذلك على أعراض الدنيا الفانية يا هذا أول نقدة من أثمان المحبة بذل الروح) سئل الجنيد عن العشق فقال لا أدري ما هو ولكن رأيت رجلا أعمى عشق صبيا وكان الصبي لا ينقاد له فقال الاعمى يا حبيبي ايش تريد مني قال روحك ففارق روحه حالا (فما للمفلس الجبان) ضعيف القلب (وسومها) طلب شرائها (بدم المحب يباع وصلهم) الاحباب (تالله ما هزلت) ضعفت (فيستامها) يقال سام واستام بمعنى (المفلسون ولا كسدت) بفتحتين لم تنفق لقلة الرغبات فيها (فينفقها) يروجها (بالنسيئة) التأخير (المعسرون) الفقراء (لقد أسيمت للعرض في سوق من يزيد فلم يرض لها بثمن دون بذل النفوس) اعطائها بسماحة (فتأخر البطالون وقام المحبون ينظرون أيهم يصلح أن يكون ثمنا فدارت السلعة بينهم ووقعت في يد قوم أذلة) عاطفين (على المؤمنين أعزة) أشداء (على الكافرين لما كثر المدعون للمحبة طولبوا باقامة البينة على صحة الدعوى فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخلي) من المحبة (حرقة) بالكسر اسم من الاحتراق الاكتئاب (الشجي) الحزين (فتنوع المدعون في الشهود) كل بما قدر عليه فتعارضت الشهادة (فقيل لا تثبت هذه الدعوى الا ببينة) باضافته الى قوله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فتأخر أكثرهم) لعدم اتباعه الكامل (وثبت اتباع الحبيب في أفعاله وأقواله واخلاقه فطولبوا بعدالة البينة) المذكورة (بتزكية يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون

أمية وهو نائم عليه في المسجد فأراد صفوان أن يهبه اياه أو يبيعه منه فقال هلا كان قبل أن تأتيني به وقطع سارقا سرق ترسا كان في صفة النساء في المسجد ودرأ القطع عن عبد من رقيق الخمس سرق من الخمس وقال مال الله سرق بعضه بعضا رواه ابن ماجه ورفع اليه سارق فاعترف ولم يوجد معه متاع فقال له ما أخاله سرق قال بلى فأعاد عليه مرتين أو ثلاثا فأمر به فقطع ورفع اليه آخر فقال ما أخاله سرق فقال بلى فقال اذهبوا به فاقطعوه ثم احسموه ثم ائتوني به فقطع ثم أتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تب الى الله فقال تبت الى الله فقال تاب الله عليك وفي الترمذي عنه أنه قطع سارقا وعلق يده في عنقه قال حديث حسن

(فصل في حكمه صلى الله عليه وسلم) على من اتهم رجلا بسرقة روى أبو داود على أزهر ابن عبد الله أن قوما سرق لهم متاع فاتهموا ناسا من الحاكة فأتوا النعمان بن بشير صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسهم أياما ثم خلى سبيلهم فأتوه فقالوا خليت سبيلهم بغير ضرب ولا امتحان فقال ما شئتم ان شئتم ان أضربهم فان خرج متاعكم فذاك والا أخذت من ظهوركم مثل الذي أخذت من

لومة لائم) فيه (فتأخر أكثر المحبين) لمشقة الجهاد عليهم (وقام المجاهدون فقيل لهم ان نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم فهلموا) أقبلوا (الى بيعة ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) بأن يبذلوها في طاعته (فلما عرفوا عظمة المشترى) سبحانه وتعالى (وفضل الثمن وجلالة من أجرى على يده) صلى الله عليه وسلم (عقد التبايع عرفوا قدر السلعة) المشتراة (وان لها شأنا) أمرا عظيما (فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس) ناقص (فعقدوا معه بيعة الرضوان من غير ثبوت خيار) بل بتا (وقالوا والله لا نقيلك) لا نرفع العقد (ولا نستقيلك) لا نطلب منك الاقالة (فلما تم العقد وسلموا المبيع للمشترى (قيل لهم قد صارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر) أزيد (ما كانت وأضعافها معها ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل) هم (أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهذا اشذاعبقة صوفية على طريقهم في استخراجهم معاني من النصوص بحسب مشربهم مع بقاء النصوص على مدلولاتها ولا ضير فيه أوردها المصنف كعادته تذكيرا وحثا على مزيد الاتباع (ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم التسلي) التصبر (عن المصائب) مع سكون وطيب نفس بها ولذا قال أبو زيد السلو طيب نفس الالف عن الفه أى فلا يتأثر بفراقه ولا بالبعد عنه (فان المحب يجد في لذة المحبة ما ينسيه المصائب) الشدائد النازلة (ولا يجد من مسها ما يجد غيره حتى كأنه قد اكتسى طبيعة) خلقة (ثانية ليست طبيعة الخلق) الذى خلق عليه (بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصائب) التذاذا (أعظم من التذاذ الخلى) منها (بحظوظه وشهواته والذوق) ادراك فهم الشئ (والوجود شاهد بذلك فكرب المحبة) أى صاحبها (ممزوج بالحلاوة فاذا فقد تلك الحلاوة اشتاق الى ذلك الكرب) يعنى أنه لما اعتاده من اللذة التامة وشهود القرب عند المصائب اذا رأى من نفسه توانيا شهد أن سببه انقطاع المصائب عنه (كما قيل تشكى) بزنة تفعل (المحبون الصبابة) الشوق أى أظهروا الشكاية مما أصابهم من ألمها (ليتنى * نحلت) بضم النون وكسر الحاء أعطيت وضمنه معنى أصبت فعداه بالباء في قوله (بما يلقون) من ألم الصبابة (من بينهم وحدى) منفردا عنهم فلا يشاركنى منهم أحد ويحتمل فتح الحاء في نحلت أى سقمت بسبب ما ألاقيه من الصبابة دونهم (فكانت لقلبى لذة الحب) المترتبة على حصول المكاره والمصائب الناشئة من الحب (كلها * فلم يلقها قبلى محب ولا بعدى) أى لم يشاركنى فيها أحد تقدم على ولا تأخر (ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام كثرة ذكره) ومنه الصلاة عليه وبه علم شرف أصحاب الحديث لكثرة قولهم صلى الله عليه وسلم (فمن أحب شيأ أكثر من ذكره) كما ورد مرفوعا (ولبعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب) هذا من ثمراتها الا أنه حقيقتها أشار له عياض (ولآخر) أى لبعض آخر المحبة (ذكر المحبوب على عدد الانفاس) وهو بمعنى ما قبله (ولغيره للمحب ثلاث علامات أن يكون كلامه ذكر المحبوب وصمته فكرا فيه وعمله طاعة له) والثلاثة علامة المحب الصادق (وقال المحاسبى علامة المحبين كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام) لانه لا يلزم من الكثرة الدوام (لا ينقطعون ولا يملون) يسأمون (ولا يفترون) عنه بحيث يصير لهم كالنفس لا يشغل عنه شاغل (وقد أجمع الحكماء على أن من أحب شيأ أكثر من ذكره) وهو حديث مرفوع رواه أبو نعيم والديلمى عن عائشة فالمعنى أجمعوا على العمل به (فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون به بدلا) عوضا (ولا يبغون) لا يطلبون (عنه حولا) تحولا الى غيره (ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم وما تلذذ المتلذذون بشئ ألذ من ذكر المحبوب انتهى) قول المحاسبى (فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب عن اللذات) متعلق باشتغلت (وانقطعت أوهامهم عن عارض دوام الشهوات ورقت) ارتفعت (الى معادن الذخائر)

ظهو زهم فقالوا هذا حكمك فقال حكم الله وحكم رسوله * (فصل) * وقد تضمنت هذه الاقضية أمورا * أحدها انه لا يقطع في أقل من ثلاثة دراهم أو ربع دينار * الثانى جواز لعن أصحاب الكبائر بأنواعهم دون أعيانهم كما لعن السارق ولعن آكل الربا وموكله ولعن شارب الخمر وعاصرها ولعن من عمل عمل قوم لوط ونهى عن لعن عبد الله بن حمار وقد شرب الخمر ولا تعارض بين الامرين فان الوصف الذى علق عليه اللعن مقتض وأما المعين فقد يقوم به ما يمنع لحوق اللعن به من حسنات ماحية أو توبة أو مصائب مكفرة أو عفو من الله عنه فتلعن الانواع دون الاعيان * الثالث الاشارة الى سد الذرائع فانه أخبر أن سرقة الحبل والبيضة لا تدعه حتى تقطع يده * الرابع قطع جاحد العارية وهو سارق شرعا كما تقدم * الخامس أن من سرق ما لا قطع فيه ضوعف عليه الغرم وقد نص عليه الامام أحمد رحمه الله فقال كل من سقط عنه القطع ضوعف عليه الغرم وقد تقدم الحكم النبوى به في صورتين سرقة الثمار المعلقة والشاة من المرتع * السادس اجتماع التعزير مع الغرم وفي ذلك الجمع بين

بعقوبتين

بمعجمتين جمع ذخيرة ما يدخر لوقت الحاجة (وبغية) بضم الموحدة ومعجمة (الطلبات) جمع طالبة بزنة كلمة وكلمات (وربما تزايد وجد المحب وهاج الحنين) الشوق (وباح الانين) الصوت (وتحركت المواجيد) بالجيم (وتغير اللون واسترسلت الجوارح وفتر البدن واقشعر الجلد) أخذته قشعريرة أي رعدة (وربما صاح وربما بكى وربما شهق) بفتح الهاء ردد نفسه مع سماع صوته (وربما وله) بكسر اللام وفي لغة قليلة بفتحها ذهب عقله (وربما سقط) وكل ذلك من الاحوال الواردة عليه (ولسيدي محمد وفي) العارف الكبير العلم الشهير مر بعض ترجمته

(اذا أباح دم المهجور هاجره * باح المحب بما تخفي ضمائره

أيكتم الحب صب باح مدمعه * لما جرى بالذي تخفي سرائره)

لما بالفتح والتشديد أي حين والاستفهام بمعنى النفي أي لا يمكنه ذلك

(كأنما قلبه أجفان مقلته * ودمعه في أماقيه خواطره

يا جيرة الجزع هل من جيرة لفتى * عليه في حكمه قد جار جائره)

جيرة جمع جار وهو الذي يجير غيره أي يؤمنه مما يخاف ويجمع أيضا على جيران وأجوار ويوجد في نسخة هلا جيرة بالفتح والتشديد حرف تحضيض

(آه وكم لي على خطب الهوى خطب * من الغرام به تعلو منابره)

آه بالمد وكسر الهاء كلمة توجع أي وجعي عظيم وتندمي زائد وخطب بفتح فسكون أمر شديد ينزل جمعه خطوب وخطب بضم ففتح جمع خطبة بالضم والغرام الولوع

(مهفهف أبلج بدر على غصن * تخفي البدور اذا لاحت بوادره)

مهفهف أي خميص البطن دقيق الخصر وأبلج بموحدة وجيم واضح الجبين والبوادر جمع بادرة بموحدة اللحمة بين المنكب والعنق ومن الانسان اللحمتان فوق الرغثاوين كما في القاموس

(مطرز الخد بالريحان في ضرج * مورد آسه تزهو زواهره)

ضرج بفتح المعجمة والراء وجيم أي حمرة وذكر المصنف في المقصد الثالث باللام ثلاثة أبيات هي

جبينه مشرق من فوق طرته * يتلو الضحى ليله والليل كافره

بالمسك خطت على كافور جبهته * من فوق نونا تها سينا ضفائره

والثالث قوله هنا

(مكمل الخلق ما تحصى خصائصه * منضر الحسن قد قلت نظائره)

قلت أي عدمت فان قل يستعمل بمعنى النفي كقل رجل يقول كذا أي ما يقوله (وربما زاد الوجد على المحب فقتله) ويقع في نسخ هنا أول نقده من ايمان المحبة الى قوله أعزة على الكافرين وهي محض تكرار (ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام تعظيمه عند ذكره) بالثناء عليه بما هو أهله وكثرة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم (واظهار الخشوع والخضوع) الذلة والاستكانة عطف تفسير للخشوع (والانكسار) التواضع والتذلل (مع سماع اسمه) والثلاثة المذكورة من عطف الاخص على الاعم لدخول كل منها في تعظيمه (فكل من أحب شيأ خضع له كما كان كثير من الصحابة بعده اذا ذكروه خشعوا) أي أظهروا الخشوع والتذلل استدلال على ما قبله وتمثيل له (واقشعرت جلودهم) أخذتها رعدة (وبكوا) حزنا لفراقه وشوقا للقائه (وكذلك كان كثير من التابعين) لهم باحسان (فمن بعدهم يفعلون ذلك) المذكور أي يتصفون به أو نسب الفعل اليهم مجازا والا فالخشوع ونحوه ليس من فعلهم (محبة له وشوقا اليه) تمييز او مفعول له أي من محبته وشوقه أو لاجلهما (وتهيبا) خوفا من

من الشجرة وأوجبه على سارقه من الحرز وعند أبي حنيفة رحمه الله ان هذا لنقصان ماليته لاسراع الفساد اليه وجعل هذا أصلا في كل ما نقصت ماليته باسراع الفساد اليه وقول الجمهور أصح فانه صلى الله عليه وسلم جعل له ثلاثة أحوال حالة لا شئ فيها وهو ما اذا أكل منه بفيه وحالة يغرم مثليه ويضرب من غير قطع وهو ما اذا أخذه من شجره وأخرجه وحالة يقطع فيها وهو ما اذا سرقه من بيدرة سواء كان قد انتهى جفافه أو لم ينته فالعبرة للمكان والحرز لا ليبسه ورطوبته ويدل عليه أنه صلى الله عليه وسلم أسقط القطع عن سارق الشاة من مرعاها وأوجبه على سارقها من عطنها فانه حرزها * الثامن اثبات العقوبات المالية وفيه عدة سنن ثابتة لا معارض لها وقد عمل بها الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم وأكثر من عمل بها عمر رضي الله عنه * التاسع ان الانسان حرز لثيابه ولفراشه الذي هو نائم عليه أين كان سواء كان في المسجد أو في غيره * العاشر ان المسجد حرز لما يعتاد وضعه فيه فان النبي صلى الله عليه وسلم

التقصير في حقه (وتوقيرا) اجلالا وتكريما (قال أبو ابراهيم) اسحق بن ابراهيم الامام في الحديث (التجيبي) بضم التاء عند المحدثين وكثير من الادباء وفتحها غيرهم وبكسر الجيم وتحتية ساكنة وموحدة نسبة الى تجيب قبيلة من كندة (واجب على كل مؤمن متى ذكره) صلى الله عليه وسلم (أو ذكر عنده) وسمعه وخصه لان الكافر لا يجب عليه أو يجب بناء على خطابه بفروع الشرع بمعنى عقابه في الآخرة (أن يخضع) بيدي التذلل والاستكانة وخفض الجناح (ويخشع) وهو ويخضع متقاربان كما قاله الراغب وقيل الخشوع أعم لانه يوصف به القلب والجماد كترى الارض خاشعة ولا يخفى انه مجاز لا يدل على مدعاه (ويتوقر) أي يحاول اتصافه بالوقار الحلم والرزانة (ويسكن من حركته ويأخذ) يشرع (في هيبته) اظهار مهابته عنده (واجلاله) تعظيمه حق تعظيمه (بما كان يأخذ به نفسه) أي يكلفها (ويلزمها) مفعول يأخذ وتأكيد الضمير في به (لو كان بين يديه) صلى الله عليه وسلم حاضرا في مجلسه فيفرض ذلك ويلاحظه ويمثله حتى كأنه عنده (ويتأدب بما أدبنا الله به) مثل لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم الآية ولا ترفعوا أصواتكم وغيرهما مما تقدم لدخوله في عمومه واطلاقه وان لم يكن صريحا في القرآن (وكان أيوب) ابن أبي تميمة كيسان (السختياني) بفتح المهملة واسكان المعجمة وكسر الفوقية وفتحها وفتح التحتية فألف فنون نسبة الى السختياني وهو جلود الضأن أبو بكر البصري ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء العباد مات سنة احدى وثلاثين ومائة وله خمس وستون سنة (اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عنده بكى) خوفا من تقصيره في اتباعه ولاجلاله ويذكر مهابته حتى كأنه يراه (حتى نرحمه) أي ترق قلوبنا رحمة له لما حصل له من كثرة التعب وهذا قول مالك في الشفاء قال مالك وقد سئل عن أيوب السختياني ما حدثتكم عن أحد الا وأيوب أفضل منه وحج حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع منه غير أنه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه فلما رأيت منه ما رأيت واجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه حتى يصعب على جلسائه فقيل له في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون لقد رأيت محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت أرى جعفر بن محمد فاختصر هذا بقوله (وكان جعفر) الصادق (بن محمد) الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (كثير الدعابة) بضم الدال وعين مهملتين فألف فموحدة ما يستحلى من المزاح (والتبسم) أقل الضحك (و) مع ذلك (اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه) مهابة واجلالا قال مالك وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا وما كنت أراه الا على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرأ القرآن وكان من العلماء ومن العباد الذين يخشون الله تعالى (و) لقد (كان عبد الرحمن بن القاسم) بن محمد بن أبي بكر الصديق (اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ينظر الى لونه كأنه قد نزف) بفتحتين خرج (منه الدم) بكثرة وفي النسيم نزف مبني للمجهول أي سال فيه تسمح أو تقدير اذ اللون لا ينزف والمراد أنه سال دمه فاصفر صفرة مفرطة لان حمرة البشرة مما تحتها من الدم وتوهم بعضهم ان معناه احمر خجلا اعترض بأن المناسب لقوله (وقد جف لسانه في فمه) الاصفرار لا الاحمرار ثم قال ولعله يحصل له حالة خجل ثم حالة خوف وهو من عدم التأمل فجفاف اللسان بذهاب ريقه لخوفه (هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم) مفعول له لما قبله وقيل لمقدر ليتحد فاعلاهما ولا حاجة اليه وان جاز (وكان عبد الله ابن الزبير) الذي في الشفاء عن مالك ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير (اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع) لبكائه شديدا (وكان الزهري) محمد بن مسلم

مذهب أحمد رحمه الله وغيره ومن لم يقطعه قال له فيها حق فان لم يكن له فيها حق قطع كالذمي * الحادي عشر ان المطالبة في المسروق شرط في القطع فلو وهبه اياه أو باعه قبل رفعه الى الامام سقط عنه القطع كما صرح به النبي صلى الله عليه وسلم وقال هلا كان قبل أن تأتيني به * الثاني عشر ان ذلك لا يسقط القطع بعد رفعه الى الامام وكذلك كل حد بلغ الامام وثبت عنده لا يجوز اسقاطه وفي السنن عنه اذا بلغت الحدود الامام فلعن الله الشافع والمشفع * الثالث عشر ان من سرق من شيء له فيه حق لم يقطع * الرابع عشر أنه لا يقطع الا بالاقرار مرتين أو بشهادة شاهدين لان السارق أقر عنده مرة فقال ما أخالك سرقت فقال بلى فقطعه حينئذ ولم يقطعه حتى أعاد عليه مرتين * الخامس عشر التعريض للسارق بعدم الاقرار وبالرجوع عنه وليس هذا حكم كل سارق بل من السراق من يقر بالعقوبة والتهديد كما سيأتي ان شاء الله تعالى * السادس عشر انه يجب على الامام حسمه بعد القطع لئلا يتلف وفي قوله احسموه

ابن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب ولفظ مالك ولقد رأيت الزهري وكان (من أهنا الناس) أي أشدهم هناء أي سهولة وحسن خلق ولين عريكة مستعار من هنؤ الطعام اذا ساغ وسهل (وأقربهم) الى الناس بحسن توددهم اليهم ومع ذلك (فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنك ما عرفته ولا عرفك) لدهشته وحيرته واعراضه عمن عنده وذهوله عن معرفته لاشتغال قلبه وحواسه بالفكر لاجلاله وتعظيمه (وكان صفوان بن سليم) بضم السين المدني أبو عبد الله الزهري مولاهم ثقة مفت عابد من رجال الجميع مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة وله اثنتان وسبعون سنة ولفظ مالك ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان (من المتعبدين) المكثرين للعبادة المداومين عليها (المجتهدين) في العبادة المجدين فيها أو وصل الى رتبة الاجتهاد في الاحكام لزيادة فضله وعلمه بالسنة (فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى تقوم الناس عنه ويتركوه) لاتصال بكائه وطوله وذكر مالك هؤلاء من شيوخه لبيان أنه اقتدى بهم واهتدى بهديهم وان حاله لم يصل لحالهم فلا يتعجب منه (وكان قتادة) ابن دعامة التابعي المفسر الشهير (اذا سمع الحديث يقرأ عنده أخذه) أي عرض له واستولى عليه حتى كأنه أخذه (العويل) بعين مهملة الصراخ والبكاء (والزويل) بفتح الزاي وكسر الواو القلق والانزعاج لخوفه وفي القاموس أخذه العويل والزويل أي الحركة والبكاء (أشار الى ذلك القاضي عياض) أي ذكره مطولا كما علم (ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم كثرة الشوق) أي منازعة النفس وميلها (الى لقائه) أما في حياته فظاهر وأما بعد وفاته فالى لقائه في الآخرة ومشاهدة ذاته أو في المنام رزقنا الله ذلك (اذ كل حبيب) أي محب (يحب لقاء حبيبه) أي محبوبه ففعيل يأتي بمعنى اسم الفاعل والمفعول (ولبعضهم المحبة الشوق الى المحبوب) بأن يدعوه قلبه ونفسه دائما الى قربه ويحثه على لقائه (وعن معروف) بن فيروز (الكرخي) نسبة الى كرخ بغداد من المشايخ الكبار شيخ السلسلة أستاذ السري السقطي وكان ابن حنبل وابن معين يختلفان اليه ويسألانه ولم يكن في علم الظاهر مثلهما فيقال لهما مثلكما يفعل ذلك فيقولان كيف نفعل اذا جاءنا أمر لم نجده في كتاب الله ولا سنة رسوله وقد قال صلى الله عليه وسلم سلوا الصالحين كان أبواه نصرانيين فسلماه للمعلم طفلا فقال قل ثالث ثلاثة فيقول بل هو اله واحد فضربه ضربا مبرحا فهرب وأسلم وهو من موالي علي بن موسى الرضي وأسند الحديث عن جمع وكان مجاب الدعوة وكراماته وفوائده كثيرة وكان يهدي اليه طيبات الطعام فيأكل فقيل له ان أخاك بشرا الحافي لا يأكل فقال أخي قبضه الورع وأنا بسطتني المعرفة انما أنا ضيف في دار مولاي مهما أطعمني أكلت مات سنة مائتين وقيل احدى ومائتين والدعاء عند قبره ببغداد مجرب الاجابة يقال من قرأ عنده مائة مرة قل هو الله أحد وسأل الله ما يريد قضيت حاجته ومثله اذا وقف الزائر بين قبري أشهب وابن القاسم بالقرافة ويقرأ قل هو الله أحد مائة مرة ويدعو متوجه القبلة فيستجاب له (المحبة ارتياح الذات لمشاهدة الصفات) أي استحضارها وتأمل معانيها (أو مشاهدة أسرار الصفات) وهي ما ينشأ عنها من الآثار البديعة (فيرى بلوغ) أي وصول (السول) أي المسؤل فعل بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز وأكل بمعنى مأكول (ولو بمشاهدة الرسول) المحبوب الذي أرسله الى محبه (ولهذا كانت الصحابة رضي الله عنهم اذا اشتد بهم الشوق) الى الحق (وأزعجهم لواعج) بلام فواو فألف فعين فجيم أي الحرارات الحاصلة بسبب (المحبة) لله سبحانه (قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشفعوا بمشاهدته) من ألم هذه الحرارات (وتلذذوا بالجلوس معه والنظر اليه وان لم يحدوا فيه النظر لمهابته (والتبرك به صلى الله عليه وسلم) لانه رسول محبوبهم فبلغوا المسؤل بمشاهدته (وعن عبدة) بفتح العين المهملة وسكون الموحدة ودال مهملة قال البرهان الحلبي

ليراه غيره * الثامن عشر ضرب المتهم اذا ظهر منه أمارات الريبة وقد عاقب النبي صلى الله عليه وسلم في تهمة وحبس في تهمة * التاسع عشر وجوب تخلية المتهم اذا لم يظهر عنده شيء مما اتهم به وأن المتهم اذا رضي بضرب المتهم فان خرج ماله عنده والا ضرب هو مثل ضرب من اتهمه ان أجيب الى ذلك وهذا كله مع أمارات الريبة كما قضى به النعمان بن بشير رضي الله عنه وأخبر أنه قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم * العشرون ثبوت القصاص في الضربة بالسوط والعصا * (فصل) * وقد روى عنه أبو داود أنه أمر بقتل سارق فقالوا انما سرق فقال اقطعوه ثم جيء به ثانيا فأمر بقتله فقالوا انما سرق فقال اقطعوه ثم جيء به في الثالثة فأمر بقتله فقالوا انما سرق فقال اقطعوه ثم جيء به رابعة فقال اقتلوه فقالوا انما سرق فقال اقطعوه فأتى به في الخامسة فأمر بقتله فقتلوه فاختلف الناس في هذه الحكومة فالنسائي وغيره لا يصححون هذا الحديث قال النسائي هذا حديث منكر ومصعب بن ثابت ليس بالقوي وغيره يحسنه ويقول هذا حكم خاص بذلك الرجل وحده إلخ

لأأعرفها وفى الصحابة عبدة بنت صفوان ذكرها الحاكم قلت هذه ليست بصحابية قطعا فان أباها ليس صحابيا ولامن كبار التابعين بل من أواسطهم (بنت خالد بن معدان) بفتح فسكون الكلاعى الحمصى أبى عبد الله عابد ثقة روى له الستة ذكر أنه لقى سبعين صحابيا وكان يسبح كل يوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرأ مات سنة ثلاث أو أربع ومائة (أنها قالت ما كان خالد) تعنى أباها (يأوى الى الفراش) اذا أراد النوم ليلا وخصت هذا الوقت لان المرء يتذكر فيه من يهواه غالبا كما قيل

نهارى نهار الناس حتى اذا أتى * لى الليل هزتنى اليك المضاجع

(الا وهو يذكر من شوقه) أى بعض شوقه (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) استثناء من أعم الاحوال أى لم يكن له غير هذه الحال والمراد أنه يذكر أشياء كثيرة تحمله على الميل اليه ويذكر ما به من الألم والمشقة الحاصلة ببعده عنه وعدم ملاقاته صلى الله عليه وسلم (والى أصحابه) أى المصطفى أو خالد لانه لقى سبعين (من المهاجرين والانصار يسميهم) أى بأن يعددهم (بأسمائهم ويقول هم أصلى) أى حسبى عند الكسائى أو آبائى عند ثعلب والمعنى هم أصلى الذى أعتمد عليه فى مهماتى وآبائى الذين أفتخر بهم بابوتهم لى (وفصلى) لسانى الذى أتكلم به فى بيان مرادى ومخاطباتى وفروعى الذين أتقوى بهم فى دفع المضار عنى فالفصل اللسان عند الكسائى والولد عند ثعلب (واليهم) لاالى غيرهم (يحن) بفتح فكسر يميل (قلبى طال شوقى اليهم) لبعد عهدى بهم (فعجل يارب قبضى) موتى (اليك) حتى ألقاهم ولا يزال يردد ذلك (حتى يغلبه النوم) أى ينام ويستغرق فيترك قوله وليس هذا من تمنى الموت المنهى عنه فان من أحب الله ورسوله وتمناه لاجل لقائه والاستراحة من الدنيا وغمها ليس من هذا كما قال فى الفتوحات وقال الحكيم الترمذى تمنى الموت ثلاثة أقسام عبد اقترب الى ربه فى منازل القرب لما تطهر من أدناس الشهوات وكدورات الاخلاق فكلما اقترب ازداد شوقا فتمنى الموت والثانى عبد رأى نعمة الله عليه فى دينه شاملة لكل خير فخاف زوالها لما رأى من نفس خادعة وعدو لا يألو خبالا فتمنى الموت رجاء أن يحوز ذلك لنفسه فى لحده فهذان محمودان وارد عن الصحابة كسلمان اذ قال أحب الموت اشتياقا وقول ابن مسعود أحب الموت لانى لا أدرى ما ينزل بى فأخاف على دينى والاول قول صديق والثانى قول صادق والحظ لصاحبه فيهما والثالث عبد تربى فى رفاهية عيش ونقل نعمة ثم انقلب عليه الزمان وعضته النوائب فعيل صبره وتمنى الموت وهذا مذموم ولذا جاء فى الحديث لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به وقول مريم ياليتنى مت قبل هذا فلخبر مضى ولذا لم تقل الآن فهو لامر دينى رجاء أن لا يزول لما رأت فتنا تموج وذلك لما أتهموا زكريا وهموا بقتله فجاءها النداء والبشرى فصدقت بكلمات ربها وسميت صديقة انتهى (ولما احتضر بلال) أى حضرته الملائكة لقبض روحه (نادت امرأته) صاحت بأعلى صوتها (واحرباه) بفتح الحاء والراء المهملتين وموحدة من الحرب بفتحتين النهب فكأنها لتفجعها نهبت وسلبت وبفتح الحاء الزاى المنقوطة ونون وبضم الحاء وسكون الزاى وبفتح الحاء واسكان الواو وموحدة أى أثماه وألماه بشدة جزعها روايات كما تقدم (فقال واطرباه) أى فرحاه (غدا ألقى الاحبه محمدا وصحبه) المتقدم وخزبه وهو الذى فى الشفاء (واذا ذاق المحب طعم المحبة اشتاق) الى لقاء المحبوب (وتأججت) هاجت وتلهبت (نيران الحب والطلب) لمحبوبه (فى قلبه ويجد صبره عن محبوبه من أعظم كبائره كما قيل

والصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم)

وفى نسخة فانه لا يحمد والاولى أبلغ لان لا يحمد يشمل ما لا حسن فيه ولاقبح بخلاف مذموم فالصبر عليه قبيح لما فات بسببه من النفع العام له ولغيره (وعن زيد بن أسلم) العدوى مولاهم المدنى ثقة عالم

خمس مرات قتل فى الخامسة وممن ذهب الى هذا المذهب أبو المصعب من المالكية وفى هذه الحكومة الاتيان على أطراف السارق الاربعة وقد روى عبد الرزاق فى مصنفه ان النبى صلى الله عليه وسلم أتى بعبد سرق فأتى به أربع مرات فتركه ثم أتى به فى الخامسة فقطع يده ثم فى السادسة رجله ثم فى السابعة يده ثم فى الثامنة رجله واختلف الصحابة ومن بعدهم هل يؤتى على أطرافه كلها أم لا على قولين فقال الشافعى ومالك وأحمد رحمهما الله فى احدى روايتيه يؤتى عليها كلها وقال أبو حنيفة وأحمد فى رواية ثانية لا يقطع منه أكثر من يد ورجل وعلى هذا القول فهل المحذور تعطيل منفعة الجنس أو ذهاب عضوين من شق فيه وجهان يظهر أثرهما فيما لو كان أقطع اليد اليمنى فقط أو أقطع الرجل اليسرى فقط فان قلنا يؤتى على أطرافه لم يؤثر ذلك وان قلنا لا يؤتى عليها قطعت رجله اليسرى فى الصورة الاولى ويده اليمنى فى الثانية على العلتين وان كان أقطع اليد اليسرى مع الرجل اليمنى لم يقطع على العلتين

من رجال الجميع مات سنة ست وثلاثين ومائة (قال خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلة يحرس) الناس على عادة في خلافته اذ كان يدور في الازقة ويعس ليعرف حال الناس (فرأى مصباحا في بيت واذا عجوز) امرأة مسنة ويقال عجوزة أيضا (تنفش) بضم الفاء ومعجمة (صوفا) لاصلاحه (وتقول) شعرا من بحر السريع (على محمد صلاة الابرار) المطيعين وعلى متعلق بصلاة أو بمقدر ويجوز تقدم الظرف على المصدر لتوسعهم فيه أي أدعوله بكل ما يدعو به الابرار (صلى عليه الطيبون) المتقون الذين طابت ظواهرهم وسرائرهم (الاخيار) جمع خير مخففا أو خير بمعنى أخير وأتقى (قد كنت قواما) كثير التهجد بالليل (بكى) بضم الباء والقصر مصدر بمعنى اسم الفاعل أطلق عليه مبالغة (بالاسحار) جمع سحر آخر الليل والباء بمعنى في وزعم أن بكاء بشد الكاف والمدسجع لا نظم لانكسار الوزن أو بضم الباء ممدودا مضاف للاسحار بلا باء مخالف للرواية والدراية (ياليت شعرى) أي علمى اسم ليت والخبر محذوف أي حاصل (والمنايا) الموت (أطوار) جمع طور أي أحوال شتى مختلفة باعتبار الاسباب (هل تجمعنى وحبيبى الدار) الآخرة وهو قائم مقام معمول شعرى علق عنه (تعنى) بحبيبها (النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكى ثم قام الى باب خيمتها) أي بيتها وعند ابن المبارك في الزهد فما زال عمر يبكى وطرق عليها الباب فقالت من هذا قال عمر بن الخطاب قالت مالى ولعمر في هذه الساعة فقال افتحى يرحمك الله فلا بأس عليك ففتحت فدخل (فقال السلام عليكم ثلاث مرات فقال لها أعيدى على قولك) الذى قلتيه آنفا (فاعادته بصوت حزين فبكى وقال لها وعمر لا تنسينه) بفتح التاء وسكون النون وفتح السين وكسر التحتية وشد النون مفتوحة أي أذكريه بالدعاء له في هذه الحالة (يرحمك الله فقالت وعمر فاغفر له يا غفار ويحكى انه رؤيت امرأة مسرفة على نفسها) بفعل ما لا يليق (بعد موتها) ظرف لرؤيت (فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لى قيل بماذا قالت بمحبتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشهوتى النظر اليه فنوديت) بضم النون مبنى للمفعول على لسان ملك بأن سمعته يقول (من اشتهى النظر الى حبيبنا نستحيي أن نذله بعتابنا) فضلا عن عذابنا (بل نجمع بينه وبين من يحبه) وفي هذا أن حبه ينفع ولو للعاصى (ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم حب القرآن الذى أتى به) للناس من عند الله (وهدى به) الخلق كلهم لسعادة الدارين (واهتدى به) هو أي وصل الى الله (وتخلق به) أي اتخذه خلقا له يعمل بكل ما فيه قالت عائشة كان خلقه القرآن قال عياض وحب القرآن تلاوته والعمل به وتفهمه (واذا أردت أن تعرف ما عندك وما عند غيرك من محبة الله ورسوله) بيان لما (فانظر) اختبر (محبة القرآن من قلبك والتذاذك بسماعه) أهى (أعظم) عندك (من التذاذ أصحاب الملاهى والغناء) بزنة كتاب المطرب (بسماعهم) فان كان كذلك فأنت صادق في المحبة والا فدعواك كاذبة (فانه من المعلوم ان من أحب محبوبا كان كلامه وحديثه أحب شئ اليه كما قيل

ان كنت تزعم حبي * فلم هجرت كتابى

أما تأملت ما فيه * من لذيذ خطابى)

أي هجرك لكتابى دليل على عدم صدق المحبة قال ابن مسعود لا يسأل أحد عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فانه يحب الله ورسوله أسنده البيهقى وغيره وذكره في الشفاء (ويروى أن عثمان ابن عفان) ذا النورين (رضى الله عنه قال لو طهرت قلوبنا) نظفت من الادناس الباطنة حق النظافة (لما شبعت من كلام الله) لانه غذاء الارواح ونور القلوب وبصر البصائر (وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه) استفهام بمعنى النفى ويدل على أن القرآن غاية المطلوب أي ما يليق ان يطلب انه (قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود اقرأ على) زاد في روايه

وان كان أقطع اليد اليسرى فقط لم تقطع يمناه على العلتين فيه نظر فتأمل وهل قطع رجله اليسرى يمنى على العلتين فان عللنا بذهاب منفعة الجنس قطعت رجله وان عللنا بذهاب عضوين من شق لم تقطع وان كان أقطع اليدين فقط وعللنا بذهاب منفعة الجنس قطعت رجله اليسرى وان عللنا بذهاب عضوين من شق لم تقطع هذا طرد هذه القاعدة وقال صاحب المحرر فيه تقطع يمنى يديه على الروايتين وفرق بينها وبين مسألة مقطوع اليدين والذى يقال في الفرق أنه اذا كان أقطع الرجلين فهو كالمقعد واذا قطعت احدى يديه انتفع بالاخرى في الاكل والشرب والوضوء والاستجمار وغيره واذا كان أقطع اليدين لم ينتفع الا برجليه فاذا ذهبت احداهما لم يمكنه الانتفاع بالرجل الواحدة بلا يد ومن الفرق ان اليد الواحدة تنفع مع عدم منفعة المشي والرجل الواحدة لا تنفع مع عدم منفعة البطش

(فصل في قضائه صلى الله عليه وسلم) فيمن سبه من مسلم أو ذمى أو معاهد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قضى باهدار دم أم ولد الاعمى لما قتلها مولاها على السب وقتل جماعة من اليهود على سبه وأذاه وأمن الناس يوم الفتح الا نفرا ممن كان

القرآن أي بعضه (قال) لفظ ابن مسعود قلت (آقرأ عليك) بمد الهمزة للاستفهام القرآن (وعليك
أنزل) بضم الهمزة (فقال اني أحب) وفي رواية اني أشتهي (أن أسمعه من غيري) ليكون عرض القرآن
سنة أو ليتدبره ويتفهمه وذلك ان المستمع أقوى على التدبر ونفسه أخلى وانشط لذلك من القارئ
لاشتغاله بالقراءة وأحكامها قاله ابن بطال وليحصل له لذة السماع (فاستفتح وقرأ) عليه (سورة النساء
حتى بلغ) لفظ ابن مسعود فقرأت حتى بلغت فأتى به المصنف بالمعنى لكن لم أر لفظ فاستفتح في البخاري
وفي رواية له حتى اذا أتيت على هذه الآية (فكيف) يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم (اذا جئنا
من كل أمة بشهيد) يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم (وجئنا بك على هؤلاء) أي أمتك (شهيدا) حال
أي شاهدا على من آمن بالايمان وعلى من كفر بالكفر وعلى من نافق بالنفاق (قال) صلى الله عليه وسلم
(حسبك) يكفيك الآن تنبيها له على الموعظة والاعتبار في هذه الآية وفي رواية قال أمسك وفي أخرى
قال لي كف أو أمسك بالشك (فرفع رأسه) وفي رواية فالتفت اليه (فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم تذرفان) بذال معجمة ساكنة وكسر الراء وبالفاء أي يسيل دمعهما من البكا لفرط رأفته ومزيد
شفقته على المفرطين لانه علم انه لابد أن يشهد عليهم بعملهم وقد لا يكون مستقيما فقد يفضي الى
تعذيبهم أو لعظم ما تضمنته الآية من هول المطلع وشدة الامر أو هو بكا فرح لا بكا جزع لانه تعالى جعل
أمته شهداء على سائر الامم كما قال الشاعر

طفح السرور على حتى أنه * من عظم ما قد سرني أبكاني

(رواه البخاري) في التفسير في ثلاثة مواضع من حديث ابن مسعود (وهذا يجده من سمع الكتاب
العزيز باذن قلبه) بأن أحضره وتلقى القرآن بسلامة صدر وخضوع وذلة لسماعه شبه القلب بذي
أذن واعية استعارة بالكناية وأثبت الاذن للقلب استعارة تخييلية (قال الله تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى
الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) من الاولى للابتداء والثانية لبيان ما عرفوا
أو للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف اذا عرفوا كله قاله
البيضاوي (قال صاحب عوارف المعارف) العلامة الشهاب عمر السهروردي (أذاقنا الله حلاوة مشربه
هذا السماع وهو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من أهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية)
خبر هذا السماع وما بينهما اعتراض وفي نسخة هو السماع فمحكوم خبر ثان (وهذا سماع ترد حرارته
على برد اليقين فتفيض) بفتح التاء (العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن حار وتارة يثير شوقا والشوق
حار وتارة يورث ندما والندم حار) عبر بيورث وفيما قبله بيثير كأنه لان الحزن والشوق كائنان في
ذات المحب لكن قد يفتر عن خدمة المحبوب فاذا هاجت المحبة أثارتهما بخلاف الندم ليس ذاتيا فاذا
قام بهم سرور لغرض دنيوي وهاجت حرارة المحبة المنافية لذلك أورثتهم ندما على تقصيرهم باعتبار
أحوالهم وان لم يكن تقصيرا في نفس الامر (فاذا أثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوء
ببرد اليقين بكى) هو (وأبكى) غيره (لان الحرارة والبرودة اذا اضطرمتا) أي اشتعلتا بعد اجتماعهما
من اضطرمت النار تأججت فتكتسب البرودة من الحرارة حرارة فصارا حارين فاذا ازدادت حرارتهما
واستحكمت (عصرتا ماء) لانهما بالاجتماع صارا شيأ واحدا والبرودة شأنها وطبعها الماء فلذا
أخرجت الحرارة التي فيها ما كان في البرودة من الماء (فاذا ألم السماع بالقلب) أي وصل اليه وأثر فيه
(تارة يخف المامه) نزوله به مصدر ألم (فيظهر أثره في الجسد ويقشعر منه الجلد) يرتعد (قال الله تعالى
الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني (تقشعر منه) ترتعد عند ذكره وعنده (جلود الذين
يخشون ربهم) ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله (وتارة يعظم وقعه ويتصوب أثره أي يتقصد) أي

يؤذيه ويهجوه وهم أربعة رجال وامرأتان وقال من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأهدر دمه ودم أبي رافع وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لابي برزة الاسلمي وقد أراد قتل من سبه ليست هذه لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا قضاؤه صلى الله عليه وسلم وقضاء خلفائه من بعده رضي الله عنهم ولا مخالف لهم من الصحابة وقد أعاذهم الله من مخالفة هذا الحكم وقد روى أبو داود في سننه عن علي كرم الله وجهه ان يهودية كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه فخنقها رجل حتى ماتت فأبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم دمها وذكر أصحاب السير والمغازي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال هجت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها أنا فنهض فقتلها فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تنتطح فيها عنزان وفي ذلك بضعة عشر حديثا ما بين صحاح وحسان ومشاهير وهو اجماع الصحابة وقد ذكر حرب في مسائله عن مجاهد قال أتي عمر رضي الله عنه برجل سب النبي صلى الله عليه وسلم فقتله ثم قال عمر رضي الله عنه من سب الله ورسوله أو سب أحدا

يصعد (نحو الدماغ فتندفق) تنصب بشدة (منه العين بالدمع وتارة يتصوب أثره الى الروح فتموج) بجيم تتحرك (منه الروح موجا) تحركا عنيفا فيؤثر فى القلب تأثيرا يصير به كالجسد المنتفخ فحينئذ (يكاد يضيق عنه نطاق) بكسر النون (القالب) الجسد فشبه القلب بجسد عظم حتى ضار حزامه الذى كان مشدودا به لا يدور عليه فهو استعارة بالكناية واثبات النطاق تخييل (فيكون) أى يوجد (من ذلك الصياح والاضطراب) الحركة القوية (وهذه كلها أحوال يجدها أربابها) فاعل يجد (من أصحاب الاحوال) وفى نسخة تجدأربابها أى تشاهد أصحاب تلك الاحوال من أصحاب أحوال المقربين عند الله (وقد كان ابن عمر رضى الله عنهما ربما مر بآية فى ورده) وظيفته من القرآن (فتخنقه) بضم النون أى يعصر حلقه حتى يكاد يموت (العبرة) الاتعاظ والتذكر والبكا (و يسقط) من قيام (و يلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد و يحسب) يظن (مريضا وقد كان الصحابة اذا اجتمعوا وفيهم أبو موسى) عبد الله بن قيس (الاشعرى يقولون يا أبا موسى ذكرنا ربنا) بتلاوة كتابه (فيقرأ وهم يسمعون) لانه أوتى مزمارا من مزامير آل داود كما فى الحديث (فلمحبين السماع القرآنى من الوجد والذوق واللذة والحلاوة والسرور أضعاف ما للمحبين السماع الشيطانى) بنحو الآلات والانغام (فاذا رأيت الرجل ذوقه ووجده) بالنصب بدل اشتمال مما قبله (وطربه ونشأته) أى زيادته فى الطرب والالتذاذ (فى سماع الابيات) الشعرية (دون الآيات وفى سماع الالحان) جمع لحن من الاصوات المصوغة الموضوعة ويجمع أيضا على لحون كما فى القاموس (دون القرآن كما قيل تقرأ عليك الختمة) القرآن بتمامه (وأنت جامد كالحجر و بيت من الشعر ينشد تميل كالنشوان) السكران معنى ولفظا (فاعلم ان هذا من أقوى الادلة على فراغ قلبه من محبة الله ورسوله) جواب اذا فى قوله فاذا رأيت الرجل (أدام الله لنا حلاوة محبته ولا سلك بنا فى غير سبيل سنته بمنه ورحمته) لكن قد سئل الجنيد ما بال أصحابك اذا سمعوا القرآن لا يتواجدون ولا يتحركون بخلاف ما اذا سمعوا الرباعيات فقال القرآن كلام الله وهو صعب الادراك والرباعيات كلام المحبين المخلوقين ولان القرآن كله أحكام ومواعظ كلفوا العمل بها ومن كلف بشئ لا يطرب به ولا كذلك الرباعيات فانها كلام جنسهم ومما عملته أيديهم بخلاف القرآن فانه حق صدر عن حق فلا مجانسة بينها و بينه (ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم محبة سنته) أى طريقته بالاقتداء به قولا وفعلا (وقراءة) بالرفع عطف على محبة والخفض على سنة (حديثه) على الوجه المرضى بأن سهل عليه قراءته بشروطه والاقتراء كعين المحبة (فان من دخلت حلاوة الايمان فى قلبه اذا سمع كلمة من كلام الله تعالى أو من حديث رسوله صلى الله عليه وسلم تشربتها روحه وقلبه ونفسه و يقول) منشدا (أشم) بضم الشين وفتحها (منك نسيما لست أعرفه *) لغرابته وحسنه فان الروائح تتميز عما تضاف اليه كالمسك وما شممته ما عرفت نوعه من المشمومات فأنا (أظن لمياء) بفتح اللام واسكان الميم وتحتية والمد صفة لانثى قامت بشفتها اللمى قال المجد مثلثة اللام سمرة الشفة زاد الجوهرى تستحسن (جرت فيك أردانا *) جمع ردن ثوب خز وغزل فكان الشاعر يقول هذا النسيم المستغرب أظنه بسبب ان تلك المرأة جرت ثيابها فيك أى فى مكانك أو على جسدك فنشأت هذه الرائحة التى لا نظير لها من طيبها (فتعمه تلك الكلمة) التى سمعها من كلام الله أو رسوله (وتشمله) تحيط به (فتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل و يبصر الكل بالكل) بما جعله الله فى كل جزء من اجزائه من الانوار فيدرك جميع الكمالات التى يتصف بها المصطفى فتقوى رغبته وتشد محبته (و يقول) منشدا

(لى حبيب خياله نصب عينى * سره فى ضمائرى مكنون

من الانبياء فقد كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهى ردة يستتاب فان رجع والاقتل وأيما معاهد عاند فسب الله أو سب أحدا من الانبياء أو جهر به فقد نقض العهد فاقتلوه وذكر أحمد رحمه الله عن ابن عمر رضى الله عنهما انه مر به راهب فقيل له هذا يسب النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر رضى الله عنه لو سمعته لقتلته انا لم نعطهم الذمة الا على أن لا يسبوا نبينا والآثار عن الصحابة بذلك كثيرة وحكى غير واحد من الائمة الاجماع على قتله قال شيخنا وهو محمول على اجماع الصدر الاول من الصحابة والتابعين والمقصود انما هو ذكر حكم النبى صلى الله عليه وسلم وقضائه فيمن سبه وأما تركه صلى الله عليه وسلم قتل من قدح فى عدله بقوله اعدل فانك لم تعدل وفى حكمه بقوله أن كان ابن عمتك وفى قصده بقوله ان هذه قسمة ما أريد بها وجه الله أو فى حكومته بقوله يقولون انك تنهى عن الغى وتستحلى به وغير ذلك فذلك ان الحق له فله ان يستوفيه وله أن يتركه وليس لامته ترك استيفاء حقه صلى الله عليه وسلم وأيضا فان هذا كان فى أول الامر حيث كان صلى الله عليه وسلم مأمورا بالعفو والصفح وأيضا فانه كان يعفو عن حقه لمصلحة التأليف

ان تذكرته فكلى قلوب * أو تأملته فكلى عيون)

نصب بضم النون وفتحها أو الفتح لحن كما في القاموس (فحينئذ يستنير) بسين التأكيد (قلبه ويشرق) يضيء (سره وتتلاطم عليه أمواج التحقيق عند ظهور البراهين) الحجج الواضحة (ويرتوي يرى) بكسر الراء (عطف) ميل (محبوبه) أي يسكن قلبه وتزول حرارته براحته بميل حبه اليه (الذي لا شيء أروى لقلبه من عطفه عليه) فشبه سكون قلبه من النور الواصل اليه من حبه بزوال الظمأ بوصول الماء العذب البارد الى الجوف (ولا شيء أشد للهيبة وحريقه) أي المحب (من اعراضه) أي حبه (عنه ولهذا كان أهل النار باحتجاب ربهم عنهم) كما قال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (أشد عليهم من العذاب الجسماني) بكسر الجيم (كما ان نعيم أهل الجنة برؤيته تعالى) في يوم المزيد (وسماع خطابه ورضاه واقباله أعظم من النعيم الجسماني) بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (لا حرمنا الله حلاوة هذا المشرب) جملة دعائية أي نسأله أن لا يمنعنا ذلك بل يعطينا اياه ويمتعنا به (ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم أن يلتذ محبه بذكره الشريف) التذاذا مع الاجلال (ويطرب) بفتح الراء يخف وينبسط بسرور وه (عند سماع اسمه المنيف) الزائد في الشرف (وقد يوجب له ذلك السماع (سكرا) حالة تشبه حال السكران (يستغرق قلبه وروحه وسمعه وبصره وسبب هذا السكر اللذة القاهرة للعقل وسبب اللذة ادراك المحبوب عليه الصلاة والسلام فاذا كانت المحبة قوية وادراك هذا المحبوب قويا كانت اللذة بادراكه تابعة لقوة هذين الامرين فاذا كان العقل قويا مستحكما) بكسر الكاف اسم فاعل من استحكم مبنيا للفاعل (لم يتغير لذلك وان كان ضعيفا حدث السكر المخرج له) للعقل (عن حكمه) أي عما يليق به (وقد حدوا) أي علماء الطريق (السكر بأنه سقوط التمالك) أي عدم الصبر (في الطرب كأنه يبقى في السكران بقية يلتذ بها ويطرب فلا يتمالك صاحبها الا ملك نفسه (ولا يقدر أن يفنى معها) لان الفناء يفني معاني كل شيء فيفني الطرب أيضا قال الهروي في المنازل السكر من أوصاف المحبين خاصة فان عيون أي حقائق الفناء لا تقبله ومنازل العلم لا تبلغه (وقد يكون سبب السكر قوة الفرح بادراك المحبوب بحيث يختلط كلامه وتتغير أفعاله بحيث يزول عقله ويعربد) بضم الياء وفتح العين وسكون الراء المهملتين وكسر الموحدة أي يسوء خلقه (أعظم من عربدة) أي سوء خلق (شارب الخمر) لانه برؤيته انبهر تحت سلطان الجمال ولذا أنشدوا

فصحوك من لفظي هو الاصل كله * وسكرك من لحظي يبيح لك الشربا

فما مل ساقينا وما مل شارب * عقار لحاظ كأسه يسكر اللبا

(وربما قتله هذا الفرح بسبب طبيعي وهو انبساط دم القلب وهلة) دفعة (واحدة انبساطا غير معتاد والدم هو حامل الحار الغريزي) بغين وزاي منقوطتين الطبيعي (فيبرد القلب) أي تزول حرارته (بسبب انبساط) انتشار (الدم عنه) وسيلانه (فيحدث الموت ومن هذا قول سكران الفرح بوجود راحلته في المفازة) الموضع المهلك (بعد أن استشعر الموت اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة فرحه وسكرة الفرح) مبتدأ خبره (فوق سكرة الشراب) للخمر (فصور في نفسك حال فقير معدم عاشق للدنيا أشد العشق ظفر بكنز) مال مدفون تسمية بالمصدر (عظيم فاستولى عليه) حال كونه (آمنا مطمئنا كيف تكون سكرته) لا شك انها فوق سكرة الشراب بمراحل كثيرة (أو من غاب عنه غلامه بمال عظيم مدة سنين حتى أضر به العدم) الفقر (فقدم عليه من غير انتظار له بماله كله وقد كسب أضعافه كيف تكون سكرته ومن أقوى أسباب ما نحن فيه سماع الاصوات المطربة بالانشادات بالصفات النبوية المغربة) بضم الميم وسكون المعجمة وكسر الراء وموحدة اسم فاعل من أغرب اذا أتى

عليه وسلم

(فصل في حكمه صلى الله عليه وسلم) فيمن سمه ثبت في الصحيحين ان يهودية سمته في شاة فأكل منها القمة ثم لفظها وأكل معه بشر بن البراء فعفا عنها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها هكذا في الصحيحين وعن أبي داود انه أمر بقتلها فقيل انه عفا عنها في حقه فلما مات بشر بن البراء قتلها به وفيه دليل على ان من قدم لغيره طعاما مسموما يعلم به دون آكله فمات به أقيد منه

(فصل في حكمه صلى الله عليه وسلم) في الساحر في الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم حد الساحر ضربه بالسيف والصحيح أنه موقوف على جندب بن عبد الله وصح عن عمر رضي الله عنه أنه أمر بقتله وصح عن حفصة رضي الله عنها أنها قتلت مدبرة سحرتها فأنكر عليها عثمان رضي الله عنه اذ فعلته دون أمره وروي عن عائشة رضي الله عنها أيضا أنها قتلت مدبرة سحرتها وروي انها باعتها ذكره ابن المنذر وغيره وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل من سحره من اليهود فأخذ بهذا الشافعي وأبو حنيفة رحمهما الله وأما مالك وأحمد رحمهما الله

فأنهما يقتلانه ولكن منصوص أحمد رحمه الله ان ساحر أهل الذمة لا يقتل واحتج بان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل لبيد بن الاعصم اليهودي حين سحره ومن قال بقتل ساحرهم يجيب عن هذا بانه لم يقر ولم يقم عليه بينة وبانه خشي صلى الله عليه وسلم أن يثير على الناس شرا بترك اخراج السحر من البئر فكيف لو قتله

(فصل في حكمه صلى الله عليه وسلم) في أول غنيمة كانت في الاسلام وأول قتيل لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش ومعه سرية الى نخلة ترصد عير القريش وأعطاه كتابا مختوما وأمره ان لا يقرأه الا بعد يومين فقتلوا عمرو بن الحضرمي وأسروا عثمان ابن عبد الله والحكم بن كيسان وكان ذلك في الشهر الحرام فعنفهم المشركون ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والاسيرين حتى أنزل الله سبحانه وتعالى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسيرين وبعثت اليه قريش في فدائهما فقال لا حتى يقدم صاحبانا يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن

بشئ غريب صفة للانشادات (المعربة) بسكون العين المهملة وفتح الراء اسم مفعول من أعرب المبذية (اذا صادفت محلا قابلا فلا تسأل عن سكرة السامع) لزيادة فرحه من ذلك (وهذا السكر يحصل عندها من جهتين احداهما انها في نفسها توجب) تسبب (لذة قوية يتغمر) أي يتغطى (منها العقل) فيحصل السكر بتغطيته (الثانية انها تحرك النفس الى نحو محبوبها وجهته) تفسيري (فيحصل بتلك الحركة والشوق والطلب مع التخيل) بعجمة (للمحبوب واحضاره في النفس وادناء) تقريب (صورته الى القلب واستيلائها على الفكر لذة عظيمة تغمر العقل فتجتمع لذة الالحان) المحصلة للفرح (ولذة الاشجان) جمع شجن وهي التي انغمر العقل بها عن كمال ادراكه (فتسكر الروح سكرا عجيبا أطيب وألذ من سكر الشراب) الخمر (وتحصل به نشأة ألذ من نشأة الشراب وقد ذكر الامام أحمد وغيره ان الله تعالى يقول لداود مجدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في الدنيا) حيث كان يقرأ به الزبور وضروب الدعاء (فيقول كيف وقد أذهبته فيقول أنا أرده عليك فيقوم عند ساق العرش) قوائمه (ويمجده فاذا سمع أهل الجنة صوته استفرغ) صوته (نعيم أهل الجنة) أي شغلهم عما هم فيه من النعيم حتى كأنه ليس عندهم نعيم الاسماع صوته (وأعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم فاذا انضاف الى ذلك رؤية وجهه الكريم الذي يغنيهم لذة رؤيته عن الجنة ونعيمها فأمر لا تدركه العبارة) أي لا تقدر على التعبير عنه بعبارة (ولا تحيط به الاشارة) اذ هو أعلى من ذلك (وهذه صفة لا تلج) لا تدخل (كل أذن) لامتناعها عن أكثر الناس فانما تدخل للخواص (وصيب) مطر (لا تحيا به كل أرض) بل لها أراض مخصوصة كناية عن قلوب الخواص (وعين لا يشرب منها كل وارد) بل لها وراد معلومون (وسماع لا يطرب عليه كل سامع) بل لها سامعون معروفون (ومائدة لا يجلس عليها كل طفيلي أشار اليه في المدارج) لابن القيم شرح المنازل (فمن اتصف بهذه العلامات التي ذكرتها فهو كامل المحبة لله ولرسوله) صادق في حبه (ومن خالف بعضها فهو ناقص المحبة و) لكن (لا يخرج عن اسمها) أي عن الاتصاف بها وتسميته محبا في الجملة لوجود أصلها فيه والنفي عنه الكمال نحو لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن (بدليل قوله عليه الصلاة والسلام للذي حده) أي لاجله (في الخمر) أي شربه وهو عبد الله الملقب حمارا بلفظ الحيوان وقيل بكسر الخاء المعجمة (لما لعنه بعضهم) هو عمر بن الخطاب كما رواه البيهقي (وقال ما أكثر ما يؤتى به) تعجب من كثرة الاتيان به وهو سكران للنبي صلى الله عليه وسلم (فقال صلى الله عليه وسلم) بيان لقوله بدليل قوله وتأكيد له والا فالظاهر حذفه وجعل قوله (لا تلعنه) بالافراد كما في البخاري نهيا للبعض الذي لعنه وهو واحد كما علم (فانه يحب الله ورسوله) مقول القول روى البخاري عن عمر قال كان رجل يسمى عبد الله ويلقب حمارا وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب فأتي به يوما فقال رجل اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله وذكر الواقدي ان القصة وقعت له في غزاة خيبر وزعم الدمياطي انه وهم وانما هو نعيمان مردود بأنه توهيم للرواة الثقات بلا مستند فكل من قصتي نعيمان وحمار في الصحيح وليس فيه قصة نعيمان ان أحدا لعنه ونهاه المصطفى فجعل الحديثين واحدا والحكم بالوهم في التسمية من العجب (فأخبر انه يحب الله ورسوله مع وجود ما صدر منه) فأظهر مكتوم قلبه وان هذا الحب من أعظم المنجيات (وفيه الرد على من زعم) كالمعتزلة (ان مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهي عن لعنه) في هذا الحديث (وثبوت الامر بالدعاء له) في حديث آخر قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه (وفيه انه لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب) لانه لا تلازم بين الامرين فان ارتكاب النهي انما هو للغفلة والشهوة وتسويل النفس والشيطان والمحبة ثابتة (ويحتمل أن يكون استمرار محبة الله ورسوله في قلب

العاصي مقيد ابما اذا ندم على وقوع المعصية أو اذا أقيم عليه الحد فيكفر عنه الذنب المذكور) بناء على الصحيح ان الحد جابر (بخلاف من لم يقع منه ذلك) الندم ولم يقع له الحد (فانه يخشى بتكرار الذنب ان ينطبع على قلبه حتى يسلب ذلك الحب منه أسأل الله العفو والثبات على محبته وسلوك) دخول (سنته بمنه ورحمته) وفيه المنع من لعن مرتكب الكبيرة وقيل محله ان حد وقيل المنع مطلقا في حق ذي الزلة والجواز مطلقا فيمن تجاهر وصوب ابن المنير المنع مطلقا في المعين والجواز في غيره زجرا عن تعاطي ذلك الفعل (* تنبيه * قد اختلف العلماء أيما أرفع) أفضل في نفس الامر (درجة المحبة أو درجة الخلة) بضم الخاء على الاكثر وتفتح الصداقة المحضة التي لا خلل فيها وتكون في عفاف وكني برفع الدرجة عن رفع من فيها وأفضليته (فحكى القاضي عياض) في الشفاء ثلاثة أقوال أحدها (ان بعضهم جعلهما سواء) أي الدرجتين أو المحبة والخلة متساويين في الفضيلة لا تفاوت بينهما (فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا) وتعقب بان هذا انما يقتضي تلازمهما لا مساواتهما درجة وأشار لجواب سؤال هو اذا استويا فلم خص كل منهما بوصف فقال (لكنه) أي الله أو الامر والشان (خص) بالبناء للفاعل أو المفعول (ابراهيم بالخلة ومحمدا) بالنصب و لرفع (بالمحبة) فسمي الاول خليلا والثاني حبيبا لمجرد التمييز بينهما ولا يخفى ضعفه (وقال بعضهم درجة الخلة أرفع) منزلة وأفضل وأعلى درجة (واحتج بقوله عليه الصلاة والسلام) في الصحيحين عن أبي سعيد وابن عباس (لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا) ولكن اخوة الاسلام (فلم يتخذه خليلا وقد أطلق المحبة لفاطمة) بنته (وابنيها) الحسنين (واسامة) بن زيد وغيرهم كأبي بكر وعمر وعائشة وأكثرهم جعل المحبة أرفع (انتهى) كلام عياض (وهذا) أي القول الثاني (هو الظاهر من المعنى الاخص لان المحبة مأخوذة من معنى الخلة) فهي أخص منها (لكن يرد) عليه (ما روي في قصة الاسراء في مناجاته صلى الله عليه وسلم لربه تعالى حيث قال له يا محمد سل فقال يا رب انك اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال له تعالى ألم أعطك خيرا من هذا) فذكر الحديث (الى قوله واتخذتك حبيبا) أو ما في معناه رواه البيهقي (وهذا يقتضي ان درجة المحبة أرفع) وتعسف من أجاب بانه انما فضله بمجموع ما ذكر في الحديث (وقد احتج من قال بتفضيل مقام المحبة) على الخلة وهم أكثر العلماء (بفروق كثيرة ذكر القاضي عياض في الشفاء منها نقلا عن الامام أبي بكر ابن فورك) بضم الفاء (عن بعض المتكلمين نبذة) بضم النون وذال معجمة شيأ قليلا (منها ان الخليل يصل بالواسطة) أي بتوسط آخر بينه وبين خليله وذلك مأخوذ (من قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض) فوصل لخليله بواسطة ما أراه من آيات ملكوته (والحبيب يصل اليه) الى حبيبه (به) بنفسه بلا واسطة مأخوذ (من قوله فكان قاب قوسين أو أدنى) فرآه عين يقين على ما مر (ومنها ان الخليل قال في المحنة) بنون الابتلاء بالالقاء في النار (حسبي الله) أي كافي في جميع أموري (والحبيب قيل له يا أيها النبي حسبك الله) والخليل قال واجعل لي لسان صدق في الآخرين والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك أعطي بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني أن نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت (ومنها ان الخليل هو الذي تكون مغفرته في حد الطمع) أي واقعة في حال يطمع صاحبها في التجاوز عنها لان الخليل لا يؤاخذ خليله بزلاته والحد الحاجز بين شيئين والمحيط به كحدود الدار فاستعير للحال المميزة له المقتضية لتحققه (من قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) قاله هضما لنفسه وتعليما لامته والا فهو معصوم (والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين) أي متيقنة مأخوذ (من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أي كل ما صدر منك وما لم يصدر مما هو بالنسبة لمقامك

بعتاب والحكم وقسم الغنيمة وذكر ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم رد الغنيمة وودى القتيل والمعروف في السير خلاف هذا وفي هذه القصة من الفقه اجازة الشهادة على الوصية المختومة وهو قول مالك رحمه الله وكثير من السلف ويدل عليه حديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي به يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده وفيها انه لا يشترط في كتاب الامام والحاكم البينة ولا ان يقرأه الامام والحاكم على الحامل له وكل هذا لا أصل له من كتاب ولا سنة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع كتبه مع رسله ويسيرها الى من يكتب اليه ولا يقرأها على حاملها ولا يقيم عليها شاهدين وهذا معلوم بالضرورة من هديه وسنته

(فصل في حكمه صلى الله عليه وسلم) في الجاسوس ثبت ان حاطب ابن أبي بلتعة لما جس عليه سأله عمر رضي الله عنه ضرب عنقه فلم يمكنه وقال ما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وقد تقدم

قد يقتضي شيأ في الآية اشارة الى انه لم يقطع منه لانه سوى المتقدم بالمتأخر في عدم الوقوع ولذا سر بها لما نزلت زاد في الشفاء والخليل قال ولا تخزني يوم يبعثون والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدأ بالبشارة قبل السؤال (وفي كتابي تحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري وجوه أخر) لمناسبة أن آخر حديث في البخاري كلمتان حبيبتان الى الرحمن (غير ما حكاه القاضي عياض) من هذه الثلاثة (وفي كلها نظر واضح كما بينته في حاشية الشفاء وذلك أن مقتضى الفرق بين الشيئين أن يكون في حد ذاتيهما يعني باعتبار مدلول خليل وحبيب وما حكاه القاضي عياض وذكرته في التحفة) زيادة عليه (يقتضي تفضيل ذات محمد على ذات ابراهيم عليهما الصلاة والسلام) وليس الكلام فيه (لا يقال باعتبار ثبوت وصف الخلة له) لابراهيم (والمحبة لمحمد (فيلزم ذلك) أي تفضيل المحبة لفضله على ابراهيم (لانا نقول كل منهما ثابت له وصف الخلة والمحبة اذ لا يسلب عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وصف المحبة) لعدم صحته (لا سيما والخلة أخص من المحبة) ففيها زيادة على المحبة (ولا يسلب عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصف الخلة) لانه اذا حازها الكامل فالا كمل أولى (وقد ثبت في حديث أبي هريرة) في المعراج (قول الله تعالى له اني اتخذتك خليلا) ولذا قال صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فمنزلي ومنزل ابراهيم في الجنة يوم القيامة تجاهين والعباس بيننا مؤمن بين خليلين رواه ابن ماجه (وقد قام الاجماع على فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الانبياء بل هو أفضل خلق الله مطلقا) حتى جبريل بالاجماع حتى من المعتزلة فهذا رد للفروق وطريق الاجمال وأشار للتفصيل بقوله (وأما قوله ان الخليل يصل بالواسطة فلا يفيد غرضا في هذا المقام الذي هو بصدده) وهو تفضيل المحبة (وليس المراد به قطعا الا الوصول الى المعرفة اذ الوصول الحسي يمتنع على الله تعالى) وقال بعضهم ان أراد الوصول الى الله برؤيته وسماع كلامه فالآية لا مناسبة لها بما ذكر وان أراد الى معرفته فكذلك ثم لا يتم الفرق لانه ان أراد بيان مفهومي المحبة والخلة فما ذكر لا يدل عليه بل ليس بصحيح وان أراد بين ذاتي من قاما به فلا يفيد شيأ مما نحن فيه ثم انه مبني على القول بأن ابراهيم لم يعرفه قبل هذا الاستدلال بناء على جواز مثله على الانبياء مطلقا أو قبل البلوغ والمحققون على أنه ورد على طريق الجدل مع قومه الذين كانوا يعبدون الكواكب (وأما قوله والحبيب يصل اليه) تعالى (به) فلا يفيد الغرض (فالوصول الى الله تعالى لا يكون الا به حبيبا كان أو خليلا) فهذا دفرقه الاول (وأما قوله) في الثالث (الخليل هو الذي تكون مغفرته في حد الطمع الخ فانه لا يصح أن يكون على جهة التفسير للخليل ولا تعلق له بمعناه) وكذا الفرق الثاني وهذا قدمه المصنف بمعناه (وقصارى) يعني غاية (ما ذكره) في الثلاثة (أنه يعطي تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على ابراهيم عليه الصلاة والسلام في حد ذاته من غير نظر الى ما جعله علة معنوية في ذلك من وصف المحبة والخلة) وليس الكلام في التفضيل الذاتي فلا معنى لذكره فرقا بين الصفتين لكن قد أشار عياض الى الجواب بأنه وان تعلق بذات الحبيب والخليل فالمقصود تفاوت وصفيهما فيرجع ذلك الى بيانهما فان منهم من يسلك مسلك التصريح ومنهم من يقصد الايماء والتلويح فقال أعني عياضا بعد ذكر الفروق وفيما ذكرناه أي من تفسير المحبة والخلة واشتقاقهما تنبيه على مقصد أصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا (والحق ان الخلة أعلى وأكمل وأفضل من المحبة) لانها خالص المحبة وصفاؤها ولذا قيل

قد تخللت مسلك الروح مني * وبذا سمي الخليل خليلا

فاذا ما نطقت كنت حديثي * واذا ما سكت كنت الغليلا

بغين معجمة ما داخل القلب وفي رواية الدخيلا أي ما داخل القلب والبدن (قال ابن القيم وأما

وماله لورثته وقال غيره من أصحاب مالك رحمه الله يجلد جلدا وجيعا ويطال حبسه وينفى من موضع يقرب من الكفار وقال ابن القاسم يقتل ولا يعرف لهذا توبة وهو كالزنديق وقال الشافعي وأبو حنيفة وأحمد رحمهم الله لا يقتل والفريقان احتجوا بقصة حاطب وقد تقدم ذكر وجه احتجاجهم ووافق ابن عقيل من أصحاب أحمد مالكا وأصحابه

(فصل في حكمه في الاسرى) ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الاسرى انه قتل بعضهم ومن على بعضهم وفادى بعضهم بمال وبعضهم باسرى من المسلمين واسترق بعضهم ولكن المعروف انه لم يسترق رجلا بالغا فقتل يوم بدر من الاسرى عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث وقتل من يهود جماعة من الاسرى كثيرين وفادى أسرى بدر بالمال بأربعة آلاف الى أربعمائة وفادى بعضهم على تعليم جماعة من المسلمين الكتابة ومن على أبي عزة الشاعر

يوم بدر وقال في أسارى بدر لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لاطلقتهم له وفدى رجلين من المسلمين برجل من

ما يظنه بعض الغالطين من ان المحبة أكمل من الخلة وأن ابراهيم خليل الله ومحمدا حبيب الله فمن جهله فان المحبة عامة) له ولغيره (والخلة خاصة) فكيف يكون العام أفضل (والخلة نهاية المحبة) فكيف تفضلها البداية (قال وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله اتخذه خليلا ونفى أن يكون له خليل غير ربه مع اخباره بحبه لعائشة ولابيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم) فهذا يدل على أن الخلة أعلى (وأيضا فانه تعالى أخبر أنه يحب التوابين) من الذنوب (ويحب المتطهرين) من الاقذار (ويحب الصابرين ويحب المحسنين) أي يثيبهم (ويحب المتقين) الصائرين الى التقوى بامتثال الاوامر واجتناب النواهي لاتقائهم بذلك النار (ويحب المقسطين) العادلين من أقسط اذا عدل (وخلته خاصة بالخليلين) محمد وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فهذا يفيد انها أفضل (قال وانما هذا) الذى قالوه من تفضيل المحبة (من قلة العلم والفهم عن الله ورسوله انتهى) كلام ابن القيم وفى حصره اساءة أدب على أكثر العلماء (وقال الشيخ بدر الدين الزركشى فى شرحه لبردة الابوصيرى) صوابه البوصيرى نسبة الى بوصير كما تقدم مرارا (وزعم بعضهم ان المحبة أفضل من الخلة قال) محتجا لذلك (محمد حبيب الله وابراهيم خليل الله) ومحمد أفضل فصفته أفضل (وضعف لان الخلة خاصة وهى توجد المحبة) لان الخاص يزيد على العام والمحبة عامة فلا توجد الخلة (قال الله تعالى ان الله يحب التوابين قال وقد صح ان الله اتخذ نبينا خليلا) فثبتت له الصفتان (فقال ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا) الحديث رواه ابن ماجه ومر قريبا (انتهى) قول الزركشى

(الفصل الثانى فى حكم الصلاة عليه والتسليم) أى بيان ما ثبت لهما (فرضية) على أمته (وسنية وفضيلة) لهما (وصفة ومحلا) بالنصب على التمييز فجعل الصفة والمحل من الاحكام لان المراد بالحكم ما ثبت لهما من النسب فلا يختص بالاحكام الخمسة (قال الله تعالى ان الله وملائكته) نصب بالعطف على اسم ان وقرأه ابن عباس بالرفع على محل ان واسمها وهو ظاهر على رأى الكوفيين ووجهه عند البصريين ان الخبر محذوف لدلالة يصلون عليه قاله الكشاف (يصلون على النبي) أورد أن الصلاة من الله غيرها من الملائكة وقد جمع بينهما بلفظ واحد وأجيب بأنها مستعملة فى معنى مشترك بينهما وهو يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شأنه والجملة اسمية خبرها مضارع لافادة الاستمرار التجددى فالملائكة استمرت صلاتهم عليه وهذه منقبة لم توجد لغيره أعظم من سجود الملائكة لآدم الذى وقع وانقطع وقال على النبي دون الرسول تنويها بقدره فالنبوة عند بعض أشرف من الرسالة لانها اتصال بالله واشتغال به والرسالة اشتغال بالناس (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) اعتنوا أيضا فانكم أولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد (وسلموا تسليما) قولوا السلام عليك أيها النبي وقيل انقادوا الأوامره وأكد السلام وخصه بالمؤمنين لان الصلاة مؤكدة معنى بصدورها من الله وملائكته فكيف لا تصلى عليه أمته وبانها مؤكدة بان والجملة الاسمية والسلام سواء كان بمعنى الانقياد أو السلام من الايذاء لا يليق اسناده الى الله وملائكته فاستحق التأكيد لصدوره خلافه من جنسهم ولا يرد قوله سلام على ابراهيم وقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام لانه تحية واكرام وصدر المصنف بهذه الآية لاظهار مدعاه لان الامر محتمل للوجوب والندب (قال أبو العالية) رفيع بن مهران التابعى الكبير (معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه) بمدحه وبيان منزلته لديه (عند الملائكة) بحيث يطلعون على ذلك (ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء) له (قال فى فتح البارى وهذا أولى الاقوال) أحقها بالقبول (فيكون معنى صلاة الله عليه ثناؤه عليه وتعظيمه و) معنى (صلاة الملائكة وغيرهم طلب ذلك له من الله تعالى) كان يقال نسألك أن تثنى عليه وتعظمه بما يليق به (والمراد طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة) لحصولها مع

بأثر

المشركين وفدى رجالا من المسلمين بامرأة من السبي استوهبها من سلمة بن الاكوع ومن على ثمامة بن اثال وأطلق يوم فتح مكة جماعة من قريش فكان يقال لهم الطلقاء وهذه أحكام لم ينسخ منها شئ بل يخير الامام فيها بحسب المصلحة واسترق من أهل الكتاب وغيرهم فسبايا أوطاس وبنى المصطلق لم يكونوا كتابيين وانما كانوا عبدة أوثان من العرب واسترق الصحابة من سبي بنى حنيفة ولم يكونوا كتابيين قال ابن عباس رضى الله عنهما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاسرى بين الفداء والمن والقتل والاستعباد يفعل ما شاء هذا هو الحق الذى لا قول سواه

(فصل) وحكم فى اليهود بعدة قضايا فعاهدهم أول مقدمه المدينة ثم حاربه بنو قينقاع فظفر بهم ومن عليهم ثم حاربه بنو النضير فظفر بهم وأجلاهم ثم حاربه بنو قريظة فظفر بهم وقتلهم ثم حاربه أهل خيبر فظفر بهم وأقرهم فى أرض خيبر ما شاء سوى من قتل منهم ولما حكم سعد ابن معاذ فى بنى قريظة بان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتغنم أموالهم أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا حكم الله عز وجل من فوق سبع سموات

سائر الكمالات اللائقة بالبشر فأى تعظيم يطلب له مع أنه معظم مبجل فهو جواب سؤال مقدر حاصله ان الزيادة يقبلها المكمل (وعن ابن عباس ان معنى صلاة الملائكة الدعاء بالبركة) فقال كما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي أي يدعون له بزيادة بركة لائقة بمقامه وشريف قدره وظهور شريعته والانقياد اليها والعمل بها ظاهرا او باطنا وذلك يعود ثوابه مضاعفا له صلى الله عليه وسلم وأصل معنى البركة الزيادة والنماء (وروى ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان) بفتح المهملة والتحتية الثقيلة النبطي بفتح النون والموحدة أبي بسطام البلخي الخزاز بمعجمة وزاين منقوطتين صدوق فاضل روى له مسلم وأصحاب السنن وأخطأ الازدي في زعمه ان وكيعا كذبه وانما كذب مقاتل ابن سليمان مات قبيل الخمسين ومائة بأرض الهند قاله الحافظ (قال صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار) كقوله ويستغفرون للذين آمنوا وحديث اللهم اغفر له اللهم ارحمه (وقال الضحاك بن مزاحم) الهلالي أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني صدوق كثير الارسال روى له أصحاب السنن مات بعد المائة (صلاة الله رحمته وفي رواية عنه مغفرته وصلاة الملائكة الدعاء أخرجهما اسمعيل) بن اسحق ابن اسمعيل بن حماد بن زيد البصري ثم البغدادي (القاضي) بها نحو خمسين سنة الامام الحافظ الفقيه المالكي صاحب التصانيف شيخ الاسلام بالعراق وثناء الناس عليه كثير ولد سنة تسع وتسعين ومائة ومات فجأة سنة اثنتين وثمانين ومائتين (عنه) أي عن الضحاك (وكأنه يريد الدعاء بالمغفرة ونحوها) فيوافق قول غيره الصلاة من الملائكة الاستغفار (وقال المبرد الصلاة من الله الرحمة) أي الانعام أو ارادته لان المعنى الحقيقي للدعاء لا يتصور في حق الله تعالى فأريد به لازمه وغايته (ومن الملائكة رقة شفقة ومحبة (تبعث على استدعاء الرحمة) من الله أي طلبها والدعاء بها وتعقب تفسيره الصلاة من الله بالرحمة (بأن الله غاير بين الصلاة والرحمة في قوله سبحانه أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) وأجيب بان الصلاة الرحمة المقرونة بالتعظيم فهي أخص من مطلق الرحمة وعطف العام على الخاص كثير مستعمل (وكذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما حتى سألوه عن كيفية الصلاة عليه) لفظ مولد نسب لكيف اسم الاستفهام لان من شأنها أن يسأل بها عن مثله (مع تقدم ذكر الرحمة في تعليم السلام حيث جاء بلفظ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم لقد علمتم ذلك في السلام) والجواب ما قد علم فسؤالهم دل على أن الصلاة أخص من مطلق الرحمة (وجوز الحليمي أن تكون الصلاة بمعنى السلام عليه وفيه نظر) لان الله تعالى أخبر بأنه صلى على نبيه وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه فدل على تغايرهما وفي أن معنى السلام السلامة لك ومعك أو من أسماء الله أي السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به أو بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون الى قوله ويسلموا تسليما أقوال في الشفاء ليس فيها ما يصلح تفسيرا للصلاة مع ملاحظة معناها اللغوي (وقيل صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة فتكون صلاته على أنبيائه هي ما تقدم من الثناء والتعظيم وصلاته على غيرهم الرحمة فهي التي وسعت) عمت (كل شئ) في الدنيا وهذا يشبه الجمع بين القولين (وحكى القاضي عياض عن بكر) بن العلاء (القشيري) نسبة لقشير بالتصغير قبيلة البصري ثم المصري (انه قال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من الله تشريف وزيادة تكرمة) أي تكريم بضم الراء كمكرمة كما ضبطه التلمساني وغيره وهما مصدران (وعلى من دون النبي رحمة) لاحتياجهم اليها اذ لا يخلو غير الانبياء من نوع تقصير (وبهذا يظهر الفرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين سائر المؤمنين حيث قال تعالى في سورة الاحزاب ان الله وملائكته يصلون على النبي وقال قبل ذلك

وتضمن هذا الحكم ان ناقض العهد يسري نقضه الى نسائهم وذريتهم اذا كان نقضهم بالحراب ويعودون أهل حرب وهذا عين حكم الله عز وجل

(فصل في حكمه صلى الله عليه وسلم) في فتح خيبر حكم يومئذ باقرار يهود فيها على شطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع وحكم بقتل ابني أبي الحقيق لما نقضوا الصلح بينهم وبينه على ان لا يكتموا ولا يغيبوا شيأ من أموالهم فكتموا وغيبوا وحكم بعقوبة المتهم بتغييب المال حتى أقر به وقد تقدم ذلك مستوفى في غزوة خيبر وكانت لاهل الحديبية خاصة ولم يغب عنها الا جابر بن عبد الله فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمه

(فصل في حكمه صلى الله عليه وسلم) في فتح مكة حكم بان من أغلق بابه أو دخل دار أبي سفيان أو دخل المسجد أو وضع السلاح فهو آمن وحكم بقتل نفر ستة منهم مقيس بن صبابة وابن خطل ومغنيتان كانتا تغنيان بهجائه وحكم بانه لا يجهز على جريح ولا يتبع مدبر ولا يقتل أسير ذكره أبو عبيد في الاموال وحكم لخزاعة ان يبذلوا سيوفهم في بني بكر الى صلاة العصر ثم قال لهم يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل

*(فصل في حكمه صلى الله

فى السورة المذكورة هو الذى يصلى عليكم وملائكته) ليخرجكم من الظلمات الى النور (ومن المعلوم ان القدر الذى يليق بالنبى صلى الله عليه وسلم من ذلك أرفع مما يليق بغيره) فاتضح الفرق بين الصلاتين (والاجماع منعقد على ان فى هذه الآية من تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم والتنويه به ماليس فى غيرها وقال الحليمى فى) كتاب (الشعب) أى شعب الايمان (معنى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم تعظيمه فمعنى قولنا اللهم صل على محمد عظم محمدا) تعظيما لائقا به (والمراد تعظيمه فى الدنيا باعلاء ذكره واظهار دينه وابقاء شريعته وفى الآخرة باجزال مثوبته) تكثير ثوابه (وتشفيعه فى أمته وابداء) اظهار (فضيلته بالمقام المحمود) الذى يحمده فيه الاولون والآخرون (وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى صلوا عليه ادعوا ربكم بالصلاة عليه انتهى ولا يعكر عليه عطف آله وأزواجه وذريته عليه) فى حديث أبى حميد انهم قالوا يارسول الله كيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وآله وأزواجه وذريته (فانه لا يمتنع أن يدعى لهم بالتعظيم) لانهم لذلك أهل (اذ تعظيم كل أحد بحسب مايليق به) فلهم تعظيم دون تعظيمه (و) لكن (ما تقدم عن أبى العالية أظهر) من كلام الحليمى (فانه يحصل به استعمال لفظ الصلاة بالنسبة الى الله والى ملائكته والى المأمورين بذلك) أى المؤمنين (بمعنى واحد ويؤيده انه لاخلاف فى جواز الترحم على غير الانبياء) لفظة غير ثابتة فى النسخ الصحيحة منها مقروأة على المصنف وحذفها يفسد المعنى الذى هو اتفق على جواز الترحم على من عدا الانبياء (واختلفوا فى جواز الصلاة على غير الانبياء) على ثلاثة أقوال (ولو كان معنى قولنا اللهم صل على محمد ارحم محمدا أو ترحم على محمد لجاز) لفظ صل (لغير الانبياء) باتفاق لان معناهما واحد فلما اختلف فى ذلك علم انهما ليسا بمعنى (و) كذا (لو كان) لفظ الصلاة (بمعنى البركة وكذلك) لو كان معنى (الرحمة) معنى الصلاة (لسقط الوجوب فى التشهد عند من يوجبه) كالشافعى (بقول المصلى فى التشهد السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته) لسبق الاتيان بمعناه مع انه لم يسقط (ويمكن الانفصال) الجواب (عنه) أى المذكور من قوله بمعنى البركة وكذلك الرحمة (بأن ذلك وقع بطريق التعبد) بلفظ الصلاة (فلابد من الاتيان به ولو سبق الاتيان بما يدل عليه) ولم يجب عن قوله لو كان معنى اللهم صل على محمد الخ وأجاب شيخنا بأنهم كثيرا ما يستعملون فى المتساوى بين العطف التفسيرى فيمكن الحمل عليه هنا لانه لما خفى معنى الصلاة فسرها بالرحمة ايضاحا (فان قيل فى أى وقت وقع الامر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم) فى الآية (فالجواب كما قاله) الكاف بمعنى على أو اللام أو الكلام من حيث صدوره عن المشبه غيره من حيث صدوره عن المشبه به فلا يرد حيث كان لغيره فلم نسبه لنفسه (أبو ذر الهروى) الامام العلامة الحافظ عبد بلا اضافة ابن أحمد بن محمد الانصارى المالكى شيخ الحرم سمع ابن حمويه والدارقطنى وغيرهما وله تصانيف وكان زاهدا عابدا ورعا حافظا كثير الشيوخ مات فى شوال سنة أربع وثلاثين وأربعمائة (انه وقع فى السنة الثانية من الهجرة وقيل فى ليلة الاسراء) وكان بمكة وفى وقته خلاف مر (وقيل ان شهر شعبان شهر الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لان آية الصلاة يعنى ان الله وملائكته يصلون على النبى نزلت فيه) فينبغى الاكثار منها فى شعبان

(والله أعلم) ثم بين فائدة مستقلة ليست مبينة لشئ مما ترجم به بقوله (قال الحليمى والمقصود بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم التقرب الى الله تعالى بامتثال أمره) وفى نسخة أوامره بالجمع (وقضاء بعض حق النبى صلى الله عليه وسلم علينا وتبعه) العلامة الحافظ عز الدين (بن عبد السلام فقال فى الباب الثامن من كتابه المسمى بشجرة المعارف ليست صلاتنا على النبى صلى الله عليه وسلم شفاعة له فان مثلنا لا يشفع لمثله) بل هو الشفيع لنا (ولكن الله أمرنا بمكافأة من أحسن الينا) على احسانه بمثله أو خير منه

عليه وسلم) * فى قسمة الغنائم حكمه صلى الله عليه وسلم ان للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهم هذا حكمه الثابت عنه فى مغازيه كلها وبه أخذ جمهور العلماء وحكم ان السلب للقاتل وأما حكمه باخراج الخمس فقال ابن اسحق كانت الخيل يوم بنى قريظة ستة وثلاثين فرسا وكان أول فئ وقعت فيه السهمان وأخرج منه الخمس ومضت به السنة ووافقه على ذلك القاضى اسمعيل بن اسحق فقال اسمعيل وأحسب ان بعضهم قال ترك أمر الخمس بعد ذلك ولم يأت فى ذلك من الحديث ما فيه بيان شاف وانما جاء ذكر الخمس يقينا فى غنائم حنين وقال الواقدى أول خمس خمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام نزلوا على حكمه فصالحهم على أن له أموالهم ولهم النساء والذرية وخمس أموالهم وقال عبادة بن الصامت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر فلما هزم الله العدو وتبعتهم طائفة

بياض بالاصل

يقتلونهم وأحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة استولت على العسكر والغنيمة فلما رجع الذين طلبوهم قالوا لنا النفل ونحن طلبنا العدو وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم

(ولم يحسن الينا أحد مثل احسانه فان عجزنا عنه كافأناه بالدعاء) كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث ومن صنع اليكم معروفا فكافؤه فان لم تجدوا ما تكافؤنه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه رواه أحمد وأبو داود والنسائى وصححه ابن حبان والحاكم عن ابن عمر (فأرشدنا الله لما علم عجزنا) بفتح اللام وشد الميم أى لما تعلق علمه بعجزنا أو بكسر اللام وخفة الميم أى لعلمه تعالى الازلى بعجزنا (عن مكافأة نبينا الى الصلاة عليه) وطلبها منه تعالى لقصورنا عن المجازاة فأحالها على الله ونعم المجازى هو (وذكر نحوه عن الشيخ أبى محمد) عبد الله بن محمد القرشى (المرجانى) الامام القدوة الواعظ المفسر أحد الاعلام فى الفقه والتصوف مات بتونس سنة تسع وتسعين وستمائة (وقال ابن العربى) محمد الامام الحافظ الفقيه (فائدة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ترجع الى الذى يصلى عليه لدلالة ذلك على نصوح العقيدة) أى خلوصها من الريبة والشك (وخلوص النية واظهار المحبة) لان من أحب شيأ أكثر ذكره (والمداومة على الطاعة) المأمور بها فى القرآن (والاحترام) التعظيم (للواسطة الكريمة) المبلغ لذلك (صلى الله عليه وسلم واختلف فى حكم الصلاة عليه صلوات الله وسلامه عليه على أقوال) عشرة (أحدها أنها تجب فى الجملة) أى اجمالا (من غير حصر) فى عدد ولا وقت مع القدرة على ذلك كما قال عياض فان عجز سقط كسائر الواجبات (لكن أقل ما يحصل به الاجزاء مرة) واحدة فى العمر وعبر بالاستدراك لدفع ما يتوهم من قوله بغير حصر أنها لا تكفى وأنه لا بد من قدر يعد كثيرا عرفا قال عياض الواجب مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك مندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار أهله انتهى فاستظهار وقوع ما زاد عليها واجبا كفرض الكفاية ممنوع فهذا واجب عينى (الثانى يجب الاكثار منها من غير تقييد بعدد قاله القاضى أبو بكر) محمد بن أحمد بن عبد الله (بن بكير) بالتصغير التميمى البغدادى هذا هو المشهور فى اسمه ونسبه وقيل اسمه أحمد بن محمد بن بكير وقيل محمد بن بكير لا غيره (من المالكية) تفقه باسمعيل القاضى وهو من كبار أصحابه الفقهاء الثقات له أحكام القرآن وكتاب الرضاع وكتاب فى الخلاف وكان فقيها جدليا ولى القضاء وتوفى سنة خمسين وثلثمائة (وعبارته كما قاله) نقله (القاضى عياض) عنه (افترض الله تعالى) أى فرض لكن فيه زيادة تأكيد لزيادة بنائه (على خلقه) جميعا (أن يصلوا على نبيه صلى الله عليه وسلم ويسلموا تسليما) كما روى عن ابن عباس من فرض الصلاة والسلام فهذان امامان من المالكية ابن بكير وعياض قائلان بوجوب السلام كالصلاة ولذا قال الرصاع كما نقل الحطاب الظاهر من الآية فرضية السلام وما نقل عن بعض المغاربة من التوقف فى وجوبه لا أصل له والحق انه كالصلاة انتهى قال بعضهم وينبغى ذكره مع مصدره المؤكد امتثالا للامر (ولم يجعل ذلك الفرض) (لوقت معلوم) اللام للتأقيت والظرفية نحو جئت لخمس خلون من الشهر وقوله تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس (فالواجب أن يكثر المرء) الانسان ولو امرأة تغليبا (منها) من الصلاة بما يعد عرفا كثرة (ولا يغفل عنها) بتركها وفى افهامه تكثيرها فى كل يوم وليلة (الثالث يجب كلما) بالنصب ظرف (ذكر قاله الطحاوى) أحمد بن محمد بن سلامة (وعبارته يجب كلما سمع ذكر النبى صلى الله عليه وسلم من غيره أو ذكره بنفسه) وظاهره ذكر بالاسم الظاهر أو الضمير فى صلاة أو غيرها (وجماعة من الحنفية والحليمى وجماعة من الشافعية) كأبى اسحق وأبى حامد الاسفراينى وجمع من المالكية منهم الطرطوشى والفاكهانى (وقال ابن العربى من المالكية انه الاحوط) لامتثال الامر (وكذا قاله الزمخشرى واستدلوا لذلك بحديث من ذكرت عنده فلم يصل على فمات) تاركا للصلاة على والتعقيب عرفى كتزوج فولد له (فدخل النار) عقوبة له على ترك الصلاة (فأبعده الله) عن رحمته ونعيم جنته (أخرجه ابن حبان من حديث أبى هريرة) ورواه أيضا بلفظ آخر هو وابن خزيمة وغيرهما عن أبى هريرة

نحن أحق به لانا أحدقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا ينال العدو غرته وقال الذين استولوا على العسكر هو لنا نحن حويناه فأنزل الله عز وجل يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بواء قبل ان ينزل واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه وقال القاضى اسمعيل انما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموال بنى النضير بين المهاجرين وثلاثة من الانصار سهل بن حنيف وأبى دجانة والحرث بن الصمة ان المهاجرين حين قدموا المدينة شاطرهم الانصار ثمارهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئتم قسمت أموال بنى النضير بينكم وبينهم وأقمتم على مواساتكم فى ثماركم وان شئتم أعطيناها للمهاجرين دونكم وقطعتم عنهم ما كنتم تعطونهم من ثماركم فقالوا بل تعطيهم دوننا ونمسك ثمارنا فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين فاستغنوا بما أخذوا واستغنى الانصار بما رجع اليهم من ثمارهم وهؤلاء الثلاثة من الانصار شكوا حاجة *(فصل)* وكان طلحة ابن عبيد الله وسعيد بن زيد رضى الله عنهما بالشام لم يشهدا بدرا انقسم لهما رسول الله

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين آمين آمين فقيل انك صعدت المنبر فقلت آمين آمين آمين فقال ان جبريل أتاني فقال من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين (وحديث رغم أنف) بكسر الغين وتفتح قيل وهو أفصح أي لصق بالتراب وهو كناية عن غاية الذل والهوان (من) لفظ الحديث رجل (ذكرت عنده) فأبدله بمن لافادة ان رجل وصف طردي والمراد رجل أو امرأة (فلم يصل علي) أي لحقه ذل وخزي جزاء له على ترك تعظيمي أو خاب وخسر من قدر أن ينطق بأربع كلمات توجب له عشر صلوات من الله ورفع عشر درجات وحط عشر سيئات فلم يفعل لان الصلاة عبارة عن تعظيمه فمن عظمه عظمه الله ومن تركه أهانه وحقر شأنه قال الطيبي الفاء استبعادية كثم في قوله تعالى ثم أعرض عنها والمعنى بعيد من العاقل أن يتمكن من اجراء كلمات معدودة على لسانه فيفوز بما ذكر فلم يغتنمه حتى يموت فحقيق أن يذله الله وتعقب بأن جعلها للتعقيب أولى ليفيد ذم التراخي عن تعقيب الصلاة عليه بذكره (رواه الترمذي) وقال حسن غريب (من حديث أبي هريرة) بزيادة ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة (وصححه الحاكم) بعد أن رواه مطولا كذلك قال الحافظ وله شواهد (وحديث شقي عبد ذكرت عنده فلم يصل علي) حيث أحرم نفسه الثواب الجزيل (أخرجه الطبراني من حديث جابر لان الدعاء بالرغم والابعاد والشقاء يقتضي الوعيد والوعيد على الترك من علامات الوجوب) لان المستحب لا يتوعد على تركه اذ لا عقاب فيه وهذه أدلة من حيث اللفظ (و) استدلوا الثالث (من حيث المعنى أن فائدة الامر بالصلاة عليه مكافأته على احسانه واحسانه مستمر) حتى باستغفاره لنا في قبره (فتتأكد مكافأته اذا ذكر واستدلوا أيضا بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فلو كان اذا ذكر لا يصلى عليه كان كآحاد الناس) لان عدم الصلاة حينئذ اعراض وقد نهينا عن الاعراض عنه عند ذكره كما دلت عليه الآية الشريفة وان كان فيها تفاسير تقدمت في المتن (وأجاب من لم يوجب ذلك بأجوبة منها انه قول لا يعرف عن أحد من الصحابة ولا التابعين فهو قول مخترع مبتدع) وأجيب بان القائلين بالوجوب من أئمة النقل فكيف يسعهم خرق الاجماع على أنه لا يكفي في الرد عليهم كونه لم يحفظ عن صحابي ولا تابعي وانما يتم الرد ان حفظ اجماع مصرح بعدم الوجوب كلما ذكر وأني به (ولو كان على عمومه للزم المؤذن اذا أذن) أن يصلي لانه ذكره في الاذان (وكذا سامعه وللزم القارئ اذا مر بآية فيها ذكره عليه الصلاة والسلام في القرآن) أن يصلي عليه (وللزم الداخل في الاسلام اذا تلفظ بالشهادتين ولكان في ذلك من المشقة والحرج ما جاءت الشريعة المطهرة السمحة السهلة (بخلافه) يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ما جعل عليكم في الدين من حرج وأجيب بأنه مخصوص بما لم يكن في الصلاة ونحوها على انه يمكنهم التزام ذلك ولا كبير حرج فيه (ولكان الثناء على الله كلما ذكر أحق بالوجوب) لان حق الله آكد (ولم يقولوا بوجوبه) أي الثناء على الله وأجيب بان جماعة صرحوا بالوجوب في حقه تعالى أيضا وبالفرق بأن حق الله غير مطلق وعظمته لا تتوقف على ذكرها وأن هذا حق العبد وذاك حق الله وهو مبني على المسامحة دون المشاحة وزعم انه حق الله أيضا لأمره به ناشئ من عدم فهم المراد بحق الله (و) لكن (قد أطلق القدوري وغيره من الحنفية ان القول بوجوب الصلاة عليه كلما ذكر مخالف للاجماع المنعقد قبل قائله) فهو محجوج به (لانه لا يحفظ عن أحد من الصحابة أنه خاطب النبي صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم سهميهما فقالا وأجورنا يارسول الله فقال وأجوركما وذكر ابن هشام وابن حبيب ان أبا لبابة والحرث بن حاطب وعاصم بن عدي خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فردهم وأمر أبا لبابة على المدينة وابن أم مكتوم على الصلاة وأسهم لهم والحرث بن الصمة كسر بالروحاء فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه قال ابن هشام وخوات ابن جبير ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه ولم يختلف أحد ان عثمان بن عفان رضي الله عنه تخلف على امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب له بسهمه فقال وأجري يارسول الله قال وأجرك قال ابن حبيب وهذا خاص للنبي صلى الله عليه وسلم وأجمع المسلمون ان لا يقسم لغائب قلت وقد قال أحمد ومالك وجماعة من السلف والخلف ان الامام اذا بعث أحدا في مصالح الجيش فله سهمه قال ابن حبيب ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يسهم للنساء والصبيان والعبيد ولكن كان يحذيهم من الغنيمة

(فصل) وعدل في قسمة الابل والغنم كل عشرة منها ببعير فهذا في التقويم وقسمة المال المشترك وأما في الهدي فقد قال جابر نحرنا مع رسول الله صلى الله

فقال

فقال يارسول الله صلى الله عليك) وذلك أقوى الادلة على عدم الوجوب وأجيب بانه ورد في عدة طرق عن جماعة من الصحابة انهم قالوا يارسول الله صلى الله عليك (ولانه لو كان كذلك لما تفرغ لعبادة أخرى) لكثرة ذكره صلى الله عليه وسلم وأجيب بمنع ذلك بل يمكن التفرغ لعبادات أخر (وأجابوا عن الاحاديث) السابقة (بانها خرجت مخرج المبالغة في تأكيد ذلك وطلبه) فلا تدل على الوجوب (وفي حق من اعتاد ترك الصلاة عليه ديدنا) أي عادة مستمرة وأجيب بأن حمل الاحاديث على ماذكر لا يكفي الامع بيان سنده ولم يبينوه (وبالجملة فلا دلالة على وجوب تكرار ذلك بتكرار ذكره صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد) وقيل انه مبني على أن الامر يفيد التكرار وهو ضعيف (انتهى ملخصا والله أعلم) بالحق من ذلك (الرابع) تجب (في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مرارا في المجلس حكاه الزمخشري الخامس في كل دعاء حكاه) الزمخشري (أيضا) وكأن قائله تعلق بحديث لا تجعلوني كقدح الراكب الى أن قال ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره (السادس أنها من المستحبات وهو قول) المجتهد المطلق محمد (بن جرير الطبري وادعى الاجماع على ذلك) وحمل عليه الآية (واحتج على ذلك مع ورود صيغة الامر بذلك بالاتفاق) متعلق باحتج (من جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة على أن ذلك غير مستلزم فرضيتها حتى يكون تارك ذلك عاصيا فدل) هذا الاتفاق (على أن الامر فيه للندب ويحصل الامتثال لمن قاله ولو كان خارج الصلاة) وفي الشفاء حمل الأئمة والعلماء الامر على الوجوب وأجمعوا عليه وحمله الطبري على الندب وادعى الاجماع واعله فيما زاد على مرة (قال في فتح الباري وما ادعاه من الاجماع معارض بدعوى غيره الاجماع على مشروعية ذلك في الصلاة اما بطريق الوجوب) كما يقول الشافعي (واما بطريق الندب) كما يقول غيره (ولا يعرف عن السلف لذلك مخالف الا ما أخرجه ابن أبي شيبة) عبد الله بن محمد بن ابراهيم وهو أبو شيبة (والطبراني عن ابراهيم النخعي انه كان يرى ان قول المصلي في التشهد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته مجزئ عن الصلاة) عليه صلى الله عليه وسلم بعد تمام التشهد (ومع ذلك انما ادعى) النخعي (اجزاء السلام عن الصلاة) وذلك لا ينفي مشروعيتها ندبا أو وجوبا (السابع تجب في العمر مرة في الصلاة أو غيرها كـكلمة التوحيد قاله أبو بكر الرازي) أحمد بن علي بن حسين الامام الحافظ محدث نيسابور (من) أئمة (الحنفية) سمع أبا حاتم وعثمان الدارمي وعنه أبو علي وأبو أحمد الحاكم قال ابن عقدة كان من الحفاظ مات سنة خمس عشرة وثلثمائة (الثامن تجب في الصلاة من غير تعيين المحل ونقل ذلك عن أبي جعفر الباقر) بالقاف لانه بقر العلم وهو محمد بن علي بن الحسين (التاسع تجب في التشهد) صادق بالاول والاخير (وهو قول الشعبي) عامر بن شراحيل التابعي (واسحق بن راهويه) أحد الائمة (العاشر تجب في القعود آخر الصلاة بين قول التشهد وبين سلام التحلل) الذي هو الاول (قاله الشافعي ومن تبعه واستدل لذلك بما رواه أصحاب السنن وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن أبي مسعود) عقبة بن عمرو بن ثعلبة الانصاري (البدري) الصحابي الجليل مات قبل الاربعين وقيل بعدها (أنهم) أي الصحابة وسمى منهم أبي وبشير بن سعد وزيد بن خارجة وطلحة وأبو هريرة وعبد الرحمن بن بشير (قالوا يارسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك في صلاتنا فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الحديث) يأتي تمامه في صفة الصلاة (ومعنى قولهم أما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في التشهد الذي كان قد علمهم اياه كما يعلمهم السورة من القرآن وفيه السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ورواه الشافعي في مسنده عن أبي هريرة مثله) أي حديث أبي مسعود (وقد احتج بهذه الزيادة) يعني قوله في صلاتنا (جماعة من الشافعية منهم ابن خزيمة والبيهقي

عليه وسلم عام الحديبية البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فهذا في الحديبية وأما في حجة الوداع فقال جابر أيضا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نشترك في الابل والبقر كل سبعة منا في بدنة وكلاهما في الصحيح وفي السنن من حديث ابن عباس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان علي بدنة وأنا موسر بها ولا أجدها فاشتريها فأمره ان يبتاع سبع شياه فيذبحهن

(فصل في حكم النبي صلى الله عليه وسلم)

بالسلب كله للقاتل ولم يخمسه ولم يجعله من الخمس بل من أصل الغنيمة وهذا حكمه وقضاؤه قال البخاري في صحيحه السلب للقاتل انما هو من غير الخمس وحكم به بشهادة الواحد وحكم به بعد القتل فهذه أربعة أحكام تضمنها حكمه صلى الله عليه وسلم بالسلب لمن قتل قتيلا وقال مالك وأصحابه السلب لا يكون الا من الخمس وحكمه حكم النفل قال مالك ولم يبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك ولا فعله في غير يوم حنين ولا فعله أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما قال ابن المواز ولم يعط غير البراء بن مالك سلب قتيله وخمسه قال أصحابه قال الله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه فجعل

لايجاب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم قبل السلام (ويأتى انه ليس فيه على تسليمه مايدل على كونه قبل السلام (وقال الشافعى فى الام فرض الله الصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ولم يكن فرض الصلاة عليه فى موضع أولى) أحق (منه فى الصلاة ووجدنا الدلالة عن النبى صلى الله عليه وسلم بذلك أخبرنا ابراهيم ابن محمد) بن أبى يحيى الاسلمى أبو اسحق المدنى متروك مات سنة اربع وثمانين وقيل سنة احدى وتسعين ومائة قال (حدثنا صفوان بن سليم) بضم السين المدنى العابد الثقة المفتى (عن أبى سلمة) اسمعيل أو عبد الله أو اسمه كنيته ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المدنى الثقة كثير الحديث (عن أبى هريرة انه قال يارسول الله كيف نصلى عليك يعنى فى الصلاة قال تقولون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم الحديث) ترك بقيته لان مقصوده منه قوله يعنى الصلاة قال الشافعى أيضا (أخبرنا ابراهيم بن محمد) السابق فيما قبله (قال حدثنى سعيد بن اسحق بن كعب بن عجرة) بضم العين وسكون الجيم (عن عبد الرحمن بن أبى ليلى) الانصارى المدنى ثم الكوفى تابعى كبير ثقة من رجال الجميع مات بوقعة الجماجم سنة ثلاث وثمانين قيل انه غرق (عن كعب بن عجرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول فى الصلاة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم الحديث) الآتى قريبا والغرض منه هنا قوله فى الصلاة (قال الشافعى فلما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم التشهد فى الصلاة وروى انه علمهم كيف يصلون عليه فى الصلاة لم يجز أن يقول التشهد فى الصلاة واجب والصلاة عليه فيه غير واجبة) بل سنة أو مستحبة لانه تحكم وهذا بناء على مذهبه ان التشهد واجب اما على مذهب غيره انه سنة فتجه بل لايتأتى الاستدلال بذلك ان سلم الا على من يقول بوجوب التشهد (وقد تعقب بعض المخالفين هذا الاستدلال من أوجه أحدها ضعف) شيخه فى الحديثين المذكورين (ابراهيم بن محمد ابن أبى يحيى والكلام فيه) لاصحاب الحديث (مشهور) فقال الامام أحمد هو قدرى معتزلى جهمى كل بلاء فيه وقال يحيى القطان انه كذاب وقال البخارى جهمى تركه ابن المبارك والناس وقال ابن عبد البر مجمع على تجريحه وضعفه غير الشافعى منه حذقه ونباهته فروى عنه (الثانى على تقدير صحته فقوله فى الاول يعنى فى الصلاة لم يصرح بالقائل يعنى) حتى يعلم هل هو ممن يقبل تفسيره أم لا (الثالث قوله فى) الحديث (الثانى انه كان يقول فى الصلاة وان كان ظاهره انه فى الصلاة المكتوبة لكنه يحتمل أن يكون المراد بقوله فى الصلاة أى فى صفة الصلاة عليه) اذا أرادوها فى صلاة أو غيرها كسماع ذكره فلا دلالة فيه على المدعى (وهو احتمال قوى لان أكثر الطرق عن كعب بن عجرة يدل على ان السؤال وقع عن صفة الصلاة لا عن محلها) وفى نسخة فى صفة أى فى بيان السؤال عن صفة وعن أظهر (الرابع) على تقدير التغاضى عن هذا كله وتسليم ان المراد فى الصلاة (ليس فى الحديث مايدل على تعيين ذلك فى التشهد) لانه صادق بغيره فهو مجمل وهو كاف فى ترك الاستدلال به (خصوصا بينه وبين السلام) الذى هو المدعى وجوبه بعد تسليم ان المراد فى التشهد ولقوة هذه الاوجه سلمها الحافظ لانه شأن المنصفين (وقد أطنب قوم من متأخرى المالكية وغيرهم فى التشنيع) أى الرد وأصل معناه التقبيح (على الشافعى فى اشتراطه ذلك فى الصلاة و) أطنبوا فى (زعم) بفتح الزاى وسكون العين والجر مصدر (انه تفرد بذلك) فلم يقله أحد قبله (وحكى الاجماع على خلافه منهم أبو جعفر) محمد بن جرير (الطبرى) المجتهد (والطحاوى) أحد أئمة الحنفية والحفاظ (وابن المنذر) أبو بكر محمد بن ابراهيم النيسابورى الحافظ الحجة المجتهد وقيل انه شافعى مات بمكة سنة تسع أو عشر وثلثمائة (والخطابى) حمد بفتح فسكون بن محمد بن ابراهيم بن خطاب البستى بضم الموحدة الحافظ الفقيه الشافعى تقدم بعض تراجمهم غير مرة (وحكى القاضى عياض فى الشفاء مقالاتهم وقد

أربعة أخماس لمن غنمها فلا يجوز ان يؤخذ شيء مما جعله الله لهم بالاحتمال وأيضا فلو كانت هذه الآية انما هى فى غير الاسلاب لم يؤخر النبى صلى الله عليه وسلم حكمها الى حنين وقد نزلت فى قصة بدر وأيضا انما قال من قتل قتيلا فله سلبه بعد أن برد القتال ولو كان أمرا متقدما لعلمه أبو قتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد أكابر أصحابه وهو لم يطلبه حتى سمع منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك قالوا وأيضا فالنبى صلى الله عليه وسلم أعطاه اياه بشهادة واحد بلا يمين فلو كان من رأس الغنيمة لم يخرج حق مغنم الا بما تخرج به الاملاك من البينات أو شاهد ويمين قالوا وأيضا فلو وجب للقاتل ولم يجد بينة لكان يوقف كاللقطة ولا يقسم وهذا اذا لم تكن بينة يقسم فخرج من معنى الملك ودل على انه الى اجتهاد الامام يجعله من الخمس الذى يجعل فى غيره هذا مجموع ما احتج به لهذا القول قال الآخرون قد قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله قبل حنين بستة أعوام فذكر البخارى فى صحيحه ان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء الانصاريين ضربا أبا جهل بن هشام يوم بدر

عاب عليه غير واحد وقالوا كان ينبغي سكوته عنها) بأن يترك نقل مقالة هؤلاء (لان مبنى تأليفه الشفاء
على كمال المبالغة فى تعظيمه صلى الله عليه وسلم وأداء حقوقه والقول بوجوب الصلاة عليه فى الصلاة
من غرض المبالغة فى تعظيمه وقد استحسن هو) أى عياض (القول بطهارة فضلاته) صلى الله عليه
وسلم (مع ان الاكثر على خلافه لكنه استجاده) عده جيدا احسنا (لما فيه من الزيادة فى تعظيمه) قال
شيخنا فيما أملاه فى مثل هذا لا يسمى عيبا ولا يعترض به لان مراد عياض كغيره من العلماء بيان الحق
لينظر الواقف عليه الاقوال والادلة وليس فيه شئ ينافى تعظيمه صلى الله عليه وسلم فان عظمته
وكرامته لم تتوقف على هذه المسئلة واما ذكره لمسئلة الفضلة فلانه مذهبه كالشافعى فهو الحق عنده
(وكيف ينكر القول بوجوب الصلاة عليه) فى الصلاة (وهى من جنس الصلاة ومقتضياتها) لانها
أقوال وأفعال وهى من الاقوال وهذا اعتراض ساقط لانه انما أنكر الوجوب فقط لانه لا يثبت
الا بدليل خاص (واذا شرع السلام فيها على نفس المصلى وعلى عباد الله الصالحين فكيف لا تجب
الصلاة على سيد المرسلين) فيه نظر اذ لا تلازم بينهما وأيضا فشرعية السلام على من ذكر سنة عند كثير
من المخالفين وكذلك الصلاة (وقد انتصر جماعة كثيرة من العلماء الاعلام للشافعى كالحافظ عماد الدين
ابن كثير والعلامة ابن القيم وشيخ الاسلام والحفاظ أبى الفضل) أحمد بن على (بن حجر وتلميذه شيخنا
الحافظ) السخاوى فى القول البديع (وغيرهم ممن يطول عدهم) كالقطب الخيضرى فى تأليف له فى
ذلك سماه زهر الرياض فى رد شناعة عياض وقفت عليه وأكثره قابل للرد (واستدلوا لذلك بأدلة نقلية
ونظرية ودفعوا دعوى الشذوذ فنقلوا القول بالوجوب عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود)
عبد الله الهذلى (وأبو مسعود) عقبة بن عمرو الانصارى البدرى لانه شهد بدرا أو لانه نزلها (وجابر بن
عبد الله) الصحابى ابن الصحابى (ونقله أصحاب الشافعى) أى مقلدو مذهبه (عن عمر بن الخطاب وابنه
عبد الله ومن التابعين الشعبى) بالموحدة عامر (فيما رواه البيهقى كما سيأتى وكذلك أبو جعفر) محمد
(الباقر) من التابعين (ومقاتل) من اتباع التابعين (وأخرج الحاكم باسناد قوى عن ابن مسعود قال
يتشهد الرجل) وصف طردى والمراد المصلى ذكرا أو أنثى (ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم
يدعو لنفسه) بما شاء (قال الحافظ ابن حجر وهذا أقوى شئ يحتج به للشافعى فان ابن مسعود ذكر أن
النبى صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد فى الصلاة وأنه قال ثم ليتخير من الدعاء ما شاء فلما ثبت عن ابن
مسعود الامر بالصلاة قبل الدعاء دل على انه اطلع على زيادة ذلك بين التشهد والدعاء) ولا دلالة على
اطلاعه لانه لم يرفعه لا صريحا ولا حكما فهو من اجتهاده وليس بحجة لمخالفة غيره من الصحابة له بل قول
الصحابى ليس بحجة عند الشافعى مطلقا وبتسليم اطلاعه فلا يقتضى الوجوب الذى هو محل النزاع
(واندفعت حجة من تمسك بحديث ابن مسعود فى دفع ما ذهب اليه الشافعى) ولا اندفاع بذلك لما
علمته (وادعى مثل ما ذكره القاضى عياض) حيث (قال) فى الشفاء (وهذا تشهد ابن مسعود الذى
علمه له النبى صلى الله عليه وسلم ليس فيه ذكر الصلاة عليه) وكذلك كل من روى التشهد عن النبى
صلى الله عليه وسلم كأبى هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وأبى سعيد وأبى موسى وابن الزبير لم يذكروا
فيه صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم اه (وفى جزء الحسن بن عرفة) بن يزيد العبدى أبى على البغدادى
صدوق حافظ مات سنة سبع وخمسين ومائتين وقد جاوز المائة (مرفوعا وأخرجه المعمرى) بفتح الميمين
بينهما عين ساكنة ثم راء الحافظ العلامة البارع الحسن بن على بن شبيب البغدادى قيل له المعمرى
لان جده لامه سفيان المعمرى كان صاحب معمر أو لانه عنى بجمع حديثه قال الخطيب كان من أوعية
العلم يذكر بالفهم ويوصف بالحفظ وفى حديثه غرائب وأشياء ينفرد بها وقال الدارقطنى صدوق حافظ

بسيفيهما حتى قتلاه فانصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال أيكما قتله فقال كل واحد
منهما أنا قتلته فقال هل
مسحتما سيفيكما قالا لا
فنظر الى السيفين فقال
كلاكما قتله وسلبه لمعاذ
ابن عمرو بن الجموح
وهذا يدل على ان كون
السلب للقاتل أمر مقرر
معلوم من أول الامر وانما
تجدد يوم حنين للاعلام
العام والمناداة به لا شرعيته
وأما قول ابن المواز ان أبا
بكر وعمر لم يفعلاه فجوابه
من وجهين أحدهما ان
هذا شهادة على النفى فلا
تسمع الثانى انه يجوز ان
يكون ترك المناداة بذلك
على عهدهما اكتفاء بما
تقرر وثبت من حكم
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقضائه وحتى لو
صح عنهما ترك ذلك تركا
صحيحا لا احتمال فيه
لم يقدم على حكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأما
قوله ولم يعط غير البراء
ابن مالك سلب قتيله
فقد أعطى السلب لسلمة
ابن الاكوع ولمعاذ بن
عمرو ولابى طلحة
الانصارى قتل عشرين
يوم حنين فاخذ أسلابهم
وهذه كلها وقائع صحيحة
معظمها فى الصحيح
فالشهادة على النفى
لا تكاد تسلم من النقض
وأما قوله ونحوه فهذا لم
يحفظ به أثر البتة بل المحفوظ خلافه ففى سنن أبى داود عن خالد ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يخمس السلب وأما قوله تعالى واعلموا

جرحه موسى بن هرون لعداوة بينهما وأنكر عليه أحاديث فأخرج أصوله بها ثم ترك روايتها مات في
المحرم سنة خمس وتسعين ومائتين (في) كتاب (عمل يوم وليلة عن ابن عمر بسند جيد) أي مقبول (قال
لا تكون صلاة الا بقراءة وتشهد وصلاة علي) بشد الياء المتكلم صلى الله عليه وسلم وهذا لا دلالة فيه على
الوجوب لاحتمال ان معناه لا تكون صلاة مجزئة أو كاملة وهو أقرب لأحاديث التشهد التي ليس فيها
صلاة وأخرج البيهقي في الخلافيات بسند قوي عن الشعبي وهو من كبار التابعين قال كنا نعلم) بضم النون
وشد اللام (التشهد فاذا قال وأشهد أن محمدا عبده ورسوله يحمد ربه ويثني عليه ثم يصلي على النبي صلى
الله عليه وسلم ثم يسأل حاجته) وليس في تعليمهم ذلك ما يدل على الوجوب اذ التعليم للصفة الشاملة
للاستحباب بدليل سؤال الحاجة بل لا دلالة فيه على وجوب أصل التشهد (وفي حديث أبي جعفر) محمد
الباقر (عن ابن مسعود مرفوعا من صلى صلاة لم يصل فيها علي) بشد الياء (وعلى أهل بيتي لم تقبل منه)
وهذا بفرض ثبوته لا دليل فيه على الوجوب اذ عدم القبول لا يقتضي البطلان فكيف وقد (قال
الدارقطني) معللا لهذا الحديث (الصواب انه من قول أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين) بن علي بن أبي
طالب بلفظ (لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم
لكن) هذا لا يصح عن الباقر أيضا فان (راويه عن أبي جعفر) محمد الباقر (جابر) بن يزيد بن الحرث
(الجعفي) الكوفي (وهو ضعيف) رافضي مات سنة سبع وعشرين ومائة وقيل سنة اثنتين وثلاثين
(كذا في الشفاء) لعياض ولا وجه لذكره بصيغة التبري (وقد وافق الشافعي من فقهاء الامصار أحمد في
احدى الروايتين عنه وعمل به أخيرا كما حكاه عنه) تلميذه (أبو زرعة) عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله
ابن صفوان النضري بالنون (الدمشقي) الحافظ شيخ الشام روى عن أبي مسهر وأبي نعيم وأحمد
وخلق وعنه أبو داود والطحاوي وغيرهما قال أبو حاتم صدوق ثقة مات سنة احدى وثمانين ومائتين
وله تصانيف (فيما ذكره الحافظ ابن كثير وأوجب اسحق بن راهويه الاعادة مع تعمد تركها دون
النسيان) قيل كان يراها واجبا غير شرط وقيل له قولان (والمشهور عند أحمد أنها تبطل بتركها عمدا
وسهوا وعليه أكثر أصحابه حتى ان بعض أئمة الحنابلة أوجب ان يقال في الصلاة عليه صلى الله عليه
وسلم كما) أي مثل الذي (علمهم أن يقولوا لما سألوا كما ذكره ابن كثير ووافق الخرقي) بكسر الخاء
المعجمة وفتح الراء وقاف نسبة الى بيع الخرق والثياب أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد
البغدادي شيخ الحنابلة الفقيه صاحب المختصر وكان له تصانيف كثيرة أودعها ببغداد وسافر
فاحترقت (اسحق) بن راهويه في التقييد بالعمد دون النسيان مخالفا لأكثر الحنابلة (والخلاف أيضا
عند المالكية كما ذكره ابن الحاجب في سنن الصلاة ثم قال على الصحيح فقال شارحه) العلامة محمد (بن
عبد السلام) التونسي قاضيها الفقيه المالكي المشهور شيخ الامام محمد بن عرفة (يريد أن في وجوبها
قولين وهو) أي الوجوب (ظاهر كلام الامام ابن المواز) محمد بن ابراهيم بن زياد الاسكندري كان راسخا
في الفقه والفتيا مجتهدا في المذهب له ترجيحات وأقوال ومصنفات وانتهت اليه رياسة المالكية
بمصر في زمنه وروى عن أصبغ وعبد الله بن عبد الحكم وابن الماجشون وغيرهم وولد في رجب سنة
ثمانين ومائة ومات في ذي القعدة سنة تسع وستين ومائتين وقيل سنة احدى وثمانين (وبه صرح
عنه ابن القصار) أبو الحسن علي بن أحمد البغدادي قاضيها الفقيه الاصولي النظار صاحب
تصانيف قال أبو ذر هو أفقه من رأيت من المالكية وكان ثقة قليل الحديث مات سنة ثمان
وتسعين وثلثمائة (وعبد الوهاب) بن علي بن نصر أبو محمد البغدادي أحد الاعلام وأئمة المالكية
المجتهدين في المذهب له أقوال وترجيحات تفقه على ابن القصار وابن الجلاب واليه انتهت
رياسة المذهب قال الخطيب لم أر أفقه منه في المالكية وولي قضاء داريا وتحول الى مصر لضيق

أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه فهذا عام والحكم بالسلب للقاتل خاص ويجوز تخصيص عموم الكتاب
والسنة ونظائره معلومة
ولا يمكن دفعها وقوله
لا يجعل شئ من الغنيمة
لغير أهلها بالاحتمال
جوابه من وجهين
* أحدهما انا لم نجعل
السلب لغير الغانمين
* الثاني انما جعلناه
للقاتل بقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم
لا بالاحتمال ولم يؤخر
رسول الله صلى الله عليه
وسلم حكم الآية الى يوم
حنين كما ذكرتم بل قد
حكم بذلك يوم بدر ولا
يمنع كونه قاله بعد القتال
من استحقاقه بالقتل
وأما كون أبي قتادة
لم يطلبه حتى سمع
منادي النبي صلى الله
عليه وسلم بقوله فلا يدل
على انه لم يكن متقررا
معلوما وانما سكت عنه
أبو قتادة لانه لم يكن يأخذه
بمجرد دعواه فلما شهد
له به شاهد أعطاه
والصحيح أنه يكتفى في
هذا بالشاهد الواحد ولا
يحتاج الى شاهد آخر ولا
يمين كما جاءت به السنة
الصحيحة الصريحة
التي لا معارض لها وقد
تقدم هذا في موضعه وأما
قوله انه لو كان للقاتل
لوقف ولم يقسم كاللقطة
فجوابه انه للغانمين
وانما للقاتل حق التقديم فاذا لم يعلم عين القاتل اشترك فيه الغانمون فانه حقهم ولم يظهر مستحق

حاله ببغداد فأكرمها وتمول وسعد جدا فأدركه الموت فصار يقول في مرضه لا اله الا الله عند ما عشنا متنا مات بمصر في شعبان سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة عن ستين سنة (كما في الشفاء) عنهما (بلفظ انه) أي ابن المواز (يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي) فظاهره انه يرى بطلانها بتركها ولفظ ابن المواز الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة في الصلاة (قال) عياض قال ابن أبي زيد ليست من فرائض الصلاة أي بل فرض في الجملة لا تبطل بتركها وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان ابن المواز الخ قال عياض عقب هذا في بعض نسخ الشفاء (وحكى أبو يعلى) أحمد بن محمد (العبدى) بفتح فسكون نسبة الى عبد القيس بن ربيعة بن نزار البصرى المالكي امام المالكية بالبصرة وصاحب تدريسهم ومدار فتياهم وله تصانيف قال أبو على الصدفى كان مشهورا بامامة وتقدم وصلاح وكان يملى كل جمعة بجامع البصرة وعلى رأسه مستمليان يسمعان الناس ما يمليه سمع منه أبو على الصدفى وخلق كثير (عن المذهب) أي عن أهل مذهب مالك (فيها) أي الصلاة (ثلاثة أقوال في الصلاة الوجوب) وهو ضعيفها (والسنية والندب) وهما رجحان وليس المذهب بضم الميم علم على كتاب لسند بن عنان سماه الطراز المذهب لانه عصرى عياض ومات قبله بثلاث سنين ولا المذهب لابن راشد القفصى لتأخره جدا عن عياض وانما نبهت على هذا لان بعض المالكية تشدق في درس شيخنا فقال هو عن المذهب بضم الميم اما الابن راشد واما السند وما علم ان أبا يعلى متقدم عنهما لانه شيخ شيوخ عياض (ورأيت مما عزى) نسب (للقاضي أبي بكر) محمد (بن العربي) الفقيه المالكي الحافظ (في) كتابه (سراج المريدين قال ابن المواز والشافعي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من فرائض الصلاة وهو الصحيح انتهى) لكنه خلاف المشهور (وقد يلزم القائل من الحنفية بوجوب الصلاة عليه كلما ذكر كالطحاوي ونقله السروجي) شمس الدين أحمد بن ابراهيم بن عبد الغني المصرى قاضيا كان بارعا في علوم شتى مات في ربيع الآخر سنة احدى وسبعمائة ومولده سنة سبع وثلاثين وستمائة (في شرح الهداية) اسم كتاب نفيس في الفقه للبرهان أبي الحسن على بن أبي بكر المرغيناني (عن أصحاب المحيط والعقد والتحفة من كتبهم أن يقولوا بوجوبها في التشهد لتقدم ذكره صلى الله عليه وسلم في آخر التشهد في قوله وأشهد أن محمدا رسول الله لكن لهم ان يلتزموا ذلك ولا يجعلونه شرطا في صحة الصلاة) لانه لا يلزم من الوجوب كونه شرط صحة (ولم يخالف الشافعي أحد من أصحابه) أي أهل مذهبه (في ذلك بل قال بعض أصحابنا بوجوب الصلاة على الآل كما حكاه البندنيجي) بفتح الموحدة والمهملة وسكون النون الاولى وكسر الثانية ثم تحتية وجيم نسبة الى بندنيجين بلفظ المثنى بلد قرب بغداد (والدرمى ونقله امام الحرمين والغزالى قولا عن الشافعي قال الحافظ ابن كثير والصحيح انه وجه لا قول) والقول في اصطلاحهم نص الامام والوجه لغيره (على ان الجمهور) من أهل المذهب (على خلافه والقول بوجوبه ظهور الحديث) لقوله قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد (وأما مخالفة الخطابي من أصحاب الشافعي) أي أهل مذهبه (الشافعي) حيث قال ليست واجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا أعلم له فيها قدوة وكذا قال أبو الطيب الطبرى من الشافعية ان الشافعي لم يسبق الى ذلك كما في الفتح (فلا يعتد به) أي بخلافه فذكره على معنى مخالفة (لمقتضى الامر المحمول على الوجوب اجماعا وأولى أحواله الصلاة ولا مانع من احتمال كونه مرادا) وأنت خبير بأن هذا لا يصلح تعليلا لنفي الاعتداد بخلافه اذ هو محل النزاع (وأما قوله) أي الخطابي (ولا أعلم له فيها قدوة فيقال عليه لا ريب ان الشافعي قدوة يقتدى به والمقام مقام اجتهاد فلا افتقار له الى غيره) لكن هذا لا يقال لمثل الخطابي فهو لا يجهل ان الشافعي قدوة فانما مراده بالقدوة

فيما حازه المشركون من أموال المسلمين ثم ظهر عليه المسلمون أو أسلم عليه المشركون في البخارى ان فرسا لابن عمر رضى الله عنه ذهب وأخذه العدو فظهر عليه المسلمون فرد عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبق له عبد فلحق بالروم فظهر عليه المسلمون فرده عليه خالد في زمن أبي بكر رضى الله عنه وفي سنن أبي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى رد عليه الغلام وفي المدونة والواضحة أن رجلا من المسلمين وجد بعيرا له في المغانم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان وجدته لم يقسم فخذه وان وجدته قد قسم فانت أحق به بالثمن ان أردته وصح عنه أن المهاجرين طلبوا منه دورهم يوم الفتح بمكة فلم يرد على أحد داره وقيل له أين تنزل غدا من دارك بمكة وهل ترك لنا عقيل منزلا وذلك ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وثب عقيل على رباع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فحازها كلها وحوى عليها ثم أسلم وهي في يده

وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أسلم على شئ فهو له وكان عقيل ورث أبا طالب ولم يرثه على كرم الله وجهه لتقدم اسلامهم

ما يقتدى به من الادلة الصحيحة لذلك (وأما قوله في الشفاء) وظاهره انه من جملة نقله عن الخطابي لانه وصله بقوله لا أعلم له فيها قدوة (والدليل على انها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه) ففيه نظر لانه ان أراد بالعمل الاعتقاد) لعدم صحة ارادة الفعل لانهم كانوا يصلون (فيحتاج الى نقل صريح عنهم) بأن ذلك ليس بواجب (وأنى) أى من أين (يوجد) له (ذلك) ولا نظر ولا استبعاد بعد تواتر نقل الائمة عنهم انهم قائلون بعدم الوجوب فهم قطعا معتقدون ذلك (وأما قوله) أى عياض قبل هذا (وقد شنع الناس عليه) أى نسبوه الى الشناعة وعدوا قوله شاذا مبتدعا وأصل معناه القبح (يعنى الشافعي في هذه المسئلة جدا) أى كثيرا منهم الطبرى والقشيرى وابن المنذر والخطابي كما في الشفاء (فلا معنى له وأى شناعة في ذلك و) الحال انه (لم يخالف نصا) لكتاب ولا سنة (ولا اجماعا ولا قياسا ولا مصلحة راجحة) وفي نسخة واضحة أى ظاهرة بينة والاولى أنسب بكلام أهل الاصول والمراد بها المبالغة في الرد على من شنع لا ان ما فيه مصلحة مطلوب حتى يتوهم انه جرى على قول المعتزلة الاحكام تابعة لمصلحة الفعل أو الترك (بل القول بذلك من محاسن مذهبه) لما فيه من زيادة تعظيم المصطفى (ولا ريب ان القائل بجواز ترك الصلاة على أفضل خلق الله في الصلاة التى هي رأس العبادة المطلوب فيها الخضوع واستحضار شارعها) عليه السلام سمى شارعا لظهوره على يديه والا فالشارع في الحقيقة هو الله تعالى (والثناء عليه أولى بالتشنيع) ولا شناعة لان تجويز ذلك من جملة الرحمة التى أرسل بها حتى لا ينال أمته الاثم اذا لم يصلوا عليه بل يثابوا على الصلاة ولمشقة الوجوب بخلاف السنة التى قالوا بها (وأما نقله الاجماع فقد تقدم ما فيه) من حكايته عن جماعة من الصحابة والتابعين الوجوب لكن لا صراحة عنهم انها تبطل بتركه الذى هو محل النزاع فالوجوب في الجملة لا ينافي نقل الاجماع قبل الشافعي على عدم البطلان والى هذا الوح الحافظ فقال ومنهم أى العلماء من قيد تفرد الشافعي بكونه عينها بعد التشهد لا قبله ولا فيه حتى لو صل على النبي صلى الله عليه وسلم في أثناء التشهد مثلا لم يجزئ عنده اه (وأما قوله ان الشافعي اختار تشهد ابن مسعود فلم يقل به أحد والشافعي انما اختار تشهد ابن عباس كما سيأتي ان شاء الله تعالى في مقصد عباداته صلى الله عليه وسلم) من رواية مسلم فنقله هنا عن غير المصنف من عدم استحضار ما في الكتاب المشروح والتشنيع بهذا على عياض ليس بذاك اذ غاية ما فيه انه سبقه قلمه أو حفظه والمقصود منه وهو استدلاله قائم لانه قال وهذا تشهد ابن مسعود الذى اختاره الشافعي ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيقال صوابه ابن عباس وليس فيه أيضا الصلاة عليه صلوات الله عليه (وقد استدل للوجوب بما أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وصححه وكذا) صححه (ابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث فضالة) بفتح الفاء على الافصح وتضم ومعجمة ولام (ابن عبيد) بضم العين ابن نافذ بن قيس الانصارى الاوسى أول ما شهد أحد ثم نزل دمشق وولى قضاءها ومات سنة ثمان وخمسين وقيل قبلها (قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عجل هذا) بفتح العين وكسر الجيم أى أسرع بدعائه وأتى به في غير محله (ثم دعاه) أى طلب ذلك الرجل وقربه اليه (فقال) له أو لغيره كما في حديث الجماعة (اذا صلى أحدكم) لم يقل صليت ليفيد عموم هذا الحكم وأنه لا يختص بالمدعو (فليبدأ بالحمد لله) الحمد اللغوى فقوله (والثناء عليه) تفسير هذا مستفاد الاستدلال به وقوله الآتى أى اثن عليه بالتحيات الخ لكن لفظ الحديث بتحميد الله بصيغة التفعيل وفي رواية بتمجيد بميم بعدها جيم أى تعظيم قال عياض وهو أصح أى رواية لقوة سنده لا من حيث المعنى لتقارب معناهما والتحميد حمده مرة بعد أخرى وكذا التمجيد (ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع) بكسر اللام واسكانها اللام (بما شاء) من دين ودنيا وبالمأثور أولى وقد نوزع في هذا الاستدلال بأن في سنده مقالا

فلى موت أبيه ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ميراث من عبد المطلب فان أباه عبد الله هلك وأبوه عبد المطلب حى ثم هلك عبد المطلب فورثه أولاده وهم أعمام النبي صلى الله عليه وسلم وهلك أكثر أولاده ولم يعقبوا فحاز أبو طالب رباعه ثم مات فاستولى عليها عقيل دون على كرم الله وجهه لاختلاف الدين ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فاستولى عقيل على داره فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل ترك لنا عقيل منزلا وكان المشركون يعمدون الى من هاجر من المسلمين ولحق بالمدينة فيستولون على داره وعقاره فمضت السنة ان الكفار المحاربين اذا أسلموا لم يضمنوا ما أتلفوه على المسلمين من نفس أومال ولم يردوا عليهم أموالهم التى غصبوها عليهم بل من أسلم على شئ فهو له هذا حكمه وقضاؤه صلى الله عليه وسلم

(فصل في حكمه صلى الله عليه وسلم)
فيما كان يهدى اليه كان أصحابه رضى الله عنهم يهدون اليه الطعام وغيره فيقبل منهم ويكافئهم أضعافها وكانت الملوك تهدى اليه فيقبل هداياهم ويقسمها بين أصحابه ويأخذ منها لنفسه ما يختاره

كما قاله ابن عبد البر وان صححه من تقدم وبأنه يدل على عدم الوجوب اذ لو كان له الامر المصلى بالاعادة كما
أمر المسيء صلاته واحتمال انه أعادها أو أنه لم يعلم بوجوبها فلم يأمره بالاعادة مما لا يسمع فى مقام التعليم
(قلت ومما يعد من كرامات امامنا الشافعى بسره السارى أن القاضى عياضا ساق هذا الحديث بسنده
من طريق الترمذى من غير أن يطعن فى سنده) فقد وافق من صححه (بعد قوله فصل فى المواطن التى
يستحب فيها الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ويرغب) فيها النيل الثواب (من ذلك فى تشهد
الصلاة) الاول والثانى فانه يتأكد استحبابه فى الاول أيضا على المعتمد عند المالكية وبه جزم الرصاع
(وذلك بعد التشهد) أى قول أشهد أن محمدا رسول الله (وقبل الدعاء) بالمأثور أو بما شاء وكرامات
الامام الشافعى وفضائله غنية عن التبجح بمثل هذا الذى لا يساوى شيأ اذ اتيانه به دليلا على
الاستحباب لا يدل على الوجوب مع انه يذكر أنه استدل به للوجوب ولا ورده (وهذا الحديث كما ترى من
أعظم الادلة لنا) لكن لا دلالة فيه على الوجوب اذ لو كان واجبا لامره بالاعادة كما علم (فان قال قائل ليس
لكم فيه دلالة) لا على وجوب ولا ندب فى الصلاة (لانه قال فيه سمع رجلا يدعو فى صلاته ولم يقل فى تشهده)
فيحتمل ان المراد فى دعاء الافتتاح أو فى السجود (يجاب بأنه يلزم على هذا ان القاضى عياضا ساقه فى
غير محله لانه عقد الفصل كما قدمته لبيان مواطن استحباب الصلاة ثم قال تلو ذلك ومن ذلك فى تشهد
الصلاة وفى مصابيح البغوى من حديث فضالة بن عبيد هذا) المذكور (ما يدل على انه كان فى التشهد
ولفظه) من رواية الترمذى أيضا (قال) فضالة (دخل رجل فقال اللهم اغفر لى وارحمنى فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عجلت) بفتح فكسر أسرعت (أيها المصلى اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله
مستحق له (وصل على ثم ادعه) اسأله بما تشاء من الخير (وفى قوله عجلت استلواح) أى اظهار
(فوات الكمال من الحقيقة المجزئة اذ لو كانت مجزئة لما حسن اللوم والتعليم بصيغة الامر) فيه نظر لان
اللوم يقع على ترك السنة أيضا لتفويته ثوابها على نفسه (فان قال) ذلك القائل (انه فى مقام تعليم
المستحبات اذ لو كان فى الواجبات لامره بالاعادة كما أمر المسيء صلاته) بقوله ارجع فصل فانك لم تصل
(يجاب بأن فى قوله هذا غنية عن الامر بالاعادة لانه حيث علمه ما هو الواجب علم قطعا انه لم يأت به أولا)
بشد الواو (فلم يكن آتيا) بالمد (به فوجب اعادته وهم أهل الفهم والعرفان) فاكتفى بذلك عن الامر
الصريح بالاعادة وهذا جواب يتساوك هزلا اذ مبناه على انه علمه واجبا عليه وهو محل النزاع فكيف
يحتج به مع ظهور حجة خصمه على الندب بأمر المسيء صلاته بالاعادة مع كونه من أهل الفهم (فان قال)
ذلك القائل (ان قوله فقعدت يحتمل أن يكون عطفا على مقدر تقديره اذا صليت وفرغت فقعدت
يجاب بأن الاصل عدمه) أى التقدير (وانما هو عطف على المذكور وأى اذا كنت فى الصلاة فقعدت
للتشهد فاحمد الله أى اثن عليه) بقطع الهمزة من أثنى بالالف لا من ثنى (بقولك التحيات لله الخ) وبعد
هذا يجيء الخلاف فى الوجوب والندب (والله أعلم) بالحق منهما (وقال الجرجانى من الحنفية وغيره
لو كانت فرضا للزم تأخير البيان عن وقت الحاجة) وهو ممنوع (لانه عليه الصلاة والسلام علمهم
التشهد وقال) بعده (فليتخير من الدعاء ما شاء ولم يذكر الصلاة عليه وأجيب باحتمال أن لا تكون
فرضت حينئذ) أى وقت تعليمهم وفيه بعد جدا لان من جملة رواة حديث التشهد أبو هريرة وابن
عباس واسلامهما متأخر فان ابن عباس انما صحب بعد فتح مكة فيحمل الامر بالصلاة على الاستحباب
جمعا بين الادلة (وقال الحافظ زين الدين العراقى فى شرح الترمذى قد ورد هذا الحديث فى الصحيح
بلفظ ثم ليتخير وثم للتراخى فدل على انه كان هناك شيء بين التشهد والدعاء انتهى) لكن ولو دل على
ذلك لا يدل على أن ذلك الشيء واجب (وقد أطنب أبو امامة بن النقاش فى تفسيره فى الانتصار للشافعى

ديباج مزررة بالذهب فقسمها فى ناس من أصحابه وعزل منها واحدا لمخرمة بن نوفل فجاء ومعه المسور ابنه فقام على الباب فقال ادعه لى فسمع النبى صلى الله عليه وسلم صوته فتلقاه به فاستقبله وقال يا أبا المسور خبأت هذا لك وأهدى له المقوقس مارية أم ولده وسيرين التى وهبها لحسان وبغلة شهباء وحمارا وأهدى له النجاشى هدية فقبلها منه وبعث اليه هدية عوضها وأخبر أنه مات قبل أن تصل اليه وانها ترجع فكان الامر كما قال وأهدى له فروة ابن نفاثة الجذامى بغلة بيضاء ركبها يوم حنين ذكره مسلم وذكر البخارى أن ملك أيلة أهدى له بغلة بيضاء فكساه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردة وكتب له ببحرهم وأهدى له أبو سفيان هدية فقبلها وذكر أبو عبيد أن عامر بن مالك ملاعب الاسنة أهدى للنبى صلى الله عليه وسلم فرسا فرده وقال انا لا نقبل هدية مشرك وكذلك قال لعياض المجاشعى انا لا نقبل زبد المشركين يعنى رفدهم قال أبو عبيد وانما قبل

 هدية أبى سفيان لانها كانت فى مدة الهدنة بينه وبين أهل مكة وكذلك المقوقس صاحب

اسكندرية انما قبل هديته لانه أكرم حاطب ابن أبي بلتعة رسوله اليه وأقر بنبوته ولم يؤيسه من اسلامه ولم يقبل صلى الله عليه وسلم هدية مشرك محارب له قط

(فصل) وأما حكم هدايا الائمة بعده فقال سحنون من أصحاب مالك رحمه الله اذا أهدى أمير الروم هدية الى الامام فلا بأس بقبولها وتكون له خاصة وقال الاوزاعي تكون للمسلمين ويكافئه بمثلها من بيت المال وقال الامام أحمد رحمه الله وأصحابه ما أهداه الكفار للامام أو لامير الجيش أو قواده فهو غنيمة حكمها حكم الغنائم

(فصل في حكمه صلى الله عليه وسلم في قسمة الاموال) الاموال التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقسمها ثلاثة الزكاة والغنائم والفيء فأما الزكاة والغنائم فقد تقدم حكمهما وبينا انه لم يكن يستوعب الاصناف الثمانية وانه كان ربما وضعها في واحد وأما حكمه في الفيء فثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قسم يوم حنين في المؤلفة قلوبهم من الفيء ولم يعط الانصار شيأ فعتبوا عليه فقال لهم الا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتنطلقون برسول الله صلى الله عليه وسلم تقودونه الى رحالكم فوالله

في هذه المسئلة بما يطول ذكره فالله يثيبه على قصده الجميل) الثواب الجزيل *(وأما صفة الصلاة عليه) أي الصيغ التي يؤتى بها دالة على طلب زيادة الكمال له (صلى الله عليه وسلم) كما يعلم من الاخبار التي أوردها (فعن عبد الرحمن ابن أبي ليلى) بفتح اللامين مقصور الانصاري عالم الكوفة وأبوه صحابي واسمه يسار أو داود أو غير ذلك (قال لقيني كعب بن عجرة) بضم العين المهملة وسكون الجيم فراء فهاء تأنيث الانصاري المدني من أصحاب الشجرة وعند الطبراني ان ذلك كان وهو يطوف بالبيت الحرام (فقال ألا) بالتخفيف تكون للعرض مع لين وللتحضيض وهو عرض بحث والمراد الاول لقوله (أهدى) بضم الهمزة (لك هدية) أي أقدم اليك أمرا نفيسا سماه هدية لعزته قال المصنف والهدية ما يتقرب به الى المهدى اليه توددا أو اكراما وزاد بعضهم من غير قصد نفع عوض دنيوي بل لقصد ثواب الآخرة وأكثر ما تستعمل في الاجسام لاسيما وهي فيما نقل من مكان الى آخر وقد تستعمل في المعاني كالعلوم والادعية مجاز المباشر كان فيه من قصد الموادة والتواصل في ايصال ذلك اليه زاد البخاري في أحاديث الانبياء هدية سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بلى فأهدها لي فقال (ان) بكسر الهمزة على الاستئناف ويجوز الفتح بتقدير هي فتكون معمولة أو بتقدير فعل أي أهدي لك أن (النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا) بصيغة الجمع لان السائلين جماعة وفي الترمذي من وجه آخر عن عبد الرحمن عن كعب لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية قلنا (يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك) بما علمتنا من قول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وقد أمرنا بالصلاة والسلام عليك في الآية وللبخاري في أحاديث الانبياء فقال سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا كيف الصلاة عليكم أهل البيت فان الله قد علمنا كيف نسلم (فكيف نصلي عليك) أي كيف اللفظ اللائق بالصلاة عليك ولذا عبر بكيف التي يسئل بها عن الصفة (قال قولوا اللهم صل على محمد) صلاة تليق به لانك أنت العليم بذلك فلعجزنا عن بلوغ ما يجب له شرع لنا احالة أمر ذلك الى الله (وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم) وللبيهقي من وجه آخر لهذا الطريق على ابراهيم بدون آل قال الحافظ والحق ان ذكر محمد وابراهيم وذكر آل محمد وآل ابراهيم ثابت في أصل الخبر وانما حفظ بعض الرواة ما لم يحفظ الآخر (انك حميد) محمود (مجيد) ماجد وصفا لبناء المبالغة (اللهم بارك على محمد) أي أثبت له وأدم له ما أعطيته من التشريف والكرامة وزده من الكمالات ما يليق بك وبه (وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد) قال الطيبي هذا تذييل للكلام السابق وتقرير له على سبيل العموم أي انك حميد فاعل ما تستوجب به الحمد من النعم المتكاثرة والآلاء المتعاقبة المتوالية مجيد كثير الاحسان الى جميع عبادك ومن محامدك واحسانك أن توجه صلواتك وبركاتك وترحمك على حبيبك نبي الرحمة وآله (رواه البخاري) في أحاديث الانبياء والتفسير والدعوات (ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي) الاربعة في كتاب الصلاة (فان قلت كيف يطابق قوله اللهم صل على محمد قوله كما صليت على آل ابراهيم) مع فضل محمد على العالمين فهو في نفس الامر بمعنى السؤال الذي يتلوه (أجاب القاضي عياض بأن الآل مقحم) أي زائد (كما في قوله عليه الصلاة والسلام في أبي موسى) عبد الله بن قيس الاشعري لما سمعه يتلو القرآن بصوت حسن (انه أعطى مزمارا من مزامير) جمع مزمار ومزمور (آل داود) يعني داود نفسه فالآل مقحم (و) ذلك لانه (لم يكن له آل مشهور بحسن الصوت) والزمر النفخ في المزمار والصوت الحسن بغير آلة لان أصل معنى الزمر الحسن كما قال الشاعر

رنان حنانان بينهما * رجل أجش غناؤه زمر

أي حسن كما قاله ابن الانباري فمزامير داود ما كان يتغنى به من الزبور وضروب الدعاء بصوته الحسن بلا

آله وكان اذا قرأ بتلاحينه تقف له الطيور والدواب حتى قيل ان الماء الجاري يقف له وهو مبالغة في نهاية حسنه (وقد روى هذا الحديث ابن أبي حاتم بلفظ لما نزلت آية ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال) كعب بن عجرة (قلنا يا رسول الله) قد علمنا السلام عليك (فكيف الصلاة عليك) فالعطف على مقدر دل عليه سياق الاحاديث (قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) فدل هذا السياق على أنه صلى الله عليه وسلم نطق بذلك كله وان بعض الرواة حفظ مالم يحفظ الآخر كما قال الحافظ انه الحق فيكون طلب صلاة لنفسه كالصلاة على ابراهيم ولآله كالصلاة على آل ابراهيم وكذا في البركة وبه تحصل مطابقة المشبه للمشبه به ولا يحتاج للقول بان آل مقحم (وقال عبد الرحمن ابن أبي ليلى يقول) أي يزيد المصلي على الصلاة على الآل (وعلينا معهم) رجاء بركة اللحاق بهم (وعن أبي حميد) بالتصغير الساعدي صحابي مشهور اسمه المنذر بن سعد بن المنذر أو ابن مالك وقيل اسمه عبد الرحمن وقيل عمرو وشهد أحدا وما بعدها وعاش الى أول سنة ستين (انهم) أي الصحابة (قالوا يا رسول الله) قال الحافظ وقفت من تعيين من باشر السؤال على جماعة أبي بن كعب وطلحة بن عبيد الله كلاهما عند الطبراني وبشير بن سعد عند مالك ومسلم وزيد بن خارجة الانصاري عند النسائي وأبو هريرة عند الشافعي وعبد الرحمن بن بشير عند اسمعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة وكعب بن عجرة عند ابن مردويه قال فان ثبت تعدد السائل فواضح وان ثبت انه واحد فعبر بالجمع اشارة الى ان السؤال لا يختص به بل يريد نفسه ومن يوافقه على ذلك وليس هو من التعبير عن البعض بالكل بل حمله على ظاهره من الجمع هو المعتمد لما ذكر (كيف نصلي عليك) صلاة تليق بك قال أبو عمر فيه أن من ورد عليه لفظ محتمل لا يقطع فيه بشيء حتى يقف على المراد به ان وجد اليه سبيلا فسألوه لما احتمل لفظ الصلاة من المعاني (قال قولوا اللهم صل على محمد) صلاة تليق به (وأزواجه وذريته) من له صلى الله عليه وسلم عليه ولادة من ولده وولد ولده قاله الباجي (كما صليت على ابراهيم) وفي رواية على آل ابراهيم باقحام آل (وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد) من المجد وهو الشرف قال العلماء معنى البركة هنا الزيادة من الخير والكرامة وقيل بمعنى التطهير والتزكية أي طهرهم وقد قال تعالى ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقيل تكثير الثواب فالبركة لغة التكثير قاله الباجي وقيل المراد ثبات ذلك ودوامه من قولهم بركت الابل أي ثبتت على الارض وبه جزم أبو اليمن بن عساكر قال السخاوي ولم يصرح أحد بوجوب قوله وبارك على محمد فيما عثرنا عليه غير أن ابن حزم ذكر ما يفهم منه وجوبها في الجملة فقال على المرء أن يبارك عليه ولو مرة في العمر وظاهر كلام صاحب المغني من الحنابلة وجوبها في الصلاة قال المجد الشيرازي والظاهر أن أحدا من الفقهاء لا يوافق على ذلك (رواه الامام أحمد والبخاري في أحاديث الانبياء وفي الدعوات ومسلم في الصلاة كلاهما من طريق مالك وهو في الموطأ فقصر المصنف في العزو تقصيرا شديدا (وعن أبي مسعود عقبة) بالقاف بن عمرو بن ثعلبة (الانصاري) البدري مات قبل الاربعين وقيل بعدها انه (قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد ابن عبادة) سيد الخزرج ففيه أن الامام يخص رؤساء الناس بزيارتهم في مجالسهم تأنيسا لهم (فقال له بشر) كذا في النسخ وصوابه كما في الموطأ ومسلم وغيرهما بشير بفتح الموحدة وكسر المعجمة واسكان التحتية (ابن سعد) بسكون العين ابن ثعلبة الخزرجي البدري والد النعمان استشهد بعين التمر (أمرنا الله أن نصلي عليك) يا رسول الله (فكيف نصلي عليك قال) أبو مسعود (فسكت رسول الله صلى الله عليه

لما تنقلبون به خير مما يتقلبون به وقد تقدم ذكر القصة وفوائدها في مواضعها والقصة هنا ان الله سبحانه أباح لرسوله من الحكم في مال الفيء مالم يبحه لغيره وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم اني لأعطي أقواما وأدع غيرهم والذي أدع أحب الي من الذي أعطي وفي الصحيح عنه اني لاعطي أقواما أخاف ظلعهم وجزعهم وأكل أقواما الى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير منهم عمرو بن تغلب قال عمرو ابن تغلب فما أحب أن لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم وفي الصحيح أن عليا بعث اليه بذهيبة من اليمن فقسمها أرباعا فأعطى الاقرع بن حابس وأعطى زيد الخيل وأعطى علقمة بن علاثة وعيينة بن حصن فقام اليه رجل غائر العينين ناتئ الجبهة كث اللحية محلوق الرأس فقال ان هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع سهم ذي القربى في بني هاشم وفي بني المطلب وترك بني نوفل وبني عبد شمس فانطلق جبير ابن مطعم وعثمان بن عفان اليه فقالا يا رسول الله لا ننكر فضل بني هاشم لموضعهم منك فما بال اخواننا بني عبد المطلب أعطيتهم

وسلم) يحتمل حياء وتواضعا اذ في ذلك الرفعة له فأحب ان لو قالوا هم ذلك ويحتمل انتظارا لما يأمره الله به من الكلام الذي ذكره لانه أكثر مما في القرآن قاله أبو عبد الملك البوني في شرح الموطأ (حتى تمنينا) وددنا (انه لم يسأله) مخافة أن يكون كرهه وشق عليه (ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد) فعيل من الحمد بمعنى محمود ورد بصيغة المبالغة أي مستحق لانواع المحامد (مجيد) مبالغة من ماجد والمجد والشرف فيكون ذلك كالتعليل لاستحقاق الحمد بجميع المحامد ويحتمل أن حميد مبالغة من حامد ويكون كالتعليل للصلاة المطلوبة فان الحمد والشكر متقاربان فحميد قريب من معنى شكور وذلك مناسب لزيادة الافضال والاعطاء لما يراد من الامور العظام فلذلك المجد والشرف مناسبة لهذا المعنى ظاهرة قاله ابن دقيق العيد (والسلام كما قد علمتم) في التشهد بفتح العين وكسر اللام مخففة وبضم العين وشد اللام أي علمتموه روايتان من العلم والتعليم قال البرقي والاولى أصح وقال النووي كلاهما صحيح (رواه مالك) في الموطأ (ومسلم) عن يحيى بن يحيى التميمي النيسابوري عن مالك به (وغيرهما) كأبي داود والنسائي والدارقطني وابن حبان والحاكم (فان قلت ماموقع) أي وجه (التشبيه في قوله كما صليت على ابراهيم مع ان المقرر أن المشبه دون المشبه به والواقع هنا عكسه لان محمدا صلى الله عليه وسلم وحده أفضل من آل ابراهيم و) هب (ك) أجيبت بأن آل مقحم فهو أفضل (من ابراهيم ولا سيما وقد أضيف اليه آل محمد وقضية كونه) أي محمد (أفضل أن تكون الصلاة المطلوبة له أفضل من كل صلاة حصلت أو تحصل لغيره فقد أجاب العلماء عنه بأجوبة كثيرة منها أنه عليه الصلاة والسلام قال ذلك قبل أن يعلم انه أفضل من ابراهيم) بل كان يظن أن ابراهيم أفضل منه (و) يدل لهذا الجواب أنه (قد أخرج مسلم من حديث أنس أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا خير البرية) أي الخليقة (قال ذاك ابراهيم) لثناء الله عليه بنحو ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا أن اتبع ملة ابراهيم (وتعقب بانه لو كان كذلك لغير صفة الصلاة عليه بعد أن علم انه أفضل) ولم يغير ورده شيخنا بأنه لا تلازم بين علمه بأنه أفضل وبين التغيير لان بقاء طلب ذلك لا يستلزم نقصا فيه بل التغيير قد يوهم نقصا لابراهيم (ومنها انه قال ذلك تواضعا) وهضما للنفسه وتعظيما للابوة (وشرع ذلك لامته) أمرا لهم بالتواضع في جميع الاحوال (ليكتسبوا بذلك الفضيلة) الحاصلة بالتواضع كخبر من تواضع لله رفعه الله وفي نسخة أو شرع بأو على انه وجه ثان لهذا الجواب وذلك لانهم لما أمروا بصلاة مشبهة بصلاة ابراهيم وهو دون ما حقه أن يطلب له ورضوا بها وفعلوها امتثالا كان ذلك سببا للثواب عليها حيث لم تأبها نفوسهم لان عادة أتباع العظيم لا يرضون له الا بأعظم الاشياء (ومنها ان التشبيه انما هو لاصل الصلاة بأصل الصلاة لا للقدر بالقدر فهو كقوله تعالى انا أوحينا اليك) شرائع تبلغها (كما أوحينا الى نوح) والنبيين من بعده شرائع بلغوها الى أممهم فالتشبيه في الوحي مع اختلاف الشرائع فالمعنى ان أمره في الوحي كسائر الانبياء (وهو كقول القائل أحسن الى ولدك كما أحسنت الى فلان ويريد بذلك أصل الاحسان لا قدره) اذ لا شك ان الاحسان الى الولد أكثر منه الى غيره (ومنه قوله تعالى وأحسن) الى عباد الله (كما أحسن الله اليك) بما أنعم عليك أو أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن اليك بالانعام ومعلوم أنه لم يؤمر بالاحسان بقدر ما أحسن الله اليه به من الجاه والمال فانما أمره بأصل الاحسان وان لم يقرب مما أحسن الله به اليه فضلا عن مساواته (ورجح هذا القرطبي في المفهم) في شرح مسلم وهو وجيه (ومنها ان قوله اللهم صل على محمد مقطوع عن التشبيه فيكون التشبيه متعلقا بقوله وعلى آل محمد) وكأنه قيل اللهم صل على

وتركتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة وقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا وبنو المطلب لا نفترق في جاهلية ولا اسلام انما نحن وهم شئ واحد وشبك بين أصابعه وذكر بعض الناس ان هذا الحكم خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم وان سهم ذوي القربى يصرف بعده في بني عبد شمس وبني نوفل كما يصرف في بني هاشم وبني المطلب قال لان عبد شمس وهاشما والمطلب ونوفلا اخوة وهم أولاد عبد مناف ويقال ان عبد شمس وهاشما توأمان والصواب استمرار هذا الحكم النبوي وان سهم ذوي القربى لبني هاشم وبني المطلب حيث خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وقول هذا القائل ان هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم باطل فانه بين مواضع الخمس الذي جعله الله لذوي القربى فلا تعدى به تلك المواضع ولا يقصر عنها ولكن لم يكن يقسمه بينهم على السواء بين أغنيائهم وفقرائهم ولا كان يقسمه قسمة الميراث للذكر مثل حظ الانثيين بل كان يصرفه فيهم بحسب المصلحة والحاجة فيزوج منه أعزبهم ويقضي منه عن غارمهم ويعطي منه فقيرهم كفايته وفي سنن أبي داود عن علي ابن أبي طالب

محمد

محمد صلاة غير مقدرة بشئ وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم (وتعقب بأن غير الانبياء لا يمكن أن يساووا الانبياء فكيف يطلب لهم ثواب مثل الصلاة التي وقعت لابراهيم والانبياء) بالجر عطف على ابراهيم (من آله) الذين شملهم قوله وعلى آل ابراهيم فان الاضافة للعموم فكأنه قيل وعلى كل آل ابراهيم ولاشك ان فيهم أنبياء بكثرة (ويمكن الجواب عنه) أي عن هذا التعقب على الجواب (بأن المطلوب الثواب الحاصل لهم) فكأنه قيل صل على آل محمد صلاة ثوابها كثواب الصلاة على ابراهيم (لا جميع الصفات التي كانت سببا للثواب) فلم تطلب (وقد نقل العمراني) بكسر العين المهملة واسكان الميم الامام أبو الخير يحيى بن سالم بن أسعد بن يحيى من بني عمران من قرية من قرى اليمن يقال لها مصبغة سبيل نشر العلم ببلاد اليمن وكان يحفظ المهذب ويقوم به في الليل قيل توفي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ذكره السبكي وفي اللب نسبة الى العمرانية ناحية بالموصل (في البيان) اسم شرحه على المهذب في الفقه (عن الشيخ أبي حامد أنه نقل هذا الجواب عن نص الشافعي واستبعد ابن القيم صحة ذلك عن الشافعي لانه مع فصاحته) القرشية (ومعرفته بلسان) أي لغة (العرب لا يقول هذا الكلام المستلزم هذا التركيب الركيك) بزنة أمير الضعيف (البعيد من كلام العرب) ونص ابن القيم هو باطل عليه قطعا فان الشافعي أجل من ان يقول مثل هذا ولا يليق هذا بعلمه وفصاحته فانه في غاية الركاكة والضعف وقد تقدم في كثير من الاحاديث اللهم صل على محمد كما صليت على آل ابراهيم وأيضا فلا يصح عربية فان العامل اذا ذكر معموله وعطف عليه غيره ثم قيد بظرف أو جار ومجرور أو مصدر أو صفة مصدر كان ذلك راجعا الى المعمول وما عطف عليه هذا الذي لا تحتمل العربية غيره فاذا قلت جاءني زيد وعمرو يوم الجمعة فالظرف مقيد لمجيئهما لا لمجيء عمرو وحده وكذا اذا قلت ضربت زيدا وعمرا ضربا مؤلما أو أمام الامير أو سلم على زيد وعمرو يوم الجمعة ونحوه فان قيل هذا متجه اذا لم يعد العامل أما اذا أعيد كسلم على زيد وعلى عمرو اذا لقيته فلا يمتنع أن يخص بالثاني وقد أعيد العامل في قوله وعلى آل محمد قيل ليس هذا المثال بمطابق لمسئلة الصلاة وانما المطابق ان يقول سلم على زيد وعلى عمرو كما تسلم على المؤمنين ونحو ذلك وحينئذ فادعاء ان التشبيه كسلامه على عمرو وحده دون زيد دعوى باطلة (كذا قال وتعقبه الحافظ ابن كثير) وفي نسخة ابن حجر (فقال ليس التركيب المذكور ركيكا بل التقدير اللهم صل على محمد) صلاة غير مشبهة بشئ (وصل على آل محمد كما صليت على الخ فلا يمتنع تعلق التشبيه بالجملة الثانية) ولم يظهر دفع الركة بهذا التقدير فانه حاصل معناه فلا يدفع التعقب وقد تعقبه الزركشي أيضا بأنه مخالف لقاعدة الاصول في رجوع المتعلقات الى جميع الجمل وبأن التشبيه جاء في بعض الروايات من غير ذكر الآل انتهى ومر الثاني عن ابن القيم أيضا لكن تقدم عن الحافظ انه من اختصار بعض الرواة (ومنها دفع) أي منع (المقدمة المذكورة أولا وهي ان المشبه به يكون أرفع) أعلى (من المشبه) التي نشأ منها الاشكال (و) سند المنع (ان ذلك ليس مطردا بل قد يكون التشبيه بالمثل المساوي (بل بالدون كما في قوله تعالى مثل نوره كمشكاة) طاقة غير نافذة (فيها مصباح وأين يقع نور المشكاة) أي المصباح الكائن فيها في زجاجة (من نوره تعالى ولكن لما كان المراد من المشبه به أن يكون شيأ ظاهرا واضحا للسامع حسن تشبيه النور بالمشكاة) تقريبا للناس بما يعلمون (وكذا هنا لما كان تعظيم ابراهيم وآل ابراهيم بالصلاة عليهم مشهورا واضحا عند جميع الطوائف حسن ان يطلب لمحمد وآل محمد بالصلاة عليهم مثل ما حصل لابراهيم وآل ابراهيم) اعلاما بعظمتهم (ويؤيد ذلك ختم الطلب المذكور بقوله في العالمين أي) أظهر صلاة عليهم في العالمين (كما أظهرت صلاة على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين) فالتشبيه من حيث الاظهار لا من حيث التفاوت في المقدار (ولهذا

رضي الله عنه قال ولاني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس الخمس فوضعته مواضعه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياة أبي بكر رضي الله عنه وحياة عمر رضي الله عنه وقد يستدل به على انه كان يصرف في مصارفه الخمسة ولا يقوى هذا الاستدلال اذ غاية ما فيه انه صرفه في مصارفه التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرفه فيها ولم يعده الى سواها فأين تعميم الاصناف الخمسة به والذي يدل عليه هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحكامه انه كان يجعل مصارف الخمس كمصارف الزكاة ولا يخرج بها عن الاصناف المذكورة لا انه يقسمه بينهم كقسمة الميراث ومن تأمل سيرته وهديه حق التأمل لم يشك في ذلك وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ينفق على أهله نفقة سنة وفي لفظ يحبس لاهله قوت سنتهم ويجعل ما بقي في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله وفي السنن عن عوف ابن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه الفيء قسمه من يومه فأعطى الآهل حظين وأعطى العزب حظا

فهذا تفضيل منه للآل بحسب المصلحة والحاجة وان لم تكن زوجته من ذوي القربى

لم يقع في العالمين الا في ذكر ابراهيم دون ذكر آل محمد على ما وقع في الحديث الذي وردت فيه وهو حديث أبي مسعود الانصاري الذي ذكرته) قريبا (وهذا معنى قول الطيبي وليس التشبيه المذكور من باب الحاق الناقص بالكامل) الذي هو حقيقة التشبيه وانبنى عليه الاشكال وكان الاولى ان يعبر بالحاق الكامل بالاكمل كما عبر الحافظ اذ لا نقص هنا وان كان منفيا والمراد الناقص في الكمال لكن اللفظ موحش في هذا المقام (بل من باب الحاق مالم يشتهر بما اشتهر) في العالمين لانه فيما يستقبل والذي يحصل لمحمد صلى الله عليه وسلم من ذلك أقوى وأكمل أو من باب التهييج ونحوه كما في الفتح (وقال النووي أحسن الاجوبة ما نسب الى الشافعي) كما تقدم عنه ولفظ النووي المختار ثلاثة أقوال أحدها حكاه بعض أصحابنا عن الشافعي فذكر ما مر ثم قال القول الثاني ان المسؤل المشاركة في أصل الصلاة لا قدرها فسقطت أو من المصنف قبل قوله (ان التشبيه لأصل الصلاة بأصل الصلاة) لا للقدر بالقدر وهو ثالث الاجوبة السابقة وأشار للثالث مما اختاره النووي ولم يتقدم بقوله (أو للمجموع بالمجموع) لان مجموع آل ابراهيم أفضل من مجموع آل محمد لان في آل ابراهيم أنبياء لا يحصون بخلاف آل محمد فلا نبي فيهم فطلب الحاق هذه الجملة التي فيها نبي واحد بتلك الجملة التي فيها خلائق من الانبياء هذا كلام النووي قال الحافظ يعكر على هذا الجواب التفصيل الواقع في غالب طرق الحديث (وقال ابن القيم بعد أن زيف) ضعف (أكثر الاجوبة الا تشبيه المجموع بالمجموع) لو حذف لفظ أكثر استقام الاستثناء (وأحسن منه ان يقال هو صلى الله عليه وسلم من آل ابراهيم وقد ثبت ذلك عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال) ابن عباس (محمد) صلى الله عليه وسلم (من آل ابراهيم) بل أجل آله (فكأنه أمرنا أن نصلي على محمد وعلى آل محمد خصوصا بقدر) بالقاف وراء آخره (ما صلينا عليه مع ابراهيم وآل ابراهيم عموما فيحصل لآله) أي المصطفى (ما يليق بهم ويبقى الباقي كله له وذلك القدر أزيد مما لغيره من آل ابراهيم وتظهر حينئذ فائدة التشبيه) وهي التخصيص والتعميم معا (وأن المطلوب له بهذا اللفظ أفضل من المطلوب بغيره من ألفاظ) نحو صلى الله عليه وسلم (وقال الحليمي سبب هذا التشبيه أن الملائكة قالت في) أهل (بيت ابراهيم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد وقد علم ان محمدا وآل محمد من أهل بيت ابراهيم فكأنه) صلى الله عليه وسلم (قال قولوا اللهم أجب دعاء الملائكة الذين قالوا ذلك في محمد وآل محمد كما أجبتها) أي الصلاة المعبر عنها بالدعاء (عند ما قالوها في آل ابراهيم الموجودين حينئذ ولذا ختم) الدعاء في الصلاة (بما ختم به هذه الآية وهي قوله انك حميد مجيد) ومن محاسن الاجوبة ما نقله المجد الشيرازي عن بعض أهل الكشف أن التشبيه لغير لفظ المشبه به لا لعينه وذلك ان المراد باللهم صل على محمد اجعل من أتباعه من يبلغ النهاية في أمر الدين كالعلماء بشرعه بتقريرهم أمر الشريعة كما صليت على ابراهيم بأن جعلت في أتباعه أنبياء يقررون الشريعة والمراد بقوله على آل محمد اجعل من أتباعه محدثين يخبرون بالمغيبات كما صليت على آل ابراهيم بأن جعلت منهم أنبياء يخبرون بالغيب فالمطلوب حصول صفات الانبياء لآل محمد وهم أتباعه في الدين كما كانت حاصلة بسؤال ابراهيم (ومما يعزى للعارف الرباني أبي محمد المرجاني انه قال وسر) أي نكتة (قوله صلى الله عليه وسلم كما صليت على ابراهيم وباركت على ابراهيم ولم يقل كما صليت على موسى) وباركت على موسى ظاهر (لان موسى عليه السلام) فهو تعليل للخبر المحذوف (كان التجلي له بالجلال) أي الصفات السلبية مثل لا شريك له ولا ند وكذا سائر التنزيهات وتسمى صفات الجلال وصفات القهر والغلبة (فخر موسى صعقا والخليل ابراهيم كان

وقد اختلف الفقهاء في الفئ هل كان ملكا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتصرف فيه كيف يشاء أو لم يكن ملكا له على قولين في مذهب أحمد رحمه الله وغيره والذي تدل عليه سنته وهديه انه كان يتصرف فيه بالامر فيضعه حيث أمره الله ويقسمه على من أمر بقسمته عليهم فلم يكن يتصرف فيه تصرف المالك بشهوته وارادته ويعطي من أحب ويمنع من أحب وانما كان يتصرف فيه تصرف العبد المأمور ينفذ ما أمره به سيده ومولاه فيعطي من أمر باعطائه ويمنع من أمر بمنعه وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا فقال والله اني لا أعطي أحدا ولا أمنعه انما أنا قاسم أضع حيث أمرت فكان عطاؤه ومنعه وقسمته بمجرد الامر فان الله سبحانه خيره بين أن يكون عبدا رسولا وبين أن يكون ملكا رسولا فاختار أن يكون عبدا رسولا والفرق بينهما ان العبد الرسول لا يتصرف الا بامر سيده ومرسله والملك الرسول له أن يعطي من يشاء ويمنع من يشاء كما قال تعالى للملك الرسول

التجلى له بالجمال لان المحبة والخلة من آثار التجلى بالجمال) أى الصفات الوجودية كالعلم والقدرة وتسمى صفات الذات وصفات المعانى والثبوتية وصفات الجمال قاله الكرمانى وغيره (فلهذا أمرهم صلوات الله وسلامه عليه أن يصلوا عليه كما صلى على ابراهيم ليسألوا له التجلى بالجمال وهذا لا يقتضى التسوية فيما بينه وبين الخليل صلوات الله وسلامه عليهما لانه انما أمرهم أن يسألوا له التجلى بالوصف الذى تجلى به للخليل فالذى يقتضيه الحديث المشاركة فى الوصف الذى هو التجلى بالجمال ولا يقتضى التسوية فى المقامين ولا فى الرتبتين فان الحق سبحانه يتجلى بالجمال لشخصين بحسب مقاميهما وان اشتركا فى وصف التجلى بالجمال فيتجلى لكل واحد منهما بحسب مقامه عنده ورتبته منه ومكانته) أى عظمته (فيتجلى للخليل بالجمال بحسب مقامه ويتجلى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالجمال بحسب مقامه فعلى هذا يفهم الحديث انتهى) ما عزى للمرجانى وفيه بسط عبارة وزيادة ايضاح (فان قلت ما المراد بآل محمد فى هذا الحديث فالجواب ان الراجح انهم من حرمت عليه الصدقة كما نص عليه الشافعى واختاره الجمهور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام للحسن بن على) فيما رواه أحمد والطبرانى باسناد قوى عن الحسن كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر على جرين من تمر الصدقة فاخذت تمرة فألقيتها فى فى فاخذها بلعابها فقال بعض القوم وما عليك لو تركتها فقال (انا آل محمد) قال أبو البقاء منصوب بأعنى أو أخص وليس بمرفوع على انه خبر ان لان ذلك معلوم لا يحتاج لذكره وخبر ان قوله (لا تحل لنا الصدقة) لانها طهرة وغسول لا تكون لأهل الاصطفاء (وقيل المراد بآل محمد أزواجه وذريته) كما صرح به فى حديث أبى حميد فأجمله مرة وفسره أخرى (وقيل المراد بهم جميع الامة أمة الاجابة) بالجر بدل (حكاه أبو الطيب الطبرى عن بعض الشافعية) وهو منقول عن الامام مالك (ورجحه النووى فى شرح مسلم) فقال انه المختار ومال اليه ابن العربى (وقيده القاضى حسين وجماعة (بالاتقياء منهم وعليه يحمل كلام من أطلق) وقيل يبقى على اطلاقه بأن يراد بالصلاة الرحمة المطلقة (ويؤيده ما رواه تمام فى فوائده) الحديثية (والديلمى عن أنس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقى من آل محمد) أى يختصون به اختصاص آل الرجل به فيدخل أهل البيت دخولا أوليا وهذا لفظ تمام ولفظ الديلمى فقال آل محمد كل تقى زاد الديلمى (ثم قرأ) قوله تعالى (ان) ما (أولياؤه الا المتقون) فان التقوى أصل كل عبادة ووصية الله لأهل الكتب باسرها قال الحافظ وهذا أولى الاقوال فى باب الصلاة عليه وعلى آله بخلاف باب الصدقة (واسنادهما) أى تمام والديلمى (ضعيف) لان فيه نوح ابن أبى مريم ضعيف جدا وقال البيهقى حديث لا يحل الاحتجاج به (لكن وردما يشهد لذلك) يقويه بحيث يصلح للحجة وعبارة السخاوى أسانيده كلها ضعيفة لكن شواهده كثيرة (فى الصحيحين كحديث) عمرو بن العاصى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول (ان آل أبى فلان) كناية عن اسم علم جزم الدمياطى بان المراد آل أبى العاصى بن أمية وفى سراج المريدين لابن العربى آل أبى طالب وأيده الحافظ بحديث أبى نعيم ان لبنى أبى طالب رحما الحديث (ليسوالى بأولياء) وفى رواية ليسوا بأوليائى قال ابن التين المراد من لم يسلم منهم فهو من اطلاق الكل وارادة البعض وحمله الخطابى على ولاية القرب والاختصاص لا ولاية الدين (انما وليى الله) بشد الياء مضاف لياء المتكلم المفتوحة (وصالح المؤمنين) من صلح منهم أى أسلم وعمل صالحا وقيل من برئ من النفاق وقيل الصحابة وهو واحد أريد به الجمع كقولك لا تقتل هذا الصالح من الناس تريد الجنس وقيل أصله صالحو فحذفت الواو من الخط موافقة للفظ وقال الطيبى المعنى لا أوالى أحدا بالقرابة وانما أحب الله لحقه الواجب على العباد وأحب صالح المؤمنين لوجه الله وأوالى من أوالى بالايمان والصلاح سواء كان

هى التى عرضت على نبينا صلى الله عليه وسلم فرغب عنها الى ماهو أعلى منها وهى رتبة العبودية المحضة التى تصرف صاحبها فيها مقصور على أمر السيد فى كل دقيق وجليل والمقصود ان تصرفه فى الفىء بهذه المثابة فهو ملك مخالف حكم غيره من المالكين ولهذا كان ينفق مما أفاء الله عليه مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولاركاب على نفسه وأهله نفقة سنتهم ويجعل الباقى فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله عزوجل وهذا النوع من الاموال هو السهم الذى وقع بعده فيه من النزاع ماوقع الى اليوم فاما الزكاة والغنائم وقسمة المواريث فانها معينة لاهلها لايشركهم غيرهم فيها فلم يشكل على ولاة الامر بعده من أمرها ما أشكل عليهم من الفىء ولم يقع فيها من النزاع ماوقع فيه ولولا اشكال أمره عليهم لما طلبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراثها من تركته وظنت أنه يورث عنه ما كان ملكا له كسائر المالكين وخفى عليها رضى الله عنها حقيقة الملك الذى ليس مما يورث عنه بل هو صدقة بعده ولما علم ذلك

من ذوي رحمي أم لا ولكن أراعي لذوي رحمي حقهم بصلة الرحم يعني لقوله في بقية الحديث ولكن لهم رحم أبلها ببلالها بفتح الهمزة وضم الموحدة واللام المشددة قال البخاري يعني أصلها بصلتها (انتهى ملخصا) هذا المبحث (وقد استدل العلماء بتعليمه صلى الله عليه وسلم لاصحابه هذه الكيفية بعد سؤالهم عنها بأنها أفضل كيفيات الصلاة عليه لانه لا يختار لنفسه الا الاشرف الافضل ويترتب على ذلك) كثرة الثواب وأنه (لو حلف أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة فطريق البر أن يأتي بذلك هكذا صوبه النووي في الروضة) ووجهه السبكي بأن من أتى بها فقد صلى على النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة المطلوبة بيقين وكان له الجزاء الوارد في أحاديث الصلاة بيقين وكل من جاء بلفظ غيرها فهو من اتيانه بالصلاة المطلوبة في شك لانهم قالوا كيف نصلي عليك قال قولوا فجعل الصلاة عليه منهم هو قول هذا انتهى (بعد ذكر حكاية الرافعي عن ابراهيم المروزي أنه قال يبرأ اذا قال كلما ذكره الذاكرون وكلما سها عن ذكره الغافلون قال النووي وكانه) اي المروزي (أخذ ذلك من كون الشافعي ذكر هذه الكيفية يعني في خطبة الرسالة له ولكن بلفظ غفل بدل سها) وان اتحد معناهما وأوثر على سكت لان الساكت قد يكون ذاكرا بقلبه والساهي والغافل لم يذكر بقلبه ولا لسانه وظاهر سياق الرسالة أن ضمير ذكره وغفل عنه راجع الى الله قال الاذرعي وهو الوجه قال غيره لان الله تعالى هو الذي يوصف بكثرة الذكر عادة وبغفلة الذاكر عنه وان كان الكل صحيحا والمعنى لا يختلف ولو استحضر المصلي الامرين جميعا لكان حسنا قاله في الدر المنضود (وقال الاذرعي) بفتح أوله والراء بينهما معجمة ساكنة نسبة الى أذرعات بكسر الراء ناحية بالشام (ابراهيم المذكور كثير النقل من تعليقة القاضي حسين ومع ذلك فالقاضي قال في طريق البر أن يقول اللهم صل على محمد كما هو أهله ويستحقه وكذا نقله البغوي في تعليقه) عن القاضي (ولو جمع بينها) أي الثلاثة (فقال ما في الحديث) النبوي (وأضاف) ضم (اليه أثر الشافعي) أي المأثور عنه انه قاله في خطبة الرسالة لا الاثر بالمعنى المصطلح عليه لان الشافعي لم ينقله أثرا انما قاله في الخطبة من نفسه قال النووي ولعل الشافعي أول من استعمل تلك الكيفية (وما قاله القاضي حسين لكان أشمل ولو قيل انه يعمد) بكسر الميم يقصد (الى جميع ما اشتملت عليه الروايات الثابتة) عنه صلى الله عليه وسلم (فيستعمل منها ذكرا يحصل به البر لكان حسنا) فلا يقتصر على واحدة بعينها (وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تشهد أحدكم في الصلاة) سمي تشهدا لاشتماله على النطق بشهادة الحق تغليبا لها على بقية أذكاره لشرفها (فليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم انك حميد مجيد رواه الحاكم) في المستدرك واغتر قوم بتصحيحه فوهموا لانه من رواية يحيى بن السباق وهو مجهول عن رجل مبهم قاله المصنف في المقصد التاسع (وقد يستدل بهذا الحديث من ذهب الى جواز الترحم على النبي صلى الله عليه وسلم كما هو قول الجمهور) من العلماء وانما أتى بقد وان كان نصا في الجواز لضعف الحديث ولذا احتاج الى قوله (ويعضده) يقويه (قول الاعرابي) المختلف في انه الاقرع بن حابس التميمي أو ذو الخويصرة اليماني أو عيينة بن حصن أو ذو الخويصرة التميمي وهو غير اليماني حين قال لما دخل المسجد بعد أن صلى ركعتين كما في رواية الترمذي وغيره (اللهم ارحمني ومحمدا) يعني النبي صلى الله عليه وسلم (ولا ترحم معنا أحدا) فلم ينكر عليه الدعاء بالرحمة وانما أنكر التخصيص (فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تحجرت واسعا) أي ضيقت من رحمة الله ما وسعته اذ خصصتني وخصصت نفسك بها دون غيرنا مع انها وسعت كل شيء فهو تحجر تفعل من الحجر وهو المنع هكذا فسره الجمهور زاد في رواية الترمذي وغيره فلم يلبث أن بال في المسجد وللدارقطني

خليفته الراشد البار الصديق ومن بعده من الخلفاء الراشدين لم يجعلوا ما خلفه من الفيء ميراثا يقسم بين ورثته بل دفعوه الى علي والعباس يعملان فيه عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تنازعا فيه وترافعا الى أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهم أجمعين ولم يقسم أحد منهما ذلك ميراثا ولا مكنا منه عباسا وعليا رضي الله عنهما وقد قال الله تعالى ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم الى قوله والذين جاؤا من بعدهم الى آخر الآية فأخبر سبحانه ان ما أفاء على رسوله بجملته لمن ذكر في هؤلاء الآيات ولم يخص منه خمسه بالمذكورين بل عمم وأطلق واستوعب ويصرف على المصارف الخاصة وهم أهل الخمس ثم على المصارف العامة وهم المهاجرون

عن ابن مسعود جاء اعرابي شيخ كبير فقال يا محمد متى الساعة قال ما أعددت لها قال لا والذي بعثك بالحق ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام الا أني أحب الله ورسوله قال فانك مع من أحببت قال فذهب فأخذه البول في المسجد فمر عليه الناس فأقاموه فقال صلى الله عليه وسلم دعوه عسى أن يكون من أهل الجنة وصبوا على بوله الماء ولذا تطرف من قال هو السائل والقائل والبائل لكن هنيأ له الجنة (وحكى القاضي عياض عن جمهور المالكية منعه قال وأجازه أبو محمد ابن أبي زيد) قال عياض ولم يأت به حديث صحيح وحجته قوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته (انتهى) وقد شددوا النكير على أبي محمد (وسيأتي ما في ذلك من البحث ان شاء الله تعالى في المقصد التاسع عند الكلام على التشهد) غاية ما منه الانتصار لابن أبي زيد بما حاصله أن الانكار عليه ان كان لاجل انه لم يصح في أحاديث الصلاة بعد التشهد فسلم والا فدعوى انه لا يقال وارحم محمدا ممنوعة لثبوت ذلك في عدة أحاديث أصحها في التشهد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته (وعن سلامة) بن قيصر (الكندي) بكسر الكاف واسكان النون نسبة الى كندة قبيلة باليمن الحضرمي التابعي ذكره ابن حبان في الثقات وقال يروي عن علي وعنه نوح بن قيس (ان عليا) أمير المؤمنين (كان يعلم الناس هذا الدعاء وفي لفظ يعلم الناس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم داحي المدحوات) أي باسط الارضين اسم فاعل من دحا كقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها أي بسطها ووسعها لانها خلقت أولا ربوة ثم بسطت ومهدت وروي المدحيات بالياء يقال يدحو ويدحى بالواو والياء وفيه اطلاق داحي على الله فهو حجة لمن قال الاسماء ليست توقيفية ويكفي ورود مادتها كدحا (وبارئ) بالهمز اسم فاعل من برأ بمعنى خلق على غير مثال أي ميز وأفرز (المسموكات) أي المرفوعات يعني السموات وروي سامك بدل بارئ ومعناه رافع وأسقط من الرواية هنا وجبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها (اجعل شرائف صلواتك) أفضلها وأعلاها جمع شريفة أي عالية رفيعة المقدار من الشرف وأصله ما علا من الارض على غيره (ونوامي بركاتك) أي ما زاد الى غير نهاية من خيراتك من اضافة الصفة لموصوفها أي بركاتك النامية أي الزائدة (ورأفة) أشد رحمة (تحننك) شفقتك ورحمتك ولطفك نازلة متوالية (على محمد عبدك) قدمه لشرف العبودية على غيرها بدلالتها على القرب (ورسولك) لجميع العالمين (الفاتح لما أغلق) بضم الهمزة وكسر اللام من الشرائع فبينه لان الله أنزل عليه وحيه فبينه وشرحه وفتح المغلق منه وبسط ما انبهم فأوضحه وفتح مشكله أو فاتح أبواب السعادات الدنيوية والاخروية واستبعد تفسيره بأنه أول الناس خلقا وآخرهم بعثا (والخاتم لما سبق) من النبوة والرسالة فلا نبي بعده ولا رسول أو من الشرع والاسلام ولا حاجة لتفسيره بالانبياء والرسل المحوج لجعل ما بمعنى من (والمعلن) اسم فاعل أي المظهر (الحق) بالنصب مفعوله والجر باضافته وليس النصب بنزع الخافض لتعدي معلن بنفسه (بالحق) أي الدين والشرع فأقيم الظاهر مقام الضمير أو الحق الثاني الله عز وجل فهو من أسمائه أي بمعونة الله وتأييده (والدامغ) الدافع والمزيل مستعار من دمغه اذا كسر دماغه قاله الراغب (لجيشات) جمع جيشة المرة من جاش اذا فار وارتفع أي ارتفاعات (الاباطيل) وعلوها جمع باطل على غير قياس وقياسه ابطيل وأبطول وقيل جمع أبطولة أو ابطيلة أو ابطالة ولم يسمع وفيه استعارة وتمثيل لما ظهر من الكفر والفساد بأمر علا والقى عليه صخرة رضته وألصق بتراب الذلة وتفسير الجيشات بالاجناد لا ينبغي (كما حمل) بضم الحاء وكسر الميم المشددة والكاف للتشبيه أو التعليل أو بمعنى على والاول أظهر فهو متعلق بما قبله أو خبر مبتدأ مقدر أي هذه الحالة المذكورة ثابتة له كما ثبت تحمله أعباء الرسالة (فاضطلع) بضاد معجمة وطاء مهملة أي قوى على حمله (بأمرك) أي بسبب امتثاله

والأنصار وأتباعهم الى يوم الدين فالذي عمل به هو وخلفاؤه الراشدون هو المراد من هؤلاء الآيات ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما رواه أحمد رحمه الله وغيره عنه ما أحد أحق بهذا المال من أحد وما أنا أحق به من أحد والله ما من أحد الا وله في هذا المال نصيب الا عبد مملوك ولكنا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فالرجل وبلاؤه في الاسلام والرجل وقدمه في الاسلام والرجل وغناؤه في الاسلام والرجل وحاجته ووالله لئن بقيت لهم ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه فهؤلاء المسمون في آية الفيء هم المسمون في آية الخمس ولم يدخل المهاجرون والانصار وأتباعهم في آية الخمس لانهم المستحقون لجملة الفيء وأهل الخمس لهم استحقاقان استحقاق خاص من الخمس واستحقاق عام من جملة الفيء فانهم داخلون في النصيبين وكما أن قسمته من جملة الفيء بين من جعل له ليس قسمة الاملاك التي يشترك فيها المالكون كقسمة المواريث والوصايا والاملاك المطلقة بل بحسب الحاجة والنفع والغناء في الاسلام

والبلاء فيه فكذلك الخمس في أهله فان مخرجهما واحد في كتاب الله والتنصيص على الاصناف الخمسة

لالغرض آخر او أريد بالامر تيسيره واعانته (بطاعتك) بدل مما قبله أو متعلق به وفي نسخة لطاعتك باللام أي فيما كلفته به (مستوفزا) بالفاء والزاي حال من الضمير في حمل أو اضطلع أي مستعجلا جادا غير متوان فيما أمرته به (في مرضاتك) أي رضاك وفي ظرفية أو للتعليل زاد في بعض نسخ الشفاء بغير نكل في قدم ولا وهن في عزم أي بغير جبن في اقدامه ولا ضعف في عزيمته (واعيا) بالواو حافظا ضابطا (لوحيك) الذي أوحيته اليه لم يشغله عنه ما لقيه من المشاق في تبليغه (حافظا لعهدك) أي متمسكا مداوما على ما عاهدته عليه من الايمان والاخلاص في طاعتك أو امتثال أمرك ونهيك كما قال وأنا على عهدك و وعدك ما استطعت (ماضيا) مجتهدا مستمرا (على نفاذ أمرك) بذال معجمة من أنفذ كذا أمضاه وبلغ أقصاه (حتى أورى) أضاء وأنار (قبسا) بفتحتين شعلة من نار استعير ذلك لاظهار الحق (لقابس) طالب نور الحق والهداية التي هي من (آلاء الله) بالمد جمع الى بالقصر مع الفتح والكسر أي نعم (يصل) من الوصل (بأهله) أي بأهل ذلك القبس (أسبابه) جمع سبب وهو ما يوصل به الى الشيء والجملة صفة قبس (به هديت) بضم الهاء و كسر الدال أرشدت (القلوب) الضالة عن طريق الحق في ظلمة الجهل (بعد خوضات) جمع خوضة الدخول في الماء ويستعار للدخول في كل أمر يذم (الفتن) جمع فتنة ما يفتن به الانسان من المحن ويقال هي العذاب ويقال أيضا الحروب وتطلق على الكفر وبه فسروا الفتنة أشد من القتل وهو المراد هنا أي بعد كفرهم (و) وقوعهم في مهاوي (الاثم وأنهج) بالنون أي بين وسهل وأوضح وفي نسخة بالموحدة أي أنار وأشرق (موضحات الاعلام) جمع علم بمعنى علامة ما يهتدى به وسقط من أكثر نسخ الشفاء أبهج بالباء أو النون وكذا سقط في أصل عياض لصحة الكلام بدونه فموضحات بفتح الضاد اسم مفعول مفعول هديت بحذف الخافض أي الى موضحات أو نصب حال من القلوب أي حال كونها موضحات ويجوز رفعه خبر مبتدأ مقدر هو ضمير القلوب أي ظاهرة أدلة هدايتها ويجوز كسر الضاد جمع موضحة اسم فاعل من الايضاح الكشف والبيان أي صارت القلوب بما رزقت من الهداية منشورات أو ناشرات لما الاعلام بمعنى الالوية (ونائرات) جمع نائرة من النور الضياء أي مضيآت (الاحكام) الشريعة من حلال وحرام وغيرهما (ومنيرات) من أنار المتعدي أي مظهرات ومضيئات (الاسلام) الدين أو الاستسلام والانقياد لامر الله ثم المعنى على سقوط لفظ أنهج ظاهر لان مآله انه هديت به القلوب للادلة الدالة على ما هديت له من أحكام الشريعة ولما يظهر الدين ويؤيده من نصره أما على رواية اثباتها فمعناه انه ظاهر في نفسه لمن له بصيرة ونفس قدسية واظهاره بالنسبة لغيرهم أو اظهار اشاعته وانتشاره حتى يصل الى أقصى الارض فتدين له الملوك والجبابرة (فهو أمينك) على وحيك وأسرارك التي أطلعته عليها (المأمون) الذي ارتضيته لحفظها أو خلقته حفيظا عليها كما أشار له بقوله (وخازن علمك المخزون) في خزائن ملكوتك وكنوز عرشك حتى أنزلته له وائتمنته عليه دون غيره وأمرته بايصاله لمن يليق به (وشهيدك) فعيل بمعنى فاعل صيغ للمبالغة (يوم الدين) يوم القيامة على الانبياء وأممهم أي بتصديقهم على تبليغهم (وبعيثك) فعيل بمعنى مفعول أي مبعوثك الذي بعثته (نعمة) مفعول لاجله أي ليكون رحمة للعالمين (ورسولك بالحق) الثابت في نفس الامر (رحمة) عامة لجميع خلقك مفعول له أيضا وقد يفرق بين رحمة ونعمة بانها ما حصل به من الخير والبركة ليمنه والرحمة هدايتهم بسببه التي كانت سببا لخلوصهم من الكفر والضلال ليدفع التكرار (اللهم افسح) وسع (له في عدنك) بالنون بخط عياض قبلها دال ساكنة اسم للجنة مطلقا كقوله جنات عدن مفتحة ومعناه دار الخلود من عدن

يفيد تحقيق ادخالهم وانهم لا يخرجون من أهل الفيء بحال وان الخمس لا يعدوهم الى غيرهم كأصناف الزكاة لا تعدهم الى غيرهم كما ان الفيء العام في آية الحشر للمذكورين فيها لا يتعداهم الى غيرهم ولهذا أفتى أئمة الاسلام كمالك والامام أحمد رحمهم الله وغيرهما ان الرافضة لا حق لهم في الفيء لانهم ليسوا من المهاجرين ولا من الانصار ولا من الذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وهذا مذهب أهل المدينة واختيار شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وعليه يدل القرآن وفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين وقد اختلف الناس في آية الزكاة وآية الخمس فقال الشافعي رحمه الله يجب قسمة الزكاة والخمس على الاصناف كلها ويعطى من كل صنف من يطلق عليه اسم الجمع وقال مالك رحمه الله وأهل المدينة بل يعطى في الاصناف المذكورة فيهما ولا يعدوهم الى غيرهم ولا تجب قسمة الزكاة ولا الفيء على جميعهم وقال الامام أحمد

اقام ويكون اسما أيضا الجنة مخصوصة بها عرفها لهم والمراد طلب بهجة مقامه وزيادة حسنه وشرف منظره لان سعة المنزل أمر مستحسن ولذا قيل أحسن المنازل ما سافر فيه النظر والافسعة الجنة أمر معلوم ورواه العزفي برأى ووفاء عن عياض عدلك بلام بدل النون أى وسع له فى رضاك وجزائك له ما يليق به (وأجزه) بهمزة وصل وجيم ساكنة وزاى مكسورة ثلاثى من جزى قال تعالى وجزاهم بما صبروا هكذا روى فى الاصول المعتمدة وصوبه السخاوى وضبط فى كثير من الاصول بهمزة قطع مفتوحة وكسر الجيم من الجائزة وهى العطية أو من الاجزاء بمعنى الكفاية أبدلت همزته الاخيرة ثم عومل معاملة المعتل كارم أى اكفه عن سوالك وروى براء مفتوحة قال السخاوى وأظنه تصحيفا (مضاعفات الخير) زياداته التى لا تنحصر مما لا عين رأت ولا أذن سمعت (من فضلك) لانه لا يجب عليك شئ فهو رد على المعتزلة (مهنآت له) جمع مهنأة بشد النون والهمز اسم مفعول من الهنى وهو السائغ وكل ما أتى من غير تنغيص وهو حال من مضاعفات (غير مكدرات) أى منغصات حال أو صفة مهنآت مؤكدة (من فوز) بفاء وزاى منقوطة عند الاكثرين وهو الظفر بنيل البغية ولبعضهم براء مهملة بمعنى سريع عاجل كما قيل أهنأ البر عاجله مستعار من فارت القدر اذا غلت (ثوابك) غطائك (المحلول) بحاء مهملة من حل اذا نزل أى الكائن فى الجنة أو الذى أوصلته له فصار صفة له حالا فيه أو المستوجب بفتح الجيم أى الذى استوجبه واستحقه من حل اذا وجب قيل وهو بعيد متكلف (وجزيل) أى كثير وعظيم (عطائك) احسانك وانعامك (المعلول) المضاعف من العلل وهو الشرب مرة بعد نهل وهو الشرب مرة فشبه عطاءه بمنهل عذب برده العطاش كما تريد مرارا والمراد أنه كثير لا ينقطع (اللهم أعل) بقطع الهمزة أى اجعله عاليا رفيعا (على بناء) بموحدة ونون (الناس) وروى البانين جمع بان (بناءه) بموحدة ونون أى اجعل مقامه فى الجنة فوق كل مقام أو اجعل مقداره أرفع من كل مقدار أو ذاته أشرف من جميع الذوات لان الذات بناء الله كما ورد وصحح فى بعض النسخ ثناء بمثلثة أى اجعل مدحه فوق ما يثنى به الناس عليه فانهم لا يقدرون على أدائه حق الاداء (وأكرم مثواه) مقامه (لديك) عندك أى اجعله حسنا مرضيا (ونزله) بضم النون وسكون الزاى وضمها وهو القرى المعد للضيف اذا نزل والمراد ثوابه وأجره وحسن استعارته ذكره بعد المثوى فانه كرم على كرم (وأتمم له نوره) اجعله تاما كاملا كائنا فى جميع جهاته وحواسه وقلبه كما ورد فى دعائه (واجزه) بهمزة وصل أو قطع على ما سبق (من ابتعاثك) افتعال من البعث بموحدة ومثلثة أى بعثك بالنبوة والرسالة (له) متعلق به لا تعليلية متعلقة باجزه كما زعم أى كافئه على ما قام به من أمور الرسالة (مقبول الشهادة) فى المحشر للانبياء وعلى الامم نصب على الحال (مرضى المقالة) أى القول ثمة من الشهادة والشفاعة (ذا منطق) نطق (عدل) معتدل مستقيم أى ما يقوله بعد الشفاعة من حمده بمحامد لا تضاهى وهو حال أيضا (وخطة) بضم المعجمة وشد المهملة الامر والشأن الجزل (فصل) فاصل بين الحق والباطل (وبرهان) دليل (عظيم) قوى قاطع (حديث موقوف) على على لم يرفعه رواه الطبرانى (لكن قال الحافظ بن كثير فى سنده نظر قال وقال شيخنا الحافظ أبو الحجاج) يوسف (المزى) بكسر الميم والزاى نسبة الى المزة قرية بدمشق (سلامة الكندى هذا ليس بمعروف ولم يدرك عليا) فهو منقطع وعبر عنه السخاوى بمرسل بناء على انه ما سقط منه راو (كذا قال) تبرأ منه لان ابن حبان عرفه وذكره فى كتاب الثقات وقال انه يروى عن على وعنه نوح بن قيس وتكلم المصنف على بعض غريبه على عادتهم فقال (وقوله داحى المدحوات أى باسط) اشارة الى أن داحى اسم فاعل (الارضين) السبع (وكل شئ بسطته ووسعته فقد دحوته) قال تعالى والارض بعد ذلك دحاها أى بسطها ووسعها وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو فلا تنافى بين هذه الآية وبين ما فى سورة

وأبو حنيفة بقول مالك رحمهم الله فى آية الزكاة وبقول الشافعى رحمه الله فى آية الخمس ومن تأمل النصوص وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه وجده يدل على قول أهل المدينة فان الله سبحانه جعل أهل الخمس هم أهل الفىء وعينهم اهتماما بشأنهم وتقديما لهم ولما كانت الغنائم خاصة بأهلها لا يشركهم فيها سواهم نص على خمسها لاهل الخمس ولما كان الفىء لا يختص باحد دون أحد جعل جملته لهم وللمهاجرين والانصار وتابعيهم فسوى بين الخمس والفىء فى المصرف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف سهم الله وسهمه فى مصالح الاسلام وأربعة أخماس الخمس فى أهلها مقدما للاهم فالاهم والاحوج فالاحوج فيزوج منه عزابهم ويقضى منه ديونهم ويعين ذا الحاجة منهم ويعطى عزبهم حظا ومتزوجهم حظين ولم يكن هو ولا أحد من خلفائه يجمعون اليتامى والمساكين وأبناء السبيل وذوى القربى ويقسمون أربعة أخماس الفىء بينهم على السوية ولا على التفصيل كما لم يكونوا يفعلون ذلك فى الزكاة فهذا هديه وسيرته وهو فصل الخطاب ومحض الصواب * (فصل فى حكمه صلى الله عليه وسلم) * فى الوفاء بالعهد لعدوه وفى رسلهم أن لا يقتلوا ولا يحبسوا وفى النبذ الى من عاهده

فصلت (وبارئ المسموكات أي خالق) اشارة الى ان بارئ اسم فاعل من برأ بمعنى خلق (السموات) تفسير المسموكات (وكل شئ رفعته وأعليته فقد سمكته) وسمك بمعنى رفع وارتفع متعد ولازم (والدامغ لجيشات الاباطيل أي المهلك) بيان للدامغ (لما نجم وارتفع) عطف تفسير (منها) أي الاباطيل (وفار) بيان لجيشات (وأصل الدمغ من الدماغ) يقال (دمغه أصاب دماغه) كسره قال تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه (وجيشات من جاش اذا ارتفع) فالمعنى المذهب لفوران الباطل وظهوره (واضطلع) بزنة (افتعل من الضلاعة وهي القوة) وأصلها قوة الاضلاع فالمعنى انه صلى الله عليه وسلم حمل ثقل ما حمل من القيام بأمر الله وحقوق النبوة فحمل ذلك واجتهد وقوي عليه وقام به أتم قيام (وأورى قبسا القابس أي أظهر نورا من الحق لطالبه) وأصل أورى قدح الزناد لخروج النار شررا توقد منه والقبس ما يتناول من الشعلة قال تعالى أو آتيكم بشهاب قبس والاقتباس طلبه ثم استعير ذلك لاظهار الحق وما يهتدى به الناس وفي المثل ما كل قادح زنده يوري (وآلاء الله) بالمد (نعم الله) الالهية وسعادة الدارين بواسطته (و) قوله (يصل بأهله أي بأهل ذلك القبس) فضمير أهله عائد له (وهو) أي القبس (الاسلام والحق أسبابه وأهله المؤمنون) وفي التلمساني ومعناه نعم الله تصل أي النعم أسبابه وهو ما يتوصل به بأهله وهاء أسبابه اما لله أو لرسوله وكذا هاء أهله ومعناه أسباب الله بأهل الله أو أسباب رسول الله بأهل رسول الله وهو أولى لان المقام له ويجوز أن يكون آلاء الله هو محمد صلى الله عليه وسلم لان النعمة العظمى بل النعمة كلها ومعناه محمد نعمة الله تصل أسبابه بأهله أو معناه النعمة الاسلام تصل أسبابه وهم القرابة وهي قرابة محمد صلى الله عليه وسلم بأهله أي بأهل الله وذلك أن نعمة الله وهي الاسلام وصلت قرابته صلى الله عليه وسلم بأهل الله ومعناه ألحقت القرابة بالاهل انتهى (وبه هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم أي هديت بعد الكفر) تفسير للاثم بدليل قوله (والفتن) أي المحن والحروب وفسر غيره الفتن بالكفر كقوله تعالى والفتنة أشد من القتل (لموضحات الاعلام) بمعنى الالوية استعارة للهداية (ونائرات) الاحكام (ومنيرات الواضحات يقال نار الشئ) لازم (وأنار) متعد (اذا وضح) وفي القاموس النور الضوء أيا كان أو شعاعه نار نورا وأنار واستنار ونور وتنور (وشهيدك يوم الدين يريد الشاهد على أمته يوم القيامة) قال تعالى وجئنا بك (وبعيثك نعمة أي مبعوثك فعيل بمعنى مفعول وافسح له أي وسع وفي عدنك أي في جنتك جنة عدن) من عدن بمعنى أقام (والمعلول من العلل) بفتحتين (وهو الشرب) الثاني بعد الاول (يريد أن اعطاءه مضاعف كأنه يعل به عباده أي يعطيهم عطاء بعد عطاء) الى ما لا نهاية له (وأعل على بناء الناس وفي رواية البانين) بدل الناس جمع بان (أي ارفع فوق عمل العاملين عمله وأكرم مثواه أي منزله ونزله رزقه) وأصل معناه القرى المعد للضيف اذا نزل (والخطة بضم الخاء المعجمة) وبطاء مهملة (الامر والقصة والفصل) بصاد مهملة (القطع) أي بين الحق والباطل بتمييزه (وعن ابن مسعود قال اذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه) أي اقصدوا أحسنها وقولوه (فانكم لا تدرون) ما يترتب على صلاتكم أو أنها تبلغه أم لا (لعل ذلك) المذكور من الصلاة (يعرض عليه) لان جميع أعمال أمته تعرض عليه والصلاة من أحسنها فينبغي تحري أحسنها ليزيد سروره بذلك قال فقالوا له علمنا (قال قولوا اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك) المراد بجعلها انزالها فلذا عداه بعلى فقال (على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد) بالجر بدل مما قبله (عبدك ورسولك امام الخير) المقتدى به في كل خير أو امام الاخيار (ورسول الرحمة) للعالمين وفي مسلم أنا نبي الرحمة (اللهم ابعثه مقاما محمودا) يحمده فيه جميع الخلائق وهو مقام الشفاعة العظمى والتنكير للتعظيم (يغبطه

على سواء اذا خاف منه نقض العهد ثبت عنه أنه قال لرسولي مسيلمة الكذاب لما قالا نقول أنه رسول الله لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما وثبت عنه أنه قال لابي رافع وقد أرسلته اليه قريش فأراد المقام عنده وانه لا يرجع اليهم فقال اني لا أخيس بالعهد ولا أحبس البرد ولكن ارجع فان كان في نفسك الذي فيها الآن فارجع وثبت عنه أنه رد اليهم أبا جندل للعهد الذي كان بينه وبينهم أن يرد اليهم من جاء منهم مسلما ولم يرد النساء وجاءت سبيعة الاسلمية مسلمة فخرج زوجها في طلبها فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار الآية فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يخرجها الا الرغبة في الاسلام وانها لم تخرج لحدث أحدثته في قومها ولا بغضا لزوجها فحلفت فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجها مهرها ولم يردها عليه فهذا حكمه الموافق لحكم الله ولم يجئ شئ ينسخه البتة ومن زعم أنه منسوخ فليس بيده الا الدعوى المجردة وقد تقدم بيان ذلك في قصة الحديبية وقال تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله

فيه

فيه الاولون والآخرون) أى يتمنون نيل مثله من غير زواله عنه وهذا هو الفرق بين الغبطة والحسد وقد يراد بالغبطة لازمها وهى المحبة والسرور والمسار أو فقط وهو اللائق بالانبياء الكمل فان من تمنى مقام غيره الذى خصه الله به كانه يقول هلا ساويته به فى مقامه ففيه اعتراض خفى (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم) أى كما تقدمت منك الصلاة عليه وعلى آله فنسألك الصلاة على محمد وآله بطريق الاولى لان الذى يثبت للفاضل يثبت للأفضل بالاولى فليس التشبيه من الحاق الكامل بالاكمل بل من باب التهييج ونحوه كما مر فى الاجوبة وهذا من محاسنها (انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد حديث موقوف رواه ابن ماجه) والبيهقى والديلمى وتمام فى فوائده والدارقطنى (وعن رويفع) بضم الراء وفتح الواو وسكون الياء وبالفاء والعين تصغير رافع (ابن ثابت) بن السكن بن عدى بن حارثة (الانصارى) المدنى صحابى سكن مصر وولى امرة برقة ومات بها سنة ست وخمسين (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على محمد وقال اللهم أنزله المقعد الصدق المقرب عندك) وهو أعلى المنازل (يوم القيامة وجبت له شفاعتى) ثبتت وحقت (رواه الطبرانى قال ابن كثير واسناده حسن ولم يخرجوه) أى أصحاب السنن ونحوهم ولا يضر ذلك اسناده (وعن طاوس) بن كيسان (سمعت ابن عباس يقول) اذا صلى على النبى صلى الله عليه وسلم (اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى) يوم القيامة لفصل القضاء اذا قيل له اشفع تشفع ودعاؤه بذلك لنيل الثواب وان كانت محققة له كما فى قوله (وارفع درجته) منزلته (العليا) فى الجنة (وأعطه سؤله) أى مسؤله ومطلوبه (فى الآخرة) كدرجات ونجاة أمته وشفاعاته العديدة (والاولى) الدنيا التقدمها كاعلاء كلمة الله ونصره ونصر أمته وسعة ملكهم وأن لا يسلط عليهم أعداءهم ولا يستأصلهم ولا يهلكهم بسنة عامة ونحوه مما ورد فى الاحاديث (كما آتيت ابراهيم وموسى) ماسألاه (رواه اسمعيل) بن اسحق (القاضى) أحد الحفاظ الاعلام (قال ابن كثير واسناده جيد) أى مقبول (قوى) فى ذلك فهو (صحيح) ومطابقته لترجمة صفة الصلاة عليه مع انه لاذكر لها فيه من حيث ان المراد بالصلاة الدعاء وهذا دعاء فيه تعظيم وثناء عليه بما يليق به وفى بعض النسخ تأخير هذا الاثر بعد قوله (وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره) أى أفرحه (ان يكتال له بالمكيال الاوفى) الزائد على غيره أى من أحب أجرا لا يساويه فيه غيره أو أحب أن يصلى أحسن صلاة وأعظمها اذا صلى علينا أهل البيت فعبر بالمكيال عن ذلك استعارة تبعية مصرحة أو شبه الاجر بما يشترى من حبوب ونحوه وشبه ذكر موآله بالكيل له لاستيفائه على طريقة المكنية والاجر لظهور تأديته فى قوة المذكور ووجه الشبه ان ما به البقاء هو استيفاء الشئ وحيازته والمراد الترغيب فى الصلاة عليهم بهذه الالفاظ (فليقل اللهم صل على محمد النبى الامى وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد) فضل هذه الصلاة لشمولها ولتعظيمه بوصف النبوة التى هى أقرب منزلة وبالامية التى هى من أجل آياته ووصف أزواجه بما يحبه وذكر صلاة الله على أبيه ابراهيم وختمها بالثناء على الله (رواه أبو داود) وفى الشفاء وكان الحسن البصرى يقول من أراد أن يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وأولاده وذريته وأهل بيته وأصهاره وأنصاره وأشياعه ومحبيه وأمته وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين (وأما المواطن) جمع وطن مكان الانسان عبر به مجازا عن المواضع (التى يشرع فيها) يطلب وجوبا أوندبا (الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم) ولم يذكر السلام للاقتصار على

لايحب الخائنين وقال صلى الله عليه وسلم من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقداء لايشدنه حتى يمضى أمده أو ينبذ اليهم على سواء قال الترمذى حديث حسن صحيح ولما أسرت قريش حذيفة بن اليمان وأباه اطلقوهما وعاهدوهما أن لا يقاتلاهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا خارجين الى بدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نفى لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم

(فصل فى حكمه صلى الله عليه وسلم فى الامان من الرجال والنساء)

ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وثبت عنه انه أجار رجلين أجارتهما أم هانئ ابنة عمه وثبت عنه انه أجار أبا العاص بن الربيع لما أجارته ابنته زينب ثم قال يجير على المسلمين أدناهم وفى حديث آخر يجير على المسلمين أدناهم ويرد عليهم أقصاهم فهذه أربع قضايا كلية * أحدها تكافؤ دمائهم وهو يمنع قتل مسلمهم بكافرهم * والثانية انه يسعى بذمتهم أدناهم وهو يوجب قبول أمان المرأة والعبد وقال ابن الماجشون لا يجوز الامان الا لوالى الجيش أو والى السرية قال ابن شعبان وهذا خلاف قول الناس كلهم * والثالثة ان المسلمين يد على من

الصلاة فى الاحاديث التى أوردها أو للخلاف فى افراد الصلاة عنه (فمنها التشهد الاخير وهى واجبة فيه) أى عقبه لانها ليست من مسمى التشهد كما يعلم من أحاديثه (كما قدمنا) عن الشافعية سنة أو مستحبة عند غيرهم (وفى وجوبها فى التشهد الاول قولان أظهرهما المنع) للوجوب (لبنائه على التخفيف بل هى سنة) لانه نفسه سنة وتعقبه شيخنا باقتضائه ان احد قولى الشافعى وجوبها بحيث يأثم بتركها وليس كذلك فان القولين كما فى المنهاج وغيره انما هما فى انها سنة فى الاول لانه سنة أوليست سنة أصلا لبنائه على التخفيف أظهرهما الاول قياسا على الاخير أى على وجوبها فيه لو وجوبه قال فى تقريره ولم نر أحدا نقل القول بوجوبها اذ الاول سنة باتفاق (وفى استحباب الصلاة على الآل فى التشهد الاول القولان) صوابه وجهان أى مخرجان على القولين لان اصطلاح الشافعية ان القول لنص الامام والوجه لغيره (وفى وجوبها) على الآل (فى الاخير رأيان) للنووى فرجح فى الروضة انهما قولان للشافعى ورجح فى شرح المهذب انهما وجهان لغيره (أصحهما المنع) للوجوب (بل هى سنة تابعة وأقلها اللهم صل على محمد وكذا صلى الله على محمد وأقلها على الآل وآله) كما فى الروضة وأصلها وهو يتناول لواجبة والمندوبة فى التشهدين على ما تقدم (وقال) ابن الرفعة (فى الكفاية) وعلى آله (باعادة على) فان أسقطها لم يأت بالاقل لكن فى المنهاج وشرحه وأكمل من قوله وآله ان يقال وعلى آله وهو يفيد أنه لا خلاف فى الاكتفاء فى اداء السنة بقوله وآله من غير ذكر على كذا فى الشرح والمصنف عزا للكفاية وليس فيما رده به حكاية اتفاق انما هو المعتمد (ومنها خطبتا الجمعة وكذا غيرها) من الخطب خطبتا العيدين والكسوف والاستسقاء وخطب الحج الاربع (فلا تصح خطبتا الجمعة الابها) خصها لوجوبها الصحة الجمعة والاقباقيها الاتصح الابها بمعنى انها سنة فيها كهى (لانها عبادة وذكر الله فيها شرط للصحة (فوجب ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فيها كالاذان والصلاة وهذا مذهب الشافعى وأحمد) ومذهب الجمهور الاستحباب فقط (ومنها عقب اجابة المؤذن) بعد فراغه من أذانه فلو ترك اجابته لم تسن له الصلاة وهو مقتضى كلام الروض لكن فى الرملى ظاهر أن كلا من الاجابة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والدعاء سنة مستقلة فلو ترك بعضها سن له ان يأتى بالباقى (لما رواه الامام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاصى) الصحابى ابن الصحابى (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول) استحبابا عند الجمهور لحديث فى مسلم دل على صرف الامر عن الوجوب الذى قال به الحنفية والظاهرية وابن وهب وجماعة من السلف قال الكرمانى وفى تعبيره بالمضارع اشعار بأنه يجيبه بعد كل كلمة مثلها وللنسائى عن أم حبيبة كان صلى الله عليه وسلم يقول مثل ما يقول المؤذن حتى يسكت ويستثنى من ذلك الحيعلتان فيقول بدلهما لاحول ولاقوة الا بالله كما فى حديث عمر عند مسلم ومعاوية عند البخارى وغيره ثم المماثلة فى القول لافى صفته فلا يطلب برفع الصوت المطلوب من المؤذن لان قصده الاعلام وقصد السامع الذكر فيكفى السر أو الجهر بلارفع صوت نعم لا يكفى اجراؤه على قلبه بدون لفظ لظاهر الامر بالقول (ثم صلوا على فانه من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشرا) أى رحمه وضاعف أجره بشهادة من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وفائدة ذكره وان كانت كل حسنة كذلك انه سبحانه لم يجعل جزاء ذكره الاذكره فكذلك جعل ذكر نبيه ذكر من ذكره ولم يكتف بذلك بل زاد كما فى حديث أنس عند أحمد والنسائى وصححه ابن حبان والحاكم وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات قال الطيبى الصلاة من العبد التعظيم للنبى صلى الله عليه وسلم ومن الله على العبد ان كانت بمعنى الغفران فيكون من باب المشاكلة من حيث اللفظ وان كانت بمعنى التعظيم فيكون من الموافقة لفظا ومعنى وهذا هو الوجه لئلا يتكرر معنى الغفران مع قوله وحط عنه عشر

خطيئات

فتواهم وهذا يمنع من تولية الكفار شيأ من الولايات فان للوالى يدا على المولى عليه والرابعة انه يرد عليهم أقصاهم وهذا يوجب أن السرية اذا غنمت غنيمة بقوة جيش الاسلام كانت لهم وللقاصى من الجيش اذ بقوته غنموها وان ما صار فى بيت المال من الفىء كان لقاصيهم ودانيهم وان كان سبب أخذه دانيهم فهذه الاحكام وغيرها مستفادة من كلماته الاربعة صلوات الله وسلامه عليه

* (فصل فى حكمه صلى الله عليه وسلم) * فى الجزية ومقدارها وممن تقبل قد تقدم ان أول ما بعث الله عز وجل به نبيه صلى الله عليه وسلم للدعوة اليه بغير قتال ولا جزية فاقام على ذلك بضع عشرة سنة بمكة ثم أذن له فى القتال لما هاجر من غير فرض له ثم أمره بقتال من قاتله والكف عمن لم يقاتله ثم لما نزلت براءة سنة ثمان أمره بقتال جميع من لم يسلم من العرب من قاتله أو كف عن قتاله الا من عاهده ولم ينقصه من عهده شيأ فامره ان يفى له بعهده ولم يأمره باخذ الجزية من المشركين وحارب اليهود مرارا ولم يؤمر باخذ الجزية منهم ثم أمره بقتال أهل الكتاب كلهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية فامتثل أمر ربه فقاتلهم فاسلم بعضهم وأعطى بعضهم الجزية

خطيئات جمع خطيئة وهى الذنب (ثم سلوا الله لى الوسيلة) فعيلة من وسل اذا تقرب وتطلق على المنزلة العلية كما قال (فانها منزلة فى الجنة) وهى علم على أعلى درجة فى الجنة على انه يمكن رده الى الاول فالواصل الى تلك المنزلة قرب الى الله فتكون كالقربة التى يتوسل بها وفى المسند عن أبى سعيد مرفوعا الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فسلوا الله لى الوسيلة ولابن أبى حاتم عن على انه قال على منبر الكوفة ان فى الجنة لؤلؤتين بيضاء وصفراء فالبيضاء واسمها الوسيلة لمحمد وأهل بيته والصفراء لابراهيم وأهل بيته قال ابن كثير أثر غريب وأمر أمته ان يسألوها له لينالوا بالدعاء الزلفى وزيادة الايمان وايضا فان الله قدرها له بأسباب منها دعاء أمته له بما نالوا على يده من الهدى والايمان انتهى من المقصد الاخير ملخصا (لا تنبغى) لا تكون (الالعبد) واحد عظيم جليل فالتنوين والتنكير للتعظيم (من عباد الله) الاشراف المقربين فالاضافة لاختصاصهم بالشرف والقرب من سيدهم (وأرجو أن أكون أنا) تأكيد للضمير المستتر فى اكون و(هو) خبر وضع بدل اياه ويحتمل أن يكون تأكيدا بل مبتدأ وخبر والجملة خبر أكون ويمكن ان هو وضع موضع اسم الاشارة أى أكون أنا ذلك قاله الابى (فمن سأل الله لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة) ونعم هذا الجزاء (وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى) كلهم (من حديث كعب بن علقمة) بن كعب المصرى التنوخى صدوق مات سنة سبع وعشرين ومائة وقيل بعدها أى عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاصى قال عياض كان بعض من رأيناه من المحققين يقول انما هذا لمن فعل ذلك محبة وأداء لحقه صلى الله عليه وسلم من التعظيم والاجلال لا لمن قصد الثواب أو ختم دعاءه بالصلاة عليه وفيما قاله نظر انتهى قال الحافظ وهو تحكم غير مرضى ولو كان أخرج الغافل اللاهى لكان أشبه (وذكره بلفظ الرجاء وان كان متحقق الوقوع) بوعد من لا يخلف الميعاد وهبة الكريم الجواد (أدبا) معه (وارشادا) تعليما (منه) لامته (وتذكيرا) لهم (بالخوف) من الله تعالى (وتفويضا الى الله تعالى بحسب مشيئته وليكون الطالب للشئ بين الخوف والرجاء) بأن لا يقطع بأحدهما وان كان الاولى تقديم الرجاء على الخوف عند جمع أو الخوف على الرجاء عند آخرين أو الخوف حال الصحة والرجاء حال المرض عند بعض وقال القرطبى هذا الرجاء قبل علمه أنه صاحب المقام المحمود ومع ذلك فان الله يزيده بدعاء أمته له رفعة كما يزيدهم بصلاتهم عليه (وقوله حلت عليه الشفاعة أى وجبت) وثبتت كما صرح به فى عدة روايات وصوبه عياض (وقيل غشيته ونزلت به) نقله عياض عن المهلب وقال الصواب وجبت من حل يحل بالكسر اذا وجب وأما حل يحل بالضم فمعناه نزل زاد الحافظ ولا يجوز أن يكون حلت من الحل لانها لم تكن قبل ذلك محرمة * (تنبيه * قال شيخنا السخاوى (فى المقاصد الحسنة حديث الدرجة الرفيعة المدرج فيما يقال بعد الاذان) اى الملحق لا بقيد كونه من قول راو بلا ظهور فصل فجرده عن بعض معناه الاصطلاحى بدليل قوله (لم أره فى شئ من الروايات) اذ لو كان بمعناه لوجد فى بعضها (وأصل الحديث عند أحمد والبخارى والاربعة) أصحاب السنن (عن جابر مرفوعا من قال حين يسمع النداء) الاذان سمى نداء لانه دعاء الى الصلاة قال الحافظ واللام للعهد أو التقدير من قال حين يسمع نداء المؤذن وظاهره انه يقول هذا الذكر حال سماع الاذان ولا يتقيد بفراغه لكن يحتمل أن المراد من النداء تمامه اذ المطلق يحمل على الكامل ويؤيده حديث عبد الله بن عمر وعند مسلم بلفظ قولوا مثل ما يقول ثم صلوا على ثم سلوا الله لى الوسيلة ففى هذا أن ذلك يقال عند فراغ الاذان (اللهم رب هذه الدعوة) بفتح الدال (التامة) أى التوحيد لقوله تعالى دعوة الحق ووصفت بالتامة لان الشرك نقص اذ التامة التى لا يدخلها تغيير ولا

واستمر بعضهم على محاربته فأخذها صلى الله عليه وسلم من أهل نجران وايلة وهم من نصارى العرب ومن أهل دومة الجندل وأكثرهم عرب أخذها من المجوس ومن أهل الكتاب باليمن وكانوا يهودا ولم يأخذها من مشركى العرب فقال أحمد والشافعى رحمهما الله تعالى لا تؤخذ الا من الطوائف الثلاث التى أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم وهم اليهود والنصارى والمجوس ومن عداهم فلا يقبل منهم الا الاسلام أو القتل وقالت طائفة فى الامم كلها اذا بذلوا الجزية قبلت منهم أهل الكتابين بالقرآن والمجوس بالسنة ومن عداهم ملحق بهم لان المجوس أهل شرك لا كتاب لهم فاخذها منهم دليل على أخذها من جميع المشركين وانما لم يأخذها صلى الله عليه وسلم من عبدة الاوثان من العرب لانهم أسلموا كلهم قبل نزول آية الجزية فانها انما نزلت بعد تبوك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فرغ من قتال العرب واستوثقت كلها له بالاسلام ولهذا لم يأخذ من اليهود الذين حاربوه لانها لم تكن نزلت بعد فلما نزلت أخذها من نصارى العرب ومن المجوس ولو بقى حينئذ أحد من عبدة الاوثان بذلها لقبلها منه كما قبلها من عبدة الصلبان والاوثان

تبديل بل هي باقية الى يوم النشور أو لانها هي التي تستحق صفة التمام وما سواها معرض الفساد أو لان فيها اتم القول وهو لا اله الا الله وقال الطيبي من أوله الى قوله محمد رسول الله هي الدعوة التامة (والصلاة القائمة) المعهودة المدعو اليها حينئذ وهذا أظهر أو الحيعلتان أو المراد بالصلاة الدعاء وبالقائمة الدائمة من قولهم قام على الشيء اذا داوم عليه وعلى هذا فقوله والصلاة القائمة بيان للدعوة التامة (آت محمد الوسيلة) تقدم بيانها ووجه تخصيص الدعاء له بها بعد الاذان انه لما كان دعاء الى الصلاة وهي مقربة الى الله ومعراج المؤمنين وهي مما من الله به علينا بارشاده وهدايته ناسب أن يجازى على ذلك بالدعاء المقرب الى الله ورفعة المنزلة فان الجزاء من جنس العمل (والفضيلة) قال الحافظ أي المرتبة الزائدة على سائر الخلائق ويحتمل أن تكون منزلة أخرى أو تفسير الوسيلة (وابعثه مقاما محمودا) أي يحمد القائم فيه وهو يطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات ونصب على الظرفية أي ابعثه يوم القيامة فأقمه مقاما أو على انه مفعول به أو ضمن ابعثه معنى أقمه ٢ ومعنى ابعثه أعطه ويجوز أن يكون حالا أي ابعثه ذا مقام محمود قال النووي ثبتت الرواية بالتنكير وكأنه حكاية للفظ القرآن وقال الطيبي انما نكره لانه أفخم وأجزل كأنه قيل مقاما أي مقام محمودا بكل لسان قلت وقد جاء في هذه الرواية بعينها بالتعريف عند النسائي وابن خزيمة وابن حبان والطبراني والطحاوي والبيهقي وفيه تعقب على من أنكر ذلك كالنووي (الذي وعدته) زاد في رواية البيهقي انك لا تخلف الميعاد قال الطيبي المراد بذلك قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا واطلق عليه الوعد لان عسى من الله واقع كما صح عن ابن عيينة وغيره والموصول اما بدل أو عطف بيان أو خبر مبتدا محذوف وليس صفة للنكرة وعلى رواية المقام المحمود بالتعريف يصح وصفه بالموصول (حلت له شفاعتي يوم القيامة) اللام بمعنى بدليل الرواية السابقة وفي رواية الطحاوي وجبت واستشكل جعل ذلك ثوابا القائل ذلك مع ما ثبت ان الشفاعة للمذنبين وأجيب بان له شفاعات أخرى كادخال الجنة بغير حساب ورفع الدرجات فيعطى كل أحد ما يناسبه انتهى (قال) في المقاصد (وكأن من زادها) أي الدرجة الرفيعة (اغتر بما وقع في بعض نسخ الشفاء من حديث جابر المشار اليه) يعني هذا المذكور (لكن مع زيادتها في هذه النسخة المعتمدة) لهذا المغتر بها (علم عليها كاتبها بما يشير الى الشك فيها) فكيف يعتمد عليها (ولم أرها في سائر نسخ الشفاء) المعتمدة (بل في الشفاء عقد لها فصلا في مكان آخر ولم يذكر فيه حديثا صريحا وهو دليل لغلطها انتهى) لكن عند ابن أبي عاصم بسند فيه المسعودي وهو ثقة اللهم صل على محمد وأبلغه الدرجة والوسيلة في الجنة فقد وردت بعضها والله أعلم ويأتي ان شاء الله في العاشر الخلاف في المقام المحمود والمشهور انه الشفاعة (ومنها أول الدعاء وأوسطه) وهو ما بعد الاول وقبل الآخر لا خصوص ان ما قبله مساو لما بعده في القدر (وآخره لما روى أحمد من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوني كقدح الراكب) قيل وما قدحه يا رسول الله قال (فان الراكب يملأ قدحه) بفتحتين اناء صغير للشرب (ثم يضعه) عنده (ويرفع متاعه) على راحلته (فان احتاج الى شراب) أي شرب ماء (شربه) أي ماء قدحه (أو الوضوء توضأ) بالهمز وتبدل ألفا (والا) يحتج لشرب أو وضوء (هراقه) بفتح الهمزة وسكون الهاء أي طرح ماءه على الارض لاستغنائه عنه قال ابن الاثير وغيره معناه لا تؤخروني في الذكر وتجعلوا ذكري تبعا لكم بل اعتنوا به فقدموه ووسطوه واختموا به كما قال (ولكن اجعلوني) أي ذكري بالصلاة علي (في أول الدعاء وأوسطه وآخره) ففيه تشبيه تمثيلي بليغ لتأخير ذكره عن الدعاء كما ان الراكب يبدأ بحمل متاعه وقدحه على الارض لا ينظر له ثم يأخذ ما فيه أو يريقه ويعلقه

٢ قوله ومعنى ابعثه أعطه راجع للاحتمال الثاني وهو قوله أو على انه مفعول به ليكون متعديا الى اثنين الضمير ومقاما تأمل اه

والنيران ولا فرق ولا تأثير لتغليظ كفر بعض الطوائف على بعض ثم ان كفر عبدة الأوثان ليس أغلظ من كفر المجوس وأي فرق بين عبدة الاوثان والنيران بل كفر المجوس أغلظ وعباد الاوثان كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وانه لا خالق الا الله وانهم انما يعبدون آلهتهم لتقربهم الى الله سبحانه وتعالى ولم يكونوا يقرون بصانعين للعالم أحدهما خالق للخير والآخر للشر كما تقوله المجوس ولم يكونوا يستحلون نكاح الامهات والبنات والاخوات وكانوا على بقايا من دين ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه وأما المجوس فلم يكونوا على كتاب أصلا ولا دانوا بدين أحد من الانبياء لا في عقائدهم ولا في شرائعهم والاثر الذي فيه انه كان لهم كتاب فرفع ورفعت شريعتهم لما وقع ملكهم على ابنته لا يصح البتة ولو صح لم يكونوا بذلك من أهل الكتاب فان كتابهم رفع وشريعتهم بطلت فلم يبقوا على شيء منها ومعلوم ان العرب كانوا على دين ابراهيم عليه السلام وكان له صحف وشريعة وليس تغيير عبدة الاوثان لدين ابراهيم عليه السلام وشريعته بأعظم من تغيير المجوس لدين نبيهم وكتابهم لو صح فانه لا يعرف عنهم التمسك بشيء

في آخر رحله خلفه وهذا كقول حسان يهجو

فأنت هجين نيط في آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

(ومنها وهو من آكدها عقب دعاء القنوت لما رواه أحمد وأهل السنن وابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث أبي الجوزاء) بالجيم والزاي أوس بن عبد الله الربعي بفتح الموحدة البصري ثقة يرسل كثيرا مات سنة ثلاث وثمانين (عن الحسن بن علي) خاتم خلافة النبوة (قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت) بلفظ الافراد في الجميع وفي رواية للبيهقي اللهم اهدنا بالجمع في الجميع وجعلت على الامام لحديث أبي داود والترمذي وحسنه مرفوعا لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بدعوة دونهم فان فعل فقد خانهم (وقني شر ما قضيت) قال العلامة الشهاب القرافي معناه ان الله تعالى يقدر المكروه بعدم دعاء العبد فاذا استجاب دعاءه لم يقع المقضي بفوات شرطه وليس هو رد القضاء المبرم ومنه صلة الرحم تزيد في العمر والرزق انتهى (فانك) بالفاء (تقضي ولا يقضى عليك وانه) بالواو وفي رواية بدونها (لا يذل من واليت) زاد الطبراني في الكبير عن حديث الحسن بن علي نفسه ولا يعز من عاديت (تباركت) زاد في رواية ربنا أي كثر خيرك وزاد عن كل شئ (وتعاليت) في ذاتك وصفاتك تنزهت عما لا يليق بك (وزاد النسائي في سننه) في روايته لهذا الحديث (وصلى الله على النبي وسيأتي في المقصد التاسع البحث في ذلك ان شاء الله تعالى) بأن زيادة النسائي هذه غريبة غير ثابتة لاجل عبد الله بن علي لانه غير معروف وعلى تقدير أنه عبد الله بن علي بن الحسن فمنقطع لانه لم يسمع من جده الحسن فالزيادة ليست بحسنة لانقطاعها أو جهالة راويها ولم تجئ من وجه آخر يجبرها فهي شاذة انتهى أي ضعيفة (ومنها أثناء تكبيرات العيدين لما روى اسمعيل القاضي أن ابن مسعود وأبا موسى وحذيفة) رضي الله عنهم (خرج عليهم الوليد بن عقبة) بالقاف ابن أبي معيط ابن أبي عمرو بن أمية القرشي الاموي أخو عثمان لامه وله صحبة وعاش الى خلافة معاوية وكان أمير الكوفة من قبل عثمان فشرب فعزله وحده (فقال ان هذا العيد قد دنا) أي قرب (فكيف التكبير فيه فقال عبد الله) بن مسعود (تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تقرأ) فاقتصر للعيد على ثلاث تكبيرات بعد الاحرام وقال به أهل الكوفة وذكر أنه يفصل بين كل تكبيرة بالحمد والصلاة والمقرر عند الشافعية والمالكية خلاف ذلك وانه لا صلاة على المصطفى فيها (ثم تكبر وتركع ثم تقوم) للركعة الثانية (فتكبر وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك) الذي قلته لك في الركعة الاولى (فقال حذيفة وأبو موسى صدق أبو عبد الرحمن) كنية عبد الله بن مسعود (قال ابن كثير اسناده صحيح) وهو موقوف ليس له حكم الرفع فهو اجتهاد (ومنها عند دخول المسجد) لانه محل الذكر (والخروج منه لما رواه أحمد) وأبو داود والنسائي (عن فاطمة) الزهراء سيدة نساء العالمين قالت (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد صلى على محمد) وسلم كما عند أحمد وغيره فسقط من قلم المصنف ولاحمد وابن ماجه يقول بسم الله والسلام على رسول الله فأبرز اسمه الميمون على سبيل التجريد الملتجئ الى منصب الرسالة تعظيما لها كأنه غيره امتثالا لامر الله بآية صلوا عليه (ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي) وان كان لا ذنب له تعليما لامته وتواضعا واجلالا لربه (وافتح لي أبواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد وسلم) وفي رواية أيضا قال بسم الله والسلام على رسول الله (ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي) أبرز نفسه عند الغفران تحليا بالانكسار بين يدي الملك الجبار

من شرائع الأنبياء عليهم الصلوات والسلام بخلاف العرب فكيف يجعل المجوس الذين دينهم أقبح الأديان أحسن حالا من مشركي العرب وهذا القول أصح في الدليل كما ترى وفرقت طائفة ثالثة بين العرب وغيرهم فقالوا تؤخذ من كل كافر الا مشركي العرب ورابعة فرقت بين قريش وغيرهم وهذا لا معنى له فان قريشا لم يبق فيهم كافر يحتاج الى قتاله وأخذ الجزية منه البتة وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى أهل هجر والى المنذر بن ساوى والى ملوك الطوائف يدعوهم الى الاسلام أو الجزية ولم يفرق بين عربي وغيره وأما حكمه في قدرها فانه بعث معاذا الى اليمن وأمره ان يأخذ من كل حالم دينارا أو قيمته معافر وهي ثياب معروفة باليمن ثم زاد فيها عمر رضي الله عنه فجعلها أربعة دنانير على أهل الذهب وأربعين درهما على أهل الورق في كل سنة فرسول الله صلى الله عليه وسلم علم ضعف أهل اليمن وعمر رضي الله عنه علم غنا أهل الشام وقوتهم

(فصل في حكمه صلى الله عليه وسلم) في المدينة وما ينقضها ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه صالح أهل مكة على وضع الحرب

(وافتح لى أبواب فضلك) خصه بالخروج والرحمة بالدخول لاشتغال الداخل بما يزلفه الى الله وثوابه فناسب الرحمة الصادقة بكل خير واذا خرج انتشر فى الارض ابتغاء فضل الله من الرزق فناسب الفضل الذى هو الزيادة مما حصل من الثواب (ومنها فى صلاة الجنازة فان السنة) أى الطريقة (أن يقرأ الفاتحة بعد احدى التكبيرات) فلا ينافى وجوب الفاتحة عنده عقب أى تكبيرة (و) لكن (بعد الاولى أولى) أفضل (وأن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بعد) التكبيرة (الثانية) مقدما عليها التحميد كالحمد لله رب العالمين ويختمها بالدعاء للمؤمنين والمؤمنات كأن يقول اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات (ويدعو للميت بعد الثالثة وبعد الرابعة يقول اللهم لا تحرمنا أجره) أى أجر الصلاة عليه أو أجر المصيبة به لان المؤمن مصاب بأخيه (ولا تفتنا بعده) بما يشغلنا عن الله فان كل شاغل عنه فتنة (وفى ذلك حديث رواه) الامام (الشافعى والنسائى) لكن فى اسناده ضعف كما قال الخيضرى (ومنها عند التلبية لما رواه الشافعى والدارقطنى عن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق) أحد فقهاء المدينة (قال كان يؤمر الرجل اذا فرغ من تلبيته أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم على كل حال) أى بعد كل مرة من صيغ التلبية المعروفة وليس المراد أنه يؤخره الى فراغ التلبية بالمرة وذلك عند الشروع فى التحلل (ومنها عند الصفا والمروة لما روى اسمعيل القاضى عن عمر بن الخطاب انه قال اذا قدمتم) مكة (فطوفوا بالبيت سبعا وصلوا عند المقام) لابراهيم (ركعتين ثم ائتوا الصفا فقوموا عليه من حيث) أى فى مكان (ترون البيت) فيه (فكبروا سبع تكبيرات تكبيرا) مصحوبا بتعظيم دائر (بين حمد الله تعالى وثناء عليه وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ومسئلة لنفسك) فانها من مواطن الاجابة وفى نسخة بعد حمد وهى ظاهرة (وعلى المروة مثل ذلك قال ابن كثير اسناده حسن جيد قوى) وهو موقوف (ومنها عند الاجتماع والتفرق) أى فى المجلس الذى يقع فيه اجتماع وافتراق لانها مطلوبة عندهما اذ لا دليل على ذلك فى الحديثين اللذين ساقهما بقوله (لما روى الترمذى) وقال حسن ولعله لشواهده والا ففيه صالح مولى التوأمة ضعيف عن أبى هريرة وأبى سعيد معا (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا) فيه (على نبيه الا كان عليهم ترة) بكسر الفوقية وفتح الراء لا بفتحهما كما زعم وهاء تأنيث عوض عن الواو المحذوفة كعدة وزنة مرفوع بكان التامة أى وقعت وحصلت أو اسمها وعليهم خبر مقدم ويجوز نصبها خبر واسم كان مستتر عائد على الجلسة المفهومة مما قبله وهى النقص أو التبعة أو الحسرة قيل وهو أقرب لورود فى الحديث الثانى فهم فى مشيئة الله (فان شاء عذبهم) بعدله على ذلك (وان شاء غفر لهم) بفضله فيتأكد الذكر والصلاة عند ذلك ويحصلان بأى لفظ كان لكن الاكمل فى الذكر سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك وفى الصلاة ما فى آخر التشهد والمراد بالعذاب اللوم على تركها كما يلام فاعل المكروه وبالمغفرة ترك اللوم لانها لا تستدعى سبق ذنب فلا حجة فيه للقائل بوجوب الصلاة عليه فى كل مجلس (وروى اسمعيل القاضى عن أبى سعيد) الخدرى سعد بن مالك بن سنان الصحابى ابن الصحابى (قال ما من قوم يقعدون) فى مجلس (ثم يقومون منه (ولا يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة) ندامة وأسفا فى الموقف على ما فاتهم (وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب) لمن صلى عليه وليس المراد أن الحسرة تلازمهم بعد دخولها اذ بعده لا حسرة ويجوز تمام كان ونقصها وجعله نفس الحسرة مبالغة كقوله وانه لحسرة أو اسناد مجازى وقد أبعد المصنف النجعة فى العزو مع كونه موقوفا وقد جاء مرفوعا فى أحمد وداود وابن الاسلام فأخرج النسائى عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا ثم لا يصلون فيه على رسول

بينه وبينهم عشر سنين ودخل حلفاؤهم من بنى بكر معهم وحلفاؤه من خزاعة معه فعدت حلفاء قريش على حلفائه فغدروا بهم فرضيت قريش ولم تنكره فجعلهم بذلك ناقضين للعهد واستباح غزوهم من غير نبذ عهدهم اليهم لانهم صاروا محاربين له ناقضين لعهده برضاهم واقرارهم لحلفائهم على الغدر بحلفائه والحق ردأهم فى ذلك بمباشرهم وثبت عنه انه صالح اليهود وعاهدهم لما قدم المدينة فغدروا به ونقضوا عهده مرارا وكل ذلك يحاربهم ويظفر بهم وآخر ما صالح يهود خيبر على أن الارض له ويقرهم فيها عمالا له ما شاء وكان هذا الحكم منه فيهم حجة على جواز صلح الامام لعدوه ما شاء من المدة فيكون العقد جائزا له فسخه متى شاء وهذا هو الصواب وهو موجب حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا ناسخ له

(فصل) وكان فى صلحه لاهل مكة ان من أحب ان يدخل فى عهد محمد وعقده دخل ومن أحب ان يدخل فى عهد قريش وعقدهم دخل وان من جاءهم من عنده لا يردونه اليه ومن جاءه منهم رده اليهم وانه يدخل العام القابل الى مكة فيخلونها له ثلاثا

الله الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب وقد ذكره بهذا اللفظ عياض الا انه لم ينسبه للنسائي (ومنها عند الصباح) أول النهار (والمساء) أول الليل لا بالمعنى اللغوي وهو أن الصباح أول النهار والمساء ما بين الظهر الى المغرب (لما روى الطبراني) باسنادين أحدهما جيد وقد حسنه بعض الحفاظ ولعله لشواهده والا ففيه انقطاع لانه (من حديث) خالد الحذاء عن (أبي الدرداء) وخالد لم يسمع من أبي الدرداء (مرفوعا من صلى علي حين يصبح عشرا) من المرات (وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة) أي شفاعة خاصة غير العامة جزاء على صلاته عند شدة الاحتياج فلو لم يكن لها ثواب الا هذا لكفى قال الابي وقضية اللفظ حصول الصلاة بأي لفظ كان وان كان الراجح الصيغة الواردة في التشهد (ومنها عند الوضوء لحديث ابن ماجه عن سهل بن سعد) الساعدي (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وضوء) كامل (لمن لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم) لكنه حديث ضعيف كما في الفتح (ومنها عند طنين الاذن) أي تصويتها (لحديث أبي رافع) أسلم أو ابراهيم أو صالح أو غير ذلك الى عشرة أقوال أشهرها أسلم (عند ابن السني) وكذا الطبراني في الثلاثة والعقيلي وابن عدي والخرائطي والحكيم الترمذي قال السخاوي وسنده ضعيف بل قال العقيلي لا أصل له انتهى وتعقب بأن الحافظ النور الهيثمي قال اسناد الطبراني في الكبير حسن وقد رواه ابن خزيمة وهو ممن التزم تخريج الصحيح وبه شنعوا على ابن الجوزي زعمه انه موضوع (مرفوعا) لفظه استعملوها يعني قال صلى الله عليه وسلم (اذا طنت) بالتشديد أي صوتت (أذن أحدكم فليذكرني) بنحو محمد رسول الله (وليصل علي) بنحو صلى الله عليه وسلم ففيه عدم الاكتفاء بذكره حتى يصلي عليه (وليقل ذكر الله من ذكرني بخير) لان الارواح ذات طهارة ونزاهة ولها سمع وبصر متصل ببصر العين ولها سطوع في الجو تحول وتجول ثم تصعد الى مقامها الذي منه بدت فاذا تخلصت من شغل النفس أدركت من أمر الله ما يعجز عنه البشر فهما ولولا تعلقها لرأت العجائب لكنها تدنست بما تلبست وتوسخت بما تقمصت من ثياب اللذات وتكدرت بما تشربت من كأس حب الخطيئات ورسول الله صلى الله عليه وسلم لما قيل له الى أين قال الى سدرة المنتهى فهو متشمر هنالك يقول يارب أمتي أمتي حتى ينفخ في الصور وطنين الاذن من قبل الروح تجد تحفتها وطهارتها وسطوعها وشوقها الى المقام الذي فيه المصطفى فطنت لما جاءت به من الخبر فلذا قال فليصل علي لانه ذكره عند الله في ذلك الوقت وطلب شيأ استوجب به الصلاة أداء لحقه فلذا شرعت الصلاة عليه عند طنين الاذن كما شرعت عند خدر الرجل لخبر ابن السني أن رجلا خدرت رجله عند ابن عباس فقال له اذكر أحب الناس اليك فقال محمد صلى الله عليه وسلم فكأنما نشط من عقال ذكره في فتح القدير (ومنها عند نسيان الشيء لحديث أبي موسى) محمد بن عمر بن أحمد (المديني) الاصفهاني الحافظ الكبير صاحب التصانيف (بسند فيه ضعف عن أنس يرفعه اذا نسيتم شيأ فصلوا علي) جواب اذا (تذكروه ان شاء الله) حذفت نونه لكونه في جواب الطلب (ومنها بعد العطاس كما ذهب اليه أبو موسى المديني وجماعة) لما جاء بسند ضعيف من عطس فقال الحمد لله على كل حال ما كان من حال وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته أخرج الله من منخره الايسر طائرا يقول اللهم اغفر لقائلها (ونازعهم في ذلك آخرون وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله كالاكل والشرب والوقاع ونحو ذلك) كالتعجب واشهار المبيع والذبح والعثرة وفي الحمام ومواضع الاقذار ومذهب مالك كراهتها في ذلك كله (ومنها عند زيارة قبره الشريف لحديث أبي داود عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يسلم علي) في أي محل كان وزيادة عند قبري قال الحافظ السخاوي لم أقف عليها فيما رأيته من طرق الحديث

ولا يدخلها الا بجلبان السلاح وقد تقدم ذكر هذه القصة وفقهها في موضعه

*ذكر أقضيته وأحكامه في النكاح وتوابعه

(فصل في حكمه صلى الله عليه وسلم) في الثيب والبكر يزوجهما أبوهما ثبت عنه في الصحيحين ان خنساء بنت خذام زوجها أبوها وهي كارهة وكانت ثيبا فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد نكاحها وفي السنن من حديث ابن عباس ان جارية بكرا أتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ان أباها زوجها وهي كارهة فخيرها النبي صلى الله عليه وسلم وهذه غير خنساء فهما قضيتان قضى في احداهما بتخيير الثيب وقضى في الاخرى بتخيير البكر وثبت عنه في الصحيح انه قال لا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا يارسول الله وكيف اذنها قال ان تسكت وفي صحيح مسلم البكر تستأذن في نفسها واذنها صماتها وموجب هذا الحكم انه لا تجبر البكر البالغ على النكاح ولا تزوج الا برضاها وهذا قول جمهور السلف ومذهب أبي حنيفة وأحمد في احدى الروايات عنه وهو القول الذي ندين الله به ولا نعتقد سواه وهو الموافق لحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره ونهيه وقواعد شريعته

(الارد الله على روحى) اى نطقى (حتى أرد عليه السلام) أوهو عبارة عن استمرار حياته على الدوام وان روحه لا تفارقه أبدا الاستحالة خلو الوجود من أحد يسلم عليه عادة و يأتى ان شاء الله مزيد لذلك فى المقصد العاشر قال السيوطى كذا رواية أبى داود رد على ولليبهقى الى وهى ألطف وأنسب لان رد يعدى بعلى فى الاهانة وبالى فى الاكرام فن الاول يردوكم على أعقابكم ومن الثانى رددناه الى أمه انتهى ولا يطرد هذا بدليل رواية على هنا فى الاكرام ثم المصنف استدل بعمومه على ترجمته الخاصة ولذا أعقبه بالخاص فقال (وروى ابن عساكر) وعبد الرزاق وابن أبى شيبة من حديث أبى هريرة مرفوعا (من صلى على عند قبرى سمعته) ومن صلى على نائيا أبلغته هذا بقية الحديث والظاهر أن المراد بالعندية قرب القبر بحيث يصدق عليه عرفا أنه عنده و بالبعد عنه ما عدا ذلك وان كان بالمسجد وفى القول البديع اذا كان المصلى عند قبره الشريف سمعه صلى الله عليه وسلم بلا واسطة سواء كان ليلة الجمعة أوغيرها وما يقوله بعض الخطباء ونحوهم انه يسمع بأذنيه فى هذا اليوم من يصلى عليه فهو مع حمله على القريب لا مفهوم له انتهى وعورض هذا الخبر بحديث من صلى على عند قبرى وكل الله به ملكا يبلغنى وكفى أمر دنياه وآخرته وكنت له شفيعا أوشهيدا يوم القيامة وجمع بانه يسمع الصلاة والسلام عند قبره بلا واسطة و يبلغه الملك أيضا اشعارا بمزيد خصوصيته والاعتناء بشأنه والاستمداد له بذلك وخبر الطبرانى وغيره عن الحسن بن على مرفوعا حيثما كنتم فصلوا على فان صلاتكم تبلغنى معناه لا تتكلفوا المعاودة الى قبرى لكن الحضور فيه مشافهة أفضل من الغيبة والمنهى عنه الاعتياد الرافع لكمال الحشمة (و وردالامر بالاكثار منها يوم الجمعة وليلتها) وأقل الكثرة ثلثمائة قاله أبو طالب فى القوت قال السخاوى لم أقف له على مستند فلعله تلقاه عن أحد من الصالحين عرفه بتجارب أوغيره أوراه أول ما يحصل به الكثرة (فعن أوس بن أوس) بفتح الهمزة وسكون الواو (الثقفى) الصحابى سكن دمشق روى له أصحاب السنن الاربعة أحاديث صحيحة من رواية الشاميين عنه وهو غير أوس ابن أبى أوس حذيفة الثقفى الصحابى على الصحيح خلافا لابن معين وغيره فى انهما واحد فانه خطأ كما فى الاصابة وغيرها (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم) وذلك يوجب لليوم شرفا ومزية (وفيه قبض) وذلك سبب للشرف أيضا فانه سبب لوصوله الى الجناب الاقدس والخلاص من تعب الدنيا (وفيه النفخة) أى النفخ فى الصور وذلك شرف أيضا لانه من أسباب توصل أرباب الكمال الى ما أعد لهم من النعيم المقيم والموت أحد الاسباب الموصلة للنعيم فهو وان كان فناء ظاهر الكنه بالحقيقة ولادة ثانية ذكره الراغب (وفيه الصعقة) من شدة الوجل وهى غير النفخة وقد ذكرها تعالى بفاء التعقيب فى ونفخ فى الصور فصعق (فأكثروا على من الصلاة فيه) أى فى يوم الجمعة (فان صلاتكم معروضة على) أى موصلة الى توصل الهدايا قاله ابن الملقن (قالوا يارسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت) بفتح الهمزة والراء وسكون الميم وروى بضم الهمزة وكسر الراء قاله المنذرى وقال غيره أرمت بفتح فسكون ففتح على الاشهر وفى رواية أرممت أى صرت رميما (يعنى وقد بليت قال ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء) لانها تتشرف بوقع أقدامهم عليها وتفتخر بضمهم اليها فكيف تأكل منهم ولانهم تناولوا ما تناولوا منها بحق وعدل وسخرها لهم لاقامة العدل عليها فلم يكن لها عليهم سلطان فكما ان حفظ أجسادهم من البلاء خرق للعادة المستمرة كذلك عرض صلاتهم عليه وسماعها منهم فالجواب مطابق للسؤال قاطع لعرق الاستبعاد لان الخوارق لا يقاس عليها (رواه أحمد وأبو داود والنسائى) وابن ماجه فى الجنائز كلهم عن أوس وهو الصواب ووقع عند ابن ماجه فى الصلاة تسمية الصحابى شداد بن أوس وهو وهم نبه عليه المزى وغيره وقد رواه ابن ماجه فى الجنائز على الصواب

ومصالح أمته أما موافقته لحكمه فانه حكم بتخيير البكر الكارهة وليس رواية هذا الحديث مرسلة بعلة فيه فانه قد روى مسندا أو مرسلا فان قلنا بقول الفقهاء ان الاتصال زيادة ومن وصله مقدم على من أرسله فظاهر وهذا تصرفهم فى غالب الاحاديث فما بال هذا خرج عن حكم أمثاله وان حكمنا بالارسال كقول كثير من المحدثين فهذا مرسل قوى قد عضدته الآثار الصحيحة الصريحة والقياس وقواعد الشرع كما سنذكره فيتعين القول به وأما موافقة هذا القول لامره فانه قال والبكر تستأذن وهذا أمر مؤكد لانه ورد بصيغة الخبر الدال على تحقق المخبر به وثبوته ولزومه والاصل فى أوامره ان تكون للوجوب ما لم يقم اجماع على خلافه وأما موافقته لنهيه فلقوله لا تنكح البكر حتى تستأذن فامر ونهى وحكم بالتخيير وهذا اثبات للحكم بابلغ الطرق وأما موافقته لقواعد شرعه فان البكر البالغة العاقلة الرشيدة لا يتصرف أبوها فى أقل شئ من ملكها الا برضاها ولا يجبرها على اخراج اليسير منه بدون رضاها فكيف يجوز أن يرقها ويخرج بضعها منها بغير رضاها الى من يريده هو وهى من أكره

(وقد

(وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني) والحاكم وقال على شرط البخاري وحسنه عبد الغني والمنذري وقال ابن دحية انه صحيح محفوظ بنقل العدل عن العدل ومن قال انه منكر أو غريب لعلة خفية به فقد استروح لان الدارقطني رد ذلك (قال الحافظ ابن كثير وقد روى البيهقي من حديث أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالاكثار من الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة) لفظ البيهقي في الشعب عن مكحول عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا على من الصلاة في كل يوم جمعة فان صلاة أمتي تعرض على يوم الجمعة فمن كان أكثرهم على صلاة كان أقربهم مني منزلة (ولكن في اسناده ضعف) لان مكحولا لم يسمع من أبي أمامة عند الجمهور ولكن أثبت الطبراني سماعه منه ولذا قال المنذري سنده حسن الا أن مكحولا قيل لم يسمع من أبي أمامة انتهى وليس في حديث أبي أمامة تصريح بليلة الجمعة كما فعل المصنف نعم جاء في حديث أنس عند ابن عدي وأبي هريرة عند البيهقي والطبراني مرفوعا أكثروا من الصلاة على في الليلة الغراء واليوم الازهر فان صلاتكم تعرض على وفي اسناده ضعف أي عرضا خاصا فيه زيادة شرف للمصلي حينئذ فلا ينافي انها تعرض في أي وقت صلى عليه كما جاء في أحاديث وللبيهقي عن أنس أكثروا من الصلاة على في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا وشافعا يوم القيامة أي شهيدا بأعماله التي منها الصلاة على وشافعا له شفاعة خاصة اعتناء به والا فشفاعته عامة (فان قلت ما الحكمة في خصوصية الاكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها أجاب ابن القيم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الانام) كسحاب جميع الخلق أو الجن والانس خاصة ويقال آنام بالمد كساباط وأنيم كأمير (ويوم الجمعة سيد الايام) للاسبوع (فللصلاة عليه فيه مزية ليست لغيره مع حكمة أخرى وهي ان كل خير نالته أمته في الدنيا والآخرة فانما نالته على يده صلى الله عليه وسلم فجمع الله لامته به بين خيري الدنيا والآخرة وأعظم) بالجر عطف على خيري أي وبين أعظم (كرامة تحصل لهم فانها تحصل لهم يوم الجمعة فان فيه بعثهم الى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد لهم اذا دخلوا الجنة وهو عيد لهم في الدنيا) كما في الحديث (ويوم فيه يسعفهم الله بطلباتهم) جمع طلبة بزنة كلمة وكلمات (وحوائجهم ولا يرد سائلهم) في الساعة التي فيه كما صح (وهذا كله انما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده فمن شكره وحمده وأداء القليل من حقه صلى الله عليه وسلم أن يكثر) كل أحد من الصلاة (عليه في هذا اليوم وليلته) وفقنا الله لذلك بمنه (وأما فضيلة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم) أي الثواب المترتب لقائلها ككتكفير الخطايا وتزكية الاعمال ورفع الدرجات ومغفرة الذنوب وصلاة الملائكة واستغفارها لقائلها وكتابة قيراط مثل أحد من الاجر والكيل بالمكيال الاوفى وكفاية أمر الدنيا والآخرة لمن جعل صلاته كلها صلاة عليه ومحق الخطايا وفضلها على عتق الرقاب والنجاة بها من الاهوال وشهادة الرسول بها ووجوب الشفاعة ورضا الله ورحمته والامان من سخطه والدخول تحت ظل العرش ورجحان الميزان وورود الحوض والامان من العطش والعتق من النار والجواز على الصراط ورؤية المقعد المقرب من الجنة قبل الموت وكثرة الازواج في الجنة ورجحانها على أكثر من عشرين غزوة وقيامها مقام الصدقة للمعسر وأنها زكاة وطهارة وينمو المال ببركتها وتقضى بها مائة من الحوائج بل أكثر وأنها عبادة وأحب الاعمال الى الله تعالى وتزين المجالس وتنفي الفقر وضيق العيش ويلتمس بها مظان الخير وأن فاعلها أولى الناس به وينتفع هو وولده وولد ولده بها ومن أهديت في صحيفته بثوابها وتقرب الى الله عز وجل ورسوله وانها نور وتنصر على الاعداء وتطهر القلب من النفاق والصدا وتوجب محبة الناس ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وتمنع من اغتياب صاحبها وهي من أبرك الاعمال

الناس فيه وهو من أبغض شئ اليها ومع هذا فينكحها اياه قهرا بغير رضاها الى من يريده ويجعلها أسيرة عنده كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فانهن عوان عندكم أي أسرى ومعلوم ان اخراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لا تختاره بغير رضاها ولقد أبطل من قال انها اذا عينت كفؤا تحبه وعين أبوها كفؤا فالعبرة بتعيينه ولو كان بغيضا لها قبيح الخلقة وأما موافقته لمصالح الامة فلا يخفى مصلحة الثيب في تزويجها بمن تختاره وترضاه وحصول مقاصد النكاح لها به وحصول ضد ذلك بمن تبغضه وتنفر عنه فلو لم تأت السنة الصريحة بهذا القول لكان القياس الصحيح وقواعد الشريعة لا تقتضي غيره وبالله التوفيق * فان قيل فقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفرق بين الثيب والبكر قال ولا تنكح الايم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن وقال الايم أحق بنفسها من وليها والبكر يستأذنها أبوها فجعل الايم أحق بنفسها من وليها فعلم أن ولي البكر أحق بها من نفسها والا لم يكن لتخصيص الايم بذلك معنى وأيضا فانه فرق بينهما في صفة الاذن فجعل اذن الثيب النطق واذن البكر الصمت وهذا كله يدل على عدم اعتبار

وأنفسها وأكثرها نفعا في الدين والدنيا وغير ذلك من الثواب هكذا ذكر جمع في القول البديع ثم ذكر
الاحاديث في ذلك كله والمصنف ذكر بعضها (فقد ورد التصريح بها في أحاديث قوية) باعتبار مجموعها
فلا ينافي ان بعضها ضعيف يعمل به في الفضائل (لم يخرج البخاري منها شيأ) لانها ليست على شرطه
(أمثلها ما أخرجه مسلم) وأبو داود والترمذي والنسائي والامام أحمد وابن حبان (من حديث أبي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى علي واحدة) زاد في رواية البزار من تلقاء نفسه (صلى الله عليه
بها عشرا) أي من دعا لي مرة رحمه الله وأقبل عليه بعطفه عشر مرات وأعطاه الفضل بالدرجات المقدرة له
وفي بعض ألفاظ الترمذي من صلى علي مرة واحدة كتب الله له بها عشر حسنات (وقال الترمذي حديث
حسن صحيح) والصلاة عليه وان كانت تحصيل الحاصل لكن حصول الامور الجزئية قد يكون
مشروطا بشروط من جملتها الدعاء (وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم لحاجة) هي حاجة البراز كما في حديث أنس خرج يتبرز (فلم يجد أحدا يتبعه فأتاه عمر) وفي حديث
أنس ففزع عمر فأتاه أي بدعائه كما في رواية فدعاني فأتيته أو بغير دعاء ان تعددت القصة (بمطهرة) بكسر
الميم اداوة فيها ماء (من خلفه فوجد النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا فتنحى عنه) زاد أنس فجلس وراءه
(حتى رفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فقال له أخشيت) أخفت من ربك لي (يا عمر حين وجدتني
ساجدا) أن تشغلني عن مناجاة ربي (فتنحيت عني) فالاستفهام للتقرير ويحتمل كما في نسخ كثيرة
صحيحة انه أحسنت بفتح الهمزة واسكان الحاء والسين المهملتين ونون ساكنة من الاحسان مدح
لعمر في تنحيه عنه حينئذ وهو أنسب بالسياق (ان جبريل أتاني) في سجودي كما هو ظاهر ويحتمل
قبل سجوده وسجد شكرا كما في حديث عبد الرحمن بن عوف عند أحمد وصححه الحاكم والبيهقي وانما
لم أجزم بالثاني لان عمر لم يذكر في خبر عبد الرحمن واختلاف المخرج فيحتمل التعدد (فقال من صلى عليك
من أمتك) أمة الاجابة (صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات) أي رحمه رحمة مضاعفة معظمة
لا تشابه غيرها الان اضافتها الى الله اضافة تعظيم وتشريف وان كان كل من جاء بالحسنة له عشر أمثالها
(ورفعه عشر درجات) باعلاء مقاماته في جنات النعيم وعلو منزلته لقربه من العزيز الرحيم (رواه الطبراني
قال ابن كثير وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء المقدسي) حيث أخرجه (في كتابه المستخرج على
الصحيحين) الذي سماه بالاحاديث المختارة أي من الاحاديث التي ليست في الصحيحين وقد صرح
الزركشي وغيره بأن تصحيحه أعلى مزية من تصحيح الحاكم (وعن أبي طلحة) زيد بن سهل
الانصاري (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه) وفي رواية الطبراني
عن أبي طلحة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسارير وجهه تبرق والجمع بينهما ان
المصطفى جاء الى محل لم يكن فيه أبو طلحة ثم دخل عليه أبو طلحة فيه (فقالوا يا رسول الله انا لنرى السرور
في وجهك) لانه كان اذا سر استنار وجهه (فقال انه أتاني الملك) جبريل كما صرح به في روايات أخر
(فقال يا محمد أما يرضيك ان ربك عز وجل يقول انه لا يصلي عليك أحد من أمتك) وفي رواية من
عبادي والمراد بهم أمته (الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا)
ورواية يحذف ولا يسلم الخ من تقصير بعض الرواة (قال بلى) زاد في رواية يا رب (رواه الدارمي) عبد الله بن
عبد الرحمن أحد الاعلام الحفاظ (وأحمد وابن حبان والحاكم والنسائي واللفظ له) وللطبراني عن أبي
طلحة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسارير وجهه تبرق فقلت يا رسول الله ما رأيتك
أطيب نفسا ولا أظهر بشرا من يومك هذا قال وما لي لا تطيب نفسي ويظهر بشري وانما فارقني
جبريل الساعة فقال يا محمد من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر

رضاها وانه لاحق لها مع أبيها *فالجواب أنه ليس في ذلك ما يدل على جواز تزويجها بغير رضاها مع بلوغها
وعقلها ورشدها وان
تزوجها بابغض الخلق
اليها اذا كان كفؤا
والاحاديث التي احتججتم
بها صريحة في ابطال
هذا القول وليس معكم
أقوى من قوله الايم
أحق بنفسها من وليها
وهذا انما يدل بطريق
المفهوم ومنازعوكم
ينازعونكم في كونه حجة
ولو سلم انه حجة فلا يجوز
تقديمه على المنطوق
الصريح وهذا أيضا انما
يدل اذا قلت ان للمفهوم
عموما والصواب أنه
لا عموم له اذ دلالته ترجع
الى ان التخصيص
بالمذكور لابد له من
فائدة وهي نفي الحكم عما
عداه ومعلوم ان انقسام
ما عداه الى ثابت الحكم
ومنتفيه فائدة وان
اثبات حكم آخر للمسكوت
عنه فائدة وان لم يكن
ضد حكم المنطوق وان
تفصيله فائدة كيف
وهذا مفهوم مخالف
للقياس الصريح بل
قياس الاولى كما تقدم
ويخالف النصوص
المذكورة وتامل قوله
صلى الله عليه وسلم
والبكر يستأذنها أبوها
عقيب قوله الايم أحق
بنفسها من وليها قطعا
لتوهم هذا القول وان البكر تزوج بغير رضاها ولا اذنها فلا حق لها في نفسها البتة

سيئات ورفعه بها عشر درجات وقال له الملك مثل ما قال لك قلت يا جبريل وما ذاك الملك قال ان الله عز وجل وكل ملكا من لدن خلقك الى ان يبعثك لا يصلى عليك أحد من أمتك الا قال وأنت صلى الله عليك وفيه روايات أخر بألفاظ مختلفة اما من الرواة أو حدث به أبو طلحة في أوقات بألفاظ مختلفة (وعن عامر بن ربيعة) بن كعب بن مالك العنزي بسكون النون حليف الخطاب صحابي مشهور أسلم قديما وهاجر وشهد بدرا ومات ليالي قتل عثمان (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على صلاة) في أي وقت كان (لم تزل الملائكة تصلى عليه ما صلى) أي مدة صلاته (على فليقل عبد من ذلك أو ليكثر) العطف للتخيير والفاء فصيحة أي اذا عرف بقاء هذا ودوامه ونفعه فان شاء أكثر ليربح ربحا كثيرا دائما والا اقتصر على قليل نافع وهو في الحقيقة حث على الاكثار (رواه أحمد وابن ماجه) باسناد حسن (من حديث شعبة) ابن الحجاج الواسطي البصري عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه (وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته سبعين صلاة) حقيقة أو المراد التكثير (فليقل عبد من ذلك أو ليكثر رواه أحمد) باسناد حسن ومثله لا يقال بالرأي فهو موقوف لفظا مرفوع حكما (والتخيير بعد الاعلام بما فيه الخيرة في المخير فيه على جهة التحذير من التفريط في تحصيله) فهو في الحقيقة حث على الاكثار فان العاقل لا يترك الخير الكثير ما أمكنه ففيه من البلاغة ما لا يخفى (وهو قريب من معنى التهديد) في نحو قوله اعملوا ما شئتم ليس أمرا لهم بعمل ما شاؤا بل هو وعيد شديد بالمجازاة على الطعن والتحريف والتأويل الباطل واللغو في القرآن (وروى الترمذي) وأحمد والحاكم وصححه (ان أبي بن كعب قال) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة قال أبي بن كعب فقلت (يا رسول الله اني أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي) قال المنذري معناه أكثر الدعاء فكم أجعل لك من دعائي صلاة عليك (قال ما شئت) يعني أي قدر أردت وتيسر لك (قلت) أجعل لك (الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير لك) نافع في الدنيا والآخرة (قلت فالنصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير لك) فلم يعين صلى الله عليه وسلم شيأ معينا لئلا ينغلق عليه باب المزيد ولم يزل يفوض الاختيار اليه مع الحث على المزيد حتى قال (قلت أجعل لك صلاتي كلها قال اذن تكفى) أنت (همك) بالنصب مفعول تكفى الثاني والاول أنت المضمر القائم مقام الفاعل (ويغفر) بالرفع (ذنبك) ويروى بنصب يغفر باذن لانها مكفرة للذنوب والمعنى انها تغنيك عن غيرها لان فيها خيري الدارين فهو بمعنى الحديث القدسي من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين (ثم قال) الترمذي (هذا حديث حسن) صحيح ولم يقتصر على حسن كما نقل المصنف (فهذا ما يتعلق بالصلاة) مما أراد ايراده في فضلها والا فهو يحتمل جزأ حافلا وقد كفى السخاوي فيه وشفى (وأما السلام) أي ما يتعلق به (فقال النووي يكره افراد الصلاة عن السلام واستدل بورود الامر بهما معا في الآية يعني قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) فظاهر الامر بهما كراهة افراد احدهما عن الآخر واليه ذهب بعض المالكية (وتعقبوه بأن النبي صلى الله عليه وسلم علم الصحابة التسليم قبل تعليمهم الصلاة) بقوله قولوا اللهم صل على محمد الى آخر ما مر (كما هو مصرح به في قولهم يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك وقوله عليه الصلاة والسلام بعد أن علمهم الصلاة والسلام) بالرفع مقول القول (كما قد علمتم) من العلم أو التعليم (فأفرد التسليم عليه مدة قبل الصلاة عليه) فكيف يكره ذلك (لكن قال في فتح الباري انه

فوصل احدى الجملتين بالاخرى دفعا لهذا التوهم وعن المعلوم انه لا يلزم من كون الثيب أحق بنفسها من وليها ان لا يكون للبكر في نفسها حق البتة وقد اختلف الفقهاء في مناط الاجبار على ستة أقوال أحدها انه يجبر بالبكارة وهو قول الشافعي ومالك وأحمد في رواية الثاني انه يجبر بالصغر وهو قول أبي حنيفة وأحمد في الرواية الثانية الثالث انه يجبر بهما معا وهو الرواية الثالثة عن أحمد الرابع انه يجبر بأيهما وجد وهو الرواية الرابعة عنه الخامس انه يجبر بالايلاد فتجبر الثيب البالغ حكاه القاضي اسمعيل عن الحسن البصري قال وهو خلاف الاجماع قال وله وجه حسن من الفقه فياليت شعري ما هذا الوجه الاسود المظلم السادس انه يجبر من يكون في عياله ولا يخفى عليك الراجح من هذه المذاهب

(فصل وقضى صلى الله عليه وسلم) بان اذن البكر الصمات واذن الثيب الكلام فان نطقت البكر بالاذن بالكلام فهو آكد وقال ابن حزم لا يصح ان تزوج الا بالصمات وهذا هو اللائق بظاهريته

(فصل وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم) ان اليتيمة تستأمر في نفسها ولا يتم بعد احتلام فدل ذلك على جواز نكاح

يكره أن يفرد الصلاة ولا يسلم أصلا أما لو صلى في وقت وسلم في وقت آخر فانه يكون ممتثلا) للامر فلا يكون متفردا السلام لانهم جمعوا بين الصلاة والسلام بعد أن علموا ثم لكن هذا المعنى ليس مرادا للنووي فلا يصح جوابا عنه (وقال أبو محمد الجويني من أصحابنا السلام في معنى الصلاة فلا يستعمل في الشخص) (الغائب ولا يفرد غير الانبياء به فلا يقال على عليه السلام) بل رضي الله عنه (سواء في هذا الاحياء والاموات وأما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام عليك أو عليكم أو السلام عليك أو عليكم وهذا مجمع عليه انتهى وقد جرت عادة بعض النساخ أن يفردوا عليا وفاطمة رضي الله عنهما بالسلام فيقولوا) على (عليه أو) فاطمة (عليها السلام دون سائر الصحابة في ذلك وهذا وان كان معناه صحيحا) لان المراد السلامة أو التحية (لكن) ذلك مكروه أو خلاف الاولى أو محرم على ما يأتي قريبا و (ينبغي) ان فعل ذلك المكروه (أن يساوي بين الصحابة رضي الله عنهم في ذلك) لان افراد على وفاطمة بذلك صار من شعار أهل البدع (فان هذا من باب التعظيم والتكريم والشيخان وعثمان أولى بذلك منهما) أي على وفاطمة (أشار اليه ابن كثير) ويأتي له مزيد قريبا (وأما الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم) من الانبياء أو غيرهم (فاختلف فيها) فقيل يطلب على الانبياء وقيل بعدمه وأما غيرهم ففي جوازها استقلالا وعدمه خلاف لا تبعا فيجوز باجماع هذا حاصل ماذكره (وأخرج البيهقي بسند واه) أي ضعيف جدا من وهى الحائط اذا مال للسقوط وفي نسخة واهي بالياء وكل صحيح لكن حذفها من المجرد من أل كما هنا هو الكثير (من حديث بريدة) بن الحصيب (رفعه لا تتركن) أيها المصلي (في التشهد الصلاة على وعلى أنبياء الله) أريد بهم ما يشمل الرسل (وأخرج اسمعيل القاضي بسند ضعيف من حديث أبي هريرة) رفعه (صلوا على أنبياء الله) وأخرجه عبد الرزاق وغيره بسند واه عن أبي هريرة مرفوعا صلوا على أنبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني ورسله عطف خاص على عام (وأخرج الطبراني باسناد ضعيف كما قال الحافظ (من حديث ابن عباس رفعه اذا صليتم على فصلوا على أنبياء الله فان الله بعثهم كما بعثني) تعليل لامره بأنهم ساووه في أصل البعثة فيصلى عليهم وحكمة ذلك انهم لما بذلوا اعراضهم في الله لاعدائه فنالوا منهم وسبوهم أعاضهم الله الصلاة عليهم وجعل لهم أطيب الثناء في السماء والارض وأخلصهم بخالصة ذكرى الدار ففي هذه الاحاديث استحباب الصلاة عليهم وورد أيضا من حديث أنس عند الخطيب ووائل ابن حجر عند ابن عساكر وكلها ضعيفة لكن بانضمامها قد تحصل القوة (وثبت عن ابن عباس اختصاص ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم أخرجه ابن أبي شيبة من طريق عثمان عن عكرمة عنه قال ما أعلم الصلاة تنبغي) أي تجوز وتطلب (من أحد على أحد الا على النبي صلى الله عليه وسلم) وقوفا مع ظاهر القرآن (وسنده صحيح) الى ابن عباس موقوف عليه وفيه تورك على قول عياض الاسانيد عن ابن عباس لينة (وحكى القول به عن مالك) الامام (وجاء نحوه عن عمر بن عبد العزيز وقال سفيان) الثوري فيما رواه عبد الرزاق والبيهقي (يكره أن يصلى الا على نبي) ولما فيه الكراهة من معنى النفي عم وصح وقوع الاستثناء المفرغ بعده وروى البيهقي أيضا عن سفيان يكره أن يصلى على غير النبي صلى الله عليه وسلم وهذا موافق لابن عباس (ومن بعض شيوخ مالك) لفظ الشفاء وجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك (لا يجوز أن يصلى الا على محمد صلى الله عليه وسلم) فلا يصلى على غيره من الانبياء استقلالا وكان الاصوب لو قال المصنف وعن بعض الشيوخ بدون اضافة مذهب مالك بالرفع ليوافق النقل وقد حرف في نسخ زادوا اياه وهي خطأ فان قائل ذلك شيخ عياض لا المصنف (قالوا) عياض وغيره (وهذا غير معروف عن مالك وانما قال) مالك في المبسوط (أكره الصلاة على غير الانبياء) وبين وجه الكراهة بقوله (وما ينبغي لنا أن نتعدى) نتجاوز (ما أمرنا به)

اليتيمة قبل البلوغ وهذا مذهب عائشة رضي الله عنها وعليه يدل القرآن والسنة وبه قال أحمد وأبو حنيفة وغيرهما قال تعالى ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن قالت عائشة رضي الله عنها هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في نكاحها ولا يقسط لها سنة صداقها فنهوا عن نكاحهن الا أن يقسطوا لهن سنة صداقهن وفي السنن الاربعة عنه صلى الله عليه وسلم اليتيمة تستأمر في نفسها فان صمتت فهو اذنها وان أبت فلا جواز عليها

*(فصل في حكمه صلى الله عليه وسلم) *في النكاح بلا ولي في السنن عنه من حديث عائشة رضي الله عنها أيما امرأة نكحت نفسها بغير اذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل فان أصابها فلها مهرها بما أصاب منها فان اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له قال الترمذي حديث حسن وفي السنن الاربعة عنه لا نكاح الا بولي وفيها عنه لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها فان الزانية هي التي تزوج نفسها

(فصل) وحكم أن المرأة اذا زوجها الوليان فهي للاول منهما وان الرجل اذا باع للرجلين

الى غيره بل تقتصر عليه (وخالفه يحيى بن يحيى) بن كثير الليثي مولاهم القرطبي أبو محمد فقيه مجاب الدعوة قليل الحديث وله أوهام روى الموطأ مات سنة أربع وثلاثين ومائتين على الصحيح (فقال لا بأس به) أي بما ذكر من الصلاة على غير الانبياء ولفظ الشفاء قال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله أي مالك ولا بأس بالصلاة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم احتج بحديث ابن عمر وحديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم وفيه وعلى أزواجه وآله انتهى وتعقب بأن هذا بطريق التبعية والكراهة استقلالا فلا يتجه به رد قول مالك وأما قوله (واحتج بأن الصلاة دعاء بالرحمة فلا تمنع الا بنص أو اجماع) لان الاصل ان كل لفظ وضع لمعنى يجوز اطلاقه على ما وجد فيه ذلك المعنى وتعقب بأنه لم يوضع لمطلق الدعاء بالرحمة بل مقيد بتعظيم يليق بمقام النبوة فليس المحتج بذلك يحيى بل عياض فانه بعد أن ذكر احتجاج يحيى بالحديثين نقل عن أبي عمران الفارسي انه اختار قول ابن عباس بكراهة الصلاة على غير المصطفى ونقل حديث أبي هريرة صلوا على أنبياء الله ورسله الخ قال والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح أو اجماع انتهى (وأما الصلاة على غير الانبياء فان كان على سبيل التبعية) للانبياء (كما تقدم في الحديث اللهم صل على محمد وآل محمد ونحوه فهذا جائز بالاجماع) وعليه يحمل قول عياض عامة أهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم أي تبعا بدليل حكايته الخلاف بعد في الاستقلال فلا يعترض عليه في حكاية الاتفاق فيما اختلف فيه (وانما وقع النزاع فيما اذا أفرد غير الانبياء بالصلاة عليهم فقال قائلون بجواز ذلك واحتجوا بقوله تعالى وهو الذي يصلي عليكم وملائكته) ففيها دليل على جواز الصلاة على كل مؤمن لاسيما وسبب نزولها ما أخرجه عبد بن حميد عن مجاهد قال لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر يا رسول الله ما أنزل الله عليك خيرا الا أشركنا فيه فنزلت هو الذي يصلي عليكم وملائكته وصلاة الله رحمته وصلاة الملائكة الدعاء والاستغفار (وبقوله أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) عطف تفسير وان قلنا انها أعم لانه يجوز التفسير بالاعم المقصود منه فلا يرد أن العطف يقتضي المغايرة لان الصلاة رحمة مشتملة على تعظيم وتكريم وأجيب للجمهور بأن الآيتين من فعل الله وملائكته ولم يرد اذنه للمؤمنين بذلك كما قال صلوا عليه (وبقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم) بمغفرة ذنوبهم (وتزكيهم بها وصل عليهم) فأمره بالدعاء بلفظ الصلاة دليل على الجواز استقلالا (وبحديث عبد الله ابن أبي أوفى) بفتح الهمزة والفاء بينهما واو ساكنة لا مفتوحة كما زعم من وهم علقمة بن خالد بن الحرث الاسلمي صحابي شهد الحديبية وعمر بعد النبي صلى الله عليه وسلم دهرا مات سنة سبع وثمانين وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة (قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه قوم بصدقتهم) أي بزكاة أموالهم (قال اللهم صل عليهم) ارحمهم وطهرهم وزك أموالهم التي بذلوا زكاتها (فأتاه أبي) علقمة شهد هو وابنه عبد الله بيعة الرضوان تحت الشجرة (بصدقته) زكاته (فقال اللهم صل على آل أبي أوفى) قال الحافظ يريد أبا أوفى نفسه لان الآل يطلق على ذات الشيء كقوله في قصة أبي موسى لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود وقيل لا يقال ذلك الا في حق الرجل الجليل القدر وفيه جواز الصلاة على غير الانبياء وكرهه مالك والجمهور وقال ابن التين وهذا الحديث يعكر عليه وقد قال جماعة من العلماء يدعو آخذ الصدقة للمتصدق بهذا الدعاء لهذا الحديث وأجاب الخطابي عنه بأن أصل الصلاة الدعاء الا انه يختلف بحسب المدعو له فصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته دعاء لهم بالمغفرة وصلاة أمته عليه دعاء له بزيادة القربة والزلفى ولذلك كان لا يليق بغيره انتهى (أخرجه الشيخان) في الزكاة واللفظ لمسلم واحتجوا أيضا بقول

فالبيع الاول منهما
(فصل في قضائه في نكاح التفويض)
ثبت عنه انه قضى في رجل تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقا ولم يدخل بها حتى مات ان لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط لها الميراث وعليها العدة أربعة أشهر وعشرا وفي الترمذي عنه انه قال لرجل أترضى ان أزوجك فلانة قال نعم وقال للمرأة أترضين ان أزوجك فلانا قالت نعم فزوج احداهما صاحبه فدخل بها الرجل ولم يفرض لها صداقا ولم يعطها شيأ فلما كان عند موته عوضها من صداقها سهماله بخيبر وقد تضمنت هذه الاحكام جواز النكاح من غير تسمية صداق وجواز الدخول قبل التسمية واستقرار مهر المثل بالموت وان لم يدخل بها ووجوب عدة الوفاة بالموت وان لم يدخل بها الزوج

امرأة جابر يا رسول الله صل علي وعلى زوجي فقال اللهم صل عليهما (وقال الجمهور من العلماء لا يجوز افراد غير الانبياء بالصلاة) وأجابوا عن هذه الاحتجاجات بأن ذلك كله وقع من النبي صلى الله عليه وسلم ولصاحب الحق أن يتفضل من حقه بما شاء وليس لغيره أن يتصرف فيه الا باذنه ولم يثبت عنه اذن في ذلك واحتجوا للمنع (لان هذا قد صار شعارا للانبياء اذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم فلا يقال أبو بكر صلى الله عليه وسلم أو قال علي صلى الله عليه وسلم وان كان المعنى صحيحا) وانما يقال صلى الله على النبي وعلى خليفته أو صديقه أو ابن عمه ونحو ذلك لانه لا يلزم من صحة المعنى جواز الاطلاق (كما لا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا لان هذا) الثناء صار (من شعار ذكر الله عز وجل) فلا يشاركه فيه غيره وان صح المعنى (وحملوا ما ورد من ذلك في الكتاب) من الآيات الثلاث السابقة (والسنة) كحديث ابن أبي أوفى وحديث امرأة جابر (على الدعاء لهم بالمغفرة) من صاحب الحق ولم يأذن لغيره (ولهذا لم يثبت شعار الآل أبي أوفى) فلم ينقل أن أحدا قال لهم ذلك غير المصطفى لانه في كلامه بمعنى الدعاء بالمغفرة (وهذا مسلك حسن وقال آخرون لا يجوز ذلك) استقلالا فهو اعادة لقول الجمهور ليقويه بقوله (لان الصلاة على غير الانبياء قد صارت من شعار أهل الاهواء) التابعين لما مالت اليه نفوسهم (يصلون على من يعتقدون فيهم فلا يقتدى بهم في ذلك) ولفظ الحافظ ويقوى المنع بأن الصلاة على غير النبي صارت شعارا لاهل الاهواء يصلون على من يعظمونه من أهل البيت وغيرهم (ثم اختلف المانعون من ذلك هل هو) أي المنع (من باب التحريم أو كراهة التنزيه أو خلاف الاولى على ثلاثة أقوال حكاها النووي في كتاب الاذكار) وحكاها غيره أيضا (ثم قال والصحيح الذي عليه الاكثرون أنه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار أهل البدع وقد نهينا عن شعارهم) قال عياض هو أمر لم يكن معروفا في الصدر الاول كما قال أبو عمران وانما أحدثه الرافضة والشيعة في فان التشبه بأهل البدع منهي عنه عند ذكرهم بالصلاة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وأيضا بعض الائمة فشاركوهم فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك انتهى وقد روى اسمعيل بن اسحق في كتاب أحكام القرآن له باسناد حسن عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب أما بعد فان ناسا من الناس التمسوا عمل الدنيا بعمل الآخرة وان ناسا من القصاص أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاءك كتابي هذا فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين ويدعوا ما سوى ذلك ثم أخرج عن ابن عباس باسناد صحيح قال لا تصلح الصلاة على أحد الا على النبي صلى الله عليه وسلم ولكن للمسلمين والمسلمات الاستغفار

(تم طبع الجزء السادس ويليه الجزء السابع أوله الفصل الثالث في ذكر محبة أصحابه الخ)

وبهذا أخذ ابن مسعود وفقهاء العراق وعلماء الحديث منهم أحمد والشافعي في أحد قوليه وقال علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما الاصداق لها وبه أخذ أهل المدينة ومالك والشافعي في قوله الآخر وتضمنت جواز تولي الرجل طرفي العقد كوكيل من الطرفين أو ولي فيهما أو ولي وكله الزوج أو زوج وكله الولي ويكفي ان يقول زوجت فلانا فلانة مقتصرا على ذلك أو تزوجت فلانة اذا كان هو الزوج وهذا ظاهر مذهب أحمد وعنه رواية ثانية لا يجوز ذلك الا للولي المجبر كمن زوج أمته أو ابنته المجبرة بعبده المجبر ووجه هذه الرواية انه لا يعتبر رضى واحد من الطرفين وفي مذهبه قول ثالث انه لا يجوز ذلك الا للزوج خاصة فانه لا يصح منه تولي الطرفين لتضاد أحكام الطرفين فيه

(فهرست الجزء السادس من كتاب شرح سيدى محمد الزرقانى على المواهب اللدنية للعلامة القسطلانى)

صحيفه

(تمت)

(فهرست الجزء السادس من كتاب زاد المعاد التي بالهامش)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت)

(فهرست الجزء الرابع من شرح سيدى محمد الزرقانى على المواهب اللدنية للعلامة القسطلانى)

(تمت)

(فهرست الجزء الرابع من كتاب زاد المعاد التي بالهامش)

